البعث الإسلامي

٢٨ عاماً

■ [illegible] الإسلامي الأصيل

■ في خدمة الفكر الإسلامي النقي و الثقافة الإسلامية الراقية

■ [illegible] دعم : شعارنا الوحيد « إلى الإسلام من جديد »

■ خطوة جريئة و جديدة نحو هذا الشعار الجليل

مع طلوع العام ٢٩ / - بحول الله و توفيقه -

تصدرها ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

أخى القــارىء :

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

حرصاً على تأمين و سلامة وصول المجلة إليك نرجو :

١– كتابة العنوان بالانجليزية و العربية كلتيهما فى ورقة خاصة ، كل حرف على حدة ، و إرساله إلينا .

٢– إرسال اشتراك بالقيمة المبينة أدناه باسم « البعث الاسلامى » مقابل عام واحد او أكثر :

٣– يرفق شيك الاشتراك ضمن مظروف مسجل إلى العنوان المذكور أدناه .

٤– الاشتراكات السنوية .

فى الهند : ٤٠ روبية ، ثمن النسخة أربع روبيات .

فى العالم العربى ١٢ دولاراً بالبريد السطحى ، ٢٥ دولاراً بالبريد الجوى .

فى أوربا و أفريقيـا و أمريكا : ١٢ دولاراً بالبريد السطحى ٤٠ دولاراً بالبريد الجوى .

فى باكستان و بنغلاديش ود شرق آسيا : ١٠ دولارات بالبريد السطحى ، ٢٠ دولاراً بالبريد الجوى .

A L B A A S E L I S L A M I

N A D W A T U L U L A M A

P. O. Box No. 93 LUCKNOW (INDIA)

عنصر الحب

إذا استعرضنا المجتمع الإسلامي في القرن الأول وجدناه مشرقاً بنور من الحب والأخوة والسلام، والتاريخ الإسلامي حافل بأمثلة رائعة من هذه الناحية يندر نظيرها في تاريخ الأمم الأخرى، وإذا نظرنا اليوم في أحوال المسلمين وأمعنا النظر في الأوساط الدينية والهيئات الإسلامية واستعرضنا هذه المشكلات، التي تعترض المركب الإسلامي في كل مكان رأينا أن السبب لذلك كله هو عدم العناية بالحب والاستهانة بأهميته في الدين الإسلامي وضرورته للمجتمع الإنساني.

فلتتخذ شبابنا للعلم شعاره الأول، الحب والإخلاص، ومهمته الأولى إذاعة الحب بين الناس حتى تنحل تلك الظلمات الكثيفة التي أحاطت بالمسلمين هذه الأيام، فهو أساس وركيزة في بناء الإسلام، نادى به القرآن العظيم ودعا إليه الرسول الكريم وعمل به المسلمون في القرون الأولى.

[محمد الحسني رحمه الله]

المجلد التاسع والعشرون

العدد الأول

البعث الإسلامي

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

المراسلات:

البعث الإسلامي

ندوة العلماء ص. ب ٩٣

لكهنؤ - الهند

Albaas - el - Islami

NADWAT - UL - ULAMA

P. O. Box No. 93

LUCKNOW (U. P.)

فهرس العدد

★ الافتتاحيـــــة :

★★ التوجيـــه الاسلامى

★★★ الدعوة الاسلاميـــة

★★★★ دراسات و أبحـــاث

★★★★★ صور و أوضـــاع

بسم الله الرحمن الرحيم

★ الافتتاحية :

الى الاسلام من جديد ... لماذا ؟

استكملت المجلة ٢٨/ عاماً من عمرها مع العدد الماضى ، وهى تؤذن اليوم ببدء عامها التاسع و العشرين بمزيج من الفرح و الغبطة و الشكر ، و قد دأبت ـ بحول الله وتوفيقه ـ خلال هذه المدة التى ليست قصيرة ، على بث الفكر الاسلامى و خدمة الثقافة الاسلامية التزاماً بالهدف الأصيل الذى استهدفته فى أول يوم من تأسيسها ، و هو العودة إلى الاسلام من جديد .

لقد كان هتاف العودة إلى الاسلام من جديد غريباً يوم ذاك ، حتى فى كثير من الأوساط الدينية التى لم تكن تقيم له وزناً كبيراً ، و صعب عليها أن تستسيغ مفهوم الكلمة و ترى لها مبرراً فى وقت تتوفر فيه الأمة الاسلامية بجميع وسائلها و أدواتها لخدمة الاسلام و العمل فى مجالاته المتعددة بتجرد و إخلاص ، و لكن هذا الهتاف ظل يكسب على مر الزمن من الأصالة و العمق ما ألجأ الناس إلى فهم الأهمية التى تتعلق به ، و تبين الروح التى انطوى عليها فى مضمونه ، و الواقع أن المسلمين لم يعلنوا يوماً واحداً ابتعادهم عن الدين فضلا عن الاستغناء عن تعاليم الاسلام ومنهجه فى الحياة ، ولكن ضعفهم أمام الشعوب المادية الحقيرة ، وعجزهم عن مقاومة العوامل الهدامة فى الحضارات المادية و عن صمودهم فى مجال العمل و العقيدة بإزاء اللافتات البراقة و الأسماء المرعبة ، و المصطلحات الضخمة ، كل ذلك ينطق بألف لسان أنهم لا يتصلون بالاسلام عملياً و أن صلتهم به صلة قانونية ورثوها أبا عن جد ، فيقتفون آثارهم ، ويترسمون خطاهم ، كأنهم يقولون بلسان الحال « بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون » .

و قد وجد من بين المسلمين ـ بناء على ضعف صلتهم بالدين ـ من لم يروا بأساً فيما إذا رضوا بالمساومات الحقيرة بطريق سرى مع أعدائهم و تصالحوا معهم على حساب الدين والأخلاق، نظراً إلى ضراوتهم و حفاظاً بمناصبهم، و لم يبالوا بما إذا كلفهم ذلك تنازلا عن بعض المبادىء الأساسية و العقائد الايمانية ، فنى التاريخ المعاصر الحديث أمثلة عديدة لهذه المساومة ، و الواقع أن المشكلات التى يعانى منها المجتمعات الاسلامية و دول المسلمين إنما هى نتيجة لرفض القيم الاسلامية والاستغناء عن التعاليم الانسانية الواقعية التى ترفع قيمة الانسان وتربطه برباط متين من العز والسعادة .

إذا تتبعنا الأحداث التى مرت بالمسلمين منذ أيام قريبة فقط ، و تعمقنا إلى دراسة الأسباب التى جرت إليهم مسلسلات من المتاعب والمآسى فى كل مجال ومكان أدركنا السر فى كلها أنه هو ضعف الرابطة الدينية والاعتماد على لوسائل المادية أكثر منه على خالق الأسباب ، ثم السعى وراء تحقيق المصالح القومية و الاجتماعية بكل ثمن بالاعراض عن حكم الشريعة فيها و رأى الدين فيمن يستبيح ذلك لنفسه ، و فى مثل هـذا التصرف من إهانة الدين و إهمال لشأنه ما لا يخفى على الخبير الواعى ، و فيه مجلبة لسخط الله تبارك و تعالى ، و نستطيع أن نجد أمثلة لهذا الاستغناء عن دين الله فى خضوعنا أمام الدول الكبرى والمعسكرات العالمية و ربط مصير الشعب و البلاد بها ، ولقد عمت هذه البلية فى جميع بلدان المسلمين حيث إن الشعور بانعدام تأثير الدين فى الشئون الاجتماعية والسياسية قد ساد حتى فى الأوساط الدينية التى تعمل للاسلام ولكنها تضعه بمعزل عن ساحة الاجتماع والسياسة، وتجعل للدين نطاقه الخاص فى الحياة مما لا علاقة له بالشئون الاجتماعية العامة ، و معنى ذلك بكل صراحة أن الاسلام لا يقدر على القيادة فى هذا العالم الحديث بوجه خاص .

ولم يفقد الاسلام يوماً ما جماعة من المتحمسين له و أنصاره ، و الهاتفين

كذلك بأنه يصلح لكل زمان و كل جيل ، وليس هناك دين و لا نظام يستطيع أن يحل محله أو يشغل مكانه ، ولم يعوزه ناس يتبعونه فى العبادات و المعاملات وشتى من الاجتماع و الأخلاق ، و لكن الايمان بكونه آخر منهج ربانى و نظام شامل سماوى يحمل فى تعاليمه و شريعته كل ما يحتاج إليه النوع البشرى من شئون ، وهو خالد مع الزمن و باق مع بقاء الانسان بجميع ما فيه من خصائص و مزايا من كل نوع ، أصبح هذا الايمان كعنقاء المغرب يسمع بها و لا ترى فى عالم الوجود .

وحينما أقول هذا فلا أكيل الكلام جزافاً ومن غير سند بل الواقع الملموس الذى يلاحظه كل إنسان هو أن الاعتقاد بالدين لا يكاد يعدو المناسبات التعبدية إلى مجالات الحكم و السياسة و الاجتماع و العلم و مشكلات الحضارات المادية ، إنما أصبح له مفهوم محدود فى حياتنا اليوم ، فلا نسمح له بالتدخل فى شؤن الناس العامة وحتى نستحيى فى بعض المناسبات من التظاهر بالأخلاق والعادات الاسلامية ، ونحاول – خاصة إذا كنا فى بيئة غربية – أن نخفى إسلامنا لكيلا نواجه بالازدراء من قبل ناس يبغضون الاسلام ويحقدون على أهله ، وقد يودى مركب النقص ببعض المسلمين إلى أنهم يقلدون الغرب فى كل شئ من أنماط الحياة و يعلمون أولادهم أساليب العلم والثقافة الغربية بكاملها بصرف النظر عن آداب الدين وأخلاقه وتعاليمه وثقافته الممتازة

إن هؤلاء المسلمين الذين مرت إليهم الاشارة ليسوا من معارضى الدين ومحاربيه و لكنهم ممن يوزعون الحياة بين الدين و الدنيا ، و يظنون للدين مكاناً محدوداً من الحياة ، ثم يطلقون الدنيا تعبث بالحياة كيفما تشاء دون تقيد بأخلاق أو التزام بشريعة ، و ذلك لأنهم لم يجدوا هناك أى نموذج لحياة المسلم يجمع بين الجانبين فى وقت واحد . و يحوى أحكام الشريعة مع متطلبات الطبيعة ، و إن هذا الظن شائع بين المجتمعات الاسلامية بوجه عام و لذلك فان بعض الناس يلتجأون إلى دين الله

فى مناسبات خاصة مما إذا أصابتهم مصيبـــة أو نزلت بهم بلية أو فى مناسبات الجمع و الأعياد فحسب ، زاعمين أن الدين ليس من شأنه أن يوجه الحياة فى كل الأمور و الحاجات ، و يملى أحكامه فى الاجتماع و الاقتصاد و السياسة و الحضارة و العلم و الثقافة ، و علاقات الانسان بالانسان ، و بالله ، و بالرسول .

و نوع آخر و هو موضع الخطورة ذاك أنه يطلع على جميع مزايا الاسلام و ما أودع الله فيه من صفات الخلود و الشمول . و لكنه يعيش فى شك مما إذا كان الاسلام يستطيع أن يقود الحياة فى جميع مراحلها و يقـــدر على مسايرة العالم المعاصر الذى يزخر بألوان و ألوان من العلوم والثقافات ، والصناعات والابداعات ، ويقدر على مواجهة التيارات من الحضارات والأفكار والفلسفات . وهل هو يتمكن من إثبات جدواه فى هذا الخضم من المفاهيم و التصورات ، و الأحوال و الأوضاع ، و فى هذا العالم المتموج بالأزمات والأحداث و المشكلات ، و فى المجتمعات البشرية الزاخرة بأنواع متناقضة من النظرات و الآراء والظروف . وهذا النوع من المسلمين يتصدى للعمل فى مجال الاسلام الفكرى و الدعوى والاجتماعى ، ويتمثل أمام الناس كدعاة و مفكرين مخلصين ، غير أنه لا يكاد يتخلى عن ذلك الشك الذى يراوده حول صلاحية الاسلام للقيادة فى العالم المعاصر .

أما الذين يحاربون الاسلام بشكل سافر و يريدون أن يستبدلوه بأنظمة مادية متطرفة فهم إما زعماء السياسة أو حملة الثقافات الحديثة ، وكلتا هاتين الطبقتين تعملان لحساب أسيادهما و كبرائهما ، و هما فى الواقع تؤديان ضريبة الوفاء و الولاء للذين أسدوا إليهما و ساعدوهما فى الوصول إلى هذه الدرجة ، و لا يكاد ينسى التاريخ المعاصر زعماء تركيا و على رأسهم كمال أتاتورك الذى كره الاسلام كراهية شديدة و أبغض العقيدة الدينيـــة الصحيحة الراسخة بغضاً شديداً ، وكان يرى أن الدين هو

العائق الأكبر فى طريق كل تقدم و نهضة و كرامة و سعادة . فكان يعتبر الدين عدو الانسان الأكبر ، و يحلم بالقضاء على هذا العدو بأى طريق ممكن .

و هو الذى نادى بالغاء الخلافة العثمانية ، و هو الذى قام بفصل الدين عن الدولة . و هو الذى قرر أن الدين قضية شخصية ليس غير ، و هو الذى ألغى المحاكم الشرعية فى تركيا ، و هو الذى منع التعليم الدينى و هدم مراكزه ، و هو الذى وضع الحد على تعلم اللغة العربية ، وهو الذى ألغى الأذان بالعربية ، وفرض الحضارة الغربية المادية على الشعب التركى المسلم ، وقال : إن الدولة لا تزال فى خطر ما دام الاسلام دينها الرسمى .

و فى تركيا نفسها نستطيع أن نجد أمثلة من حملة الثقافات الحديثة الذين أقصوا الاسلام عن ساحة القيادة و الحكم و رأوا أن الحضارة الغربية و أسسها السياسية هى التى تجدر بالاعتناق لبناء الأمة و البلاد ، و كذلك فى دول المسلمين الأخرى نجد هاتين الطبقتين من الزعماء السياسيين و المثقفين بالثقافات المادية الحديثة تلعبان دورهما فى الحط عن شأن الدين و إقصائه عن شئون الحياة وقضايا الحكم و السياسة .

و هكذا فى كل قطاع من قطاعات الحياة والمجتمع واجه الاسلام جفاءاً و نكرانا من أهله وأبنائه ، و عاش فى بيوت المسلمين و دولهم كعلامة تخلف و رجعية و عار ، لا كرمز قوة و فخر و اعتزاز ، عاش فى أركان المساجد و زوايا المشعوذين كأداة لدفع بعض البلايا من الجن و الشياطين ، وكوسيلة للمعاش و كسب القوت بالتهاويل و التضليلات ، و لم يرض به الناس أن يأمر و ينهى فى كل شعبة من شعب الحياة و المجتمع . نظراً منهم إلى أنه لا يصلح لذلك الآن إذا كان صالحاً فى أيامه الأولى ، و كثيرمنهم لا يميزون بين ضعف المسلمين و إبعاد الاسلام عن منصة القيادة فيعتقدون الضعف فى الاسلام ، ويرون أنه طرأ عليه القدم والاضمحلال

و أن احكامه و شريعته قد بليت فى هذا العصر المتطور الحديث .

إذا كان الاسلام يعامل اليوم من المسلمين أنفسهم بمثل هذه الاهانات والاتهامات ، و إذا كانت شريعة الله تواجه الازدراء و الرثاء من أبنائها و فى مراكزها . و إذا كانت مقاييس الناس تتغير نحو هذا الدين الخالد و رسالته الباقية النامية الحية الشاملة فى كل عصر وجيل ، فاننا نرى من سعادة الحياة أن ننادى بأعلى صوتنا وبملء أشداقنا :

إلى الاسلام من جديد .

ونؤكد لا للسلمين وحدهم ، بل نخاطب العالم البشرى بكامله ، العالم المعاصر الذى يزخر بالطاقات العلميـــة و المادية من كل نوع ، و يتموج بالثقـافات العاليـــة ، و الحضارات الراقية . و بألوان من الأسباب و الوسائل و الامكانيات و الأدوات و الآلات ، وبقوة العلوم الكونية والصناعات المبدعة المدهشة ، و بالسرعة الديناميكية التى لا مثيل لها فى عالم إنسانى سابق .

و نخاطب الانسان المادى المبدع ، و المعجب بقوة انتصاراته العلمية و غزواته الفضائية ، وتسخيراته الكونية ، ونقول له و للعالم المعاصر ولكل من يعيش فى شك نحو الاسلام و صلاحيته للقيادة فى هذا العصر الحديث :

إلى الاسلام من جديد .

فذلك هو الحل الوحيد لكل ما يواجهه العالم المعاصر من مشكلات وأزمات .

إن العودة إلى الاسلام من جديد هى فى الواقع العلاج الناجع المضمون لجميع ما يعانى منـــه الانسان الحديث من أدواء نفسية و متاعب فردية و اجتماعيـــة ، فلاسعادة و لا كرامة و لانجاح و لاغلبة إلا بالعودة إلى الاسلام من جديد .

فإلى الاسلام من جديد أيها المسلمون !

« و من يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » ؟

سعيـــــد الأعظمى

التوجيه الإسلامي

★ إلى الاسلام من جديد
★ الاسلام وتربية المجتمع

إلى الإسلام من جديد

سماحة الشيخ العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي

[ألقيت هذه المحاضرة فى مسجد سيدنا سعد بن أبي وقاص فى أبو ظبي بعد صلاة المغرب ١٦ من صفر ١٤٠٤ﻫ الموافق ٢٠ من نوفمبر ١٩٨٣م فى جمع حاشد ملأ أرجاء الجامع الكبير و حضره أعيان البلد و عدد من رجال الحكومة و الثقافة و التربية]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه أجمعين ومن تبعهم باحسان ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

أما بعد ! فان موضوع الليلة — فى هذه الأمسية المباركة — و هو « إلى الاسلام من جديد » قد يبدو غريباً و قد يبدو تحدياً فى هذا المجتمع الاسلامى الذى تعيشون فيه ، و نعيش فيه هذه اللحظات المباركة ، و قد يبدو إساءة إلى إخواننا المسلمين الذين نتحدث إليهم و نخاطبهم و دعوناهم بهذا العنوان ، فما معنى ذلك ؟ ألسنا مسلمين ؟ ويحق لكل واحد منكم أن يتساءل : أما سمعت الأذان يدوى فى الآفاق لما وصلت إلى هذا المكان ، أما رأيت الناس يصلون ، أما علمت شيئاً عن هذا البلد الاسلامى الكريم ، فما معنى « إلى الاسلام من جديد ! » .

لقد قررت هذا العنوان قصداً لا عفواً ، فانى أريد أن أثير فيكم التساؤلات الكثيرة حول هذا الموضوع ، معاذ الله ، إننى لا أشك فى إسلامكم أيها السادة و إخوانى العرب ، بل أنا مدين لكم فى كل ما أكرمنى الله به من إيمان و عقيدة ،

و شعور ، و إنسانية رقيقة ، و غيرة إسلامية ، و إن كل ذلك فيض من إيمانكم و غيرتكم و دعوتكم التى حملتموها فى الماضى ، إنى لا أقول عن نفسى ، فانى عربى النسب ، و عربى اللغة ، و عربى الأدب بدراسة ، و لكنى أقول عن المواطنين الذين نعيش بينهم كانوا يعبدون البقر ، و كانوا يعبدون النهر و كانوا يعبدون الشجر ، و كانوا يعبدون كل شئ إلا الله ، فأكرمهم الله ، و هبت عليهم نفحة من نفحات الاسلام الذى جاء به محمد ﷺ بهذه الجزيرة، أنا قلت لاخوانى الهنود، أنا لاأرى الجزيرة العربية كلها — بما فيها دولة الامارات — إلا امتداداً لمكة، لا أنظر إلى هذا البلد و إلى بلد أبعد عن هذا البلد إلا و كأنه من ضواحى مكة ، فان مكة والمدينة شرفهما الله تعالى هما مصدر كل خير ، و هما مصدر الحياة الجديدة .

لولا الاسلام لما نلتم هذه السعادة و لما كانت لكم أهمية و مكانة ، ليس فى خارطة العالم الاسلامى بل فى الخارطة السياسية ، بل فى الخارطة الثقافية ، و الخارطة المعنوية اللتين هما أهم من الخارطة السياسية ، فان الخارطة السياسية تتبدل فى ظرف ساعات ، و لكن الخارطة الثقافية تدوم قروناً ، بل آلاف السنين ، و الخارطة المعنوية ، و الخارطة الخلقية المبدئية هى تدوم آلاف السنين ، و هى التى تصنع السياسة ، ليست السياسة هى التى تصنع العقيدة ، بل العقيدة هى التى تصنع السياسة ، أما تذكرون قول الرشيد ؟ و ما قيمة الرشيد ؟ و ما قيمة الخلافة العباسية ؟ كله صدقة من صدقات النبوة المحمدية على صاحبها الصلاة و السلام ، استطاع الرشيد لما ورث الاسلام ، و لما حمل أمانة الاسلام ، و مسئولية الحكم الاسلامى ، استطاع أن يقول لسحابة مرت فوق رأسه « أمطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك هنا » ، تصوروا يا إخوانى هل كان للرشيد و لابنه مامون الرشيد أو لأخيه المعتصم أو لأى ملك من ملوك المسلمين أن يقول ذلك ولو مرت بهم قرون عديدة ، كانوا يتسكعون

فى الجهالات ، كانوا يتخبطون فى الظلمات ، لم يكن لهم وزن فى كفة السياسة ، ولا فى ميزان الثقافة ، ولا فى ميزان المبادىء والأخلاق ، كل ذلك جاء عن طريق محمد عليه الصلاة والسلام .

معاذ الله ، يا إخوانى من أن أدعوكم للاسلام من جديد ، إن الاسلام هو الاسلام ، و لا يزال هو الاسلام . المسلمون تغيروا ، و لكن الاسلام كما كان ولا يزال . و لكن أريد أن نراجع نفوسنا و أن نراجع نمط حياتنا ، و نحكم على نفوسنا و نرى هل نحن نتحلى بحقيقة الاسلام ؟ هل نحن نحمل حقيقة الاسلام ؟ إن هنالك فرقا شاسعاً بين الحقيقة و الصورة ، خذوا صورة أسد و أى حيوان أكثر منه مهابة و أعلى منه صوتاً ، و أشجع منه قلباً ، و إن كان الأسد مضخماً مجسماً مفخماً ، فان صورة الأسد لا ترعب أحداً ، حتى و لو كان الطفل الصغير الذى يحمل حقيقة الحياة والشعور فى أصابعه الصغيرة البريئة ، يستطيع ذلك الطفل أن يمزق صورة الأسد ، الذباب يجلس على صورة هذا الأسد ، و الأسد لا يدافع عن نفسه ، كما يقول القرآن عن الأصنام « وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب و المطلوب » (١) .

لقد أصبح كثير من المجتمعات الاسلامية صورة إسلامية و فقدت الحقيقة الاسلامية ، إنما ندعو نفوسنا و أنا أحشر نفسى معكم ، إننى أدعو نفسى و إياكم يا إخوانى إلى التحلى بحقيقة الاسلام ، حقيقة الاسلام التى تدعو إلى التوحيد الخالص ، التى تدعو إلى أن لا يخاف المسلم أحداً فوق الأرض أو فى الكون ، حقيقة الاسلام التى تدعو إلى معرفة الله تبارك و تعالى ، معرفة تحقر فى عينه الدنيا و زخارفها ومظاهرها ، حقيقة الاسلام التى تعلم إيثار الآخرة على الدنيا ، حقيقة الاسلام التى تعلم

(١) سورة الحج آية : ٧٣ .

الاستهانة بالزخارف و المظاهر ، حقيقة الاسلام التى تنظر إلى متاع الدنيا كأنه متاع زائل ، حقيقة الاسلام التى تدعو إلى شئ من التقشف فى الحياة ، حقيقة الاسلام التى تنكر البذخ و الترف المدمر للأمم والشعوب الذى كان يعيشه الفرس والرومان ، كان الأمير منهم ينتطق بمنطقة لا تقل قيمتها عن مأة ألف ، و إذا قلت قيمتها عن ذلك عير و ازدرته العيون ، و إذا لبس أحد من كبراء الفرس — و هذا يقوله الايرانيون أنفسهم ، و العالم الدنماركى (A. I Christensess) الذى هو صاحب اختصاص فى تاريخ إيران ، يسجل ذلك فى كتابه « إيران فى عهد الساسانيين » — إذا لبس أحدهم قلنسوة قيمتها أقل من مأة ألف عير ، و ما فسح له المكان ليجلس بجوار أركان الدولة ، و بجوار الكبراء والأغنياء ، ولما اضطر يزدجرد آخر أباطرة إيران ، لما اضطر لمغادرة البلاد لينجوا بنفسه أخذ ألف طابخ ، وألف مرب للصقور ، و ألف مغن ، ثم يقول يا أسفاه كيف أعيش بهذه القلة القليلة من الطهاه و المربين و المغنين فهو يختنق و يضيق صدره ، و يقول ما يمكننى أن أعيش بهذه الحفنة من الخدم والحشم ولى ألف طاه فقط .

إلى هذا الحد بلغت المدنية الايرانية المزورة ، و إلى هذا الحد بلغت المدنيـة الرومانية البزنطية ، و فى التاريخ تفاصيل عن ذلك ، فماذا كان عاقبة هاتين المدنيتين ؟ إنهما انهارتا أمام الاسلام الزاحف ، إمام الاسلام الحقيق ، أمام الاسلام الانسانى ، الاسلام الذى جاء رحمة للانسانية ، ولانقاذ البشرية ، و الشعوب المضطهدة المستعبدة ، من براثن هولآء القياصرة و الأكاسرة ، فقد كان بسيطاً متقشفاً فى الحياة ، زاهداً فى الدنيا ، دافقاً بالحيوية و القوة ، إن من أسباب انهيار هاتين المدنيتين البذخ و الترف اللذان قد بلغا القمة و إلى حد لا يتصور ، لا أستطيع أن ألم بدقائق عن المدنية الرومانية و عن أناقتها و عن تفننها و عن دقة شعورها ، و عن إمعانها فى الاسراف ، و عن شغفها بالمظاهر و الزخارف .

فالذى أخشاه على هذه الأمة يا إخوانى ، و على أن أقول لكم بكل صراحة ، إن هذا المنبر يفرض على أن أكون صريحاً ، و ما أدرى هل تمتد حياتى إلى أن آتيكم مرة بعد مرة ، وأثير فيكم هذه المعانى ، فأقول لكم بكل صراحة : إننا فى أشد الحاجة إلى التحلى بحقيقة الاسلام و بروح الاسلام الحقيقية ، التى تغلغلت فى أحشاء الصحابة رضى الله عنهم و استطاعوا بذلك أن يفتحوا نصف العالم فى نصف قرن . كما يقول المؤرخون ، لو لا التقشف فى الحياة و لو لا الصرامة و الجلد ، و قوة الارادة ، و لو لا الفروسية العربية الاسلامية ، لما استطاعوا أن يفتحوا نصف العالم فى نصف قرن ، الشئ الذى يحققه أحد من الفاتحين أو من المنشئين لتلك الامبراطوريات .

أقول لكم يجب علينا أن نحاسب أنفسنا قبل أن ينزل بنا ما نزل بالأمم السابقة التى حصدها البذخ الخيالى ، لا يجوز لنا أن نعيش عيشة ألف ليلة و ليلة ، عصر ألف ليلة و ليلة انقضى من غير رجعة ، ليس له محل الآن فى العالم الواقعى ، يجب علينا أن نكون واقعيين ، يجب علينا أن نوطن نفوسنا على الجلد ، لا أقول الرهبانية ، بل أقول على شئ من التقشف العربى ، كما قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : تمعددوا ، و اخشوشنوا ، و اخلولقوا ، إلخ .

إن الدين هو الدين ، و الاسلام هو الاسلام ، و لكن نحتاج إلى إيمان جديد بالاسلام ، ليس الاسلام قديماً و لا حديثاً ، الاسلام كالشمس بل أقدم من الشمس و أجد من الشمس ولكن نحتاج إلى إيمان جديد ، إيمان يستطيع أن يتغلب على المغريات العصرية ، كل شئ يتجدد ، الغذاء يتجدد ، و دعوة المادية تتجدد و تقوى ، فلماذا لا يتجدد الايمان ؟ إن الايمان البالى ، الايمان الذى فقد الحيوية ، فقد القوة ، لا يستطيع أن يقاوم هذه المغريات الفاتنة ، هذه الحضارة الساحرة ، هذه المادية الرعناء .

لو لم يكن عند الصحابة رضوان الله عليهم مثل هذا الايمان الأسمى لما استطاعوا أن يقاوموا الحضارتين الرومانية و الايرانية اللتين قد بلغتا شأواً بعيداً ، وقد ضربتا الرقم القياسي فى عالم الخيال ، و لكن بإيمانهم الحقيق الثابت الملتهب كالشعلة ، استطاعوا لا أن يتغلبوا فقط . بل أن يحرقوا هذه الأكوام من الحشائش ، و هذه المجموعة الكبيرة من الركامات ، تغلب إيمانهم على الركامات البشرية ، جاء الايمان و سحق هذه الأنقاض المادية الملوكية الشهوانية الأنانية ، و بغير ذلك الايمان الحى الدافق المتغلغل فى الأحشاء ، المسيطر على النفس ، لا نستطيع أن نقاوم المغريات المادية الحديثة التى جاءت بها أوربا لتلهينا عن أهدافنا و عن خلقنا و عن سيرتنا ، و أنتم إخوانى العرب أولى بذلك ، فلو لا هذه الفروسية العربية ، ولو لا التمرد على الشهوات ولو لا الاستهانة بالحياة ، ولو لا الاستهانة بالمظاهر ، لما استطاع العرب أن ينشروا الاسلام فى أقرب وقت و فى أوسع مجال .

جاءنا العرب فى القارة الهندية ، حتى الآن ما يزال أثرهم باقياً فى مقاطعة السند ، و ما تزال هناك كلمات عربية ينطق بها أهل السند الهندوس ، لا يزالون يسمون يوم الخميس خميساً ، و لا يزالون يسمون الحصير حصيراً ، و لا يزالون يسمون الثوم ثوماً ، و ما زال خطهم عربياً إلى أن انتشرت فيهم الدعوة الطائفية .

و كان أثر العرب أعمق فى اندونيسيا و مليزيا ، ذهبت طوائف من تجار العرب ، و كونوا هذه المجموعة الكبيرة من المسلمين ، و ما يزال المسلمون يشكلون المجموعة الكبيرة فى جزر المحيط الهندى ، بأى طريق ؟ بطريق إيمانهم الحى الدافق ، طريق خلقهم المستقيم ، بطريق أمانتهم ، بطريق نصيحتهم ، و طريق مساعدتهم لكل بائس ملهوف ، بطريق حرصهم على نشر الاسلام ، فيجب علينا أن نتحلى بهذه الحقيقة الايمانية ، و لا نكتفى بالصورة ، إن الصورة الأسلامية بلا شك فيها خير

كثير، و هي أجمل و أروع من كل صورة، و لكنها على كل حال صورة، إذا تجردت من الروح، و لكن إذا اقترنت هذه بالحقيقة، و سرى فيها الروح الايماني كانت العجب العجاب، و ظهرت منها المعجزات.

و العالم اليوم — رغم ما تقرأون من أخبار سطوة الشعوب الأوربية — عالم منهار، و مجتمع مفكك، مجتمع متعفن، مجتمع فقد الروح، لا يحتمل الصدمة، و لكن إين تلك الصدمة التي تصدم هذه الحضارة، الحضارة التي قد أينعت و حان قطافها، و لكن أين السلة التي تقع فيها كما يقول محمد إقبال.. يقول: الحضارة الغربية قد نضجت و أينعت و حان قطافها، و قريباً تسقط من الغصن، ولكن أين السلة التي تحملها، ليس هنالك بديل، و الفراغ غير طبيعي، الفراغ في الأمم و في الحضارات، و في نظم الحكم، و في عالم الواقع لا يتصور، لا بد من بديل، و كان المسلمون بديلا عن الحضارة الرومية، و عن الحضارة الايرانية، فاختارهم الله سبحانه و تعالى، و منحهم القيادة العالمية و منحهم السيادة و الريادة والحب العميق، أحبتهم الأمم المفتوحة و فضلتهم على أصحاب ديانتها و جنسيتها.

لذلك أنا عينت موضوع المحاضرة في هذه الليلة « إلى الاسلام من جديد » و لو كان عندي فرصة أو وسيلة لابلاغ صوتي إلى أقصى العالم الاسلامي، و طلب مني هتاف واحد بعد « الله أكبر » لاخترت « إلى الاسلام من جديد » ولو قيل لي: اختر لوحة مكتوبة نعلقها لكتبت عليها « إلى الاسلام من جديد » فإلى الاسلام من جديد أيها المسلمون من قديم. أيها المسلمون من الأول.

★★★★★★

الاسـلام و تربيـة المجتمع

(١)

بقلم : الأستاذ على القاضى

جاء محمد صلوات الله عليه بالاسلام و حدد رسالة المجتمع الاسلامى بالايمان بالله تعالى خالصاً و تحقيق خلافة الانسان فى الأرض ، بحيث يعمرها و يقيم فيها العدل و يحقق فيها المساواة والأمن للناس جميعاً و ذلك بالأسلوب الأمثل الذى رسمه الاسلام ، و جعل من دلائل الايمان بالله و رسوله الجهاد فى سبيل الله تعالى بالمال و النفس « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم و أنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » (الحجرات ١٥) .

ثم حدد الوسيلة لقيام هذا المجتمع و بقائه و هى التعاون على البر و التقوى ، لا على الاثم والعدوان ، كما تعمل المجتمعات المختلفة قديمها و حديثها « وتعاونوا على البر و التقوى و لا تعاونوا على الاثم و العدوان » و بهذا لا تضيع الجهود البشرية فى الحقد و الحسد و الضغينة و التسابق نحو المال أو الجاه أو غير ذلك .

وبهذا يصبح المسلمون جميعاً كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى و السهر وكالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً .

و لتحقيق هذه الغاية رسم الاسلام الطريق الواضح لتربية هذا المجتمع فرداً فى أسرة ـ حتى يحقق رسالته فى هذه الحياة و بخاصة و إن المجتمع الاسلامى ـ له القوامة فى هذه الأرض على بقية المجتمعات بما له من صلة قوية بالله وبما له من أخلاقيات إسلامية عالية ، تمكنه من السيطرة على المجتمعات كلها لصالحها و صالحه « كنتم خير

أمـــة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله »
آل عمران ١١٠

وذلك كله فى ظل العقيدة الاسلامية التى هى رباط لكيان الانسان المسلم يوحد اتجاهه و يربط المجتمع برباط المودة والاخاء و الطمأنينة البناءة التى تمنعه من الفوضى و التصادم و الخراب ، و تجعل لكل شئ فى المجتمـــع غاية سامية ، هى غاية الحب و الخير و السلام .

والاسلام يربى أولا ضمير المسلم الفرد ، ثم يعمل على صيانة المجتمع الاسلامى من الداخل بحمايته من كل عوامل الهدم و بتنظيم كل شؤونه الداخلية سواء كانت اقتصادية أم تكافلية فى نظرة المجتمـــع كله إلى الحياة ، كما يعمل على صيانة المجتمع من الخارج بتنظيم صلاته بالمجتمعات الأخرى .

تربية الضمير :

أول ما عنى الاسلام به ، تربية الضمير عند كل مسلم ، ذلك لأن الضمير عند كل مسلم رقيب داخلى دقيق فهو موجود دائماً مع الانسان لا يفارقه لحظة من اللحظات ، و قد جعل الاســـلام الصلة كلها بالله و العمل كله لله ، فالمؤمن الحقيق يحب لله و يكره لله يقول الرسول عليه السلام : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب الشئ لا يحبه إلا لله » (البخـارى) ووضح الرسول عليه السلام الاحسان فى العمل فى قوله : « أن تعبد الله كأنك تراه . فان لم تكن تراه فانه يراك » (البخارى) وفى القرآن الكريم « إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها» (الاسراء ٧) وإذا ما ضعف الضمير ، ظهرت الأنانية والانحلال ، وما إلى ذلك من الآفات التى تنخر فى المجتمع و تقوض بنيانه .

و لذلك فقد عنى الاسـلام بالأسرة عناية كاملة ، لأنها المحضن الطبعى الذى

يتربى فيه الطفل و يتكون ضميره، ثم هي نواة لتكوين المجتمع الكبير ، و من هنا فقد أعطاها العناية الكاملة ، حتى قبل تكوينها ، فجعل أساس اختيار الزوج و الزوجة التقى و الخلق الصالح ، أما ما عدا ذلك فهي أمور ثانوية و ليست جوهرية ، ثم جعل الصلة بين الزوجين صلة مودة كاملة و سكن و اطمئنان و هدوء، فالله سبحانه و تعالى خلق المرأة من ضلع الرجل ليسكن إليها و لتؤدى رسالتها فى تربية الطفل و فى تكوين ضميره ، و فى الأسرة تكافؤ فى الحقوق و الواجبات « و لهن مثل الذى عليهن بالمعروف» (البقرة ٢٢٨) وليس هناك إلا درجة للرجال، بحكم القوامة و رئاسة البيت ، و فى مقابل ذلك جعل الرجل مكلفاً بالانفاق على البيت ، و قد طالبه الاسلام بأن يعاشر زوجه بالمعروف فان كرهها فعسى أن يكره شيئاً و يجعل الله فيه خيراً كثيراً .

و الآباء مطالبون بتربية الأبناء تربية كاملة متكافلة ، طبقاً للأسس الاسلامية .

و الأبناء مطالبون بطاعة الوالدين فى غير معصية لله تعالى .

و هذه الأسرة المتماسكة التى تقوم على المودة و المحبة ، هى الخلية الأولى التى يتربى فيها الفرد المسلم و يتكون ضميره ، و من الأسر يتكون المجتمع الاسلامى الذى يقوم برسالته .

ثم إن أركان الاسلام كلها تؤكد قيمة المجتمع ، وفى الوقت نفسه تربى الفرد على أن يحفظ نفسه و أسرته ومجتمعه، ذلك لأنها صلة قوية بين العبد و ربه ولأنها تؤكد المعانى الاسلامية ، فالصلاة تؤكد معنى الجماعة و المساواة و الصوم يعلم الصبر و يجعل الانسان يحس باحساس أخيه و الزكاة و الحج يوصلان إلى إيقاظ المجتمع وبقائه، وقد تنبهت إلى ذلك الدكتورة لورا فاجليرى فقالت فى كتابها رسالة الاسلام: «أفضل سبيل لدى المسلمين يعبر به الفرد عن شكره لله هو حسن استخدامه

لنعمه ، فالاستفادة مما وهبه الله تعالى من نعم و إفادة غيره منها ، حق بل واجب على المؤمن ما دام لا يترتب عليها أذى بالفرد و بجيرانه ، و فى هذا يقول القرآن الكريم : « ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا و آمنوا و عملوا الصالحات ، ثم اتقوا و آمنوا ، ثم اتقوا و أحسنوا ، و الله يحب المحسنين » (المائدة ٩٢) .

صيانة المجتمع من الداخل :

رسم الاسلام الطريق لصيانة المجتمع من الداخل ، حتى يعيش آمناً مطمئناً سعيداً يستطيع أن يؤدى رسالته كاملة فى هذه الحياة .

و التربية الاسلامية تجعل المجتمع الاسلامى مجتمع الأخلاق والمشاركة الوجدانية الكاملة ، التى توجد بين الناس فى الشعور بالآلام و الآمال ، إنه مجتمع التواد والتراحم والتعاون الانسانى والتعاطف الذى بلغ من السمو حد الايثار على النفس ، مع الحاجة والخصاصة ، ولقد زاد من التمكين والتعميق للاخلاق الاسلامية فى المجتمع الاسلامى أن الاسلام ربطها بالواجبات الدينية المفروضة ، وجعلها من طاعة الله تعالى ، و ليس الاسلام هو الدين الذى يقوم فى المسجد و يختلف سلوكا فى الشارع و عملا فى السوق ، كما يعمل بعض الناس فى زمننا هذا ، ذلك لأن الفضيلة الخلقية فى الاسلام ما هى إلا معنى قائم بنفس المسلم و قلبه ، لا ينفك عنه فى طاعته وعبادته و لا فى سلوكه و عمله ، و من هنا — كانت الفضيلة الخلقية حسنة فى ذاتها — لأنها عرفان بحق الله تعالى و فى أدائها ، لأنها أداء لواجب الاخوة من الانسان للانسان و حسنة بمعناها و مدلولها ، لأنها سمو بالنفس الانسانية ، ومن جماع كل هذه المعانى الخلقية يكون الرباط الدقيق الذى يجمع بين أطراف المجتمع حول غاية واحدة ، ويجعل فيه قوة صاعدة تمثل الروح والمبدأ أو تمشى بالحاضر إلى المستقبل .

والاسلام جعل من أهم أهدافه العلم ـ كل أنواع العلم ـ لأنه يرفع المجتمع ويجعله أقدر على أداء رسالته، وفى نظر الاسلام لا يمكن أن يتساوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون ، و لذلك فقد رفع الله سبحانه و تعالى الذين آمنوا و الذين أوتوا العلم درجات ، وطلب الرسول عليه السلام من المسلمين أن يطلبوا العلم من المهد إلى اللحد.

و الاسلام ينادى باستخدام العقل و عدم تعطيله « أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض إلا بالحق و أجل مسمى » الروم ٨ ، و ينعى على من يسير على منهج آبائه بدون تعقل فقالوا : « إنا وجدنا آباءنا على أمة و إنا على آثارهم مهتدون قال : أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ؟ قالوا : إنا بما أرسلتم به كافرون » (الزخرف ٢٣/٢٤) .

كما جعل من أهم أهدافه إقامة العدل بين الناس ، و الله سبحانه و تعالى يأمر بالعدل والاحسان ، و حرم الظلم على نفسه و جعله محرما بين الناس ، ذلك لأن العدل أساس الاطمئنان بين الناس و يجعلهم يحسون بأنهم سواء فى المجتمع ، و إن المجتمع ليس حزباً يفصل بين فريق موال و فريق مخاصم ، بل هى رعاية عامة فيأتى الاطمئنان بالعدالة و يتمسك الأفراد بجماعتهم و يعملون جميعاً على بقائها و إلا فسد المجتمع و انهدمت أركانه ، يقول النبى عليه السلام : « إنما أهلك من كان قبلكم أنه كان إذا سرق فيهم الضعيف قطعوه و إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، و الذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » (البخارى) .

والعدالة المطلقة واجبة حتى مع الأعداء ، يقول رب العزة موضحاً ذلك وحاثاً عليه : « و لا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا ، هو أقرب للتقوى » (المائدة ٨) ويقول « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، إن يكن غنياً أو فقيراً ، فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا

الهوى أن تعدلوا ، وإن تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً» (النساء١٣٥) .

كما يأمر الاسلام بالتريث على قبول الأخبار المغرضة و فحص شائعات السوء ، لأنها عميقة الأثر فى تخريب المجتمع تخريباً قد يقضى عليه ، و هذا ما استغلته جميع وسائل الدعاية الحديثة فى الدول المختلفة فى عصرنا الحاضر حين تريد أن تؤثر على مجتمع من المجتمعات، يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » (الحجرات ٦) .

و بذلك تبقى العلاقات سليمة صافية ، فان سرعة التصديق للاخبار و الشائعات سواء فيما يتصل بالفرد أو الأسرة أو المجتمع أو الحكومة ، من شأنها أن تثير فتنة قد تنتهى بخصومة عنيفة ، فيتحول المجتمع الى طوائف متباينة الاتجاهات و هذا ما يؤدى إلى فساد المجتمع من الداخل ، ثم الى إفنائه .

كما حذر الاسلام من عيوب أخرى تنخر فى عظام المجتمع فتضعفه ، كالظن و هو الاتهام بغير دليل يقول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن أثم » (الحجرات ١٢) .

كما نهى عن عيوب لها آثارها السيئة فى المجتمع كالتجسس الذى يتمثل فى تتبع عورات الناس ومعرفة أخبارهم ، و كالغيبة التى عبر عنها بما ينفر كل نفس بشرية فى قوله تعالى : « و لا تجسسوا و لا يغتب بعضكم بعضاً ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً ؟ فكرهتموه ، واتقوا الله إن الله تواب رحيم » (الحجرات ١٢) .

كما نهى الاسلام عن أساليب مؤلمة و هى كفيلة بأن تؤذى المجتمع و تفرق بين صفوفه كالسخرية و الغمز و اللمز و التنابز بالألقاب ، و اعتبر أن هذا كله لون من ألوان الفسوق بعد الايمان ، و طلب من مقترف شئ من ذلك التوبة وإلا فهو ظالم لنفسه ، « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا

خيراً منهم و لا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ، و لا تلمزوا أنفسكم و لا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الايمان و من لم يتب فأولئك هم الظالمون » الحجرات ١١ .

كما صان المجتمع من الفتنة بصورة تحفظ على المرأة كرامتها و على المجتمع قوته و فى ذلك تقول الدكتورة لورا فاجليرى « لكى يجنب الاسلام المرأة الفتنة و تابعها أمرها بالتحجب و تغطية كل جسدها عدا ما تتطلبه الضرورة ، و لم يكن ذلك نتيجة أى انتقاص من قدر المرأة أو ضغط لارادتها ، و لكن لحمايتها من رغبة الرجل ، و هذه الرغبة القاعدة البالغة القدم الخاصة بحجاب المرأة و ما يترتب عليه من حياة خلقية . كان لها أثرها فى الدول الشرقية ، فلم يعرف احتراف البغاء اطلاقا ، إلا حيث عرف النفوذ الأجنبى ، و لا يستطيع المرء إنكار قيمة هذا الكسب الاجتماعى ، و رغم أن عادة الحجاب و عدم اسهام المرأة فى الحياة العامة تمثل خسارة من وجهة نظر معينة ، فمن ناحية أخرى كانت هذه العادة مصدر فائدة لاتقدر للمجتمع الاسلامى » .



الثقافة الاسلامية . . بين الحقيقة والادعاء ،
من هو المثقف المسلم ؟ وما هي عناصر ثقافته ؟

بقلم : الأستاذ محمد ابراهيم شقرة
مدير المسجد الأقصى / عضو مجلس الافتاء ـ الأردن

يقول الفيروز آبادى صاحب القاموس : ثقف ككرم و فرح ثقفاً ، بتسكين القاف ، و ثقفاً : بفتحها ، و ثقافة ، صار حاذقاً خفيفاً فطناً ، فهو ثقف كحجر وكتف ، و امرأة ثقاف كسحاب فطنة ، وككتاب ، الخصام و الجلاد وما تسوى به الرماح .

و قالوا فى المعجم الوسط : ثقف الشئ أقام المعوج فيه ، والمثقف أيضاً من استقام على الطريق خلفه ، و المثقف أيضاً من أوغل فى أى فن حتى مثلت أمامه منه الغاية فصارت دانية من عقله لا تستعصى عليه .

فمن حذق ذلك كله و برع فيه تبوأ بين الناس منزلة ينال بها حب الناس و تقديرهم ، و هذه منزلة من بلغها فى زماننا فقد حمل الناس على مالا يطيقون .

و قديماً كان هذا هو المثقف و لم يكن عجيباً أن ترى مئات بل ألوفاً فى ديار الاسلام كلهم يلوى عنان الثقافة على يده و يتخذها مطية إلى المجد الذى كان يصوغ أطواقه الأمراء ثم يقدمونها لأول قادم عليهم من هذه الألوف ، فكانت عنواناً رائعاً على تقدير أولئك الأمراء تشجع من قصر عن الغاية أن يدأب لوصولها و لو ناله جهد و نصب .

فكانت الثقافة تلقى من العناية و التشجيع مالا يناله أى شئ فى حياة الناس بل إن حظ الجسم من العناية ربما كان أقل من حظ العقل من العناية بتقويمه و إعلائه فالعقل هو الذى يمكن الانسان فى الأرض ويقدره على الامساك بنواحى الأشياء التى تزيد من تمكينه هذا ، و تدنى إليه كل ما يتراءى له أنه بعيد صعب مناله .

و جاء حين على المسلمين كاد معين الثقافة الاسلامية أن ينضب من أرضهم ، و أرخى الجهل بالاســلام و حقائقه و شرائعه ذيوله على بلاد المسلمن ، حتّى صار وجود عالم حاذق فطن مثقف من أعاجيب الزمان ، و أسلم الناس عقولهم إلى طائفة من أهل العلم لا يعلمون من العلم إلا قليلا ، لا يتورعون عن تحريف الكلم عن مواضعه و الغلو بجهلهم فى أمور يحسبون أنها من الدين و ليست منه ، و يتأولون الاســلام تأولا ينفى عنه سماحته و يسره و صفاءه .

ثم بدأت حركة علمية جادة فى العالم الاسلامى برزت على أرضه فى شكل كليات و معاهد و وضعت لها المناهج و المساقات العلمية ، لكنها للأسف لم تحقق المستوى العلمى المطلوب ، لأنها أخذت فى اعتبـارها المستوى العلمى للطالب الذى يتخرج فى المدارس الثانوية ، وغنى عن الذكر أن نقول إن مناهج المدارس الثانوية لا تؤهل طلابها على حمل مناهج أقوى من المناهج و يتقارب فى المدارس و الكليات .

لذا فان الكليات والمعاهد عجزت عن إيجاد المثقف الحاذق وإن كانت ساعدت إلى حد ما فى تكوين الملكة الثقافية التى اتكأ بعض الخريجين عليها فى مواصلة القراءة و المنظر فى الكتب و المراجع .

و قد استطاعت الجهود الشخصية و المدارس غير النظامية فى أيامنا هذه إيجاد فئة من المثقفين ذكرتنا بالمدارس و الجهود التى عرفتها عصور الاسلام السابق .

و من هنا واجب علينا أن نذكر طبقة فى الأمة بتلك الجهود و المدارس

ليحذوا حذوها و يكونوا دروعا واقية لها لا أن يكونوا حرباً عليها يفسدوا منها فى الكليات والمعاهد ، لا أن يستنكروا لها و يذموها ناظرين إلى الحصيلة العلمية التى استطاعت تلك المدارس و الجهود توئيدها للأمة و كسر الاعتقاد الذى استبد بالناس أن المدارس و الجهود الفردية لم تقدم علماً نافعاً للناس و كفى بابن حزم الأندلسى رحمه الله دليلا على ذلك .

و ليس هذا يعنينى فى هذا المقال بل الذى يعنينى هو أن أبين كيف يمكن أن يكون الانسان المسلم مثقفاً و من هو الذى يمكن أن نسميه مثقفاً وما هى العناصر الأساسية التى تكون الثقافة الاسلامية الصحيحة و تبنى شخصية المسلم الثقافية .

العنصر الأول :

الالتزام العقيدى فاذا لم يكن الانسان المسلم ملتزما بعقيدته فانه لا يستطيع أن يوجه ثقافة توجيهاً صحيحاً ، أو أن يجعل لها رسالة يقيمها جسراً يصله بالناس فيؤثر فيهم بهذه الثقافة التى يعيشها .

و لا يكون للعقيدة دور مؤثر فى الثقافة إلا إذا وضحت بكل جوانبها وفروعها ، و حكم المثقف بها نفسه ، فما كان موافقاً لها فهو الحق و ما كان مخالفاً له فهو الباطل ، لا يدارى فيها ولا يمارى ، وأوجب ما يجب أن يعرفه المثقف أن الوقوف عند ظاهر النصوص القرآنية و النبوية و عدم تأويلها أو تحريفها هو الحز الجلى فى العقيدة .

و التزام العقيدة هو العمل الكامل بمقتضاها ، أما إذا كان العمل بها لا يعد التشرق بها أو الحديث عنها أو رشق الآخرين بالتهم و الأباطيل ، فليس ذلك إ هبوطاً بالحق و اقتداراً و تمكناً من الباطل .

العنصر الثانى :

المعرفة المبنية على أساس حسن النظر فى النصوص الشرعية و الافادة من اجتهاد العلماء الأعلام فى هذه النصوص كالأئمة الأربعة و ابن تيمية و ابن القيم و ابن حزم و غيرهم ممن أوفوا على الغاية و صبروا على لاواء المعرفة و خطوا لمن بعدهم منهجاً لا يضل من أفاد منه و أخذ بأحسنه .

هذه المعرفة هى التى ترقى بالعقل المسلم و تصعده فى سلم المعارف الانسانية و لا يستطيع أن يصل إلى أعلاه إلا من تمكن من ناصية هذه المعارف و لن يقوى على صعود هذا السلم و الوصول إلى أعلاه أصحاب الدعاوى المريضة والألقاب الجوفاء التى طرحت نفسها على أرض سبخة فالتقطوها و زعموا أنهم صاروا بها أساطين علم و جهابذة معرفة .

العنصر الثالث :

إنصاف الخصم ، وهذا يمكن إذا لم ينظر للخصم على أنه عدو يتربص به عدوه ، أما إذا نظر للخصم على أنه عدو يريد الايقاع بخصمه الآخر فان منطق الانصاف يغيب فى تضاعيف الخصومة البشرية ويكون الخصم غرضاً يرمى بالسهام القاتلة .

و هذا الانصاف لا يتحقق إلا إذا تمكن المثقف من المعارف الاسلامية ورأى هدف الثقافة الوصول إلى الحق فقط و ليس الانتصار للنفس و الهوى بالحق وبالباطل على السواء .

فاذا كانت ثقافة مضطربة رأى الحق فى أن يخطئ الحق و رأى الباطل فى أن يصيب الباطل ومع مرور الزمن تكون له مدرسة يمرر أفكاره الشخصية المريضة فيها إلى عقول الآخرين ، فاذا قدر له أن يكون أستاذاً فى جامعة تخرج على يديه جيل من التلاميذ يهزأون بكل حقيقة علمية و يمطرون أهلها بوابل من أمراض عقولهم

تهمر بها ألسنتهم أو أقلامهم ، كلمات ، و أحاديث مسموعة ومسطورة فيتفشى الجهل في الأجيال و يكون له قدسية و يكون أهل الحق في منأى بحقهم عن دور العلم التي ما بينت الألباء العقول و لكننا ابتليت بمن يهدم هذه العقول و يكون عدواً لدوداً لحقائق العلم الثابتة الصحيحة .

العنصر الرابع :

التقييم العلمي الموضوعي ، و هذا لا يكون إلا ممن كان [على الأقل] على جانب من الثقافة يمكن أن توازى أو تكون قريبة من ثقافة أو علم من يتصدى المثقف لنقده ، فاذا كان مدعي الثقافة لم يقرأ كتاباً أو لم يعرف منهج ذلك العالم الذي ينتقده بل و يسخر من علمه و يراه دون نفسه أو دون من قرأ له شيئاً فكيف يستطيع أن يقول رأياً أو يقيم له حكماً أو يوازن بين ما يقول أو قال غيره ممن يرى ذلك المثقف أن هذا الذي يهزأ منه هو دون أولئك ؟

إنها و الله الطامة ، و هذا ما نراه في أدعياء الثقافة اليوم ممن أخطأ قدره أو لم يعرف قدر نفسه فراح يملأ الدنيا ضجيجاً و صخباً بأحاديث و خطب و عبارات محفوظة يرددها كما تردد الببغاوات ما تحفظ مما تسمع بلا فهم و لا إدراك بل راح يلقف عبارات و كلمات و مصطلحات هي في حقيقتها هدم للاسلام ، و يرى أن التاريخ قد فرغ من الحديث منها و لا يجوز التحدث بها لأنها في زعمه انقطعت و غابت في غابر الماضي .

إن الأمة اليوم تعاني الكثير بل و شقيت شقاءاً عظيماً بأولئك الذين يدعون الثقافة و يظنون أنهم على شئ و ليسوا على شئ ويحسبون أن الألقاب التي حصلوا عليها أكسبتهم علماً وفضلا وهي في الحقيقة ما زادتهم إلا غروراً و جهلا ووهماً .

كانت ثقافة المثقف هي التي تقدم صاحبها للناس فيحترمونه و يقدرونه حتى جاء

زمان على الناس صار اللقب هو الذى يقدم صاحبه يزعم أنه مثقف حتى صدقت كلمات عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فى وصف هؤلاء [و سيأتى زمان علـى الناس قليل علماؤه كثير خطباؤه] .

و أخيراً فان الثقافة السوية الصحيحة تمكن صاحبها من ارتياد ساحات المعرفة و تكبسه ثقة الناس و احترامهم و يقبلون عليه يفيدون منه و يفيد منهم فهو لا يرى الحق حقاً عنده إلا لأنه حق فى نفسه و لا يكون الباطل باطلا عنده إلا لأنه باطل فى نفسه ، و اهتدى غيره للحق فكأنما اهتدى هو إليه فيزيده ذلك بعداً و انصرافاً عن الباطل .

أما أولئك الذين ركبوا متن الغرور فان الحق لا يكون حقاً عندهم إلا إذا كان فى قول قالوه أو رأى رأوه و أن الباطل لا يكون باطلا عـندهم إلا إذا كان فى قول قاله خصمهم أو فى رأى رآه .

إن المثقف الصحيح الثقافة هو الذى يجعل من الانصاف حداً فاصلا أو حبلا و أصلا بينه و بين خصومه ، فيعرف الرجال بالحق ولا يعرف الحق بالرجال .

و ستمضى قافلة الثقافة تقطع أشواط الزمن و تربط الأجيال بحبالها الوثيقة لا ينفك عنها ، أو يحب الانفلات منها إلا من لا يحب أن يطيق الصبر عـلى حلو الثقافة أو مرها .

العلاقة بين الدين و الدولة

— ٢ —

العلامة الدكتور السيد سليمان الندوى
تعريب : الأخ نثار أحمد الأعظمى

و وردت هذه القصة (الخلافة) فى القرآن الكريم على النحو التالى :

« و إذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة » (١) .

و يقول الله عز و جل : « و لقد كرمنا بنى آدم و حملناهم فى البر و البحر و رزقناهم من الطيبات و فضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » (٢) .

و يقول : « اهبطوا منها جميعاً فاما يأتينكم منى هدى ، فمن تبع هداى فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون » (٣) .

و قال : « و لقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون و لقد خلقناكم ثم صورنا ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ، لم يكن من الساجدين » (٤) .

يتبين من هذه الآيات أن ما أنعم الله به على آدم عليه السلام من عز وشرف و كرامة ورثة بنوه بعده و خلفوه فيه ، و قال الله عز و جل فى آخر سورة الأنعام : « وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ، إن ربك سريع العقاب و إنه لغفور رحيم » (٥) .

(١) سورة البقرة الآية : ٣٠ .
(٢) سورة بنى إسرائيل الآية ٧٠ .
(٣) سورة البقرة الآية : ٣٨ .
(٤) سورة الأعراف الآيه ١٠-١١ .
(٥) سورة الأنعام الآية : ١٦٦ .

و لكن من ذا الذى ينوب عنه بنو آدم و يخلفون عنه ، و قد وردت كلمة الخلافة فى القرآن الكريم فى أمكنة مختلفة ، يقول : « و اذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح » (١) .

و يقول : « و يستخلف ربى قوما غيركم » (٢) .

و يقول : إن يشاء يذهبكم و يستخلف من بعدكم ما يشاء ، كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين » (٣) .

و يقول : « وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض ، كما استخلف الذين من قبلكم » (٤) .

و قال : « و هو الذى جعلكم خلائف الأرض » (٥) .

و قال : « و أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا و جاءتهم رسلهم بالبينات و ما كانوا ليؤمنوا ، كذلك نجزى القوم المجرمين ، ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون » (٦) .

وقال : « فكذبوه فنجيناه ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف » (٧) .

ويقول : « هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض فمن كفر فعليه كفره » (٨) .

ويقول : « ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق » (٩) .

و اشتقت كلمة الخليفة من « خلف » و معناه النيابة عن أحد مطلقاً . يقول : « فخلف من بعدهم خلف » (١٠) .

(١) سورة الأعراف الآية : ٦٩ .
(٢) سورة هود الآية : ٥٧ .
(٣) سورة الأنعام الآية : ١٣٧ .
(٤) سورة النور الآية : ٥٥ .
(٥) سورة الأنعام الآية : ١٦٦
(٦) سورة يونس الآية : ١٣-١٤ .
(٧) سورة يونس الآية : ٧٢ .
(٨) سورة الفاطر الآية : ٣٩ .
(٩) سورة ص الآية : ٢٦ .
(١٠) سورة الأعراف الآية : ١٦٩ و سورة مريم الآية ٥٩ .

ويقول موسى عليه السلام لأخيه هارون وهو ذاهب إلى الطور : « واخلفنى فى قومى » (١) .

و ورد فى القرآن الكريم قوله تعالى : « و لو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون » (٢) .

ويقول الامام الراغب الأصفهانى فى كتابه ، مفردات القرآن : « الخلافة ، النيابة عن الغير ، إما لغيبة المنوب عنه وإما لموته وإما لعجزه وإما لتشريف المستخلف (٣) .

هذه ثلاثة معان ، و ساق فى صددها عدة آيات ، و رجح الثالث منها لأن هذا المعنى الثالث هو الذى يليق بخلافة الله ، وقد نقل المفتى آلوسى زاده مؤلف التفسير الشهير « روح المعانى » هذه المعانى الثلاثة عند كل آية وردت فيها كلمة الخلافة و مشتقاتها ، ولم يأت بقول فصل ، و يخطر ببالى فى بعض الأحيان أن المتكلم إذا نص على أن أحداً يخلف فلانا فيتعين هناك أنه سيكون خليفة لذلك الشخص الفلانى ، و إذا لم تأت منه صراحة تقرر أن المراد هو خلافة المتكلم و النيابة عنه ، و فى ضوء هذا المبدء العام الشامل نحاول أن نفهم الآيات التى وردت فيها هذه الكلمة ، يقول الله عز وجل :

« و أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » (٤) .

لم تنص هذه الآية على المستخلف (بكسر اللام) و من هنالك اختلف المفسرون ، فذهب بعضهم إلى أن الناس أنفسهم يخلف بعضهم بعضاً فى الأموال كما يخلف الابن أباه فى ماله ، وذهب بعضهم إلى أن المال هو ملك الله فمن فوضه إليه فقد استخلفه فيه ، و لكن المبدأ الذى قدمت يرجح هذا المعنى الأخير ، و قد جاء هذا المعنى فى الكشاف و البيضاوى و روح المعانى كذلك ، كما فى الكشاف : « إن الأموال التى فى أيديكم إنما هى أموال الله بخلق و انشاء لها ، و إنما مولكم إياها و خولكم للاستمتاع بها و جعلكم خلفاء فى التصرف فيها .

(١) سورة الأعراف الآية : ١٤٢ . (٢) سورة زخرف الآية ٦٠ .
(٣) ص ٥٥ ، ط مصر . (٤) سور الحديد الآية ٧ .

و جاء فى البيضاوى : « من الأموال التى جعلكم الله خلفاء فى التصرف فيها »
و جاء فى روح المعانى : « جعلكم سبحانه خلفاء عنه عز وجل فى التصرف فيه من غير أن تملكوه حقيقة ».

يتمخض من ذلك كله أن ملك الأموال يرجع إلى الله تعالى كما ذهب إليه المفسرون ، و أن بنى آدم خلفاؤه فيها .

ثم نرجع إلى الآية التى هى موضوعنا : « و إذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة » .

و أخرج الطبرى عن عبد الله بن عباس و عبد الله بن مسعود :
« إنى جاعل فى الأرض خليفة منى فى الحكم بين خلق » .

و أوضح معنى تفسير ابن زيد قبل ذلك بقوله : « إن الله تعالى أخبر الملائكة أنه جاعل فى الأرض خليفة لا يحكم فيها بين خلقه إلا بحكمه » (١) .

و يقول القاضى البيضاوى : « والمراد به آدم عليه السلام لأنه كان خليفة الله تعالى فى أرضه و كذلك كل نبى استخلفهم فى عمارة الأرض و سياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمره فيهم ، لا لحاجة به تعالى إلى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقى أمره بغيره بغير وسط » (٢) .

وبما قدمنا من الآيات يتبين أن الخلافة شملت بنى آدم كلهم عن طريق أنبيائهم .

و التفسير الذى قدمناه تدعمه و تويده الدلائل التالية .

١- إن المفسرين بأسرهم قد ذكروا هذا المعنى .

٢- تشير الآيات والأحاديث إلى أن الله عز وجل لم يزل يخلق خلقاً بعد خلق .

فلم يكن خلق آدم بدعا من الأمر ، ولكن امتاز عن غيره من الخلق بخلافته و بسجدة الملائكة له و دخوله الجنة ، ثم عصيانه لله تعالى ثم الأمر بهبوطه منها إلى الدنيا و إلباسه خلعة النبوة .

الأمر الذى يشير إلى أهمية و خطورة هذا الخلق وأنه ليس خليفة عمن سبقه من الخلق ، و إنما هو خليفة لمن خلقه و أكرمه بهذه النعم .

(١) ص ١٠٤ ، ط مصر . (٢) تفسير البيضاوى ص ٥٩ .

٣- المبدأ الذى تقدم من أن المتكلم إذا نص على المستخلف (بكسر اللام) تعين هو، وأما إذا لم ينص عليه فلا بد أن يعتبر المتكلم نفسه مستخلفاً (بكسر اللام) .

٤- الآيات التى تنص على شرف آدم وبنيه ، يقول : ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا (١).

و قال : « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » (٢) .

و قال : و سخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعاً منه ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون (٣) .

و قال : خلق لكم ما فى الأرض جمياً (٤) .

و قال : و هو الذى سخر البحر (٥) .

و قال : « الله الذى سخر لكم البحر » (٦) .

و قال : « و سخر لكم الفلك » (٧) .

و قال : « و سخر لكم الأنهار » (٨) .

و قال : « إنا عرضنا الأمانة على السماوات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها و حملها الانسان إنه كان ظلوماً جهولا » (٩) .

تبين من هذه الآيات أن الانسان هو حامل الأمانة والخلافة من بين سائر المخلوقات .

إن نظرية الدولة و الحكومة فى الاسلام قائمة على فكرة تصل بالبشرية إلى الذروة العليا التى تجمع بين المادة و الروح و السياسة و الأخلاق و الدنيا والدين .

فلا بد أن يخضع سيد الخلق أمام ربه ويعبده ، يقول الله تعالى : وما خلقت الجن و الانس إلا ليعبدون » (١٠) .

---

(١) سورة بنى إسرائيل الآية ٨٠ .
(٢) سورة التين الآية ٤ .
(٣) سورة الجاثية الآية ١٣ .
(٤) سورة البقرة الآية ٢٩ .
(٥) سورة النحل الآية ١٤ .
(٦) سورة الجاثية الآية ١٢ .
(٧) سورة إبراهيم الآية ٣٢ .
(٨) سورة إبراهيم الآية ٣٢ .
(٩) سورة الأحزاب الآية ٧٢ .
(١٠) سورة الذاريات الآية ٥٦ .

القرآن والعلم

— ٢ —

الدكتور السيد مسعود احمد
تعريب : محمد أكرم الندوى

يظهر من دراسة القرآن الكريم أن هذا الكون يسير تحت نظام عظيم متناسق ، وأن نظامه الفرعية مترابطة متناسقة بعضها مع بعض بحيث إنها لا تحتفظ باعتباراتها الفردية فحسب ، بل تساهم فى تكوين نظام عظيم وتكميله ، يرى القرآن الكريم أنه يوجد التفاعل و التعاون لا فى أجزاء الكون المختلفة فحسب بل فى الكائن الشعورى (الانسان) و الكائن غير الشعورى (كالأجرام السماوية و الهواء و الماء و ما إلى ذلك) كذلك ، لا يقدم القرآن الكريم أى قضيــة لبنى آدم إلا نظراً إلى هـذا التصور للوحدة (الوحدة بين الكون و الانسان) إن عقيدة التوحيد القرآنية تقسم الكون أولا إلى وحدات مختلفة ، ثم تنظم هذه الوحدات كلها (كوحدة الانسانية ووحدة الكون) فى سلك وحدة كاملة منفردة ، يوجد هنـا تفاعل و تعاون أكمل و أفضل بين الوحدات المختلفة ، كوحدة الانسانية ووحدة الكون و وحدة الاله ، ولا صراع هنا بين الاله والكون ، ولا تقييد هنا للقضايا الفردية والجماعية ، و لا تخصيص للبيئة و الملابسات .

يرى القرآن الكريم أن القضايا والمشاكل كلها ، مادية كانت أو روحية ، فردية كانت أو جماعية ، سياسية كانت أو اقتصادية ، مؤقتة كانت أو ثابتة إنما تنشأ من إنكار الاله ، و الاستغناء عن الحساب فى الآخرة ، و السير على المبادىء و المناهج الوضعيــة ،

إن التوحيد و الرسالة و الآخرة بمثابة المفتاح الرئيسى الذى يفتح كل قفل و يحل كل مشكلة ، و إن ضعف صلة العبد بالرب ينتج عدم التعاون وعدم الاتزان بين الانسان و الانسان و بين الانسان و الكون ، يعبر عنه القرآن بالفساد فى الأرض ، إن هذه الوجهة التوحيدية للقرآن الكريم تترك الوجهة الكلية (System's opproach) وراءهـا .

لا بد من معرفة أن القرآن ليس بكتاب « العلم » تقدم فيه حلول الألغاز العلمية ، و ليس الهدف من نزوله تقديم الحقائق العلميـة ، بل الهدف منه هو اكتشاف الاتزان بين الحقـائق التى يعجز الشعور الانسانى عن إدراكها ، و من المعقول تماما أنه لما كانت الحقائق العلمية علوما مكتسبة، أى لما كانت هذه الاكتشافات بمتناول العقل الانسانى و التجربة الانسانية لم تكن أى حاجة إلى شرح تفاصيلها واعتبارها جزءاً من العقيدة و الايمان ، بل لا بد من أن تفتقر إلى التفاصيل وتنال المركزية تلك الحقائق التى هى وراء حواس الانسان و علومه المكتسبة ، والتى تعتبر العلوم المكتسبة كلها بدونها لجة ناقصـة ، و التى لا بد منها للسعـادة البشرية ، لأنه لو أدخلت التفاصيل العلمية كلها فى القرآن الكريم لما كان كتاب هداية ، بل كان موسوعة علميـة يعجز عامة الناس عن الوصول إليها و لركـدت تلك الاستعدادات و القدرات التى يحلم بها الانسان أن يسخر الكون كله و يقطع مسافات النجوم و أعماق البحار رهن إشاراته فحسب ، و يستحق أن يلقب بأشرف الخلق ماديا و لكنه رغم ذلك كله لا يستحق أن يدعى « أشرف الخلق » ما لم يقرر شرفه و كرمه و عزته و عظمته و تفوقه خلقياً ، و لا يهدف القرآن إلا إلى أن يقر الانسان نفسه أشرف الخلق حقيقة .

إن الأهمية الرئيسية كما قدمنا من قبل ، للعلوم غير المكتسبة ، و لأجل ذلك

نرى القرآن الكريم يستعمل كلمات متشابهة محتملة لمعان شتى فى الآيات التى تتعرض لمظاهر الكون كيلا يشعر الكفار و المشركون فى أي عصر من العصور بأى ضيق و ضجر بسبب ارتيابكم بهذه القضايا غير المهمة ، و لا يبق أى وجه على للانكار و الطعن ، و هذا هو السبب فى أن العلماء و المنبهرين بعلوم عصرهم اهتدوا بالقرآن الكريم فى كل عصر بفضل هذه الآيات المتشابهة المحتملة لوجوه شتى ، هذا هو الاعجاز الذى أصبح به القرآن كتاباً خالداً للهداية .

و لنبحث الآن عن نواحى الموافقة بين القرآن و العلم ، يظهر بامعان النظر و إعمال الفكر أن القرآن و العلم كليهما ينتهجان منهج الاستدلال المنطق و العقلى للكشف عن نواميس الكون بل يتقدم القرآن خطوة و يستحث على النظر فى حقائق الكون و مظاهره و الكشف و البحث عنها ، و فى أسلوب آخر فالقرآن يمهد الطريق للبحوث و الكشوف العلمية ، و يثير الروح الكامنة فى طبيعة الانسان ، روح « البحث عن الكون » و « البحث عن الحقيقة » أو فى عبارة أحوط « البحث المطلق » و بعده لتسخير الكون ، من هنا تعتبر العلاقة بين القرآن و العلم كالعلاقة بين الحركة والفعل ، القرآن يحرك الانسان والعلم هو نتيجة هذا التحريك .

الناحية الأخرى للموافقة بين القرآن و العلم هى نظرية « العقلية والغرضية » (Rationality) ذاك أن يفرض العالم قبل البحث أن فى المظهر الفلانى عقلية وأن لكل مظهر غرضاً (Function) و لكن العقلية و الغرضية التى يستلفت القرآن إليها الأنظار هى الحقيقة النهائية (Uttimate reality) لمظهر الطبيعة ، يعنى غرض الأسباب و العلل والغرض الخلق الأعلى ، إذ العلم لا يتقدم على الخطوة الأولى لهذه العقلية ، وهو تفسير العناصر المادية المختلفة لشق ثم التفسير السطحى للتفاعل بين هذه العناصر .

يرى القرآن أن الانسان أفضل الخلق فى هذا الكون و أنه يعد الانسان عن طريق دعوته إلى إعمال الفكر والبحث والكشف ، لاثبات يوم الدين وخالق الكون

و يستحثه على تسخير الكون ، و يرى أنه ليس العالم المشاهد بشئ مستحيل ، ولكنه لا يدع أى مجال لاستغلال الفرد الانسانى أو المجتمع الانسانى أو استغلال الكون خلف ستار دوافع تسخير الكون ، الآيات القرآنيــة التى تدعو إلى النظر فى الآفاق و الأنفس هى أضعاف ما تكون بالنسبة لآيات الأحكام و الشرائع ، يقول الله عز جل : « وكأين من آية فى السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون »(١) ، و يقول : « و فى الأرض آيات للموقنين ، و فى أنفسكم أفلا تبصرون »(٢) .

و نتيجة لهذه الدعوة القرآنية للتفكير و النظر سار العلم بخطى حثيثة فى مجاله ، و فتح المفكرون و العلماء من المسلمين بفضل تحريك القرآن باب الثورة العلميــة التى أخضعها الملحدون اليوم لأهوائهم ، من الحقائق التاريخية أن تطور العلم و تقدمه نتيجة للدعوة القرآنية للبحث والكشف ، وأن الثورة العلمية الأوربية فى القرن السابع عشر حدثت وفقاً للمبادىء القرآنية ، الحق أن القرآن يدفع على البحث والاكتشاف ، لا يعارض التقدم و التطور فى أى ناحية من نواحى العلم ، بل يستحث عليه . القرآن عبارة عن « كل » لا يمكن أن يتحقق حلم التقدم الحقيقى بفصل جزء منه ، و قد ارتكب هذا الخطأ العلماء المسلمون كذلك ، فانهم لم يقوموا قط بمحاولات منسقة منظمة لصياغة العلم فى قالب القرآن ، و تركوه يئن تحت وطأة الباطل .

و الآن إذ قمنا بمقارنة بين القرآن و العلم ، يجدر بنا أن نحدد الجهة التى يرتحل نحوها العلم الحديث الذى قد أخذ زمامه معظم العلماء الملحدين ، ليس للعلم أى صلة بالأخلاق ، و لكن لا غنى للعلماء من التقيد بالأخلاق فى ضوء التجربة ، يحامى القرآن هذا التقييد بكل قوة ، بل يقدم كثيراً من القيم الخلقية المستقلة .

(١) سورة يوسف الآية : ١٠٥ .

(٢) سورة الذاريات الآية : ٢٠ ، ٢١ .

إن إنكار القيود الخلقية يعني — كما يرى القرآن — إنكار الحساب أمام الله سبحانه و تعالى ، لأجل ذلك لا بد للبحث في هذه القضية من مناقشة عقيدة الايمان بوجود الله و وحدانيته .

يرى العلماء الملحدون أن كل شئ في العالم وجد صدفـــة ، و إن المصادفات الكثيرة تفاعلت مع المحيط (١) إلى مدة طويلة وأحدثت خلق الانسان وتسويته ، و في كلمة أخرى فان الصدفة هي الخالق لهذا الكون و للانسان نفسه .

إن بحث الصدفة و الزمان بحث طويل ، و لكنـــه من المسلمات لدى هؤلآء العلماء أن الصدفة والزمان عاملان لا عقل لهما ولا بصيرة، ليسا ، بمادتين ولاطاقتين (هما مصطلحان موضوعان لا يعرف أحد حقيقتهما) إن هذين العاملين الخـاليين من المادة و الطاقة خالقان للانسان المفتقر في وجوده إلى المادة و المعتمد في حياته على أنواع مختلفة من الطاقة ، و المتحلي بعقل عظيم ، إذا شاء أنكر سائر الآلهة و إذا شاء آمن بهذا الخالق الأعمى الأصم الخالي عن العقل ، و برهن بذلك على عصبيتـــه و فقدان عقله .

الحق أن موقف الاستغناء عن خالق الكون ليس بموقف علمي أبدا ، المبدأ الأول للعلم و الدافع وراء كل بحث هو أن لكل ظاهرة (Phenomenon) من ظواهر الكون علة (Cause) والثاني أن كل فعل يحتاج في وجوده إلى القوة (Force) و الطاقة (Energy) و الثالث أنه لا يمكن إنجاز أي عمل ما لم يحدث التفـاعل (Intraction) بين المادة و الطاقة .

---

(١) المحيط (Enveronmont) يعني أجزاء المادة والطاقة التي تحيط بشئ وتؤثر فيـــه كالهواء و الحرارة و الماء و الضوء و الذرات المادية المختلفة ، لذلك فان المحيط نفسه وليد الصدفة والزمان فلا يحتاج إلى الاله ، كما يزعم الملاحدة

فان توجه السؤال عن كيفية وجود الانسان فى العالم ، يمكن أن يرد على هذا السؤال بردود مختلفة ، و لكن أكثر الفلاسفة ردوا عليه بردين ، الأول أن مجرد الصدف بسبب طول المدة وملائمة المحيط حولت السالمات غير الحيوية (N n living) إلى الخلية (Cell) و هذا الحى صاحب الخلية الواحـدة ـ Single cellular) living organism ـ) تطور بهذه العوامل تطوراً حتى ظهر فى صورة الانسان .

الثانى : أن هناك وجودا وراء الطبيعة خلق الانسان تحت خطة مدبرة حكيمة ، و يدخل فى هذه الخطة وجود المحيط الخاص و ملائمته وطول المدة و ما إلى ذلك من العوامل الكثيرة .

لا شك أنه ليس رأى من هذين الرأيين غير علمى ، فان العلم يبحث عن تفاصيل هذه الخطة ، ولا يهمه بما إذا كان هناك مدبر لهذه الخطة أم لا ! إذاالنظرية الأولى تنكر وجود الله ، و النظرية الثانية تؤمن به .

الرد الثانى من هذين الردين يعنى الكشف عن التفاصيل العلمية لقوانين الله الطبيعية ، و الأول كذلك يمنح التفصيل العلمى ، ولكنه بتلفيق المصادفات (Chanccs) يستأصل دافع الاكتشافات العلمية و الحافز عليها ـ Scintific Incentive and) motivation ـ) أى البحث المطلق (Curiosity and human urge of creativity) فاذا سأل ولد : ياأبت ! كيف وجد الشئ الفلانى ، ورد عليه الأب قائلا : إنى لا أدرى أو أنه مجرد صدفة فانه يستأصل روح البحث من الولد .

أنظروا هل تمكن المعالجة الحقيقية لهذه القضية؟ الحق أن العلم الحديث لايقدر على الرد الصحيح عليه ، لأن الانسان وجد فى الماضى ، و من المستحيل أن يتفق الناس على الحلقات التاريخية ، لأنه كما يقول العلماء ليس الآن المحيط الذى كان عند خلق الحياة ، وإنه لا يمكن تقديم حقيقة علمية مركزة عن طريق الآثار سوى الظن

و التخمين ، و إلى ذلك فان الانسان لا يملك حرا ولا وسائل يتمكن بها من إجراء التجارب التي تليق بهذه القضية ، ولو فرضنا أن التجارب أثبتت أمرا لبقي احتمال أن هذا الفعل لم يكن ظهر إلى حيز الوجود آنذاك ولا سيما إذا كانت البيئة في تغير مستمر ، الحق أن العلم لا يستطيع أن يوفر الرد المقنع على هذه الأسئلة ، فظل الناس يفسرون هذه الأسئلة بردود نظرية وفلسفية لا تعدو الظن والتخمين .

ويجدر بنا أن نذكر هنا أن القرآن يذكر المراحل التطورية المختلفة لخلق الانسان وقد استعمل للتعبير عنها كلمات مختلفة كالطين والطين اللازب والحمأ المسنون والصلصال و الفخار والماء المهين ، و لكن السؤال الحقيقي هو هل الانسان صورة متطورة لكائن غيره ، فان القرآن لا يشير إلى ذلك ، ولا العلم يرد عليه رداً حتمياً مقنعاً .

فالتفسير المادي لقضية الذي يهدف إلى انكار الله أو عدم الاحتياج إلى الله ، نشأ في صورة عداء الدين بعد الصراع المستمر بين العلم والدين في القرن السادس عشر ، وتسربت سموم العداء الديني والاستغناء عن الله إلى الكتابات العلمية الحديثة ، بحيث إن علماء العصر الحديث قد تأثروا بل انبهروا بها شعروا بذلك أم لم يشعروا .

لو أقصيت هذه المفاسد من النظريات العلمية الحديثة لما بقي بين القرآن و العلم اختلاف ، فان القرآن منبع الحقائق ، وتنعكس هذه الحقائق في تفسير القضايا العلمية كذلك و العلم يوفر الطريق للوصول إلى الحقيقة .

ثم إن للتعارض الظاهر بين تصريحات القرآن و العلم سببين ، الأول وجود النقص في تفسير النصوص القرآنية ، أي أنها لم تكن قد فسرت تفسيراً صحيحاً ، والسبب الرئيسي لذلك أن المفسرين بصفة عامة يفسرون نصوص القرآن الكريم في ضوء نظريات عصرهم العلمية ، فحينما ترفض هذه النظريات تستغل حينئذ ناحية الطعن في التفسير القائم عليها ، والسبب الثاني ابتعاد كثير من النظريات عن الحقيقة رغم التقدم

الباهر الذى أحرزه العلم الحديث فالفروض التى يعتبرها علماء اليوم قريبة إلى الحقيقة بل يعتبرونها حقيقة علمية (Scintific facts) يمكن حدوث التعديل و التبديل فيها بعد إجراء مزيد من التجارب و الملاحظات ، فلا مجال للريب فى القرآن الكريم .

عدا هذين السببين (و هما كذلك يرجعان إلى العلم نفسه) لا مجال لشخص غير متعصب و لا متحيز أن يشير إلى القرآن بالبنان .

و من النواحى المهمة للتعارض الظاهر بين القرآن و العلم أن القرآن يقـــدم تلك الاكتشافات التى تعرف بالعلم المحض بجانب النواحى الخلقية والروحية فى أسلوب لطيف حكيم بينما العلم الحديث يعزل هذه النواحى الروحية و الخلقية و يتناول القضية بتفسير مادى بحت فى أسلوب متبعثر منحل ، إن تنفر كثير من العلمـاء عن القيم الخلقية يحدد للاكتشافات العلمية تلك الجهة التى تتجه بعالم الانسانية نحو الهوة المخيفة السحيقة للدمار و الهلاك .

إن العالم الحقيقى يكشف اللثام عن الحقائق المكتومة وراء الستـار ويحل عقد المشاكل ، و يختبرها ، و بعد إعمال الفكر و إمعان النظر ينبغى أن يستخدم للخير ، هذا هو الجانب الخلقى للعلم ، إن الانسانية اليوم فى أمس حاجة إلى أن توجه الاكتشافات العلمية إلى الجهة التى تقرب ـ بجانب السعادة المادية ـ مرحلة السعادة الروحية والخلقية ، و إلا فسباق الأسلحة النووية و الذرية و الاستخدام الزائد للنتجات وصناعة الحيوان الاصطناعى (Artificial living chimeras) و التلوث (Pollition) الناتج من الثورة الصناعية و استغلال الفرد و المجتمع عن طريق العلم و صناعة ألوف من الأسلحة الفتاكة و تجارتها ، و كثير من الاختراعات و الاكتشافات العلمية الخطيرة تتجه بالعلم إلى الدمار الكامل و الهلاك التام و الابادة الشاملة .

و إلى ذلك فنتيجة لهذا الاتجاه الخاطئ للعلم الحديث نشأ التنعم و الرفاهيـــة

والكسل وضعف قوة الدفاع وتكاثر الجرائم و أساليبها و وسائلها المستحدثة المتطورة التى أدت إلى إفلاس الانسان فى الجسم و الخلق على حد سواء ، و الشعور المستمر بالخوف و الخطر ، فانسان اليوم مستمر فى هبوطه نحو الانحطاط .

المعالجة الموقتة لهذه القضايا أن يتحلى العلماء بالأخلاق السامية ويرسخ فى نفوسهم الشعور بالمسئولية و الحساب أمام الله ، و يهدفوا من خلال اكتشافاتهم إلى سعادة الانسانية لا هلاكها و دمارها .

إن آيات القرآن التالية تلقى الضوء على أبعاد النقائص الأساسية من العلم الحديث:
الأول : أن يبدأ الباحثون بحوثهم من دون تحيز (Unbiased) لنتيجة ، و يقدموا أفكارهم من دون أن يكتموا شيئاً من ملاحظاتهم و تجاربهم ، يقول القرآن الكريم « إن السمع و البصر و الفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » (١)
الثانى : يرى القرآن أن الباحث الحقيق هو الذى تصل به بحوثه كلها إلى نتيجة أخيرة واحدة ، و هى المعرفة الالهية ، أى الايمان بخالق الكون و مدبره و الخشية منه ، يقول القرآن الكريم : إنما يخشى الله من عباده العلماء (٢) .
الثالث : أن القرآن يدعو كل باحث إلى النظر فى سؤال وهو أنه كما استنتج العلماء من بحوثهم أن هناك عقلية وغرضية (Rationality and Functionality) وراء وجود سائر الأشياء ، كذلك يجب أن تتأملوا فى أنه لا بد أن يكون هناك غرض لهذا الكون .

ويقدم القرآن الكريم نتيجة تفكير الذين يفكرون فى خلق السماوات والأرض و اختلاف الليل و النهار بقوله : « ربنا ما خلقت هذا باطلا ، سبحانك فقنا عذاب النار » (٣) .

---

(١) سورة بنى إسرائيل الآية ٣٦ . (٢) سورة الفاطر الآية ٢٨ .
(٣) سورة آل عمران الآية ١٩١ .

بعد هذا الاستعراض للقرآن و العلم الحديث يجدر بنا أن نرسم حلا مستقلا ثابتاً للتجنب من نقائص العلم و مواقفه السلبية .

نرى أن هذه النقائص للعلم تكمن فى تعريفه (Definition) الشامل لفلسفة العلم و منهجه (Scintific methods) فالحل المنطق الأول لهذا النقص أن نعدل تعريف العلم ونحصر مجاله فى تفسير الأشياء غير الحيوية، الذى لا يتعلق بعلوم الانسان و قضاياه الأخرى مباشرة ، كعلوم الطبيعة و الكيمياء ، و لا يغض البصر فى هذه الحال كذلك عن الأخلاق ، فان العلم على كل حال قسم على متواضع ، يحمله الانسان الذى له قضاياه المختلفة .

و الحل الثانى أن يوسع نطاق العلم بحيث تدخل فيه علوم الاجتماع و الاقتصاد و السياسة ، و لكن بتبنى هذا التعريف الواسع للعلم لانحتاج إلى إحداث تغيير غير عادى فى تعريف العلم وفلسفته فحسب بل نضطر إلى تغيير منهجه العلمى ـ Scientific method ـ) المزعوم تغييراً كلياً .

كان العلم يعنى فى الماضى تفسير الأشياء غير الحيوية و تفاصيلها ، لم تكن له علاقة مباشرة بالعلوم الانسانية ، و لكن ـ مع مر العصور ـ حل العلم محل الاله بفضل اكتشافاته و اختراعاته الباهرة ونتيجة للصراع المستمر بين الكنيسة والعقلية ، و أصبح كل قسم من أقسام العلم يشعر بالاعتزاز بانتمائه إلى العلم ، فكيف يرضى الذين يقررون العلوم الاجتماعية علماً حقيقياً بأن تقصى كلمة العلم من تعريفهم ويتناول تعاريفهم و مناهجهم بتغيير كلى .

و على كل حال فاننا فى أمس حاجة ، بجانب تقديم التعريف الحقيق للعلم إلى إحداث تغيير فى المناهج المزعومة تغييراً يرى الانسان والكون وحدة، ويعى بمشاعر الانسان و عواطفه الرقيقة، و يؤمن ـ بجانب الوسائل المادية للعلم ـ بالوسائل الروحية

و ينظر إلى الفرد و المجتمع و الانسان و الكون ككل بدل النظر إليها كأجزاء متفرقة ، و يبنى أساس العلم على الانسجام بين الانسان و الكون و السعادة الأبدية للانسان و يهدف إلى خدمة المجتمع لا إلى استغلاله .

و لا بد من الاشارة إلى أنه لا ينبغى أن يتناول التحليل و البحث العلمى بتفسير سطحى لمظهر من مظاهر الكون بل يرسم العوامل و الحقائق التى لا تتعلق بالعلم فى الظاهر .

لم يكن العلم قط بحاجة إلى الثورة العلمية و الفكرية التى يحتاج إليها اليوم ، قد حدثت الثورة فى عقول معظم المفكرين فى شأن موقف العلم و أسسه ، و تعرضت الأسس المادية العلمية للنقد ، إن التفوق الذى ناله العلم فى القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين قد هدمه العلماء الكبار أنفسهم ، و يلاحظ بعض العلماء بعيونهم هذا الاتجاه الخاطئ ، لئن صرف النظر اليوم كذلك عن الواقعيـــة فى شأن نقائص العلم لتنتهين الانسانية إلى المصير الذى لارجوع منه و لا عودة أبداً .

و نقول أخيراً إنه إذا كان الواقع أن العلم الحديث قد فقد الاتزان كما يرى بعض العلماء و المفكرين (١) فيجب على المفكرين و خاصة العلماء أن يتحدوا على رصيف واحد ويقوموا بمحاولات جادة ثابتة لاقصاء هذه النقائص، فالمحاولات الفردية لا تستطيع أن تنجز هذا العمل العظيم ، لأن القضية قضية إعادة دعائم العلم ومبانيه ، و هذا يتطلب الاتحاد والقيام بعمل بناء إيجابى عن طريق الاستشارات الجماعية .

---

(١) انظروا The leaning point by caper .

ابن قيم الجوزية . . . عالماً و إماماً

-(٢)-

دكتور : توفيق محمد شاهين

ذكرنا فى مقال سابق بمجلة « البعث الاسلامى » الغراء ، مقالا عن العلامة : ابن قيم الجوزية عالماً و إماما ... و تتبعنا فى ذلك المقال فكره اللغوى ، وما ذكره عن الصوتيات . و مخارج الحروف و صفاتها ، وعن النسق البديع لحروف العربية ، و عن فضل الله على الانسان فى اصطفائه بالنطق و أعضاء الفهم و الكلام .

و اليوم نتابع الحديث عن ابن القيم - رحمه الله - فى كتابه القيم : « بدائع الفوائد » متتبعين جانبه اللغوى ، و أصول اللغة بمعنى أدق ، و ما ذكره من آرائه فى فقه اللغة العربية ، لنزداد يقيناً بفضل علمائنا القدامى — رحمهم الله — على التراث الاسلامى و العربى ، و جهادهم العظيم فى هذا الميدان ابتغاء وجه الله تعالى ، وثبات قدمهم فى مختلف الفنون و العلوم ، و سعة مداركهم و عبقريتهم فى خدمة لغة الضاد التى هى وعاء القرآن الكريم ...

و سنرى فى هذا المقال : حديثه عن : استعمال المصدر الصريح و المؤول ، و الرأى الثاقب فى بعض أنواع الاشتقاق نظرية وتطبيقاً ، وثمرة الخلاف فى ذلك .

و أن حركات الاعراب للعضو لا للحرف ، ولماذا ؟

و أن علاقات الاعراب والبناء من صفة الصوت ، وبسببه ، انفتاحا وانغلاقا ، و ارتفاعا و انخفاضاً .

و لمحات ذكية عن الاشتراك اللفظى و المعنوى .

و بناء الكلمات على أصول أو أصل واحد ، و أن الحرف يشير إلى المعنى ، و قرب الحروف صفة ومخرجا أو بعدها له دخل فى تحديد المعنى أو تلوينه وتنوعه.

و يرى للحروف مخارجا و ترتيباً أحيانا معنى غير ما ذكره علماء أصول اللغة، بما يجعل ذلك بادياً فى وشائج دينية ، أو يجعلها من تقوى القلوب ، فيضفى على العربية قداسة ، و على معارفها بهاء و جمالا .

و فى كل ذلك نلمح شخصية ابن القيم واستقلاله ، وأمانته فى نسبة القول لأهله : ورد التوهم و الاستدراك فى أدب العلماء ، و يضرب المثل و يذكر الشاهد ، بما يوضح المقام و المقال ، و يتتبع تراكيب الاستعمال و الجزئيات توضيحاً و تأييداً لما يراه .

و لن نطيل فى التقديم ، و لا فى التعليق على حديثه فى هذا الجانب الشيق ، و إنما سنتركه يحدث الأجيال بما كتب و فهم فى جانب غير معروف للكثيرين من قرائه ، بما يجعلنا نعتز بعلمائنا و تراثنا ، و بما يدفعنا نحو حمل مسؤليتنا تجاه إسلامنا و وعائه : اللغة العربية ، فى حب و إعزاز و إكبار و فخر .

يعلل ابن القيم حركات الاعراب و البناء ، و يشير إلى أن الحركة على الحرف ليست له ، و إنما هى للعضو اللافظ ، وحين نقول : إن الحرف متحرك فانما ذلك على سبيل التجوز لا الحقيقة ، و يرى أن الحركة بعض الحرف ، كما رأى ذلك ابن جنى و غيره من اللغويين ، و يوضح معنى الجزم بالانقطاع الذى لا تتاج له ، لعدم مده ، بخلاف الصوت الخفى للفتحة أو النصب ، و الذى إذا مد كان ألفاً ... و لماذا كانت حركات الاعراب وكان البناء ... يقول :

(قولهم : حرف متحرك ، وتحركت الواو ، و نحو ذلك ... تساهل منهم ، فان الحركة عبارة عن انتقال الجسم من حيز إلى حيز ، والحرف جزء من الصوت ،

و محال أن تقوم الحركة بالحرف ، لأنه عرض و الحركة لا تقوم بالعرض و إنما المتحرك فى الحقيقة هو العضو من الشفتين أو اللسان أو الحنك الذى يخرج منه الحرف.

فالضمة عبارة عن تحريك الشفتين بالضم عند النطق، فيحدث مع ذلك صويت خفى مقارن للحرف ، إن امتد كان واواً ، و إن قصر كان ضمة .

وكذلك الفتحة عبارة عن فتح الشفتين عند النطق بالحرف ، وحدوث الصوت الخفى الذى يسمى فتحة أو نصبة و إن مدت كانت ألفاً و إن قصرت فهى فتحة .

وكذلك القول فى القصر .

و السكون عبارة عن خلو العضو من الحركات عند النطق بالحرف ، فلا يحدث بعد الحرف صوت فينجزم عند ذلك، أى ينقطع ، فلذلك سمى جزما اعتباراً بانجزام الصوت و هو انقطاعه ، و سكوناً اعتباراً بالعضو الساكن .

فقولهم : فتح وضم وكسر هو من صفة العضو .

و إذا سميت ذلك : نصباً و رفعاً و جراً وجزما ، فهى من صفة الصوت ، لأنه يرتفع عند ضم الشفتين ، و ينتصب عند فتحهما ، و ينخفض عند كسرهما ، و ينجزم عند سكونها .

و لهذا عبروا عنه بالرفع و النصب و الجر عن حركات الاعراب ، إذ الاعراب لا يكون إلا بعامل و سبب ، كما أن هذه الصفات التى تضاف إلى الصوت من رفع و نصب و خفض إنما تكون بسبب و هو حركة العضو .

و اقتضت الحكمة اللفظية أن يعبر بما يكون عن سبب عما يكون عن سبب و هو الاعراب ، و أن يعبر بالفتح و الضم والكسر والسكون عن أحوال البناء فان البناء لا يكون بسبب ، و أعني بالسبب العامل ، فاقتضت الحكمة أن يعبر عن تلك الأحوال بما يكون وجوده تغييراً له ، إذ الحركات الموجودة فى العضو لاتكون إلا بآلة ، كما تكون الصفات المضافة إلى الموصوف .

و عندى : أن هذا ليس باستدراك على النحاة ، فان الحرف و إن كان عرضاً فقد يوصف بالحركة تبعاً لحركة محله ، فان الأعراض و إن لم تتحرك بأنفسها فهى تتحرك بحركة محالها .

و على هذا فقد اندفع الاشكال جملة .

وأما المناسبة إلى ذكرها فى اختصاص الألقاب لحسنة ، غير أن كثيراً من النحاة يطلقون كلامنها على الآخر ، و لهذا يقولون فى قام زيد مرفوع علامة رفعه ضمة آخره ، ولا يقولون : رفعة آخره ، فدل على إطلاق كل منهما على الآخر)(١) .

و فرق علماء اللغة بين المصدر الصريح و المصدر المؤول ، و بينوا أنواع الاشتقاق ، و أصل علماء أصول اللغة أنواع الاشتقاق ، و قعدوا فقهها ، و الفروق بينها ، و بذلك قرت التعاريف و المفاهيم بين المدارس النحوية و اللغوية ، على نحو ما زخرت به كتب النحو وأصول اللغة .

و لكن الامام ابن قيم الجوزية — رحمه الله — بعقله الواعى ، و ألمعيته يضع يده على موطن الاستعمال الدقيق ، و بيان ثمرة الخلاف ، و بخاصة فيما من شأنه أن يجعل الحكم مختلفاً ، وكذلك النتيجة ، و كذلك إذا كان ذلك وجيها ، بمعنى التلاقى فى بعض الوجوه — أم لا — و يرينا كيف وظف الفقهاء ألفاظ اللغة و جاء أحكامهم تبعاً لذلك .

ويذكر تدليلا على ذلك الفرق بين : (تمليك المنفعة ، وتمليك الانتفاع) .

فالأول يملك به الانتفاع و المعاوضة ، و الثانى — تمليك الانتفاع — يملك به الانتفاع دون المعاوضة ، و يخرج على تلك القاعدة :

(و عليها إجارة ما استأجره ، لأنه ملك المنفعة بخلاف المعاوضة على البضع

---

(١) بدائع الفوائد ٣٤/١ ، ٣٥ .

فانه لم يملكه و إنما ملك أن ينتفع به ، و كذلك إجارة ما ملك أن ينتفع به من الحقوق كالجلوس بالرحاب ، و بيوت المدارس و الربط و نحو ذلك لا يملكها ، لأنه لم يملك المنفعة ، و إنما ملك الانتفاع

و على هذا الخلاف تخرج إجارة المستعار :

فمن منعها كالشافعي و أحمد و من تبعهما ، قال هو قد ملك المنفعة ، و لهذا يلزم عنده بالتوقيت ، ولو أطلقها لزمت فى مدة ينتفع بمثلها عرفاً ، فليس له الرجوع قبلها) . (١)

و يفرق بين حقوق المالك وحقوق الملك ، ونتيجة الخلاف فى هذه الاضافة ، يقول : (حقوق المالك شئ ، و حقوق الملك شئ آخر .

فحقوق المالك تجب لمن له على أخيه حق ، و حقوق الملك تتبع الملك ، و لا يراعى بها المالك ، و على هذا حق الشفعة للذمى على المسلم ، من أوجبه جعله من حقوق الاملاك ، و من أسقطه جعله من حقوق المالكين [و النظر الثانى أظهر و أصح ، لأن الشارع لم يجعل للذمى حقاً فى الطريق المشترك ، ... كما يرى الامام أحمد ...) (٢) .

و تتعدد معانى المشترك اللفظى ، فتأتى ألفاظ المشترك المعنوى ، و تعطى دليلا على ملاحظة و بقاء الفروق اللغوية فيما بين المترادف ، تلمح أحياناً و تنسى إذا تنوسى الأصل بالاستعمال ، يقول :

(الخبر إن كان عند حكم عام يتعلق بالأمة ، فاما أن يكون مستنده السماع فهو الرواية ، و إن كان مستنده الفهم من المسموع فهو الفتوى .

و إن كان جزئياً يتعلق بمعين مستنده المشاهدة أو العلم فهو الشهادة .

---

(١) بدائع الفوائد ١/٣ .   (٢) السابق ١/٢ ،

و إن كان خبراً يتعلق بالمخبر عنه والمخبر به هو مستمعه أو نائبه فهو الدعوى .

و إن كان خبراً عن تصديق هذا الخبر فهو الاقرار .

و إن كان خبراً عن كذبه فهو الانكار .

و إن كان خبراً نشأ عن دليل فهو النتيجة ، و تسمى قبل أن يحصل عليها الدليل مطلوباً .

وإن كان خبراً عن شئ يقصد منه نتيجته فهو دليل وجزؤه مقدمته ،(١) .

و هذا مثال آخر يوضح ما نحن بصدده ، يقول رحمه الله :

شهد فى لسانهم لها معان :

أحدها : الحضور ، و من قوله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ، وفيه قولان ، أحدهما : من شهد المصر فى الشهر ، والثانى من شهد الشهر فى المصر ، و هما متلازمان .

و الثانى : الخبر ، ومنه (شهد عندى رجال مرضيون و أرضاهم عندى عمر ، أن رسول الله ﷺ نهى عن الصلاة بعد العصر و بعد الصبح) .

والثالث : الاطلاع على الشئ (٢) ومنه : « والله على كل شئ شهيد »(٣)

و الترادف ركن من أركان التنمية اللغوية لا شك فى ذلك ، و مع ثباته و ثبوته و استقلاله بنفسه فى العربية إلا أنه لا يمكن التغاضى أحياناً عن الفروق اللغوية بين ألفاظه ، وبخاصة إذا لم تنس بكثرة الاستعمال ، أو لمح الأصل والفرع ، أو نسيان الأصل ... و نتائج الاستعمال ، و ثمرة الخلاف و شروطه .

و يشير إلى ذلك ابن القيم حين يفرّق بين الشهادة و الرواية ، يقول :

---

(١) السابق ١/٧ . (٢) السابق ١/٨ .

(٣) سورة البروج الآية : ٩ .

الفرق بين الشهادة و الرواية : أن الرواية يعم حكمها الراوى و غيره على ممر الأزمان .

و الشهادة تخص المشهود عليه و له ، ولا يتعداهما إلا بطريق التبعية المحضة.

فالزام المعين — أى عند الشهادة — يتوقع منه العداوة و حق المنفعة و التهمة الموجبة للرد ، فاحتيط لها — للشهادة — بالعدد و الذكورية ، و ردت بالقرابة و العداوة ، و تطرق التهم .

و لم يفعل مثل هذا فى الرواية التى يعم حكمها ولا يخص .

فلم يشترط فيها عدد و لا ذكورية ، بل اشترط فيها ما يكون مغلباً على الظن صدق المخبر، وهو العدالة المانعة من الكذب، واليقظة المانعة من غلبة السهو والتخليط) .

و يأتى بمسائل على هذه القاعدة ، فيها :

الاخبار عن رؤية هلال رمضان ، من اكتفى فيه بالواحد جعله رواية لعمومه للمكلفين فهو كالأذان ، و من اشترط فيه العدد ألحقه بالشهادة لأنه لا يعم الأعصار و لا الأمصار ، بل يخص تلك السنة و ذلك المصر فى أحد القولين ، وهذا ينتقض بالأذان نقضاً لا محيص عنه .

و على هذا أيضاً : الجرح للحدث و الشاهد ، و منها الترجمة للفتوى و الخط و الشهادة و غيرها ، و منها المخبر عنه نجاسة الماء ... هل يشترط فى ذلك التعدد ، لأنه بمنزلة الشهادة ، أو لا يشترط كالرواية و الحكم ؟

و يرى أن القاعدة السابقة لا تجرى على ما بيد الانسان و تحت تصرفه ، يقول : (قبول قول القصاب فى الذكاة ليس من هذا الباب - باب الشهادة والرواية - بل هو من قاعدة أخرى ، و هى : أن الانسان مؤتمن على ما بيده ، و على ما يخبر به عنه :

فاذا قال الكافر : هذه ابنتى ، جاز للمسلم أن يتزوجها .
و كذا إذا قال : هذا مالى ، جاز شراؤه و أكله .
فاذا قال : هذا ذكية جاز أكله .

فكل أحد مؤتمن على مايخبر به مما هو فى يده ، فلا يشترط هنا عدالة ولاعدد. و يقول : « إذ كان المؤذن يقبل قوله وحده مع أن لكل قوم فجراً و زوالا و غروباً يخصهم ، فلأن يقبل قول الواحد فى هلال رمضان أولى وأحرى »(١).

و قد أشبع علماء أصول اللغة لفظ « العين » بحثاً ، كما أشرنا إلى ذلك فى كتابنا : « طرق تنمية اللغة العربية » ، و للفظ عند إمامنا ابن القيم فلسفة أخرى فى الاستعمال و الاطلاق ، و مما يتعلق بلفظ العـــين و إطلاقها ، و المراد بها حقيقة أو مجازاً ، يقول ابن القيم : العين ، يراد بها حقيقة الشئ المدركة بالعيان أو ما يقوم مقام العيان ، و ليست اللفظة على أصل موضوعها ، لأن أصلها أن يكون مصدراً وصفة لمن قامت به ، ثم عبر عن حقيقة الشئ بالعين ، كما عبر عن الوحش بالصيد ، و إنما الصيد فى أصل موضوعه مصدر من صاد يصيد .

و من هنا لم يرد فى الشريعة عبارة عن نفس البارى سبحانه و تعالى ، لأن نفسه سبحانه غير مدركة بالعيان فى حقنا اليوم .

و أما عين القبلة ، و عين الذهب ، و عين الميزان فراجعة إلى هذا المعنى.

و أما العين الجارية فمشبهة بعين الانسان لموافقتها لها فى كثير من صفاتها ، و أما عين الانسان فسماة بما أصله أن يكون صفة و مصدراً ، لأن العين فى أصل الوضع مصدر كالدين ، و الزين ، و البين ، و الأين ، و ما جاء على بنائه ...

و مما يدل على أنها مصدر فى الأصل قوله تعالى : « عين اليقـــين » كما قال :

---

(١) بدائع الفوائد ج ١ ص ٥ ، ٧ ـ بتصرف .

« علم اليقين (١) و حق اليقين » (٢) ، فالعلم و الحق مصدران مضافان إلى اليقين فكذلك العين ، هكذا قال السهيلي – رحمه الله تعالى – و فيه نظر : لأن إضافة عين إلى اليقين من باب قولهم نفس الشئ و ذاته ، فعين اليقين نفس اليقين ، و العين التي هي عضو سميت عيناً ، لأنها آلة و محل لهذه الصفة التي هي العين ، و هذا من باب قولهم : امرأة ضيف و عدل ، تسمية للفاعل باسم المصدر و العين التي هي حقيقة الشئ و نفسه ، من باب تسمية المفعول بالمصدر كصيد ...

فأصل « العين » المصدر أو الصفة في الوضع ، و بعض استعمالاتها بصفة تلمح في المشابهة بهذا الأصل أو ما يشابه ذلك في الصفات ، ورد ما رآه السهيلي ، لأن الاضافة من إضافة الشئ إلى نفسه (٣).

ثم يرد توهم السهيلي مرة ثانية في أن إضافة العين إلى الباريء سبحانه حقيقة لا مجازاً في قوله تعالى : « و لتصنع على عيني » (٤) ، و يرد عليه و على المعتزلة ما قالوه في الصفات ، و يفند قولهم من وجوه ، بما ينصر مذهب أهل السنة و الجماعة ......

كما يشير إلى ما ذكره حذاق اللغة و فقهها من أن الأصل اللغوي في الوضع كثيراً ما ينسى و تنسى حقيقته ، و رب مجاز كثر و استعمل حتى نسي أصله وتركت حقيقته ، كما في بعض استعمالات لفظ « العين » ، وغيره من ألفاظ المشترك.

و لا يكتفي ابن القيم ببحث اللفظ و إطلاقاته و لكنه يرينا ما قيل في استعمالاته بطرق مختلفة ، من حيث التعدي بحروف مختلفة ، أو من حيث اللزوم ، فيحكي مثلا ما حكاه السهيلي – رحمه الله تعالى – في استعمالات لفظ « العين »

---

(١) سورة التكاثر الآية : ٥ . (٢) سورة الواقعة الآية : ٩٥ .

(٣) بدائع الفوائد ٢/٢ . (٤) سورة طه الآية : ٣٩ .

ثم يستدرك عليه بما يدل عليه الجمع و الافراد حين الاستعمال ، مما يدل على حسه اللغوى ، و بعد نظره و ثاقب فكره ، يقول :

و لحرف الجر دخل كبير فى تنوع المعنى ، و من بدائع الفوائد ما يشير إليه الفقيه العالم ابن القيم فى ذلك :

قال : و من فوائد هذه المسألة ، مسألة الارادة و المحبة و تلازمهما أولا ، عند الأشاعرة و غيرهم أن يسأل عن المعنى الذى لأجله قال تعالى : « و لتصنع على عينى » (١) ، بحرف على ، وقال تعالى : « تجرى بأعيننا » (٢) ، بالباء ، « و اصنع الفلك بأعيننا » (٣) ، و ما الفرق ؟

فالفرق : أن الآية الأولى وردت فى إظهار أمر كان خفياً ، و إبداء ما كان مكتوباً ، فان الأطفال إذ ذاك كانوا يغذون و يصنعون سراً ، فلما أراد أن يصنع موسى و يغذى و يربى على حال أمن وظهور ، لا تحت خوف و استسرار دخلت على اللفظ تنبيهاً على المعنى ، لأنها تعطى الاستعلاء ، و الاستعلاء ظهور و إبداء ، فكأنه يقول سبحانه و تعالى : « و لتضع على أمن لا تحت خوف » .

و ذكر العين لتضمنها معنى الرعاية والكلاءة .

و أما قوله تعالى : « تجرى بأعيننا ، و اصنع الفلك بأعيننا » ، فانه إنما يريد برعاية منا و حفظ ، و لا يريد إبداء شئ ولا إظهاره بعد كتم ، فلم يحتج فى الكلام إلى معنى « على » بخلاف ما تقدم ، هذا كلامه أى كلام السهيلى .

و يستدرك ابن القيم — رحمه الله تعالى — على السهيلى بقوله :

و لم يتعرض — رحمه الله تعالى — لوجه الافراد هناك (على عينى) ،

---

(١) سورة طه الآية : ٣٩ . (٢) سورة القمر الآية : ١٤ .

(٣) سورة هود الآية : ٣٧ .

و الجمع هنا (بأعيننا) ، و هو من ألطف المعانى للآية .

و الفرق بينهما يظهر من الاختصاص الذى خص به موسى فى قوله تعالى : « و اصطنعتك لنفسى » ، فاقتضى هذا الاختصــاص الاختصــاص الآخر فى قوله : « و لتصنع على عينى » ، فان هذه الاضافة إضافة تخصيص .

و أما قوله تعالى : « تجرى بأعيننا و اصنع الفلك بأعيننا » فليس فيه من الاختصاص ما فى صنع موسى على عينه سبحانه و تعالى ، و اصطناعه إياه لنفسه ، و ما يسنده سبحانه إلى نفسه بصيغة ضمير الجمع قد يريد به ملائكته ، كقوله تعالى : « فاذا قرأناه فاتبع قرآنه » (١) ، و قوله : « نحن نقص عليك » (٢) ، ونظائره فتأمل (٣) .

فابن القيم استدرك المعنى اللطيف من الجمع و الافراد ، و مزية الاختصاص فى الافراد ، و التى ليست فى الجمع .

و للأدب ترحم على المستدرك عليه ، رحمة الله عليهما ، كشأن العلماء .

فقد زاد الأمر إيضاحا ، و نسب القول لقائله ، و كم من مؤلف اليوم لا ينسب الأمر — بأمانة — لناقله ، و كان يعرف متى تفتح الأقواس فى الاقتباس و متى لا تفتح .

و زاد بأن المزيد من الاختصاص إنما أتى من الافراد ، ولا يحتمل فى الافراد غيره سبحانه ... بينما الجمع قد ينسب إلى ملائكة الله سبحانه .

والنحاة يرون أن الكلام لغة كل ما أفاد ، بينما يفصل ابن القيم ما يراه السهيلى من أن (الكلام هو تعبير عما فى نفس المتكلم من المعانى ، فاذا أظهر ذلك المعنى

(١) سورة القيامة الآية : ١٨ (٢) سورة يوسف الآية : ٣ .

(٣) بدائع الفوائد ١/٥ ، ٦ .

فى نفسه — أى أخفاه — و دل المخاطب عليه بلفظ خاص سمى ذلك اللفظ ضميراً ، تسمية له باسم مدلوله ...) فكلام النحاة أخص ، و ما اختاره ابن القيم من كلام السهيلى أعم و أشمل ، أى جامع مانع .

و عن سر المضمرات يتحدث ابن القيم ، و كذلك عن سر ترتيب حروفها ، يقول : (و المضمرات فى كلامهم نحو ستين ضميراً ، و أحوالها معلومة ، لكن ننبه على أسرارها من أحكام المضمرات :

إعلم أن المتكلم لما استغنى عن اسم الظاهر فى حال الأخبار لدلالة المشاهدة عليه ، جعل مكانه لفظاً يؤمى به إليه ، و ذلك اللفظ مؤلف من همزة و نون .

أما الهمزة فلأن مخرجها من الصدر ، و هو أقرب مواضع الصوت إلى المتكلم ، إذ المتكلم فى الحقيقة محله وراء حبل الوريد ، قال تعالى : « و لقد خلقنا الانسان و نعلم ما توسوس به نفسه ، و نحن أقرب إليه من حبل الوريد » (١) ، ألا تراه يقول : « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » (٢) ، يعنى ما يلفظ المتكلم ، فدل على أن المتكلم أقرب شئ إلى حبل الوريد ، فاذا كان المتكلم على الحقيقة محله هناك ، و أردت من الحروف ما يكون عبارة عنه ، فأولاها بذلك ما كان مخرجه من جهته ، أقرب المواضع إلى محله ، و ليس إلا الهمزة أو الهاء ، و الهمزة أحق بالمتكلم بقوتها بالجهر و الشدة ، و ضعف الهاء بالخفاء ، فكان ما هو أجهر أقوى و أولى بالتعبير عن اسم المتكلم الذى الكلام صفة له ، و هو أحق بالاتصاف به ...

وفى تحليل نفيس يبين ابن القيم سر اتصال حروف الضمائر وترتيبها ، واختصاصها بحركاتها ، و أصحابها من متكلم أو مخاطب أو غائب ، و الثوابت فى أصول حروفها

(١) سورة ق الآية : ١٦ (٢) سورة ق الآية : ١٨

الطوارىء ، و الفرق بين علامات التثنية و الجمع من الحروف الدالة عـلى ذلك ، و اختصاص حالات معينة بحروف معينة فى الضمائر دون غيرها ... حتى يصل الى ضمير (نحن) فيقول عنه فيما قال :

ثم كانت الكلمة آخرها نون و فى أولها : إشارة إلى الأصل المتقدم الذى لم يمكنهم الاتيان به ، و هو تثنية (أنا) التى هى بمنزلة عطف اللفظ على مثله ، فاذا لم يمكنهم ذلك فى اللفظ مثنى ، كانت النون المكررة تنبيهاً عليه ، و تلويحاً عليه ، وخصت النون بذلك دون الهمزة ، لما تقدم من اختصاص ضمير الجمع بالنون ، و ضمير المتكلم بالهمزة ، ثم جعلوا بعد النون حاء ساكنة لقربها من مخرج الألف الموجودة فى ضمير المتكلم قبل النون وبعدها .

ثم بنوها عـلى الضم دون الفتح و الكسر ، إشارة إلى أنه ضمير مرفوع ، و شاهده ما قلناه فى الباب من دلالة الحروف المقطعـة على المعانى ، و الرمز بهـا إليها ، وقوع ذلك فى منثور كلامهم و منظومه .

فنه : قلت لها : قفى ، قالت : قاف ، و منه : ألاتا ، فيقول الآخر : ألافا ، يعنى : ألا ترحل ، فيقول : ألا فارحل ، و منه :

بالخير خيراً تا و إن شراً فا و ما أريد الشر إلا أن تشا

و قولهم : مهيم ، فى : ماهذا يا امرؤ ؟ و أيش ، فى أى شئ ، و م الله ، فى أيمن الله . و من هذا الباب حروف التهجى فى أوائل السور .

و بعد أن يسوق هذا الشاهد ، يعود إلى مزيد بيان لسر ترتيب الحروف فى الكلمات و الضمائر ، من أقوال أئمة العلمـاء ، رابطاً استعمال اللغة بالدين ، يقول

و قد رأيت « لابن فورك » نحواً من هذا فى اسم « الله » ، قال : الحكمة فى وجود الألف فى أوله : أنها من أقصى مخارج الصوت قريباً من القلب الذى هو محل المعرفة إليه .

ثم الهاء في آخره ، مخرجها من هناك أيضاً ، لأن المبتدأ منه و المعاد إليه ، و الاعادة إليه أهون من الابتداء .

و كذلك لفظ الهاء أهون من لفظ الهمزه .

هذا معنى كلامه ، فلم يقل ما قلناه في المضمرات إلا اقتضاباً من أصول أئمة النحاة ، و استنباطاً من قواعد اللغة .

فتأمل هــذه الأسرار ، و لا يزهدنك فيها نبو طباع أكثر الناس عنها ، و استغناؤهم بظاهر من الحياة الدنيا عن الفكر فيها ، و التنبيه عليها ، فانى لم ألحص عن هذه الأسرار ، و خفى التعليــل فى الظواهر و الاضمار ، إلا قصد التفكر و الاعتبار فى حكمة من خلق الانسان و علمه البيان .

فمتى لاح لك من هذه الأسرار سر ، و كشف لك عن مكنونها فكر ، فاشكر الواهب للنعمى ، و قل رب زدنى علماً ١٠هـ (١) .

و يلاحظ أن ابن القيم يبذل قصارى جهده فى جعل الأمور العلمية مرتبطة بوشائج دينية ، كقوله : إن مخرج الهمزة من الصــدر ، لأن محل المتكلم وراء حبل الوريد ، ويستشهد بالآية الكريمة كما سبق ، وإشارته إلى قوة الهمزة بالجهر والشدة ، و ضعف الهاء ... و أولى الحروف بقرب أو بعد هو ما ناسب أن يكون من قربه مخرجها قبل غيره ، و لأن من حروف الحلق ما هو أقوى من غــيرها جهراً و شدة ، كالهمزة أو الهاء كانت أقرب إلى المتكلــم حين لفظه ، حتى يتحقق معنى الآية الكريمة ، بمعنى ما يلفظ المتكلم ، ثم يحدثنا على الحروف التى تتصل بالضمائر ، و الحال المقتضى لذلك ، بما يقنع القارىء و المتأمل ، و الباحث عن السر من المختصين فى اللغويات و أصولها .

---

(١) بدائع الفوائد ١٧٥ ـ ١٨٠ بتصرف ، ج ١ .

كما يبين الفرق بين احتياج الأشخاص الثلاثة (المتكلم ، والمخاطب ، والغائب) إلى الحروف التي تكون الضمائر المناسبة لهم ، و التي لا يحتاج إليها بعضهم ، حتى تتضح الأمور اللغوية في الضمائر ، و فلسفة هذا الضم حين الاحتياج وعدمه .

و يحمل دلالة الحروف المقطعة دالة على المعاني و الرمز بها إليها ، بما يجرنا إلى بحث أصول الكلمات اللغوية في العربية ، و هل هي ثنائية ، أو أحادية ، كما ذكر الشيخ العلايلي :

و ابن القيم — رحمه الله تعالى — يريد أن يحمل كل شئ (حتى في الجانب اللغوى من تقوى القلوب) و يلبسه ثوب المهابة والجلال ، فهو يشير إلى ما ذكره ابن فورك ، من أن :

الألف في اسم « الله تعالى » في أول اللفظ لأنها من أقصى مخارج الصوت ، و قريباً من القلب ... أو قد تحدث ابن جني — رحمه الله تعالى — عن ترتيب الحروف وتقاليبها ، و بقاء المعنى في معظم التقاليب أو كلها ... و غير ابن جني ولع بالاشارة إلى الأصل الثلاثي أو الثنائي ، والمعنى المستق من ذلك ، كما صنع ابن سينا ، والخفاجي ، و السكاكي وانتهاء بالشيخ العلايلي - أمد الله في عمره - بالبحث عن المعنى المستق من الحرف الأحادي ، كما ورد في الجدول الفنيق .

و لكن ابن القيم يرى أن الألف من اسم الجلالة (الله) كانت في أول الاسم لقرب مخرجها من القلب .

« يتبع »

الفتاوى الهندية العالمكيرية
و أهميتها فى الفقه و القانون

سعيد الأعظمى الندوى

[وضع هذا البحث بمناسبة العيد الألفى للأزهر الذى أزمع عقده فى عام ١٣٩٩هـ ، و كنت ضمن المدعوين فى هذه المناسبة ، و لكنها ألغيت لأسباب قاسرة فى ذلك الحين ، و ننشره فى مجلتنا نظراً إلى ما فيه من ناحية ثقافية الهند الاسلامية] « الأعظمى »

خلفية التاريخ :

القرن الحادى عشر الهجرى يعتبر من أخصب أدوار التاريخ العلمى الاسلامى فى الهند ، ففى هذا القرن بالذات قام الامام أحمد بن عبد الأحد السرهندى (١)

(١) ولد فى بيت عريق فى المجد و العلم فى سرهند (الهند) فى عام ٩٧١ من الهجرة النبوية ، ينتمى إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، و نشأ فى بيئة دينية صالحة ، و استفاد من الشيخ العارف الخواجه الباقى بالله (ت ١٠١٢هـ) فى الطريقة ، و كان من صالحى زمانه المعروفين بالورع و التقوى ، ومما يجدر ذكره أن شيخه الخواجه الباقى بالله تفرس فى وجهه إمارات المجد والكمال لأول عهد به وكتب إلى بعض أصدقائه : « قد جاءنا ★

بتجديد دعوة الاسلام و إحياء معالمه و آثاره التي كانت قد تراكم عليها التراب و تناولتها المعاول الهدامة بالتدمير و التخريب ، و ذلك هو الامبراطور المغولي أكبر (١) الذي نادى بدين جديد ، و كلمة جديدة ، و نصب نفسه كإله يعبد و يقدس ، و يحنى له . ولكن الله أراد أن يبوء هذا الملك العنيد بالفشل الذريع في محاولاته و مخططاته العفنة ، و ينشأ في مملكته و بين رعيته رجال مخلصون لاتلهيهم الاعيب «أكبر» ولا ترهبهم سطوته وسلطانه. فربوا على كراهية شديدة إزاء تحريفاته و تدليساته التي فشت في عهده و ترأس هذه الفئة المؤمنة الامام أحمد بن عبد الأحد السرهندي المعروف بمجدد الألف الثاني الذي نشأ في النصف الثاني من عهد هذا

★ منذ قليل رجل من سرهند ، متضلع من العلم و فيه من القدرة من العمل و الجد ما لا يوصف ، و قد جالسنا بضعة أيام و أرى بما شاهدت من أحواله أنه سيكون سراجا ينير العالم بضيائه » و ما أصدق هذا التفرس ، قد تحقق فيما بعد أنه كان سراجا في ظلمات الهند الحالكة ، فانعم به من سراج ، و أكرم بالذي ثقف هذا السراج ، و راضه على العمل ، جزاهما الله عن الاسلام خير الجزاء و أجزل لهما المثوبة في الدارين .

(١) هو جلال الدين أكبر بن همايون بن بابر الذي أسس الدولة المغولية في الهند ، إن أكبر تبوأ عرش المملكة سنة ٩٦٤هـ بعد وفاة أبيه فانقلبت الأرض ظهراً لبطن و تنكرت وجوه الأعيان و الأمراء للدين الحنيف و طمى سيل الالحاد و طغى و نجم قرن الفتنة و طال ، فكانت فتنة عمياء وداهية دهواء ، ذهبت بكثير من العلماء و المشائخ في سيلها الجراف ، وذلك أن الملوك الذين مضوا قبل «أكبر» ماكانوا ينصبون العداء للدين الحنيف إن لم يكونوا من أنصاره — لكن عصر هذا الملك، أكبر— قد تفرد باضطهاد الاسلام و التضييق على المسلمين و اختلاق بدع و منكرات شنيعة وانتحالها على الدين المبين .

الملك و قام بدعوته و جهاده فى عهد ابنه الملك جهانكير ، و تابعه فى هذه المسيرة المباركة خلق كبير لا يأتى عليهم الحصر ، حتى بدأ أعيان المملكة والأمراء و الوزراء يتوبون من البدع والخرافات التى ابتدعها الملك «أكبر» ويرجعون إلى الاسلام من جديد ، و استطاع الامام السرهندى بحسن اعتنائه بالتربية و التوجيه الخلق و جهوده المخلصة التى بذلها فى إنقاذ الجيل المسلم من براثن الالحاد و فساد الاعتقاد ، أن يزيل تلك المخلفات الشنيعة والآثار القبيحة التى خلفها الملك جلال الدين «أكبر» و التى كانت تسيطر على العقول والنفوس ، وذلك فى زمن ابنه الملك جهانكير (١٠١٤-١٠٣٧) حينما صدع بالحق و قام بدعوته غير مبال بالعواقب التى كانت تتحين الفرص لأخذه و إيقاف نشاطه .

صمود الامام السرهندى فى وجه العواصف و نجاحه فى مهمته :

صمد الامام أحمد السرهندى فى وجه كل عقبة و تحمل كل مشقة و لم ييأس و لم يفتر فى أداء واجبه بل ظل مشغولا بمهمته التى تبناها ، حتى كان لعمله المخلص هذا التأثير المطلوب من الأوساط العامة والخاصة كلها ، وبدأ يوجه رسائل إلى أمراء المملكة و حكامها ، فتغير الجو و ثاب الأمراء إلى رشدهم ، حتى تغير الملك جهانكير أيضاً ، و استقبله ولى عهده الأمير خرم الذى لقب بـ« شاه جهان » استقبالا حاراً و رحب بدعوته ترحيباً كبيراً ، و بايع الامام السرهندى على اجتناب المعاصى و الابتعاد عن المآثم فأصلح ما فسد فى زمن أبيه ، وارتفع شأن العلماء و المسلمين فى عصره .

الملك الصالح أورنك زيب :

كان من أنجال هذا الملك الكبير عالمكير أورنك زيب بن شاه جهان بن جهانكير ابن أكبر الذى تولى السلطنة بعد أبيه سنة ١٠٦٨هـ و قد نشأ الملك أورنك زيب

بتأثير تربية الامام السرهندى و فضل دعوته و جهاده على الربانية والانتصار للاسلام و إحياء السنة و قمع البدع والخرافات ، فكان مسلماً متواضعاً غيوراً ، وعالماً متورعا متديناً أكثر من أن يكون ملكا أو حاكما مع تبصره بأمور المملكة ومراقبته الدقيقة لشؤن الدولة و اشتغاله الكبير بها .

يقول الأستاذ أديب العربية الكبير مسعود الندوى رحمه الله فى كتابه « تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند » :

« و الحق أن عالمكير أول ملك من ملوك المسلمين فى الهند — إذا استثنينا بعض ملوك آل تغلق — استمسك بعروة الدين الوثقى وعاش عيشة الزهاد والفقراء، يقوم الليل و يصوم النهار ، و هو الذى أعاد للدين المبين فى عصره نضرته و شبابه و ألغى القوانين الناقضة للشرع و أكرم العلم و العلماء و قضى على البدع و المنكرات و كان إلى ذلك من كبار ملوك الهنـــد قديماً و حديثاً ، و إن كان فى طول العمر و اتساع مدة الحكومة فضل للرجل و شهادة على نبوغه و شدة مراسه و صلابة قناته ، فالملك عالمكير لا يضاهيه فى هذا الشأن ملك من ملوك الهند ، لا فى القديم ولا فى الحديث من تاريخها » (١) .

ويقول الداعية الاسلامى سماحة الشيخ أبو الحسن على الحسنى الندوى فى كتابه « الدعوة الاسلامية فى الهند و تطوراتها » :

« و خلف شاه جهان السلطان العظيم الملك الصالح أورنكزيب عالمكير و هو ممن عنى أولاد المجدد بتربيته و ثقافته ، فنشأ متعبداً متبعاً للشريعة فقيهاً فى الدين ، غيوراً عليه ، حريصاً على تطبيق أحكامه و اصلاح المجتمع الفاسد و تقويم الحكومة الزائغة » (٢) .

---

(١) تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند للأستاذ مسعود الندوى ص ١٣١ .
(٢) الدعوة الاسلامية فى الهند و تطوراتها لسماحة الشيخ الندوى ص ١٩ .

مآثره العلمية الكبرى :

هذا الملك الصالح هو الذى قام من بين مآثره الكثيرة وخدماته الجليلة بتأليف كتاب عظيم فى الفقه الاسلامى كالفتاوى الهندية العالمكيرية ، و قد ساورته فكرة تأليف هذا الكتاب العظيم بعد توليته الحكم بعشر سنوات حينما كان أكمل ٥٠ سنة من عمره ، و هكذا فقد بدأ العمل فى تأليفه فى عام ١٠٧٨هـ .

فى هذا العام بالذات اقترح الملك أورنك زيب على علماء مجلسه أن يعدوا العدة لتأليف كتاب عظيم فى الفتاوى و الفقه الاسلامى ، يكون من أكبر المصادر الفقهية و مراجع الفتاوى الدينية و يكون بمثابة دستور للمملكة ، و قد أقام لهذا الغرض لجنة كبيرة من العلماء تقوم بتدوين الفتاوى الشرعية ، وكان الملك نفسه يشرف على التدوين و يطلع على ما كانت اللجنة تنجزه من عمل و يمر عليه كل ليلة قبل أن ينام ، فان بدا له رأى ناقش فيه العلماء وكلفهم أن يقنعوه فى ضوء الكتاب والسنة واجماع الأمة.

إن اهتمام الملك بتدوين هذا الكتاب العظيم بعث فيهم النشاط ، فركزوا هممهم عليه وظلوا مشتغلين به ليل نهار حتى استغرق هذا التدوين مدة سنتين وتم الكتاب فى ستة مجلدات ضخم فى عام ١٠٨٠هـ ثمانين وألف .

يقول الداعية الاسلامى الكبير سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى فى كتابه « الدعوة الاسلامية فى الهند و تطوراتها » وهو يتحدث عن المآثر الاسلامية لهذا الملك الصالح أورنك زيب ، يقول :

« و يذكر المؤرخون فى استقامة أورنك زيب على الشريعة الاسلامية و من عباداته و صلاحه ما يدهش رجال هذا العصر ، فقد حفظ القرآن الكريم بعد جلوسه على العرش و جمع أربعين حديثاً و شرحها ، و أمر بتدوين الفتاوى لتكون دستوراً للمملكة و ألف له لجنة من العلماء و كان يشرف على هذه اللجنة ويطلع على

عملها يومياً و يقرأ قبل النوم كل ما كتب فى هذا الموضوع و هى الفتاوى المشهورة بالفتاوى الهندية » (١) .

أضواء تاريخية على الفتاوى الهندية وقصة تأليفها :

و لنتحدث الآن عما يختص بهذا الكتاب من أمور :

١ ـ أنفق الملك أورنك زيب على تدوين هذا الكتاب العظيم مائتى ألف روبية من الفضة الخالصة ، و هذا المبلغ له أهمية كبيرة و قيمة عظيمة فى ذلك الزمان ، كما لا يخفى على أصحاب البصيرة والرأى .

٢ ـ أصدر الملك أورنك زيب مرسوما ملكياً على مستوى عموم البلاد مفاده أن المحاكم يجب أن تكون تابعة لهذا الكتاب العظيم فى قضاياها وأحكامها .

٣ ـ قام بوضع هذا الكتاب المهم لجنة من كبار علماء و فقهاء البلاد ، وكان الملك قد ألفها برئاسة الشيخ نظام الدين البرهانفورى الذى كان من خاصة مجالسى الملك الصالح و الموثوق بهم ، إنه تولى هذا المشروع الضخم مع جماعة من العلماء العظام ، أنجزه بحول الله تعالى فى مدة سنتين فقط .

و نثبت فيما يأتى أسماء بعض العلماء و الفقهاء اللامعين منهم ، خاصة أولئك الأربعة الذين كانوا عمدة هذا المشروع ، وهم :

١ ـ القاضى محمد حسين الجونفورى المحتسب .

٢ ـ الشيخ على أكبر الحسينى أسعد الله خانى الالهآبادى .

٣ ـ الشيخ حامد بن أبى الحامد الجونفورى .

٤ ـ المفتى محمد أكرم الحنفى اللاهورى .

وأما غيرهم من العلماء والفقهاء الذين أسهموا فى تدوين هذا السفر الكبير و عثرنا على أسمائهم فهم كالآتى :

---

(١) الدعوة الاسلامية فى الهند و تطوراتها لسماحة الشيخ الندوى ص ٣٠ ،

١ـ الشيخ نظام الدين البرهانفورى
٢ـ الشيخ نظام الدين التتوى السندى
٣ـ الشيخ أبو الخير التتوى
٤ـ الشيخ رضى الدين الباغلفورى
٥ـ الشيخ محمد جميل الجونفورى
٦ـ المفتى وجيه الدين الغوباموى
٧ـ السيد محمد بن محمد القنوجى
٨ـ الشيخ جلال الدين المجهلى الشهرى
٩ـ القاضى عبد الصمد الجونفورى
١٠ـ الشيخ أبو الواعظ الهركامى
١١ـ المفتى أبو البركات الدهلوى
١٢ـ الشيخ أحمد بن أبى المنصور الغوباموى
١٣ـ الشيخ عبد الفتاح الصمدانى
١٤ـ الشيخ القاضى عصمة الله اللكهنوى
١٥ـ القاضى محمد دولة الفتحبورى
١٦ـ الشيخ محمد سعيد السهالوى
١٧ـ الشيخ محمد غوث الكاكوروى
١٨ـ الشيخ عبد الرحيم الدهلوى
١٩ـ الشيخ فصيح الدين الفلواروى
٢٠ـ القاضى السيد عناية الله الموبجهيرى
٢١ـ الشيخ محمد شفيع السرهندى
٢٢ـ الشيخ وجيه الرب الملا
٢٣ـ الشيخ غلام محمد الملا
٢٤ـ العلامة أبو الفرح

٤ـ هذا الكتاب من أهم و أوسع مصادر الفقه الاسلامى بالنسبة إلى محتوياته و شموله لجميع الأغراض الحيوية مما يحتاج إليه المسلم فى الحياة الفردية و الاجتماعية من الشؤن الدينية و الدنيوية ، و هو خدمة جليلة لا يوجد لها نظير فى هذا المجال، فقد دون العلماء فى هذا الكتاب من المسائل الفقهية و القضايا الانسانية مالا غنى عنه فى أى حال لأى شخص، سواء كان أمياً أو عالماً ، أو حاكماً أو رعية ، رجلا أو امرأة ، و كل ذلك فى غاية من السهولة و الابتكار مع الاعتماد على المراجع الفقهية الهامة و الموثوق بها ، نذكر منها على سبيل المثال ما يأتى :

مصادر الفتاوى الهندية :

١ـ الوافى ٢ـ الكافى ٣ـ الملتقط ٤ـ الزادة ٥ـ خزانة الفقه للامام

أبي الليث ٦- الهداية للفقيه برهان الدين المرغيناني ٧- شرح الطحاوى للامام بدر الدين العيني ٨- البدائع ٩- المغنى ١٠- العناية ١١- الذخيرة ١٢- الخلاصة ١٣- الفرائض الزاهدية لأبي الرجاء مختار بن محمود (م ٦٥٨) ١٤- الظهيرية لظهير الدين البخارى (م ٦١٩) ١٥- المحيط للشيخ برهان الدين ١٦- المحيط للشيخ رضى الدين السرخسي ١٧- فتاوى قاضى خان ١٨- شرح الوقاية ١٩- التبيين للامام النسفي ٢٠- السراج الوهاج ٢١- فتح القدير ٢٢- البحر الرائق ٢٣- الجامع الصغير ٢٤- الجامع الوجيز ٢٥- الفتاوى السراجية ٢٦- الاختيار و المختار ٢٧- الكفاية شرح الهداية ٢٨- الجوهرة النيرة ٢٩- القنية ٣٠- النهر الفائق ٣١- المبسوط للسرخسي ٣٢- فتاوى شيخ الاسلام المعروفة بخواهر زاده ٣٣- شرح المبسوط ٣٤ - التاتارخانية المعروفة بجامع الفتاوى ٣٥- خزانة المفتين ٣٦- شرح العيني على الكنز ٣٧- المفيد و المزيد ٣٨- خزانة الفتاوى ٣٩- الأسرار فى الأصول و الفروع ٤٠- الدبوسى (م ٤٣٠) ٤١ - شرح الزيادات النقاية ٤٢- شرح المجمع لابن الملك ٤٣- التجنيس لصاحب الهداية ٤٤- الفتاوى الولوالجية ٤٥- فتاوى الامام الكرخي ٤٦- الفتاوى الكبرى ٤٧- الفتاوى الصغرى للامام حسام الدين عمر بن عبد العزيز (م ٥٣٦هـ) ٤٨- فتاوى التمر تاشي ٤٩- فتاوى قراخاني ٥٠- مختار الفتاوى لأبي الفضل مجد الدين الموصلى (م ٦٨٣هـ) ٥١- التنوير لجامع الكبير ٥٢- شرح كتاب الاستحسان لشمس الأئمة الحلوانى ٥٣- فتاوى أبي الفتح لمجد الدين أبي الفتح (م ٦٣٢هـ) ٥٤- فتاوى الخجندى ٥٤- فتاوى رشيد الدين ٥٦- فتاوى النسفي ٥٧- فتاوى الفضيلي ٥٨- شرح الزيادات للعتابي ٥٩- الاسعاف ٦٠- المستصفى ٦١- شرح أدب القاضى ٦٢- نوادر ابن سماعة ٦٣- الواقعات الحسامية ٦٤- فوائد نظام الدين ٦٥- البحر الزاخر ٦٦- فصول

لأتروشني ٦٧– القدوري ٦٨– ينابيع الأحكام ٦٩- شرح مقدمة أبي الليث ٧٠– الوقاية ٧١– المصفى ٧٢– الكفاية ٧٣– التهذيب ٧٤– جامع الجوامع ٧٥ - جواهر الأخلاطي ٧٦– البرجندي ٧٧- غاية البيان ٧٨– إقرار العيون ٧٩– مختارات النوازل لصاحب الهداية ٨٠– شرح الهداية لأبي العباس السروجي ٨١– الملتقى ٨٢– المجتبى ٨٣– الواقعات ٧٤– التحرير شرح الجامع الكبير للحصيري ٨٥– الفصول العمادية ٨٦– الحاوي ٨٧– الكفاية ٨٨– النهاية . وقد عد بعضهم مائة وأربعة و عشرين مصدراً .

نظرة واحدة على هذه المصادر تبين لنا أهمية الفتاوى الهندية و تؤكد روح الدقة و النظرة الفاحصة التي تتجلى في الكتاب بوجه عام ، وما لاحظ فيها مؤلفوها من الاهتمام الكبير و العناية البالغة بتدوين الموضوعات و المسائل التي لا يستغنى عنها المسلم في أي زمان و مكان ، و أي عصر ومصر .

الكتاب موضوع حسب الترتيب الكتابي ككتاب الطهارة و كتاب الصلاة وكتاب الزكاة وكتاب الصوم ، و كتاب الحج و كتاب النكاح و كتاب الرضاع ، وكتاب الطلاق ، إلى آخر ما جاء فيه ، وكل كتاب من هذه المجموعة يحتوي على أبواب سوى كتاب اللقيط و كتاب اللقطة و كتاب الاباق و كتاب المفقود ، فان هذه الكتب الأربعة خالية من الأبواب ، وكل كتاب يشتمل على مباحث وفصول ، و هذه المباحث و الفصول ذات عناوين جانبية تتعلق بملحقات من المسائل وتشرحها بتفصيل ، و ذلك كمثال « كتاب الزكاة » ففيه ٨ أبواب .

١- الباب الأول في تفسيرها وصفتها و شرائطها .

٢- الباب الثاني في صدقة السوام و فيه خمسة فصول :

١- الفصل الأول في المقدمة ٢- الفصل الثاني في زكاة الابل ٣- الفصل الثالث

في زكاة البقر ٤ـ الفصل الرابع في زكاة الغنم ٥ـ الفصل الخامس فيما لا تجب فيه الزكاة .

٣ـ الباب الثالث في زكاة الذهب و الفضة و العروض ، و فيه فصلان :

١ـ الفصل الأول في زكاة الذهب و الفضة ٢ـ الفصل الثاني في العروض ، (مسائل شتى) .

٤ـ الباب الرابع فيمن يمر على العاشر .

٥ـ الباب الخامس في المعادن و الركاز .

٦ـ الباب السادس في زكاة الزروع و الثمار .

٧ـ الباب السابع في المصارف ، فصل فيما يوضع في بيت المال أربعة أنواع :

٨ـ الباب الثامن في صدقة الفطر .

الأهمية الفقهية لهذا الكتاب العظيم و خصائصه :

هذا الكتاب ينال من الأهمية الفقهية ما لا يمكن التغاضي عنه في أي حال ، ذلك لأن المسائل التي يبحث عنها الكتاب لها علاقة بظاهر الرواية أو أنها من الرواجح و المسائل المفتى بها ، و المراد بظاهر الرواية هي تلك المسائل التي استنبطت من الكتب الستة للامام محمد و هي الجامع الصغير ، الجامع الكبير ، السير الصغير ، السير الكبير ، المبسوط ، الزيادات ، و معلوم أن أساس الفقه الحنفي يقوم على هذه الكتب الستة .

و الذي يزيد أهمية الكتاب هو أنه عصارة كتب الفقه المهمة و خلاصة مصادره الموثوق بها التي تحل منزلة عالية في هذا الفن ، كما أسلفنا الاشارة إليها .

و من خصائص الكتاب التي يمتاز بها عن غيره من كتب الفقه و الفتاوى أنه نتاج جماعة من أعاظم العلماء و الفقهاء ممن بذلوا قصارى جهودهم في تدوينه بعد

مراجعات ومناقشات قانونية ،والذين أسهموا فى تأليفه لم يكونوا على منزلة عالية من العلم و البصيرة الفقهية لحسب بل كانوا على قمة من الورع والتقوى كذلك ، ولولا جهودهم المخلصة العظيمة والتوفيق من الله الذى شملهم فى هذا العمل العظيم لم يستطيعوا أن يقوموا بتدوين هذا السفر العظيم،خالياً من الأخطاء العلمية بفضل الله تعالى وعونه .

هذا هو أول كتاب عظيم للفقه الاسلامى فى تاريخ الهند الاسلامى العلمى اهتم باخراجه و إتمام مباحثه الشاملة لجميع المناحى الفقهية و النواحى الانسانية ملك مسلم متدين أنفق عليه بكل سخاء و أريحية إسلامية ، بينما وجد بعض الكتب الفقهية التى ألفت فى عصور حكام مسلمين وحسن عنايتهم بها ، و لكنها لم تتجاوز المسودات الخطية و لا نالت شهرة بين أوساط العلماء و الفقهاء ، و لكن الفتاوى الهندية العالمكيرية هي أول و آخر كتاب عظيم بهذه الأهمية إلى الآن ، و تلقتها الأمة بيد القبول و الاعجاب .

ليست العبادات هى التى نالت اهتمام المؤلفين و اعتناءهم لحسب بل إن جزء المعاملات يشتمل كذلك على تفاصيل و دقائق يحتاج إليها المسلم على اختلاف الزمان و المكان .

كل مسألة فى الكتاب تعزى إلى أصل مأخذها ، و إذا كان أصل المأخذ ليس بمتناول أيديهم أشاروا إليه بقولهم : ناقلا عن فلان ، يقول الأستاذ محمد كاظم بن محمد أمين فى كتابه « جهانكير نامه » (حياة جهانكير) و هو يتحدث عن السنة العاشرة لجلوس أورنك زيب على عرش الملك .

و من بين الخدمات الدينية الكثيرة و الشؤن الشرعية المتعددة التى يشتغل بها الملك أنه مقبل الآن على إنجاز أمر شرعى و مهمة دينية ، و ذلك لأن المسلمين الذين كانوا يعملون وفق الفقه الاسلامى فى ضوء المذهب الحنفى وأئمته فى أحكام دينهم

و كانوا يعتبرونه معمولا به أصبحوا الآن لا يسيرون عليـه ، و المسائل التى هى مذكورة فى كتب الفقه و الفتاوى اختلطت بعضها ببعض من أجل الروايات الضعيفة و الأقوال المختلف فيها ، كما أنها لا تتركز فى كتاب فقهى واحد ، الوضع الذى أدى إلى قلة العلم وضيق الأفق فى هذه المسائل، فلا فقيه يعتبر مرجعا فى فنه و لا أحد يستطيع أن يدرك الحق الصريح ويستنبط المسألة وفق ما عليه الفتوى ، و لا شك فان الله سبحانه وتعالى ألهم أورنك زيب عالمكير أن يقوم بأداء هذه المهمة بمساعدة ذوى الأفكار النيرة و البصائر النافذة من علماء الفقه وجهودهم الاجتماعية، و أن يركز اهتمامه على الذخائر الفقهية الموثوق بهـا التى تجمعت فى مكتبته الخاصة ، و ذلك لكى يتمكن علماء الفقه هؤلاء من تأدية خدمة التدوين والتأليف بغاية من التدقيق والتحقيق، و يحصروا جميع كتب الفقه ومصادره إلى آخر قطرة حتى يعدوا كتابا جامعا شاملا يحتوى على المسائل التى عليها الفتوى لكى يستغنى القضـاة و أصحاب الفتاوى عن تتبع ذخائر الفقه المختلفة و التنقيب فيها .

و لا نجاز هذه المهمة الكبيرة ألف الملك أورنك زيب لجنة من كبار علمـاء الفقه والقانون وجعل رئيسها الشيخ نظام الدين الذى كان يجمع بين العلوم العقلية والنقلية، و قد شمر لهذا المشروع الجليل عن ساق الجد و أقبل على تدوين المسائل الفقهيـة التى تواجه المسلم فى حياته ، و اشتغلت جماعة العلماء و الفقهاء ممن كانوا موجودين فى دار الخلافة بهذا العمل العظيم، وأذيع الخبر إلى جميع أنحاء الهند بهذا المشروع العلمى رجاء أن يحضر كل من له شغف بالاسهام فى هذه الخدمة، وعين الملك لهؤلاء الناس رواتب وجيهة مقابل خدماتهم مع توفير كتب مهمة فى الفن من مكتبة الملك الخاصة به ، و أن هذا الكتاب ينفق على إعداده من مال الدولة ، و سوف يغنى وجود هذا الكتاب عن جميع كتب و مصادر الفقه الأخرى ، و ينال الملك على هـذه

الخدمة الجليلة مثوبة مستمرة فى الدنيا و الآخرة (١) .

و يقول الشيخ عبد الرحمن البحراوى الذى تولى طبع هذا الكتاب من المطبعة الكبرى ببولاق مصر فى عام ١٣١٠هـ وهو يشير إلى سبب تأليف هذا الكتاب :

« اعلم أن السبب فى تأليف هذا الكتاب المستطاب، السهل مأخذه للقضاة والمفتين و الطلاب ، الذى جمع فأوعى و أفرد فى بابه فلا ترى لمثله جمعا ، هو أن سلطان الهند المفخم و الخليفة القمقام الرئيس الأعظم محمد أورنك زيب عالمكير عليه رحمة المولى اللطيف الحبيب ، لما كانت همته مصروفة إلى أمور الدين و نشر الاحكام الشرعية بين العالمين، وأراد أن تكون حوادث الانام على موافقة المفتى به من مذهب أبى حنيفة و رأى أن ذلك فيه بعض تعسر لاختلاط غالب الكتب بالخلافيات و الروايات الضعيفة ، و ذلك موجب لقلة الضبط ، و إيقاع بعض القاصرين فى الخطأ و الخبط ، و قصد أن تكون الفروع المعتبرة المعتمدة مجموعا غالبها فى كتاب واحد ليسهل أخذها ودركها ومعرفة مظانها لكل قاصد ، أمر مشاهير الهند من العلماء الأعلام و جعل رئيسهم فى ذلك المولى الهمام الشيخ نظام الدين ، فعند ذلك شمروا عن ساعد الجد والاجتهاد، وأخلصوا نياتهم معتمدين على رب العباد ، فتتبعوا الكتب المطولة وغيرها من الكتب المعتبرة المحفوظة فى دار كتب السلطان المذكور ، وسعوا فى تحصيل مرامه حتى وفقهم الله تعالى لاتمامه على الوجه المسطور، فصار ما حصلوه كتابا جامعا مغنيا عما سواه ، حاويا للفروع الصحيحة المنقحة التى بلغت فى التحقيق منتهاه ، فبذلك استبانت المسالك للطالبين، وظهرت معالم الفقه للعالمين ، وسموه بالفتاوى العالمكيرية نسبة إلى السلطان عالمكير أسكنه الله تعالى فسيح الغرب ، حيث كان سببا

(١) عالمكير نامه (حياة عالمكير) ص ١٠٨٦-١٠٨٧ .

فى تحصيل هذا الخير العظيم، الذى به حصل للكافة النفع الجسيم، (١).

و يثنى مؤرخ الهند الاسلامى الكبير العلامة عبد الحى الحسنى (م١٣٤١هـ) صاحب « نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر » فى كتابه « الثقافة الاسلامية فى الهند » على هذه الموسوعة الفقهية الكبيرة، فيقول :

« أما الفتاوى العالمكيرية و يسمونها الفتاوى الهندية فهى من أجلها و أنفعها فى كثرة المسائل و سهولة العبارة وحل العقده و هى التى اشتهرت فى بلاد العرب و الشام و مصر القاهرة بالفتاوى الهندية ، و هى فى ستة مجلدات كبار ' أولها : الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيد المرسلين الخ ، رتبوها على ترتيب الهداية ، و اقتصروا فيها على ظاهر الرواية ، و لم يلتفتوا إلى النوادر إلا إذا لم يجدوا جواب المسألة فى ظاهر الرواية أو وجدوا جواب النوادر موسوما بعلامة الفتوى ، و نقلوا كل عبارة معزوة إلى كتابها و لم يغيروا إلالداعى ضرورة ، وإنى لم أزل شديد البحث و التطلب لذكر مصنفيها حتى عرفت أن السلطان أورنك زيب عالمكير التيمورى (أنار الله برهانه) ولى الشيخ نظام الدين البرهانفورى فى أوائل سلطنته تدوينها باستخدام الفقهاء الحنفية ، و بذل على تدوينها مأتى ألف روبية (٢)

و لا شك فان هذه المملة الفقهية لمن أعظم و أخصب مصادر الفقه الاسلامى ولا يمكن التغاضى عنه لمن يتصدى للبحث و الدراسة لهذا الفن ، و يتوخى التوصل إلى منابع القانون الاسلامى لا سيما البحثين فى الفقه الاسلامى اليوم الذين يشتغلون بوضع موسوعات فقهية فانهم بألح حاجة إلى هـذا السفر العظيم . و كذلك الدول والمؤسسات الاسلامية التى تعنى بموضوع الفقه الاسلامى وتبحث فى الدستور الاسلامى اليوم لا تستطيع الاستغناء عنه فى أى حال .

---

(١) مقدمة الطبعة الثانية طبع مصر ص ٢.

(٢) الثقافة الاسلامية فى الهند ص ١١٠ .

و قد صدرت لهذا الكتاب الكبير طبعات عديدة ، فالطبعة الأولى فى الهند والطبعة الثانية فى مصر، عام ١٣١٠هـ اهتم بها الشيخ عبد الرحمن البحراوى وأصدرها من المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق .

و قد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية العلامة عبد الله الروى المعروف بجلپی بأمر من الملك أورنك زيب نفسه، إنه قدم الهند فى أيام شاهجهان والد الملك أورنك زيب ، و كان عنده موظفا فى البلاط ، و له مؤلفات عديدة سوى هذه الترجمة .

كما قد شرح باللغة الفارسية جزءاً من هذا الكتاب مما يتعلق بكتاب الجنايات قاضى القضاة الشيخ نجم الدين على الكاكوروى (م ١٢٢٩هـ) وهو شرح مفصل جيل ، و ذلك فى بداية القرن الثالث عشر .

أما الترجمة الأردية للكتاب فهى للعلامة السيد أمير على المليح آبادى ، وهو من رجال القرن الرابع عشر ، و كانت له علاقة إلى مدة بندوة العلماء و رجالها .

ورغم أن الكتاب قد مر عليه أكثر من ثلاثة قرون ولكنه لم يفقد طراوته ولا جدته بل هو لا يزال إلى اليوم مرجع العلماء و الفقهاء و مصدر الفقه الاسلامى كما كان فى يومه الأول و هو حاجة أكيدة لكل من أراد أن يدرس الفقه الاسلامى و يطلع على مزاياه العظيمة و زواياه المكنونة ، و يتوسع فى دراسة هذا الفن و يحرز فيه قصب السبق .

و نحن إذ نرى أن إقبال الناس حكومات و شعوبا تزايد على دراسة الفقه و القانون الاسلامى و هم يتوخون إبراز النواحى اللامعة للدستور الاسلامى و وضعه على المستوى العالمى من جديد نلفت أنظارهم إلى هذه المعلمة الفقهية عسى أن يجدوا فيها عونا غاليا و مدداً كبيرا لما هم فيه الآن .

إنما يرجى الثواب للمحسن ويخاف العقاب على المسئ

بقلم دكتور/ محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الاسلامية » الرياض

إن كل مؤمن متشبع بعقيدة الاسلام، و منهجى التشريع فيه كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ، يحز فى نفسه ما يقرأ أو يسمع فى بعض الصحف، ومن بعض الأقلام التى تقول على الله بغير الحق.

فلقد ضعف الفكر الاسلامى، وتأثر بعض شباب المسلمين بآراء وافدة تتناقص مع منهج الاسلام و أوامره و نواهيه، بحيث أصبح كل يدخل الميدان و لا يجد من يردعه و لا يعدم من يقرأ بعضاً من صحف تصدر فى العالم الاسلامى بصفة خاصة أن يجد فيها ما يسئ و يؤلم.

يسئ للدين لأنه تحدث عنه و باسمه من يجهله، و يؤلم لأن فى هـذا خوضاً بغير ما أنزل الله. أقول هذا متأملا بعد ما قرأت نموذجاً من هـذا الخوض فى «جريدة أكتوبر» المصرية فقد كتب محمد قابيل عودين عن فائزة أحمد المغنية المصرية التى ماتت.

ورغم ما فى كلامه من جرأة على الله، وتوزيع لجزائه جل وعلا الأخروى بغير حساب، وعلى من يتفق مع هوى الكاتب و مزاجه، و كأن عنده علماً فى ذلك لم يعطه الأنبياء قبله.

فيكفى أن نقرأ سوياً هذه الجملة من مقالته. و التى هو حسب النص: «وتكفى واحدة منها - أى من أغانيها - هى أغنية ست الحبايب التى كتبها الشاعر حسين

السيد ولحنها الموسيقار محمد عبد الوهاب وغنتها فائزة منذ أكثر من عشرين سنة ، هذه الأغنية وحدها تكفى أن تدخل فائزة الجنة بغير حساب » . انتهى كلامه.

و السؤال الذى يطرح نفسه، هل لدى الكاتب علم عمن يدخل الجنة و بدون حساب غير ما جاء فى كتاب الله وعلمنا إياه رسول الله ﷺ ، و ما تحدث عنه سلف هذه الأمة الذين تورعوا (رحمهم الله) عن القول فى مثل هذا بغير علم .

أم أن هذا رأى لدى الكاتب استقى من جذور الكنيسة وصكوك الغفران التى توزع على من يدفع الثمن من باب إضلال الناس ، و التمويه عليهم.

و من هنا ما دام اسم الكاتب يدل على أنه من عائلة مسلمة . لأنه قد جرى العرف فى بعض البلاد الاسلامية أن يعرف القوم انتماءاً و عقائدياً بأسمائهم ،

نقول إن المناقشة وإيراد بعض النصوص فيما نحن بصدده أجدى لمن يريد العودة إلى الحق ، والاستيضاح من الحقيقة ، لأن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها ، وفى هذا استرجاع بالذاكرة إلى ضرورة التشبع بالثقافة الاسلامية فى مثل هذه الأمور :

١ — هل قرأ الكاتب حديث عكاشة بن محصن رضى الله عنه الذى أخبر فيه ﷺ بأن سبعين ألفاً فى أمته يدخلون الجنة بلا حساب و لا عذاب ، و عند ما سئل من هم يا رسول الله؟ . قال : هم الذين لا يكوون و لا يكتوون و لا يتطيرون و على ربهم يتوكلون . وبعد أن سأل رجل آخر بعد عكاشة رسول ﷺ و هو من صحابته بأن يدعوله الرسول بأن يكون منهم؟ . قال : « سبقك بها عكاشة » .

فلم يقطع رسول الله ﷺ و هو الصادق المصدوق بأن هذا الرجل منهم ، مع ماله من شرف الصحبة ، و الأسبقية فى الاسلام ، مع أنه ﷺ له دعوة مستجابه عند ربه .

فكيف تجرأ هذا الكاتب و أعطى حكماً قاطعاً بادخال فائزة أحمد الجنة بغير حساب بأغنية رددتها منذ عشرين عاماً ؟ ؟ .

ذلك أن الغناء لم يكن وصفاً لمن يدخل الجنة بغير حساب حسبما قال النبي الكريم ﷺ فى حديث عكاشة بن محصن السالف جزء منه ، و فيما سيمر من أحاديث صحيحة .

و كان الأولى أن يدعو لها إذا كان يعــرف لها جوانب صالحة من باب اذكروا محاسن موتاكم .

٢ ـ ثم هل قرأ الكاتب حديث أبى هريرة رضى الله عنــه الذى ورد فى البخارى فى باب القصد و المداومة الذى قال فيه ﷺ : « لن ينجى أحداً منكم عمله . قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ . قال : ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته ، سددوا و قاربوا و اغدوا و روحوا وشئ من الدلجة والقصد تبلغوا » . فنه يعرف بعض أوصاف العمل الموصل لرحمة الله .

فالرسول الكريم الذى بعثه الله رحمة للعــالمين بشيراً و نذيراً ، نقرأ فى سيرته بأنه ﷺ يصوم حتى لا يكاد يفطر ، ويقضى الليل بالصلاة والتهجد ، و مع هذا يخاف من عدم النجاة إلا أن يتغمده الله برحمته .

لقد أوضح رسول الله ﷺ أن من مسببات رحمة الله الارتباط به جل وعلا و التوبة من الذنوب والمعاصى ، قال تعالى : « إن رحمة الله قريب من المحسنين » ذلك أن الجنة لن يدخلها أحد بعمله بل برحمة الله ، وإن مما يوجب رحمة الله المحافظة على شرائعه كما فى الحديث القدسى : « ما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى مما افترضته عليه ، و لا يزال عبــدى يتقرب إلى

بالنوافل حتى أحبه . . . » إلى آخر الحديث .

— وهل لدى الكاتب إلمام بأشياء من مواقف الاسلام حول هذا الموضوع وذلك فى مثل حالة الرجل الذى قال للنبى ﷺ : ادع الله بأن أكون رفيقك فى الجنة ؟ . فلم يقطع له ﷺ بذلك بل قال له : أعنى على نفسك بكثرة السجود ، و لم يقل له بأن عملا من أعمال الدنيا المحببة لدى البشر و مقاييسهم هو الطريق الموصل للجنة ، ذلك أن السجود يدل على كثرة الصلاة و الارتباط بالله جل و علا .

— وهل أدرك الكاتب قبل أن يتحدث ما تنطوى عليه أحاديث باب حفظ اللسان الواردة فى صحيح البخارى رحمه الله ، ودور الكلمة الملقاة بغير تمعن فى العقيدة ، فقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات ، و إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم » .

فقد رأى البخارى رحمه الله بأن مما يجب حفظ اللسان فيه ، النطق بما لا يسوغ شرعا مما لا حاجة للتكلم فيه ، ولا علم عنده بحقيقته .

ذلك أن المسلم إذا لم ينطق إلا بخير يسلم من الزلل و الموبقات ، و قد قال ابن بطال فى هذا الحديث : إن أعظم البلاء على المرء فى الدنيا لسانه و فرجه فمن وقى شرهما وقى أعظم الشر .

٥ — ثم أيضاً هل لدى الكاتب علم بعقيدة أهل السنة من السلف عن الخوض فى مثل هذا الموضوع ، ولنأت بنموذج واحد منهم ، ليعرف رأيهم ، فهذا أبو العز الحنفى شارح الطحاوية يقول : قوله : « ولا ننزل أحداً منهم جنة ولا ناراً » ، يريد أننا لا نقول عن أحد معين من أهل القبلة أنه من أهل الجنة أو من

أهل النار ، إلا من أخبر الصادق المصدوق ﷺ أنه من أهل الجنة المبشرين بها رضى الله عنهم . و إن كنا نقول إنه لا بد أن يدخل النار من أهل الكبائر من شاء الله إدخاله ثم يخرج منهم بشفاعة الشافعين ، و لكنا نقف فى الشخص المعين فلا نشهد له بجنة ولا نار ، إلا عن علم ، لأن الحقيقة باطنة ، و ما مات عليه لا نحيط به علماً ، لكن نرجو للمحسنين ونخاف على المسيئين [ص ٤٢٦] .

٦ — ثم هل لدى الكاتب أيضاً معرفة برأى السلف فى الشهادة بالجنة فقد كان لهم فى ذلك ثلاثة أمور :

أحدها : ألا يشهد لأحد إلا للأنبياء ، وهذا ينقل عن محمد بن الحنفية والأوزاعى .

الثانى : أنه يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه النص و هذا قول كثير من العلماء و أهل الحديث .

الثالث : أنه يشهد بالجنه لهؤلاء و لمن شهد لهم المؤمنون كما فى الصحيحين أنه مر بجنازة فأثنوا عليها بخير ، فقال النبى ﷺ وجبت ، و مر بأخرى فأثنى عليها بشر ، فقال : وجبت ، وفى رواية ، كرر : وجبت ثلاث مرات ، فقال عمر : يا رسول الله ما وجبت ؟ فقال رسول الله ﷺ : هذا أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة ، و هذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار ، أنتم شهداء الله فى الأرض » .

و قال ﷺ : توشكون أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار ، قالوا : بم يارسول الله ؟ قال : بالثناء الحسن ، والثناء السئ ، أخرجه ابن ماجة (٤٢٢١) و أحمد (٤١٦/٣ ، ٤٤٦/٦)

قال فى الزوائد : إسناده صحيح رجاله ثقات : فأخبر أن ذلك مما يعلم به أهل الجنة و أهل النار . [شرح الطحاوية ص ٤٢٧]

٧ ـ ثم أيضاً هل حكم الكاتب هذا جاء من منطلق حديث رسول الله ﷺ الذى جاء فى صحيح مسلم فى كتاب الايمان عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : دلنى على عمل أعمله يدنينى من الجنة و يباعدنى من النار ؟ قال رسول الله ﷺ : « تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، و تقيم الصلاة ، و تؤتى الزكاة ، و تصوم رمضان ، و تصل ذا رحمك » فلما أدبر قال رسول الله ﷺ : إن تمسك بما أمر به دخل الجنة » .

و لم يذكر رسول الله ﷺ الحج لأنه سأله و هما فى عرفات كما قال الشارح : أم أنه حكم أطلقه جزافا بغير علم و لا فهم ، نعوذ بالله من الجرأة عليه و على إرادته سبحانه و تعالى بغير علم و لا فهم .

هذا إلى جانب أشياء كثيرة جاءت فى الدلالة بعدم القطع بأن الجنة أو النار يستحقهما أحد من البشر ، لأن الأعمال لا يعلم صدقها و جزاءها و نية صاحبها إلا الله جلت قدرته .

كما أن الكلام بغير علم و دراية ، مما يجر الانسان إلى المزالق ، و يوقعه فى المهلكات والعثرات الكثيرة ، مما ضرره أكثر من نفعه ، فكم كلمة قالت لصاحبها دعنى .

إن عثرة اللسان أنكى من عثرة القدم ، و لقد بلغ من جرأة أصحاب الكلام فى العصور المختلفة فى عصر صدر الاسلام و قبله و بعده ، إلى أن قالوا على الله و على رسوله محمد ﷺ ، و على أنبياء الله عموما و الملائكة كلاما لم ينزل الله به من سلطان .

و لقد أبان الله جل و علا نماذج من مقالات اليهود باعتبارهم متخذين من الجدل والحجاج مطية سهلة للوصول لمآربهم فى مثل قولهم فى تضليل الناس : « نحن أبناء الله و أحباؤه » ، « لن تمسنا النار إلا أياما معدودات » ، « و قالت اليهود يد الله مغلولة » « إن الله فقير و نحن أغنياء » .

فكذبهم القرآن الكريم فى الرد عليهم، وأوضح أن ذلك محصى عليهم سيسألون عنه يوم القيامة ، و فى هذا العصر فى الوقت الذى نرى المذاهب الهدامة المتعددة تأتى إلى مجتمع المسلمين وافدة من الشرق أو الغرب ، و تغزوهم بواسطة أبنائهم الذاهبين إلى تلك الديار ، و المتشبعين بأفكار بعض أبنائها ، ممن لا يدينون بعقيدة الاسلام ، ولا يؤمنون بوحدانية الله .

فاننا نريد من أفراد المجتمع الاسلامى التصدى لتلك الآراء الوافدة ، و صرف الجهود لمعرفة ما يجب أن يكون عليه المرء فى الاسلام من عقيدة ، وما دوره الريادى فى تمكين هذه العقيدة من النفوس .

كما أن عليه التشبع بالعلم النافع فلا يكتب قلمه فكراً وافداً ، ولا يتجرأ لسانه بغير ما أنزل الله ، ولا تتجه حواسه إلى فكر أو علم يغاير ما يأمر به كتاب الله و سنة رسوله ﷺ الصحيحة . و لا يتأثر بأى ثقافات واحدة و متغايرة مع منهج الاسلام، ذلك أن الكلمة مقيدة ، و القول محصى ، فما جرة القلم إلا قول ينبق عن مكنونات النفس ، و عقيدة المرء وفكره .

فاذا أدركنا جميعاً ما تعنيه الآية الكريمة : «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » ، فى حصاء و رصد كل ما يتلفظ به الانسان ، وجزاء العمل الأخروى ، و منه القول فى قوله تعالى : « و وجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً » .

فاننا لاشك سندرك دورنا فى التصدى للأفكار و الكلمات التى يحاول الأعداء إنفاذها للمجتمع الاسلامى لافساده، ومن ثم التغلب على المسلمين باغتنام نقاط الضعف فيهم بابعادهم عن دينهم ، و صدهم عن تعاليمه وثقافته .

ذلك أن كل فرد منا معاشر المسلمين يجب أن يكون جندياً يحرس قطاعا من مجتمع الأمة ، و ليحرص بألا ينفر العدو من شياطين الجن و شياطين الانس من

جانبه ، و ألا يعمى على الجماهير و عامة الأمة بالقول الجزاف ، فاذا جهل حكماً فليسأل أهل العلم عما يجهل حتى لا تزل قدم بعد ثبوتها ، فيذوق المجتمع بأمره السوء و الويلات بما كسبت أيدى الناس .

ونصيحتين إلى هذا الكاتب ومن على شاكلته : التوبة إلى الله ، وحفظ اللسان و القلم عن الشطحات ، و تسخير القلم فى التوجيه السليم للنفس و للأمة ، لأن المسلمين فى كل مكان يعيشون ظروفا صعبة نتيجة البعد عن دين الله ، حيث تسلط العدو ، و تسللوا من كل مكان للمجتمع الاسلامى .

و الله نسأل السلامة و المعافاة من فلتات اللسان ومزالق الهوى ، و القول على الله بغير علم ، فقد كان من وصية رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل بأن يكف عليه هذا ، وأمسك بلسانه ، فقال معاذ يا رسول الله : أنحن مؤاخذون بما نقول؟ فقال ﷺ : ثكلتك أمك يا معاذ : و هل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم أو قال على مناخرهم » .

ذلك أن مسؤلية الكلمة كبيرة ، و دورها له تأثير إيجابى أو سلبى ...

والله هو حسبنا و نعم الوكيل ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ●

★★★★★★

... المسلمون فى اوستراليـــا

الأستاذ خليل الشـامى

أوستراليا تجمع أكثر من ١١٢ جنسية على أرضها، تحتل الجالية الانكليزية أكثر من ٥٠ بالمائة من عدد السكان .

تأتى الجالية اليونانية و الايطالية فى المرتبة الثانية ، و تأتى الجالية الاسلاميـــة فى المرتبة السادسة .

عدد سكان أوستراليا حوالى ١٦ مليونا، يمثل المسلمون الدين الثانى فى أوستراليا بعد المسحية ، يتراوح عدد المسلمين فى أوستراليا ما بين ١٥٠/ إلى ٢٠٠ ألف مسلم .

تحتل سدنى (Sydney) فى ولاية N. S W المرتبة الأولى فى المسلمين حيث تمثل حوالى ٤٠ بالمائة من المسلمين ، و تحتل مدينة Mel Borne فى ولاية فكتوريا Victoray المرتبة الثانية حيث يسكن حوالى ٣٠ بالمائة من المسلـين فى هذه المدينة و بقية المسلمين يتوزعون فى بقية المدن الرئيسية فى أوستراليا .

نظام الحكم :

نظام الحـكم فى أوستراليا (غربى) ديمقراطى فدرالى ، حيث ينتخب المواطن ممثلا عنه للبرلمان الفدرالى وممثلا عنه فى حكومة الولاية، وممثلا عنه فى المجلس البلدى .

الحـكومة الفدرالية تشرف على نظام الدفاع و الخارجية ، و تشارك حكومة الولاية فى الاشراف على نظام التعليم فتقوم بتأمين فرص العمل ، أو دفع بدل للعاطلين عن العمل ، كما تدفع رواتب مالية للمرضى ، و للذين بلغوا الشيخوخة ، و للأرامل

و الأيتام ، و المطلقات ، و فى أى حالة يتعرض فيها المواطن الأوسترالى لوضع اجتماعى يحتاج فيه لمساعدة مادية أو معونة .

و حكومة الولاية تساعد أيضاً فى إيجاد فرص العمل و تسهر على الشباب و الشيوخ و الأطفال والنساء ، وتساهم فى تسهيل الأمور القضائية والعمالية ومشاكل الشباب و المخدرات فى السجون و خلاف ذلك ، و المجلس البلدى أيضاً يساهم فى مجال إيجاد نوادى و مراكز اجتماعية لجميع فئات الشعب ، خصوصاً الناحية الصحية فى المناطق التى يوجد فيها المجلس البلدى .

المسلمون فى أوستراليا :

منذ ١٥٠ عاما تقريباً حضر إلى أوستراليا مجموع من المسلمين الأفغان ، ليعملوا فى قيادة الجمال عبر صحراء أوستراليا ، و لقد أقام الأفغان عدة مراكز إسلامية فى عدة مدن أوستراليا ، لا تزال قائمة حتى الآن ... ولكن المسلمين الأفغان لم يفكروا أو يخططوا للمستقبل خصوصاً من ناحية أطفالهم .

لذلك ضاعت الأجيال المتعاقبة على الرعيل الأول واندثرت و ذابت فى المجتمع الأسترالى ، ولم يبق من آثارها إلا المساجد ... (أما) عمار المساجد فقد ضاعوا ، كما ضاعت الأندلس ، و كما تضيع فلسطين أمام سمع و بصر العالم الاسلامى بكامله ، و هكذا خسر المسلمون أجيالهم لمجتمع غريب .

أما مسلمو اليوم فهم أحسن حظاً من السابقين و إن كان خطر الذوبان فى المجتمع لا يزال قائماً ، و إن لم يكن فى نفس القوة السابقة و لكنه موجود ، و متحفز و مستعد لابتلاع الشباب المسلم كما ابتلع الأفغان فى السابقة .

تنقسم الجالية الاسلامية إلى ٣ فرق : (١) المتدينون (٢) المتحللون (٣) و المتوسطون .. ما بين هذا و ذاك .

فى الفترة ما بين ١٩٥٠م إلى ١٩٧٠م كان نشاط المتدينين يكاد ينحصر فى الدعوة ضمن المساجد و المراكز الاسلامية و ضمن حدود ضيقة بالرغم من الحرية المتاحة لهم باستعمال كل وسائل الدعاية لدعوتهم ، و لكن فقدان القيادة الاسلامية الواعية المخططة وانشغال أبناء الجالية فى أمورهم المعاشية ، أثر على إيجاد تيار إسلامى واضح و صريح ، و بالرغم من كل الصعوبات فقد استطاعت هذه الفئة أن تساهم فى إقامة عدة مساجد و مراكز إسلامية ، ذات أهمية مستقبلة باهرة و فى ١٩٧٦-٧٧ حضر إلى أوستراليا ١٢ ألف مسلم لبنانى بسبب الحرب الأهلية فى لبنان، وحيث إن الحرب الأهلية فى لبنان كان من أهم أسبابها دوافع طائفية لذلك جاءت هذه الدفعة من المهاجرين مشبعة بالروح الدينية ، و عندها موقف محدد من نصارى لبنان ...... لذلك قويت الفرقة الدينية فى أوستراليا و أصبحت ظاهرة التدين واضحة ، وبدأت الملابس الاسلامية و الحجاب الاسلامى و الزى الاسلامى بشكل عام يأخذ طريقه بصورة واضحة و ملموسة و بارزة فى الأماكن التى يعيش فيها المسلمون ، ولا شك أن وجود المراكز الاسلامية و المساجد ساهم كثيراً فى رفع هذه الظاهرة .

و الفرقة الثانية (المتحللون) :

و ليس كلمة متحلل ترمز إلى الكفر ... بل هى كلمة تعنى أولئك الذين بهرت أبصارهم المدنية الغربية المتحللة من القيم الأخلاقية ، فانطلقوا فى مسار الشيطان ينهلون من كل لذة و لا يعبأون بالمعاصى و باتوا متحللين من عرى الاسلام إلا ... بالرمز أو الاسم أحياناً ، و أغلب هذه الفئة خسرناها و خسرنا أعقابها .

أما الفرقة الثالثة المتوسطة (بين هذا وذاك) فهم الأكثر عددا فى الجالية الاسلامية و مرجع السبب إلى عدة عوامل ، أهمها صنف من الناس يقوم بواجباته الدينية هناك، وينظر إلى الاسلام كدين تعبدى خال من أى نظام سياسى أو اقتصادى

يضاف إلى هذا الصنف صنف آخر من الناس (يخاف) من العمل السياسى فى الاسلام ، و يضرب بذلك مثلا مما جرى و يجرى للحركات الاسلامية فى العالم الاسلامى ، من ضغط و إرهاب و تقتيل ، و تعذيب و تهجير ... مما جعل الأرض المسلمة محرمة و غير آمنة لهذا الفريق من الناس أو حتى لعائلاتهم .

كما ينضم إلى هذا الفريق صنف آخر من الناس هم أولئك الذين يقولون ... و لا يفعلون ، تلك الفئة الطفيلية التى تتكلم عن الاسلام فتشعر أن الاسلام وصل القمة عند هؤلاء ، و إذا أقيم الأذان ونودى للصلاة تراهم لا يتحركون عن مقاعدهم كما يضاف فئة التجار و أصحاب الأعمال الذين يقومون بأداء الأمور التعبدية ، ولكن ليس لديهم وقت للعمل الاسلامى .

المسلمون و الحرف :

٨٠ بالمائة من المهاجرين يعملون فى المصانع ويتوزع العشرون من المائة الباقية ما بين أطباء و مهندسين و أصحاب أعمال و محاضرين .

و البطالة بين المسلمين اللبنانيين هى أعلى نسبة بطالة للعمال فى أوستراليا ، و ذلك بسبب اللغة ، و التدريب على النشاط الاجتماعى .

يكاد يكون النشاط الاجتماعى محصوراً فى المناسبات الدينية وحفلات الزواج ، و قد تذهب إلى إقامة احتفال دينى فى أحد النوادى وتعرض بعض الوثائق الاسلامية فقط ، و لا يوجد فى كل أوستراليا مركز إسلامى لرعاية الطفل و لا مكان لتجمع النساء ... ولا مكان لتجمع الشيوخ ، ولا توجد أى مواد ترفيهية للمجتمع المسلم تقريباً .

والأوضاع العائلية (قانون العائلة) لا يناسب مع مقومات الدين الاسلامى ، و ينتج عند ذلك مآس كثيرة ، فحكم الطلاق (بيد القاضى) فى أوستراليا و فى حال عدم حضور الزوج تطلق المرأة (قانونياً) حسب القانون الأوسترالى ، ولكن

حيث إن الزوج لم يقل كلمة الطلاق فلا تستطيع المرأة الزواج مرة ثانية طبقاً للشريعة الاســلامية ، و يمكنها أن تتزوج قانونياً ، و لكن نساءنا المسلمات من الصعب أن يتزوجن خارج إطار الاسلام ،

كذلك المرأة هنا تأخذ نصف ما يملك زوجها من أموال وعقارات ، إلى جانب حصولها ، على حضانة الأطفال ، و القانون فى أوستراليا يعطيها حق الحضانة ، حتى لو تزوجن من رجل آخر ، و الطلاق لا يمكن أن يحصل بين رجل و امرأة ، فى أقل من عام كامل حتى يحصل أحد الطرفين على الطلاق ، و خلال العام (فترة الانتظار) يطلب أحد ناصحى الزواج ، و هو بالطبع (مسيحى) حيث لا يوجد حتى الآن و لا موظف (ناصح الزواج) من المسلمين يطلب من الزوجين الحضور أمامه لنصحهما لعلهما يعودان بعضهم إلى البعض .

النشاط السياسى :

أما النشاط السياسى و الوزن السياسى للمسلمين فلا وجود له حتى الآن ، ففى مناطق المسلمين حيث تبلغ الكثافة السكنية لحوالى ٣٠ /٣٥ ألف مسلم لا يوجد أى ممثل للمسلمين لا فى المجلس الفيــدرالى و لا فى مجلس الولاية ، و لا حتى فى المجلس البلدى ، حيث لا يحتاج عضو المجلس البلدى أكثر من ١٠ عشرة آلاف صوت ، لا يوجد ممثل للمسلمين فى المجلس .

خاتمـــة :

و من أهم المشاكل التى تتعرض لها المجتمع الاسلامى ، هو زواج غير المسلم بالمسيحية وغير المسلمة بالمسلم ، وذلك بسبب انعدم النشاط الاجتماعى ، ولابد من أن تذكر أن هذه الصورة التى لا تعطى صورة مشرقة براقة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية و السياسية ، فان هناك عملا دؤوبا لتلافى النقص والعمل بسرعة لتغطية هذه العوامل

الملحة ، فان هناك نشاطاً دينياً واضحاً ، فالمراكز الاسلامية تبذل جهداً ملحوظاً فى تغطية الخدمات الاجتماعية ضمن امكانياتها المحدودة .. كما أن الجالية الاسلامية أصبح لديها أول مدرسة إسلامية فى مدينـة ملبورن (Melborne) و هناك مشروع مدرسة جديدة فى سدنى Sadney .

كما .. أن المجالس الاسلامية فى كل الولايات تقوم بتدريس مبـادىء الدين الاسلامى فى المدارس الحكومية مرة فى الأسبوع و تقوم الجالية الاسلاميـة بتعليم الدين و اللغة العربية ،و الحكومة الأوستراليه تساعد فى فتح المدارس مجانا فى العطل الاسبوعية . و فى أوقات بعض الدوام لمن يرغب فى تعليم أبناء جاليته لغة قومـه ، وتدفع الحكومة الفدرالية مبلغ ٣٠ دولاراً سنوياً مساعدة عن كل تلميذ للمؤسسة التى تقوم بتدريس لغة الجالية (الأم) .

كما أن الجالية الاسلامية بدأت تشعر بواقعها .. وهناك خطط مستقبليـة تبشر بالخير إن شاء الله .

وختاماً نسأله الله أن يهدينا سبلنا فى تحقيق كلمة الله فى أنفسنا . و أن نورثها لأعقابنا ..

و الله لايضيع أجر العامين . — و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

★

تسخير الفضاء و تدمير الأرض

واضح رشيد الندوى

نشرت الصحف باهتمام أخبار الرحلة السوفيتية إلى الفضاء، التى اشترك فيها للمرة الأولى هنـــدى و نال شرف الانتساب إلى قافلة رجال الفضاء، و كان من الطبيعى أن تحظى هذه الرحلة باهتمام الهنود أكثر من اهتمامهم بالرحلات السابقة، فنقلت الصحف الهندية كل حركات رجل الفضاء الهندى و سكناته و تجـاربه ، و تمرينـاته البدنية اليوغية الهندية ، وتحدثت رئيسة وزراء الهند معه ، وأجرى الصحفيون الهنود مقابلة صحفية عن طريق محطة موسكو، وكان من الطبيعى أن يلاحظ فى الأسئلة والأجوبة نوع من التضارب وعدم التنسيق ، لأنهم كانوا يخاطبون شخصا فى الفضاء وهو يدور حول الأرض محصورا فى جهاز آلى لا يملك حرية ولا حرية التعبير ويجرى الكلام بواسطة مراقبة فى موسكو . فماذا يسئلونه ؟ هل يسئلونه عن الأرض، أم عن الهند ، أم عن الفضاء ، أو عن مختلجات قلبه ومشاعره، أم عن رفيقيه اللذين يرافقانه ، كان السـائل فى واد ، والمجيب فى واد ، والرقيب بالمرصاد ، فكـيف يتطـابق السؤال و الجواب . ولذلك ظهر شئ من التناقض ، أو عدم التطابق فى بعض الأجوبة ، وقد تكون المحطة الأرضية التى كانت تنقل هذا الحوار فى موسكو تقوم بعمل الرقابة . لأن الكلام العادى و الحيـاة العادية فى الاتحاد السوفيتى لا تنجو من سيطرة الرقابة ، أو عمل المقص ، فكيف كان يمكن أن ينقل كلام الفضاء بدون رقابة .

و على أى حال كان الاتصال برجل الفضاء مدهشاً فى الهنـــد لأن الاتصال بالهاتف فى داخل البلد و أحياناً فى مدينة واحدة بين الجيران قد أصبح غير مأمون و مؤكد هذه الأيام ، و بينما كان العالم يصفق و يهتف لهذا الانتصار العظيم الذى

حققه الاتحاد السوفيتى ، و ينتظر نتائج تجارب هذه الرحلة الفضائية و ما تضيفه إلى المعرفة، وبينما كانت الصحافة تنوه بمكاسب هذه الرحلة ودور الفضائى الهندى الأول فى نجاح الرحلة ، ورد خبر صغير فى أعمدة الصحف الهندية عن رحلة النحل إلى الفضاء على متن المكوك الأمريكى شالنجر ولم تعر الصحافة هذه الرحلة باهتمام أكبر.

وجاء فى الخبر أن ثلاثة آلاف و ستمائة من النحل قد وجهت إلى الفضاء ، وعادت هذه الأسرة ، و لم تهلك فى الفضاء إلا ١٢٥ نحلة ، و قد كان يقدر هلاك ما بين خمسمائة و ستمائة منها، وتفيد الأخبار أن أميرة النحل قد أنجبت فى الفضاء ، و ستعتبر هذه مواليد الفضاء ، وتجرى تجارب عليها ، و ستكون هذه التجارب ذات قيمة علمية ، و طبية .

كانت روسيا أيضاً قد أرسلت إلى الفضاء كلباً ، ولو أنه لقى مصرعه . لكنه نال شرف الوصول إلى الفضاء ، و ضم اسمه إلى قائمة رواد الفضاء، و سترسل فى عهد من العهود الجراثيم و الحشرات ، لأنها ستؤدى إلى كشف مجالات جديدة من البحوث الطبية ، لأن الطب يقوم على علم الحشرات و الجراثيم و النبات و طبيعة الانسان ، و لكن كلما يتقدم العلم فى البحث عن آفاق جديدة تظهر آفاق جديدة لشقائه و يتدهور سلوكه بتعزز معرفتـه فبينما يتم الاتصال بالفضاء يتعسر الاتصال بالانسان على الأرض .

و فى وسط هذه الأخبار لتسخير الفضاء ، و إجراء تجارب علمية ذات المدى الواسع . ازداد الصراع على الأرض و تفاقم التناحر ، و قد صرحت اندىرا غاندى نفسها أنه من عجيب الصدف أن هنديا يحلق فى الفضاء و يجرى تجارب قيمة و فى الوقت نفسه تراق الدماء فى بعض أجزاء الهند ، بأيدى الهنود ، هذا هو التناقض بين مواقف الانسان ، إنه هو تناقض الحياة المعاصرة التى تقوم على المادية ، وحب الغلبة ،

«تناقض القيادات الفكرية»

لقد أصبح الانسان اليوم خطراً على بنى الجنس البشرى لأن حب الغلبة والقهر، و الاستمتاع بكل ما هو ميسر و ما ليس بميسر من متع الحياه، هو العنصر الغالب اليوم على غرائزه و دوافعه. فيسخر كل ما يحصل له من قوة وعلم لخدمة مصلحته الذاتية، و تسخير غيره من بنى الجنس البشرى : فلا يبنى كيانا إلا بهدم كيانات كثيرة، و لا يسعد إلا بوضع كثير من إخوته فى الشقاء.

إن أى موازنة بين المكاسب والخسائر بتقدم العلم والبحث والطب والصناعة، و مجالات العقل و الدراسة الأخرى تودى الباحث إلى أن أكثر نتائج هذه البحوث توجه إلى تدمير الجنس البشرى و تستخدم الوسائل المتوفرة فى مجالات الشقاء أكثر من إسعاد الانسان.

كان المحبون للانسانية يجهدون منذ زمان لمنع الدول المتقدمة من اختراع أسلحة مبيدة، و تكديس الأسلحة و توزيعها و لكن هذه الجهود لم تثمر، و على العكس ازداد الخطر، فقد كانت الدولة الوحيدة تملك أسلحة نووية و الآن تملك عدة دول، وأصبح لهم ناد نووى و يزداد العدد، و اكتشف اليوم ما هو أخطر من ذلك، و هو السلاح الكيمياوى الذى كثر استعماله اليوم، كانت المواثيق الدولية تدعو إلى عدم التدخل فى شؤون بلد آخر فازداد التدخل، و كانت تدعو إلى عـــدم استخدام القوة فازداد استخدام القوة.

إن اتجاه العلم و الصناعة اليوم يبدى بوضوح أن هدفه وغايته هو تبديد القوى البشرية، وإشقاؤها، و هو نتيجة حتمية لتمرد أصحاب العلم على نواميس الأخلاق، وانسلاخهم عن الطبيعة الانسانية، فقد جعلوا الحيوان موضوع دراستهم و تجاربهم، وطبقوا نتائج هذه البحوث على الانسان، فتغلبت الطبيعة الحيوانية، و الضراوة على

تفكيرهم و سلوكهم ، و أبرزوا الدوافع والمحركات البهيمية فى الانسان .

إن اتجاه العلم و التقدم الصناعى إلى تدمير الانسان أمر لا ينكره أحد ، و يثبت ذلك لكل باحث ، و أعرب عن هذا الخطر عدد من علماء الغرب ، و قد أجاب أحد رواد الفضاء أخيراً على سؤال عن الفضاء وتدخل القوى العالمية ، و تعكير جوه بالتنافس ، و ادخال الأسلحة الفتاكة فيه ، فقال : إن الأرض أجمل إذا نجت من تدمير العلم الحديث . و تبديدها بيد الانسان نفسه الذى يملك تلك القوة المبيدة .

و يفيد تقرير عن الوضع الدفاعى و الاجتماعى أن أكثر من ٤٥ مليون شخص يعانون من الجوع ، و المرض ، و أن ٣٠ طفلا يموتون كل دقيقة بسبب سوء التغذية ، وغلاء الأدوية ، وتبلغ النفقات العسكرية فى كل دقيقة ١،٣٠٠،٠٠٠ دولار ، و يكلف بناء غواصة نووية حديثة ما تكلفه ميزانية التعليم لحوالى ٢٣ / بلداً نامياً ، وتعليم ١٦٠ مليون طالب .

و يضيف التقرير قائلا بأن التوتر ازداد بصورة مخيفة رغم أجهزة الأمن و المواثيق الدولية ، و إن الدولتين الكبيرتين تكدسان أسلحة مبيدة لا نظير لها فى التاريخ ، و تقبل كل دولة على تلقى هذه الأسلحة مهما كلف ذلك من أثمان باهظة ، و منذ أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها . نشأت أكثر من عشر حروب ، و تتسع فجوة الخلافات و العناد و عدم التسامح الذى يؤدى إلى صراع ، و تتغلب طبيعة اللجوء إلى القوة فى العالم

و لا تنحصر هذه الحروب فى مجالات إقليمية بل تتضخم و تصبح سريعا حروبا عالمية ، و قد قتل فى هذه الحروب أكثر من ١٥ مليون شخص ، و من بينهم تسعة ملايين لاقوا مصرعهم من القنبلة الذرية التى ألقيت على هيروشيما .

إن نصف سكان العالم يخضعون للنظم العسكرية الاستبدادية ولا يعدل ما يصرف على الدفاع ما يصرف على التعليم و الرفاهية الاجتماعية، فان هناك لجوة هائلة بينهما.

أما الحالة الاقتصادية، فان أكثر من نصف سكان العالم أو ما يعدل ألفى مليون شخص، يعيشون على دخل أقل من خمسمائة درلار سنوياً، ويعانى ٤٥٠ مليون شخص من الجوع و الافلاس.

و بسبب هذه النفقات العسكرية الهائلة، و الحرص على الحصول على القوة، و الغلبة فوق مستوى الموارد، يزداد اعتماد الدول على الدول الكبرى و الخضوع لها، فتفقد هذه الدول حريتها. وسيادتها، و انقسم العالم إلى مستعمرات للدول الكبرى.

فماذا كسب الانسان إذاً من تقدم العلم والحضارة المعاصرة. إنه فى الحقيقة فقد الهدوء، و فقد الحرية، و فقد السلامة و الأمن، وفقد الثقة فى النفس، و يعانى من الجوع، و المرض و الجهالة و يواجه القتل والتدمير، والاحتلال.

رجعية التقدميين

عرف العالم المعاصر نوعا جديداً من التقدمية، ليس له مثيل فى التاريخ فان التقدم هو السير إلى الأمام، متصلا بالماضى، مرتبطاً به، ولكن الماضى كلمة نابية مردودة لدى التقدميين، لأن الماضى يلزمهم اختيار مثل و قيم، و تقاليد، ومناهج مقررة للعيشة و يلزم كذلك التمسك ببعض المبادىء، و ذلك الارتباط يعوق التقدم فى نظرهم، لأنهم لا يرغبون فى التقيد بالمبادىء والطرق المتبعة، ومن ثم كلمة الماضى كلمة منبوذة، يمجها ذوقهم، فينتقد كل تقدمى «الماضى» و ما يتصل بالماضى وكان مما يتصل بالماضى الأديان، و المثل والعادات الاجتماعية والأخلاق، فتلاقى لهذه المؤسسات بصفة خاصة ضربة قاسية من التقدميين.

و لكن الأمر الغريب، أنهم فى الوقت الذى يهاجمون فيه الماضى و ما يتصل بالعهد الماضى، يفتخرون بحضارات عاشت قبل آلاف السنين، و يعودون إلى تلك العهود الغابرة، عهود الغابات و الكهوف، و عهود الحياة القبلية التى لا تعد من عهود الحضارة بالمعنى الحديث، و ينسبون حياتهم إلى تلك العهود الغابرة، ويعتزون

بها ، و يحاولون إحياءها ، فيقطعون صلتهم بالماضى القريب ، و يربطون أنفسهم بالماضى السحيق و هو النوع الجديد للتقدمية .

هــذه تقدمية عبد الناصر ، و أنور السادات اللذين كانا يرددان انتماءهما إلى حضارة سبعة آلاف سنة ، حضـارة الفراعنة المستبدين ، الذين أفسدوا فى الأرض ، و قتلوا الناس ، و استعبدوهم و قهروهم و ساموهم الخسف و المهانة .

و هذه تقدمية البعثيين الذين ينسبون أنفسهم إلى ٤ آلاف سنة و يعتبرون العهد الاسلامى فترة أو مراحل من مراحل التقدم الحضارى العربى .

و كذلك تقدمية القوميين العرب الذين يرجعون أنفسهم إلى العهد الرومى ، الذى عاشوا فيه مستعبدين مقهورين .

و هـذه تقدمية الايرانيين الذين ينسبون أنفسهم إلى قيروش و أمثاله من الأباطرة الجبابرة ، الذين ملأوا الأرض فساداً و قهراً ، و طحنوا رعاياهم .

وهذه تقدمية الهنود القوميين الذين ينتسبون إلى عهد ما قبل التاريخ ويمجدونه .

و قد بدأت إندرا غاندى نفسها أخيراً تردد كلمة حضـارة ما قبل ألفى سنة ، وألفت كتابا عن الهند القديمة ، وكثرت هذه الأيام كتابات لاحياء كل ماحدث خلال ألفى سنة ، ويمجد ما حدث قبل ألفى سنة ، وكل من له علم بالتاريخ يعرف حضارة الهند قبل ألفى سنة ، قبل دخول المسلمين فى الهند. الذين أخرجوا الهند من الانعزال.

إنهـا رجعية التقدميين ، للتحرر من المبادىء و القيم و الأخلاق و الأديان ، لأن الحضارة الغابرة ، مدفونة و مغمورة ، و التمسك بها و الانتماء إليها لا يفرض مسئولية ، ولايحدد منهجاً للحياة ، ويدع الانتماء إلى الماضى السحيق مجالا واسعاً فسيحاً ، إما الانتساب إلى الماضى القريب حوالى ألف سنة ماضية ، فانه يفرض التمسك بمبادىء و قيم ، وفوق كل ذلك يتطلب الاعتراف بمجد الاسلام والمسلمين ، لأنه هو العهد الذى كانت السلطة الحقيقية فيه بأيدى المسلمين ، و لذلك يتحتم عـلى التقدميين أن يرفضوا ذلك و ينسلخوا منه .

رسالة من بورما

تعريب: محمد أكرم الندوى

سماحة الشيخ العلامة السيد أبي الحسن على الحسنى الندوى

(أطال الله بقاءه)

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

و بعد فنرجو أن تكونوا فى أحسن ما يرام من الصحة و العافية .

وإنما كتبنا هذه الرسالة إلى حضرتكم لاستلفات نظركم الى شؤن مسلمى بلد « أركان »

وتقع « أركان » فى غربى بورما ، وهى متاخمة لحدود بنجلا ديش يسكنها المسلمون والبوذيون ، و يبلغ عدد المسلمين فى شماليها نحو تسعة و تسعين فى المأة ، دخل الاسلام فيها قبل مأتين وألف سنة تقريباً ، وقد ارتحل إليها شجاع أخو الملك عالمكير أورنك زيب . ولا تزال قرية هنا تعرف باسم « شجاع دبا » (و « دبا » هى الجزيرة فى لغتهم) تقع فى شمالى « منجدو » شرقى نهر « ناف » ، و هذا النهر هو الفاصل بين بورما و بنجلاديش . و ظل مسلمو هذا البلد مستقيمين على دينهم ثابتين عليه ، و إن حبهم للدين هو الذى يدفعهم إلى القيام بالرحلات العلمية إلى المدارس و الجامعات خارج البلاد كدارالعلوم ديو بند و مظاهر العلوم بسهارنفور و مدرسة « شاهى » بمرادآباد و دار العلوم لندوة العلماء بلكناؤ ، و قد قام تلاميذ الشيخ العلامة السيد حسين أحمد المدنى وغيره من العلماء بتأسيس مدارس دينية عديدة فيها ، ولكن البوذيين يكرهون الاسلام و لا يرضون بأن يروا شجرة الاسلام مورقة مثمرة فانهم يعرضون المسلمين للظالم و الاعتداءات و الاضطهادات ، و لما كانوا هم المسيطرين على الجهاز الحكومى ومناصب الحكومة فانهم يلحقون بالمسلمين الأضرار الدينية والاقتصادية ، تارة يلقبونهم بالأجانب و يلقون عليهم القبض و يصادرون أملاكهم و أوقافهم ،

و قد حظروا المسلمين من التجول فى داخل البلاد إلا باذن من الحكومة و هذا ما ينص عليه القانون ، والحق أن المسلمين محظورون كلياً من التجول فى داخل البلاد .

ولعله لا يجهل أحد ثورة سنــة ١٩٧٨م التى أرغم فيها نحو ثلاث مأة ألف مسلم على الهجرة إلى بنغلاديش ، وقد هاجروا قبل ذلك عدة مرات إلى باكستان ، ولا تزال الصحف والجرائد تنشر نبأ لجوء مسلمى أركان إلى شوارع دلهى وميادينها ، و فى معظم بلدان العرب و العجم يعيش مسلمو أركان عيشة المتجولين الرحالين .

و فى سنة ١٩٤٢م حين نشبت الحرب بين بريطانيا و اليابان وكانت الفوضوية سائدة فى البلاد قام البوذيون بابادة ستين ألف مسلم تقريباً ثم بعث الحكام البريطانيون بقية المسلمين إلى رنجبور و غيرها من المدن .

تريد جمعية العلماء المركزية فى « روحانغيا » أن تنقذ المسلمين المضطهدين من فظائع حكومة بورما ، وتستخدم فى سبيل ذلك كل ما أمكنها من الوسائل مهما أدى ذلك إلى الجهاد و القتال ، و لأجل ذلك قامت الجمعية بتأليف جماعة مسلحة فى فبراير سنة ١٩٨٣م تقيم فى الجبال و تتجنب أى إقدام لافلاسها فى الوسائل المادية .

تريد الجمعية أن توثق علاقتها بكل حكومة عادلة ودولة عادلة مسلمة كانت أو غير مسلمة ، ونحن نلتمس من حضرتكم أن تشرفونا بمشوراتكم وتوجيهاتكم القيمة الرشيدة كما نلتمس أن تنشروا رسالتنا فى الصحف العربية و الأردية لتشرح أوضاعنا و تفضح مظالم حكومة بورما لكى يطلع العالم على ما تقوم به حكومة بورما من الاعتــداءات و الاضطهادات المستمرة نحو المسلمين ، و تتعرف الدول الاسلامية و خاصة الدول العربية على ما نجتازه من مراحل قاسية ، وقد طلبنا إدراج ذلك فى مذكرات رابطة العالم الاسلامى و لكن أعضاء الرابطة لم يولوا الموضوع عناية يستحقها .

★★★

أخبار اجتماعية و ثقافية

تململ الجنود السوفيات

ذكرت مجلة التضامن فى عددها رقم ٤٨ الصادر بتاريخ ١٩٨٤/٣/١٠م أن آثار الاحتلال السوفيتى لأفغانستان بدأت تنعكس سلباً على المواطنين السوفيت فقد ظهرت خلال الأسابيع الماضية فى الصحافة السوفيتية إشارات إلى أن حرب الاستنزاف التى تواجه السوفيت فى أفغانستان تؤدى إلى أزمة أخلاقية بين الجنود الشباب الذين يشعرون بعدم تقدير المواطنين السوفيت لما يفعلون ، وقد أفادت الأنباء الأخيرة أن عدداً من الجنود السوفيات انضموا إلى معسكرات المجاهدين و قد اعتنقوا بالاسلام.

جند الله أقوى من عربة الشيطان

الاحدب هو الاسم الذى يطلقه حلف الأطلسى على طائرة الهليوكبتر المسلحة السوفيتية (مى - ٢٤) التى تعتبر أحدث الطائرات من هذا النوع وأقواها تسليحاً و تكاد تشبه إلى حد كبير دبابة ثقلية طائرة .

وتقوم هذه الطائرات بالدور الرئيسى فى القتال ضد المجاهدين الأفغان واصطيادهم من مخابئهم الجبلية منذ العام الماضى و يطلق عليها المجاهدون اسم « عربة الشيطان » .

(الحوادث ١٩٨٤/٣/٢م)

فضيحة المحفل الماسونى فى إيطاليا

ذكرت مجلة التضامن عدد ٤٨ تاريخ ١٩٨٤/٣/١٠م أن فضيحة المحفل الماسونى فى إيطاليا ب ٢ كشفت أن الماسونية تعمل يداً بيد مع الصهيونية العالمية و أن التنسيق بينهما كامل و دقيق فى كل العمليات و التفاصيل ، الفضيحة كشفت عن العمليات المستمرة لتزويد إسرائيل بالأسلحة الفتاكة دون علم الحكومة الايطالية .

الاسلام يرعبهم

ما تزال العصابات الصهيونية الاسرائيلية تواصل هجماتها و عدوانها على قادة

الطلائع الاسلامية ، فقبل أيام وافق يوسف بورغ وزير الداخلية الاسرائيلية ،
تشكيل جيش اليهود الجديد فى الضفة الغربيـــة المحتلة و قد بعثوا برسائل تهديد للع
المسلمين باغتيالهم إذا لم يرفعوا أيديهم عن أعمال الوقف الاسلامى و الحرم القد،
و تم إكتشاف قنابل و متفجرات عـديدة فى مدارس طلابية و مساجد و د
للعبادة عديدة خاصة فى الآونة الأخيرة .

(القبس ١٩٨٤/٣/١١م)

• ٥٠ شخصية إسرائيلية فى زيارة رسمية للمغرب

يزور وفد إسرائيلى مؤلف من ٥٠ شخصية بينهم ثمانية نواب من الكنيسـ
المغرب فى ١٠ أيار المقبل و قد ذكـر أنه ستتم هناك لقاءات رسميـــة مع بعـ
الشخصيات الرسمية فى المغرب على مختلف المستويات .

(القبس ١٩٨٤/٣/٧م)

سماحة الشيخ العلامة الندوى فى زيارة للاردن

فى ٢٠/ رجب ١٤٠٤هـ — ٢٢/ أبريل ١٩٨٤ م غادر سماحة العلامـــة الشـ
أبو الحسن على الحسنى الندوى إلى الأردن للحضور فى الدورة السنوية للمجمع الملـ
لبحوث الحضارة الاسلاميــة (مؤسسة آل البيت) التى تعقـــد فى الفترة ما بـ
٢٣/ — ٢٨/ رجب ١٤٠٤هـ. وسيزور سماحته فى هذه المناسبة المملكة العربية السعود
و يقضى هناك أياماً فى الربوع المقدسة باذن الله تعالى.

و يرافقـــه فى هـــذه الرحلة الأستاذ محمد واضح رشيد الندوى رئيس تحر
جريدة الرائد الصادرة من جامعة ندوة العلماء ، و يرجى أن يعود سماحته إلى لكنـ
فى الأسبوع الثانى من شهر شعبان ١٤٠٤هـ باذن الله تعالى .

مشروع إعداد موسوعة القرآن الكريم

خطة هامة للاكاديمية الفرقانية ببنجلور (الهند)

لا يخفى على أصحاب الخبرة و المعرفة أن هذا العصر يمتاز بالعلوم الثقافات الجديدة التى لا مثيل لها فى العصور السالفة. ومع ذلك فقد اتسع نطاق المعارف لكل علم وفن ، حتى اضطر العلماء إلى أن يضعوا لكل علم وفن موسوعة خاصة، ليستطلع بها الباحثون عند ما يحتاجون إلى ذلك العلم بشأن من شؤنه بكل سهولة . و قد ألف و دون كثير من الموسوعات فى العصر الراهن حتى إن أهل الملل والنحل مثل اليهود و النصارى سبقوا إلى ذلك فوضعوا عشرات من الموسوعات لأديانهم وكتبهم المقدسة ، لتعريف خصائص مللهم ومعارفهم ، لتكون تلك المعارف خطة علمية مثالية لأفرادهم من ناحية ، و تكون مصادر و مراجع من ناحية أخرى .

و لكن المسلمين مع الأسف لم يوفقوا إلى إعداد أى موسوعة للقرآن الكريم حتى الآن ، و لم تقم بهذا الأمر الجليل مؤسسة من مؤسسات المسلمين . و هم متخلفون فى هذه الناحية ، و هذا من أسباب ضعف المسلمين أيضاً . والقرآن الكريم على رغم ما كان عظيماً و مهيمناً جامعاً لكل ما يحتاج إليه البشر ، ليس له موسوعة علمية أو دائرة معارف ، لينتفع بها الباحثون إذا احتاجوا إلى دراسة معارف القرآن الكريم من تاريخه و علومه و محتوياته و أعلامه و ما إلى ذلك فى ضوء البحوث العلمية والاكتشافات العصرية ، ليكون ذلك سبباً لتصديق ما فى هذا الكتاب العظيم فى عصر العلم ، و علامة لتفوقه على جميع الكتب السماوية الأخرى ، فإن الملة الاسلامية كلها مسؤلة عن الاعتناء بهذه الناحية المهمة، وقد بدأ الأستاذ شهاب الدين الندوى مشروع إعداد موسوعة القرآن الكريم متوكلا على الله تعالى . فنرجو من أصحاب الدين و الغيرة الاسلامية أن ينظروا إلى هذا المشروع الاسلامى العظيم بعين العطف و الاهتمام ، و أن يساعدوه بما يسعهم من المساعدات المادية أو بالكتب الاسلامية والعلمية وخاصة بما يتعلق بالتفسير والقرآن الكريم ، ولن يفوتهم الأجر إن شاء الله

عنوان الاتصال :
الأستاذ محمد شهاب الدين الندوى
الأمين العام للاكاديمية الفرقانية ورئيس تحرير مجلة : « نداء الفرقان » بنكلور (الهند)

HONES. 49747-42948 REGD. NO. LW/NP 59

Albaas-el-islami

NADWAT-UL-ULAMA, LUCKNOW. (INDIA)

صدر حديثاً :

المنهج الإسلامي السليم

: السيد محمد الحسني
منشئ مجلة « البعث الاسلامي »
و رئيس تحريرها سابقاً

تقديم

السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي

الناشر : دار القلم الكويت

قام بالطبع و النشر جميل أحمد الندوى فى مطبعة ندوة العلماء - رئيس التحرير : سعيد الأعظمى

شعارنا العودة إلى الإسلام من جديد

العدد الثاني ■ المجلد التاسع و العشرون ■ شوال ١٤٠٤هـ ■ يوليو ١٩٨٤م

البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

إلى حقيقة الإسلام

لقد أصبح كثير من المجتمعات الاسلامية صورة إسلامية وفقدت الحقيقة الاسلامية، إنما ندعو نفوسنا وأنا أحشر نفسي معكم، إنى أدعو نفسي وإياكم يا إخواني إلى التحلي بحقيقة الاسلام، حقيقة الاسلام التي تدعو إلى التوحيد الخالص، التي تدعو إلى أن لا يخاف المسلم أحداً فوق الأرض أو في الكون، حقيقة الاسلام التي تدعو إلى معرفة الله تبارك وتعالى، معرفة تحقر في عينه الدنيا و زخارفها ومظاهرها، حقيقة الاسلام التي تعلم إيثار الآخرة على الدنيا، حقيقة الاسلام التي تعلم الاستهانة بالزخارف والمظاهر، حقيقة الاسلام التي تنظر إلى متاع الدنيا كأنه متاع زائل، حقيقة الاسلام التي تدعو إلى شيء من التقشف في الحياة، حقيقة الاسلام التي تنكر البذخ والترف المدمر للأمم والشعوب الذي كان يعيشه الفرس والرومان.

تصدرها ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

عنصر الحب

إذا استعرضنا المجتمع الاسلامي في القرن الأول وجدناه مشرقاً بنور من الحب و الأخوة و السلام، و التاريخ الاسلامي حافل بأمثلة رائعة من هذه الناحية يندر نظيرها في تاريخ الأمم الأخرى، وإذا فكرنا اليوم في أحوال المسلمين و أمعنا النظر في الأوساط الدينية و الهيئات الاسلامية و استعرضنا هذه المشكلات، التي تعترض الركب الاسلامي في كل مكان رأينا أن السبب لذلك كله هو عدم العناية بالحب والاستهانة بأهميته في الدين الاسلامي وضرورته للمجتمع الانساني.

فليتخذ شبابنا المسلم شعاره الأول « الحب و الاخلاص » و مهمته الأولى إذاعة الحب بين الناس حتى تنجلي تلك الظلمات الكثيفة التي أحاطت بالمسلمين هذه الأيام، فهو حجر زاوية في بناء الاسلام، نادى به القرآن العظيم وندب إليه الرسول الكريم وعمل به المسلمون في القرون الأولى.

[محمد الحسني ـ رحمه الله]

المجلد التاسع و العشرون — العدد الثاني

شوال ١٤٠٤هـ — يوليو ١٩٨٤م

في هذا العدد

الافتتـــاحيـــة :

الركيزة الأولى و الأصيلة لحياة الروح

إذا كان العالم المادى يحتاج فى نموه المطرد وفى استمراره لأداء الوظائف التى خلق من أجلها، إلى غذاء مادى، ووسائل كافية من كل نوع، فكيف بعالم الروح الواسع الذى يشمل علاقة الانسان بكل شئ على أساس المصالح الأخروية السرمدية، فان عالم الروح هذا، الذى يغذى القلوب بدم خالص جديد ويوزع طاقاته المتجددة إلى جميع أعضائه و أجزائه، إن هذا العالم الواسع المدى لايستطيع أن يعيش فى غنى عن غذاء صالح فضلا عن القيام بوظيفته الضخمة. و مسؤليته المهمة التى تتعلق بها جميع قضايا الانسان فى العالم المادى، ولذلك فان الذين يستغنون عن التطلع إلى هذا العالم العظيم و التعلق بما فيه من الحوافز العملية نحو بناء الكون والانسان والحياة، إنما يخسرون منافذ مهمة للتوصل إلى الغايات النزيهة و التحلق فى الأجواء الفسيحة من الطهر و العفاف و الفضيلة، ذلك أن مستقبل الحياة المادية كذلك يتوقف على الاعتناء بالروح وتنمية الجوانب الغيبية التى تختفى وراء الروح العقائدية والايمانية.

أما الاحتواء المادى الخالص الذى يقوم على أساس خاو من الأغراض الرخيصة و الأرباح العاجلة فليس له ثبات و لا قرار، إنما هو كبناء أقيم من فوق الأرض دون استناد إلى قاعدة أساسية ثابتة فى أعماق الأرض، فيكفيه أن ينهار لمجرد هزة أرضية عادية، أو عاصفة خفيفة من الريح، ذلك هو بناء الحياة المادية الذى لايعتمد على أسباب متينة من القوة و الأصالة، و كأنه منى بسوء التغذية و قلة الاعتناء، كالشجرة التى لم تبذل فى غرسها عناية من اختيار التربة الصالحة و التعهد بالسقى وتغذيتها بالسماد والماء، فلا تقدر أن تنمو، وإذا نمت فلا تكاد تعدو الأشجار الضعيفة التى تنبت بنفسها فى كل وهاد و نجاد، هزيلة صغيرة لاتسمن ولا تغنى من جوع.

هكذا نستطيع أن نضرب أمثلة من الظواهر الكونية تحمل شواهد على أن الغذاء الصالح هو الركيزة الأولى لحياة الروح التى إذا نمت وزكت تكفلت بحياة الجسم و نموه ، ذلك الجسم الذى يكتسب القوة و النمو من هذه الروح التى إذا ضعفت أو ماتت يضعف الجسم و يموت من غير تأخير ، و إن عملية التغذية يجرى فى كل ظاهر و باطن من هذا الكون الذى نعيش فيه فهى قد تكون جارية على نواميسها الطبيعية فتزود مركزه بواد طيب غنى بالفيتامينات وقد ينحرف بها الطريق فتنكد ويصلد زندها ، فلا تأتى بخير ، وذلك هو الفرق بين الشجرة الطيبة والشجرة الخبيثة التى ضرب الله بها مثلا لكلمة طيبة وكلمة خبيثة ، يقول سبحانه « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت و فرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ، و يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون ، و مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار (سورة إبراهيم ٢٤ - ٢٥ - ٢٦) .

ولكى يعيش الانسان فى هذا الكون هادىء البال رخيى العيش قرير العين يفتقر الى أن يهتم بتغذية روحه و إنمائها بالأسباب الطبعية التى لا يتطرق إليها وهن و لا ضعف ، ولكن هناك ناساً كثيرين بل عالماً بأسره لا يقيم لهذه النقطة المهمة وزناً ، ذاك أنه يزن الأشياء بالموازين المادية ويقدر الأمور بالمقادير الزائفة ولا يرى إليها أهل هذا العالم المادى بعين الاعتبار الحقيقية ، فاذا هم يربحون شيئاً طفيفاً و يخسرون جوانب مهمة ، لها تأثيرها فى بناء مستقبل الحياة و هدمه ، ولقد صور القرآن الكريم أصحاب هذه النفسية فى إعجاز و إيجاز فقال « بل تؤثرون الحياة الدنيا و الآخرة خير و أبقى » .

ولم يترك الله سبحانه هذا النوع البشرى تائهاً ضائعاً فى أى جانب من جوانب العيش مهما كان تافها ، ولكنه تناوله بشئ كثير من الاعتناء و بتوجيهه نحو أسباب السعادة و تربيته على خلال الايمان و الفضيلة ، و خلق له من الغذاء ما يستعين به

فى حياته الدنيا وضرورات المعاش و الاكتساب ، وما يتعلق بعالمه المادى السافل ، و لكنه جعله تابعاً لغذاء الروح الذى يوفر عليه الهناء و الطمأنينة و يضفى عليه لون الحب و الطهر و الشفافية ، و التطلع إلى أجواء الربانية الخالصة التى تربطه برباط العقيدة و الايمان ، و تثبت أقدامه على جادة الحق الذى لا يأتيه الباطل من أى جهة .

إن ضمور الروح و هزاله واقع يعم فى المجتمعات الانسانية المعاصرة ، وذلك لأنه لا ينال من العناية بالتغذية الجيدة ما يوفر عليه الصحة و القوة ، وبالتالى يسبب صحة الجسم ورخاء العيش و الهناء ، و ليس هذا الوضع الطريف إلا نتيجة النظرات المادية التى أقامت الانسان المعاصر أمام العلوم و الصناعات الحديثة كآلة صماء فقط ، فتفرض عليه أن يدور مع دوران الآلات و يتابع سير الانتاج مع التركيز على زيادته و التفكير فيما يعود عليه بفائدة أكثر ، دون أن يهمه شئ من القيم والأخلاق التى يتميز بها الانسان عن غيره من الكائنات والمخلوقات الأخرى .

فليس هناك أى نصيب للفضائل التى حمل لواءها الانسان ، و لا أى اهتمام بوضع طاقاته فى مواضعها اللائقة المطلوبة ، له كل شئ من القلب و العين و الأذن و من الحواس البشرية المميزة ، ولكنه لا يكاد يفقه ما قد أودع الله سبحانه فيه ، من طاقات علوية تصله بالسماء العليا و تربطه بربه تبارك و تعالى برباط قوى من العقيدة والايمان والحب ، وبفقدان هذه الخصيصة الانسانية العظيمة هوى الانسان إلى المهاوى السحيقة من الشقاء و المعاناة من كل نوع ، و كأنه تبدل بخلق آخر مما لا يمت إلى السمو الخلق و النفسى بأى صلة ، و قد وصفه الله تبارك و تعالى بأكمل وصف فى قوله المعجز « لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لايسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » (سورة الأعراف الآية ١٧٩) .

★ الركيزة الأولى والأصيلة لحياة الروح ★

تناول الاسلام بيان مواقف الانسان النفسية باعتباره مادة الامتحان الأولى والأخيرة فى هذا العالم للوصول إلى مقره الأصيل الذى هو العالم الأخروى، وشرح له كل ما توسوس به نفسه، و تراوده الاغراءات المادية و تستولى عليه الشهوات من متاع الدنيا المادى، وأوضح له مكانته، وبين له موقفه من كل ذلك، ومسؤليته نحو إسعاد الحياة و الثقة بما قد وعد به ربه من هناء و طمأنينة فى الدنيا و من جنات النعيم فى الآخرة، و أولى للروح كل قيمة و أهمية نظراً إلى ما لها من الدور الخطير فى إحياء الجسم و صحته، فوصف لها غذاءاً طيباً و زاداً قيماً لا تنفد مادته، و لا ينضب معينه، ألا وهو ذكر الله تعالى.

و هذا الذكر ليس هين الشأن، و ليس كالذكر العادى لذى يتبادله الحبيبان فيذكر واحد منهما الآخر و يجد فى ذكره لذة لا تعادلها لذة عندهما، و كم من الأحياء يعتمدون فى حياة قلوبهم على ذكر من يحبونه، ففى هذا من الراحة النفسية و الطمأنينة القلبية ما قد لا يكون فى أعظم نعمة مادية، حتى إنهم كانوا يستوحون روحا جديدة و قوة و صموداً فى ميدان القتال بذكر الحبيب، فقد قال الشاعر العربى قديماً:

ذكرتك و الخطى يخطر بيننا و قد نهلت منا المثقفة السمر

و أى قيمة لهذا الذكر الرخيص إزاء ذلك الذكر الأصيل القيم، و لكن هل يمكن أن ننكر ما له من دور فى إيجاد الثقة والمحبة بين القلوب فى دنيا الحب وما له من تأثير فى إنعاش جو الصفاء و الود بين المحبين.

أما ذكر الله تعالى الذى يعمر به المؤمنون قلوبهم، و يعتمدون عليه فى نقاء سرائرهم والتودد إليه فى جميع أحوالهم وأعمالهم، فأجل من أن يقاس على ذكر آخر، و هو رب العزة و الجلال يرضى بذكره من عباده المؤمنين فيجزل مثوبته،

و يكثر عطاءه ، و يجزيهم بأحسن ما يذكرونه ، فاذا ذكروه سرعان ما يعود إليهم بذكره إياهم « فاذكرونى أذكركم و اشكروا لى و لا تكفرون » و إذا ذكروه فى النفس ذكرهم كذلك . وإذا ذكروه فى ملأ ذكرهم فى ملأ خير منه ، فى الحديث القدسى الذى رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى، فان ذكرنى فى نفسه ، ذكرته فى نفسى ، و إن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم .

و أخرج الامام أحمد عن معاذ بن جبل مرفوعا قال : ألا أخبركم بخير أعمالكم و أزكاها عند مليككم و أرفعها فى درجاتكم ، و خير لكم من تعاطى الذهب والفضة، و من أن تلقوا عدوكم غداً فتضربوا أعناقهم و يضربوا أعناقكم ، قالوا بلى يا رسول الله ، قال ﷺ : ذكر الله عز و جل » وروى أن رجلا سأل النبى ﷺ فقال : أى المجاهدين أعظم أجراً يا رسول الله ؟ قال ﷺ : أكثرهم لله تعالى ذكراً ، قال فأى الصائمين أكثر أجراً ، قال ﷺ : أكثرهم لله عز و جل ذكراً ، ثم ذكر الصلاة و الزكاة و الحج و الصدقة ، كل ذلك يقول رسول الله ﷺ : أكثرهم لله ذكراً ، فقال أبو بكر لعمر رضى الله عنهما : ذهب الذاكرون بكل خير ، فقال رسول الله ﷺ : أجل . (أخرجه الامام أحمد فى المسند)

و الله سبحانه و تعالى يحث عباده المؤمنين على ذكره بكثرة و يأمرهم بالتسبيح صباحا ومساء « يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا » قال ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية « إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً ثم عذر أهلها فى حال العذر غير الذكر ، فان الله تعالى لم يجعل له حداً ينتهى إليه ، و لم يعذر أحداً فى تركه ، إلا مغلوباً على تركه ، فقال : « إذكروا الله قياما و قعوداً وعلى جنوبكم » بالليل والنهار ، فى البر و البحر

و فى السفر و الحضر ، و الغنى و الفقر و السقم و الصحة ، و السر و العلانية ، و على كل حال ، و قال عز و جل « و سبحوه بكرة و أصيلا » فاذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته . (تفسير ابن كثير سورة الأحزاب ج٤/ص١٠١)

ثم ينبغى أن لا ننسى ما للغفلة عن ذكره من نتائج سيئة ، و ما فى ذلك من اتباع للشيطان اللعين الذى يريد بصفة دائمة أن يشغل المؤمن عن ربه تعالى و يصرفه عن ذكره فضــلا عن الالتجاء إليه و الاستعانة منه و التودد إليه و الانابة نحوه ، و لقد هدد الله سبحانه الغافل المنصرف عن ذكره بشيطــان يستحوذ عليه و يملى عليه إرادته من كل شر وجريمة ومعصية ويزين له كل منكر وشرك ووثنية ، وإلحاد و ظلم ، فيكون قرينه و لصيقه فى كل حين ، ألم تروا كيف أن الله سبحانه يصرح بذلك ويبينه بكل وضوح «ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين» .

ثم تصوروا اليوم مجتمعات الناس المادية بوجه خاص ، حيث يحارب كل شئ له علاقة بالله وبدينه ، وحيث تشغل القلوب بذكر السباق فى كسب ذخائر الأموال و التدبير فى جمع القناطير المقنطرة من الذهب و الفضة و التفكير فيما يعود بالرفاهية الزائدة و التنعم الغير الشرعى على الانسان ، فقد قيض لهذا الانسان المادى قرينه من من شيطان يصده عن ذكر الله ، و عن كل ما يتصــل به ظاهراً و باطناً « و من يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً » فذلك هو المتمرغ فى أوحال المدنيات الزائفة و النظرات البهيمية ، و ذلك هو التائه الضائع فى متاهات الحيرة و الضلال ، يبحث عن ضالته و لكن دون جدوى .

« يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك ، فى أى صورة ما شاء ركبك ، كلا بل تكذبون بالدين » وصدق الله العظيم ؟

سعيــد الأعظــمى

التوجيه الإسلامي

العالم الاسلامى فى القرن الثانى عشر الهجرى

[صدر أخيراً الجزء الرابع من سلسلة « رجال الفكر و الدعوة فى الاسلام » بقلم سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الندوى ، وهو يدور حول شخصية العالم الاسلامى الكبيرة فى الهند الامام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى ، و يسرنا أن نقدم ترجمة الباب الأول من الكتاب إلى قرائنا الكرام ، و ذلك يتصل بالعالم الاسلامى فى القرن ١٢/ و الأستاذ سلمان الحسينى الندوى أستاذ الحديث فى كلية الشريعة وأصول الدين فى جامعة ندوة العلماء، يقوم بتعريب الكتاب، نرجو من الله التوفيق ، [التحرير]

أهمية دراسة أوضاع البلاد الاسلامية وتطوراتها و أحداثها فى القرن الثانى عشر الهجرى:

لقد كان مؤلف هذا الكتاب (الجزء الرابع من سلسة « رجال الفكر والدعوة ») صرح فى بداية الجزء الثالث من « رجال الفكر و الدعوة » الذى يختص بحياة الامام أحمد بن عبد الأحد السرهندى (٩٧١ — ١٠٣٤هـ) و تاريخ عصره و مآثره الاصلاحية و التجديدية العظيمة ، لبيان أهمية الدراسة التاريخية للقرن العاشر الهجرى (الذى ولد فيه الامام السرهندى ونشأ نشأته العقلية والعملية) بما يلى :

« و ينبغى — ونحن فى هذه الدراسة — أن لا نغفل حقيقة ذات شأن، وهى أن العصر الذى يولد فيه الانسان ، والعالم الذى يعاصره ، و المجتمع الانسانى الذى يعيش فيه ، هو كالنهر الجارى ، تتصل كل موجة فيه بالموجة الأخرى ، و تتسق

معها ، فلا يمكن لأجل ذلك ، أن يبقى بلد — مهما كان بعيداً نائياً ، يعيش فى عزلة عن سائر العالم — غير متأثر بالأحداث الخطيرة والثورات العظيمة والقوى المتحاربة، والحركات المؤثرة القوية التى تجرى فى بلدان العالم الأخرى ، لا سيما إذا كان مركز هذه الأحداث و الوقائع ، و الثورات و التطورات ، بلداً يشاركه فى العقيدة و المذهب ، و المشرب ، و يجاوره فى المكان ، و لذلك فلا يجوز للمؤرخ البصير فى هذه الدراسة التاريخية أن يقتصر على الهند فحسب ، بل يلزمه أن يلقى نظرة عامة على العالم الاسلامى كله فى القرن العاشر ، لا سيما البلدان المسلمة المجاورة التى كانت بينها و بين الهند أواصر علمية و دينية وحضارية، وكانت تصل إليها لفحاتها الشديدة اللاذعة ، و نفحاتها الرخية الناعمة على بعد الدار و طول المسافة » . (١)

إن الحاجة إلى مراعاة هذه الحقيقة التاريخية ، و تطبيق هذا الأصل المهم فى دراسة حياة الامام الدهلوى و إلقاء الأضواء على أعماله التجديدية الكبيرة أشد و أكثر ، إذ أن تربيته الفكرية و العلمية تدين لبلاد الحرمين الشريفين ، و أن لهما الدور الأساسى فى تكوين عقليته و ثقافته ، حيث أقام الامام الدهلوى أكثر من عام واحد فى الفترة الواقعة بين ١١٤٣ — و ١١٤٤هـ (٢) ، ودرس علم الحديث الشريف على المحدث الشيخ أبى طاهر محمد بن إبراهيم الكردى المدنى أحد أئمة الفن و علماء الحديث الكبار فى عصره ، الذى كان يؤمه طلاب الحديث من مختلف الأقطار و الأمصار ، و تخرج على يديه و أسند عنه جميع مروياته ، و جالس علماء الحرمين الشريفين (الذين كانوا من مختلف البلدان الاسلامية و العربية) و صحبه مدة من

---

(١) « الامام السرهندى — حياته و أعماله » ص ١٨

(٢) لقد كان الامام الدهلوى وصل إلى الحجاز فى أواخر عام ١١٤٣هـ و عاد منها إلى الهند فى أوائل عام ١١٤٥هـ ، و حج حجتين .

الزمن ، و قد كان الحجاز آنذاك فى ولاية الدولة العثمانية و إدارتها ، و كان أشراف مكة يتبوؤن منصب الامارة كنواب عن السلاطين العثمانيين ، و قد كان الحرمان الشريفان — لا سيما المدينة المنورة على صاحبها الصلاة والسلام — اللذان يجمعان فى غير أيام الحج أيضاً فى رحابهما كل عام صفوة العقول و القلوب و فراشات الايمان و النور — مركزاً كبيراً لعلم الحديث الشريف ، حيث يلتقى طلاب هذا العلم و هواته من كل بقعة من بقاع العالم الاسلامى ، وكان من الميسور لمن يقيم بها أن يستعرض العالم الاسلامى كله و يدرسه روحياً و علمياً ، و خلقياً و اجتماعياً و مدنياً و سياسياً ، و أن يقدر — بسهولة رقى البلدان الاسلامية و العربية أو ازدهارها ، أو سقوطها و انحطاطها من هذه النواحى كلها ، و يطلع على مختلف رجالها و شخصياتها ونوابغها ، وحركاتها و دعواتها الاصلاحية ، وجهودها و مؤامراتها الثورية الباعثة للفوضى و الاضطرابات ، بل كان من الممكن أن يجس نبض العالم الاسلامى و يقدر سيره و يسمع خفقات قلبه، و من اللازم أن إماما نابغة كالامام الدهلوى فى ألمعيته وتوقد ذكائه ، ولوعة قلبه و توجعه يكون استفاد من كل ذلك ، و تأثر به ، و استخدمه فى توسيع نطاق فكره و بعد نظره ، و آفاقية دعوته و فلسفته و منهجه .

زد على ذلك أن الهند كانت — عبر قرون و أجيال — عرضة للغزاة و الفاتحين من الأسر الأفغانية و التركية بآسيا الوسطى ، و لم تزل هذه البلاد تحت وصايتهم سياسياً و إدارياً ، و هم الذين كانو يزودون حكوماتها الضعيفة النحيلة ، و هيكلها التنظيمى و الادارى بدماء جديدة حارة ، و يهبون إدارتها المفككة المهلهلة ، و قوتها العسكرية المتخاذلة قسطاً جديداً من القوة و الحيوية و الحرارة ، و إذا أشرفت أسرة حاكمة — طال عهد حكمها — على مرحلة الشيخوخة و الهرم ، أقبلت من عمر « خيبر »

أو عمر «بولان» قوة عسكرية جديدة دافقة بالحيوية و الحرارة إلى الهند ، وطعمت سلسلة الحكومات التى كانت تدين بدين واحد (الاسلام) وعقيدة واحدة (عقيدة أهل السنة والجماعة) و قانون واحد (الشريعة الاسلامية) ولغة واحدة (التركية أو الفارسية) و حضارة واحدة (و هى الحضارة التى مزجت بين الحضارات العربية و الايرانية و التركية و الهندية) بالقوة و النشاط ، و وهبتها قسطاً جديداً من الحياة.

ثم إنه لا ينبغى أن ننسى حقيقة تاريخية وهى أن أفغانستان و ولايتها الكبيرة المهمة «كابل» و «قندهار» لم تزل منذ عهد استيلاء الملك بابر و قيام الدولة المغولية جزءاً من الحكومة الاسلامية الهندية ، و قلعة خارجية لها و سوراً منيعاً ، وقد كان دخول الملك نادر شاه ، ملك ايران فى الهند ، و زحفه إلى دلهى فى عهد الامام الدهلوى نفسه ، كما غزا الهند فى عهده أحمد شاه الأبدالى عدة مرات ، حتى كانت أخيراً عام ١١٧٤هـ الموافق عام ١٧٦١م تلك المعركة الحامية فى ساحة «پانى بت» التى هزم فيها المرهتة هزيمة نكراء و غير وجهة التاريخ و تيار الأحداث ، و أعطى الدولة المغولية فرصة صالحة تستدرك مافات و تعود إلى الحياة ، و المجتمع المسلم و طبقة الأمراء و الولاة فرصة سانحة للقيام بدور جديد لم يستطيعوا أن يقوموا به لعدم كفاءتهم وسوء تصرفاتهم ، لقد كانت هذه الأحداث كلها فى عهد الامام الدهلوى بل كان الحدث الأخير منها باشارة منه و إرشاد ، و كان صاحبا هاتين الغزوتين ينتميان إلى إيران و أفغانستان ، ولأجل ذلك لا يمكن فى دراسة عهد الامام الدهلوى و استعراض القرن الثانى عشر الهجرى التغاضى عن أوضاعهما و انقلابات الدول بجراء كل ذلك .

تأثير «إيران» الحضارى و الثقافى على الهند :

ثم إن الهند كما كانت من القرن الخامس الهجرى تحت تأثير تركستان

و أفغانستان من النواحى السياسية و العسكرية ، كذلك كانت فى قليل أو كثير تحت تأثير إيران ، من النواحى العلمية و الأدبية و الثقافية و الحضارية والفكرية ، فتجد على فكرتها وعقليتها ظلال أدبها وشعرها ، وطرق تصوفها ، و أخيراً اظلال مناهجها الدراسية و نظمها التعليمية ، و مؤلفات علمائها و نوابغها ، لا سيما منذ دخول الملك همايون إلى إيران و استعادة الدولة الهندية بمناصرتها و تأييدها ، ثم منذ مقدم الأمير فتح الله الشيرازى و الحكيم على الكيلانى فى عهد الملك أكبر أصبحت الهند — كلياً — عالة على إيران ، فى مناهجها الدراسية و طرق التعليم ، و تحديد مقاييس الفضل و النبوغ ، و فى مجال العلوم العقلية و الحكمية ، تقلدها ، و تدين لها و تمشى فى أثرها ، و تمت بذلك السلطة العليا لايران على الهند فى هذا الصدد ، فلا يمكننا — نظراً إلى هذه الحقيقة التاريخية — أن نغفل الأحداث الجارية فيها فى هذه الدراسة التاريخية .

أهمية الدولة العثمانية و عظمتها:

كذلك لا يمكننا التغاضى — عدا بلاد أفغانستان و إيران المجاورة — عن الدولة العثمانية (التى كانت تتولى من القرن العاشر الهجرى منصب الخلافة) و هى و إن كان موقعها الجغرافى على مسافة شاسعة من الهند فى أوربا و آسيا الصغرى ، و لكنها كانت تحتضن جميع البلدان العربية تقريباً (مصر ، الشام ، العراق ، اليمن ، نجداً ، الحجاز ، و الجزء الكبير من أفريقيا الشمالية) و قد كان المسلمون كلهم ينظرون إليها ، من حيث كونها حامية للديار المقدسة وحاملة منصب الخلافة الاسلامية ، و لأنها كانت قوة و مملكة كبرى ، ورمزاً للجبهة الاسلامية فى نظر الغرب والقوى المعادية للاسلام ، و محافظة على كثير من المصالح الاسلامية ، نظرة تقدير واحترام ، و لم يكونوا يهتمون بما يجرى فيها من وقائع و أحداث فحسب بل كانوا يتأثرون

بها و يتكيفون معها، فلم يكن يمكن مثل الامام الدهلوى فى سعة أفقه و عالمية تفكيره و الذى كان اطلاعه على التاريخ الاسلامى اطلاعا واسعاً عميقاً أن يغض النظر عن الدولة العثمانيـــة ، فقد كان خبيراً بموقف الشريعة الاسلامية من الخلافة ، و أهميتها السياسية و الاجتماعية ، و كان يرى أنه لا بد للدين و الأخلاق الصالحة و المجتمع الصالح ، و المدنية الصحيحة و الحيـاة الاسلاميـة من حكومة مستقلة حرة ، و قوة سياسية صالحة ، وكان يتمنى أن يرى المسلمين قوة موثرة ، آمرة ناهية ، لا فى بلادهم فحسب بل فى العالم كله ، فكيف كان من الممكن أن يتغاضى عن رقى أعظم مملكة للمسلمين و سقوطها ، و صعودها و هبوطها و هدوئها الداخلى و اضطرابها ، لا سيما و قد عاش فى أحب البقاع وأكرمها فى نطاق دولتها وهى الحجاز، بعيون مفتوحة، و ذهن وقاد ، و عقل حاضر و قلب شاعر، وكان قد درس تلك التأثيرات و سمع أخبارها عن طريق الوافدين من ممتلكاتها و ولاياتها والبلدان التى كانت تحت وصايتها كمصر والشام و العراق ، التى كانت تترك على أوساط هذه البلدان العلمية و الدينية بصماتها ، نتيجة لميول سلاطينهـا العثمانيين ووزرائها و « شيوخ الاسلام » و العلمـاء الأتراك فيها ، وعقليتهم و نزعاتهم ، فلا بد إذن من إلقاء نظرة إجماليـة على المملكة العثمانيـــة فى القرن الثانى عشر الهجرى (القرن الثامن عشر المسيحى) و علاقاتها مع البلدان الغربية المسيحية المجاورة ، و تفككها و انحلالها ، و تماسكها و استحكامها و دورات المد و الجزر فى قوتها السياسية .

الوضع السياسى فى العالم الاسلامى :

سننظر — أولا — فى حالة العـــالم الاسلامى السياسيـــة ، و انقلاب الدول و الحكومات ، وأهم الوقائع والأحداث ، ثم ندرس أوضاع العالم الاسلامى العلميـة و الدينية و الخلقية .

الدولة العثمانية فی القرن الثانی عشر :

كان الامام الدهلوی ولد عام ١١١٤هـ و توفی عام ١١٧٦هـ ، و قد توالی فی هذه الفترة (٦٢ عاماً) علی عرش الدولة العثمانية خمسة سلاطين وهم ، مصطفی الثانی (م ١١١٥هـ) أحمد الثالث (م ١١٤٣هـ) محمود الأول (م ١١٦٧) عثمان الثالث (م ١١٧١) و مصطفی الثالث (١١٧١هـ — ١١٨٧هـ) . تولی أربعة من هؤلاء السلاطين أحمد الثالث ، محمود الأول ، عثمان الثالث ، ومصطفی الثالث ، زمام الأمور فی عهد بلغ فيه الامام الدهلوی أشده ، و اكتمل وعيه ، و بدأ عمله ، و تفكيره ، إلا أن أهم الفترات الزمنية من حياته (وهی السنوات الخمس الأخيرة) قضاها فی عهد مصطفی الثالث .

حكم مصطفی الثالث ١٦ — عاما و ٨ أشهر ، و اندلعت فی عهده نار الحرب بين الدولة العثمانية و روسيا ، انهزمت فيها الدولة العثمانية عام ١٧٦٩م ولكن لم يكن لروسيا فيها أی مفخرة و مكرمة ، بل كانت هذه الهزيمة بسبب بعض الأحداث ، و الخلل فی بعض التدابير و الاجراءات (١) و أراد الجنرال الروسی « الفنستن » أن يحمل علی القسطنطينية أيضاً ، إلا أنه منع من ذلك ، واتخذ مصطفی خان اجراءات لتعزيز جنوده و اهتم بالاصلاحات العسكرية و أحرز مكاسب عسكرية ، و تقدمت روسيا بشروط للهادنة ، كانت تشتمل علی الاهانة لتركيا وجرح كرامتها ، وعقد فی « بخارست » فی ١٣/ شعبان عام ١١٨٦هـ (أی بعد وفاة الامام الدهلوی بعشرة أعوام) الموافق ٩/ نوفمبر عام ١٧٧٢ م مؤتمر ، قدمت فيه بعض الشروط ، و لكن رفضتها الدولة العثمانية ، و أصدرت أوامرها للجيش التركی باعلان الحرب ضد روسيا ، فلقيت فيها روسيا هزيمة منكرة ، ودخل فی قلوبهم الرعب حتی

(١) انظر للتفصيل « تاريخ الدولة العلية العثمانية » لمحمد فريد بك المحامی ـ ط ، بيروت .

عند ما مر الجيش التركى بسوف «جق» (التى تدعى اليوم Tobulkhin) خلى سكان هـــذه المدينة الروسى المدينة بأكلها ، يقول المؤرخ هيمر (Hemer) «إن العثمانيين وجـــدوا قدوراً موضوعة على المراجل و الأثافى ، كان يطبخ فيها اللحم» توفى السلطان مصطفى الثالث فى ٨/ ذى القعدة عام ١١٨٧هـ الموافق ٢١/ يناير عام ١٧٧٤م) و يثنى المؤرخون على عدله و رغبته و جهوده فى أمور الخير ، و كان قد أقام فى عهده كثيراً من المدارس و الرباطات (١) .

وقد انتشرت المطابع فى الدولة العثمانية حين كان الامام الدهلوى شاباً، وقامت المطبعة الأولى فى القسطنطينية ، و ظهرت فى هذا العهد نفسه حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١١٥هـ — ١٢٠٦هـ) (٢)

و استولى على بك الذى كان يدعى «بشيخ البلد» فى عهد عثمان الثالث على حكومة مصر وإدارتها ، وتآمر مع الجنرال الروسى الذى كان قد عين لبحر الروم، و اشترط عليـــه مســاعدته بالسلاح و الذخيرة حتى تستقل مصر ، و نجح على بك بمساعدته فى سيطرته على غزة و نابلس و القـدس و يافا و دمشق ، و كان يريد التواجه إلى اناطوليا ، إذ خرج عليه أحد القادة المماليك المدعو بمحمد بك المعروف بأبى الذهب ، الذى اضطر على بك للعودة إلى مصر . و لقى هزيمـــة على يديه كان

---

(١) المصدر السابق ص ٣٢٩ — ٣٤٠ .

(٢) و استولى بعد ذلك الأمير سعود بن عبـد العزيز (١١٦٣هـ — ١٢٢٩هـ) أمير نجـد بقوة التنظيم العسكرى و حماسه للجهاد و بهـــذه الدعوة على الجزء الأكـــبر من الحجاز و جزيرة العرب عام ١٢١٨هـ ، ثم عادت هذه البقعة بجهود الخديو محمد على والى مصر إلى قبضة الدولة التركية عام ١٢٣٤هـ و نفى الأمير النجدى عبد الله بن سعود بن عبد العزيز إلى قسطنطينية و قتل بها .

من نتيجة هذه الحروب الداخلية و الفوضى أن أطلقت الأساطيل الروسية النيران على بيروت ، وانهدم بسببها حوالى ثلاث مائة بيت، ثم وقعت الحرب بين جيوش على بك و جيوش محمد بك فى شهر محرم عام ١١٨٧هـ ، انتصر فيها محمد بك وأسر على بك ، ومات بجروحه ، و فصل رأسه من جسده وبعث به مع أربعة ضباط روس إلى الوالى العثمانى خليل باشا ، الذى أرسله إلى القسطنطينيـــة ، و عادت مصر مرة ثانية إلى حكم الدولة العثمانية .

الوضع السياسى فى الحجاز :

عند ما سافر الامام الدهلوى إلى الحجاز ، و أقام فى الحرمين الشريفين مدة عام ، كان ذلك عهد خلافة السلطان محمود الأول (١١٤٣هـ - ١١٦٧هـ) و كان يمثل السلطان العثمانى وينوب عنه فى الحجاز محمد بن عبد الله (١) بن سعيد بن زيد بن محسن الحسنى (م ١١٦٩هـ) واليه على الحجـاز (الذى كان يقال له شريف مكة) و كان قد ولى الحجاز بعد وفاة و لده عام ١١٤٣هـ (٢) و قد كان عهده

(١) ذكر اسمه فى بعض الكتب محمد بن عبد الله، ولعل ذلك لأجل تجنب المماثلة اللفظية لاسم محمد بن عبد الله تأدباً و احتراماً .

(٢) لم يزل أشراف مكة (الذين كانوا يختـارون من السادة الحسنيين نسبة إلى الحسن بن على - رضى الله عنه - ولذلك كانوا يدعون بالأشراف) يتولون شئون الحجاز من الثلث الأول للقرن الرابع الهجرى ، فقـــد عين الشريف الأول بمكة فى عهد الخليفة العباسى المطيع لله (٣٣٤ - ٣٦٣هـ) ثم كانت تولية الأشراف إلى عهد استيلاء السلطان سليم على الشام و مصر و ولايته للحرمين الشريفين من قبل أسرة المماليك فى مصر ، فلما استولى السلطان سليم أقر شريف مكة فى عهده السيد بركات و ابنه السيد أبا نمى على منصبهما ، و كانا شريفى مكة ، واستمرت هذه الامارة فى الأشراف إلى الشريف حسين

عهد الحروب الداخلية و الصراع بين أفراد الأسرة على الامارة ، فقد عزله عمه مسعود بن سعيد عام ١١٤٥هـ وتسلط على الامارة ، ولكنه استعاد منصبه عام ١١٤٦ ، ثم عزله عمه ، و بقى والياً عليها إلى آخر عمره عام ١١٦٥هـ ، وساد فى عهده الأمن و السلام فى الحجاز ، ويصفه المؤرخون بأنه كان ذكياً متيقظاً ، وسياسياً محنكا (١).

و إننا نجد كتب التاريخ و الرحلات و مذكرات الحج التى ألفت فى منتصف القرن الثانى عشر الهجرى أو تؤرخ ذلك العهد ، إنها تشكو قلة الأمن فى الطرق ، و غارات البدو ، و فساد النظام وسوء الادارة ، الذى كان نتيجة بعد مركز الدولة العثمانية (القسطنطينية) و سياسة عدم التدخل من جانب الأتراك إلى حد المستطاع فى الأمور الداخلية للحجاز ، و التسامح الزائد مع أشراف مكة (الذين كانوا من الأسرة الحسنية و كان نسبهم صحيحاً معلوماً) و الاجلال الزائد للعرب و احترامهم و سياسة التغاضى عن تجاوزاتهم و سوء تصرفاتهم ، و علاوة على ذلك نظام الوراثة فى إمارة الحجاز ، و انحصارها فى أسرة واحدة ، و من الممكن أن يقطع بأن الامام الدهلوى كان قد نظر فى هذه الأوضاع القلقة المضطربة ، والصراع الداخلى على منصب الامارة ، وقلة النظام وضعف الادارة بعين بصيرته وشعر بفداحة الأمر بقلبه العامر بالحمية الدينية ، ولعل الصراع بين العم وابن أخيه على الامارة الذى كان عام ١١٤٥هـ قد يكون وقع فى مدة إقامته بالحجاز . و لعله توصل بهذه الأوضاع إلى نتائج بعيدة المدى ، و أخذ منها شواهد على الانحطاط الخلقى الذى أصيبت به هذه البلاد .

★ الذى خرج على العثمانيين فى يونيو عام ١٩١٦م الموافق شعبان عام ١٣٣٤هـ و خلع فى يناير عام ١٩٢٦م بعد استيلاء السلطان ابن سعود على الحجاز .

(١) الأعلام ج ٨ ص ١١١ ـ ١١٢ نقلا عن خلاصة الكلام و عنوان المجد وتذييل « شفاء الغرام لأخبار البلد الحرام » ج ٢ ص ٣٠٩ ـ ٣١٠ « باب ولاة مكة » .

الاسلام و تربية المجتمع

-(٢)-

بقلم: الأستاذ على القاضى

قلنا إن المسلم فى هذه الحياة له رسالة يؤديها — وحتى يكون قادراً على أدائها على الوجه الأكمل — فان الاسلام عنى أولا بتربية الضمير عناية كاملة، ثم رسم الطريق لصيانة المجتمع من الداخل حتى يكون سليما قادراً على تحقيق أهدافه فى هذه الحياة، و من الأشياء التى عنى بها الاسلام لصيانة المجتمع كله المال.

المال:

و المال يعتبر مشكلة كل المجتمعات فى كل العصور — بل إنه الشىء الأصيل الذى يحرك المجتمعات الحديثة فى الشرق وفى الغرب على حد سواء — ومن هنا فان المذاهب المختلفة تقوم على تنظيمه بصورة أو بأخرى لتحقق أهدافا معينة خاصة بمجتمعاتها، وقد فشلت كل صور التنظيم، لأنها تنظر إلى الموضوع من ناحية وتترك النواحى الأخرى.

لكن الاسلام:

قام بتنظيم المال تنظيما سليما يكفل إعطاء كل ذى حق حقه، مع وجود المودة و المحبة و الاطمئنان الكامل بين أفراد المجتمع.

فالمال من وجهة نظر الاسلام:

هو مال الله تعالى و الناس مستخلفون فيه و عليهم أن يسيروا فى كسبه و إنفاقه، طبقاً لما يأمرهم به الله سبحانه و تعالى صاحب المال الأصيل، فالكسب لا بد وأن يكون من طريق حلال كالبيع و الشراء، لا عن طريق حرام كالربا

(و أحل الله البيع و حرم الربا) البقـــرة ٢٧٥ ، وكالغش و التطفيف فى الكيل و الميزان (ويل للمطففين ، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون و إذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) « سورة المطففون »

و حتى يحس المسلم بنعمة الله تعالى فى المال و يعيش مطمئنا فى هذه الحياة ، طلب منه تنظيم الانفاق ، بأن يحيا حياة وسطا فلا تقتير و لا إسراف (و لا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسورا) « الاسراء ٢٩ »

و أوصى بتقريب الفروق بين أفراد المجتمع الاسلامى لاعطاء الفقير ما يحتاج إليه أو ما يغنيــه عن المسألة ، حتى فى غير المفروض من الزكاة ، وبذلك لا يشعر الفقير بحرمانه و لايحس المريض بعجزه و لا الجـاهل بسوء تصرفــه و لا الصغير بضعفه و لا الشيخ بوهنــه ، فالله العلى العظيم الذى استخلف ، على المال عبـاده هو الذى أوصى بالانفاق فى وجوه الخير سراً وعلانيـــة (و الذين صبروا ابتغـاء وجه ربهم و أقاموا الصلاة و أنفقوا ممـا رزقناهم سراًو علانية و يدرؤون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار) الرعد ٢٢ .

كما أوصى بالمحافظة على أموال السفيــه الذى لا يحسن التصرف ، و التعبير القرآنى جعلها أموال المجتمع حتى يحس الناس بالمسؤولية الكاملة تجاه هـــذه الأموال (ولاتؤتوا السفهاء أموالـكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها وا كسوهم وقولوا لهم قولا معروفا) « النساء / ٥ »

و أوصى أيضا بعدم استغلال الضعيف كاليتيم و الصغير و المحافظة على أموالهم حتى يبلغوا سن الرشـــد الاجتماعى الذى يمكنهـــم من التصرف السليم (و ابتلوا اليتـامى ، حتى إذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ، ولا تأكلوها إسرافاً و بدارا أن يكبروا) « النساء / ٦ »

كما طلب إعطاء النساء مهورهن كاملة (و آتوا النساء صدقاتهن نحلة ، فان طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئا) « النساء/ ٤ »

وطلب أن يعطى الأجير أجره قبل أن يجف عرقه — فبهذا يستطيع أن يقضى حاجاته ، و بهذا تبقى المودة و الثقة و الأمن ، و بهذا يستمر تماسك المجتمع و يحتفظ بكيانه .

الأمر ، بالمعروف و النهى عن المنكر :

الاسلام حمى المجتمع الاسلامى من التفكك والانحلال ، بالنصيحة أولا ، ذلك لأن الدين إنما هو النصيحة لله و لرسوله و لأئمة المسلمين و عامتهم ، كما حماه ثانياً بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فالمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر ، و الرسول عليه السلام يقول :

(من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه ، و ذلك أضعف الايمان) « البخارى »

و من هنا فقد أصبح كل عضو من أعضاء المجتمع الاسلامى عنصراً إيجابياً بعيداً عن السلبية — و يشبه الرسول عليه السلام المجتمع الاسلامى براكبى السفينة الذين يسكن بعضهم بالدور الأعلى وبعضهم بالدور الأسفل ، فاذا حدث خلل بيه من فى الدور الأسفل ، بأن أرادوا أن يخرقوا فى السفينة خرقاً ، فان السفينة كلها ستغرق ، اللهم إلا إذا أخذ ركاب الدور الأعلى على يد من فى الدور الأسفل ، فان الجميع سينجون .

و حتى لا تشيع الفاحشة فى المجتمع :

فان الاسلام يطلب من المنحرفين أن ينزووا بعيداً وألا يتباهوا بمعاصيهم وإلا فان الله سبحانه و تعالى يعاقبهم على انحرافهم ، كما يعاقبهم على التباهى بهذه المعاصى

و فى ذلك يقول الرسول عليه السلام (أيها الناس من ارتكب شيئاً من هذه القاذورات — فاستتر فهو فى ستر الله ومن أبدى صفحته أقمنا عليه الحد) كما يقول (كل أمتى معافى إلا المجاهرين ، و إن من المجانة أن يعمل الرجل عملا بالليل فيصبح و قد ستره الله ، يكشف ستر الله عليه) « البخارى »

و الاسلام لذلك ، يدعوا إلى الحياء ، بل إنه يجعله من مميزات الاسلام ، فاذا كان لكل دين خلق فان خلق هذا الدين الحياء .

المجتمع المتفائل الطموح :

والاسلام يربى المجتمع المتفائل الذى ينظر إلى الحياة بمنظار أبيض ما دام سائراً على المنهج الذى رسمه له فرب العزة — جل جلاله — عند ظن عبده به و يبين لعباده أنه قريب منهم يجيب دعوة الداعى إذا دعاه و يغفرله ذنوبه حتى ولو أسرف على نفسه ما دام يعود إليه تائباً (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم) « الزمر ٥٣ »

وفى القرآن الكريم تبشير للذين آمنوا وعملوا الصالحات بأن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، كما يبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله و إنا إليه راجعون .

كما أن الاسلام يربى المجتمع الطموح الذى لا تقف العقبات أمام بلوغه غايته ، ويطلب من المسلمين ألا ييأسوا من روح الله فانه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، ثم إن اليأس و الايمان لا يمكن أن يجتمعا فى قلب مؤمن ، و فى لحظة من اللحظات القاسية فى المعارك التى دارت بين المسلمين والكفار قال تعالى للمسلمين :

(و لا تهنوا و لا تحزنوا و أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ، إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس) «آل عمران ١٤٠ »

كما قال تعالى (إن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون و ترجون من الله ما لا يرجون) « النساء ١٠٤ »

و فى النهاية يعلن رب العزة أن العزة لله و لرسوله وللمؤمنين، ويقول القرآن الكريم (إن الله يدافع عن الذين آمنوا، إن الله لا يحب كل خوان كفور) « الحج ٣٨ »

و بهذا يتضح أن الاسلام حريص ، أشد الحرص ، على تقرير الوحدة الأخلاقية للمجتمع الانسانى فى جميع جوانبه و اتجاهاته ، و فى كل ما يصل بين الانسان و الانسان من سلوك و معاملة و أخذ و عطاء و علم و عمل، فالاسلام لا يقر المجتمع المتنافر المتدابر الذى يعيش منقسما على نفسه ، على نحو ما هو قائم فى المجتمعات المعاصرة التى تقوم على الانقسام والتناقض والضياع ، كما لا يحب المجتمع المتشائم الذى ينظر إلى الحياة بمنظار قاتم يجعله ضيق الصدر فى كل الأوقات .

صيانة المجتمع من الخارج :

و قد حرص الاسلام على أن يتحفظ المجتمع الاسلامى بسيادته كاملة غير منقوصة — فالعزة لله و لرسوله و للمؤمنين — و قد رفض أن يكون لأفراده ولاء لدخيل أو أجنبى، فقال تعالى (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى و عدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة و قد كفروا بما جاءكم من الحق ..) « الممتحنة / ١ » كما رفض أن يرقى هذا الدخيل فى نفوسهم درجة أن تكون له وصاية عليهم أو أن يكون مرجعاً فى إبرام شؤونهم ، لأن للسلمين خصائص وضحتها الآية الكريمة (و المؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و يطيعون الله و رسوله) « التوبة ٧١ » و ولاية الأجنبى عليهم ستذهب بهذه الخصائص ، كما ستذهب بشخصية المجتمع الاسلامى و كيانه ، و من هنا فقد نهى الله سبحانه و تعالى أن يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون

المؤمنين — و إلا فانهم بعيدون عن الله تعالى و عن رضوانه ، اللهم إلا إذا كان هناك سبب وجيـه يدعوهم إلى ذلك (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، و من يفعل ذلك فليس من الله فى شئ ، إلا أن تتقوا منهم تقاة و يحذركم الله نفسه . .) « آل عمران ٢٨ »

و لذلك :

فقد أوجب الله سبحانه وتعالى على المجتمع الاسلامى أن يكون مستعداً لملاقاة أعدائه بكل ما استطاع من قوة (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) « الأنفال ٦٠ » و هـذا الاستعداد ليس سببه العدوان و لا البغى و لا الطغيان و لا الاستعمار و لكن الدفاع ، فاذا ما أراد الأعـداء السلام فان الاسلام يطلبه (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها و توكل على الله) «الأنفال ٦١» و لـكن السلام المطلوب هو السلام الذى يبقى على المجتمع الاسلامى كرامته و عزته و يجعله قادراً على أن يؤدى رسالته فى هذه الحياة .

وهكذا يحيط الاسلام هذا المجتمع بهذا السور الخارجى، فيبعد وصاية الأجنبى عليه و يقيه و يبقى له استقلاله و كرامته ليؤدى رسالته فى الحياة .

و الصراع :

قد يكون ضرورة بين الخير و الشر ، و الفكرة الاسلامية تقر الصراع لمنع الفساد و إن كان يسميها المدافعة، و بذلك يوجد التوازن فى الحياة البشرية ، و لكن بطريقه سليمة ، فالصراع ليس هدفا فى ذاته و لكن وسيلة للتوفيق بين المتناقضات و لرفع الكائن البشرى من وهدة الشر ، إلى حيث يستطيع أن يحلق فى عالم النور وهو لذلك يوازن عنصر الصراع أولا بالحب الذى يخفف من حدته و ثانياً بموازنة مكانه من الكيان النفسى و الطاقات البشرية ، فهو يوجهها للخارج و الداخل على

السواء فى الحدود المعقولة التى لا تدمر النشاط الحيوى ولا تدمر الآخرين (ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) « الحج ٤٠ »

وقد نبه جوستاف لوبون إلى سر الفتح السريع للمسلمين فقال فى كتابه حضارة العرب (الخلق الذى تكون فيهم من ترابط العواطف و توحدها إلى الميول المشتركة التى ركزت جهودهم و آمالهم فى مطلب واحد، وبلوغ غاية سامية هى الغاية التى تختلف فى المثل الأعلى الذى رسمه لهم الاسلام ، و نبه فى نفوسهم عقيـدة راسخة تدفع بهم أفراداً و جماعات إلى التضحية بنفوسهم فى سبيله ، و الأمة القوية العظيمة هى التى يكون لها مثل أعلى تتعلق به و تذود عنه و تعمل على حمايته)

ميزة التربية الاسلامية :

و ميزة التربيـة الاسلامية ، أنها تشغل جميع الجوانب فى الفرد ، فاذا ما عطلت بعض الجوانب بقيت الجوانب الأخرى متماسكة حتى فى احلك الأوقات — ذلك لأن العقيدة الصافية تقف بمفردها كخط دفاع أخير و قوى — يدفع إلى الجوانب الأخرى من جديد — كما توجد ظاهرة التجديد التى يبعث الله تعالى بين فترة وأخرى من يقوم بها — الأمر الذى تفتقر إليـه جميع الأنظـمة الأرضية — فهى إن تغير أساسها الاقتصادى تغيرت وراءه كل التشريعات الاجتماعية والسياسية والأخلاقية ، و من هنا يتضح أن المجتمع الاسلامى مجتمع متكامل تربطه وحدة أخلاقيـة ، فكل مسلم يجد ذلك فى نفسه و لا يشعر أبداً بالانعزال عن متجمعه ، كما هو الشأن فى المجتمعات المعاصرة و فى النظم التى تقوم عليها الحضارات القائمة ، حضارات الصراع على تحقيق المنافع ، دون أى اعتبار لمبدأ خلق أو واجب إنسـانى ، و هذه هى مأساة الانسان المعاصر ، فهو يشعر بأنه يعيش فى مجتمع لا تربطه المبـادىء الأخلاقية ولا المعانى الانسانية ، مجتمع يقوم على مبدأ الانفصامية والانقسام والتضارب

والصراع المرير ، و قد أدرك «جب» هذه الظاهرة الفريدة فقال فى كتابه عن الاسلام (و أعجب من ذلك أنه بينما حدثت عدة تطورات فى المثل الاقتصادية للشعوب الأخرى (الاسلام) خلال المائة سنة المنصرمة ، بقيت النظم الاجتماعية بلا تغيير ، و هذا يبين فى جلاء أن لهذا النظام قوة فطرية تجعله لا يتأثر بجميع التقلبات التى تصيب ثروات الشعوب التى تدين به)

و قد أدرك أعداء الاسلام ذلك ، فوضعوا خططهم على أساس توجيه الضربة إلى العقيدة ، عن طريق محاصرتها بأساليب الغزو الثقافى و الاستعمار النفسى الذى تقوم به فرق التبشير وأجهزة الاعلام و دور النشر و مناهج التعليم بالدور الأكبر ، باعتبارها طلائع تمهد لكل الجوانب الاستعمارية الأخرى ، ليعيش الاستعمار آمناً فى ظل أنظمة علمانية تنسب إلى الاسلام بالاسم و التاريخ البعيد .

و من هنا :

فلا بد و أن يتنبه المسلمون إلى هذا الغزو فى جميع صوره و أشكاله ، حتى يحفظوا للمجتمع الاسلامى عقيدته الصافية السليمة أولا ثم الجوانب الأخرى بعد ذلك ، فيبقى للمجتمع الاسلامى فاعليتـه و قوته و إيجابيته التى تجعله آمناً مطمئناً فى ظل تربيته الاسلامية ، ثم يقدم لهذا العالم الحائر ما يهديه إلى الطريق السوى الذى يجعله يعيش سعيداً فى مجتمع سليم .

★★★

حكمة التقيد بالنص

بقلم الأستاذ محمد إبراهيم شقرة
مدير المسجد الأقصى - عضو مجلس الافتاء
بالأردن

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون فى صوم يصومه أحدكم » (رواه مسلم) .

الانسان هو أعظم المخلوقات التى تسعى على الأرض ، خلقه الله لعبادته ، و أودع فيه قدرات وطاقات يقتدر بها على القيام بأمره ، وسخر له ما فى الأرض ، من باطن فيها و ظاهر عليها ، و أقدره على التصرف فيها على الوجوه التى شرع له أن يتصرف فيها ، و وهب له ما لا يحصى من نعم « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » (إبراهيم - ٣٥) .

ومن أعظم النعم التى وهبها الله الانسان نعمة الزمن التى قدرها الله بين سواد الليل وبياض النهار ، و كل نعمة وهبها الله لهذا الانسان يجب أن تصرف فى طاعته و الصدق له فى العبودية ، و لا يصح أن يخالف العبد عن مراد الله سبحانه لا فى زمان و لا فى مكان ، لأن المخالفة عن مراد الله سبحانه هو فى حقيقته تمرد على العبودية له ، و إذا تمرد العبد عن عبوديته لله فقد أسلم نفسه للمعاطب ، و أوقعها فى غضب الله عز و جل .

وهذا الحديث الذى رواه لنا أبو هريرة رضى الله عنه ينهى فيه الرسول ﷺ

عن أن يخص المسلم يوم الجمعة أو ليلتها بعبادة خاصة من بين سائر الأيام، فلا يملك المسلم مع هذا النهى إلا الاستجابة المخبتة الطائعة ، و الوقوف بنفسه عند حدود الله و حرماته لتكون العبودية عملا بالجوارح وتصوراً بالعقل ، و تسليماً بالقلب ، وهذا هو الايمان الحق .

ولكن لماذا كان هذا النهى؟ ما من ريب أن لكل نهى أو أمر جاء على لسان الوحى إنما هو لحكمة مرادة لله سبحانه ، و الحكمة فى أوامر الشرع ونواهيه تلتمس التماساً إن لم تأت مقترنة بالنص القرآنى أو النبوى ، و قد تظل الحكمة مجهولة للناظر المتأمل فى النص فتظهر بعد زمن يطول أو يقصر ، نتيجة مباشرة للنص بالفعل غير المقصود أو المقصود لاظهار الحكمة أو عدم إظهارها .

و يوم الجمعة هو سيد الأيام و أعظمها عند الله ، و فيه يقول ﷺ : « إن يوم الجمعة سيد الأيام و أعظمها عند الله ، و هو أعظم عند الله من يوم الأضحى و يوم الفطر ، فيه خمس خلال : خلق الله فيه آدم ، وأهبط آدم فيه إلى الأرض ، و فيه توفى آدم ، و فيه ساعة لا يسأل الله العبد فيها شيئاً إلا أعطاه ما لم يسأل حراماً ، و فيه تقوم الساعة » هذه الخلال الخمس جعلت ليوم الجمعة فضلا على سائر الأيام ، فعظمه الله و أمر الناس أن يعظموه ، وخصه بعبادات يختص بها عن غيره يتقرب بها العبد لربه ، كصلاة الجمعة ، و الاكثار فيه من الصلاة على رسوله ﷺ .

و لما لهذا اليوم من التشريف و التعظيم عند الله سبحانه فقد يحدث بعض المؤمنين نفوسهم أن يجعلوا لهم عبادة معينة لا يفعلونها إلا فى يوم الجمعة فقط ، ولم يكن الرسول ﷺ فعلها ، أو أمر بفعلها ، فتتحول هذه العبادة مع مرور الزمن إلى عادة مكتسبة للانسان يصعب عليه التخلى عنها ، لما وقر فى ذهنه أنها عبادة خاصة بهذا اليوم ، فيلزم نفسه بعبادة لم يشرعها الله سبحانه و لم يأمر بها على هذا الوجه

١٠ تنشأ فى نفس العبد قدسية ليوم الجمعة ليست مرادة لله سبحانه ... حكمــة أراد الله قد تنتهى بهذا العبد إلى تقديم أمر نفسه و ما ألزمها به على ... ما شرع لعباده ، فيرى العبد فيما ألزم نفسه به فضلا على ما شرع الله له و لسائر عباده ، وهذه مفارقة بل و مشاقة لله سبحانه ولرسوله ﷺ يجب على العبد أن لا يضع نفسه فى موضع يفضى به إلى مثل هذا التقدير الذى قــد ينتهى به إلى الافراط فى حسن الظن بفعل فعله حتى يصيب من غضب الله ، و يقع فى هلكة العذاب .

وهذا النهى عن تخصيص يوم الجمعة بصيام أو ليلتها بقيام الذى يخشى منه زيادة تعظيم هذا اليوم تعظيماً ليس مرادا لله سبحانه يشبــه النهى عن الصلاة فى أوقات مخصوصة ، كالنهى عن الصلاة عنــد طلوع الشمس ، إذ تطلع بين قرنى الشيطان ، فنهى الرسول عليه الصلاة و السلام عن الصلاة فى هذا الوقت خشيــة أن يكون السجود فيه موافقاً للوقت الذى يعظم فيه بعض المشركين هذا الوقت ويسجدون فيه للشمس ، حتى لو لم يكن يخطر ببال المصلى فى هذا الوقت أن يوافق أولئك المشركين فى تعظيمهم له ، خشية أن تؤدى هذه الموافقة إلى تعظيم الوقت الذى يعظمه أولئك المشركــون .

فالنهى إذاً عن الصلاة فى هذا الوقت ليس نهياً عن الصلاة فيه لذاتها ، وإنما هو نهى عن الصلاة فى وقت لا يريد الله أن يعبد فيه ، خشية أن تتحول إلى عبادة لغيره ، فذلك من باب سد الذرائع .

و تخصيص يوم الجمعة بنوع صيام ، و إفراد ليلته بنوع قيام فيــه تشبه أيضاً بفعل أقوام يعظمون أياماً معينة ، فيخشى أن يفضى هذا التخصيص ليوم الجمعة أو ليلتها بعبادة لم يشرعها الله سبحانه إلى التشبه بأولئك الأقوام ، و لكى يدفع العبــد هذا

المحذور عن نفسه فلا يقع فى التشبه بأولئك الأقوام ، و لكى ينجو من مخالفة أمر الله سبحانه فى مراده بأمر قضاه على عباده . جعل لصوم يوم الجمعة سبيلا يقبله به، و ذلك بأن يصوم العبد يوماً قبله ، أو يوماً بعده ، و قد ورد فى ذلك الحديث الذى رواه لنا أبو هريرة و أخرجه البخارى و مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا يوماً قبله أو بعده » .

ودخل رسول الله ﷺ يوم الجمعة على أم المؤمنين جويرية بنت الحارث وهى صائمة فقال لها « أصمت أمس، قالت : لا ، قال : تريدين أن تصومى غدا ؟ قالت: لا قال : فأفطرى » (رواه البخارى) .

فهذه الأحاديث و غيرها مما رواه أصحاب السنن تدل على أن إفراد يوم الجمعة بالصيام غير جائز شرعاً ، إلا أن يوافق يوم الجمعة صياماً يصومه المسلم ، و هذا ما جاء مستثنى فى الحديث الذى نحن بصدده ، و ذلك قوله عليه الصلاة و السلام : « إلا أن يكون فى صوم يصومه أحدكم » .

أما تخصيص ليلة الجمعة بالقيام ، فان النهى ينتفى بأن لا يجعل المسلم قيامها عادة تصرفه عن قيام غيرها من الليالى ، و ذلك كما يصنع بعض المسلمين من إحياء ليلة معينة بالذكر و الصلاة على الرسول ﷺ كليلة الاثنين أو ليلة الخميس ، و قد شاهدنا أن المخالفة عن أمر الرسول ﷺ باحياء ليلة بعينها قد جر إلى إحداث بدع كثيرة أدخلها أولئك على العبادة المشروعة ، حتى صارت هذه البدع ديناً يتقرب به إلى الله ، و العامل بها صالحاً يلتمس بركته و يرجى دعاؤه و حتى صار منكرها مرمياً بالمروق من الدين و الخروج على جماعة المسلمين .

إذاً فلا خلوص للامة مما أغرقت فيه نفسها من مخالفة عن أمر الله إلا بأن تعود سيرة سلفها الصالح ، تأخذ ما أخذوا و تترك ما تركوا ، و أن تجعل شعارها كلمة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه (عليكم بالأمر العتيق) .

ابن قيم الجوزية . . . عالماً و إماماً

(٣)

دكتور : توفيق محمد شاهين

و لعل البعض قـد أخذته الدهشة حين ذكرنا أن أصول العربية تدور حول الثنائية و الثلاثية فى كتابنا المطبوع منذ عامين . . و قد أشرنا فيه إلى أن بعضهم ذهب أن المعنى فى العربيـة يرجـع لأحادية ، كما فى الجدول الفينقى ، الذى ذكره الشيخ عبد الله العلايلى فى « مقدمته » .

و وراء هذه المعانى الدقيقة يغوص العلامة ابن القيم ، ليقدم لنا بعنوان : « فائدة بديعة » أن المعنى قد يستقى من حرف واحد يقول :

(الاسم من (هذا) الذال وحدها دون الألف على أصح القولين ، بدليل : سقوط الألف فى التثنية و المونث) و يبين لماذا اختصت الذال بذلك ، فيقول :

و خصت « الذال بهذا الاسم لأنها من طرف اللسان ، و المبهم مشار إليه ، فالمتكلم يشير نحوه بلفظه أو بيده ، و يشير مع ذلك بلسـانه ، فان الجوارح خدم القلب ، فاذا ذهب القلب إلى شئ ذهاباً معقولا ذهبت الجوارح نحوه ذهاباً محسوساً ، و العمل فى الاشارة فى مواطن التخاطب على اللسان ، ولا يمكن إشارته ، إلا بحرف يكون مخرجه من عذبة اللسان ، التى هى آلة الاشارة دون سائر أجزائه ، فأما الذال أو التاء ، فالتاء مهموسة رخوة ، فالمجهور أو الشديد من الحروف أولى منها للبيان ، و الذال مجهورة فخصت بالاشارة إلى المذكر ، و خصت التاء بالاشارة إلى المؤنث لأجل الفرق ، و كانت التاء به أولى (بالمؤنث) لهمسها و ضعف المؤنث ، ولأنها قد ثبتت علامة التأنيث فى غير هذا الباب ، ثم بينوا حركة الذال بالألف ، كما فعلوا

فى النون من أنا ، و ربما شركوا المؤنث مع المذكر فى الذال ، فاكتفوا بالكسرة فرقاً بينهما ، و ربما اكتفوا بمجرد لفظ التاء فى الفرق بينهما ، وربما جمعوا بين لفظ التاء والكسرة حرصاً على البيان . .) « فالجوارح عنده تتبع القلب ، لأنها خدم ، و فرق بين التبعية الحسية و العقلية ، و العمدة فى الاشارة اللسان ، و من عذبته يكون حرف الاشارة ! .

و يشير إلى أنهم زادوا « اللام » توكيدا . . و كانت « اللام » أولى بهذا الموطن حين أرادوا الاشارة إلى البعيد ، فكثرت الحروف حين كثرت مسافة هذه الاشارة ، و قللوها حين قلت .

و كذلك جئت بكاف الخطاب (ذلك) فكانك تقول له : لك أقول ، ولك أرمز بهذا الاسم ، ففى اللام طرف من هذا المعنى . .

(و أما دخول هاء التنبيه (هذه و هـذا) فلان المخاطب يحتاج إلى تنبيه على الاسم الذى يشيربه إليه ، لأن للاشارة قرائن حال يحتاج أن ينظر إليها ، فالمتكلم كانه آمر له بالالتفات إلى المشار إليه ، أو منبه له ، فلذلك اختص هذا الموطن بالتنبيه . .) .

و ابن القيم ليس حاكيا و لامقلدا و لاتابعا على طول الخط ، بل له رأيه و ترجيحه و استقلاله ، و إن ذهب علماء اللغة و النحو إلى نحو آخر . . فهو يقول عن حرف التنبيه (الهاء) و عدم جواز أن تعمل معانيها فى الأحوال و الظروف يقول :

(وعندى أن حرف التنبيه بمنزلة حرف النداء ، وسائر حروف المعانى لايجوز أن تعمل معانيها فى الأحوال ولا فى الظروف . . . (١) كما يشير إلى الصحيح

(١) بدائع الفوائد ١٨٢/١ .

و الأصح فى ترجيحه فى العامل فى هذا الباب . . فليراجع هذه المباحث البديعة من شاء مزيداً من البحث الممتع المفيد و العميق ، وليحيط بالموضوع من جميع أطرافه.

و اتفاق الحروف فى الصفات يتبعه اتفاق المعانى ، و اختلاف بعض الحروف فى الصفات ينوع المعانى و يأتى بالفروق بينها . يقول الفقيه ابن القيم .

(و أما « حتى » فموضوعة للدلالة على أن ما بعدها غاية لما قبلها ، و غاية كل شئ حده ، و لذلك كان لفظها كلفظ « الحد » ، فانهما حاء قبل تاءين ، كما أن الحد حاء قبل دالين ، والحال كالتاء فى المخرج والصفة إلا فى الجهر ، فكانت لجهرها (فى الحد) أولى بالاسم لقوته ، والتاء (فى حتى) لهمسها أولى بالحرف لضعفه .

ومن حيث كانت حتى كانت للغاية خفضوا بها كما يخفضون بـ « إلى» التى للغاية

و الفرق بينهما : أن « حتى » غاية لما قبلها و هو منه ، و ما بعد « إلى » ليس مما قبلها . بل عنده انتهى ما قبل الحرف ، و لذا فارقتها فى أكثر أحكامها ، و لم تكن « إلى » عاطفة لانقطاع ما بعدها عما قبلها بخلاف حتى ، ومن ثم دخلت « حتى » فى حروف العطف ، و لم يجز دخولهـــا على المضمر المخصوص إذا كانت خافضة ، لا تقول : قام القوم حتاك .

و من حيث كانت ما بعدها غاية لما قبلها لم يجز فى العطف : قام زيد حتى عمرو ، ولا أكلت خبزاً حتى تمراً ، لأن الثانى ليس بحد للاول ولا طرف) ١٠هـ.

فقد بين ابن القيم صفة بعض الحروف ، و نتيجة ذلك فى المعنى ، وفرق بين المعنى بناء على اختلاف الصفات ، و فرق بين اللفظتين فى العمل كما فرق بينهما فى المعنى ، وضرب أمثلة توضح المعنى و تبينه ، وتظهر العمل و الحكم ، استقصاء للفائدة و بياناً لمزيد الفوائد البديعة .

و ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ ليس حاكياً فى هذا الجانب فقط ، ولا مقلداً

فحسب . و لكن له استقلاله و فهمه ، و يذكر أحياناً ما يستحسنه و يرجحه ، و يعلن رأيه بصراحة فيما ليس بصحيح : فهو يرد على المتوهمين، ويذكر ما كان يجب أن يذكره العلماء فى المسألة مما أغفلوه و لم ينبهوا عليه ، و يذكر بأمانة العلماء ما ذكره الغير فى المسألة مما يرتضيه و يكتفى به ، يقول .

(ليس المراد من كون حتى لانتهاء الغاية و أن ما بعدها ظرفاً أن يكون متأخرا فى الفعل عما قبلها ، فاذا قلت (مات الناس حتى الأنبياء ، و قدم الحاج حتى المشاة) لم يلزم تأخر موت الأنبياء عن الناس وتأخر قدوم المشاة عن الحاج.

و لهذا قال بعض الناس إن « حتى » مثل الواو لا تخالفها إلا فى شيئين .

أحدهما : أن يكون المعطوف من قبيل المعطوف عليه ، فلا تقول : قدم الناس حتى الخيل ، بخلاف « الواو » .

الثانى : أن تخالفه بقوة أو ضعف ، أو كثرة أو قلة ، و أما أن يفهم منها الغاية و الحد ، فلا والذى حمله ذلك ما تقدم من المثالين .

و لكن فاته (فات بعض الناس القائل) أن يعلم المراد بكون ما بعدها غاية وظرفاً ، فاعلم أن المراد به أن يكون غاية فى المعطوف عليه لا فى الفعل : فانه يجب أن يخالفه فى الأشد و الأضعف و القلة و الكثرة

و إذا فهمت هذا ، فالأنبياء غاية للناس فى الشرف و الفضل ، و المشاة غاية للحجاج فى الضعف و العجز ، و أنت إذا قلت : (أكلت السمكة حتى رأسها) فالرأس غاية لانتهاء السمكة ، و ليس المراد أن غاية أكلك كان الرأس ، بل يجوز أن يتقدم أكلك للرأس ، وهذا مما أغفله كثير من النحويين لم ينتبهوا عليه) اهـ (١) .

و يرد ابن القيم التوهم الشائع ، و ينسب القول لأهله و يرجح الأصوب ،

(١) بدائع الفوائد : ١ـ١٩٧ ـ ١٩٩ بتصرف .

يقول (« أو » وضعت للدلالة على أحد الشيئين المذكورين معها ، ولذلك وقعت فى الخبر المشكوك فيه ، من حيث كان الشك تردداً بين أمرين من غير ترجيح لأحدهما على الآخر ، لا أنها وضعت للشك : فقد تكون فى الخبر الذى لا شك فيه ، إذا أبهمت على المخاطب ، و لم تقصد أن تبين له ، كقوله سبحانه و تعالى : « إلى مائة ألف أو يزيدون » (١) أى أنهم من الكثرة بحيث يقال فيهم ، هم مائة ألف أو يزيدون « فأو » على بابها : دالة على أحد الشيئين : إما مائة ألف بمجردها ، وإما مائة ألف مع زيادة ، والخبر فى كل هذا لا يشك .

و قوله تعالى : « فهى كالحجارة أو أشد قسوة » (٢) ذهب فى «أو» هذه كالتى فى قوله سبحانه و تعالى : «أو كصيب من السماء» إلى أنها « أو » التى للاباحة أى أبيح للمخاطبين أن يشبهوا بهذا أو هذا ، و هذا فاسد ، فان «أو» لم توضع للاباحة فى شئ من الكلام ، و لكنها على بابها ، أما قوله تعالى « أو كصيب من السماء » (٣) فانه تعالى ذكر مثلين مضروبين للنافقين فى حالتين مختلفتين : فهم لا يخلون من إحدى الحالتين ، فأو على بابها من الدلالة على أحد المعنيين و هذا كما تقول : زيد لا يخلو أن يكون فى المسجد أو الدار ، ذكرت «أو» لانك أردت أحد الشيئين ، وتأمل الآية بما قبلها وافهم المراد منها تجد الأمر كما ذكرت لك وليس المعنى أبحت لكم أن تشبهوهم بهذا و هذا .

و أما قوله سبحانه : « فهى كالحجارة أو أشد قسوة » فانه ذكر قلوباً و لم يذكر قلباً واحداً ، فهى على الجملة قاسية ، أو على التعيين لا تخلو من أحد أمرين: إما أن تكون كالحجارة ، و إما أن تكون أشد قسوة ، و منها ما هو كالحجارة ، و منها ما هو أشد قسوة منها ، و من هذا قول الشاعر :

---

(١) سورة الصافات الآية ١٤٧ . (٢) سورة البقره الآية ٧٤ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٩ .

فقلت لهم شيئان لا بد منهما : صدور رماح أشرعت أو سلاسل .

أى لا بد منهما فى الجملة ، ثم فصل الاثنين بالرماح و السلاسل : فبعضهم له الرماح قتلا ، و بعضهم له السلاسل أسراً ، فهذا على التفصيل و التعيين ، و الأول على الجملة ، فالأمران واقعان جملة و تفصيلهما بما بعد « أو » .

و قد يجوز فى قوله تعالى : « أو أشد قسوة » مثل أن يكون فيما فى قوله تعالى : « مائة ألف أو يزيدون » ... و أما أو التى زعموا أنها للاباحة ، نحو : جالس الحسن أو ابن سيرين ، فلم توجد الاباحة من لفظ « أو » و لا تكون « أو » قط للاباحة . و إنما أخذت من لفظ الأمر الذى هو للاباحة و يدل على هذا : أن القائلين بأنها للاباحة يلزمهم أن يقولوا: إنها للوجوب إذا دخلت بين شيئين لا بد من أحدهما ، نحو قولك للكفر : أطعم عشرة مساكين ، أو أكسهم ، فالوجوب هنا لم يوجد من « أو » و إنما أخذ من الأمر ، فكذا جالس الحسن أو ابن سيرين) اهـ (١) .

أطلنا النقل فى هذه الفائدة البديعة ، لندلل على تتبع العلامة ابن القيم للجزئيات لشرح المقام ، و تلمس الشاهد و الدليل على قوله ، و التعليل المعقول لما يختاره ، و رد التوهم الذى وقع ممن سبق ، و مناقشة القضايا التى يسوقها مناقشة علمية عقلية ، و إسناد الرأى لقائله ، و بصره بصفات حروف اللغة العربية و مخارجها ، و تنوع المعنى أو اتحاده تبعاً للمخرج والصفة ، وتتبع معانى الحروف والاشارة إلى أحكامها ، و بيان وجه الجواز أو الامتناع فى استعمالها ، و بيان وجه التجوز فى قول اللغويين و النحاة ، وذكر وجه الحقيقة كأصل فى الاستعمال ، وإن أهملت بكثرة الاستعمال للمجاز ، و التجوز فى القول . . . إلخ .

---

(٤) بدائع الفوائد ١٩٩/١

مما يدل على رسوخ قدم ابن القيم فى العلوم اللغوية و أصولها ، بجانب كونه فقيهاً له بصر بضروب المعارف الاسلامية وصنوفها ، و من تتبع أمثال هذه المباحث فى كتبه رأى صدق ما قلناه ، و سعة عقله و وفرة معارفه و عمق تفكيره ، وتلمس الرابطة الدينية ما أمكن . . و اقرأ له على سبيل المثال فى هذا الصدد مباحث : (أصل تركيب لكن) ، و « أم » فى الاتصال و الانقطاع ، ، و السر فى إضمار حرف العطف . . . فى كتابه : « بدائع الفوائد » ترى فوائد جمة ، و صدق ما ذهبنا إليه .

و حقيقة اللفظ و مجازه كثيراً ما يختلط على الباحثين فى معرفة أصله وفرعه و استعماله ، و كثرة استعمال المجاز و نسيان الأصل يحدث كثيراً ، حتى يصبح المجاز حقيقة . فلنستمع إلى شيخنا الفقيه ابن القيم و رأيه فى هذا ، يقول : (المجاز و التأويل لا يدخل فى المنصوص ، وإنما يدخل فى الظاهر المحتمل له ، و هنا نكتة ينبغى التفطن لها ، و هى : أن كون اللفظ نصاً يعرف بشيئين :

أحدهما : عدم احتماله لغير معناه وضعاً كالعشرة .

و الثانى : ما اطرد استعماله على طريقة واحدة فى جميع موارده ، فانه نص فى معناه ، لا يقبل تأويلا و لا مجازاً . .) (١) .

فوضع اللفظ لمعناه ، و عدم احتماله لغير معناه ، يجعله من المنصوص الذى لا يحتمل مجازاً و لا تأويلا ، و يستعمل فيما وضع له .

وكذلك ما اطرد استعماله ، أى كثر استعماله فى جميع موارده ، يلحق بوضع اللفظ نصا لا ينصرف إلى غير ذلك ، لأن كثرة الاستعمال و اطرادها ألحقاه بالنص الذى لا ينصرف إلى غير ما وضع له .

(١) بدائع الفوائد ١/ ١٥ .

و النحاة و اللغويون تختلف وجهات نظرهم فى الاشتقاق و أصله، ثم يقفون عند أقسام الاشتقاق موقفاً محدداً بقواعد لا يريمون عنها، كأنهم صيادلة حددوا مقادير الأدوية و صنفوها، و تركوا استعمالاتها الاطباء، و الحق أن للفقهاء نظرة كنظرة الأطباء، فللاشتقاق عندهم معنى زائد فى الاستعمال، يحل كثيراً من المشاكل.

زعم السهيلى وشيخه أبو بكر بن العربى أن اسم الله غير مشتق، لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها، واسمه تعالى قديم والقديم لا مادة له، فيستحيل الاشتقاق

و لكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى و لا ألم بقلوبهم، و إنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى وهى الالهية، كسائر أسمائه الحسنى، كالعليم والقدير و الغفور و الرحيم و السميع و البصير . . فان هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلاريب، وهى قديمة، و القديم لا مادة له، فما كان جوابكم عن هذه الأسماء فهو جواب القائلين باشتقاق اسمه (الله)، ثم الجواب عن الجميع: أننا لا نعنى بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها فى اللفظ والمعنى، لا أنها متولدة منها تولد الضرع من أصله.

و تسمية النحاة للصدر و المشتق منه أصلا و فرعاً ليس معناه: أن أحدهما تولد من الآخر، و إنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر و زيادة.

و قول سيبويه: إن الفعل أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء هو بهـذا الاعتبار، لأن العرب تكلموا بالأسماء أولا، ثم اشتق منها الأفعال، فان التخاطب بالأفعال ضرورى كالتخاطب بالأسماء، لا فرق بينهما.

فالاشتقاق هنا ليس هو اشتقاقاً مادياً، وإنما هو اشتقاق تلازم: سمى المتضمن (بالكسر) مشتقا، و المتضمن (بالفتح) مشتقا منه، و لا محظور فى اشتقاق اسماء الله تعالى بهذا المعنى (١).

(١) السابق ٢٢ ـ ٢٣.

و مع هذا التحديد الذى ارتآه علماء اللغة والبلاغة فان الأنظار تختلف عند الاستعمال فى زوايا حادة . تمليها وجهات النظر الدينية أو العقائدية، حسب المدارس التى ينتمون إليها . . . ولكن المحققين من العلماء كابن القيم يتعقبون الآراء بالتمحيص و الترجيح و بيان الجيد المقبول ، و يردون الزائف ، يقول ابن القيم :

(اختلف النظار فى الأسماء التى تطلق على الله و على العباد ، كالحى و السميع و البصير ، و العليم و القدير ، والملك و نحوها) .

فقالت طائفة من المتكلمين : هى حقيقة فى العبد مجاز فى الرب ، و هذا قول غلاة الجهمية ، و هو أخبث الأقوال و أشدها فساداً .

الثانى : مقابله ، وهو أنها حقيقة فى الرب مجاز فى العبد ، وهذا قول أبى العباس الناشى

الثالث : أنها حقيقة فيهما ، و هذا قول أهل السنة ، و هو الصواب .

و اختلاف الحقيقتين فيهما لا يخرجها عن كونها حقيقة فيهما ، و للرب تعالى منها ما يليق بجلاله ، و للعبد منها ما يليق به .

و ليس هذا موضع التعرض لمأخذ هذه الأقوال و إبطال باطلها و تصحيح صحيحها ، فان الغرض الاشارة إلى أمور ينبغى معرفتها فى هـــذا الباب ، و لو كان المقصود بسطها لاستدعت سفرين أو أكثر (١) .

(للبحث صلة)

(١) بدائع الفوائد ١/١٦٤ .

دراسات و أبحاث

الأدب: صفته و الحاجة إليه

الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي
رئيس كلية اللغة العربية بدار العلوم ندوة العلماء، لكناؤ

[قدم هذا المقال في الملتقى التعليمي الذي عقد في ندوة العلماء للبحث في مناهج التعليم الاسلامية ٢٣ — ٢٥ جمادى الأولى ١٤٠٤ه]

تسير حياة الانسان الاجتماعية أساسيا مستعينة برابطة اللغة، و هي التي يعبر بها الانسان عن حاجاته ومطالبه و أحاسيسه ويبلغها إلى غيره، ولو لم تكن هذه الرابطة لما كان في مقدور الانسان أن ينقل ما يحسه من حاجة أو أثر على نفسه أو تجربة من من تجاربه في الحياة إلى إنسان آخر، و لظلت هذه الأحاسيس و الحاجات محصورة مكبوتة في مخيلته و ذهنه، و تلاشت أخيراً وامحت من الذاكرة نهائياً، و لم تتوسع و لم تقو بتجارب الآخرين و أحاسيسهم كذلك، لأن معرفة تجارب الآخرين أيضاً تتوقف على اللغة و أداة التعبير.

وما دام كلام الانسان يكون متضمناً للكلمات العادية البسيطة يعد الكلام كلاماً بسيطاً، أو لغة عادية تروج في طبقات غير المتعلمين و الذين لم يتمكنوا من التثقف لغوياً أو أدبياً، و تحسين نطقهم و تعبيرهم، و لكن الكلام البسيط عند ما يتوسع آفاقه التعبيرية و يدق القول ويتنوع و يتنسق و يحمل قوة بيانية و تأثيراً، و تنسيقاً للكلمات، و ترتيباً للمعنى ترتيباً لائقاً بالمناسبة و المكان، يصبح الكلام أدباً، و يرتفع عن كونه مجرد لغة.

يقول الفيروزابادى فى صـــدد ذكره لمعنى الأدب : هو الظرف و حسن التنـاول (١) و يقول ابن منظور فى لسان العرب : الأدب يتأدب به الأديب من الناس ، سمى أدبا لأنه يؤدب الناس إلى المحامد و ينهاهم عن المقابح.

و أصل الأدب الدعاء ، و منه قيل للصنيع يدعى إليه الناس مدعاة، ومأدبة ، و جاء فى حديث عن ابن مسعود رضى الله عنه ، إن هذا القرآن مأدبة الله فى الأرض فتعلموا من مأدبته (٢)

و عرف الامام عبد القاهر جرجانى الأدب بالكلمات الآتية :

« الأدب عبـارة عن معرفـة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ لفظاً و كتابة » (٣)

و كتب ابن هذيل فى «عين الأدب» ، الأدب ، طبيعى ، و كسبى ،

الطبيعى : ما فطر عليه الانسان من الأخلاق الحسنة و الصفات المحمودة كالعلم و الكرم ، و الكسبى ما اكتسبه بالدرس و الحفظ و النظر(٤).

إن كلة الأدب باعتبارها الكلمة العربية قديمة ، استعملت فى العهد الأول ولكن لم يكن استعمالها بالمعنى الذى يراد به فى عهودنا المتأخرة، فقد كان المعنى الذى نريده من الأدب الآن : يؤدى بكلمتى: البيان نثراً ، و الشعر نظماً ، ووردتا فى هذا المعنى فى كلام الرسول ﷺ ،

أتى إلى النبى ﷺ وفد من بنى تميم و كان رئيسه زبرقان بن بدر ، و يرافقه عمرو بن الأهتم، وأثنى عمرو بن الأهتم على الزبرقان فوصفه بنعوت حسنـة ، ثم هجاه فوصفه بأخلاق سيئة ، فبدت آثار الكراهة فى وجه رسول الله ﷺ لما اختلف قوله ، فقال : يا رسول الله ! رضيت فقلت أحسن ما علمت ، و غضبت فقلت أقبح ما علمت، وما كذبت فى الأولى و لقد صدقت فى الثانية ، فقال رسول

الله ﷺ « إن من البيان لسحراً ، و إن من الشعر لحكمة » (٥)

وسمع عمرو بن عبد العزيز كلاماً فصيحاً من ولد فقال هذا السحر الحلال (٦)

و الواقع أن الذى يعرف لغة من اللغات و يتذوقها و يقدر على التعبير الجميل فانه يستخدم كلامه للتأثير أو لاظهار قدرته و صلاحيته .

و إذا كان المقصود من الكلام الافهام و التفهيم و الاقناع فيحتاج المعبر عن رأيه إلى العناية بالكلام فيختار كلاماً مناسبا لحال المخاطب و مهما كان الموضوع ، فان مراعاة الحالة المقصودة أمر لا مناص منه فى الكلام .

و يدلنا تاريخنا العلمى و الدينى أن العناية بالكلام و تأثيره كانت مرعية فى كل عصر و أكبر دليل عليه الروعة البيانية التى يشتمل عليها القرآن الكريم ، فاذا قصرنا نظرنا على ما يشتمل عليه من جمال أدبى وقوة و تأثير لظهر لنا القرآن أدبا خالصا ، فان كل جملة و آية فى القرآن تحمل ثروة أدبيـة و قوة بيانية لا يمكن حصرها ، كذلك الحديث النبوى الشريف يضم ثروة أدبيـة كبيرة تفوق ما تشتمل عليه الكتب الأدبية ،

إقرؤا كلام رسول الله ﷺ وهو يأمر حادى الابل بالترفق مع النساء « رفقاً بالقوارير » (٧) لقد كان فى وسعه و لم يكن من الخطأ أن يقول « رفقا بالنساء » لكنه استعمل كلمة القوارير ، و هى كلمـة لا تؤدى مجرد معنى النساء بل تشخص طبيعة النساء ورقتهن ، و ذلك هو الاستعمال الأدبى .

و كذلك عند فتح مكة أنشد حسان بن ثابت الأنصارى قصيدة و ساء ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأنه اعتبر ذلك منافيا مع طبيعة الوضع الجدى ، فأراد أن يمنعه ، فقال رسول الله ﷺ ... ... دعوه فانه أشد عليهم من النبل (٨) .

لم يكن كلام الصحابة رضى الله عنهم أيضاً خالياً عن هذا العنصر ، فقد كانوا

يراعون ذلك فى تعبيرهم ، و به استحق كلامهم أن يعد من أصناف التعبير الأدبى ، و فى الكتب أمثلة متوفرة من كلام سيدنا أبى بكر و سيدنا عمر و سيدنا عثمان ، و سيدنا على ، و الصحابة الكرام الآخرين ، و عمر بن عبد العزيز وحسن البصرى و الامام ابن تيمية و ابن القيم و ابن الجوزى و عبد القادر الجيلانى ، و الامام الغزالى و الامام ولى الله الدهلوى و علماء آخرين ، فقد زخر كلامهم بنماذج التعبير الأدبى و اتصف بالسمة الأدبية و الروعة البيانية ، و التأثير الوجدانى الذى يعد من خصائص الأدب .

إن أفضل طريق لايضاح علم ، أو تجارب ، أو معلومات و شعور و عاطفة هو التعبير برعاية القوة و الجمال للكلمات و الجمل ، و تخير كلمات بقدر اقتضاء المعانى لها . ونظم الكلام بها ، بالايجاز فى موطن الايجاز ، والاطناب فى موطن الاطناب ، و السهولة و الجزالة فى موضع الجزالة .

يقتضى المعنى العلمى السهولة و السلاسة فى الكلام ، و يقتضى المعنى الأدبى حسن التعبير و جمال العبارة ، و قد راعى ذلك أسلافنا بدقة و عناية .

أما الموضوعات الأدبية الخالصة فلا شك فى أنه يعتنى فيها بالجمال الأدبى ولكن السلف استخدموا فى الموضوعات العلمية و التعليمية أيضاً نصاعة التعبير فصنفوا كتباً فى تعليم النحو و البلاغة و اللغة ، بهذه الرعاية ، و مثاله كتاب المفصل للزمخشرى ، و شرح شذور الذهب لابن هشام ، و شرح قطر الندى و دلائل الاعجاز و أسرار البلاغة للجرجانى ، و لسان العرب لابن منظور ، و هذه الكتب تدل على اهتمام هؤلاء المؤلفين بالجانب البيانى فى العبارة ، و أمثلة هذه الكتب فى العلوم الشرعية و الدينية : زاد المعاد لابن القيم ، و حجة الله البالغة للشيخ ولى الله الدهلوى ، و إحياء العلوم للغزالى ، فهى تعنى كذلك بالجانب الأدبى و بذلك الاعتناء تحمل هذه

الكتب تأثيراً و قوة زائدة .

وبهذه الأمثلة – وهى غيض من فيض – يتضح أن القوة الأدبية أداة كبيرة لنقل الفكر و الرأى ، للتأثير فى الذهن ، استحسن الرسول ﷺ و صحابته الكرام و أتباعهم هذه الأداة بل رعوها كل الرعاية ، و بذلك يجتمع حسن الأدب فى السيرة مع حسن الأدب فى الكلام ، ومن المناسب أن يكون تعليم الأدب واللغة بمراعاة هذا المنهج كذلك .

و لقد دعا فضيلة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى إلى تبنى هـذه الناحية فى تعليم الأدب، وألف كتابه « مختارات من أدب العرب »، على هذا المبدأ، و قد نوه به عدد من أدباء العرب و نقادهم ، و قررت وزارة التعليم تدريسها فى مدارسها فى عدد من البلدان العربية الاسلامية ، و ذكر فضيلته خلال شرحه لحقيقة الأدب ، أن القطع الأدبية و البيانية لا تنحصر فيما يدبجه يراع الكتاب الأدباء الذين يظهرون أمام الناس بسمة الأدب وفى البذلة الأدبية ، فان فى الكتاب الذين لا يلبسون بذلة أدبية و لا يظهرون بين الناس بسمة الأدباء أهل أقلام أدبية بارعين ، توجد فى كتاباتهم قطع أدبية قوية نابضة بالحركة و الحياة ، و إن كتب الحـديث و السيرة و التاريخ و كتب المواعظ و المحاضرات الدينية حافلة بمثل هذه القطع و هى إذا قدمت للقراء كقطع من الأدب لأدت دورها كاملة فى مجال المتعـة الأدبيـة ، مع كونها وسيلة للتربية وزاداً للمعرفة والعلم كذلك، وتكون بذلك جامعة لفوائد جمة (٩)

أما فكرة فضيلته فى تعليم مادة اللغة فمبنية على مبدأ عملى جامع ، وهو أن تؤخذ مادة اللغة كمادة تجمع بين معرفة اللغة وبين اكتساب القيم والمثل العليا، بدون تقصير فى مراعاة النفسيـة التى يتطلبها الطفل بمقتضى سنه و عقليتـه ، و كتابه « قصص النبيين » خير مثل فى ذلك و قد أثنى على طريقته فى هذا الكتاب عدد

من أقطاب الأدباء و المعنيين بالكتابة للأطفال فى العالم العربى (١٠) .

على كل فهذه بعض الاشارات إلى ما يجب أن يكون اللغة و الأدب عليه في مناهجنا الدراسية و فى اختياراتنا فى فنى الأدب و اللغة ، و الله الموفق .

الهوامش

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادى مادة « أدب »

(٢) لسان العرب لابن منظور

(٣) عبد القاهر الجرجانى

(٤) علم الأدب الجزء الأول للاب لويس شيخو اليسوعى

(٥) زهر الآداب ، لأبى اسحق القيروانى

(٦) أيضاً أيضاً

(٧) صحيح البخارى

(٨) سيرة ابن هشام

(٩) مقدمة مختارات من أدب العرب للشيخ أبى الحسن الندوى

(١٠) مقدمة قصص النبيين للأطفال للشيخ الندوى ، بقلم سيد قطب رحمه الله

العلامة عبد العزيز الميمنى : مؤلفاً و محققاً

الدكتور محمد راشد الندوى
الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية بجامعة عليكره الاسلامية

تعتز الهند منذ القدم بشخصيات كانت غرة فى جبينها كما هى تعتز بشخصيات رفعت مكانتها و أحسنت سمعتها فى العلم، من هذه الشخصيات النادرة شخصية أستاذنا الجليل العلامة عبـد العزيز الميمنى رحمه الله رحمة واسعة و أمطر على قبره شآبيب رضوانه و تغمده بكرمه، وأدخله فى جنة النعيم مع الصالحين و المحبين للغة القرآن و العاشقين لآثار السلف .

لقد سعدت بلقاء العلامة سنة ١٩٥٦م بمدينة دمشق الفيحاء التى أحبها حباً جماً حتى كان يتغنى بجمالها و بهجتها و يستأنس بأدبائها و علمائها ، و قد أحبه أهل هذه المدينة حباً حتى إنهم اعتبروه ابناً من هذه البلاد إذ منحته الحكومة السورية الجنسية السورية، وهى أعظم إكرام و تقدير من دولة لرجل أجنبى . إنما كان ذلك تقديراً لأعماله و جهوده و مساعيه لاحياء التراث العربى و الاسلامى و الثقافى فيه .

لقد رأيت العلامة فى هـذه المدينة الجميلة ذات الأنهار و الأشجار ذات التاريخ والآثار، يتغرد كالبلبل الشادى و يتحدث العلماء حديث العالم الفطن الخبير بالدرر المكنونة، والعليم بالكنوز المختفية، فيبهر الحاضرين بطلاقة لسانه وحسن بيانه وسرعة خاطره و ذكائه المتوقد الحاد .

و كنت أرى علماء المدينة و أدبائها يقصدون مجالسه ويتهافتون عليها ويتبادلون معه فى قضايا اللغة والأدب والتاريخ ، قد راعتنى هذه المشاهد الجميلة وكانت تملأ فى

نفسي الثقة بأن الانسان يذلل الصعوبات و يسهل المشكلات إذا رزق الصبر والجلد و الجد و العمل المستمر و الأناة و التأنى كأنى أرى العلامة الميمنى و هو يخاطب العرب بشعر شاعر الشام أبى تمام بلهجة حماسية فيها كل اعتزاز وفخر كما فيها كل غبطة و فرح :

إن نختلف نسباً يؤلف بيننا | أدب أقمناه مقام الوالد
أو يختلف ماء الحياة فسماؤنا | أبداً تحدر من غمام واحد

قد ذكرتنى حلقات العلامة عبد العزيز الميمنى و مجالسه بمدينة دمشق و القاهرة مجالس شيخ المعرة و حكيمها أبى العلاء المعرى التى يقصدها العلماء و الأدباء و الشعراء من آفاق البلاد و أعماقها و يعرضون عليه أشعارهم و إنتاجهم و يطلبون منه حكمه و رأيه فيها و كان شيخ المعرة يعطى كل ذى حق حقه و يكون حكمه أكبر شهادة يتمناها كل شاعر و أديب فى تلك الأيام لأن المعرى مع قوة ذكائه و شدة إحساسه و جلاء طبيعته قد رزق من العلم قلما يرزق الآخرون ، قد نقل العلامة عبد العزيز الميمنى مجلساً من مجالس شيخ المعرة الذى يمثل هذه الفكرة خير تمثيل ، يقول :

نقل الحافظ ابن سيد الناس اليعمرى الأندلسى أن أبا نصر المنازى و اسمه أحمد يوسف دخل على أبى العلاء فى جماعة من أهل الأدب فأنشد كل واحد منهم من شعره ما تيسر فأنشده أبو نصر :

و قانا نفحة الرمضاء واد | سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا | حنوء الوالدات على الفطيم
و أرشفنا على ظمأ زلالا | ألذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى و اجهتنا | فيحجبها و يأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى | فتلمس جانب العقد النظيم

فقال أبو العلاء أنت أشعر من بالشام ثم رحل أبو العلاء إلى بغداد فدخل المنازى عليه فى جماعــة من أهل الأدب ببغداد و أبو العلاء لا يعرف منهم أحداً فأنشد كل واحد ما حضره من شعره حتى جاءت نوبة المنازى ، فأنشد :

لقد عرض الحمام لنا بسجع إذا أصغى له ركب تلاحى
شجـا قلب الخلى فقيل غنى و برح بالشجى فقيـل ناحا
و كم للشوق فى أحشاء صب إذا اندملت أجد لها جراحا
ضعيف الصبر عنك وان تفادى و سكران الفؤاد وإن تصاحى
بذاك بنوا الهوى سكرى صحاة كأحداق المها سكرى صحاحا

فقال أبو العلاء و من بالعراق عطفاً على قوله من بالشام ، يعنى أشعر من بالشام و العراق ، و حكى ابن العديم فى تاريخ حلب ما نصه ، و بلغنى أن المنـازى عمل هذه الأبيات ليعرضها على أبى العلاء المعرى فلما وصل إليــه و أنشده الأبيات لجعل المنـازى كلما أنشده المصراع الأول من كل بيت سبقه أبو العلاء إلى المصراع الثانى الذى هو تمام البيت ، و لما أنشده قوله نزلنا يعنى (نزلنا دوحـــه لحنا علينا) فقال أبو العلاء حنوء الوالدات على الفطيم ، فقال المنازى : إنما قلت عــلى اليتيم ، فقال أبو العلاء الفطيم أحسن (١) .

إنما ذكرت هذا الخبر من كتاب «أبو العلاء و ما إليه» ، لأوضح أن العلمـاء و الأدباء أينما يرحلون و ينزلون يكونون يمناً و بركة ويكونون مهوى القلوب ومحط الأنظار و يكونون مدرسة متحركة متجولة يتربى فيها الطلاب و يتهذب فيها العلماء ، و يكون الانتساب إليها مفخرة و شرفا لكل أديب و لكل شاعر ، لقد سعدت بلقاء العلامة عبد العزيز الميمنى وكان قد تجاوز السبعين من عمره تلوح على محياه النجابة

(١) أبو العلاء و ما إليه : عبد العزيز الميمنى ١٤٠ — ١٤١

و النبوغ و تلمع فى عينيه الفطانة و الطموح الزايد ، و تترشح من حديثه العظمة والحية كما يترشح منها الاعتزاز بالنفس و الثقة بها ، و فى هذا العمر كنت أراه دائباً مكباً على الكتب و لا أرى عليه أثر الملل و التعب ، و إن أنفق نهاره كله بين المجالس و المكتبات ، و إن هذا الرجل الذى بلغ هذه القمة من الشهرة و الصيت والتقدير العظيم من النائى والدانى قضى حياته مليئة بالخير والشر مليئة بالحلو و المر ، لقى من المشاكل و المتاعب و لكنه ذللها و سهلها و راضها و ألانها ، كنت أرى هذا الرجل فتمثلت أمامى شخصيته الكاملة لماضيها وحاضرها وكيف قضى هذه المراحل كلها بجد و حزم كما قضاها بعزم و صبر ، و كيف انتقل من وطنه راجكوت شوقا للعلم و لم يبلغ العاشر من عمره إلى مدينة دلهى التى كانت تزخر فى تلك الأيام بالعلماء و الادباء و تموج بالمحققين و الباحثين ، فقد وجد فى كنفها حبا من العلماء و عناية من الفضلاء أمثال ، عبد الرحمن البنجابى و الشيخ محمد بصير السهسوانى الذى كان قاضياً بولاية بوبال أيام الأمير صديق حسن خان ، كما درس كتب اللغة و الأدب على الشيخ نذير أحمد الذى كان معروفا بالذوق الأدبى و الاطلاع على مصادر أمهات الكتب .

قد بذر الشيخ نذير أحمد فى تلميذه بذور الحب للغة العربية وآدابها وقد درس عليه الكتب التى قلما تدرس فى تلك الأيام بالمدارس العربية فى الهند مثلا كتاب الحماسة لأبى تمام و ديوان المتنبى و مقامات الحريرى و بديع الزمان الهمدانى و سقط الزند لشيخ المعرة أبى العلاء المعرى ، فقد قدر لهذا التلميذ أن ينهل من المنبع الصافى ويسقط على هؤلاء الأفذاذ النابغين الذين كان التلميذ يتحدث عنهم طول حياته باعتزاز و افتخار كما يتحدث بعظمة و إجلال ، و لما رأى التلميذ أنه قد حصل على ما عند هؤلاء الكبار من العلم تحرك شوقه فطار إلى مدينة رام بور لما كان يسمع عن كليتها

(المدرسة العالية) التی كان أكبر مركز ثقافی و علمی فی تلك الأيام ، و كان يتولی رئاسة تدريسها و الاشراف عليها العلامة محمد طيب المكی الذی كان ذائع الصيت فی الهند كلها، يقصده الطلاب من أقاصی الهند و أدانيها. فقد استفاد التلميذ من العلامة محمد طيب المكی و قد نضج عقله و اشتد ساعـــده و كان فی العشرين من عمره فی سنة ٩ـ ١٩٠٨. فقد كان فی هذه المرحلة يدرس دراسة منتظمة، فلما انتهی منها بدأ يقدم الامتحانات للحصول علی الشهادات فی اللغة العربية من قسم الدراسات الشرقية من جامعة بنجاب . و كان الطلاب النجباء و المتشوقون يحصلون علی هذه الشهادات من جامعة بنجاب ليتأهلوا للوظيفة فی المدارس الحكومية و كلياتها، فقد شاء القدر أن يعين الأستاذ الميمنی فی كلية بشاور محاضراً لتدريس اللغة العربية و الفــارسية و بقی فيها مدة إلی أن جذبته مدينة لاهور فالتحق بكلية الدراسات الشرقيـة مدرساً فوجد فی حرمها أساتذة نابغين كانوا مطلعين علی الدراسات الشرقيـــة و الغربيـــة و ملمين بالمناهج التعليمية القديمة و الحديثة وخبيرين بأصول التأليف و التحقيق ، أمثال الشيخ الأستاذ محمد شفيع و الشيخ محمد إقبال والشيخ محمد طلحة ، فانتظم فی سلك التدريس و تشرف بزمالة هؤلاء الأساتذة المحنكين فتوقد ذهنه و تفتحت قريحته و استقام له منهج التحقيق و التأليف، من حرم هذه الكلية المباركة وحماها بدأ هلال الميمنی يطل من أفق السماء فترنو إليه العيون و تستبشر به خيراً وبدأت تتهامس و تتناجی كأنها تردد قول الشاعر :

لمـــا رأيت من الهلال بدوه   أيقنت أن سيكون بدراً كاملا

وكان هذا الهلال هو ظهور كتابيه ابن الرشيق القيروانی وأبو العلاء وما إليه،

و قد عزم الميمنی أن يكون كتابه باللغة العربية ليستفيد به العرب و العجم ،

لا شك أن الأستاذ الشيخ محمد شفيع له فضل كبير فی توجيـــه الميمنی وجهة صحيحة

للدراسة و البحث فكأنه بذر فيـه بذورا صالحة فى تربة صالحة و غرس فيه غرساً صالحاً فى أرض خصبة فظهرت ثمراتها فى أبحاثه و مقالاته القيمة .

فى سنة ١٩٢٥م غادر الأستاذ الميمنى لاهور إلى جامعة عليكراه الاسلامية حيث عين أستاذاً مساعداً بقسم اللغة العربية و آدابها عن جدارة و استحقاق ، فقد كان يمناً و بركة للقسم كما كان يمناً و بركة للجامعة نفسها ، فقـد رحب به أساتذة القسم كما رحب به القائمون على شؤون الجامعـة خير ترحيب ، فكتبت مجلة (عليكره ميكزين) لسان حال الجامعة كلمة ترحيب بقلم رئيس التحرير ، جاء فيها :

« إن تعيين الأستاذ عبد العزيز الميمنى أستاذاً مساعداً فى جامعة عليكراه الاسلامية خطوة مباركة ميمونة و هو فى الحقيقة كنز من الكنوز الثمينة أضيف إلى الجامعة .

الأستـاذ الميمنى لا يحتاج إلى تعارف فهو أشهر من أن يعرف و أن أعماله الأدبية و اللغوية و ذوقه العلمى الخـالص قد أوصلته إلى ذروة الكمال حيث يصعب وصول الآخرين إليها ، و قد طبع عدد كبير من مؤلفاته و مصنفاته فى لاهور و مصر و نالت إعجـاب العلماء و المحققين ، نرجو أن يستغل الجامعـة وجوده فيها كما نرجو أن ينتهز الطلبة فرصة بقائه بينهم ، و إن جو الجامعة سيساعده ويحركه إلى مزيد من العمل ، و الانتاج من مزيد من العلم و العرفان (١) »

قد أثبت العلامة عبد العزيز الميمنى كفاءته وجدارته فى جامعة عليكره وتتابعت أبحاثه و مقالاته فى موضوعات اللغة و الأدب و التاريخ ، و التراجم على صفحات المجلات العلمية الراقية فى الهند والبلاد العربية حتى إن كل مجلة علمية كانت تتمنى أن تنشر فيها مقالات العلامة ، وأثناء إقامته فى جامعة عليكره نشر كتابه « سمط اللآلى فى شرح الامالى للقالى » فكان معجزا فى التحقيق والتخريج واستمر فى عمله وإنتاجه مجداً

(١) عليكره ميكزين ١٩٢٥م

مجتهداً إلى أن لبى دعوة ربه سنة ١٣٩٨هـ المطابق ١٩٧٨م .

عين الميمنى أستاذاً مساعداً سنة ١٩٢٥م و ترقى حتى عين أستاذاً و رئيساً بقسم اللغة العربية و آدابها واستمر فيها إلى سنة ١٩٥٠م ، فكانت حياته فى الجامعة من أخصب الأيام و أثمرها . و وصلت مقالاته و أبحاثه فى الآفاق ، وتوثقت صلته بأدباء العرب و علمائها كما تقوت أواصره بالباحثين و المحققين من المستشرقين فى الجامعات الأوربية وتوطدت روابط المحبة والاخوة الدينية بينه وبين الباحثين فى جميع البلاد العربية ، وعين عضواً مراسلا فى المجامع العربية المشهورة فى دمشق والقاهرة ، و أثناء إقامته فى الجامعة قام بجولات واسعة النطاق فى العالم ينقب عن آثار العرب و المسلمين فى المكتبات المشهورة والمجهولة فى أكثر أنحاء العالم ، ويأتى فى كل جولة بالنوادر و العجائب من المخطوطات و الوثائق فتدهش لها النفوس و تبهر العيون و صار أكبر مرجع للغة و العلم للباحثين و المحققين .

إن أعمال الميمنى كثيرة متنوعة و هى تنطق بفضله و عظمته و هى ليست بحاجة إلى أى تعريف و تقديم ، وفى هذه الساعة أتحدث إليكم عن كتابين من كتبه ذلكما اللذان بلغا بالميمنى ذروة التاليف والتحقيق حتى صار مثلا يضرب فى هذا الموضوع .

نشر العلامة عبد العزيز الميمنى كتابه عن أبى العلاء المعرى الذى ظل فى التاريخ العربى من أكثر الكتب غموضاً و تعقيداً فهو كان يمثل عصره خير تمثيل بما فيه من فتن دينية واضطرابات سياسية و مشاكل اجتماعية وفوضى أخلاقية وانحلال و تفكك فى نظم الحكومات المختلفة المتحاربة ، هذا من جهة ، وأما من جهة أخرى فنرى أموراً متناقضة كل التناقض ، نرى وهو تقدماً علمياً ونضجاً عقلياً وازدهاراً بالشعر و رواجاً للادب و انتشاراً للغة ، و الحركات كانت قوية لتدوين اللغات و المعاجم ، لجولات العلماء و الأدباء و اللغويين على قدم وساق ، هذه الصور المختلفة المتناقضة كلها نرى

فى أعمال المعرى و آثاره ، فالباحث الذى يتناول شخصيتـــه و آثاره يقف حائراً ضائعاً يضل فكره و يعثر قلمه فى كل مرحلة ، و من أغرب الأمور و أعجبها أن شيخ المعرة كان لغزاً من الألغــاز فى حياته و بقى لغزاً حتى بعد مماته ، و اختلف الكتاب والباحثون والمؤرخون والناقدون حول شخصيته وفنه عبر التاريخ والعصور ، كان المعرى موضوع البحث و الدراسة عند المؤرخين و الكتاب فى الماضى و لكن كانت أبحاثهم و دراساتهم تعنى بجمع الأخبار المتناقضة و الحوادث المتغايرة ، كما كانت عنايتهم حول جمع أشعاره وقصائده وتصوير شخصيته فى ضوء هذه الحوادث والأخبار ، و تناقلت الأجيال المتتابعة هذه الآراء المتناقضة عن شخصيته و المتغايرة عن فنـــه ، ولا شك أن هذه الأخبار و الآراء كانت مصدراً أساسياً لجميع الكتاب والباحثين ، ومن أغرب الأمور أن دراسة الشعراء وفنهم بدأت تتقلص ظلالها كما بدأت الأبحاث الجدية تنكمش شيئاً فشيئاً ، وصارت دراسة النصوص و التعليق عليها من أهم أعمال العلماء فى العصور المتأخرة التى تجمدت فيها حركة البحث و التحقيق كما تجمدت فيها حركة التأليف و التصنيف ، حينما طلع فجر العصر الحديث و بدأ كتاب الغرب و الباحثون ينقبون آثارهم وينقبون شخصياتهم فى صورة جميلة و منهج مستقيم ، وبدأ هؤلاء الباحثون فى الغرب يقـــدمون آثار الشرق النائم و تقديم شخصياته و عرض مذاهبه و عقائده فى العصور المختلفة ، فكان من حظ هؤلاء المستشرقين أن يبحثوا و يدرسوا دراسة جـــديدة حول الشعراء و الأدباء أيضاً ، فنرى الكاتب المستشرق مرغليوث نشر رسائل أبى العلاء المعرى وعلق عليها هوامش قيمة كما قدم عليها مقدمة مسهبة تناول فيها شخصية المعرى و عصره وبيئته ، ثم نرى الكاتب الفرنسى المستشرق سلمون قد ترجم مختار رسائل أبى العلاء و لزومياته و قدم مقدمة علمية بحث فيهـا عن فلسفة أبى العلاء و علاقتها بفلسفة الهند ، لسنا هنا بصـــدد ذكر حسنات هؤلاء

المستشرقين و سيئاتهم و لكن ينبغى أن نعترف بأن هذه الأبحاث و الدراسات لها أثر لا ينكر فى تنشيط حركة التأليف والتصنيف والنشر فى البلاد العربية نفسها ، فظهرت أبحاث و مقالات فى اللغة العربية حول أبى العلاء المعرى و شخصيته و فلسفته ولكن كانت هذه الأبحاث محدودة منحصرة لم تتناول دراسة واسعة شاملة كما لم تكن دراسات فنية منهجية ، أخيراً تصدى الدكتور طه حسين لهذا العمل العلمى الكبير مع أنه كان فى عنفوان شبابه ، فقد كان قوى الصلة بالأدب العربى القديم لأنه درس فى الأزهر على الأساتذة الكبار أمثال الشيخ حسين المرصفى و غيره ، ثم تقوت صلته بكتاب الغرب و أساتذته الذين كانوا يلقون المحاضرات الأدبية واللغوية والتاريخية والاجتماعية و السياسية بالجامعة المصرية ، فقد استفاد طه حسين من هؤلاء فكأنه أصبح معبر بين القديم و الحديث كما يقول :

« رأيت الفرنج قد عنوا بوجل عناية تامة وترجموا لزومياته شعراً إلى الألمانية و ترجموا رسالة الغفران و غيرها من رسائله إلى الانجليزية و تخيروا من اللزوميات و الرسائل مختارات نقلوها إلى الفرنسية و أكثروا من القول فى فلسفته و نبوغه و رأيت بينى و بين رجل تشابها فى هذه الآفة المحتومة لحقت كلينا فى أول صباه فأثرت فى حياته أثراً غير قليل ، كل ذلك أغرانى بدرس أبى العلاء وأنا أحد هذه الأغراء وأغتبط به فقد انتهى بى إلى نتيجة طريفة ما كنت أنتظر ولا كان ينتظر الناس أن يصل إليها الباحثون ، هذه النتيجة هى فهم فلسفة أبى العلاء و ردها إلى مصادرها رداً مجملا ثم فهم الروح الأدبى لهذا الحكيم ، وقد كان من قبل شخصاً مبهما لا يعرف الناس منه إلا اسمه تحيط به الشكوك و الأوهام » (١) .

فقد كان طه حسين مندفعاً فى تأليف هذا الكتاب فى هذه الصورة العلميـــ

(١) ذكرى أبى العلاء تمهيد ص : ١١ .

الدقيقة و فتح آفاق جديدة للبحث القائم على المنهج السديد والمنطق القويم، كما يقول :

« ان هذا الكتاب و لا أريد بذلك انتحال فخر أو حرصاً على تمدح يؤرخ الحركة الأدبية فى مصر فانى لا أعرف قبل اليوم كتاباً ظهر على هـذا النحو من البحث و ربما لا أغلو إن قلت إنى لا أعرف كتاباً فى الآداب العربية قد وضعه صاحبه على قاعدة معروفة و خطة مرسومة من القواعد و الخطط التى يتخذها علماء أوربا أساساً لما يكتبون فى تاريخ الآداب ، أما أنا فقد وضعت لهذا الكتاب خطة رسمتها رسماً ظاهراً فى هذا التمهيد الذى يلقاك بعد الفراغ من هذه الكلمة وتشددت فى اتباع هذه الخطة ، لم أهملها و لم أشذ عن أصل من أصولها حتى كاد الكتاب يكون نوعاً من المنطق أو هو بالفعل منطق تاريخى أدبى و ليس فيه حكم إلا وهو يستند إلى مصدر ولا نتيجة إلا وهى تعتمد على مقدمة، قد بذلت الجهد فى استقصاء حظها من الصحة، لست أزعم أن نتائج هذا الكتاب كلها حق من غير شك و لكنى اعتقـد أن إصابتها عندى راجحة و أنها إلى اليقين أقرب منها إلى الشك ، جعلت درس أبى العلاء درساً لعصره و استنبطت حياته مما أحاط به من المؤثرات الأجنبية وحدها بل اتخذت شخصية أبى العلاء مصدراً من مصادر البحث بعد أن وصلت إلى تعينها وتحقيقها ، وعلى ذلك فلست فى هذا الكتاب طبعياً فحسب بل أنا طبعى نفسى اعتمد فيه ما تنتج المباحث الطبيعية و مباحث علم النفس معاً (١) .

كان هذا الكتاب رسالة الدكتوراه قدمها صاحبها فى الجامعة المصرية سنة ١٩٠٨م ونال بها الدرجة العلمية ، الدكتوراه فى الأدب العربى واحتفظ بها حوالى ثمانى سنوات يراجعها و ينقحها ، و نشرها سنة ١٩١٤ باسم ذكرى أبى العلاء ، قد كان هـذا الكتاب كما يرى صاحبها أول كتاب فى لغـة عربية معاصرة يتناول دراسة

---

(١) المصدر نفسه ص ١٣ .

شخصية فذة قوية كانت مغمورة مجهولة مهملة بين صفحات الكتب الصفراء قدمه مستعيناً بالمنهج الجديد وأسلوب علي رشيق، كان الدكتور طه حسين مبتهجاً بتقديم هذا الكتاب إلى القراء لما كان يجد في نفسه هوى و تشابها بينه و بين هذا الشاعر العباسي الذي كان حديث الناس في عصره كما كان حديث الناس بعد مماته . و لكن شتان ما بينهما، فقد قضى ذلك حياته كلها في اضطراب وقلق وحيرة و شك متبرما بالناس صغارهم وكبارهم، علمائهم و أدبائهم، ملوكهم وأمرائهم، حتى كان متبرماً بنفسه و بوجوده . أما هذا فقد قضى حياته كلها في هدوء وسكون متبرما بجماعة ومستأنسا بالآخرين، مهاجما أشخاصاً ومتودداً إلى غيرهم، قلقاً في مجتمعه بعض الشئ و مستريحاً بمجتمع أجنبي، محتقراً ثقافته وحضارته ومعتزاً بثقافة الأغيار والأجانب . ويتمنى من صميم قلبه لو ولد في باريس بدل صعيد، ويكون فرنسياً بدل أن يكون مصرياً ، هو أديب في اللغة العربية وآدابها ولكنه يقطع صلتها بماضيها ويربطها بالغرب، أما المعرى فقد عاش حياة قلقة مضطربة ولكنه كان يستريح بقراءة الكتب العربية في الموضوعات المتنوعة و يتلهف إلى حلقات النحو والبديع والبيان . ويحن إلى لقاء الشيوخ الأفذاذ أينما كانوا و يستريح و يستأنس في مجالسهم ، على كل حال أقام هذا الكتاب الضجة في مصر ل في العالم العربي كله ، فقد أسخط أناسا و أرضى الآخرين ، طارت به شهرته في الآفاق و كان له الصدى في القارة الهندية أيضاً ، من كان يتصور أن شيخاً يسكن في مدينة لاهور في حارة قد لا يعلم جيرانه عن علمه و أحواله شيئاً هو يهب لنقد هذا الكتاب وتصحيح الأخطاء التي وقع فيها صاحبه و أوقع الناس فيها أيضاً . و كشف الستار عن الحقائق التي التبس أمرها عنده و عند الآخرين .

« يتبع »

السنة النبوية كمثل أعلى الانسانية

و تعليم لأخلاقها

الدكتور : الربيع ميمون
استاذ بجامعة الجزائر

١ - يخاطب الله عز وجل نبينا عليه السلام فى كتابه العزيز فيقول له : (و إنك لعلى خلق عظيم) (١).

و تجيب أمنا عائشة رضى الله عنها من سألها عن خلقه فتقول عنه : (كان خلقه القرآن) (٢).

ويعرف هو نفسه ﷺ بالغاية التى بعث من أجلها فيقول : (أوتيت جوامع الكلم و بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) (٣).

فالآية الكريمة تعلمنا أن مقامه عليه السلام (٤) بالنسبة للاخلاق هو مقام الاستعلاء و الاستيلاء عليها.

وحديث أمنا عائشة رضى الله عنها يبين لنا ماهية خلقه و أنه القرآن أو تعاليمه.

(١) سورة القلم ، الآية ٤ .

(٢) الفخر الرازى ، التفسير الكبير ، ج ٣٠ ، ص ٨١ الطبعة الأولى .

(٣) راجع : أبو حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين ، ج ٣ ، ص ٤٧ وما بعدها ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .

(٤) راجع الفخر الرازى ، نفس المرجع .

و أما حديثه عليه الصلاة و السلام فانه يطلعنا على الغاية التى بعث من أجلها و أنها إتمام مكارم الأخلاق .

فالأخلاق ، و الأخلاق القرآنية دون غيرها هى التى كانت تقوم عليها حياته و هى التى تقوم عليها دعوته ، و هى أخلاق تتم أخلاق البشرية السابقة ، وترقى بها من مجرد درجة الأخلاق إلى قمة مكارم الأخلاق (١) .

٢ — إن لفظة (مكارم) و لفظة (الأخلاق) تشيران معاً ، و تشير كل واحدة منهما على انفرادها إلى معان كثيرة ، ولكننا سنكتفى — حتى لا نبتعد عن المقصود الذى نريد الوصول إليه — بالاشارة إلى ما تدل عليه الأولى من العز والسماحة و الجود و السهولة ، و الشرف و الصيانة ، واللين و النزاهة (٢) ، و إلى ماتدل عليه الثانية من سجايا الانسان الفطرية أو المكتسبة سواء كانت حسنة أو قبيحة حالة إفرادها ، و من السجايا الخاصة حالة إضافتها

و هى ، هنا ، السجايا التى يرتفع بها الانسان عن درجة دنيئة أو عن درجة الحيوان إلى درجة سامية أو إلى درجة الانسان الكامل أو الخليفة كما يقول الشيخ محى الدين بن عربى (٣) .

و المراد ، بالطبع ، من هذه الاشارة هو التنبيه إلى أن مكارم الأخلاق هى قوام الدعوة المحمدية و إلى أن الاسلام هو الأخلاق و لا يمكن تصوره بدونها ، و إلى أن أخلاق الاسلام إتمام لما كان الناس عليه منها ، و إلى أنها أخلاق يختارها

(١) نفس المرجع .

(٢) راجع المنجد ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت .

(٣) عقلة المستوفز ، ص ٣٦ ، مطبوعة مع كتابه : إنشاء الدوائر ، مدينة ليدن ، مطبعة بريل ١٣٣٦هـ .

المسلم على غيرها ، ويسعى دائماً لتحصين ما أحرز عليه من أنواعها ، وإدراك ما لم يفز به منها .

٣ — و إنه ليمكننا من بعد هذا أن نتسائل لندرك السر الذى رفع الأخلاق إلى هذه المرتبة فى رسالة نبينا عليه السلام ، و جعل منها غاية بعثته ، و لنتعرف ما هى الأخلاق التى يدعو إليها الاسلام ، و ما هو الروح الذى تقوم عليه ، و ما هى أبعادها فى بناء المجتمع الرشيد الذى تكون فيه كلمة الله هى العليا و كلمة الذين ظلموا هى السفلى .

إن النبى عليه الصلاة و السلام يرفع الأخلاق إلى هذه المرتبة ، و يجعل منها غاية بعثته لأن الانسان لا يمكن أن يكون الانسان و لا يمكن أن يكتمل كانسان إلا بها ، فهو لا يستطيع أن يرقى إلى مستوى تلك الانسانية الكريمة الكاملة التى تعتز بقهرها للشيطان و جنوده ، و نشرها لمعالم الخير و عبوديتها لله ، بالعلم أو الفن أو الحب ، و لكن بالأخلاق ، و ذلك لأن العلم وحده غرور و شيطنة ، و الفن وحده لهو و متاهة و الحب وحده هيام و ضلال (١) .

فالأخلاق هى قوام كل مشروع ، و قوام الحياة و كمالها . و لذلك فلا يمكن أن تتفتح زهورها إذا كانت عارية عنها ، و لا يمكن أن يعرف مجتمع ما حقيقة السعادة إذا لم تكن منارة له .

و يبدو أن الأخلاق القرآنية التى كانت سيرته عليه السلام شرحاً و تفصيلا و تطبيقاً لها فى الواقع هى الأخلاق التى تضع حداً فاصلا بين الانسان من جهة ، و بين الحيوانية و الشيطانية من جهة أخرى ، وذلك لأنها ترتفع بفطرته ، ولا تزال

(١) الربيع ميمون ، نظرية القيم فى الفكر المعاصر ، بين النسبية و المطلقية ، فى عدة أماكن ، الجزائر ١٩٨٠م .

ترتفع بها إلى جهة الملائكة (١) .

و هى أخلاق تحول حياة الفرد و الجماعة دائماً إلى سيرة منسجمة فاضلة ، تحدوها الغايات السامية ، و يجد فيها الكمال مسرحه و معرضه ، و أخلاق تكون دائماً جديدة حية لأنها تستجيب لمقتضيات الوضع استجابة أصلية ، و لأنها تجد منبعها فى القلب الذى طهرته الكمالات الربانية من أدران الغواية ، فصار لا يصعب عليه ، مهما كانت تعقيدات الموقف ، أن يرى ما هو الكمال و طرقه ، و ما هو النقصان و مهاويه

و لا شك أن هذه الأخلاق الاسلامية التى تتم مكارم الأخلاق فى مسيرة التطور البشرى أخلاق تكون للانسان مع نفسه و ربه ، و نبيه ، و عائلته ، و أبناء بلده و أبناء جنسه كلهم ، لأنها أخلاق تتعلق بمظاهر حياته كلها ، و تطبعها بطابعها .

و لا يعنى هذا بالكلية أنها أخلاق تزمت و جمود يخضع لها الفرد عن غير وعى ، و يعى بقالبها دون قلبها لأنها تستحوذ عليه ، و تقتل لديه معانى المبادرة و الانسانية المسؤولة ، و إنما يعنى أنها أخلاق تفتح و حياة تنبع من أعماق القلب . و تمتاز بالصدق لأن باطن المسلم سيكون بسببها كظاهره و لأن كل واحد منهما يكون عنده انعكاساً للآخر يتوائم معه و لا يخالفه .

٤ — و يظهر لنا أن الأخلاق الاسلامية كما تعرضها علينا سنته الشريفة عليه السلام بعد كتاب الله يقوم روحها على الصدق .

فالصدق هو الذى يفتح طريق الحياة الكاملة أمام الانسان ، ويجعله يتقدم باستمرار لأنه لا يسمح له بتاتا أن يرضى لنفسه بكل حالة لا تتطابق فيها دعواه مع واقعه ، و لنا فى شهادة العقل ، و فى أقوال العلماء ، و فى تناقض أحوالنا ، و فى أحاديثه

(١) راجع : أبو حامد الغزالى الاحياء ، ج ٣ ، ص ١٠ .

عليه الصلاة و السلام أدلة قاطعة على ما نقول ، يروى سعد عن النبى عليه الصلاة و السلام أنه قال : كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة و الكذب (١) . فالكذب انكار يرمى إلى أن يجعل من الوجود عدماً . أو من العدم وجوداً ، و بذلك فهو إنكار يبعد عن الجادة ، و يدفع بصاحبه إلى كل شر سواء كان كذبا منه مع نفسه أو مع الناس ، أو كذبا منه مع دينه أو ربه ، وهو فى هذه الأحوال كلها ، عنصر هدم ، و ترويج لباطل ، و سبب فوضى و اضطراب و سبيل إلى سقوط لا نهوض منه .

فالكاذب أو الجاهل ، والسارق أو المتخلف يستطيع كل واحد منهم أن يتحرر من انحرافه أو نقصانه ، و أن يعرف الكمال من جديد إذا صدق نفسه و اعترف لها بانحرافه و نقصانه ، و لكنه يبقى على حالته السيئة ، و يتعرض لأنواع الشر كلها إذا اختار الكذب على نفسه ، و التمويه عليها ، موقفا له فى تقدير وضعه ، و عمله ، و مشاريعه .

هذا ، و ليس الكذب بشئ سوى أنه ميزة الشيطان ، وسلاحه ، وأحبولته ، و لذلك فهو يمسخ الفرد إذا وقع فى شركه ، و يشوه المجتمع إذا قام عليه . ويقضى على الحضارة إذا اتخذته شعاراً لها .

و هو بهذه الحال لأنه يتجاهل وجود الحقيقة ، و يضع فى مكانها عالماً من الأوهام يقضى لدى الانسان على سلامة العقل ، و نور البصيرة ، و يقظة الوعى فيصير لا يفرق بين استقامة و انحراف ، و لا بين حق و باطل ، ويصير عاجزاً ، بالطبع عن معرفة الطريق الذى يجب عليه سلوكه لأنه يصير انسانا زائفاً لا يؤثر عليه

(١) راجع القاضى عياض ، الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ، ص ٥٩ ، مطبعة البابى الحلبى ، مصر ، ١٩٥٠ .

أن تكون حياته زائفة أو أن يكون العالم الذى يعيش فيه زائفا مثله .

إن المسلم لا يكذب ، و لا يتصف بالكذب ، و إذا اتصف به فانه يبتعد عن الاسلام وأخلاقه ، وما يتبعها من الكمال الانسانى الحق بقدر ما يكون تلبسه به.

٥ — هـذا و لما أن التزام الانسان للصدق ، و اجتنابه للكذب فى مجالات الحياة كلها أمر عسير جداً ، فان النبى عليـه الصلاة و السلام يدلنا على ما يجب علينا أن نقوم به لتكون أخلاقنا أخلاق صدق ، و ليكون وضعنا فى المستوى الذى تفرضـه علينا حين يقول لبعض أصحابه قدموا من الغزو : (مرحبا بكم) ، قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قيل يا رسول الله ، وما الجهاد الأكبر؟ قال جهاد النفس (١).

إن النبى عليه الصلاة و السلام يقسم الجهاد فى هـذا الحديث إلى جهادين : جهاد أصغر ، و هو جهاد العدو ، و جهاد أكبر و هو جهاد المسلم لنفسه ليقوم اعوجاجها و يحبب إليها الكمالات كلها ، و يعودها على طلب المزيد منها باستمرار ، و يعتبر هذا الجهاد الثانى أكبر وأهم من الأول لأن عراك الانسان نفسه من أجل الكمال عراك لا يمكن أن ينتهى و لأن النجاح فيه أساس الانتصار فى الجهاد الأول على كل حال .

و يعنى هذا أن المسلم بوصفه مسلماً أو عضوا من خير أمة أخرجت للنـاس إنسان يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الناس ، وإنسان يتحلى بالكمال قبل أن يطلبه من النـاس أنه الانسان الذى يقنع ، و يغلب بمثله فى النهاية لأنه لا يدعو إلى منـافع خاصة به و لكن إلى كلمة سواء بينه و بين غيره .

و يعنى هذا ، أيضاً أن المسلم لا يمكنه أن يكون حجة على الناس إذا كان النقصان نصيبه فى علمه و عمله ، و فى صناعته أو فنـه ، و فى لعبه و كل شأن له

---

(١) راجع الاحياء ، ج ٣ ، ص ٦٤ .

من شؤون حياته إذ لا يكون له فى هـــذه الحال ما يبرهن به على صدقه أو ما يحمل به الناس على اعتباره و تقديره .

إن الاسلام يقوم على الأخلاق لأنها أساس العمران ، و تقوم الأخلاق الاسلامية على الصدق لأنها أخلاق الحياة و التقدم و الكمال .

٦ — و لا شك أن الرجوع إلى السنة النبوية الشريفة رجوع صدق لاسترشادها ، و طلب الارتقاء إلى قمم تعاليمها سيكشف لنا عن حقيقة هذه الأخلاق ، و يبدى لنا تفوقها على غيرها بصفة مطلقـــة ، و يرينا أوهام الدراسات التى تكتب هنا و هناك باللغات الأجنبية ، وحتى باللغة العربية فى بعض الأحيان ، عن أخلاق الاسلام وعن أخلاق النبى عليه الصلاة و السلام ... و هى دراسات لا تصيب الاسلام فى شئ و لكن أوهامها قد تكون ذات تأثير على النفوس بسبب أساليبها و الألقـاب العلمية التى يتظاهر بها أصحابها .

إن الأخلاق الاسلامية كما يعرضها الكتاب العزيز ، و تعرضها السنـة النبوية الشريفة من بعده قمم كمال وضعتها الحكمة الربانية للانسانية ، وليست نظريات أقامت معالمها العقول الحائرة ، و لذلك فان الارتقاء إلى أعاليها لا يمكن أن يكون عن طريق التفلسف الزائف ، و لكن عن طريق النظر الشـامل ، و الفهم الصادق ، و الايمان النافذ و الطهر النفسانى ، و الطموح الروحانى .

ومن واجبنا أن نعود إليها ، فنجدد عهدنا بتعاليمها ، ونشق طريقنا إلى النهوض الحقيق على ضوء من توجيهاتها ، ولنا دليل لا يخطىء إليها فى كتاب الله و سنته عليه السلام ، فكتاب الله من جهة ، وسنته عليه السلام من جهة أخرى هما سبيلنا وسبيل الانسانية معنا إلى العزة والكمال ، ولكن بشرط أن نتعامل معهما بالصدق ، والصدق ، كما يقول الامام جعفر الصـادق ، هو المجاهـــدة (١) ، و هو أيضاً قوة ، وسمو ، و طمأنينة ، ووجود حق .

---

(١) نفس المرجع ، ج ٤ ، ص ٣٨٠ .

٧ — هذا ، و يظهر لنا أن تحديد الغاية من بعثه باتمام مكارم الأخلاق ، وكون هذه الأخلاق لها مصدرها فى القرآن الكريم الذى أحاط بكل شئ علما لدليل معجز من جهة ، على أن سنته الشريفة عليه السلام هى المثل الأعلى للانسانية الكاملة و أخلاقها ، و إشارة دقيقة ، من جهة أخرى ، إلى أن الانسانية لن تبلغ رشدها إلا إذا رجعت إلى القرآن الكريم لترشد علومه و توجيهاتها ، و إلى السنة النبوية الشريفة لتتبين علاقتها العضوية بكتاب الله ، وكونها التطبيق الصحيح لما ترمى إليه تعاليمه من الارتقاء بالانسانية إلى قمة مكارم الاخلاق أى إلى قمة كمالها .

هذا ، ولم يكن مقصد ديكارت من تفلسفه طوال عمره ، بعد إقامته لما ورائيات راسخة الجذور ، وسعيه لتجديد بناء العلوم بالاعتماد على البراهين اليقينية إلا الوصول إلى إقامة أخلاق علمية تضمن للناس الحكمة و السعادة (١) و لكنه لم ينجح ، و لم يترك بعده إلا تلك الأخلاق التى يسميها بالأخلاق المؤقتة (٢) ثم هذه الأخلاق نفسها و هو يعيد بناءها على أساس ما من العقل فى رسائله إلى الأميرة اليزابت .

هذا ، ولم يكن مقصد ماركس وإنجلز ، و مقصد كل علماء الأخلاق والفلاسفة عبر العصور إلا الوصول إلى وضع أخلاق تامة تعيد الانسان إلى نفسه .

و تجعله يعثر على طريقه بسهولة و يسر لا تكلف فيهما و لكنهم لم ينجحوا لأنه لم يكن لأى واحد منهم ذلك المنبع الربانى الذى كان يروى النبى عليه الصلاة و السلام ، و الذى كان يتيح له أن يقول بطمأنينة لا يمنحها إلا يقين الحق المسن ، وأسلوب محكم لا تجود به إلا الفتوحات القدسية : (أوتيت جوامع الكلم ، وبعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .

---

(١) مقالة الطريقة ، القسم الثالث . (٢) نفس المرجع القسم السادس .

و إذا تأملنا ما يمكننا أن نفهمه من قوله جوامع الكلم ، و من قوله « مكارم الأخلاق » و من حصره للغاية من بعثته فى إتمام مكارم الأخلاق وجدنا نفوسنا فى بداية الكمال الانسانى الحق ، و فى نهايته ، و أدناها ، و قد تجاوزت مرحلة العلم و الفلسفة ، و أشرفت على آفاق الحكمة الربانية تلك الحكمة التى تخول للانسان أن يكون الانسان الكامل أو الخليفة عن حق لا عن ادعاء .

و إنه ليجب علينا أن نتساءل كمسلمين يعنيهم أن يكونوا فى مستوى التعاليم الاسلامية : (ما هى جوامع الكلم ؟) (و ما هى مكارم الأخلاق ؟) و لماذا يحصر النبى عليه الصلاة والسلام الغاية من بعثته فى إتمام مكارم الأخلاق؟ إذا كنا نريد أن ننهض عن وعى حقيقى للقيام بواجبنا كما يجب أن نقوم به .

ويعنى هذا أن بدايتنا يجب أن تكون انطلاقاً من هذه النهاية لحديثنا لأن المشكلة الأساسية بالنسبة إلينا لا يمكن أن تجد بداية حلها ، و اكتماله إلا فى هذه المجالات الفسيحة التى تشير إليها ، و تدل عليها أنوار سنته الشريفة ، سنة الرسول الذى كان يعتز بكونه ابن آمنة أو امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة .

و بكونه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب و خاتم الأنبياء و المرسلين ، من جعله ربه على خلق عظيم ، و اجتباه ليكون إمام الناس أجمعين ، و سيدهم إلى يوم الدين .

و على تفنن واصفيه بمدحه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف (١)

★★★

---

(١) عمرو بن الفارض ، الديوان .

حسان بن ثابت الأنصارى

—١—

سعيد الأعظمى الندوى

أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصارى أشعر الشعراء المخضرمين و أشهرهم و أكثرهم دفاعاً عن رسول الله ﷺ ومدحاً له ، وأمنعهم لحوزة الاسلام وعزته حتى عرف بشاعر الاسلام ، و هو الذى أجاد المديح فى الجاهلية و فى الاسلام .

شعر حسان فى الجاهلية :

أما فى الجاهلية فقد كان كثير التنقل بين عواصم ملوك الشام من الغساسنة الذين كان يمدحهم بشعره البليغ فيحظى بعطفهم و لفتاتهم الملوكية ، و جوائزهم الغالية ، و قد وفد إلى النعمان بن المنذر و أنشده مديحه الذى صنعه له فأجازه و أكرمه ، ثم انقطع إلى مدح آل جفنة من ملوك غسان ، وهم أولاد الحارث الأعرج وأحفاده ، و ظل عندهم أثيراً مكرماً حتى بعد اهتدائه إلى الاسلام و امتناعه عن مدحهم ، و هم الذين يقول فيهم :

لله در عصابة نادمتهم يوماً بجلق فى الزمان الأول
يمشون فى الحلل المضاعف نسجها مشى الجمال إلى الجمال البزل

فى قصيدة طويلة يمدح فيها أولاد جفنة و يبالغ فى الثناء عليهم .

قدومه على عمرو بن الحارث :

و قد حكى لنا حسان بن ثابت رضى الله عنه فقال : قدمت على عمرو بن الحارث ، فاعتاص الوصول إليه فقلت للحاجب بعد مدة ، إن أذنت لى عليه و إلا

هجوت اليمن كلها ، ثم انقلبت عنكم ، فأذن لى ، فدخلت عليه ، فوجدت عنده النابغة و هو جالس عن يمينه و علقمة بن عبــدة و هو جالس عن يساره ، فقال لى : يا ابن الفريعة (١) قد عرفت عيصك و نسبك فى غسان ، فارجع فانى باعث إليك بصلة سنية و لا أحتاج إلى الشعر ، فانى أخاف عليك هذين السبعين ، النابغــة و علقمة أن يفضحاك ، و فضيحتك فضيحتى ، و أنت و الله لا تحسن أن تقول :

رقاق النعـال طيب حجزاتهم يحيون بالريحـان يوم السباسب (٢)
تحييهم بيض الولائد بينهم وأكسية الاضريج فوق المشاجب (٣)
يصونون أجساداً قديماً نعيمها بخالصة الأردان خضر المناكب (٤)
و لا يحسبون الخير لا شر بعده ولا يحسبون الشر ضربة لازب (٥)
حبوت بهـا غسان إذ كنت لاحقاً بقومى ، و إذ أعيت على مذاهبى

فأبيت و قلت : لا بد منه ، فقال : ذاك إلى عيك ، فقلت لهما : بحق الملك إلا قدمتانى عليكما ، فقالا : قــد فعلنـا ، فقال عمرو بن الحارث : هات يا ابن الفريعة ، فأنشأت :

أسألت رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابى فالبضيع فحومل

و فيها يقول :

---

(١) الفريعة : اسم أم حسان ، و سيأتى فى ذكر نسبه .

(٢) يكنى برقاق النعـال ، تنعمهم ، بحيث لا يخصفون نعالهم و يشير بطيب الحجزات، إلى أنهم أعفة محصنون .

(٣) الاضريج : الخز الأحمر .

(٤) يصف فى هذا البيت ملابسهم البيضاء التى مناكبها خضر .

(٥) يعنى أنهم لا يبطرون بما إذا أصابهم خير ، ولا يقنطون مما إذا أصابهم شر .

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

إلى آخر ما قال :

باكرت لذته و ما ماطلتها بزجاجة أرخاها للمفصل (١)

مكانته الشعرية فى الجاهلية :

لا أدل من هذه الرواية على قدرته الشعرية الفائقة ، وامتلاكه لناصية الكلام ، وطول باعه فى موضوع المدح و الهجاء و الفخر و الحماسة ، الأغراض الشعرية التى مكنته من الوصول إلى المكانة العالية فى الشعر ، حتى اعتبرته الخزرج لسانها وترجمانها فى الحروب التى نشبت بين الأوس و الخزرج فى الجاهلية ، و قد سميت القصائد التى ظهرت فى حروب هاتين القبيلتين ، « المذهبات » و كان حسان فى رأس قائمة شعراء « المذهبات » و يأتى بعده عبد الله بن رواحة .

حسان مع قيس بن الخطيم :

و لقد تصدى حسان بالرد على الشاعر الأوسى قيس بن الخطيم فى الجاهلية وذلك فى الوقعة التى روتها كتب التاريخ من أن رجلا من بنى الحارث بن الخزرج لقى رجلا من الأوس خارجاً من بئر أريس (٢) من عند ظئر له ، ومع الخزرجى نبل له فقتله ، فلما بلغ قومه قتل صاحبهم ليلا خرجوا إلى الذى قتله فقتلوه بياتاً ، وكان لا يقتل رجل فى داره ، و لا فى نخله ، فرأت الخزرج مقتل صاحبهم ، فقالوا والله ما قتل صاحبنا إلا الأوس ، فخرجوا و خرجت الأوس ، فالتقوا بالسرارة (٣) فاقتتلوا بها أربعاً حتى نال كل فريق من صاحبه ، فقال : قيس بن الخطيم فى ذلك قصيدته التى هجا فيها الخزرج ، ومطلعها .

---

(١) ديوان حسان بن ثابت ، طبع بيروت ـ دار صادر ـ .

(٢) بئر قريبة من مسجد قباء بالمدينة (٣) السرارة : وسط الوادى

تروح من الحسناء أم أنت مغتدى ... و كيف انطلاق عاشق لم يزود

فأجابه حسان بن ثابت بقصيدة مماثلة تحتوى على معانى الفخر والاعتزاز بنفسه و قومه وذم الجبن و الجبناء و التعيير لقيس بن الخطيم ، يبدأها بقوله .

لعمر أبيك الخير ياشعث مانبا ... على لسانى فى الخطوب و لا يدى

لسانى و سيفى صارمان كلاهما ... و يبلغ ما لا يبلغ السيف مذودى

و إن أك ذا مال قليل أجد به ... و إن يهتصر عودى على الجهد يحمد

فلا المال ينسيق حيائى و عفتى ... و لا واقعات الدهر يفللن مبردى

أكثر أهلى من عيال سواهم ... و أطوى على الماء القراح المبرد

و إنى لمعط ما وجـدت وقائل ... لموقد نارى ليلة الريح أوقـد

و إنى لقوال لذى البث مرحباً ... وأهلا ، إذا ما جاء من غير مرصد

و إنى ليدعونى النـدى فأجيبه ... و أضرب بيض العارض المتوقد

و إنى لحلو تعترينى مرارة ... و إنى لتراك لمـا لم أعود

و إنى لمزجاء المطى على الوجى ... و إنى لتراك الفراش الممهـد

و أعمل ذات اللوث حتى أردها ... إذا حل عنها رحلها لم تقيد (١)

إلى أن يتذكر رحلاته إلى ملوك الشام ، و تردداه إلى باب ابن سلمى النعمان ابن المنذر اللخمى ، الذى وفد إليه بمديحه ، و نال منـه من الجوائز السخية ما رفع مكانته فى عينه ، فيشير إلى ذلك الجانب المهم الذى يوكد حظه لدى ملوك زمانه ، على أن قيس بن الخطيم وأمثاله لم يكونوا يتمتعون بهذه الثقة والمنزلة السامية ، يقول :

أكلفها أن تدلج الليل كلـه ... تروح إلى باب ابن سلمى وتغتدى

و ألفيتـه بحراً كثيراً فضوله ... جواداً متى يذكر له الخير يزدد

(١) ذات اللوث ، يريد بها الناقة القوية .

ثم يوجه إليه الأنذار و يهدده مما إذا اضطر إلى استخدام السلاح فيه، بأيدى أبطال أعزة يضارعون ليوث العرين ، و قد شبوا على استعمال السلاح ، ثم يعيره بالجبن و الضعف و الجلوس إلى الحور النواعم ، و تكحيل العيون مثلهن ، و بضعة النسب و قلة البضاعة ، يقول :

فلا تعجلن يا قيس و اربع فانما قصاراك أن تلقى بكل مهند (١)
حسام و أرماح بأيدى أعزة متى ترهم يا ابن الخطيم تبلد (٢)
ليوث لها الأشبال تحمى عرينها مداعيس بالخطى فى كل مشهد (٣)
فقد ذاقت الأوس القتال وطردت وأنت لدى الكنات فى كل مطرد (٤)
فناغ لدى الأبواب حوراً نواعماً وكحل مآقيك الحسان باثمد (٥)
نفتكم عن العلياء أم لئيمة وزند متى تقدح به النار يصلد (٦)

شعره فى بعض أيام الجاهلية :

و كذلك فان له مواقف شعرية فى الحروب التى نشبت فى الجاهلية سواء عاصرته أو سبقته ، ففيما يتصل بيوم بعاث الذى سبقه ، وتقاتلت فيه القبيلتان الأوس

---

(١) اربع : انتظر و توقف ، قصاراك : بمعنى غايتك .
(٢) يعنى بسيوف حسام ، تبلد فى الأصل تتبلد بمعنى تتحير .
(٣) المداعيس جمع مدعاس ، يعنى كثير الطعن بالرماح ، عرين : مأسدة .
(٤) الكنات جمع الكنة بالضم، الجناح الذى يخرج من الحائط ، أو سقيفة تكون فوق باب الدار ، و بالفتح ، بمعنى زوجة الابن ، أو الأخ ، مطرد : مكان المطاردة فى القتال .
(٥) ناغ بمعنى غازل .
(٦) يصلد : يصوت و لا يورى .

والخزرج بسبب قتل سمير الأوسى لبجير مولى مالك بن العجلان سيد الحيين، والذى يعرف بيوم سمير ، كانت له مناقضة شعرية بينه و بين قيس بن الخطيم و أبى قيس ابن الأسلت، و كانا شاعرى الأوس فى طليعة المقالحين عنها ، فاستهل قيس بن الخطيم قصيدته . بالبيت المذكور دانيه :

رد الخليط الجمال فانصرفوا   ماذا عليهم لو أنهم وقفوا (١)

رد عليه حسان بقصيدة تضارعها ، يقول :

ما بال عينى دموعهـا تكف   من ذكر خود شطت بها قذف (٢)

حتى يأتى إلى آخر بيت من قصيدته :

إن سميراً عبد طغى سفها   ساعده أعبـد لهم نطف

كما يعير حسان أبا قيس بن الأسلت مما أصاب بنى الأوس فى يوم معبس و مضرس و الربيع ، و يهجوهم فى قصيدة يبدأها بقوله :

ألا أبلغ أبا قيس رسولا   إذا ألقى لها سمعاً تبين (٣)

و يفتخر بقومه و يقول فى خلال هذه القصيدة :

قتلتم واحـداً منـا بألف   هلا لله ذا الظفر المبين

و ذلك أن الفكم قليل   لواحدنا ، أجل أيضاً و مين

و قد عابه النقاد فى هذا الشعر بكلمة «أيضاً» التى لم ترد من قيمة الكلام هنا .

و إذا استعرضنا شعره الجاهلى بكامله نستطيع أن نجد اللون الغالب فيه الفخر و الهجاء ، و الغزل ، وقد يشوبه أحياناً شئ من الألحاش كما قد حدث فى شعره

---

(١) ديوان قيس بن الخطيم .

(٢) ديوان حسان ، قافية الفاء .

(٣) ديوانه ص ٢٥٥ .

الذى قاله رداً على زوجته شعثاء الأسلمية التى هجته بعد نزاع وقع بينه و بينها ، وقد قال فيما قال :

ويل أم شعثاء شيئاً تستغيث به إذا تجللها النعظ الأفاقيع (١)

و كذلك نجد فى كلامه المدح و الوصف ، كوصف الخمر ، و ساقيها ونديمها و ما إلى ذلك .

من هنا كانت لحسان فى الجاهلية مكانة ممتازة بين شعرائه المعاصرين . وقد نال شعره قبولا من النواحى الأدبية و البلاغيـــة الممتازة ، حتى إنه فاق معاصريه فى فنون الكلام من رقة التعبير ودقة المعانى و جمال الوقع و عذوبة اللفظ و جزالته ، لحظى باحترام الجميع واعترافهم بعلو مكانته . ولقب بشاعر الأنصار فى أيام الجاهلية ، بالرغم من وجود كبار الشعراء فى عصره وقومه، ثم إن شعره الذى قاله فى الجاهلية إنما يدل بوضوح على علو كعبه فى الشعر و تصرفه فى منـاحى الكلام ، و إن كان كلامه فى الاسلام قد تنزهت و أضفى عليه الدين لوناً ثابتاً من الطهر و الجمال مع تعمقه فى التعبير ، و الموضوعية فى الفن .

أسرة حسان :

و حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام من بنى مالك بن النجار ، و كان اسم النجار تيم اللات فى الجاهلية فجعله رسول الله ﷺ «تيم الله» لئلا يكون فى أنساب الأنصار (تيم اللات) (٢) و هو من الخزرج ينتهى نسبه إلى يعرب بن قحطان من اليمن ، و أمه الفريعة بنت خالد بن قيس بن لوذان من الخزرج كذلك .

وولد حسان فى يثرب عام ٥٦٣م فكان يكبر النبى ﷺ بثمانى سنين ، إذ أن

(١) الدكتور محمد طاهر درويش ، حسان بن ثابت ص/ ٢٦٨

(٢) الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى ج ٤/ص ٣

ولده ﷺ إنما كان عام ٥٧١م . وحسان من قبيلة الخزرج التى تمتعت بالسيادة على الأنصار ، لأن رجالها كانو يعتبرون أنفسهم من بيت شرف و عز و سؤدد ، و قد ملك هذا الشعور حسان ، كما يتجلى فى شعره (١) .

و يثرب تعلم أنا بهـا … إذا التبس الأمر ميزانها
و يثرب تعلم أنا بهـا … إذا قحط القطر نوامنهـا
و يثرب تعلم أنا بهـا … إذا خافت الأوس جيرانها
و يثرب تعلم أن النبيـ … ـت عنـد الهزاهز ذلانها
متى ترنا الأوس فى بيضنا … نهز القنا تخب نيرانهـا
و تعط القياد على رغمهـا … و ينزل من الهام عصيانها

و كانت تصل بينى النجار صلة رحم بآل هاشم بن عبد مناف و قرابة برسول الله ﷺ ، اذ أن سلمى بنت عمرو من بنى عـدى بن النجار أم عبـد المطب جد رسول الله ﷺ (٢) و نرى حسان يفتخر ببنى النجار قائلا :

قومى بنو النجار إذ أقبلت … شهباء ترى أهلهـا بالقتـام
لا نخذل الجار و لا نسلم الـ … ـمولى ، و لا نخصم يوم الخصام
منا الذى يحمـد معروفـه … ويفرج اللزبة يوم الزحام (٣)

حسان يستبشر بالاسلام :

و قـد كان حسان أدرك بشرى ولادة رسول الله ﷺ و هو ابن سبع أو ثمانى سنين ، و كأن صدره قد انشرح لذلك الدين الذى سيظهر عن طريقـه ﷺ

(١) ديوانه ص ٢٥٤ .
(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ج١ / ص ١١٢ .
(٣) اللزبة ، الشدة ، ديوان حسان ص ٢٢٨.

منذ صغره ، و كان منه على ميعاد يقول :

« إنى لغلام يفع ابن سبع سنين أو ثمـــان ، إذا يهودى بيثرب يصرخ ذات ليلة ، يا معاشر يهود ، فلما اجتمعوا قالوا : ويلك مالك ؟ قال طلع نجم أحمد الذى ولد به فى هذه الليلة ، و أدركه ، و لم يؤمن به ، و هذا يدل أنه عمر فى الجاهلية ستين سنة ، لأنه ذكر أنه أدرك ليلة ولد رسول الله ﷺ وله يومئذ ثمانى سنين ، و النبى ﷺ بعث و له أربعون سنة ، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، و قدم المدينة و لحسان يومئذ على ما ذكر ستون سنة ، أو احدى وستون سنة ، وحينئذ أسلم » (٣)

إسلامه :

كان حسان يترقب الفرصة المناسبة التى ينتهزها للقاء النبى ﷺ و الدخول فى الاسلام ، فكانت الهجرة أغلى فرصة و أسعد مناسبة حينما قامت المدينة كلها ترحب بالرسول عليه الصلاة و السلام و تفرش محاجر عيونها فى طريقه ، و لما وصل النبى ﷺ المدينة حضر إليه مع من حضروا من جماعة الأنصار ، و عرض نفسه عليـــه لكى يقبله كخادم له و لدينه ، ويسمح له بالذب عن رسالته بطريق الكلام والبيان إذا لم يتمكن من ذلك بواسطة السيف و السنان ، و قبله رسول الله ﷺ كأعز عضو من أعضاء الأسرة الاسلامية ، و ارتاح بانضمام هذا العضو الجديد إلى الجماعة المؤمنة التى كانت تعتبر درعاً للدعوة الاسلامية فى هذا المجتمع الجديد و الذى كان بحاجـــة إلى رجال يدافعون عنه بالقول ، الذى كان يعتبر أقوى سلاح بجانب السلاح المادى ، و حسان لم يكن مجهول المكانة فى الشعر ، فقد كان قضى ستين سنة فى هـــذا المجال وسار الناس بشعره البليغ فى كل مكان ، وذاع صيته الجميل فى كل مجتمع ، و أنشد فريضه فى كل بيت وناد .

(٣) الآغانى لأبى الفرج الأصبهانى : أخبار حسان ، ص ـ ٥٠٤ ـ ٥٠٥

صفحة جديدة فى تاريخ الدفاع عن الاسلام :

فكان دخول حسان فى الاســـلام صفحة جديدة فى تاريخ الدفاع عن الدعوة الاسلامية و عن صاحبها ﷺ ، و كان إسلامه بداية حياة جديدة بدأها حسان بعد ستين سنة قضاها فى الجاهلية ، فكأنه يولد اليوم من جديد، ويبدأ حياته منذ إسلامه و دخوله فى كنف رسول الله ﷺ ، و تسميته بشاعر الاسلام الذى كان لكلامه من الوقع الكبير و التأثير العميق ما لم يكن للسيف والسلاح ، و قد أضفى الاسلام على شعره لوناً ثابتاً من الحب و الاخلاص ، ففى كتاب « تاريخ الأدب العربى » لعمر فروخ : « واكتسب شعر حسان فى الاسلام كثيراً من العذوبة والاخلاص ، و كثرت فيه التعابير الاسلامية و الاقتباس من القرآن الكريم ، و حسان خليق أن يسمى رأس البديعيين ، فهو الذى بدأ فن الشعر فى المديح النبوى » (١) .

لما وصل النبي ﷺ إلى المدينة قدم له الأنصار كل شئ من الايواء و الأمن و بذلوا كل غال و رخيص من النفوس و النفائس فى سبيل الدين الذى جاء به رسول الله ﷺ إليهم ، و لقد كان الاســـلام أغلى هدية قدمها إليهم الرسول عليه الصلاة و السلام مقابل ما قدمه الأنصار له من الاكرام و التأمين و ما تظاهروا به من الفخر والاعتزاز بمقدمه ﷺ إلى بلادهم ، وهنالك جاشت قريحة حسان بن ثابت فقرض مديحاً للرسول ﷺ تحية له بوصوله إلى إخوة له فى دار أمن ليس له فيها عدو قريب و لا ظالم حقود ، يقول :

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة ... يذكر لو يلقى خليلا مواتياً (٢)
و يعرض فى أهل المواسم نفسه ... فلم ير من يؤوى ، و لم ير داعياً

---

(١) تاريخ الأدب العربى لعمر فروخ ، ص/٣٢٦ .
(٢) ثوى : أقام ، مواتياً : موافقاً .

فلما أتانا و اطمأنت به النوى ... فأصبح مسروراً بطابة راضياً
و أصبح لا يخشى عداوة ظالم ... قريب، ولا يخشى من الناس باغياً(١)
بذلنا له الأموال من جل مالنا ... وأنفسنا، عند الوغى و التآسيا (٢)
نحارب من عادى من الناس كلهم ... جميعاً، و إن كان الحبيب المصافيا
و نعلم أن الله لا رب غيره ... و أن كتاب الله أصبح هادياً (٣)

و لما علمت قريش بوصول رسول الله ﷺ إلى المدينة بسلام . و علمت بالحفاوة البالغة التي قوبل بها في المدينة ، والسرور الذي عم فيها بمقدمه ، وما قدمه الأنصار من الأخوة العظيمة و المساعدات من كل نوع ، و من إيثار المهاجرين على أنفسهم ، تحرقت قريش بذلك غيظاً ، و تناول شعراؤها النبي ﷺ بهجاء مقذع ، وكانوا ثلاثة رهط . عبد الله بن الزبعرى ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، و عمرو بن العاص ، فكان يهجوهم حسان بن ثابت و كعب بن مالك ، و عبد الله ابن رواحة ، و لكن هجاء حسان كان أشد عليهم ، يقول صاحب الأغاني و هو يتحدث عن هؤلاء الشعراء و صنيعهم ضد قريش :

« و قيل : كان يهجو رسول الله ﷺ ثلاثة رهط من قريش : عبد الله ابن الزبعرى ، و أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، و عمرو بن العاص ، فقال قائل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه :

اهج عنا القوم الذين هجونا ، فقال رجل : يا رسول الله ، ائذن لعلي كيما يهجو عنا هؤلاء القوم الذين هجونا ، فقال : ليس هناك ، أو ليس عنده ذاك ، ثم قال

(١) باغياً : من البغي عليه .
(٢) الوغى : الحرب ، التآسي : المواساة والمعاونة .
(٣) ديوان حسان قافية الياء ، ص/٢٦١ .

للأنصار : ما يمنع الذين نصروا رسول الله ﷺ بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم ؟ فقال حسان بن ثابت : أنا لها . و أخذ بطرف لسانه و قال : و الله ما يسرنى به مقول من بصرى وصنعاء ، فقال : كيف تهجوهم و أنا منهم ؟ فقال : أسلك كما تسل الشعرة من العجين ، فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار : حسان بن ثابت ، و كعب ابن مالك ، و عبد الله بن رواحة ، فكان حسان و كعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع و الأيام و المآثر ، و يعيرانهم بالمثالب ، و كان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر ، و يعلم أنه ليس فيهم شر من الكفر ، و كان فى ذلك الزمان أشد القول على الكفار قول حسان بن ثابت ، و أهون القول عليهم قول ابن رواحة ، فلما أسلموا و تفقهوا فى الاسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة .

و قيل : قام حسان بن ثابت فقال : يا رسول الله : ائذن لى فيه — يعنى أبا سفيان بن الحارث و أخرج لسانا أسود وقال : يا رسول الله ، لو شئت لفريت به المزاد (١) ائذن لى فيه فقال اذهب إلى أبى بكر ليحدثك بحديث القوم وأيامهم و أحسابهم ، ثم اهجهم و جبريل معك . فأتى أبا بكر رضى الله عنه فأعلمه بما قال رسول الله ﷺ فقال: كف عن فلان و اذكر فلانة . فقال حسان:

هجوت محمداً فأجبت عنه ... و عند الله فى ذاك الجزاء

فان أبى و والده و عرضى ... لعرض محمد منكم وقاء

أتهجوه و لست له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء

و قيل لما أنشدت قريش شعر حسان بن ثابت قالت : إن هذا الشتم ما غاب عنه ابن أبى قحافة (٢) .

---

(١) المزاد : جمع مزادة ، و هى التى يحمل فيها الماء .

(٢) أبو الفرج الأصبهانى ، أخبار حسان بن ثابت ، ص ٥٠٥ — ٥٠٦ .

و جاء فى « طبقات فحول الشعراء » لمحمد بن سلام الجمحى حيث يتحدث عن حسان بن ثابت و شعره :

« و حدثنى يزيد بن عياض بن جعدبة أن النبى ﷺ لما قدم المدينة ، تناولته قريش بالهجاء فقال لعبد الله بن رواحة : رد عنى . فذهب فى قديمهم و أولهم ، فلم يصنع فى الهجاء شيئاً ، فأمر كعب بن مالك ، فذكر الحرب ، كقوله :

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا قدماً ، و نلحقها إذا لم تلحق

فلم يصنع فى الهجاء شيئاً ، فدعا حسان بن ثابت فقال : أهجهم ، وائت أبا بكر يخبرك ، أى بمعائب القوم ، و كان أبو بكر علامة قريش ، و كان جبير بن مطعم أخذ العلم عن أبى بكر .

شعبة عن عدى بن ثابت الأنصارى : إنه سمع البراء بن عازب الأنصارى يقول : قال رسول الله ﷺ : أهجهم — أو هاجهم — و جبريل معك .

قال ابن جعدبة فى حديثه : و أخرج حسان لسانه حتى ضرب على صدره و قال : و الله يا رسول الله ، ما أحب أن لى به مقولين فى العرب ، فصب على قريش من شآبيب شر ، فقال رسول الله ﷺ : أهجهم كأنك تنضحهم بالنبل (١) (٢)

فى هذه الأيام صنع حسان قصيدة يفتخر فيها بقومه و يذكر محاسنهم الجمة وما كانوا عليه من صفات عالية و أخلاق فاضلة حينما كانوا فى أرضهم و بلادهم (اليمن) و تحدث عما كانوا يعيشون فيه من عزة و تكرم و مكانة مرموقة ، ثم انتقلوا إلى

---

(١) المقول اللسان ، يقول فيجيد القول ، الشآبيب جمع شؤبوب : و هو دفعة المطر فيها برد، نضح القوم بالنبل نضحاً : رشقهم به رشقاً متفرقاً ، أمره بأن يجرحهم جرحاً لا يبلغ الطعن البعيد الفاحش : وهذا أكرم الأدب فى الهجاء.

(٢) طبقات فحول الشعراء، لابن سلام الجمحى ص ١٨١.

بلاد يثرب فلم يفقدوا شيئاً مما كانوا عليه من قوة و غلبة و من سمعة فى الحروب طيبة ، حتى نالوا تقدير الناس و إعجابهم ، و ظلوا يعيشون فى سعادة العز و المجد و سمو النفس ، و خوض فى المعارك التى كانت تشغل بالهم و التى كانت تثار من قبل اليهود و من حولهم من القبائل فينة و أخرى ، فكانت الحرب مجالا بينهم يبلون فيها أحسن ما يمكنهم من البلاء .

و كانوا كذلك حتى جاءهم النبى ﷺ بالحق و النور فالتفوا حوله و آمنوا به و صدقوه ، و دخلوا فى دين الله أفواجا ، ذلك الدين الذى تكفل لهم بالسلام و الأمن ، و العز و الهدوء ، والسعادة والاستقرار ، وأنقذهم من أوزار الحروب و نيران الفساد و شقاء الاحن و العداوات ، و لعل مناسبة الحديث عن حسان فى هذا الموقف يسمح لنا بانشاد قصيدته الميمية هذه التى تحتوى على أربعة و ثلاثين بيتاً ، و هى كما يأتى .

أولئك قومى فان تسألى ... كراماً إذا الضيف يوماً ألم
عظام القدور لأيسارهم ... يكبون فيها المسن السنم (١)
يواسون مولاهم فى الغنى ... و يحمون جارهم إن ظلم
و كانوا ملوكا بأرضيهم ... ينادون غضباً بأمر غشم (٢)
ملوكا على الناس لم يملكوا ... من الدهر يوماً كحل القسم (٣)

(١) الأيسار : جمع يسر كسبب وهو القوم المجتمعون على الميسر، السنم : العظيم السنام .
(٢) ينادون : يكاشفون ، الغضب : الأسد المغضوب . غشم ظالم .
(٣) كحل القسم : يريد أنهم ملكوا الناس و حل لهم ذلك لأنهم وفوا بحق الملك ، كما يحل المرء من القسم حين يفى به .

فأنبوا بعاد و أشياعها　　ثمود و بعض بقايا إرم (١)
بيثرب قد شيدوا فى النخيل حصوناً و دجن فيها النعم (٢)
نواضح قد علمتها اليهو　　د عل إليك و قولا هلم (٣)
و فيها اشتهوا من عصير القطا　　ف و عيش رخى على غيرهم (٤)
فساروا إليهم بأثقالهم　　على كل فحل هجان قطم (٥)
جياد الخيول بأجنابهم　　و قد جللوها ثخان الأدم (٦)
فلما أناخوا بجنبى صرار　　و شدوا السروج بلى الحزم (٧)
فما راعهم غير معج الخيو　　ل، والزحف من خلفهم قددهم (٨)
فطاروا شلالا و قد أفزعوا　　وطرنا إليهم كأسد الأجم (٩)
على كل سلهبة فى الصيا　　ن لا تستكين لطول السأم (١٠)

---

(١) أنبوا : أخبروا ، إرم : من نسل نوح .

(٢) دجن النعم : الف الناس و أقام بينهم ، و النعم الابل .

(٣) عل : زجر تزجر به الابل ، و عل من العلل و هو الشرب الثانى .

(٤) عصير القطاف : الخمر و القطاف ما يقطف من عنب وغيره .

(٥) الهجان : الابل البيض و هى أكرمها ، قطم : شهوان هائج .

(٦) بأجنابهم : تسير إلى جانبهم . جللوها ثخان الأدم : غطوها بالجلود الثخينة ،

(٧) صرار : موضع بالمدينة و قيل جبل و قيل ماء ، الحزم جمع حزام .

(٨) معج الخيول : سرعتها فى ذهابها و مجيئها .

(٩) شلالا متفرقين .

(١٠) السلهبة ، الفرس إذا عظمت و طالت ، الصيان الحفظ .

و كل كميت مطـار الفؤا ... د أمين الفصوص كمثل الزلم (١)
عليها فوارس قد عاوروا ... قراع الكماة و ضرب البهم (٢)
ليوث إذا غضبوا فى الحرو ... ب لا ينكلون ولكن قدم (٣)
فأبنا بسادتهم و النسا ... ء قسراً و أموالهم تقتسم
ورثنا مساكنهم بعدهم ... و كنا ملوكا بها لم نرم (٤)
فلما أتانا رسول المليـ ... ـك بالنور و الحق بعد الظلم
ركنا إليه و لم نعصه ... غداة أتانا من أرض الحرم
و قلنا صدقت رسول المليـ ... ـك هلم إلينا و فينا أقم
فنشهد أنك عبد المليـ ... ـك أرسلت نوراً بدين قيم (٥)
فناد بما كنت أخفيته ... نداء جهاراً و لا تكتتم
فانا و أولادنا جنة ... تقيك و فى مالنا فاحتكم
فنحن ولاتك إذ كذبو ... ك فناد نداء و لا تحتشم
فطار الغواة بأشياعهم ... إليه ، يظنون أن يخترم (٦)
فقمنا بأسيافنا دونه ... نجالد عنه بغاة الأمم

---

(١) الكميت من الخيل ما لونه الحمرة يمازجها السواد ، مطار الفؤاد : ذكى نشيط ، أمين الفصوص : قوى المفاصل ، الزلم : القدح .
(٢) البهم : جمع بهمة وهو الفارس الذى لا يعرف من أين يؤتى لشدة بأسه .
(٣) ينكلون : مثلثة الكاف يجبنون ، قدم : يقدمون و يهجمون .
(٤) لم نرم : لم نتحول .
(٥) دين قيم بكسر القاف و فتح الياء ، الدين المستقيم الذى ليس فيه اعوجاج .
(٦) يخترم : يعنى يصاب و يهلك .

بكل صقيل له ميعة رقيق الذباب غموس خذم (١)
إذا ما يصادف صم العظا م لم ينب عنها و لم ينثلم
فـذلك ما أورثتنا القرو ن مجداً تليداً و عزاً أشم (٢)
إذا مر قرن كفى نسله وخلف قرناً إذا ما انقصم (٣)
فما إن من الناس إلا انا عليه وإن خاس فضل النعم (٤) (٥)

« يتبع »

---

(١) ميعة : صفاء يشبه الماء ، رقيق الذباب : الحاد ، غموس : موغل فى الشخص الذى يطعن ، خذم بمعنى قاطع .

(٢) القرون : جمع قرن ، بمعنى سيد القوم ، عز أشم بمعنى الرفيع التليد ،

(٣) كفى نسله يعنى قام من بعده بالواجب خير قيام ، انقصم ، بمعنى انقطع وانقرض

(٤) خاس : غدر و أخلف .

(٥) ديوان حسان . و حسان بن ثابت للدكتور محمد طاهر درويش ص ٣٤٥ ـ ٤٦ ـ ٤٧

الأستاذ عبد الفتاح سعيد

★ هل تفتح الصين صفحة جديدة مع العالم الاسلامى ؟

★ فشلت الدكتاتورية الماركسية فى حل مشاكل الصين .

★ الصين منجم هائل للثروات الطبيعية .

هل الصين تعتبر أكبر دول العالم الثالث ؟

قبل زيارتى للصين كان انطباعى عنها أنها واحدة من أكبر دول العالم الثالث المتخلفة وكنت أرثى لشعبها ما يعانيه من كبت فى ظل الديكتاتورية الماركسية ، التى تكمم الأفواه و تجعل من الانسان ترساً فى آلة الحياة ، يلقى به حينما يبلى ليحل محله ترس آخر ، دون أن يكون له رأى أو وزن ... فالماركسية هى تلكم الأيديولوجية الشيطانية التى تفتق عنها ذهن اليهود للقضاء على كرامة الانسان (غير اليهودى) و تجريده من معتقداته ، و تحويله إلى عبد لشهواته و ملذاته و رغباته ، و أداة فى يد قوى الشر التى تسيطر على العالم و تسيره وفق أهوائها فى سبيل تحقيق أطماع و أهداف عنصرية و سياسية و اقتصادية لن تعود عليهم وعلى البشرية إلا بالوبال .

و الصين فى بداية مسيرتها الثورية فقدت عنصر الاصلاح الدينى ، و تفشت فيها عوامل الانحلال وتخبطت بين كثير من الفكر و الفلسفات . . بعضها كان يتسم بالالحاد . و بعضها كان يتميز بالسفسطائية ، و بعضها كان عبارة عن فلسفات تحولت مع الزمن إلى ديانات و معتقدات ، ثم كانت الوثنية فى أنحاء كثيرة من البلاد .

أما الاسلام ، الذى دخل إلى الصين فى مطلع القرن الهجرى الأول — كما تدل الشواهد و الآثار ، فانه لم يجد من الدعاة الأكفاء المتجردين ما يكفل

الاكتساح كما حدث فى إندونيسيا وبلاد أخرى ، فظل متقوقعا فى مناطق محددة ، تحاصره أنظمة دكتاتورية متزمتة ، لم يتم لها أن ترتقى إلى سمو مفاهيمه و رقى حضارته الروحية ، مما أدى إلى عدم انتشاره بالصورة التى تكفل له الغلبة على غيره من النحل و الأفكار .

عوامل الانفجار ، الاستعمار وحرب الأفيون و مطامع اليابان:

لهذا كانت التربة ممهدة لرفض جميع الأنظمة و الأفكار القائمة . . فملوك الصين و أباطرتهم كانوا يعتمدون نظام السخرة ، فكانت القصور و المدن تعج بقطعان العبيد الذين لا يملكون من أمر أنفسهم شيئاً ، وسيطر المذهب الجبرى على تفكير قطاعات كبيرة من الناس ، فكانت اللامبالاة طابعاً مميزالهم . . لو اشتعلت النار فى قرية لا تجد من ينجدها ، فالجبرى ينظر إلى النار ببلاهة و هو يقول : لو أن الله يريد إطفاءها فسيطفؤها بدونى ، و إن أراد لها أن تستعر فلن تتمكن قوى الأرض قاطبة من إطفائها .. وجاءت مطامع الغرب فى ثروات الصين لتزيد من متاعب تلك الأمة ، فعمد اليهود الانجليز إلى مضاعفة عوامل القهر والضياع للامة الصينية من خلال تجارة الأفيون ، و كأن الصينيين كان ينقصهم هذا البلاء ليواصلوا خنوعهم و خضوعهم للذلة و الهوان . . و حينما أدرك بعض الأنظمة الصينية خطورة هذا الغزو الجديد و تصدت له ، جاءت جيوش المستعمرين (الذين أثارهم اليهود من تجار الأفيون البريطانيين) و كانت بداية معارك طاحنة فقد فيها الصينيون ملايين من أبنائهم ، و تنازلوا بسببها عن الكثير من الامتيازات و الأراضى لأعدائهم . . و لا زالت مستعمرة هونج كونج البريطانية و جزيرة مكاو البرتغالية خير شاهد على مآسى تلك الحقبة من تاريخ الصين .

ثم كانت اليقظة العسكرية اليابانية من ناحيـــة أخرى عاملا من عوامل تدمير الصين،فاليابانيون كانوا يرون فى أرض الصين وثرواتها حقوقاً مستباحة لهم ، فضيقوا الخناق عليها ، و غزوا أرضها المرة تلو الأخرى ، بل إنهم فى سبيل إشباع نزعتهم الاستعمارية تواطئوا مع المستعمرين البيض (انجلترا و فرنسا و أمريكا) لاقتسام البلد المغلوب على أمره . . كل هذه العوامل كان لها تأثيرها على إحداث تغيير جذرى فى حياة الصينيين و فكرهم و أساليب مواجهتهم للمخاطر .

الاستعمار يستخدم التبشير لتحقيق أهدافه :

فى تلك الفترة نشط التبشير النصرانى بين الصينيين لاحداث تغيير يساير المطامع الغربية و يدعمها فأنشئت مدارس المبشرين ومستشفياتهم ، وانهالت عليهم المساعدات من جميع دول الغرب (تماماً كما هو حادث اليوم فى كثير من دول أفريقيا وبعض الدول الاسلامية الفقيرة) وبدأت هذه المدارس تفرخ جيلا تنطق ملامحهم بالصينية و ألسنتهم و أفكارهم غربية ، ومن هؤلاء استطاع عملاء الغرب أن يصلوا بهـم إلى بعض مواقع السلطة، ومن أشهرهم كان الزعيم الصينى (صن يات صن) الذى عمل خلال دراسة للطب فى بريطانيا فى إحدى إرساليات التبشير (كما ذكر هو بنفسه) و قاد أول ثورة جمهورية اقتلعت النظام الامبراطورى من الصين و كان هو أول رئيس للجمهورية و لكن رئاسته لم تستمر لأكثر من شهر واحد . . و استمرت الثورة الصينية بهدف تخليص البلاد من الاستعمار وتحقيق الاصلاح الداخلى ، فى الوقت الذى ظهرت فيه الثورة البلشفية فى الاتحاد السوفيتى بقيـــادة الملحد لينين اليهودى ، و بأفكار (كارل ماركس) اليهودى ، و بتخطيط و دعم من الصهيونيـة العالمية ، و التى كشفت أوراقها تماماً فى مطلع هذا القرن ، بعد اكتشاف النسخة الأولى من بروتوكولات حكماء صهيون فى عام ١٩٠٥م .

المسلمون الصينيون :

خلال الفترة من القرن الهجرى الأول حتى مطلع هذا القرن، لم يكن التواجد الاسلامى فى الصين خاملا ، فمقاطعات سنكيانج (التركستان الشرقيــة) و يونان وكانتون وبعض مقاطعات أخرى شهدت تنامياً إسلامياً أدى إلى كثير من الانتفاضات أو الثورات ضد أنظمة الظلم و العبودية ، ولكن لحكمة يعلمها الله ، ولا بد لأسباب تتعلق بضعف القيادات و كثرة الأعداء ، فشلت هذه الثورات و كان من أشهرهـا قيام مملكة إسلامية فى جنوب الصين لم تجد من يدعمها فى بداية ضعف الدولة العثمانية فى الشرق ، فهزمت و قتل الملك سليمان فى ظروف غامضة .

و إذا رجعنا إلى القليل من الشتات الذى تناولته بعض المراجع التاريخية القليلة عن جهاد المسلمين و ثوراتهم فى الصين ، فاننا سنجد أن كثيراً منهم قد استشهد فى سبيل المبادىء و القيم الرفيعة التى نادى بها الاسلام لاسعاد البشرية ، و قد كان من بينهم العلماء و الأمراء و القــادة و المهندسون الذين كان لهم الكثير من التأثير على الأمة الصينية فى مختلف حقب تاريخها الممتد منذ وصول الاسلام إلى أرض الصين حتى وقتنــا هذا .

كيف تأثرت الصين بالشيوعية :

مرة أخرى نعود إلى سياق حديثنا عن ظهور الثورة الشيوعيــة فى روسيا ، و تأثر بعض طلائع المثقفين الصينيين و خاصة الذين تلقوا ثقافة غربية صليبيــة فى أحضان الاستعمار و عملائه ، بما يجرى على الأرض المجاورة فى روسيا ، و جاءت الشعارات البراقة عن تحرير العمال و العبيــد و إلغاء نظام السخرة و القضاء على الاقطاع و النظم الملكية و الامبراطورية . . فكان طبيعياً أن تجد هذه الشعارات لها مكاناً فى الفرغ الفكري و العقائدى الذى كان يكابده معظم الصينيين خلال تلك

المتاهة ، التى انقسمت فيها البلاد على نفسها و أصبحت المخاطر تهددها من داخلها و من خارجها ، و من بين هذه الطلائع ظهر ماوتسى تونج .

قيام الدولة اللادينية فى الصين :

شهد الربع الثانى من القرن الحالى حرباً أهلية داخلية ، و مقاومة وطنية صينية للتدخل الأجنبى والتواجد الاستعمارى على أرض الصين ، مما أفقد تلك الأمة ملايين من أبنائها و كثيراً من ثرواتها ، ولم يستطع المسلمون على قلتهم و تفرقهم و تشتت جماعاتهم فى مختلف الولايات أن يوحدوا صفوفهم و أن يشكلوا بعثاً إسلامياً عقائدياً للامة الاسلامية ، و اضطرت جموع غفيرة منهم إلى الانضمام للثورة الوطنية (فى الجانب الشيوعى) ظنا منهم أن هذا قد يؤدى إلى إنقاذ الأمة وثرواتها . كما انضم فريق منهم للثورة الوطنية المضادة ، التى قادها « تشانج كاى شيك » بمساندة الأمريكيين وغيرهم من قوى الاستعمار ، ظناً منهم أن هذا قد يحفظ لهم كيانهم العقائدى الاسلامى ، و كان اندحار اليابان فى الحرب متنفساً مشجعاً للصينيين ، الذين عانوا كثيراً من الاستعمار اليابانى ، وقبل نهاية الأربعينات ، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، استطاع ثوار الصين أن يدحروا قوات « تشانج كاى تشيك » ، ففر مع فلول قواته إلى جزيرة فورموزا « تايوان حالياً » فى حماية البوارج و الأساطيل الأمريكية فكان هذا إيذاناً بقيام ثانى أكبر دولة شيوعية فى العالم .

الكنائس أوكار للتجسس و التخريب :

لم تيأس قوى الاستعمار و لم ترتدع ، فلجأت إلى آخر أوراقها التى تمثلت فى الرداء الكهنوتى : حيث كانت إرساليات التبشير عبارة عن أوكار للتجسس وتخطيط أعمال التخريب ، وبينما كان الصينيون يحتفلون بانتصاراتهم فى ميدان الشعب ببكين ، حيث توجد أكبر كنائس التبشير الصليبى هناك ، إذا بطلقات مدفعية ومدافع رشاشة

تنطلق من داخل الكنيسة و الأوكار التابعة لها ، ليكتشف الصينيون أن المبشر
الذين تخفوا فى ثياب الكهنوت ليسوا إلا جواسيس و عملاء لدعم الاستعمار الغ
و تثبيت أركانه فى البلاد التى يفشل فيها الغزو العسكرى . . و كانت هذه نهاية ر
الكنيسة الصينية ببابوية الفاتيكان فى روما .

فى تلك الفترة لم يكن للمسلمين من يناصرهم أو يدافع عن وجودهم ، فلم
أمامهم سوى التسليم بالأمر الواقع والانتظام فى مسيرة بناء الدولة حتى يقضى الله أم

تناقض - بين بناء مادى و هدم روحى :

قام البناء المادى للدولة الماركسية الصينية على حساب هدم جميع العقائد والفلس
الروحية كما خطط اليهود لذلك بواسطة إنجلز وكارل ماركس ثم لينين، و كما هى ع
الماركسيين فى أساليب تثبيت دعائم حكمهم ، كانت هناك قسوة و كان العنف والك
و تكميم الأفواه و الموت لكل من يقف فى طريق النظم الماركسية ، وبقدر ما
الشعب الصينى من الدكتاتورية الماركسية كان هناك بعض النجاح المادى فى الق
على كثير من مظاهر التخلف ، فى كثير من ميادين الحياة . . و كانت هناك ق
تحاول أن تستغل حاجة الصين إلى الخبرات الفنية و العلمية للتسلل من خلالها بهد
السيطرة ، فروسيا مثلا حاولت ، كما هى عادتها مع الدول التى تعتنق أيديولوجيتها
تفرض سيطرتها على الدولة الصينية الحديثة، و لكن الصينيين عرفوا كيف يتخلص
من سيطرتها فى الوقت المناسب . . و الغرب رفض مد يد العون الفنى للصي
إلا بشروطه المرفوضة من الصينيين . . فلم يكن أمام الأمة الصينية إلا أن تعتمد
نفسها ، و فتحت المدارس المجانية فى كل مكان ، ثم أقامت الجامعات و المعاه
العليا ، و اهتمت بالتكنولوجيا فأنشأت جامعات هندسية و معاهد عليا للتكنولو
يواصل فيها العمال تعليمهم العلمى المادى فى أوقات الفراغ ، فقام البناء المادى للدو

وصنعت الصين قنبلتها النووية وصواريخها و أقمارها الصناعية و بنت سفنها وقطاراتها و دباباتها و طائراتها . . وبذلك وضعت أقدامها على طريق القوة ، ولكن . . على حساب فراغ روحى هائل ينذر بالخطر .

الثورة الثقافية قمة البلاء :

خلال مسيرة الثورة الصينية أنشأت المجمعات التعاونية للفلاحين و العمال، ثم ما عرف باسم الكومونات الشعبية (و هى عبارة عن مستعمرات زراعية صناعية اجتماعية شبه مستقلة) و أوقفت الانفجار السكانى الذى زاد بتعداد شعبها إلى أكثر من بليون نسمة ، و لكن الفراغ الروحى الذى كانت تعانيه الأمـــة أدى بها إلى انتكاسة أخلاقية كان لهـا أثرها البالغ عن الحياة الاجتماعية العامة ، و بدلا من أن تفكر الزعامة الصينية فى وسائل إصلاحية تحرر الناس من الديكتاتورية الماركسية و تساعدهم على اكتشاف ذاتهم ، قامت بما عرف باسم (الثورة الثقافية) فأعلنت حكماً ديكتاتورياً فوق الدكتاتورية الماركسية القائمة ، و بطشت بالمثقفين و أغلقت مساجد المسلمين و كنائس النصارى ومعابد البوذيين والكاويين وغيرهم من الطوائف و النحل و المعتقدات ، و ضاعفت من تكميم الأفواه و أرسلت بأعداد كبيرة من المثقفين و العلماء إلى معسكرات العمل و السجون ، و لم يسلم من ذلك كبير أو صغير . . حتى إنى التقيت (بمحض الصدفة) فى سينكيانج برجل تجاوز الثمانين من عمره و كان من زملاء ماوتسى تونج ، وهو وزير سابق للمواصلات والطيران . . قال لى إنه قضى فى السجن سبع سنوات لأنه عارض الثورة الثقافية التى كادت تهدم الأمة الصينية .

ماذا بعد الانفتاح على الغرب ؟

و أخيراً سقطت الثورة الثقافية ، و حوكم زبانيتها الذين عرفت محاكمتهم باسم

(محاكمة عصابة الأربعة) و كان على رأسهم تلك المجرمة الشمطاء زوجـة ماوتسى تونج ، وتنفس الشعب الصينى الصعداء، وعادت المساجد للسلمين و أسهمت الحكومة فى إعادة ترميمها و إعدادها للعبادة ، كما أعيدت جميع دور العبادة الأخرى لأصحابها و انفتحت الصين على الغرب فى محاولة للحصول على خبرة الغرب التكنولوجية المتقدمة ، و حدث بالفعل تبادل بين الصين و أمريكا فى مجال الخبرة الفنية ، فخلال زيارتى لأحد المصانع الكبيرة فى إحدى ضواحى مدينة شينغهاى ، علمت أن عدداً من عمال المصنع أوفدوا للولايات المتحدة لاكتساب الخبرة الفنية المتقدمـة كما تم التعاقد بين بعض المصانع السويسرية والأمريكية و الهولندية على تصنيع بعض المنتجات الصناعية المشتركة . . و لكن . . إلى أى مدى سيذهب هذا الانفتاح ؟ .

من خلال ما نمى إلى علمى وما استنبطته من استقراءاتى أرى أن انفتاح الصين على الغرب ، رغم أنه شمل قطاعات كبيرة ، إلا أنه مبرمج و محسوب و مقدر له حسب السياسة الصينية أن يصب فى قناة واحدة ، هى خدمة مصالح الأمة الصينية و تمكينها من الاستخدام و الاستثمار الأمثل لثرواتها الهائلة ، التى لا زال معظمها مدفوناً فى أعماق تربتها ، و لم يستثمر منه إلا القليل ، و من هذه الثروات مكامن للطاقة لا حدود لها ، و مختلف أنواع المعادن و الفحم و المياه العذبة و الزراعة و الغابات و الثروات المائية و كذلك البترول . . فأرض الصين تعد منجما بكراً لأعظم الثروات المادية التى يمكن أن تتواجد فى مساحة من الأرض تزيد مساحتها عن عشرة ملايين كيلومتر مربع ، و تحتوى على جميع أنواع التربة و المناخ و التضاريس الجغرافية .

ماذا تريد الصين من العالم الاسلامى ؟

ماذا تريد الصين الآن من العالم الاسلامى ؟ كان لا بد لهذا السؤال من أن

يطرح نفسه بعد أن ظهرت علامات تدل على رغبة الصين فى التودد إلى العالم الاسلامى و إقامة علاقات قوية معه .

و خلال زيارتى لهذا البلد الكبير من شماله الشرقى إلى غربى جنوبه ، كنت حريصاً على معرفة الأهداف الحقيقية للصين من وراء سعيها لاقامة علاقات مع الدول الاسلامية وكنت أضع فى اعتبارى الدور الخطير الذى لعبته الصين فى المحاولة الانقلابية الدموية التى كادت أن تقضى على اندونيسيا خلال الأربعينات و الستينات من هذا القرن على عهد أحمد سوكارنو الرئيس الاندونيسى الذى كاد أن يقضى على بلاده بالضياع .

إن الصين فى عهدها الجديد تريد أسواقا لانتاجها الصناعى المتنامى ، و دول العالم الثالث هى خير الأسواق التى تصلح لانتاجها ... و هى لذلك تريد أن تقيم جسراً من العلاقات الطيبة بين مسلمى الصين و إخوانهم فى العالم الاسلامى ، تعبر من خلاله إلى أسواقهم وتقوى العلاقات معهم .

فرصة سانحة لحوار إسلامى مع الصين :

و خلال لقاء خاص استمر لأكثر من ساعة و نصف مع مسؤول صينى كبير ، تناولت فيه مقارنة بسيطة بين الشريعة الاسلامية فى مجال المعاملات و العلاقات الانسانية و بين الفكر المادى الماركسى ، أبدى هذا المسؤول (الوزارى) دهشة لما سمعه و قال إنه يسمع هذا عن الاسلام لأول مرة ... إذاً فهناك فرصة سانحة لحوار فكرى إسلامى مع القيادات الصينية ، نشرح من خلاله مبادىء شريعتنا السمحة فى التنظيم الاجتماعى و الاقتصادى و المعاملات الانسانية ، ليعرف الصينيون أن فساد بعض الأنظمة فى البلاد الاسلامية لا يعنى فساد الفكر الاسلامى أو عدم ملاءمته لحياة البشر ، وأنه سيكون من المفيد للسلم العالمى أن تحترم دول العالم عقيدتنا الاسلامية

أن يمنحنا قادتها فرصة إحيائها وتطبيقها إن أرادوا أن يروا على أرض الواقع مجتمعا
نتجاً عاملا أميناً صادقا تسود علاقات أفراده المحبة والمودة والوفاء ...

نداء إلى حكام المسلمين :

و أخيراً فانى أقول لرابطة العالم الاسلامى و لحكام المسلمين المخلصين : إن سواق الأمة الاسلامية ينبغى أن يكون لها ثمن يخدم عقيدة هذه الأمة و يسهم فى عم السلام العالمى . . و أقل ثمن لهذه الأسواق هو أن لا نفتحها فى وجه بضائع بة دولة إلا فى مقابل احترام الجالية الاسلاميـــة فيهـا و السماح لها بالتبادل العلمى . الثقافى و استعارة العلماء و المدرسين لتصحيح مفاهيم أبناء الجاليات عن عقيدتهم ، ان كثيراً من الجاليات الاسلامية بعدت كثيراً عن مفاهيم دينها بسبب بعدها عن لراكز العلمية الاسلامية و انغلاقها و عدم السماح لعلماء المسلمين بزيارتها مما يجعلهـا ليوم أحوج ما تكون إلى تجديد إسلامها .

إنها مسئولية حكام المسلمين المعاصرين إن أرادوا أن يقابلوا ربهـــم بوجوه شرقة . . و إلا . . فلله الأمر من قبل و من بعد ؟ .

رجل فقــدناه :

الشيخ المفتى عتيق الرحمن فى ذمة الله

فقد الشعب المسلم الهندى فى شهر شعبان الحالى أحد أعلامه الكبار وهو فضيلة الشيخ المفتى عتيق الرحمان العثمانى رئيس اتحاد الأحزاب الاسلامية الهندية (مسلم مجلس مشاورت) و بذلك خلا مكان هام كان يشغله المغفور له فى مجال العمل الاسلامى السياسى فى الهند.

لقد كان المغفور له الشيخ العثمانى سليل أسرة علمية ودينية مرموقة فى الهند كان جده الشيخ حبيب الرحمن العثمانى من كبار علماء المسلمين فى الهند وكان من الأعضاء المؤسسين للجامعة الاسلامية الكبيرة فى ديوبند و كان والده الشيخ المفتى عزيز الرحمن العثمانى أيضاً من العلماء المرموقين و من مديرى الجامعة الاسلامية بديوبند.

نشأ المغفور له الشيخ عتيق الرحمن العثمانى تحت تربية والده العظيم و درس فى جامعــة ديوبند على كبار الأساتذة و ترسم خطاهم و حاز السبق فى العلوم الشرعية الاسلامية مع مشاركة فى الكتابة والخطابة فقد اشتغل زمنا بعمل الافتاء و بالتدريس مع اهتمامه بالجهود التى كان المسلمون يبذلونها فى مجال تحرير البلاد مع أساتذته ومعاصريه من علماء الدين الاسلامى ، و يشهد تاريخ تحرير البلاد الهندية من يد الاستعمار الانجليزى بالدور الريادى العظيم الذى أداه علماء الدين الاسلامى فى تحرير الهند و يشهد بما كان له من أثر عظيم فى إنهاض همم الشعب الاسلامى الهندى للكفاح ضد

الاحتلال ، و كان ذلك يليق بهم لأن الانجليز كانوا قد انتزعوا مقاليد الحكم فى هذه البلاد من يد المسلمين فكان المسلمون خصمهم الأول فانصب عليهم غضب الانجليز بصورة أشد وحرمهم الانجليز حتى الحقوق التى جادوا بها لغيرهم من أبناء الوطن ولذلك لما تحرر شبه القارة الهندية لم ينل المسلمون إلا جزءاً أقل من حقهم.

و واصل علماء المسلمين وقادتهم الكفاح لحقوق المسلمين بعد تحرير البلاد ونشأت لهم أحزاب متعددة ومنها حزب جمعية علماء الهند كان المغفور له الشيخ عتيق الرحمن عضواً فى مجلسه الأعلى ، ثم اختير رئيساً له ثم اختير رئيساً لاتحاد الأحزاب الاسلامية (مسلم مجلس مشاورت) الذى تأسس للتمثيل الجماعى لدى الحكومة للشعب الهندى . ولم يزل رئيسه إلى موعد وفاته رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه.

لم ينعزل المغفور له الشيخ عتيق الرحمن عن اهتمامه بالعلم و الأدب بل واصل اشتغاله بهما عن طريق مجمع علمى للتأليف و النشر (ندوة المصنفين بدهلى) أنشأه هو و زميلاه المغفور له الشيخ حفظ الرحمن السيوهاروى الأمين العام لحزب جمعية علماء الهند و فضيلة الشيخ سعيد أحمد الأكبرآبادى عميد الكلية الدينية بجامعة علىكراه الاسلامية سابقاً و رئيس تحرير المجلة العلمية الاسلامية « برهان » الصادرة من نفس المجمع و استطاعوا تزويد المكتبة الاسلامية الأردية بالهند ، بكتب قيمة على موضوعات اسلامية هامة ، ولهذا المجمع مشاركة مشكورة فى إثراء مكتبة الفكر الاسلامى فى شبه القارة الهندية بالمشاركة مع مجمع علمى إسلامى آخر سبق انشاؤه باسم دار المصنفين بأعظم كره ، و هو المجمع المتفرع من ندوة العلماء بلكهنؤ ،

اختار المغفور له الشيخ عتيق الرحمن اختصاصه فى أعمال ندوة المصنفين الاشراف الادارى و كان من نتيجة جهوده فى هذا الاختصاص أن هذه الشجرة المجمعية الاسلامية نمت من مستوى الفصيل إلى مستوى شجرة مثمرة كبيرة .

★ رجل فقدناه ★

لقد كانت بين المغفور له الشيخ عتيق الرحمن وبين فضيلة أستاذنا الجليل الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي حفظه الله، صلات صداقة قريبة بدأت من الصعيد العلمي الاسلامي وشملت الصعيد الاجتماعي والسياسي، فكانا زميلين في العمل على منبر اتحاد الأحزاب الاسلامية الهندية، مشاركين واحدهما مع الآخر في العمل لحل أكثر وأدق القضايا المطروحة على بساط هذا المجلس، وكان من أهم الأحزاب الممثلة في هذا الاتحاد، رابطة مسلمي الهند (مسلم ليك) و حزب جمعية علماء الهند و حزب الجماعة الاسلامية لعموم الهند، و غيرها من الأحزاب و الجماعات الاسلامية الهندية العديدة، و كان المغفور له الشيخ عتيق الرحمن نال الاحترام من أكثر زملائه في الاتحاد و ذلك لمركزه في العلم و العمل الاسلامي و لسنه، فقد توفي وسنه ست و ثمانون سنة بالتاريخ الهجري.

و بالاضافة إلى هذه الصفات و الأحوال المذكورة كان المغفور له الشيخ عتيق الرحمن طيب الخلق صاحب دعة و وقار مع فطانة وحلم وحنكة سياسية بالغة، و بذلك كان يتغلب على مناسبات حرجة، و يعالجها بحكمة، و لذلك بقي متمتعاً بثقة زملائه إلى آخر حياته،

كما يشهد بقدمه ورسوخه في العلم معاصروه من العلماء فقد ذكروا انه لولم تكن جهوده الادارية في مجمعه العلمي عائقة عن مشاركته في التأليف و البحث لبلغ في هذا المجال أيضاً إلى درجة لاتقل عما تمتع به أقرانه الباحثون المؤلفون الذين نالوا صيتاً حسناً في جهودهم التأليفية.

تغمد الله الفقيد برحمته الواسعة و غفر له زلاته، و أسكنه فسيح جناته، وصلى الله تعالى على رسوله محمد و على آله و صحبه أجمعين.

محمد الرابع الحسني الندوي

أخبار اجتماعية و ثقافية :

على هامش الجهاد الأفغانى المسلم

المجاهدون يضاعفون نشاطهم فى كابول

دمر المجاهدون دبابتين وتسع عربات مدرعة وشاحنتين وسيارة جيب عسكرية ، خلال عملياتهم أخيراً فى كابول و مديرية مير باتشاكوت . و قتل عدد منهم الجنود الروس والكارمليين خلال هذه العمليات . وقد نشط المجاهدون فى منطقة قصر دار الأمان ، كما أنهم أطلقوا عدة صواريخ على مقر السفارة الروسية ، بالعاصمة الأفغانية .

و تقول مصادر وكالة الأنباء الأفغانية فى كابول أن المجاهدين الحضريين نفذوا هجوما مباغتا على السفارة الروسية ليلة ٣/ مارس الماضى ، و دمروا دبابة مرابطة على بوابة السفارة . و لحقت الأضرار بمبنى يسكنه بعض الشيوعيين و كان ملاصقاً للسفارة . و قد استخدم المجاهدون قذائف صاروخية فى هجومهم على السفارة الروسية .

و لقى عدة جنود روس و كارمليين مصرعهم حين تعرضوا لهجوم المجاهدين فى منطقـــة قصر دار الأمان ، كما دمر المجاهدون دبابة بالقرب من القصر الجمهورى ، بمنطقة تدعى خان خلق . و قتل طاقم الدبابة ، كذلك .

و قد نفذ المجاهدون عديداً من العمليات خلال شهر أبريل الماضى فى ضواحى كابول أسفرت عن مقتل جنود روس — كارمليين .

أعلام المجاهدين ترفرف على مدينة (مزار إمام صاحب)

لا تزال أعلام المجاهدين ترفرف فوق مبانى مدينة (مزار إمام صاحب) بولاية كوندوز . و فشلت القوات الروسية المحتلة و الكارملية العميلة فى استعادة المدينـــة من المجاهدين ، فأقلعت عنهم المحاولة عقب جهود استمرت أسبوعين .

و تقول مصادر وكالة الأنباء الأفغانية فى كوندوز أن حاكم الولاية (عبد الغنى) و أحــد كبار الضباط الكارمليين ويدعى (جول آقا)، و قائداً روسياً يسمى (نزاروف) كانوا يشرفون على محاولة استعادة المدينة. و حاولت قوات الكوماندوز الروسية استعادة السيطرة مرتين خلال هذه المدة. و يقود المجاهدين على هذه الجبهة المجاهد القائد (نسيم) من الاتحاد الاسلامى و المجاهد القائد (عبد الحكيم). و قد لقى ٢٧ من الروس و الكارمليين مصرعهم خلال هذه المحاولات حسب تقديرات المجاهدين. و قد دمر المجاهدون ٣ دبابات للعدو. و قد زرع المجاهدون الألغام فى المنطقة كلها، الأمر الذى حال دون تقدم القوات الروسية الكارملية. و قد استشهد عدد من المجاهدين و الأهالى نتيجة القصف الروسى الجوى.

الروس يحتلون مركزاً فرعياً للمجاهدين

تمكنت وحدة روسية مدرعة من تدمير مركز فرعى من مراكز المجـاهدين الأفغان ببلدة تشاق آب بولاية فرح المتاخمة للحدود الايرانية. و كان بالمركز ثمانية مجاهدين حين هاجمه الروس.. أما المجاهدون الآخرون فكانوا قد انتقلوا إلى مكان آخر لمساعدة المجاهدين به.

وقد وقع هذا الهجوم ظهر يوم ١٣ أبريل الماضى. وقد استبسل المجاهدون فى الدفاع عن مواقعهم. واستشهد منهم اثنان بينما أصيب الستة الباقون بجراح. وعقب ثلاث ساعات من المواجهة انسحب المجاهدون، حاملين جثتى الشهيدين، إلى مواقع آمنة.

عمليات المجاهدين فى قندهار

ضاعف المجاهدون الحضريون عملياتهم فى مدينـــة قندهـار، فنفذوا عملية ضد مطار قندهار فى ١٨ أبريل الماضى، و دمروا سيارة جيب عسكرية و أعطبوا دبابتين روسيتين وقتلوا أربعة جنود روس من حراس المطار وغنموا بعض الأسلحة وعادوا إلى قواعدهم الآمنة قبل أن تصل النجدة إلى القوات الروسية. وكان المجاهدون بقيادة المقدم مير عالم الذى انضم مؤخراً إلى صفوف المجاهدين تاركا الجيش الكارملى. و كذلك هاجم المجاهدون مركز الشرطة بمدينة قندهار فى ١٢ أبريل.

محاصرة خولام

ظل المجاهدون الأفغان يحاصرون مدينة خولام لخمسة أيام حتى فكوا الحصار فى ١٤ أبريل الماضى حين نفدت ذخائرهم .

وطبقاً للتقارير التى وصلت إلى وكالة الأنباء الأفغانيـــة من مصادرها فى ولاية سامانغان ، فقد ظلت خطوط الامداد الرئيسية بين (كابول) و (ترمز) مقطوعـــة خلال أيام الحصار بسبب موقع خولام الاستراتيجى .

و قــد لجأ الروس إلى القصف الجوى الشديد افك الحصــار . و خـــلال الاشتباكات التى وقعت بين المجاهدين و القوات المحتلة ، تم تدمير أربع دبابات للعدو و قتل مالا يقل عن ٥٠ من جنود الجيش الروس الكارملى .

و من ناحية أخرى ، وقع اشتباك بين المجاهدين بمنطقة خواجه غوش و قوة روسية متحركة بمكان يدعى دار تخت رستم . وأسفر هـــذا الاشتبـاك عن مصرع ثمانية جنود للعدو بينهم ضابط روسى كبير .. و كذلك تم تدمير عدد من الآليات المدرعة . و قد استشهد أحد المجاهدين ، و يدعى نادرشاه ، وأصيب البعض بجراح . و غنم المجاهدون شاحنة عسكرية فى حالة جيدة .

مجزرة جديدة فى جنوب الهند

مجزرة رهيبة تعرضت لها مدينة بهيوندى بمديرية تهانه فى ولاية مهاراشتر ، و ذلك فى نهاية الأسبوع الثالث من شهر مايو ، امتدت نيرانها إلى المناطق المجاورة حتى إلى مدينة بمبئ ، و قد بلغ مجموع عدد القتلى فى المناطق المنكوبة إلى ما يقارب ٢٦٠ شخصا حسب الاحصاء الرسمى ، و إن كـــان تقدير المشاهدين الذين زاروا مدينة بهيوندى و ما جاورها من المناطق المتضررة ، يفوق أضعاف هذا العدد .

أما السبب المباشر لهذه المجازر المروعة فهو أن الزعيم الهندوسى « بال تهيكرے » الذى ينتمى إلى حزب « شيوسينــا » الهندوسى المتطرف ، تعمد الاساءة إلى شخصية نبينا محمــد ﷺ أثناء خطاب ألقاه فى احتفال خاص نظمته هذه الجماعة الهندوسية

المتطرفة مما أدى إلى جرح لشعور المسلمين و إثارة غيرتهم الدينية .

و فوجئ المسلمون أثناء الاحتجاج الذى قاموا به ضد هذه الجراءة الخبيثة ، بالقتل و الفتك و التدمير و الاحراق ، المجزرة التى استمرت عــدة أيام سببت خسائر هائلة للأرواح و الأموال و الممتلكات و المصانع .

لقد بلغت الفظائع إلى آخر المدى حيث كانت فريدة من نوعها لا يوجد لها مثيل فى تاريخ الاضطرابات الدموية فى هذه البلاد ، حتى إن الدوائر الحكومية قد أحست بضخامة الأحداث و خطورة الوضع الشاذ ، و قامت رئيسة وزراء الهند بزيارة المدينة المنكوبة و شاهدت آثار التدمير و الابادة بأم عينيها ، و وصفتها بأنها وصمة عار على جبين هذه البلاد التى تنادى بالحياد و تدعو شعوب العالم إلى الأمن و السلام ، و قد أفادت بعض الأنباء بأن شخصاً مجهولا لا يعرف اسمه أخبر رئيسة الوزراء خلال زيارتها لمدينــة بهيوندى أن جماعة من الهندوس المتطرفين ذبحوا ٢٧ مسلماً فى رحالهم ثم احرقوا الجميع أمام أعينهم .

إن هذه المجازرة التى تشهدها بلاد الهند منذ تاريخ استقلالها لا يزال يتسع نطاقها و تستشرى ضراوتها على مر الأيام و هى فى الحقيقــة محاولة فاشلة لتصفية وجود المسلمين من هــذه البلاد ، و لا يقوم بها إلا جماعات متطرفة تعلن حيناً لآخر أن بلاد الهند إنما هى وطن خاص بالهندوس لاحق فيه للسلمين إلا أن يتجردوا عن خصائصهم الاسلامية و يخضعوا للأيدلوجيات الهندوسية الخالصة .

هذا و قد فشلت حكومة الولاية فى حماية المنكوبين وسد تيار الابادة الجماعية و لا يزال التوتر قائما فى المناطق المتضررة كلها و الناس ينتظرون أن يتنفسوا فى جو من الأمن ، كما أن لجان الاغاثة الاسلامية فى جميع أنحاء البلاد تهتم بجميع تبرعات و معونات و إيصالها إلى المنكوبين و إسعافهم بها حسب الامكانيات المتوفرة لديها .

و قــد أولت الصحف الهندية هذه الأحداث الدموية الفظيعة أهمية كبيرة ، و علقت عليها بصراحة قلما جربناها فى الماضى .

أخبار اجتماعية و ثقافية :

على هامش الجهاد الأفغانى المسلم

المجاهدون يضاعفون نشاطهم فى كابول

دمر المجاهدون دبابتين وتسع عربات مدرعة وشاحنتين وسيارة جيب عسكرية ، خلال عملياتهم أخيراً فى كابول و مديرية مير باتشاكوت . و قتل عدد منهم الجنود الروس والكارمليين خلال هذه العمليات . وقد نشط المجاهدون فى منطقة قصر دار الأمان، كما أنهم أطلقوا عدة صواريخ على مقر السفارة الروسية ، بالعاصمة الأفغانية.

و تقول مصادر وكالة الأنباء الأفغانية فى كابول أن المجاهدين الحضريين نفذوا هجوما مباغتا على السفارة الروسية ليلة ٣/ مارس الماضى ، و دمروا دبابة مرابطة على بوابة السفارة . و لحقت الأضرار بمبنى يسكنه بعض الشيوعيين و كان ملاصقاً للسفارة . و قد استخدم المجاهدون قذائف صاروخية فى هجومهم على السفارة الروسية.

و لقى عدة جنود روس و كارمليين مصرعهم حين تعرضوا لهجوم المجاهدين فى منطقـــة قصر دار الأمان ، كما دمر المجاهدون دبابة بالقرب من القصر الجمهورى ، بمنطقة تدعى خان خلق . و قتل طاقم الدبابة ، كذلك .

و قد نفذ المجاهدون عديداً من العمليات خلال شهر أبريل الماضى فى ضواحى كابول أسفرت عن مقتل جنود روس — كارمليين .

أعلام المجاهدين ترفرف على مدينة (مزار إمام صاحب)

لا تزال أعلام المجاهدين ترفرف فوق مبانى مدينة (مزار إمام صاحب) بولاية كوندوز . و فشلت القوات الروسية المحتلة و الكارملية العميلة فى استعادة المدينـــة من المجاهدين ، فأقلعت عنهم المحاولة عقب جهود استمرت أسبوعين .

و تقول مصادر وكالة الأنباء الأفغانية فى كوندوز أن حاكم الولاية (عبد الغنى) و أحـد كبار الضباط الكارمليين ويدعى (جول آقا) ، و قائداً روسياً يسمى (نزاروف) كانوا يشرفون على محاولة استعادة المدينة . و حاولت قوات الكوماندوز الروسية استعادة السيطرة مرتين خلال هذه المدة . و يقود المجاهدين على هذه الجبهة المجاهد القائد (نسيم) من الاتحاد الاسلامى و المجاهد القائد (عبد الحكيم) . و قد لقى ٢٧ من الروس و الكارمليين مصرعهم خلال هذه المحاولات حسب تقديرات المجاهدين . و قد دمر المجاهدون ٣ دبابات للعدو . و قد زرع المجاهدون الألغام فى المنطقة كلها ، الأمر الذى حال دون تقدم القوات الروسية الكارملية . و قد استشهد عدد من المجاهدين و الأهالى نتيجة القصف الروسى الجوى .

الروس يحتلون مركزاً فرعياً للجاهدين

تمكنت وحدة روسية مدرعة من تدمير مركز فرعى من مراكز المجـاهدين الأفغان ببلدة تشاق آب بولاية فرح المتأخمة للحدود الايرانية . و كان بالمركز ثمانية مجاهدين حين هاجمه الروس . . أما المجاهدون الآخرون فكانوا قد انتقلوا إلى مكان آخر لمساعدة المجاهدين به .

وقد وقع هذا الهجوم ظهر يوم ١٣ أبريل الماضى. وقد استبسل المجاهدون فى الدفاع عن مواقعهم . واستشهد منهم اثنان بينما أصيب الستة الباقون بجراح . وعقب ثلاث ساعات من المواجهة انسحب المجاهدون، حاملين جثتى الشهدين، إلى مواقع آمنة.

عمليات المجاهدين فى قندهار

ضاعف المجاهدون الحضريون عملياتهم فى مدينـة قندهـار ، فنفذوا عملية ضد مطار قندهار فى ١٨ أبريل الماضى ، و دمروا سيارة جيب عسكرية و أعطبوا دبابتين روسيتين وقتلوا أربعة جنود روس من حراس المطار وغنموا بعض الأسلحة وعادوا إلى قواعدهم الآمنة قبل أن تصل النجدة إلى القوات الروسية. وكان المجاهدون بقيادة المقدم مير عالم الذى انضم مؤخراً إلى صفوف المجاهدين تاركا الجيش الكارملى. و كذلك هاجم المجاهدون مركز الشرطة بمدينة قندهار فى ١٢ أبريل .

محاصرة خولام

ظل المجاهدون الأفغان يحاصرون مدينة خولام لخمسة أيام حتى فكوا الحصار فى ١٤ أبريل الماضي حين نفدت ذخائرهم .

وطبقاً للتقارير التى وصلت إلى وكالة الأنباء الأفغانيـة من مصادرها فى ولاية سامانغان ، فقد ظلت خطوط الامداد الرئيسية بين (كابول) و (ترمز) مقطوعة خلال أيام الحصار بسبب موقع خولام الاستراتيجى .

و قد لجأ الروس إلى القصف الجوى الشديد افك الحصار . و خلال الاشتباكات التى وقعت بين المجاهدين و القوات المحتلة ، تم تدمير أربع دبابات للعدو و قتل مالا يقل عن ٥٠ من جنود الجيش الروس الكارملى .

و من ناحية أخرى ، وقع اشتباك بين المجاهدين بمنطقة خواجه غوش و قوة روسية متحركة بمكان يدعى دار تخت وستم . وأسفر هـذا الاشتبـاك عن مصرع ثمانية جنود للعدو بينهم ضابط روسى كبير .. و كذلك تم تدمير عدد من الآليات المدرعة . و قد استشهد أحد المجاهدين . و يدعى نادرشاه ، وأصيب البعض بجراح . و غنم المجاهدون شاحنة عسكرية فى حالة جيدة .

مجزرة جديدة فى جنوب الهند

مجزرة رهيبة تعرضت لها مدينة بهيوندى بمديرية تهانه فى ولاية مهاراشتر ، و ذلك فى نهاية الأسبوع الثالث من شهر مايو ، امتدت نيرانها إلى المناطق المجاورة حتى إلى مدينة بمبئ ، و قد بلغ مجموع عدد القتلى فى المناطق المنكوبة إلى ما يقارب ٢٦٠ شخصا حسب الاحصاء الرسمى ، و إن كـان تقدير المشاهدين الذين زاروا مدينة بهيوندى و ما جاورها من المناطق المتضررة ، يفوق أضعاف هذا العدد .

أما السبب المباشر لهذه المجازر المروعة فهو أن الزعيم الهندوسى « بال تهيكرے » الذى ينتمى إلى حزب « شيوسينا » الهندوسى المتطرف، تعمد الاساءة إلى شخصية نبينا محمـد ﷺ أثناء خطاب ألقاه فى احتفال خاص نظمته هذه الجماعة الهندوسية

المتطرفة مما أدى إلى جرح لشعور المسلمين و إثارة غيرتهم الدينية .

و فوجئ المسلمون أثناء الاحتجاج الذى قاموا به ضد هذه الجراءة الخبيثة ، بالقتل و الفتك و التدمير و الاحراق . المجزرة التى استمرت عـدة أيام سببت خسائر هائلة للأرواح و الأموال و الممتلكات و المصانع .

لقد بلغت الفظائع إلى آخر المدى حيث كانت فريدة من نوعها لا يوجد لهـا مثيل فى تاريخ الاضطرابات الدموية فى هذه البلاد ، حتى إن الدوائر الحكومية قد أحست بضخـامة الأحداث و خطورة الوضع الشاذ ، و قامت رئيسة وزراء الهند بزيارة المدينة المنكوبة و شاهدت آثار التدمير و الاباده بأم عينيها ، و وصفتها بأنها وصمة عار على جبين هذه البلاد التى تنادى بالحياد و تدعو شعوب العـالم إلى الأمن و السلام ، و قد أفادت بعض الأنباء بأن شخصاً مجهولا لا يعرف اسمه أخبر رئيسة الوزراء خلال زيارتها لمدينـة بهيوندى أن جماعة من الهندوس المتطرفين ذبحوا ٢٧ مسلماً فى رحالهم ثم احرقوا الجميع أمام أعينهم .

إن هذه المجازرة التى تشهدها بلاد الهند منذ تاريخ استقلالها لا يزال يتسع نطاقها و تستشرى ضراوتها على مر الأيام و هى فى الحقيقـة محاولة فاشلة لتصفية وجود المسلمين من هـذه البلاد ، و لا يقوم بها إلا جماعات متطرفة تعلن حيناً لآخر أن بلاد الهند إنما هى وطن خاص بالهندوس لاحق فيـه للسلمين إلا أن يتجردوا عن خصائصهم الاسلامية و يخضعوا للأيدلوجيات الهندوسية الخالصة .

هذا و قد فشلت حكومة الولاية فى حماية المنكوبين وسد تيار الابادة الجماعية و لا يزال التوتر قائما فى المناطق المتضررة كلهـا و الناس ينتظرون أن يتنفسوا فى جو من الأمن ، كما أن لجان الاغاثة الاسلامية فى جميع أنحاء البلاد تهتم بجميع تبرعات و معونات و إيصالها إلى المنكوبين و إسعافهم بها حسب الامكانيات المتوفرة لديها .

و قـد أولت الصحف الهندية هذه الأحداث الدموية الفظيعة أهمية كبيرة و علقت عليها بصراحة قلما جربناها فى الماضى .

PHONE : 72338
73864

REGD. NO. LW/NP 59

Albaas-el-islami

NADWAT-UL-ULAMA, LUCKNOW.(INDIA)

المنهج الإسلامي السليم

بقلم : السيد محمد الحسنى

منشىء مجلة « البعث الاسلامى »

و رئيس تحريرها سابقاً

تقديم

السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي

الناشر : دار القلم الكويت

ومجلة لإعادة الدعوة إلى الإسلام

البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

النصيحة

عن تميم بن أوس الداري رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الدين النصيحة ، ثلاثاً ، قلنا لمن ؟ قال : لله و لكتابه و لرسوله ، و لأئمة المسلمين و عامتهم (رواه مسلم) .

تصدرها ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

أنشأها رائد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني (رحمه الله) في عام ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م

البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

المجلد التاسع و العشرون

العدد الثالث

ذو القعدة ١٤٠٤هـ

أغسطس ١٩٨٤م

عنصر الحب

إذا استعرضنا المجتمع الاسلامي في القرن الأول وجدناه مشرقاً بنور من الحب و الأخوة و السلام ، و التاريخ الاسلامي حافل بأمثلة رائعة من هذه الناحية يندر نظيرها في تاريخ الأمم الأخرى ، و إذا فكرنا اليوم في أحوال المسلمين و أمعنا النظر في الأوساط الدينية و الهيئات الاسلامية و استعرضنا هذه المشكلات ، التي تعترض الركب الاسلامي في كل مكان رأينا أن السبب لذلك كله هو عدم العناية بالحب و الاستهانة بأهميته في الدين الاسلامي و ضرورته للمجتمع الانساني .

فليتخذ شبابنا المسلم شعاره الأول « الحب و الاخلاص » و مهمته الأولى إذاعة الحب بين الناس حتى تنجلي تلك الظلمات الكثيفة التي أحاطت بالمسلمين هذه الأيام ، فهو حجر زاوية في بناء الاسلام ، نادى به القرآن العظيم و ندب إليه الرسول الكريم و عمل به المسلمون في القرون الأولى .

[محمد الحسني ـ رحمه الله]

المراسلات: البعث الإسلامي ندوة العلماء ص.ب ٩٣ لكهنؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI Nadwat-ul-Ulama LUCKNOW (India)

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

دعوا الاسلام يهدم الحواجز و يغز العقول .
كم بين واقعنا و واقعهم !

من المفارقات الغريبة أن المسلمين الذين مثلوا على مسرح التاريخ دوراً قيادياً بارزاً ، و تولوا إنقاذ الانسان من الشقاء العام إلى ساحة السعادة الدائمة ، أصبحوا اليوم عالة على الشعوب الكافرة التى لا تؤمن بالفطرة التى فطر الله الناس عليها ، فكثير من أفراد المسلمين يخجلون من الانتماء إلى الاسلام و يتحاشون من إبداء هويتهم الاسلامية أمام المجتمعات الغربية والمثقفين الغربيين بوجه خاص ، ذاك أن هناك مركب نقص كبيراً يعيش فى خفايا نفوسهم ، و يكاد يسلب منهم الشعور بالاعتزاز بالاسلام والانتماء إلى أمته ورسالته ومنهج حياته .

بالعكس من ذلك فان نسبة دراسة الاسلام و التفكير فى رسالته و التدبر فى تعاليمه تتزايد مع الأيام لدى غير المسلمين ، ممن قدر لهم العيش فى مخادع الحضارة المادية و الاكتواء بنارها ، فقد عادت بهم تجربة هذه الحضارة إلى البحث عن مأمن يجدوا فيه علاجاً لما قد حل بهم من قلق و سأمة من الحياة ، و إن هؤلاء الناس بحكم ثقافتهم وخبراتهم العلمية لم يتركوا نظرة ولا فلسفة لها مساس بالحياة إلا وتناولوها بالدراسة والتحليل عسى أن يدركوا فيها ضالتهم المنشودة ، من هدوء النفس والطمأنينة

و لذة الحياة ، و فى نهاية المطاف كان لهم حظ فى دراسة وتحقيق منهج الحياة الذى يدعو إليه الاسلام الناس كافة (يا أيها النـاس اعبـدوا ربكم الذى خلقكم و الذين من قبلكم لعلكم تتقون) ما هذه العبـادة التى يؤمر بها الناس جميعاً ؟ و ما نتائجها و آثارها التى تترتب على الحياة و مستقبل الانسان ؟ .

لقد تركزت دراسة هؤلاء الباحثين عن القيم الانسانية العالية والأمن والهدوء، على هذه النقطة المهمة ، و هى تقوم على أساس الجد و الانصاف الذى يعتبر ميزتهم الخاصة فى دراسة الأشياء ومواجهة الحقائق، و لذلك فقد تكشفت عليهم حقيقة المنهج الاسلامى للحياة وتوصلوا إلى نتيجة أن الانسان لا يستطيع أن يجد الاستقرار والهدوء النفسى ولا يستطيع أن يعيش فى أمن وسلام و سعادة ، و بتعبير آخر : لا يستطيع أن يعيش فى حيـاد إيجـابى تام فى مجتمعه وبيئته التى تحيط به إلا عن طريق الاسلام لحسب .

هذا هو الشعور الأصيل الذى عادوا به بعد تفكيرهم الطويل، وهو الذى دفعهم إلى القرار النهائى ، إلى الاعتناق بالاسلام ، لكى يستحقو الحياة بمعنى الكلمة فى هذه الدنيا ، و فى الآخرة ، و يتمتعوا بالسعادة الحقة التى لا يوفرها أى ديانة أو فلسفة مادية ، وقد شهدت المجتمعات الفرنسية بوجه خاص هذه الصحوة الاسلامية فى هذه الأيام ، حيث إن عدداً من الصحف الفرنسية الواسعـة الانتشار (١) تولت نشر الأخبـار التى تتصل بانتشار الدين الاسلامى فى المجتمعـات الفرنسية و بين المثقفين

(١) مثل مجلة (لوفيلوب سرفتير) و جريدة (ليموند) ، و مجلة (فرنسا و العالم الاسلامى) و قد نشرت بعض التفـاصيل جريدة (الخليج) الصادرة من دولة الامارات العربية المتحدة فى تاريخ ٣٠ / ٤ / ١٩٨٤م .

الفرنسيين ، و أولت ظاهرة اعتناقهم بالاسلام اهتماماً كبيراً و خاصاً . فقد نشرت هذه الصحف الكبرى مقابلات صحفية لهولآء المهتدين الجدد ، جاء فيها أن أسباب اعتناقهم بالاسلام و قبولهم للنهج الاسلامى ليست بجرد صدفة بل إنهم توصلوا بعد دراسة طويلة و عميقة إلى أن الدين الاسلامى هو دين القيم الانسانية الخالدة و هو الملاذ الوحيد القادر على العطاء من كل نوع ، و هو الذى يستطيع أن يرد الحضارة الغربية المادية إلى مزابل التاريخ وينسخ عطاءاتها المادية ويستبدلها بقيم خلقية و عطاءات جامعة بين الروح و المادة على السواء .

ومما تناقلته الصحف الفرنسية حول إسلام المثقفين الفرنسيين و إقبال المجتمعات الفرنسية على الاسلام ، أن هولآء المسلمين الجدد فى فرنسا يصدعون بكامل الاقتناع بأن الاسلام هو الذى يحرر الانسان من عبودية المادة ، ومن الخوف على المستقبل ، و أن الانسان يجد فى الاسلام سمو الروح والأخلاق والطمأنينة والسلم والكرامة ، مع التأكيد على جوانب التآخى و التضامن و التعاون على أساس البر و التقوى ، و مع الخضوع أمام إله واحد ليس بينه و بين المسلم أى حاجز .

إن هذه الصحف قد أشارت إلى أن عدد هولآء الفرنسيين الذين اعتنقوا الاسلام رسمياً يفوق خمسين ألف فرنسى ، من بينهم خمسة و خمسون فى المأة من النساء ، أما الرجال الذين أسلموا فيوجد فيهم أعلام كبار من السياسة و الاقتصاد و الفلسفة و الأدب ، ممن قبلوا هداية السماء بعد دراسات وتجارب طويلة وعميقة ، و لم يكونوا فى هذا القرار ارتجاليين أو متسرعين ، إنما كانوا واقعيين ومقتنعين ، دون إكراه أو إجبار أو دافع طمع و أغراض دنيوية .

إنها هداية السماء التى تتجه إلى هذه المجتمعات المادية المتحللة فتقع من القلوب مواقعها و تنال من الناس إقبالا عليها ، و إن الله سبحانه هو الذى يفتح القلوب

و يمهد الطرق نحو الخير و الرشد و الحق ، فاذا بالبشر يستبشرون بالحق ويهرعون إلى التمسك به من غير تاخير أو تردد وشك (إذا جاء نصر الله و الفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً ، فسبح بحمد ربك و استغفره إنه كان توابا) و ما أنزل الله تعالى هذا الدين وهذه الهداية عن طريق نبيه محمد ﷺ إلا للناس، لهداية التائهين و إرشاد الضالين ، و الأخذ بأيدى الغافلين و الحيارى ، و به ربط مصير الانسان و مستقبله ، و عن طريقه أتاح لهم العيش فى ظلال الأمن والهدوء و العز ، مهما رفضه الرافضون، وكرهه المشركون ، و أنكره المنكرون (هو الذى أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون) و يقول : (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، و الله متم نوره و لو كره الكافرون) .

و لقد أفادت الأنباء أن الدين الاسلامى فى فرنسا أصبح اليوم أكبر دين شيوعاً وقبولا بين أهل فرنسا بعد النصرانية ، فقد بلغ اليوم عدد المسلمين فى فرنسا إلى مليونين وخمس مأة ألف مسلم ، كما أن عدد مساجد المسلمين يبلغ اليوم فى مختلف المدن الفرنسية إلى أربع مأة و خمسة عشر مسجداً بصرف النظر عن المساجد التى مازالت فى دور البناء .

و لقد عرفت الأوساط الاسلامية و الدعوية فى العالم كله المفكر الفرنسى الكبير « رجاء جارودى » الذى اهتدى إلى الاسلام فى رمضان عام ١٤٠٢هـ ، وقد كان ممن حاربوا الاسلام و عادوه إلى مدة نصف قرن من الزمان ، و لكن الله سبحانه فتح عليه بصيرته و أكرمه بنعمة الاسلام فأشهره من غير ترغيب أو ترهيب و ظل قائماً على إسلامه بكل اقتناع و إخلاص ، حتى إنه قد واجه مضايقات فى بلده ، و هدد بالمحاكمة إذا لم يتوقف عن نشاطه الاسلامى ، و لكنه لم يتأثر

من كل ذلك ، وصمد فى وجه كل مشكلة ، يدعو إلى الاسلام ، ويشرح للشعب الفرنسى تعاليمه وفضائله التى أحوج ما يكون إليها فى حين غزته المفاهيم المادية بشكل عنيف و مرعب جداً ، مما أقض مضجعه و حرمه من لذة الحياة بتاتاً .

ولعل إسلام « جارودى » كان السبب المباشر لعودة هذا العدد الكبير من الجماهير الفرنسية إلى الاسلام و اعتناق العقيدة و الايمان ، و دخولهم فى دين الله أفواجاً ، مع وجود جهود مكثفة تبذل هناك من الجهات المعنية لتعقيم الفكر الاسلامى وإثبات أن الدين الاسلامى لم يعد صالحاً للانسان المعاصر ولا للعصر الحديث الزاخر بالعلوم و الصناعات الحديثة ، ولقد ركز المفكر « جارودى » على تأكيد أن الحضارات الحديثة و الفلسفات المادية كلها قد أخفقت فى جميع القطاعات الاجتماعية و السياسية فى تهيئة الجو الصالح للحياة الانسانية ، فاذا كان هناك منهج للحياة يمنح صاحبه حق الاستمتاع من الكون و الحياة بكل اتزان ، و يكيف الحياة كما يريدها خالقها فانما هو الاسلام ليس غير .

هذا واقع المجتمعات المادية فى العالم كله فانها تتبرم من المشكلات الاجتماعية و الفردية التى لا تكاد تنتهى رغم ما توفرت به الحضارة الحديثة من تسهيلات وصناعات و علوم واختراعات ، فهى تتجه اليوم نحو البحث عن علاج القلق والسآمة والتبرم فى مختلف النظرات والحركات الاجتماعية و السياسية ولكن دون جدوى . ثم إنها تهتدى إلى الاسلام الذى تجد فيه ضالته و تدرك فى تعاليمه بغيته .

أما واقعنا نحن المسلمين فى بلادنا ودولنا الاسلامية فانه باعث على الأسف الشديد ، حيث إننا لا نقيم وزناً لهذا الاسلام العملاق الذى شمل الانسان بالسعادة والهناء والكرامة والحرية والمساواة و العدالة الاجتماعية ، ونخجل من الانتماء إليه فى معظم الأحوال ، و لا نعامله إلا كإرث تليد وجدناه من غير مشقة أو بالمجان ، لذلك فانه يلاقى منا

الجفاء وقلة الاحتفاء ، ومن الطرد و اللامبالاة ما لا تلاقيه أى قضية من قضايا الحياة ، و إن المسلمين كلما أعرضوا عن دينهم أو أهملوا شأنه فان الله تعالى يستبدل بهم قوماً غيرهم ، ثم لا يكونوا أمثالهم (و إن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم) .

أليس هذا من المفارقات الغريبة أن يتلق الناس فى الدول النائية نعمة الاسلام كأنهم وجدوا ضالتهم التى نشدوها زمناً طويلا و يولوه من العناية ما يليق بشأنه ، و يواجهه المسلمون فى البلاد التى تدعى ببلاد الاسلام بشتى كثير من الاهمال ، و يحتملوه على غصص و مضض ، و لا يروه صالحاً للبقاء فى عصر السرعة والعلم و التقنية الراق ، فضلا عن قيادته و إملاء كلمته عليه .

و لكن مثال فرنسا الحالى فى قضيــة انتشار الاسلام هناك و اعتناق أعلام المثقفين و المفكرين بالعقيدة الاسلامية فى المجتمعات الفرنسية المادية توكد لنا أن الاسلام هو الملاذ الوحيــد للبشرية فى كل زمان و مكان و فى كل عصر راق ، و لا أدل على ذلك من هذه المجتمات المادية التى جربت كل نوع من التقدم العلمى و الحضارى ، و كل شق من النهضة الصناعية والاقتصادية و عاشت فى قمة التجارب العلمية والعملية فسئمت منها اليوم ، لأنها لم تجد فى كل ذلك ما تحتاج إليه من هدوء نفسى ، و شعور بالأمن و السلام ، فهى تبحث اليوم عما يمدها بالنور و الهدوء ، و يسمو بها من خناق السباق المادى إلى أجواء فسيحة من الايمان و الحب ، و يخرجها من ظلمات المادة و شقائها إلى شفافية الروح و القلب .

و لا منة أكبر من توجيه الناس إلى الاسلام فى أى عصر و جيل (و من أحسن قولا ممن دعا إلى الله و عمل صالحاً و قال إننى من المسلمين) ؟ .

سعيد الأعظمى

التوجيه الإسلامي

العالم الاسلامى فى القرن الثانى عشر الهجرى

-(٢)-

سماحة الشيخ السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى

اليمن :

وكان يسود فى اليمن أيضاً مثل هذا النظام السياسى، فكانت اليمن تحت السلطة العثمانية من الناحية السياسية بصفة عامة، والسياسة الخارجية، بصفة خاصة، فكان يوجد بها حاكم من الحكام العثمانيين يعين من قبل الدولة العثمانية، ولكنها رغم ذلك يسود فيها نظام الامامة كذلك، الذى كان يستمر فيها من القرن الثالث الهجرى، وكان يتولاها الأشراف الزيديون (١)، فكان أهل اليمن يبايعونهم بيعة الخلافة، و يدعونهم « الامام » وكان من يتولى هذا المنصب يعتقد فيه أنه بلغ رتبة الاجتهاد و الامامة فى المذهب، وأنه عالم متبحر فيه، مسلم له الزعامه و القيادة.

(١) يرى العلامة محمد أبو زهرة فى كتابه « تاريخ المذاهب الاسلامية » أن الفرقة الشيعية الزيدية أقرب الفرق الشيعية إلى أهل السنة و الجماعة، و أكثرها اتزانا، إذ أنهم لم يعدلوا أئمتهم بالأنبياء بل يقولون بأفضليتهم على غيرهم بعد رسول الله - ﷺ - ولايكفرون الصحابة - رضى الله عنهم - ويرون أن الامام الذى أوحى له النبى - ﷺ - بالامامة، لم يعينه اسماً و شخصاً بل حدد صفات كانت تتوفر فى على بن أبى طالب - رضى الله عنه - وقد حقق العلامة أبو زهرة أن مؤسس هذه الفرقة الامام زيد بن الامام زين العابدين، كان يقول بصحة خلافة أبى بكر و عمر - رضى الله عنهما - وجلالة شأنهما (أنظر تاريخ المذاهب الاسلامية ص ٤٧ - ٤٩).

دخلت اليمن في حوزة الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني ابن ياوز سليم ، و كان يحكمها — آنذاك — « إمامها » و خليفة الأئمة الأشراف فيها السيد المطهر ابن الامام شرف الدين (م٩٨٠م) فكانت بينه وبين القائد التركي سنان باشا حرب أسفرت عن خضوع اليمن للدولة العثمانية (١) إلا أن الأتراك العثمانيين أبقوا هنا كالحجاز على نظام الامارة ، و أعطوا الامام الحرية في الشؤن الداخليـــة ، و لما كان الامام الدهلوي في الحجـاز كان الامام المنصور بالله الحسين ابن المتوكل على الله قاسم بن حسين إمام اليمن ، الذي استمر عهد إمامته و إمارته من ١١٣٩هـ إلى ١١٦١هـ ، وكان أكثر سكان اليمن — رغم سلطـــة المذهب الزيدي و رعايته الحكومية — من أهل السنة في العقائد و الشوافع في المذهب .

وقد كانت اليمن مركزاً كبيراً لعلم الحـــديث الشريف في القرنين الثاني عشر و الثالث عشر ، حيث ولد الامام محمد بن إسماعيل الأمير (م١١٤٢هـ) صاحب سبل السلام في القرن الثاني عشر ، و العلامة محمد بن على الشوكاني (م١٢٥٥هـ) صاحب « نيل الأوطار » في القرن الثالث عشر ، و لعل الامام الدهلوي أثناء إقامته بالحجاز يكون — لقرب المسافة و العلاقات العلمية — قد استفاد من مؤلفات علماء اليمن في خدماتهم الجليلة في الحديث الشريف .

إيران :

كان قد مضى في ايران على الاسرة الصفوية الحاكمة قرنان من الزمن و جرى عليها حسب سنة الله ـ تعالى ـ من الضعف و الهرم ما يقول عنه المؤرخ الفيلسوف العلامة ابن خلدون « إن الهرم إذا نزل بدولة لا يرتفع (٢) » و قد استغل هذا

(١) راجع للتفصيل « البرق اليماني في الفتح العثماني » للعلامة قطب الدين النهروالي الفتي الحنفي .

(٢) مقدمة ابن خلدون .

الوضع فى ايران البــلد المجاور أفغانستان ، و حمل عليها فى قيادة حاكمها الطموح الشجاع محمود خان غلزئى عام ١١٣٤هـ وفتح اصفهان ، فأسر حسين شاه ، ثم أراد الأفغانيون فتح ما بقى من المدن و الأمصار و لكن لم يكن عندهم من العدد ما يكفى للاستيلاء على مناطق أخرى و البقاء فيها ، ومات محمود خان بعــد أن حكم ثلاثة أعوام، عام ١١٣٧هـ الموافق ١٧٢٤م و انتشرت الفوضى فى البلاد فى عهد خلفــه أشرف خان ، فزحف حاكم الروس « البطرس الأعظم » على المديريات الشمالية فى إيران ، واضطر ملك ايران إلى الصلح ، وخسرت إيران بذلك كثيراً من مناطقهـا الخصبة المهمة ، وكان « شاه إيران » فى الأسر ، إذ رزق خلفه وولى عهده طهماسب قائداً محنكا صاحب عزيمــة و تدبير وسياسة ، و هو رغم كونه ينتسب إلى أسرة خاملة ، وكونه رجلا من عامة الناس - استطاع بكفاءاته الممتازة ، وصلاحيته للقيادة أن ينخرط فى سلك أولئك العصاميين الذين يوسسون الدول و الحكومات ، كان ذلك نادر شاه افشار .

نادر شاه افشار :

أجلس نادر شاه ، ولى العهــد طهماسب على عرش آبائه ، و كانت الدولة الصفوية تعانى السقوط و الانهيار ، ولم تكن هناك علائم العودة إلى الحياة و النشاط و كانت الفوضى تسود البلاد ، وفقدت الثقة بين الناس، فأحسن نادر شاه استغلال هذا الوضع و نظم قوة عسكرية جديدة ، و نفخت رجولته و طموحه و شجاعتــه روحا جديدة فى الايرانيين ، فهب كالعاصفة العاتية ، و قبض على البلاد ، و طرد الأفغانيين كليا من إيران عام ١١٤٣هـ الموافق عام ١٧٣٠م ، ووقف الجيوش الروسية عام ١١٤٦هـ الموافق عام ١٧٣٣م على بحيرة الخزر (Caspiansea) وصالحهم مصالحة عزيزة مع إباء وشمم ، و لم يدع العرب يتجاوزون الحــدود الغربية ، و اضطر

سلطان الروم إلى الانسحاب من الشمال ، و استعاد ولايات المملكة الايرانية القديمة من القابضين عليها وتوسعت إيران نتيجة لكل ذلك حتى عادت عام ١١٤٨هـ الموافق ١٧٣٥م إلى حدودها وثغورها القديمة ، و انتهت الأسرة الصفوية عام ١١٥٠هـ الموافق ١٧٣٧م وسيطر نادر شاه على إيران كلها ، فكان ملكها الوحيد غير منازع (١).

كان نادر شاه ـ حسب تصريح ـ مؤلف موسوعة تاريخ العالم ـ قبل عرش المملكة على شرط أن يتخلى الايرانيون عن التشيع و يتبرأوا منه ، و كان نادر سنياً عقيدة ، تركياً نسبة ـ و الأتراك معروفون بشدة تمسكهم بالسنية ـ و لكن نادر شاه لم ينجح فى استمالة الايرانيين إلى قبول المذهب السنى ، لقد استولى قواده عام ١٧٣٧م على بلوجستان ، وبلخ ، وتم استيلاؤهم عام ١٧٣٨م على قندهار ، ثم توجه للاستيلاء على الهند إلى كابل و بشاور و لا هور ، و استولى عليها و هزم عام ١٧٣٩م جيش الملك المغولى الجرار قرب دلهى ، و استولى على دلهى ، ووضع فى رقاب أهلها السيف ، فأقام بجزرة رهيبة (٢) ، و لم يسلب نادر شاه عرش المغول ، بل أخذ منهم جباية خمسمائة مليون دولار ، كما أدخل المناطق الشمالية الغربية من نهر السند فى مملكته ، وتم استيلاؤه على بخارى و خوارزم (خيوه) عام ١٧٤٠م و كان هذا نهاية حملاته التوسعية و سيطرته ، و من هنا بدأ التحول فى حياته .

لقد كان نادر شاه قائداً عصامياً كبيراً ، و لكنه لم يكن يملك من التدبير السياسى ، و صلاحية الادارة و التنظيم شيئاً ، و كان من نتيجة محاولاته القضاء

---

(١) ملخص من كتب تاريخ إيران و الهند .

(٢) أنظر تفاصيل هذه الوقائع فى الصفحات التالية .

على التشيع (١) أن اضطربت الأمور وعمت الفوضى ، و تعود نادر شاه لقمع هذه الاضطرابات ، و القضاء عليها على الجور و الظلم و العدوان ، و أتلف بلاده بجباياته الباهظة و مكوسه الظالمة ، وقتل أخيراً بيد أحد أبناء قبيلته عام ١٧٤٧م.

حالة إيران بعد مقتل نادر شاه :

لقد أدى مقتل نادر شاه فى إيران إلى فساد الأمن و اضطراب الأوضاع ، و طوائف الملوك ، وبدأ يحلم قادة جيشه بحكوماتهم المستقلة ، و تربع على عرشه بعد قتله ابن أخيه على قلى عادل شاه (١٧٤٧م) الذى أعمل السيف فى أسرته ، وقتل جميع أفرادها ، و لم ينج من بطشه إلى « شاه رخ » أحد أبناء الملك المقتول الذى كان حينئذ ابن أربع عشرة سنة ، و عزل عادل شاه فى ظرف عام واحد بيد أخيه إبراهيم وسملت عيناه ، أعقب ذلك ثورة فى جيش إبراهيم ، فأسره ضباط جيشه ثم قتلوه ، ثم قتل عادل شاه كذلك ، ثم استولت على إيران أسرة « زند » و حكم كريم خان زند (١١٦٤هـ - ١١٩٣هـ) الموافق (١٧٥٠م ١٧٧٩م) على إيران تسعة عشر عاما ، و جعل مدينة شيراز عاصمة مملكته ، و كان معروفا بعدله و رأفته ، و أعاد إلى إيران بعد الحروب و المعارك الدامية الأمن و الطمأنينة و السلام ، ولذلك بكاه الناس على موته ، و رثوه ، و خلفه عدد من

(١) يمكن أن تثار شبهة فى تصريحات المؤرخين الغربيين و بعض المؤلفين المسلمين أن نادر شاه أراد استيصال مذهب التشيع من إيران بجد وإصرار ، و أنه كان سنياً متعصباً ، أنه هل كان ذلك منه محاولة لتغيير العقائد نفسها والمذهب نفسه ، أم كانت سياسة اتخذها لاغراض أخرى ، فانه لا يتضح لنا فى حملاته على دلهى وإقامته بها بأى شيئ فى حياته أنه كان سنى المعتقد ، وأنه كان يريد سوق إيران إلى راية السنية و تحت حكمها .

الملوك الضعاف حتى انقرضت حكومة هذه الأسرة فى عهد لطف على، انقراضاً كلياً، فقتل لطف على عام ١٢٠٩هـ الموافق عام ١٧٩٤م. وخلا عرش إيران لأسرة قاجار و لا نريد أن نتعرض لهذا العهد وما يليه لأنه لاعلاقة له بعهد الامام الدهلوى.

أفغانستان و أحمد شاه الأبدالى :

لقد كان بعض الأجزاء من بلاد أفغانستان، قبل القرن الثامن عشر الميلادى تحت سلطة إيران، و الجزء الآخر تحت سلطة الهند، و كان يحكم الجزء الثالث خوانين بخارى. واستقلت قندرهار عام ١٧٠٦م. ثم استولى نادر شاه على قندهار عام ١٧٣٧م و أخذ الحكم من أيدى الأفغانيين، ثم استولى على أفغانستان كلها و الجانب الغربى من الهند.

وجيئ إلى نادر شاه فى تلك الأيام بشخص كان يعرف بأحمد خان كأسير من أسرى الحرب، و أعجب نادر شاه به، وجعله فى حاشيته و خدمه، فصار أحمد خان يتدرج فى مراتب الرقى، ويحوز على ثقة الملك، و يتمكن من نفسه، فلما قتل نادر شاه، انتدب هو نفسه وتولى زمام الولايات الأفغانية، و كان ينتمى إلى الفرع الدرانى (سدوزئى) من القبيلة الأبداليـة، و لقب بـ « در دوران » وسميت أسرته لأجل ذلك بالدرانية.

لقد أرسى أحمد شاه قواعد الحكومة للأسرة الدرانيـة، بل أسس المملكة الدرانية. و كانت المملكة الأفغانية حين وفاته تحتوى على شرق إيران (مشهد) وبلاد أفغانستان كلها، وبلوجستان كلها و على كشمير و بنجاب فى الناحية الشرقية، وهو يستحق أن يعد من كبار المؤسسين للدول والحكومات، والقادة المحنكين العصاميين و الحكام العادلين الطيبين الذين يخشون الله، و يستحق من حيث مجموع صفاته و خصائصه (إذا نظرنا إلى بيئتـه و حياته البدائيـة، وفقره وقلة وسائله) أن

يعد من الشخصيات العبقرية (Genius) النابغة ، إنه جعل الهند كالسلطان محمود الغزنوى ساحة لحروبه و غزواته من عام ١٧٤٧م إلى ١٧٦٩م و قد اعترف عدد من معاصريه المعروفين الكبار بحنكته و ذكائه ، و صلاحيته العسكرية ، و تدينه ، وحبه للعلم و العلماء ، وطيب نفسه و كرم طبعه ، إنه وحد أفغانستان التى كانت تشتمل على وحدات متعددة منتثرة بعد مدة طويلة من الزمن ، وضم هذه الوحدات بعضها إلى بعض فى صورة وحدة قوية محكمة ثابتة (١)

أفغانستان بعد أحمد شاه الأبدالى :

توفى أحمد شاه الأبدالى عام ١١٨٦ﻫ الموافق ٢٣ - أكتوبر عام ١٧٧٢م بقندهار ، و من المؤسف أن خلفاءه كخلفاء السلطان العادل أورنك زيب عالمكير ، كانوا ضعفاء غير أكفاء (و قد وقعت هذه المأساة مع أكثر مؤسسى الدول والحكومات ، والفاتحين المظفرين و الحكام الأقوياء) فكان تيمور شاه الذى خلفه فى السلطان و ورث عنه هذه المملكة العظيمة الناشئة . لا يمت إلى والده العظيم العقبرى الطموح بأى صلة فى خصائصه و مزاياه ، فقد حكم عشرين سنة فى ضعف و اختلال كانت تظهر أثناءها على مملكته الناشئة علائم السقوط و الانهيار و مات عام ١٧٩٣م ، و انتقلت السلطة أيام حكم ابنه محمود إلى أسرة « بارك زئى (٢) » التى لم تحكم أفغانستان إلى ثورة عام ١٩٧٥م (٣) .

(١) وسيأتى عنه تفصيل أكثر فى الباب التاسع فى ذكر أحمد شاه الأبدالى .

(٢) أنظر التفصيل فى « سيرة سيد أحمد شهيد » بالأردية ، الجزء الأول « سقوط الأسرة الدرانية و أسبابه » ص ٤٢٠ - ٤٢٣ .

(٣) كانت هذه هى الأسرة التى واجهها الامام أحمد بن عرفان الشهيد و أصحابه و انتهى فرعها الأخير على الملك ظاهر شاه عام ١٩٧٥م .

هذا ديننا ،

بقلم : الأستاذ على القاضى

الاسلام :

قضية عادلة ـ بيد أنها للأسف وقعت بين أيدى محامين فاشلين ـ و كثيراً ما استمع إلى متحدثين عن الاسلام فأتمنى لو أنهم سكتوا ـ فلم ينبسوا ببنت شفة .

أغلبهم لا يفهم الدين كما نزل من عند الله .

و النزر اليسير الذى يفهم ـ لا يحسن الابانة عنه بأسلوب معقول .

و ذلك كله فى أيام تتزين فيها المبادىء التافهة و تعرض نفسها على النـاس فى تزاويق ماكرة كما تتوارى الشمطاء وراء حجب من الاصباغ والملابس والحلى والدلال .

و الناس بطبيعتهم أعداء ما جهلوا .

بهذه الكلمات الصادقة ينطلق فضيلة الداعية الاسلامى الكبير الشيخ محمد الغزالى فى مقدمة كتابه :

« هذا ديننـا »

ليبين للمسلمين حقيقة دينهم الذى أكرمهم الله تعالى به ـ حتى يحرصوا عليه الحرص اللائق به و حتى يتمسكوا بالعمل به و حتى يدعو الناس اليه ـ ثم يتابع كلامه قائلا :

إن أبناءنا و إخواتنا فى هذه الأيام ـ بحاجة ملحة إلى أن يعرفوا دينهم ـ معرفة تملأ الفراغ النفسى الملحوظ و تدحض الشبهات التى اختلقها سماسرة الالحـاد و التحليل ـ بعد أن زحف الاستعمار على بلادنا .

و من حق الاسلام على رجاله : أن يواجهوا الدنيا بما لديهم من تراث ربانى خالد،

فلدينا كتاب لا تبلى جدته ولا تفنى ثروته .

و لدينا نبوة ملهمة السيرة نقية السنن .

فكيف نزيغ مع هذه الأشعة أو نستوحش فى هذا العالم المواز .

ما الاسلام ؟

إنه جوهر العلاقة بين الله و الناس كما صورتها كل الديانات و كما بلغها رسل الله أجمعين والفطرة السليمة هى دين الله ، و التعاليم التى جاء بها الاسلام تستهدف حماية الفطرة من الجراثيم الغريبة التى لا تفتأ تهاجمها . كما يتناول الانسان الأغذية والأدوية ، لا لتصنع له جسما جديداً أو تحوله مخلوقا آخر ، بل ليظل باقيا ناميا ، كما ذرأه الله .

الاسلام :

يقوم على التصديق بوجود الله ويعد الايمان به محور شرائعه و الاله الواحد هو ولى الناس - فلا يجوز أن يتعلقوا بولاية غيره ولا أن ترتبط قلوبهم إلا به وحده .

هذه الحياة :

إن القرآن الكريم يحدث الانسان عن العالم كما يحدث أى امرىء غنى عن أملاكه الواسعة و قدراته المتاحة - ولا غرو - فالانسان فى نظر الاسلام ملك هذا الكون وسيده المدلل المخدوم .

وبناء الايمان الصحيح - إنما يتم من عناصر تؤخذ من التفكير فى الكون - و القرآن جعل حياة الناس المادية مرتبطة بحسن العمل فيه و جعل حياتهم المعنوية مربوطة بحسن التفكير فيه (ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض و أسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة (لقمان ٢٠) .

و على الناس : أن يتصفحوا كتاب الكون المفتوح ليعرفوا من حقائقه ما يزيدهم بخالقه إعجاباً و إيماناً و ما يزيدهم فى هذا العالم رسوخا ، و لذلك فان الله تعالى يأمر بالمعرفة ، و فى الوقت الذى أطلق فيه حرية الفكر قيد حرية الشهوة و وضع حولها الضوابط ، حتى لا تفقد الطاقة فى اللعب اللهو و المجون .

مادة و روح :

و الاسلام يمزج مزجاً تاماً بين مصالح الانسان فى دنياه و فى أخراه - كما يمزج مزجاً تاماً بين مصالح الانسان البدنية و الروحية ، ذلك ان الانسان فى نظر الاسلام كل لا يتجزأ و أن كماله المنشود يتحقق فى ارتقائه ماديا و معنويا ، و أن حياته الصحيحة على ظهر هذه الأرض أساس لخلوده الكريم ، فاذا انهار الأساس تصدع البناء كله (و من كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى و أضل سبيلا) الاسراء ٧٢ .

إن التوفيق فى الدنيا معناه : القدرة عليها و امتلاك ناصيتها ، ثم تسخيرها للحق و الخير ، و الناس جميعاً عبيد الله ، وهم من أسرة واحدة - و الاختلاف الواقع فى أحوال الناس و ملكاتهم ولغاتهم . مظهر لابداع الخالق الأعلى ، بل هو من دلائل قدرته التى لفتنا اليها (و من آياته خلق السموات و الأرض و اختلاف السنتكم و ألوانكم إن فى ذلك لآية للعالمين) الروم ٢٢ .

جاء الاسلام و الحكام يزعمون أنهم من طينة أخرى و يرجعون ولايتهم على الجماهير إلى نظرية الحق الالهى .

فكذب الاسلام هذا الزعم و أمر نبيه أن يقول للناس (إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى) و الاسلام حارب الظلم بوسيلتين :

الأولى : تحريم الاستكانة له وشحذ الهمم لمقاومته ورفض الاستسلام لقيوده أو الركون لأصحابه

الثانية : إرهاب الظالمين ابتداء ـ حتى لا يقع منهم الشر الذى يسود له وجه الحياة ، وتضيق به أفئدة الناس و الاسلام يعتبر الظلم وصفاً لشخصين :

من يجور على غيره (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) إبراهيم / ٤٢ ـ و من يقبل الضيم على نفسه (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا : ألم تكن أرض الله واسعـة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً) النساء / ٩٧ .

ونقد الخطأ فى الاسلام واجب ، و إسداء النصح للمخطئين واجب ، و على المجتمع كله أن ينهض بهذا الواجب حتى يبقى الحق ، و الحيـة للحق لا تموت فى قلب مسلم .

ويرفض الاسلام رفضاً حاسماً :

إكراه أحد على الدخول فى الاسلام ، وخطته الفذة فى ذلك : أن يشرح منهجه و أن يتلو كتـابه و أن يدع الناس بعد هذا البيان أتم ما يكونون حرية فى أخذه أو تركه (وما أرسلناك إلا مبشراً و نذيراً و قرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث و نزلناه تنزيلا) الاسراء ١٠٤ / ١٠٥ .

إن الوسيلة الوحيدة للايمان المنشود، هى المعرفة الحرة والاقناع المجرد والخشوع بعد ذلك عن عاطفة جياشة بالصدق .

و الاسلام ، يحرر الانسان من الفقر ، فيمكنه من العمل الذى يسره الله تعالى له ـ فهذا مجلى خلافته فى الأرض والمال، له وظيفة رفيعة لا ينفك عنها أبداً، وحق

الله تعالى فى المال أسبق من حق الفرد الذى اكتسبه و الهيئة الاجتماعية هى التى تمثل التصرف فى هذا الحق ، و الاخاء نظام اجتماعى .

و الاسلام :

يحرر الانسان من الخوف عن طريق الجو العامر بالثقة و التفاهم ويرفض الضغط على العقل أو على الارادة ـ فهو يبنى الايمان على الحرية الفكرية المطلقة ، و لا يقاتل إلا :

١ ـ لرد العدوان ٢ ـ أو لاسعاف الانسانية المصابة فى بلد ما نتيجة الظلم والطغيان .

وفى حالة انتصاره لا يفرض نفسه على شخص أو بلد ، بل يكتفى بكسر المعتدين ثم يتركهم و عقائدهم .

إن أصحاب محمد ﷺ لم يفعلوا بالرومان اكثر مما يفعله رجال الشرطة بناشرى الفوضى بين الناس .

الايمان :

الحياة الحقيقية هى الصلة التى تنشأ مع الله تعالى بعد معرفته و هكذا ينشئ الايمان حياة جديدة و الموصولون بالله تعالى طلاب كمال و عدل ، و الايمان الحق يتحول إلى قوة دافعة إلى الخير ونصرة الحق ، و الايمان الصحيح لا بد و أن يستوعب من العناصر ما يسيطر به سيطرة تامة :

ـ على النفس بدوافعها و غاياتها .

ـ على المجتمع فى معاملاته ونظمه .

ـ على الحياة فى نشاطها العمرانى و الاقتصادى .

والاسلام يفرض سلطانه على مصادر الثروة فى البر والبحر والخصب والجدب يجعل من الطاقة المادية للامة وقوداً يحركها لرسالتها .

العبادات :

العبادة خضوع مشوب بحب : أن تعرف الله تعالى معرفة اليقين و أن تتبع ما شرع لنا ـ ذلك أجدى علينا — فضلا عن أنه حق الله الكبير المتعال .

و العبادة : علاقة مباشرة بين الانسان وربه ولا دخل فيها لأحد آخر .

و تطلق العبادة على نوعين من الأعمال :

أحدهما :

أنشأ الشارع حقيقته وصورته ولا يعرف إلا عن طريق الوحى كالصلاة .

و الآخر :

أنواع النشاط الانسانى كلها ـ إذا وقعت بين ضابطين من حسن القصد وشرف الغاية .

و رسالة الاسلام تقوم على :

التسامى بالانسان وإبقائه فى مستوى كريم من الرقى المادى و المعنوى .

و من هنا شرع الله تعالى الصلاة و أوجب قبلها الطهارة ، كما شرع الصيام للناس ، كى يدربهم على قيادة شهواتهم لا الانقياد لها ، و الزكاة طاعة نفسية قبل أن تكون خطة اقتصادية مهما ترتب على اتيانها من توسعة وبركة .

و شاءت إرادة الله تعالى أن يوجه الأمة جماء إلى قبلة واحدة ترتبط فيها مساجد القارات كلها بأول مسجد ظهر على الأرض ، وترتبط الأمة الاسلامية بأبيها الأول إبراهيم ، لتعلن أنها بهذا الارتباط لا تشذ عن قواعد النبوة الأولى .

مجتمع ذو رسالة وهدف :

الأمة الاسلامية لها طابعها الخاص و سلوكها المميز وهى مكلفة بأمرين :

١ — تبليغ الحقائق الأولى للرسالة الاسلامية .

٢ — حماية هذه الحقائق من التحريف و التشويه .

و الأمم تتنكر لرسالتها حين تدع الهوى يغلب الهدى ، و الأمة الاسلامية كرامتها مرهونة برسالتها ، و الشهادة على الناس هى القيام على إمامات الدين وابلاغ عقائده و أخلاقه و معاملاته (و كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا) البقرة / ١٤٣

و الناحية الجنسية لا يستغرب الاسلام حركتها ولا يتعبد الناس بالقضاء عليها ، ولكنه يرسم طريقاً معيناً لاشباعها ويضع لها الحدود التى تتحرك داخلها ، و بانضمام النية الصالحة إلى الأعمال المعتادة تتحول هذه الشهوات إلى عبادات متقبلة :

و الزواج رباط حر بين طرفين كاملى الارادة ، فلا الرجل يكره على أخذ ما يكره ولا الفتاة ترغم على قبول من تبغضه .

و أساس تكوين الأسرة ، الصحبة القائمة على الود والايناس ، و الروابط بين الأسرة تعلو على الفناء ، فاذا انتهت هذه الدنيا و تركها أهلها التأم شملهم مرة أخرى فى الدار الآخرة على نحو ما كانوا عليه فى هذه الحياة .

و الرجل أجدر من المرأة بحق إدارة البيت و رئاسة الأسرة ، فان ما ذرأه الله عليه من احتمال و صلابة و مقدرة واسعة على الكسب و النفقة ، كل ذلك يجعله أولى بذلك (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) البقرة / ٢٢٨ .

حقيقة الروابط بين الفراد و الأمة :

الأمة :

هى الأسرة الكبيرة التى ينتمى اليها المرء ويشارك فى رسالتها وينشط فى ميدانها ويكافح تحت رايتها .

أركان الاخوة :

أركان الأخوة — الايمان بالله تعالى الذى تغذيه شعب الايمان وتمسك أهداف الدعوة وتنميه على السراء والضراء مراحل الجهاد لله و رسوله .

و تعتمد على رسالة نزلت من السماء و على أمة متساندة للعمل فى كل أفق .

ومصادر التشريع :

القرآن و السنة — ثم الاجتهاد و الاجماع بشروطه المعروفة .

و المسلمون بلغوا القمم يوم كانت صلتهم بالله تعالى وثيقة .

وسر تأخر المسلمين يكمن فى :

١ — العصيان الجسيم لجملة من هدايات الاسلام فى ميادين الحياة الرئيسية .

٢ — انقلاب مفاهيم مهمة من حقائق الاسلام مع شيوع كثير من البدع و الخرافات .

و أمتنا الاسلامية جهلت من الدنيا بمقدار ما جهلت من الدين ونسيت من عالم الشهادة بمقدار ما نسيت من عالم الغيب .

ولا بد من عودة طويلة الأمد تستغرق من الجهد و الوقت الشئ الكثير — فما انهدم خلال قرون لا ينبنى خلال شهور أو أعوام .

وإذا كانت تربية شجرة فاكهة تستغرق سنة ـ فكيف بتربية نفس وكيف باحياء أمة ؟

و التربية الدينية لكى تؤتى ثمارها ، لا بد من من أن تسيطر على البيئة كلها وتسخر عناصرها فى جهاز دقيق متراكب يضمن آخر الأمر أن تصاغ النفوس صياغة صالحة و أن تأخذ النهضات بعدئذ وجهتها السديدة .

أرض الحرم، أحكامها و مصالحها كما يراها القرآن

العلامة السيد سليمان النـــدوى

تعريب : محمد أكرم النـدوى

إن احكام الاسلام التى تتعلق بالجزيرة العربيـــة ليس مصدرها إلا تلك الآيات التى تتضمنها سورة التوبة ، و حيث إن أرض العرب كلها بما فيها العراق و الشام كانت قد دخلت فى سيطرة المسلمين منذ خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يخطر ببالهم قط أن قوة غير إسلامية تستطيع أن تستولى عليها ، فلم تفسر الآيات التى وردت فى شأن أحكام الجزيرة العربية قط من وجهة النظر التى يراهـا كل مسلم اليوم ، و هى أن ما قام به النبى ﷺ و صاحباه أبو بكر و عمر رضى الله عنهما من بذل الجهود للسيطرة على العرب و العراق و الشام وما قدمه المسلمون من التضحيات فى هذه السبيل لم يكن إلا تفسيراً عمليا لهذه الآيات ، ولم يدر قط بخـــلد المفسرين فى عهودهم المختلفة أن أرض الحرم تجتاز تلك المرحلة التى اجتازتهـــا قبل بزوغ شمس الاسلام ، حيث كان شمل العرب متشتتا ، ولم يكن للبلاد نظام متوحد ، و كانت فيها للشرك و الكفر صولة و جولة ، و كانت المجوس هم الذين يحكمون العراق عن طريق آل المنذر ، وكانت حدود الشام يحكمها نصارى الروم عن طريق الغساسنة ، و فى مثل هذا الوضع بالذات نزلت الآيات التالية من سورة البراءة : (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ،

و إن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء ، إن الله عليم حكيم ، قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر و لا يحرمون ما حرم الله و رسوله و لا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)
(سورة البراءة الآية ٢٨–٢٩) .

فنصت هذه الآيات على ثلاث نقاط تالية :

١– المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام .

٢– إن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله .

٣– قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر و لا يحرمون ما حرم الله و رسوله و لا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون .

استنبط الفقهاء من الآية الأولى أن لايدخل المشركون المسجد الحرام ولكنهم اختلفوا بعد ذلك فى كيفة الدخول المحرم ، فذهب أبو حنيفة إلى أن المراد فى الآية هو استيلاء المشركين و غلبتهم ، و أما الشافعى و جمهور الأئمة فقالوا : إن المراد هو الدخول المطلق ، وقد نسب إلى أبى حنيفة فى تفسير هذه الآية قول آخر هو أن لا يحج المشركون بيت الله الحرام .

فقد حدد الفقهاء مفهوم هذه الآية فى أن المشركين منعوا من أن يدخلوا المسجد الحرام أو يحجوا إليه ، ولكن الظاهر أنه لو كان هذا هو المراد لما قيل : فلا يقربوا المسجد الحرام، بل قيل فلا تدخلوا المسجد الحرام أو فلا تحجوا المسجد الحرم، اتضح من ذلك أن معنى الآية أوسع مما قد قرره بعض الفقهاء ، فكلمات القرآن ليست خاصة بل هى شاملة لكل نوع من القرب و الدنو .

ثم إن الله ذكر بعد ذلك : « إن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله »

و « قاتلوا الذين...لا يدينون دين الحق حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » فماذا تكون علاقة هذين الأمرين بالآية إذا اقتصر معناها على منع الدخول أو الاستيلاء أو الحج ، و هل إذا منع المشركون من الدخول فى المسجد الحرام أو الحج إليه يصاب المسلمون بالفقر و يفتتح باب قتال أهل الكتاب ؟

و لا بد هنا من إمعان النظر فى أن هذه الآيات أنزلت بعد فتح مكة فى العام التاسع من الهجرة ، و قد صرحت الأحاديث الصحيحة أن الاسلام كان قد بسط نفوذه آنذاك على اليمن والعراق وحدود الشام ، وكان المشركون قد دخلوا فى الاسلام بصفة عامة . ولم يكن يطالب ممن بقى منهم إلا الاسلام ، فلا معنى فى هذه الحال لمنع دخولهم فى المسجد الحرام لحسب ، و كذلك كان النصارى واليهود قد انقادوا للسلمين الفاتحين فى جزيرة العرب ، كل ذلك دليل على أن المشركين منعوا من القرب إلى المسجد الحرام ، والغرض من ذلك أن لايقيم المشركون فى نواحى المسجد الحرام ، لأنه لا حق لهم فى الاقامة بجوار بيت خليل الله إبراهيم عليه السلام ، كما قد ورد فى السورة نفسها :

« ما كان للشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر ، أولئك حبطت أعمالهم و فى النار هم خالدون ، إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر و أقام الصلاة و آتى الزكاة و لم يخش إلا الله » (سورة البراءة الآية ١٧–١٨) .

و لا يغيبن عن البال أن الله لم يمنح حق تولية عامة المساجد إلا المسلمين ، و المساجد المقدسة فى الاسلام إنما هى ثلاثة مساجد ، وهى تذكار لثلاثة من أنبياء :

١– المسجد الحرام و هو تذكار لابراهيم عليه السلام

٢– و بيت المقدس ، و بناه سليمان عليه السلام .

٣- و مسجد المدينة الذى بناه النبى محمد ﷺ .

لا يجوز أن يعمر هذه المساجد الثلاثة إلا الذين يؤمنون بالله و اليوم الآخر و يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة ، و لا يخشون إلا الله .

نزلت هذه السورة وكانت مكة قد فتحت وقضى على المشركين عبدة الأصنام ولم يبق إلا المشركون من أهل الكتاب الذين كانوا يعدلون عباد الله بالله تعالى، فدخل كل مشرك فى مقتضى الآية « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هـذا » .

اتضح بعد هذا التفصيل ارتباط هذه الآية بما بعدها من الآيات ، كان اليهود آخذين بزمام التجارة فى العرب ، و كانت شبكتهم التجارية منتشرة فى كل ناحية من نواحى البلاد ، و كانت محلاتهم التجارية التى تضاهى الحصون قائمة فى كل مكان و كان نصارى الروم يحكمون ولاية الشام من جزيرة العرب كما كان المجوس يحكمون ولاية العراق من الجزيرة .

استعمل الله عز و جل كلمة « القرب » فى الآية ، و هـذه الكلمة كلمة مبهمة لا تحدد مكانا بالذات ، فاحتاج الشارع إلى تفسيرها ، و قد ورد تفسيرها عن النبى ﷺ فى بعض الأحاديث « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب » وقال ﷺ: « لا يبق فيها دينان » و قال : « لا يبق فيها قبلتان » .

و لنتأمل مرة ثانية فى معانى الآيات المذكورة من سورة البراءة « يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ، و إن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء ، إن الله عليم حكيم ، قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر و لا يحرمون ما حرم الله ورسوله و لا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (سورة البراءة الآية ٢٨-٢٩) .

من هنا ثبت أنه لابد من تطهير جوار المسجد الحرام من المشركين عامة ومن أهل الكتاب من المشركين خاصة ، و كان للمشركين الذين يترددون إلى جوار المسجد الحرام نوعان .

١ــ المشركون الذين كانوا يترددون إلى الجزيرة للتجارة المسموحة لهم فيها بالصلح .
٢ــ و المشركون الذين كانت لهم قوة عسكرية فى حدود جزيرة العرب .

فأغلق الاسلام أبواب بلدانه المقدسة لهذين النوعين كليهما ، و لما كانت التجارة فى يد اليهود و النبط خاف المسلمون من العيلة ، فقوى الله قلوب المسلمين بكلمة فيها بشارة عظيمة فى المستقبل ، و هى قوله عز و جل : « و إن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » أى سوف يهبكم حكومة واسعة و تجارة واسعة .

و إن القتال الذى ذكر فى الآية الثالثة هو مع القوى غير الاسلامية التى كانت تسكن ولايات الشام والعراق وفى حدود جزيرة العرب ، وكانت تملك السلطات العسكرية ، فأمر المسلمون بقتالها حتى تعطى الجزية عن يد و هى صاغرة .

ثم أشار الله عز و جل إلى شرك اليهود و النصارى ، يقول عز و جل : « وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله أنى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله و المسيح ابن مريم ، و ما أمروا إلا ليعبدوا الها واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم و يأبى الله إلا أن يتم نوره و لو كره الكافرون ، هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (سورة البراءة الآية ٣٠ــ٣٣) .

إن ما ذكر الله عز و جل فى الآيات السالفة من شرك اليهود والنصارى

ومحاولاتهم لاطفاء نور الاسلام لايزال مستمراً إلى يومنا هذا ، ولقد كشف الله القناع عن شركهم هذا الذى حرموا من أجله حق تولية مساجد الله ، ثم ذكر الله الأشهر الحرم التى حرم فيها القتال فى جزيرة العرب ، ثم ذكر غزوة تبوك التى هى بداية حروب الشام التى استولى بها المسلمون على بيت المقدس و نالوا سعادة عمارة المسجد الثالث .

إن هذه السلسلة من الوقائع والأحداث تؤيد دعوانا أن المسلمين لم يزحفوا جيوشهم على المشركين فى العرب بعد نزول هذه الآية ، لأنهم لم تبق لهم قوة و لا جماعة ، بل قاتل المسلمون أولا نصارى الروم الذين كانوا فى مقدمة من يحاولون إطفاء نور الاسلام فذكر القرآن بعد ذلك تلك الحرب التى جرت بين المسلمين و نصارى الروم ، و لم يساهم فيها المنافقون و بعض المؤمنين الصادقين يقول القرآن الكريم .

(يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) سورة البراءة الآية ١٢٣) .

إن قرينة غزوة تبوك تدل بوضوح أن المراد من الذين يلون من الكفار هى الحكومات غير الاسلامية فى العراق و الشام ، فتوجه النبى ﷺ إليها ، وأمر بعد غزوة تبوك و هو فى مرض وفاته بتجهيز الجيش لغزوة مؤتة ، و أوصى أربعة من خلفائه عند وفاته بأن يطهروا جزيرة العرب من الكفار و المشركين فنفذ أبو بكر الصديق رضى الله عنه أمر النبى ﷺ بل وقد وسعه إلى العراق ، وجاء عمر ابن الخطاب فتحررت جزيرة العرب كلها .

١ــ فلا بد إذاً من أن تتحرر جزيرة العرب كلها من سيطرة الكفار والمشركين و استيلائهم ، و هذا هو السبب فى قتال النبى ﷺ و خلفائه ضد الكفار و المشركين .

٢– ويتناول النهى عن الاقتراب إلى أرض الحرم كلمة « المسجد الحرام » بوجه خاص ولتأكيد المحافظة على حرمته أغلقت أبواب الأرض المجاورة كلها على أهل الشرك .

٣– و قد ذكرت كلمة جزيرة العرب بصراحة فى الحديث الصحيح الذى ورد فى تفسير الآية السالفة ، و لأجل ذلك نفى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب المشركين من اليمن و خيبر إلى العراق و الشام ، فثبت من ذلك أنه لا يمكن أن يبقى المشركون بقاء مستمرا فى الحجاز و اليمن وحضرموت و عمان و البحرين و نجد و اليمامة و ما إلى ذلك من الولايات العربية التى هى من أصل العرب ، إلا أنه يؤذن لهم أن يدخلوها لاقامة مؤقتة ، فقد كان السفراء والأمراء من المشركين يدخلون المدينة بعد نزول هذه الآية كذلك فى عهود الخلفاء ، و لكن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حدد مدة إقامتهم بها ، وهى ثلاثة أيام ، و قد أخرج عبد الرزاق هذا الحديث بسنده .

٤– و إن كانت ولايات الشام و العراق تشملها كلمة جزيرة العرب ، و لكنها خارجة عن حدود العرب الأصيلة ، ولم يأمر القرآن باخراج أهل الكتاب منها ، لأجل ذلك يؤذن لهم بالاقامة بهذه الولايات ، يقول الله عز و جل و هو يذكر هذه الأحكام : « إن الله عليم حكيم » .

يعنى أن الله عليم بما فى ذلك من المصالح ، و أن حكمته تقتضى أن تنفذ هذه الاحكام و قد عبر الله هنا عن البيت بالمسجد الحرام إشارة إلى أن حرمته هى علة الحكم التى يعول عليها وكذلك عبر عن غير المسلمين بالمشركين إشارة إلى أن نجاسة شركهم هى العلة للمنع من دخولهم فيه و الاقتراب منه ، لأجل ذلك قال النبى ﷺ : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب » و قال : « لا يبقى فيها دينان » و قال : « لا تبقى فيها قبلتان » .

هذه الكلمات المختلفة إنما هى عبارة عن حقيقة واحدة .

إن الاسلام لم يغض البصر فى إصدار حكم من أحكامه عن أنه دين اجتماعى بنى على خمسة : شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله ، و إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت ، و هذه الدعائم الخمس إنما هى بيان لهذه الوحدة و هذا الاجتماع ، فالتوحيد أن يؤمن الناس بالاله الواحد ، وشرعت الصلاة مع الجماعة فى أوقات معينة لتظهر وحدة المسلمين مع كثرتهم وكذلك الصيام والزكاة و الحج كلها مظاهر لهذا الدين الاجتماعى ، و هذا هو الاجتماع الذى أكدت عليه الأحاديث الصحيحة يقول النبى ﷺ « : يد الله على الجماعة » (الترمذى) وقال : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » وقد أثنى الله عز وجل على توحد المسلمين فى ميدان القتال بقوله (إن الله يحب الذين الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ـ سورة الصف الآية ٤) .

و كان من مقتضى هذه الوحدة و هذا الاجتماع أن تخصص قبلة واحدة للملايين من الوجوه فى الأرض ، يقول الله عز وجل : « فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره (سورة البقرة الآية ١٤٤).

و كان بيت الله الأول هى القبلة : « و إذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً » ثم إنه جعل هذا البيت قياماً للناس ، يقول : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس (سورة المائدة الآية ٩٧) .

فمست الحاجة إلى أن يطهر هذا المركز من الأفكار و المعتقدات و العادات والتقاليد الغير الاسلامية ليكون منبع الهداية الذى يتفجر منه النبع صافيا مصفى ، فأنزل الله قوله : « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » و هذا هو تفسير قول النبى ﷺ : « لا تبقى فيها قبلتان » وقوله « لا يبقى فيها دينان » .

فان سمح لأمة بالاقامة بها لتؤسس فيها معابدها وتبلغ عقائدها وتنشر حضارتها و آدابها و أخلاقها ، فان ذلك الذى يهدم حرمة المسجد الحرام ، و كان من تأثير المجوسية فى العراق و النصرانية فى الشام قبل الاسلام أن المزدكية و النصرانية كانتا قد نفذتا فى وسط العرب، و أن الاقتراب والاتصال كانا يمهدان الطريق نحو الاستيلاء و الغلبـــة استيلاء كاملا ، وتاريخ العالم حافل بأمثلة ذلك ، وكم من الدول الشرقية تغلبت عليها أوربا عن طريق هذا الاحتكاك، فانها قامت أولا بالجولات والسياحات ثم وثقت علاقاتها التجـارية بهـا ثم أقامت المستعمرات و القصور التى تحولت إلى الثكنات و الحصون العسكرية فيما بعد .

أليس هذا هو الوضع فى البلاد الموجودة من مراكش إلى مصر ومن خليج بنغال إلى بحر الهند و من خليج العرب إلى بحر الحبشة وبحر العرب ، إذا كان ذلك واقعاً فلم يرتكب الاسلام خطيئة حينما منع المشركين عن القرب نحو المسجد الحرام كما تشهد بذلك تجربة العالم ، فاعتبروا ياأولى الأبصار .

« يتبع »

(سعد)

عقوبة من الصين الوطنيـة

بقلم : محمد إبراهيم شقرة
مدير المسجد الأقصى/عضو مجلس الافتاء بالأردن

حدثنا الدكتور أحمد التل قال حدثني السيد رياض صبرى ، سفير الأردن فى باكستان قال : كنت أعمل فى سفارة الأردن فى الصين الوطنية لجاء أحد الموظفين من عمان و معه زوجته فى زيارة للصين ، و أقاما فى الفندق أياما ، وفى اليوم الذى عزما فيه على السفر من الصين فقدت زوج الرجل حقيبة يدها ، و كانت تضع فيها حليها فذهب زوجها لتوه و أخبر الشرطة بذلك . فطلب إليه رجال الأمن السفر و طمأنوه أنهم سيعثرون على الحقيبة و سيرسلونها إليه ، فابى الرجل إلا أن يظل فى الصين حتى يعثر الشرطة على حلى زوجـه ، فأمضى ثلاثة أيام ، وكأنه استيأس مما قاله الشرطة له ، فعاد إلى عمان .

و مضت أيام فاتصل به السيد رياض ، و أعلمه أن الشرطة عثرت على حلى زوجته تباع فى السوق ، ففرح الرجل بذلك فرحا عظيما ، غير أنه حزن للعقوبة التى سينزلها القضاء بالرجل السارق و هى الاعدام .

قال السيد رياض و تدخلت السفارة وأبرق الرجل راجيا أن لا يعدم السارق فقد ردت الحلى إلى زوجته ، غير أن الرد كان على الرجاء الاصرار على الاعدام ، فهذه عقوبة السارق عند القوم ، قائلين : لن نسمح لأحد أن يعبث بالأمن أو يبعث الرعب فى قلوب الناس على أموالهم . و نزلت بالسارق عقوبة الموت .

و ظلت قصته ربما تكون يوما أسطورة من أساطير الصين تمشى على الأرض بين الناس ، فمنهم مصدق و منهم مكذب ، و لكن الصدق و الكذب فى الناس من

عندها سواء، ما دام أن عقوبة السرقة نزلت بهذا السارق ، وربما يكون هذا السارق سارق الدنيا قرير العين ، لأنه حقق لقومه و وطنه عدلا يتناقله الناس من بعده يفخر به في قبره .

إن في هذه القصة لعبرة ، يجب على الناس جميعا أن يأخذوا منها لأنفسهم شيئا مما كان خفيا عنهم ، أو يستذكروا به شيئا مما هو ظاهر منسى فيهم .

و أول شئ :

في هذه العبرة أن الذين ينكرون على الاسلام (بشاعة انتقامه) و (همجية قصاصه) أو (ظلم حدوده) ـ هكذا زعموا ـ لم نسمعهم ينكرون على دولة الصين الوطنية هذه العقوبة التي جاوزت حد التصور العقلي و الوجداني . فذهب في الانتقام مذهباً بعيداً ، حيل بينه و بين من يطالبه بشدته و صرامته و لا أدرى لم السكوت على حد عقوبة الموت للسارق في الصين ، و الصراخ و العويل على إنسانية الانسان لأن يده قطعت أوستقطع في ظل حكومة الاسلام ؟ ليس لذلك تفسير إلا الخوف من الاسلام نفسه ، و الاسلام ليس شيئا يخيف ، ولكنه يسلب الظالم ظلمه ويصفي الطغيان المتسلط المتجبر بعدله و شريعته عن وجه الأرض وهذا معروف لأعداء الاسلام . و من هنا رهبوه وخانوه ، لأنهم لن يصمدوا أمامه ، وسيسقطون كما الطغاة ، في كل الأعصار و الأمصار (و تكون كلمة الله هي العليا و كلمة الذين كفروا السفلى) .

و ثاني شئ :

في هذه العبرة أن المسلمين أنفسهم يرون في هذه العقوبة تحقيقا للعدالة وإزهاقا للظلم ، و إقصاء لشبح التخريب و التدمير عن مجتمع كمجتمع الصين ، في حين أن الصنف الأول منهم أو ممن يقال إنهم منهم ، يرون في نظام العقوبات في الاسلام ما يراه أعداء الإسلام ، فيسهمون معهم في تبشيع صورة الشريعة الغراء ، ويريدون

من كراهيتهم لها و نفورهم منها ، و يوكدون بهذه النظرة المعتمة لشريعـة الله أن الاسلام جاء لينشئ أو يصلح مجتمعا ، كانت الناقة فيـه هي السيارة ، و السيف هو البندقية ، و القوس هو الرشاش ، و الدرقة هي الخندق ، والفرس هي المدرعة . أما وقد تطورت الحياة الانسانية تطوراً عجيبا عظيما ، فلم يعد مكان للاسلام إلا إن كان فى المحاريب و التكايا ، و المساجد و الزوايا ، ولذا يجب أن ينحسر الاسلام جهاداً وحكما وتخطيطا ، و أن يظل فى عقول الحكماء و المفكرين و العلماء ، نظريات فلسفية أو شرودات خيالية ، أو تهويمات روحية فقط ، فقد جاء الوقت الذى يأخذ الاسلام فيـه مكانه إلى جانب الحكمة الهندية و الفلسفة اليونانية و الاسطورة الصينية ، نعم هكذا يرى أولئك .

أما الشق الثـالث :

فى هذه العبرة فهو أن البشر وقد انتشروا فوق الأرض اتخذ كل فريق منهم لنفسه مذهبا فى العقوبات و أنواع الجزاء . و قلما اتفق فريقان ـ إلا أن يكونا من أصل واحد ـ على نوع عقوبة من العقوبات ، أو على طريقـه تنفيذ هذه العقوبة أو إجرائها ، وإن كان حدث نوع من الترقى أو التغيير لعقوبة ما تبعا لتغير أحوال المجتمعات وتطور حياة أناسها ، وهذا الاختلاف فى العقوبة (نوعا وكيفا بين الناس) ناشئ من تفاوت قدراتهم العقلية و ملكاتهم النفسية ، و حياتهم البيئية .

و الله سبحانه الذى خلق الكون و الانسان و الحياة بقدر محكم و خصائص مقدرة ثابتة ، هو أعلم بما يصلح عليه شأن هذا الانسان ، و هو يتعامل فى حيـاته مع الكون ، إلى أن تقوم الساعـة ، فشرع له ما يحقق له كمال السعادة ، و جعل ما شرعه له دينا يتعبده به ، ويتقرب به إليه ، وينشد فى تطبيقة و العمل به رضوانه ، فصلاح الانسان بما يشرع الله سبحانه يكون بانفاذ ما شرع ، راجيا به رضاه وعفوه ، فيكون بذلك عبداً مؤديا حق معبوده سبحانه ، ومن حق المعبود على عبده أن ينفذ

كل ما شرع من العقوبات و الحدود ، و هى جميعا تحقق حاجات الفطرة السوية فى الانسان ـ فهى رحمة من الله له ـ ما عليه إلا أن يشكر لله عليها و يقول (رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على) .

أما الشق الرابع :

فى هذه العبرة ، فهو أن أحكام الاسلام و شرائعه ليست أشياء مثالية تغرب عن العقل و الروح ، بل هى شئ يعيش فيها وبها العقل و الروح معا و لا تظهر بصفائها و جمالها إلا إذا وجدت اليد القوية التى تنفذها ، و ترعاها ، و تحميها ليسعد الناس بها ، وقد ظلت على مر السنين التى ظهر فيها حكم الله فى الأرض تمد الناس بالخير ، و تبسط على الأرض رداء الهدى ، إلى أن وهنت هذه اليد ، و أضحت غير قادرة على الحركة ، و أصيبت بما يشبه الشلل ، و ليس لأحكام الاسلام و شرائعه أن تعود ، لتمد الناس بالخير وتبسط رداء الهدى فوق الأرض إلا إذا شفيت هذه اليد و قويت و عادت إليها قدرتها على الحركة .

إن الأمة جميعا مسؤولة عن إعادة حكم الله إلى الأرض ، وتطبيقه شريعته و استئناف الحياة الاسلامية من جديد ، و بخاصة الصف الأول من الحكام والعلماء و المفكرين ، و إلا فان الله لهم بالمرصاد (و إن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) .

و لكن يجب أن نذكر أخيراً أن دولة الصين و هى تقتل السارق وفرت له الحياة الكريمة ، و صانت كرامته ، و حققت له كل ما يريد من ضرورات و حاجات ، فلم يعد عذر للسارق أن يسرق ، أو المرتشي أن يرتشى ، و قد سبق الاسلام فى ذلك سبقا بعيداً ، فكانت أحكامه و شرائعه كلها هى المناخ الممتاز ليعش الانسان فيها هانئا سعيدا ، فيكون فى العصر الحاضر فضل للناس علينا ، بعد أن كان لنا الفضل عليهم ؟ ! سبحان الله ، إن فى ذلك لعبرة .

دراسات و أبحاث :

ابن قيم الجوزية عالماً و إماماً

الدكتور : توفيق محمد شاهين

ابن القيم و الاشتقاق العملي :

في هذا البحث نرى الامام ابن القيم — رحمه الله تعالى — عالماً لغوياً ، يعنى بالنظرية والتطبيق في الاشتقاق اللغوي بألوانه وأنواعه متى أتيحت له الفرصة لاستعراض المعلومات ، و بيان المعنى أتم بيان .

فيعرض هنا لمعنى (الجن) و مأخذه ، و لفظ (الناس) و اشتقاقه ، و يستشهد بالأساليب الفصيحة .

و يذكر القلب ، و دوران الألفاظ و المعاني حول بعضها .

و يرد قول المتوهمين في أدب جم ، و يذكر الصحيح و المعقول .

و يفرق بين الحقيقة و المجاز ، و يتتبع استعمالات اللفظ .

و يرينا أن الألفاظ قد تموت في بعض صيغها . و لكن يبقى بعض اشتقاقاتها الأخرى حية تؤدي رسالتها كوعاء للمعنى .

و ما معنى (أعوذ و عاذ) ؟ ومم اشتقت البركة ؟ وماذا تعطي إضافتها ؛ و ما معنى الوسواس و الوسوسة ، أعاذنا الله منها ؟ .

و ما مأخذ الخناس ؟ و ما الفرق بينه و بين الوسواس ؟ أمثلة مقتطفة من كتابه القيم (بدائع الفوائد) ترينا فضله و عمله ، و سعة مدارك علمائنا القدامى رحمهم الله تعالى .

اللغة العربية لغة اشتقاق لا إلصاق وإضافة كغيرها من اللغات التى تعتمد على ذلك أكثر من الاشتقاق ، و الاشتقاق كما قال علماء أصول اللغة باب عظيم من أبواب تنميتها ، و التصرف فى فنونها ، و سبب فى مرونتها و سعتها وحيويتها ...

و الاشتقاق له أبواب و طرق متعددة : من صغير أو أصغر ، إلى كبير أو أكبر ، إلى كبار وهو النحت ، وترجع تقاليب الكلمة فى العربية إلى معنى واحد ، هو جامعها و محور دوران حروف فى بناءاتها المختلفة .

و للعلامة ابن القيم فى هذا الصدد باع واسع ، و معرفة وطيدة ، تتميز بالوضوح ، ومعرفة أوجه الاستعمال ، وأثر هذا الاستعمال فى تحديد الأصل اللغوى ، ثم بيان الاستعمالات المجازية الأخرى ، سواء تنوسى الأصل أو لمح ، أو انتقل المعنى إلى شئ جديد فى الاستعمال .. إلخ .

نسوق مثالا لذلك فى تفسير ابن القيم لقوله تعالى فى سورة الناس : (من الجنة و الناس) ، (١) .

يقول رحمه الله تعالى :

(... ... الجن ، إنما سموا جناً من الاجتنان و هو الاستتار ، فهم مستترون عن أعين البشر ، فسموا جناً لذلك ، من قولهم : جنه الليل و أجنه : إذا ستره ، و أجن الميت إذا ستره فى الأرض ، قال الشاعر :

و لا تبك ميتاً بعد ميت أجنه   على و عباس و آل أبى بكر

يريد النبى ﷺ .

و منه الجنين لاستتاره فى بطن أمه ، قال تعالى : « و إذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم » (٢) .

(١) الناس / ٧ .   (٢) النجم / ٣٢ .

و منه الجن لاستتار المحارب به من سلاح خصمه ، و منه الجنة لاستتار داخلها بالأشجار .

و منه الجنة (بالضم) لما يقى الانسان من السهام و السلاح ، ومنه المجنون لاستتار عقله) (١) .

و يبين المناسبة بين اللفظين فى اللفظ و المعنى ، و يذكر الاشتقاق الوسط أو عقد تقاليب الكلمة على معنى واحد ، ويقصد بذلك رجوع تقاليب الكلمة أى تصرفاتها إلى معنى واحد ، يقول :

(و أما ـ لفظ ـ الناس ، فبينه و بين الانس مناسبة فى اللفظ و المعنى ، و بينهما اشتقاق أوسط ، و هو عقد تقاليب الكلمة على معنى واحد .

و الانس و الانسان مشتق من الايناس ، و هو الرؤية و الاحساس ، و منه قوله تعالى : « آنس من جانب الطور ناراً » (٢) ، أى رآها .

و منه قوله تعالى : « فان آنستم منهم رشداً » (٣) ، أى أحسستموه و رأيتموه .

فالانسان سمى إنساناً ، لأنه يونس ، أى يرى بالعين .

و الناس ، فيه قولان :

أحدهما : أنه مقلوب من أنس ، و هو بعيد ، و الأصل عدم القلب .

و الثانى : وهو الصحيح : أنه من النوس ، وهو الحركة المتتابعة ، فسمى الناس ناساً للحركة الظاهرة و الباطنة ، كما سمى الرجل : حارث و همام ، و هما أصدق الأسماء ، كما قال النبى ﷺ ، لأن كل واحد له هم و إرادة ، و هى مبدأ وحرث و عمل هو منتهى .

---

(١) بدائع الفوائد ٢/٢٦٣ ، ٢٦٤ .
(٢) القصص / ٢٩ .
(٣) النساء/٦ .

فكل أحد حارث و همام ، ، و الحرث و الهم حركتا الظاهر و الباطن ، و هو حقيقة النوس .

و أصل ناس : نوس ، تحركت الواو و قبلها فتحة فصارت ألفاً .

هذان هما القولان المشهوران فى اشتقاق الناس (أى أنه مقلوب من أنس ، أو أنه من النوس و هو الحركة المتابعة) .

و أما قول بعضهم : إنه من النسيان ، وسمى الانسان إنساناً لنسيه ، وكذلك الناس سموا ناساً لنسيانهم ، فليس هذا القول بشئ :

و أين النسيان الذى مادته (ن س ى) إلى الناس ، الذى مادته (ن و س) .

و كذلك أين هو من الانس الذى مادته (أ ن س) ؟ .

و الألف و النون فى آخره (لفظ الانسان) زائدتان ، لا يجوز فيه غير هذا البتة ، إذ ليس فى كلامهم (أنسن) حتى لا يكون إنساناً إفعالا منه .

و لا يجوز أن يكون الألف والنون فى أوله زائدين ، إذ ليس فى كلامهم (انفعل) فيتعين أنه فعلان من الأنس ، و لو كان مشتقاً من نسى لكان نسياناً لا إنساناً .

فان قلت : فهلا جعله إفعلالا ، و أصله إنسيان ، كليلة إضحيان ، ثم حذفت الياء تخفيفاً ، فصارت إنسان .

قلت : يأبى ذلك عدم إفعلال فى كلامهم ، وحذف الياء بغير سبب ، ودعوى ما لا نظير له ، و ذلك كله فاسد .

على أن الناس ، قد قيل أصله الأناس ، فحذفت الهمزة فقيل : الناس ، واستدل على ذلك بقول الشاعر :

إن المنايا يطلعن على الأناس ألفافا

و لا ريب أن أناساً فعال ، و لا يجوز فيه غير ذلك البتة .

فان كان أصل ناس أناساً ، فهو أقوى الأدلة على أنه من أنس .

ويكون الناس كالانسان سواء فى الاشتقاق ، ويكون وزن ناس على هذا القول (عال) لأن المحذوف فاؤه .

و على القول الأول يكون وزنه (فعل) لأنه من النوس .

و على القول الضعيف يكون وزنه (فلع) لأنه من نسى ، فقلبت لامه إلى موضع العين فصار ناساً و وزنه (فلعا) (١) أ هـ .

فقد تتبع ابن القيم اللفظ فى اشتقاقه ، و بين الأقوال التى قيلت فيه ، ورجح ما أتاه ، و وهن غيره ، و أرجع تقاليب الكلمة إلى معنى واحد ، و رد توهم المتوهمين بالدليل و البينة ، ثم جاء بميزان اللفظ على جميع الأقوال ليوضح الصحيح ، و يرد الضعيف .

و يعنى ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ فى أبحاثه ببيان الاشتقاق ، و مصدره ، تبياناً للحقيقة ، و إظهاراً للمعنى ، و تفرقة بين الحقيقة و المجاز ، و تتبعاً لاستعمالات اللفظ فى مواضع مختلفة .

و لو أن علماء اللغة عنوا بهذا الجانب حين جمعوا اللغة ، و تتبعوا مواطن الاستعمال لكان لنا من خرائط التاريخ اللغوى ما يعيننا على تبيان المعنى والاستعمال ، كسجل للفظ .

و يرى ابن القيم :

(أن الظرف إن كان مشتقاً من فعل ، فهو يتعدى إليه بنفسه ، لأنه فى معنى الصفة التى لا تتمكن ، و لا يخبر عنها : و ذلك كقبل و بعد و قريباً منك ، لأن

(١) بدائع الفوائد ٢/٢٦١ ، ٢٦٥ .

فى قبل معنى المقابلة و هى من لفظ قبل ، و بعد من لفظ بعد . . .) (١) .

والمصدر قد يبقى بينما فعله أميت ، وهذا ما تحاول بعض المجامع اللغوية اليوم البحث عن الفعل المفقود ، أو إحياء الفعل الذى أميت . أو إكمال المادة اللغوية بصفة عامة ، يقول الامام الفقيه ابن القيم :

(و من هذا القبيل — قبيل تعدى الفعل و اشتقاقه — جلست خلفك و أمامك ، و فوق و تحت و عندك فى معنى القرب ، لأنها (عندك) من لفظ العند ، قال الراجز :

و كل شئ قد يحب ولده حتى الحبارى فتطير عنده

أى إلى جنبه ، و هذه الألفاظ غير خاف أنها مأخوذة من لفظ الفعل ، خلف (الظرف) من خلفت (الفعل) ، وقدام من تقدمت ، وأمام من أممت أى قصدت ، وكذلك سائرها (أى الظروف من أفعالها) إلا أنهم لم يستعملوا فعلا من تحت ، و لكنها مصدر فى الأصل أميت فعله ...) (٢) .

وما دل على الهيئة لمح فيه الاشتقاق ، كما إذا وقع الحال جامداً — ويشترط فيه الاشتقاق كشرط الحال — لأن :

(الحذاق من النحاة على أنه لا يشترط — فى الحال أن يكون مشتقاً — بل كل ما دل على هيئة — صح أن يقع حالا ، فلا يشترط فيها إلا أن تكون دالة على معنى متحول ، و لهذا سميت حالا ، قال الشاعر :

لو لم تحل ما سميت حالا و كل ما حال فقد زالا

فاذا كان صاحب الحال قد أوقع الفعل فى صفة غير لازمة للفعل فلا تبالى أكانت مشتقة أم لا ؟ فقد جاء فى الحديث: « يتمثل لى الملك رجلا » ، لأن صفة

---

(١) بدائع الفوائد ٢/١٠٨ . (٢) السابق ١٠٩ .

الرجوله طارئة هنا على الملك ، فوقعت حالا ، إذ هى لازمة للملك فى وقت وقوع الفعل فقط ، أى (أنه تحول إليها للحظات) و مثل ذلك قوله تعالى : « يخرجكم طفلا » (١) « هـــذه ناقة الله لكم آية » (٢) ، « فتمثل لهـا بشرا » (٣) ، و يقولون : مررت بهذا العود شجراً ، و هذا زيد أسداً ، و تأويل كل ذلك بمشتق تعسف ظاهر ، و لكنها أفعال تحول الفاعل إليهـا ، فصلح أن يكون حالا ، لدلالته على الهيئة (٤) .

و لفظ المشتق قد يأتى واحداً فى الوزن و الهيئة ، و لكن يتنوع استعماله بحسب الفعل و الاضافة ، فلفظ (البركة) نوعان :

أحدهما : بركة من فعل تبارك وتعالى ، و الفعل منها بارك ، و يتعدى بنفسه تارة ، و بأداة على تارة ، و بأداة فى تارة ، والمفعول منها مبارك ، وهو ما جعل كذلك فكان مباركاً بجعله تعالى

و النوع الثانى : بركة تضاف إليه (تعالى) إضافة الرحمة والعزة ، والفعل منها تبارك . و لهذا لا يقال لغيره ذلك ، و لا يصلح إلا له عز و جل ، فهو سبحانه المبارك ، و عبده و رسوله المبارك ، كما قال المسيح ـ عليه السلام ـ : « و جعلنى مباركا أينما كنت » (٥) .

فمن بارك فيه و عليه فهو المبارك ، وأما صفة (تبارك) فمختصة به تعالى ، كما أطلقها على نفسه بقوله : «تبارك الذى بيده الملك (٦) ... ...) أفلا تراها كيف

---

(١) الحج ٥ .
(٢) هود ٦٤ .
(٣) مريم ١٧ .
(٤) بدائع الفوائد ١٢٦ .
(٥) مريم ٣١ .
(٦) أول الملك .

اطردت فی القرآن جاریة علیه مختصة به ، لا تطلق علی غیره ، و جاءت علی بناء السعة و المبالغة ، کتعالی و تعاظم و نحوهما ، لجاء بناء (تبارك) علی بناء (تعالی) الذی هو دال علی کمال العلو و نهایته ، فکذلك تبارك دال علی برکته و عظمها و سعتها . . .) (١) .

و تدور المعانی حول اللفظ متقاربة أو متنافرة ، و من المتقاربة ما ذکره ابن القیم حول لفظ (عاذ) ، وما تصرف منها ، فهی تدل علی التحرز والتحصن و النجاة .

و حقیقة معناها : الهروب من شئ تخافه إلی من یعصمك منه ، ولهذا یسمی المستعاذ به معاذاً ، کما یسمی ملجأ و زوراً ، و فی الحدیث : أن ابنة الجون لما أدخلت علی النبی ـ ﷺ ـ فوضع یده علیها ، قالت : أعوذ بالله منك ، فقال لها : « لقد عذت بمعاذ ، الحق بأهلك » .

فمعنی أعوذ : التجیء و اعتصم و احترز .

و فی أصله قولان :

أحدهما : أنه مأخوذ من الستر .

و الثانی : أنه مأخوذ من لزوم المجاورة .

فأما من قال إنه من الستر ، قال : العرب تقول للبیت الذی فی أصل الشجرة التی استتر بها عوذ بضم العین وتشدید الواو وفتحها : فکأنه لما عاذ بالشجرة واستتر بأصلها و ظلها سموه عوذاً ، فکذلك العائذ قد استتر من عدوه بمن استعاذ به منه و استجن به منه .

(١) بدائع الفوائد ٢ / ١٨٥ ، ١٨٦ .

و من قال : هو لزوم المجاورة ، قال العرب : تقول للحم إذا لصق بالعظم فلم يتخلص منه عوذ ، لأنه اعتصم به و استمسك به ، فكذلك العائذ قد استمسك بالمستعاذ به و اعتصم به و لزمه .

و القولان حق (الستر و اللزوم) ، لأن الاستعاذة تنتظمهما معاً : فان المستعيذ مستتر بمعاذه ، متمسك به ، معتصم به ، قد استمسك قلبه به و لزمه ، كما يلزم الولد أباه ، إذا أشهر عليه عدوه سيفاً و قصده به فهرب منه فعرض له أبوه فى طريق هربه ، فانه يلقى نفسه عليه ، و يستمسك به أعظم استمساك ، فكذلك العائذ قد هرب من عدوه الذى يبغى هلاكه إلى ربه ومالكه و فر إليه ، وألقى نفسه بين يديه ، و اعتصم به ، و استجار به ، و التجأ إليه .

و بعد : فمعنى الاستعاذة القائم بقلبه وراء هذه العبارات ، و إنما هى تمثيل و إشارة و تفهيم و إلا فما يقوم بالقلب حينئذ من الالتجاء و الاعتصام والانطراح بين يدى الرب ، والافتقار إليه ، والتذلل بين يديه أمر لا تحيط به العبارة (١).

فقد ذكر ـ رحمه الله تعالى ـ المعانى التى تدور حول اللفظة و ما تصرف منها ، ثم صدر المعنى الحقيقى للفظة ، و أرجع أصلها إلى قولين ، استشهد لهما بما ذكر عن العرب الأصل فى الاستعمال و الدلالة ، و مثل له بما يوضح المقام ، ثم ذكر المعنى القائم بالقلب وراء العبارات ، لأنها تمثيل فى نظره ، ليصل إلى المفهوم الدينى للفظة و الذى يجب أن يكون المؤمن عليه .

و عن الوسوسة و الوسواس ، و أصلها ، و اشتقاقها ، و أصل تسميتها ، و سر التكرار فى سورتى (الفلق و الناس) ، و متابعة حركة اللفظ ، بازاء المعنى

(١) بدائع الفوائد ٢/٢٠٠ ، ٢٠١ .

فى متابعة حركتها ، و هل الرباعى فى (وسواس) بمعنى الثلاثى المضعف أو لا ؟ و ما الفرق بين هذا الوزن و ما شابهه ؟ . . . إلخ ، يقول الامام الفقيه اللغوى ابن القيم :

(الوسواس) فعلال من وسوس ، و أصل الوسوسة الحركة أو الصوت الخفى الذى لا يحس فيحترز منه .

فالوسواس الالقاء الخفى فى النفس : إما بصوت خفى لا يسمعه إلا من ألقى إليه، وإما بغير صوت كما يوسوس الشيطان إلى العبد .

و من هذا وسوسة الحلى ، و هو حركته الخفية فى الأذن .

و الظاهر — و الله أعلم — أنها سميت وسوسة لقربها و شدة مجاورتها لمحل الوسوسة من شياطين الانس وهو الأذن ، فقيل : وسوسة الحلى لأنه صوت مجاور للأذن كوسوسة الكلام الذى يلقيه الشيطان فى أذن من يوسوس له .

و لما كانت الوسوسة كلاماً يكرره الموسوس و يؤكده عند من يلقيه إليه — كرروا لفظها بازاء تكرير معناهـا ، فقالوا : وسوس وسوسة ، فراعوا تكرير اللفظ ليفهم تكرير مسماه .

و نظير هـذا ما تقدم من متابعتهم حركة اللفظ بازاء متابعة حركة معناه ، كالدوران ، و الغليان ، و النزوان و بابه .

و نظير ذلك : زلزل ، و دكدك ، و قلقل ، و كبكب الشئ ، لأن الزلزلة حركة متكررة ، و كذلك الدكدكة ، و القلقلة ، و كذلك كبكب الشئ إذا كبه فى مكان بعيد فهو يكب فيه كباً بعد كب ، كقوله تعالى : « فكبكبوا فيهـا هم و الغاوون » (١) ، و مثله : رضرضه ، إذا كرر رضه مرة بعد مرة .

---

(١) الشعراء ٩٤ .

و مثله : ذرذرة ، إذا ذر شيئاً بعد شئ ، و مثله : صرصر الباب ، إذا تكرر صريره .

و مثله : ملمط الكلام إذا مطمطه شيئاً بعد شئ ، و مثله . كفكف الشئ إذا كرر كفه ، و هو كثير .

و قد علم بهذا : أن من جعل هذا الرباعى بمعنى الثلاثى المضاعف لم يصب ، لأن الثلاثى لا يدل على تكرار ، بخلاف الرباعى المكرر .

فاذا قلت : ذر الشئ ، و صر الباب ، و كف الثوب ، و رض الحب ، لم يدل على تكرار الفعل ، بخلاف : ذرذر ، وصرصر ، و رضرض ، و نحوه ... فتأمله ؟ فانه مطابق للقاعدة العربية فى الحذو بالألفاظ حذو المعانى ..

وكذلك قولهم : عج العجل إذا صوت ، فان تابع صوته قالوا : عجعج .

و كذلك ثج الماء إذا صب ، فان تكرر ذلك قيل : ثجثج .

و المقصود : أن الموسوس لما كان يكرر وسوسته ، قيل : وسوس (١) .

فالوسوسة : الحركة أو الصوت الخفى ، أو بغير صوت ، و سميت كذلك لقربها من الأذن محل الوسوسة ، و كرر لفظها لتكرير معناها ، و لأن حركة اللفظ تواكب أو تتابع حركة المعنى ، و من ينزل هذا الرباعى ـ فى وسوس ـ منزلة الثلاثى أخطأ ، لأن الثلاثى لا يدل على التكرار كالرباعى ، و العرب تحذو بالألفاظ حذو المعانى .

و يفرق العلامة ابن القيم بين لفظ الوسوسة و الخناس فى المعنى و فى الاشتقاق ، و لم كان الاختلاف و لماذا جاء (الخناس) على فعال ، دون خناس

---

(١) بدائع الفوائد ٢ / ٢٥٠ ، ٢٥١ .

أو منخس ؟ و كيف يكون الخنس ؟ .

و ما حقيقة لفظ (خناس) ؟ وممَ أخذ اشتقاقه ؟ من الرجوع إلى الوراء أو من الاختفاء

و هل تسعف الشواهد فى الاستعمال الفصيح الاستعمالين ؟ و ما ارتباط اللفظ بالمعنى ؟ يجيب على أسئلتنا ابن القيم ، حين يقول :

و أما الخناس : فهو فعال من خنس يخنس إذا توارى واختفى ، و من قول أبي هريرة : « لقيني النبي - ﷺ - في بعض طرق المدينة وأنا جنب فانخنست منه » .

و حقيقة اللفظ اختفاء بعد ظهور فليست لمجرد الاختفاء ...

و قالت طائفة : الخنوس أصله الرجوع إلى وراء . . و الخناس مأخوذ من هذين المعنيين : فهو مأخوذ من الاختفاء و الرجوع و التأخر .

فان العبد إذا غفل عن ذكر الله جثم الشيطان على قلبه ، و انبسط عليه ، وبذر فيه أنواع الوساوس التي هي أصل الذنوب كلها ، فاذا ذكر العبد ربه ، واستعاذ به انخنس و انقبض كما ينخس الشئ ليتوارى .

و ذلك الانخناس و الانقباض هو أيضاً تجمع و رجوع و تأخر عن القلب إلى خارج ، فهو تأخر و رجوع معه اختفاء ، و خنس و انخنس يدل على الأمرين معاً . . . . .

وجئ من هذا الفعل بوزن فعال الذى للمبالغة ، دون الخانس أو المنخنس إيذانا بشدة هروبه و رجوعه و عظم نفوره عند ذكر الله ، و أن ذلك دأبه و ديدنه ، لا أنه يعرض له ذلك عند ذكر الله أحياناً ، بل إذا ذكر الله هرب و انخنس و تأخر . . . . .

و تأمل كيف جاء بناء الوسوسة مكرراً لتكريره الوسوسة الواحدة مراراً حتى

يعزم عليها العبد ، و جاء بناء الخناس على وزن فعال الذى يتكرر منه نوع الفعل ، لأنه كلما ذكر الله انخنس ، ثم إذا غفل العبد عاوده بالوسوسة ، فجاء بناء اللفظين مطابقاً لمعنييهما (١) .

و تأمل ختامه لهذا الفصل بقوله : فجاء بناء اللفظين : (الوسوسة والخناس) مطابقاً لمعنييهما ، وما جاء فى حديثه من زيادة المعنى لزيادة المبنى ، ورجوع اللفظ لمعنيين ، و دوران اللفظ حول المعنى ، و قد قال علماء أصول اللغة أن هناك فرقاً فى المعنى بين الحروف حين تختلف صفة أو مخرجاً ، كالحاء و الخاء فى (نضح الماء ونضخ) و بين قولة أبى ذر — رضى الله عنه — فى صبر الفقراء و تقشفهم و تنعم المترفين حين قال : (و يخضمون ونقضم و الموعد الله) فالقضم و فيه القاف لليابس و الجامد ، و الخضم بخائه للهش و الطرى . .

وينطق اللفظ على المعنى المستفاد من لفظى : الوسوسة والخنس عند ابن القيم ، فيقرر للفظ ما قرره علماء أصول اللغة للحرف بدءاً بالخليل بن أحمد العبقرى ، و مروراً بالألمعى ابن جنى ، و ابن سينا ، والخفاجى ، و معاصره الشيخ عبد الله العلايلى فى مقدمته لدراسة لغة العرب .

---

(١) السابق ٢ / ٢٥٥ ، ٢٥٦ بتصرف .

العلامة عبد العزيز الميمنى : مؤلفاً ومحققاً

(الحلقة الثانية)

الدكتور محمد راشد الندوى

الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية بجامعة عليكره الاسلامية

الأستاذ عبد العزيز الميمنى درس فى مدارس الهند دلهى ورام بور ودرس على
ساتذة الذين كانت ثقافتهم ثقافة عربية اسلامية ، أما الدكتور طه حسين فقد ولد
الصعيد ودرس فى جامعة الأزهر وتتلمذ على الأساتذة الأجانب فى الجامعة المصرية
سمع المحاضرات التى ألقاها المستشرقون فى الموضوعات العلمية و اللغوية فتثقف فكره
تهذب أسلوبه وتنور عقله و انكشفت عليه المعرفة والعرفان ، ثم سافر إلى باريس
أى حضارتها و مدنيتها فى أقشب حلة و مجالس علمية فى أروع صورة فتبنى بها بل
تن بها أى افتتان شأن الأعمى و انكشف غشاوة بصره فارتد بصيرا أو الأصم
ى تحسنت طلبة أذنه فصار سميعاً وانتبه على ألحان الموسيقى و أنغامها فاهتز طرباً
طار فرحاً ورجع إلى مصر مبشراً بما رأى وسمع بأرض السحر والجمال ، بأرض
لم و العرفان ينادى بتغيير الأوضاع وتبديل الآراء و الأفكار ، أما الأستاذ الميمنى
يتيسر له السفر إلى البلاد العربية حتى يرى و يشاهد الأماكن التى ذكرها المعرى
، كتبه و قصائده بل لم يتيسر له السفر حتى يرى مسقط رأس المعرة (معرة
نعمان) التى ذكرها المعرى كثيراً و تحدث عنها بل حن إليها حينما كان فى بغداد ،
مدى الأستاذ العلامة عبد العزيز الميمنى لرد طه حسين و هو منطو فى بيتـــه
لمتواضع يرسم الخطة والمنهج لهذا العمل العلمى الجليل ويطير شوقاً إلى زيارة المكتبات
لهندية المنتشرة فى أنحاء الهند وأنحائها وخاصة المكتبات التى تحتضن النوادر والذخائر

من المخطوطات و الوثائق فى اللغة و الأدب و التاريخ والسير و التراجم حتى كتب الجغرافيه والرحلات . فقد كانت طريقه طويلة شاقة متعبة ولكنه كان أقوى وأصمد من هذه المشكلات ، فقد رزق همة عالية ونفسا متحركة وشوقاً ملتهبا و رغبة ملحة للعلم و الثقافة ، فقد كان يقضى الساعات فى غرف هذه المكتبات المظلمة بين المخطوطات التى تكدس الغبار و ملفات الوثائق التى تراكم عليها التراب وبين الاورق المنتشرة و المبعثرة فى المكتبات الخاصة أو المكتبات المهملة فى المدارس و الجوامع ، فكان ينقحها ويرتبها ويتعب فيها و يريق عرق جبينه بها حتى كان يرى هذه الساعات من أسعد ساعات حياته و يجد فى جنب هذه المخطوطات و النوادر ما يجد العاشق فى جنب عشيقته بل أكثر ، وما يجد العطشان والظمآن وهو سقط على النبع الصافى يترقرق زلالا :

ألذ من الماء الزلال على الظماء　　　و أطرف من مر الشمال يبغداد

أو كما يقول الشاعر .

و أرشفنا على ظمأ زلالا　　　ألذ من المدامة للنديم

و أحياناً نرى كما هو يتحدث أنه فى نشوة الطرب و الوجد يتغنى إذا ترحم عليه أحد وهو فى غاية الجهد و التعب :

تمتع من شميم عرار نجد　　　فما بعد العشية من عرار

لم يذكر العلامة عبد العزيز الميمنى المدة التى قضاها فى إعداد هذا التاليف الهام و لكن الذى يقرأه يدرك كل الادرك بأن هذا العمل ليس عمل سنة أو سنتين بل هل عمل جهود متابعة لأن المؤلف لم يترك مرجعا من المراجع العربية والفارسية حتى الأنجليزية إلا وهو قد قرأها و دعاها بعد غربلة وتمحيص و أخرج منها معلومات و أخباراً استعان بها فى ترتيب هذا الكتاب و تاليفه ، فهو بهذه المعلومات الهائلة

يتقدم لتصوير شخصية شيخ المعرة وتصوير عصره لجاء الكتاب صورة صحيحة صادقة شاملة لعصر المعرى أيضاً ، حتى يجد الدارس بين صفحات الكتاب روح شيخ المعرة متحركة ناطقة بمالها و عليها ، إن عمل التصنيف و التاليف أساسه الأول هى تلك المواد الوافيــة التى تتعلق بها شخصية الشاعر و عصره ثم الحس المرهف الذى يقود المؤلف إلى فهم القضايا الاجتماعية و السياسية و الدينية فهما سديداً و يربطها بحيـاة الفنان ربطاً محكما و يحكم عليها بعد التروى والتأنى حكمـا صحيحاً تطل من خلاله روح الفنان .

نحن نحس حين نقرأ الكتاب ابو العلاء المعرى و ما إليــه بأن الكاتب قد رسم الخطط وعين الهدف ثم يسير دون أن يشعر أى تعب أو ملل للوصول إلى هدفه المنشود بل هو يجد نشوة و فرحاً كلما لقى صعوبة فى طريقه أو مشكلة ، بهذه النفسية القوية والهمة العالية والشوق الزائد وصل عبد العزيز الميمنى إلى غايته المنشودة فأخرج هذا العمل الجليل و أدهش القراء به .

و إذا قارنا بين كتاب طه حسين (ذكرى أبى العلاء) وبين كتاب العلامة عبد العزيز الميمنى (أبو العلاء وما إليه) ندرك أن طه حسين قرأ أعمال المستشرقين وأبحاثهم قراءة دقيقة فأعجب بها كل الاعجاب وتشبث بأفكارهم وآرائهم و إن اختلف معهم فى بعض القضايا الجزئية التى أخطأ فيهـا المستشرقون بعدم فهم النصوص العربية القديمة ولفقوها كل تلفيق ، هنا هب طه حسين لتصحيح هذه الأخطاء فهو فخور ومبتهج كأنه أتى بشئ جديد و أضاف إلى المكتبة العربية خيراً كثيراً .

فالخطة التى رسمها لهذا الكتاب أو لهذه الرسالة الجامعية هى خطة أجنبية فى ظاهرها وباطنها فى معناها و مغزاها ، قد نقلها إلى العربية فى أسلوب جميل أبدى فيه مهارته و جدارته ، فالكتاب ظهر و هو يمثل المثل الأعلى فى الكتـابة العربية فى كل سحر وجمال .

قد قدم طه حسين هذه الرسالة وهو لم يتجاوز العشرين من عمره و كانت [لديـ]ـه الخبرة الكاملة كما تنقصه المواد الكافية لأن الظروف لا تسمحه فى تلك الأيام بأن يطلع على جميع المواد المتعلقة بشخصية المعرى التى كانت مبعثرة ومنتشرة بين صفحات الكتب المطبوعة منها و المخطوطة فلم يكن من وسع طه حسين فى هـذا العمر أن يتنقل أو يتجول إلى المناطق التى توجد فيها المخطوطات العربية النادرة ثم لم يكن من وسعه أن يقرأ هذه المخطوطات التى كتبت فى أدوار مختلفة بأقلام متغايرة، لذلك نشعر ضآلة المواد و المصادر فى كتابه، و الكتاب يحتاج لهذه المواد كلها لأن شخصية المعرى لم تكن شخصية شاعرة وحدها بل كانت شخصية متنوعة تتمثل فيها حياة عصر كامل بما فيها من العلوم المختلفة والمعارف المتنوعة والمذاهب المعقدة ثم نجد أن المعرى كانت صلته بالأمراء والخلفاء والعلماء والجاليات المنتشرة فى أنحاء البلاد العربية، فكان على المؤلف أن يكون على إلمام تام بهذه الأمور، لا شك أن الدكتور طه حسين حاول أن يلم بهذه الأمور كلها كما هو يدعى و لكى أتصور أنه حلق حول هذه الموضوعات و لم يردها و إن وردها فقد خطف منها ما طاب له لأن الدكتور طه حسين يدعى أنه فى تأليف هـذا الكتاب اعتمد قبل كل شئ على آثار المعرى واستقى منها كثيراً من آرائه كما يقول :

«وضعت هذا الكتاب و قدمته إلى الجامعة و كان امتحانه بين يدى الجمهور، و تحدث الناس من أمره بما علموا و ما لم يعلموا، و أرجف قوم بأنى قد جنيت على المسلمين فأخرجت من بينهم رجلا هو من خلاصتهم، أو جنيت على أبى العلاء، فأخرجته من بين المسلمين، ولو أنهم أجادوا التفكير و اصطنعوا الأناة لعرفوا أنى لا أملك أن أدخل فى الاسلام ولا أن أخرج منه أحداً، وأن ليس على أبى العلاء بأس عند الله إذا كان مسلماً، فعده بعض الناس غير مسلم ولو قد كانوا قرأوا الكتاب

درسوه ليعرفوا أنى لم أقل فى أبى العلاء إلا ما قال عن نفسه . و لم أصوره فى هذا الكتاب إلا بما صور به نفسه فى اللزوميات وغيرها من كتبه (١) .

كان الدكتور طه حسين حين أصدر حكمه عن عقيدة المعرى ومذهبه فقد كان مطمئنا لأنه قدم هذه الصورة كما صورها المعرى نفسه فى كتبه وخاصة فى اللزوميات التى نظمها بعد الرجوع من بغداد و إذ ضاقت به الأرض بما رحبت وصار غرضا لحسد الحاسدين وطعن الطاعنين . يقول العلامة عبد العزيز الميمنى عن أيامه فى بغداد .

« رأى ببغداد مظاهر العز و الوجاهة و الخفض و الراحة و أن ليس بيده منها غير الأسف واصفار الراحة على أنه ما فيه من تجرع الغصص هذه الحياة النكداء ببلدة خلو من الأسرة والأدواء وهاج له من أهل عصره نيران لذعت جمرتها روحه والجسد كما يقول المعرى :

فأصبحت محسوداً بفضلى وحده ... على بعد أنصار وقلة مال

لقد اعتمد طه حسين فى تصوير شخصية المعرى من كتبه إذ يقول إنها أوفر المصادر نفعاً و أجلها خطراً ، و لكننا حين ندرس كتاب الميمنى و نرى مصادره و مراجعه فى تصوير و تحليل عقيدته و مذهبه فنقف حائرين مدهشين إذ نرى أنه أورد فى كتابه كثيراً من أقوال المعرى ومحادثاته التى طار بها طلابه و رواة شعره و أحاديثه إلى أقاصى البلاد شرقاً و غرباً و قيدتها كتب التاريخ و السير والتراجم بل كتب اللغة والأدب التى لم يطلع عليها الدكتور طه حسين ، لذلك لم تتضح عليه معالم فكره كل وضوح ، ثم نرى أن الأستاذ الميمنى قد جمع كثيراً من قصائد أبى العلاء المعرى وأبياته التى كانت مبعثرة موزعة بين صفحات الكتب القديمة ولم يجمعها ديوان من دواوينه ، لذلك فات على كثير من الباحثين الاطلاع عليها ، والدكتور طه

(١) ذكرى أبى العلاء ص ١١ ـ ١٢ .

حسين منهم ، و من هذه القصائد الفائتة أثبت الأستاذ الميمني عقيدة أبي العلاء التي تغاير كل المغايرة ما أتى بها الدكتور طه حسين في كتابه ، لذلك وقع طه حسين في الأخطاء و الأوهام التي وقع فيها أساتذته من المستشرقين لعدم الاطلاع على جميع المصادر المتعلقة بحياة أبي العلاء المعري حتى كثيراً من قصائده و أبياته ، و نرى أن الدكتور طه حسين يعترف في كتابه من قلة بضاعته و قصر باعه لدراسة بعض الأبحاث الهامة التي هي من صميم موضوع الكتاب . يقول :

« المقالة الرابعة من هذا الكتاب كانت تحتاج إلى شيء من البحث و الاطالة في إحصاء التلاميذ والرواة عن أبي العلاء والاشارة إلى ما أنتجت لهم صحبته ولكنني أعرضت عن ذلك لأن مصادر التاريخ التي كانت بين يدي حين كنت أولف هذا الكتاب لم تسعفني بما كنت في حاجة إليه ، لأن الوقت قد كان أضيق من أن يسعنى هذا العمل الكبير (١) »

كان الدكتور طه حسين يتمنى أن يتناول هذا الموضوع لأنه من صميم الكتاب و لكن الظروف لم تسمحه بذلك فأعرض عنه ، و لكننا حين ندرس كتاب الميمني (أبو العلاء و ما إليه) نجد أنه تناول هذا البحث بمهارة و خبرة و أتى فيه بالنوادر و العجائب ، كأنه حين يتناول هذا البحث يطير من معرة النعمان مسقط رأس المعري إلى الأندلس و يقابل هناك رواة أبي العلاء و طلابه فيأخذ منهم ما عندهم من شعر وخبر ثم يطير إلى مصر ويحلق فوق وادي النيل ثم ينزل و يتشرف بمقابلة طلاب ورواة شعره ، كما نجده يخف إلى بغداد فيتجول في أزقتها و خططها فيتشرف بمقابلة الرواة الذين كانوا يتهافتون عليه أثناء قيامة في هذه المدينة التي تمنى الشاعر أن يبقى فيها كثيراً ، و لكن الظروف السيئة حالت بينه وبين أمنيته العزيزة (٢) ثم يتابع رحلته في بلاد الشام فيتجول في مدنها المشهورة

(١) أبو العلاء و ما إليه ص ١٧٩ ـ ١٨٠ .

(٢) ذكر أبو العلاء أمنيته ، في كثير من قصائده نورد منها بعض أبياته التي تمثل نزعته و أمنيته العزيزة .

نق، حلب و اللاذقية التي زارها المعري و ذكرها في أشعاره و رسائله و ترك
عدداً كبيراً من طلابها و رواة شعره و محبيه و المعجبين به ، فالأستاذ الميمنى
رحلته إلى هذه المدن كأنه ينهب الأخبار و الآثار و الأحاديث نهبا ويملأ وفاضه
نقيبه و يشنف كتابه بها ، و كانت رحلته هذه رحلة طويلة شاقة لأنها كانت من
ل الكتب القديمة المنتشرة هنا و هناك ، و لكن كانت رحلة علمية شيقة مثمرة
جة مفيـدة ، أدى بها حق التصنيف و التأليف ، إذاً . الأستاذ الميمنى يكمل هذا
نص ، و يسد هذا الثغر ، فمن الصفحة ٢٠١ إلى ٢٢٥ يدرس هـذا الموضوع
اسة جـديدة تتجلى فيه شخصيته ، كما تتجلى فيها مهارته و قدرته في تأليف كتاب
ل شخصية غامضة مبهمة ، ولكن الميمنى يزيل كل إبهام و كل غموض بقلمه الدقيق
الأنيق في أسلوب يتجنب فيه الاطالة والاسهاب و يتوخى فيه الايجاز و التركيز ،
سار الكتاب يضرب به المثل في البحث و التحقيق في التصنيف والتأليف ، وتتناول
اسة كتابه « سمط اللآلى في شرح أمالى القالى » فيما بعد باذن الله .

أو دعكم يا أهل بغداد و الحشا	على زفرات ما ينين من اللذع
ألا زودونى شربة ولو أننى	قدرت إذا أفنيت دجلة بالجرع
و أنى لنا من ماء دجلة نقبة	على الخمس من بعد المفاوز والربع
لبست حداداً بعدكم كل ليلة	مذ الدهم لا الغر الحسان ولا الدرع
أظن ليالى و هى خون غوادر	بردى إلى بغداد ضيقة الذرع
وكان اختيارى أن أموت لديكم	حميداً فما ألفيت ذلك في الوسع
فليت حمامى حم لى فى بلادكم	و جالت رماحى فى رياحكم المسع
لقد نصحتنى فى المقام بأرضكم	رجال و لكن رب نصح مضيع
فلا كان سيرى عنكم رأى ملحد	يقول بيأس من معاد ومرجع (١)

(١) أبو العلاء و ما إليه : ص ١٧٩ و ١٨٠ ، عبـد العزيز الميمنى : ط « دار المصنفين » أعظم جراه . (الهند)

لماذا أسلم المستشار اسكاروس ؟

د/ فؤاد عبد المنعم أحمد

صفوت اسكاروس من مواليد ٤ / أبريل
١٩٢٥ بشبين الكوم مصر
كان مسيحياً ارثوذكسيا وأشهر إسلامه رسمياً فى ١٥ رجب
١٤٠٣هـ - ٢٨ أبريل ١٩٨٣م .
حاصل على ليسانس الحقوق وتدرج فى المناصب القضائية حتى
وصل إلى منصب مستشار بمحاكم الاستئناف .
عمل مستشاراً قانونياً فى ليبيا لمدة ثمانى سنوات . . و يعمل
حالياً خبيراً قانونياً بادارة الأراضى بدولة قطر .

ينضم للاسلام كل باحث مخلص عن الحقيقة ، و قد دخل فيه زميلنا المستشار « صفوت اسكاروس » عن وعى وإدراك و إقتناع ، فكان من القلة الخيرة المؤمنة من أهل الكتاب الموصوفة من الله بقوله : « ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل و هم يسجدون ، يؤمنون بالله و اليوم الآخر ، و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر ، و يسارعون فى الخيرات ، و أولئك من الصالحين ، و ما يفعلوا من خير فلن يكفروه ، و الله عليم بالمتقين » (آل عمران : الآيات ١٣ - ١١٥) .

و انضم إلى الصف المسلم المجاهد يذود عن الاسلام و تعاليمه فقد كان لنبأ إسلامه و تبرئه من الكفر و الشرك صدى كبير بين النصارى - على قلتهم - فى داخل البلد الذى يقيم فيه خاصة ، وبين قومه و أهله و عشيرته فى موطنه الأصلى ،

فمن قريب سأله ، والبعيد عنه راسله ، و منهم من بعث له مبعوثاً ليقف على حقيقة أمره ، و قد دار بين المستشار صفوت و بين هؤلاء الحاقدين الناقمين عليه من أهل دينه سابقاً محاورات و مناقشات سجلتها كما دارت بينهم ، فيما يلي .

س: لماذا كفرت بدينك و دين آبائك و أجدادك من قبلك و اعتنقت دين محمد ؟

ج : كانت الاجابة المؤمنة :

الحمد لله الذي هدانا للاسلام ـ بفضله و رحمته ـ و ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، فمنذ كنت طالباً بالجامعة ـ في كلية الحقوق ـ و كانت الدراسات تتضمن جانباً ضئيلا من الشريعة الاسلامية ، بيد أنها كانت تثير في النفس الكثير من التساؤلات ، حتى ما تلقيته من الصغر في الكنيسة عن الاسلام و رسوله كان له أثر هذه الكنيسة ـ كما تعلمون - تصور لنا محمداً ﷺ كمدع للنبوة ، و إن القرآن من تأليفه استمده من التوراة و الانجيل ؟ ؟ و عادات و تقاليد العرب استمداداً معيباً و متناقضاً .

و كم قابلت من شيوخ للاسلام ـ أثناء الدراسة و بعدها ـ أناروا البصر و البصيرة ، و كشفوا لي الشبهات التي تثار حول الاسلام ، و دحضوا الأباطيل ، و حثوني باسم العقل ـ الذي يباركه الاسلام و يكرمه ـ على التفكير و التدبر وصولا إلى الحقيقة التي لا تحمل ضغينة لأحد ، و إنني إذ وصلت إليها آمنت بها ، وأعلنتها .

و كانت القضية الكبرى التي تثير قلقي و حيرتي و شكي في النصرانية هي قضية التوحيد والتثليث في قولهم: ثلاثة أقانيم في واحد : الأب ، والابن ، والروح القدس

كالشمس لها نورها وشعاعها ودفؤها ، وإن الله جسد كلمته - في ابنه الأزلي - تجسيداً ظاهراً ، و رضي بموته على الصليب ، و هو غير مستحق لذلك ، ليكون فداءاً للخطيئة الأولى ـ لآدم ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

و لم أقتنع بأن يكون الثلاثة في واحد ، و الواحد في ثلاثة و تشبيهم ا

ـ تعالى ـ و تركيبه تجسيم يتنزه الله عنه ، و عدله يأبى أن يسأل أحداً فضلا أن يجازيه عن ذنب غيره .

و مضيت أدرس و أبحث بنفسي فى التوراة و الانجيل .

التوراة و الانجيل :

و يسأله نصرانى آخر : و ماذا وجدت فى التوراة و الانجيل ؟ .

ج: وجدت أن ما يطلقون عليه الكتاب المقدس « ينقصه السند المتصل إلى صاحبه، الذى يجعل المرء يطمئن إليه و يثق فيه، وإن فيه من التناقض الشئ الكثير، مما يدل على أن يد التحريف و التبديل قد وصلته .

و فقدان السند المتصل حقيقة يقول بها القساوسة أنفسهم، ولا أ.ل على ذلك من المناظرة التى جرت بين الشيخ رحمة الله الهندى و بعض القساوسة البروتستانت حول النصرانية ـ و التى أثبتها فى كتابه « إظهار الحق» حيث اعتذر بعض القسيسين فى محفل المناظرة فقال : (إن سبب فقدان السند هو وقوع المصائب و الفتن على النصارى إلى مدة ثلاثمائة و ثلاث عشرة سنة) و المتصفح فى كتاب الاسناد للكتاب المقدس — التوراة و الانجيل — لا يرى فيه غير الظن ، و الظن لا يغنى من الحق شيئاً ، و طالما أن الشك قد دخل على الدليل و هو السند ، فقد سقط الاحتجاج بمضمونه أى الكتاب المقدس .

والتناقض و التضارب الموجودان فى الكتاب المقدس — يؤلف فيهما كتب — و لكن يكفى ما ورد فى التوراة من أن الله خلق السموات و الأرض فى ستة أيام، و أعياه التعب فى اليوم السابع فاستلقى على قفاه و وضع رجلا على رجل !! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

و يكفى ما ورد فى الأناجيل من اختلاف كبير حول المسيح و صلبه .

بل التثليث الوارد فيه هو وليد الأفلاطونية الحديثة كما يقول بحق المفكر الفرنسى ليون جوتيه فى كتابه « المدخل إلى الفلسفة الاسلامية » .

فأفلاطون يرى الاحتفاظ لله بالكمال المطلق و البراءة من التغيير ، و يضع بينه و بين العالم وسيطين يعتبران دونه خارجين عنه و على نحو ما داخلين فيه ـ أى تتضمنهما ذاته ـ صادرين عنه ، دونه فى الكمال ، أول هذه الأقانيم هو مصدر كل كمال ، والذى يحوى فى وحدته كل الكمالات ، وهو الذى دعاه النصارى « الأب » و الثانى مستمد منه و هو الكلمة أو الابن ، و الثالث هو دائماً الروح القدس .

و إذا قارنا بين الكتاب المقدس فى وضعه الحالى و القرآن الكريم — على الرغم من الجهود المضنية المبذولة من اليهود و المستشرقين و المبشرين على تشويه صورة القرآن .

فالسند المتصل الذى وصل به القرآن ثابت لا يتطرق إليه الشك ، فقد أمر الرسول ﷺ بكتابة القرآن فى حياته ، وحفظه متفرقاً جملة من الأصحاب ، كما حفظه بعضهم كاملا على حسب العرضة الأخيرة على الرسول ﷺ ، فلما توفى الرسول ﷺ و استحر (اشتد) القتل بكثير من حفاظ القرآن فى اليمامة فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ارتأى أبوبكر — بمشورة عمر بن الخطاب — جمع القرآن ، و كلف بهذه المهمة الشاب الذكى التقى النقى زيد بن ثابت الأنصارى ، لأنه كان أحد الحفظة للقرآن كله من ناحية ، ومن كتاب الوحى للرسول ﷺ من ناحية أخرى .

و قد قام زيد بهذا العمل على الوجه الأمثل ، لجمع المكتوب من القرآن من العسب (جريد النخل) و اللخاف (الحجارة الرقيقة) و الرقاع من الجلد وغيره ، و من صدور الرجال ، حتى إنه وجد آخر سورة التوبة مع (ابن خزيمة الانصارى) ولم يجدها مع أحد غيره مكتوبة ، وجمع فى عمله بين الحفظ والكتابة ،

كان لا يكتفى بمجرد وجوده مكتوباً حتى يشهد به من تلقاه سماعاً و يشهد على تلقيه اثنان من الصحابة ، مع كون زيد كان يحفظه .

ويصف لنا الحارث المحاسبى المتوفى ٢٤٣هـ جمع القرآن فى عهد أبى بكر فيقول: (كتابة القرآن ليست بمحدثة فانه ﷺ كان يأمر بكتابته ، و لكنه كان مفرقاً فى الرقاع و الاكتاف و العسب ، فانما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعاً ، و كان ذلك بمنزلة أوراق وجدت فى بيت رسول الله ﷺ فيها القرآن مفرق و منتشر لجمعها جامع و ربطها بخيط حتى لا يضيع منها شئ) .

و كانت هذه الصحف عند أبى بكر رضى الله حتى توفاه الله ، ثم عند عمر رضى الله عنه أثناء حياته ثم عند أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضى الله عنها .

و فى عهد عثمان على أثر الاختلاف فى قراءة القرآن على حسب الأحرف ، رأى عثمان تشكيل لجنة من أربعة ، هم : زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث رضى الله عنهم ، لنسخ المصحف على رسم واحد ، فحصلت اللجنة على الصحف التى عند حفصة بنت عمر .

وكانوا لا يكتبون فى المصاحف شيئاً إلا بعد أن يعرضوه على مشاهير الصحابة ، ويشهد الجميع بأنه قرآن وإنه لم تنسخ تلاوته ، و أنه استقر فى العرضة الأخيرة .

و قامت اللجنة بالعمل المسند إليها على أكمل وجه ، حتى إنهم اختلفوا فى كتابة لفظ « التابوت » أتكتب بالهاء « التابوه » أو بالتاء المفتوحة ، فرجعوا فى ذلك إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه الذى أمرهم بكتابتها بلغة قريش ، لأن القرآن نزل بلغتهم .

و هو مصداق لقوله تعالى (و ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) (سورة إبراهيم : الآية ٤) .

لجمع القرآن و نسخه كما قال بحق المفكر الاسلامى مالك بن نبى - رحمه الله - يعد أول عمل علمى للفكر البشرى من نوعه ، تحقق به وعد الله بحفظ القرآن (إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون) سورة الحجر : الآية ٩) ، فالقرآن كما استقر فى العرضة الأخيرة على سيدنا محمد ﷺ لم يدخله تحريف أو تبديل ، مما يجعلنا نطمئن إليه ، و أن كل كلمة واردة فيه هى الحق والصدق . و إنه كتاب الله تعالى الأخير للبشرية لهدايتها إلى الأقوم .

بين محمد . . و المسيح :

و قال له أحد النصارى : أتنكر الوهية المسيح و فى قرآن محمد ما يؤكدها فى قوله (و التى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا) و من هو أبو المسيح إذا لم يكن هو ابن الله ؟ !

ج : أولا القرآن ليس من تاليف محمد ﷺ ، و إنما هو المعجزة الدالة على نبوته على مدار الزمان و المكان ، إلى أن يرث الله الأرض و من عليها ، فهو الكتاب الذى اتسقت عباراته و معانيه وأحكامه ومبادؤه ، و أن له من الفصاحة و البلاغة و قوة التأثير ما دفع بألد أعداء محمد ﷺ إلى أن يقول فيه : (إن له لحلاوة ، و إن عليه لطلاوة ، و إن أسفله لمغدق ، و إن أعلاه لمثمر ، و ما يقول هذا بشر) .

و إذا نظرنا إلى عصرنا الذى يشاد فيه بالعلم و حقائقه ، نجد أن كل حقيقة علمية ثابتة لا تختلف عما ورد فى القرآن إن تعرض لها ، فأين لمحمد — النبى الأمى — ﷺ الذى لا يقرأ و لا يكتب بحقائق الكون و علوم الحياة ، و التى لم تتوصل إليها البشرية إلا بعد طريق شاق وطويل من المراصد والمعامل والتحاليل ، و يكفى أن نشير إلى ما توصل إليه العلماء من أن أصل البترول وجميع مشتقاته مواد

متحولة من نبـــات مطمور بالتراب و الصخور ، أو حيوانات تغذت على النباتات وأخذت من النباتات الوقود ، وبهذا نعرف أن جميع أنواع الوقود المستخدمة أصلها من الشجر الأخضر ، و يقرر القرآن هذه الحقيقة فيقول الله تعالى (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون (يس : الآية ٨٠) .

و قد كتب عن القرآن و العلم كتب كثيرة من أهمها ما ألفه الغازى أحمد مختار باشا — العثمانى — بعنوان (سرائر القرآن فى تكوين وفناء وإعادة الأكوان) ضمنه تسعين آية قرآنية هى أصل من أصول العلوم التطبيقية الحديثة و قد نقل هـذا الكتاب من التركية إلى العربية السيد محب الدين الخطيب ـ رحمه الله تعالى ـ .

و حسبك ما يكتبه موريس بوكاى — و هو مازال حتى الآن نصرانيـاً — عن القرآن والتوراة و العلم ، مما يؤكد أن القرآن هو كلام الله تعالى ، وأن التوراة قد تناولتها يد التحريف و التبديل .

وأما جزء الآية التى استندتم إليها لو أتممتموها لوجدتم إجابتكم ، فالله تعالى يقول (و التى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا و جعلناها و ابنها آية للعالمين) (الأنبياء : الآية ٩١) فالنفخ من الله كما خلق آدم فقال (ونفخت فيه من روحى) (ص ، الآية : ٧٢) و قال (إن مثل عيسى عنـــد الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ، الحق من ربك فلا تكن من الممترين) (سورة آل عمران : ٥٩ ، ٦٠) .

و نسب الابن إلى مريم البتول فى هـذه الآية و فى غيرها ، فالله يقول (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً فى الدنيا و الآخرة و من المقربين ، و يكلم الناس فى المهـد و كهلا و من الصالحين ، قالت : ربى أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ، قال : كـذلك الله يخلق

ما يشاء إذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون) (سورة آل عمران : الآية ٤٥ ، ٤٧) .

و علام تشككون فى قدرة الله ، ألم يخلق آدم من غير أب و لا أم ، فخلقه أعجب من خلق عيسى ، فعيسى خلق من أنثى من نوعه ... و الله تعالى لا يتقيد بالأسباب الجارية ، فهو خالقها ومبدعها ومريدها ، و إنه يقول للشئ كن فيكون ، فسبحان الله عما تشركون .

و القرآن يبين لكم الحق ، و أن عيسى عليه السلام بشر ، و أنه رسول الله الى بنى إسرائيل ، و أن رسالته كانت الدعوة إلى توحيد الله وبيان أن ذاته سبحانه و تعالى ليست بمركبة ، و ليست صفاته مشابهة ، و أنه يتنزه عن الولد قال الله تعالى : (يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ، و لا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم و روح منه ، فآمنوا بالله و رسله ، ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات و ما فى الأرض و كفى بالله وكيلا) (النساء : الآية ١٧٠) .

(و قالوا اتخذ الرحمن ولداً ، لقد جئتم شيئاً إداً ، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض و تخر الجبال هداً ، أن دعوا للرحمن ولداً ، وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولداً) مريم : الآيات ٨٨ ـ ٩٢) .

وقوله تعالى (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون) (المائدة : الآية ٧٥) فقد قرن الله لفظ المسيح بكلمة « ابن مريم » ليلفت الأنظار بأنه ابن مريم لا ابن الله ، وبين أن المسيح و أمه كانا يأكلان الطعام ، ومن أكل

الطعام تحول الطعام فى جسمه دماً ولحماً وعظماً ، و ينضح عرقاً ، و يخرج فضلاته التى لو بقيت فى الجسم لاضرته ... و كما قال بحق الدكتور عبد الحليم محمود — فى كتابه — التفكير الفلسفى فى الاسلام : إن كائناً من هذا النمط لا يمكن إلا أن يكون بشراً خاضعاً لكل القوانين البشرية التى لا تؤدى إلى نقص فى مرتبته كرسول ، و يصور القرآن محاكمة مقبلة — يوم القيامة — تبرىء عيسى مما ألصقه به أتباعه من التثليث و تدينهم ، فيقول الله تعالى (و إذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى و أمى إلهين من دون الله ؟ قال : سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى و ربكم و كنت عليهم شهيداً مادمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد ، إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) (المائدة : الآيات ١١٦ ، ١١٧) .

و يقول نصرانى ثالث : أتنكر ألوهية المسيح و قد أحيى الموتى ، و شفى المرضى ، و أنبأ بالغيب ؟ .

ج : أعوذ بالله من قولكم هذا ، و القرآن يعلن لكم الحقيقة و يهديكم إلى سواء السبيل ، فالله يذكر على لسان عيسى (أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله و أبرىء الأكمه و الأبرص وأحيى الموتى بإذن الله و أنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) (سورة آل عمران الآية : ٤٩) .

فهذه الآيات البينات واضحة الدلالة على أن الخلق و إحياء الموتى هو فى الحقيقة بيد الله تعالى ، وإنما جرى على يد المسيح ليكون دليلا مادياً قاطعاً على صدق

نبوته ، كما أن إبراءه للأكمه و الأبرص فی عصر اشتهر بالتقـدم فی علم الطب مع عجزهم عن علاج هـذه الأمراض يجعل أهل الطب و المشاهدين لحاله يؤمنون به و برسالته .

كما أن ميلاده من غير أب دليل و آية على وجود الروح التی شاع فی عصر مبعثه إنكارها ! فهكذا كان عيسى ابن مريم مولده ونطقه فی المهد ، و إنزال الله المائدة لحوارييه من السماء ليأكلوا منها . و لتطمئن قلوبهم بناء على طلبهم فالله تعالى يقول (إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال : اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ، قالوا : نريد أن نأكل منها و تطمئن قلوبنا و نعلم أن قد صدقتنا و نكون عليها من الشاهدين .

قال عيسى ابن مريم : اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين ، قال الله تعالى : إنی منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانی أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين) (سورة المائدة الآيات ١١٢ - ١١٥) .

هكذا كانت معجزة عيسى بن مريم عليه السلام ، تتناسب مع عصره و زمانه كما كانت معجزة محمد ﷺ تتناسب مع عصره من ناحية ، ومع كل عصر من ناحية أخرى لأن القرآن كما قال فيه علی رضی الله عنه مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ (هو كتاب الله تبارك و تعالى ، فيه نبأ من قبلكم ، و خبرما بعدكم ، و حكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فی غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، و هو الصراط المستقيم ، و هو الذی لا تزيغ به الأهواء ، و لا تلتبس به الألسنة و لا تتشعب معـه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، و لا يمله الأتقياء و لا يخلق على كثرة الرد ، و لا تنقضی

عجائبه و هو الذى لم تلته الجن إذ سمته أن قالوا : (إنا سمعنا قرآناً عجباً) ، من علم علمه سبق ، و من قال به صدق ، و من حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم) .

صلب المسيح :

و سأله سائلهم أتنكر صلب المسيح وقتله فداء لخطيئة آدم .

ج : يذكركم الله بقولكم (إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، و إن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن) سورة النساء : الآية ١٥٧) .

و الآية صريحة على أن عيسى ابن مريم ﷺ لم يقتل و لم يصلب كما زعمتم ، و لكن وقع الشبه فظنوا أنهم صلبوا عيسى ، وهم إنما صلبوا غيره .

ففى إنجيل برنابا : إن من وشى بعيسى ألقى الله عليه شبه عيسى فقبض عليه ، و اربح عليه و أسكته الله فنفذ فيه حكم الصلب .

فقد ورد فى هذا الانجيل (و لما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذى كان فيه يسوع ، سمع يسوع دنو جم غفير ، فلذلك انسحب إلى البيت خائفاً ، و كان الأحد عشر نياماً . فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل و ميخائيل و روفائيل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم ، فجاء الملائكة الأطهار ، و أخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب ، فحملوه و وضعوه فى السماء الثالثة حيث الملائكة التى تسبح لله إلى الأبد ... ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التى صعد منها يسوع ، وكان التلاميذ كلهم نياماً ، فأتى الله العجيب بأمر عجيب ، فتصير يهوذا فى النطق وفى الوجه ، فصار شبيهاً بيسوع حتى إننا اعتقدنا أنه يسوع ، أما هو فبعد أن استيقظ أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم ، لذلك تعجبنا ، وأجبنا أنت يا سيدى معلمنا ، أنسيتنا الآن .

واقه يقول (وما قتلوه يقيناً ، بل رفعه الله إليه) (النساء : ١٥٧ ـ ١٥٨ ·
(إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا)
(آل عمران : الآية ٥٥) .

و معظم المفسرين يقولون إن الله رفع عيسى ابن مريم بجسمه و روحه وجاء فى السنة الصحيحة بأن عيسى سينزل إلى الأرض كإحدى علامات الساعة ، و يرجع فى حكمه إلى القرآن .

فقد أخرج البخارى و مسلم عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال (و الذى نفسى بيده ، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً ، فيكسر الصليب ، و يقتل الخنزير ويضع الجزية و يفيض المال حتى لا يقبله أحد ثم يقول أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) الآية ١٥٩ من سورة النساء) .

(و قولكم إن المسيح هو الذى يكفر عن خطايا العالم ، و أنه الوسيط الذى وفق بين محبة الله تعالى وبين عدله و رحمته ، إذ أن مقتضى العدل أن الناس كانوا يستمرون فى الابتعاد عن الله بسبب ما اقترف أبوهم .

و لكن باقتران العدل بالرحمة و توسيط الابن الوحيد و قبوله التكفير عن خطايا الخلق قرب الناس من الرب بعد الابتعاد ، و قد كان التكفير الذى قام به المسيح هو الصلب ، لهذا صلب ، و رضى الله عن صلبه ، و هو ابنا تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

فان القرآن قص عليكم بالحق قصة أبويكما آدم و حواء و خطئهما و موقف الله من ندمهما و توبتهما ، فوضع المسألة وضعها الصحيح دون تحريف أو تبديل .

فالله تعالى يقول : (و يا آدم اسكن أنت و زوجك الجنة فكلا من حيث شئتما و لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما و قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ، و قاسمهما إنى لكما لمن الناصحين ، فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق و ناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة و أقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ، قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ، قال : اهبطو بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر و متاع إلى حين ، قال : فيها تحيون وفيها تموتون و منها تخرجون) (الأعراف : من الآية ١٩ ـ ٢٥) .

هكذا فقد أخطأ آدم و حواء و شعرا بمبلغ ما اقترفا من اثم فى معصيتهما لله و ندما أشد الندم فقبل الله التوبة (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) (البقرة : الآية ٣٧) و بين لهم أنهم سيمدهم بالهدى و الرشاد فمن تبع هدى الله فلن يقع فى المآثم فى الدنيا و لن يشقى فيها (قال : اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا يضل و لا يشقى) (طه : ١٢٣) .

هذا هو الحق ، فليس هناك وساطة أو فداء عن الخطيئة ، و العدل والرحمة حقاً ألا يسأل إنسان عن ذنب غيره و هو المبدأ الذى قرره الاسلام (ولا تزر وازرة وزر أخرى) (فاطر : الآية ١٨) .

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

[مع الشكر لمجلة « منار الاسلام » الصادرة من « أبو ظبى »]

حسان بن ثابت الأنصاری
﴿ ٢ ﴾

سعيد الأعظمی الندوی

قريش تحاول أن تنتقم من حسان :

هذه القصيدة التی أنشدناها تؤكد مدى ذلك الاحتفاء و الترحيب اللذين تلقت بهما المدينة و أهلها رسول الله ﷺ ، و قد اطلعت قريش على هذه العواطف الجميلة التی أبداها الأنصار نحو رسول الله ﷺ و خاصة حسان بن ثابت الذی وضع جميع مواهبه الشعرية فی تأييد الاسلام ودعم الدعوة التی أتی بها رسول الاسلام، و كانت مكانة حسان الشعرية معروفة لديهم بقدرته الفائقة ، وكلامه الرصين القوی ، و ساء قريشاً أن يقف شاعر مثل حسان هذا الموقف الشجاع من الدفاع عن قضية الاسلام فأرادت أن تنتقم من حسان بتوجيه هجاء مقذع نحوه ، ونيل من شخصيته ، فأوعزت شاعراً لها يدعى : أمية بن خلف الخزاعی (١) أن يتناوله بالهجاء ، فقال :

ألا من مبلغ حسان عنی مغلغلة ، تدب إلى عكاظ (٢)
أليس أبوك فينا كان قيناً لدى القينات، فسلا فی الحفاظ (٣)
يمانيا يظل يشد كيراً و ينفخ دائماً لهب الشواظ (٤)

(١) وبعضهم يقول : أمية بن خلف الجمحی . (٢) المغلغلة : الرسالة .
(٣) القين : العبد ، الفسل : النذل ، الحفاظ : المحافظة على المحارم .
(٤) الكير : منفخ الحداد ، الشواظ : اللهب لادخان فيه .

فأجابه حسان رضى الله عنه :

أتانى عن أميـة زور قول ... و ما هو بالمغيب بذى حفاظ
سأنشر إن بقيت لكم كلاماً ... ينشر فى المجامع من عكاظ
قوافى كالسلام إذا استمرت ... من الصم المعجرفة الغلاظ (١)
تزورك إن شتوت بكل أرض ... و ترضخ فى محلك بالمقاظ (٢)
بنيت عليك أبـيـاتاً صلاباً ... كأسر الوسق قفص بالشظاظ (٣)
مجللة تعممـــــــه شنـاراً ... مضرمة تأجج كالشواظ (٤)
كهمزة ضيغـم يحمى عريناً ... شديد مغارز الأضلاع خاظى (٥)
تغض الطرف أن ألقاك دونى ... وترمى حين أدبر باللحاظ (٦)

أول شعر يقوله حسان فى الاسلام :

و لما خرجت قريش فى طلب نقباء الأنصـار الاثنى عشر يوم العقبة فى منى حينما بايعوا النبى ﷺ فأدركوا سعد بن عبـادة بأذاخر (٧) و المنذر بن عمرو ، وكلاهما كانا نقيبين ، ولكن المنذرم أعجزهم ، و أما سعد فأخذوه وضربوه ، وربطوا

(١) السلام : الحجارة ، المعجرفة : الغليظة : .

(٢) ترضخ : تكسر ، وتدق . المقاظ الموضع الذى يقام فيه بالقيظ ، الصيف .

(٣) قوله كأسر الوسق : أى كالعدل المحكم المشدود بالشظاظ ، وهى عودان يكونان فى عروتى العكم ، أى العدل ، وقفص : شبك .

(٤) الشنار : العار .

(٥) همزة ضيغم : ضغطة أسد ، الخاظى : المكتنز اللحم .

(٦) ديوان حسان ، طبع دار صادر بيروت .

(٧) إسم موضع قريب من مكة .

يديه إلى عنقة بنسع رحله، وكان كذلك حتى علم به جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف و الحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وخلصاه من أيديهم، وعلم بذلك ضرار بن الخطاب بن مرداس الفهرى، شاعر قريش وفارسها. فأخذهما باللوم و التعنيف على تخليصهما سعداً، وتمنى أن لو كان سعيهما لطلب المنذر بن عمرو و اللحاق به، لا إلى تخليص سعد بن عبادة فقال ضرار : .

تداركت سعداً عنوة فأخـذته و كان شفاءاً لو تداركت منذرا

و لو نلته، طلت هناك جراحه وكانت حرياً أن يهان ويهدرا (١)

فأجابه حسان رضى الله عنه، وهو أول شعر قاله فى الاسلام :

لست إلى سعد (٢) ولا المرء منذر إذا ما مطايا القوم أصبحن ضمرا

فلو لا أبو وهب لمرت قصائد على شرف البرقاء يهوين حسرا (٣)

فانا و من يهدى القصائد نحونا كمستبضع تمراً إلى أهل خيبرا (٤)

فلا تك كالوسنان يحلم أنه بقرية كسرى أو بقرية قيصرا

و لا تك كالشاة التى كان حتفها بحفر ذراعيها، فلم ترض محفرا (٥)

و لا تك كالعاوى فأقبل نحره ولم يخشه سهما من النبل مضمرا (٦)

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ / ص ٩٢ ـ ٩٣ .

(٢) و فى رواية إلى عمرو .

(٣) البرقاء موضع فى البادية، و يعنى أن أبياتك لم تصل إلينا لضعفها، لو لا أبو وهب، حسراً، جمع حاسرة بمعنى هزيلات لاغيات .

(٤) يشير بالشطر الثانى إلى المثل المعروف، ومعناه كما يقال : كناقل تمر إلى حجر .

(٥) يعنى كالباحث عن حتفها بظلفها .

(٦) فأقبل نحره : معناه جعله قبالة الشئ، و المراد بالعاوى : الذئب .

أتفخر بالكتان لما لبسته وقد يلبس الأنباط ريطاً مقصراً (١)

انتصار حسان لرسول الله ﷺ :

وكان حسان يشعر بمرارة الشدة التى لقيها رسول الله ﷺ من قريش ويتأسف عليها بصفة دائمة ، فما كان يمر به خاطر من الأذى و العنت مما عاملت به قريش الرسول عليه الصلاة و السلام إلا ويجيش صدره بغيظ عليها ، وطالما ظهر ذلك فى صورة القريض ، كما حدث معه فى خبر الهاتف من الجن الذى أخبر عن طريق رسول الله ﷺ فى هجرته بعد ثلاث ليال من خروجه ، و هو يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب فى مكة ، وإن الناس ليتبعونه ، يسمعون صوته ولا يرونه حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول : (٢) .

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين قالا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقصى ، ما زوى الله عنكم به من فخار لا يبارى و سؤدد
ليهن بنى كعب مقام فتاتهم و مقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شأنها و إنائها فإنكم إن تسألوا الشاه تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها لحالب يرددها فى مصدر ثم مورد

فلما بلغ حسان هذه الأبيات قال و كأنه يجاوب الهاتف :

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم و قدس من يسرى إليهم ويغتدى
ترحل عن قوم فضلت عقولهم وحل على قوم بنور مجدد

(١) ديوان حسان ص / ٥٢ ، طبع دار صادر بيروت .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ / ص ١٣٢ .

هداهم به بعد الضلالة ربهم و أرشدهم ، من يتبع الحق يرشد
وهل يستوى ضلال قوم تسفهوا عمى ، و هداة يهتدون بمهتد
لقد نزلت منه على أهل يثرب ركاب هدى ، حلت عليهم بأسعد
نبى يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله فى كل مسجد
و إن قال فى يوم مقالة غائب فتصديقها فى اليوم أوفى ضحى الغد
ليهن أبا بكر سعادة جده بصحبته من يسعد الله يسعد (١)

و أصبح حسان موضع ثقة رسول الله ﷺ وارتياحه ، يطلب منه أن ينشد فى المناسبات حتى صار ترجمانه وشاعره ، يمدحه ويرد عنه عاديات السفهاء ويهجو شعراء الكفار وطالما يقول له ﷺ : اهجهم و روح القدس معك » و من هنالك كان له هجاء مقذع متكرر لأبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب الذى كان شديد العداء و البغض للرسول ﷺ وللمسلمين ، يقول حسان يهجوه :

و إن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ، ووالدك العبد (٢)
و من ولدت أبناء زهرة منهم كرام ولم يبلغ عجائزك المجد (٣)
و أنت زنيم نيط فى آل هشام كما نيط خلف الراكب القدح الفرد (٤)
و إن امرءاً كانت سمية أمه وسمراء ، مغلوب إذا بلغ الجهد (٥)

---

(١) ديوان حسان ، طبع دار صادر بيروت .

(٢) يروى « سناء » بدل سنام ، بنت مخزوم هى فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم ، وهى أم عبد الله والد رسول الله ﷺ .

(٣) ذلك لأن أم أبى سفيان كانت أم ولد و كذلك أم أبيه الحارث .

(٤) و فى رواية هجين بدل زنيم .

(٥) سمية أم الحارث بن عبد المطلب و سمراء أم أبى سفيان بن الحارث .

و قال يهجو العاصي بن هشام بن المغيرة المخزومى :

بنى القين ! هلا إذ خرتم بربعكم خرتم بكير عند باب ابن جندع
بناه أبوكم قبل بنيـان داره بحرس ، فأخفوا ذكرقين مدفع (١)
وألقوا رماد الكير يعرف وسطكم لدى مجلس منكم ، لئيم ومفجع (٢)

« وقيل : قال النبي ﷺ ليلة وهو في سفر : أين حسان بن ثابت ؟ فقال حسان : لبيك يا رسول الله و سعديك ، قال أحد ، فجعل ينشد ويصغى إليه رسول الله ﷺ و يستمع ، فما زال يسمع إليه و هو سائق راحلته حتى كاد رأس راحلته يمس الورك ، حتى فرغ من نشيده ، فقال رسول الله ﷺ : لهذا أشد عليهم من وقع النبل » (٣) .

دور حسان في مفاخرة وفد بنى تميم :

و وفد على رسول الله ﷺ في عام الوفود بعد فتح مكة وفد بنى تميم يتألف من رؤوسهم الكبار وفيهم أشعر شعرائهم وأخطب خطبائهم ، وهم يريدون أن يبعثوا الرعب ببلاغة كلامهم وشعرهم في قلوب المسلمين ودخلوا المسجد ونادوا رسول الله ﷺ من وراء حجراته وهم في نشوة الانتصار : أن أخرج إلينا يا محمد ، مما تأذى به رسول الله ﷺ ، و في هذه المناسبة الحرجة التي كانت تجمع بلغاء بنى تميم و قد أخذوا العدة الكاملة لمقاومة النبي ﷺ في المجال الأدبي وتحدوه ، وقد تأكدوا أنهم سوف يتغلبون عليه ، طلب النبي ﷺ حسان بن ثابت لكي يرد على شاعرهم الكبير الزبرقان بن بدر ، كما رد ثابت بن شماس على خطيبهم عطارد بن حاجب ، ولنترك القصة بكاملها يقصها

(١) الحرس بجزم الرأى : السرقة ، مدفع : المدفوع النسب .
(٢) ديوان حسان ، طبع دار صادر ، بيروت .
(٣) أخبار حسان ، الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ، ص / ٥٠٩ ج / ٢ .

علينا أبو الفرج الأصفهانى فى كتابه الأغانى : حتى نرى حسان بن ثابت كيف يرتجل الكلام و يجول فى مضمار الشعر البليغ ويرد عليهم رداً قاسياً ولا يترك القوم حتى يعجزهم ، فلا يلبثوا إلا أن يسلموا ويخضعوا لرسول الله ﷺ فيما جاء به من الدين والشريعة :

« وقيل : لما قدم على النبى ﷺ و فد بنى تميم ، وهم سبعون رجلا ، منهم الأقرع بن حابس ، والزبرقان بن بدر ، وعطارد بن حاجب ، وقيس بن عاصم ، وعمرو ابن الأهتم ، وانطلق معهم عيينة بن حصن ، فقدموا المدينة فدخلوا المسجد . فوقفوا عند الحجرات ، نادوا بصوت عال جاف : أخرج يا محمد ، فقد جئنا لنفاخرك ، وجئنا بشاعرنا و خطيبنا ، فخرج إليهم رسول الله عليه وسلم فجلس ، فقام الأقرع ابن حابس فقال : والله إن مدحى لزين ، و إن ذمى لشين ، فقال رسول الله ﷺ : ذلك الله ، فقالوا : إنا لأكرم العرب ، فقال رسول صلى الله عليه وسلم : أكرم منكم يوسف بن يعقوب بن إسحاق ابن ابراهيم ، فقالوا : إيذن لشاعرنا و خطيبنا ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس وجلس معه الناس ، فقام عطارد بن حاجب فقال : الحمد لله الذى له الفضل علينا بهدايته الذى جعلنا ملوكا و جعلنا أعز أهل الشرق (١) وأعطانا أموالا عظاماً نفعل فيها المعروف ، وليس فى الدنيا مثلنا ، أو لسنا برؤس الناس وذوى فضلهم ! فمن فاخرنا فليعد علينا مثل ما عددناه ، ولو نشاء لأكثرنا ، ولكنا نستحى من الاكثار فيما خولنا الله و أعطانا . أقول قولى هـذا فأتوا بقول أفضل من قولنا ، أو أمر أبين من أمرنا ، ثم جلس ، فقام ثابت ابن شماس فقال الحمد لله الذى السموات و الأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ، و وسع كرسيه علمه ، ولا يقضى شيئاً إلا من فضله و قدرته ، و كان من قدرته أن اصطفى الناس رسولا أكرمهم حسباً ، و أصدقهم حديثاً ، و أحسنهم رأياً ، و أنزل علينا

(١) فى بعض أصول الأغانى : « المشرق » .

كتاباً ، و أئتمنه على خلقه ، و كان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا رسول الله ﷺ إلى الايمان ، فأجابه من قومه وذوى رحمه المهاجرون ، أكرم الناس إنساناً ، و أصبح الناس وجوهاً ، و أفضل الناس أفعالا ، ثم كان أول من اتبع رسول الله ﷺ من العرب واستجاب له نحن معشر الأنصار ، فنحن أنصار الله و وزراء رسول الله ﷺ ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا أو يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن آمن بالله و رسوله منع منا ماله ودمه ، و من كفر جاهدناه فى الله وكان جهاده علينا يسيراً . أقول قولى هذا واستغفر الله للمؤمنين و المؤمنات ، فقام الزبرقان فقال :

نحن الملوك فلا شئ (١) يقاربنا ... منا الملوك وفينا يؤخذ (٢) الربع
وننحر الكوم (٣) عبطاً فى منازلنا ... للنازلين إذا ما استطعموا شبعوا
ونحن نطعم عند القحط ما أكلوا ... من العبيط إذا لم يظهر (٤) القزع
تلك المكارم حزناها مقارعة ... إذا الكرام على أمثالها اقترعوا
كم قد قسرنا (٥) من الأحياء كلهم ... عند النهاب وفضل العز يتبع
و تبصر الناس تأتينا (٦) سراتهم ... فى كل أمر فتمضى ثم نتبع

فأرسل رسول الله ﷺ إلى حسان بن ثابت لجاء فأمره أن يجيبه .

---

(١) فى الأغانى « قلاص » .

(٢) كان من عادة العرب فى الجاهلية أن يأخذ الرئيس ربع الغنيمة خالصة دون أصحابه .

(٣) الكوم : جمع أكوم ، وهو البعير الضخم ، والأنثى : كوماء ، والعبط بضمتين وقد تسكن عنيه : جمع عبيطة ، وهى الناقة تنحر عن غير داء .

(٤) القزع : السحاب ، يشير إلى إطعامهم أيام المحل .

(٥) فى بعض أصول الأغانى « نشدنا » .

(٦) رواية أصول الأغانى « وتنصر الناس تأتينا سراتهم » .

فقال حسان :

إن الذوائب من فهر و إخوتهم قد بينوا سنـــة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته تقوى الإله وبالأمر الذى شرعوا
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك فيهـــم غير محدثة إن الخلائق فأعلم شرها البدع
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم عند الدفاع و لا يوهون ما رقعوا
إن كان فى الناس سباقون بعدهم فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
أعفة ذكرت فى الوحى عفتهم ولا يطبعون(١)ولا يزرى بهم طمع
و لا يضنون عن جار بفضلهم و لا يمسهم من مطمع طمع
يسمون للحرب تبدو و هى كالحة إذا الزعانف(٢)من أظفارها خشعوا
لا يفرحون إذا نالوا عدوهم و إن أصيبوا فلا خور و لا جزع
كأنهم فى الوغى و الموت مكتنع أسود بيشة فى أرساغها (٣) فدع
خذ منهم ماأتوا عفوا وما(٤)غضبوا فلا يكن همك الأمر الذى منعوا
فان فى حربهم فاترك عداوتهم سما عليه يخاض الصاب (٥) والسلع

---

(١) لا يطبعون ، أى لا يأتون ما يدنسهم و يعيبهم ويشينهم ، و الطبع : الدنس والعيب والشين .

(٢) الزعانف : أرذال الناس .

(٣) مكتنع : قريب ، و بيشة : من أعمال مكة مما يلى اليمن ، كثيرة الأسد ، والفدع : أعوجاج فى الرسغ .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « خذ منهم ما أتى عفواً و إن » .

(٥) يخاض : يخلط ، و الصاب و السلع : من الأشجار المرة .

أكرم بقوم رسول الله قائدهم ... إذا تفرقت الأهواء و الشيع
أهدى لهم مدحى قلب يؤازره ... فيما أراد لسان حاذق (١) صنع
وإنهم (٢) أفضل الأحيـاء كلهم ... إن جد بالناس جد القول (٣) أو شمعوا

فقام عطارد بن حاجب فقال :

أتيناك كيما يعلم النـاس فضلنا ... إذا اجتمعوا وقت احتضار المواسم
بأنا فروع النـاس فى كل موطن ... وأن ليس فى أرض الحجاز (٤) كدارم

فقام حسان فقال :

منعنا رسول الله من غضب له ... على أنف راض عن معـد و راغم
هل المجد إلا السودد الفرد (٥) والندى ... و جاه (٦) الملوك و احتمال العظائم

فقال الأقرع بن حابس : والله إن هذا الرجل لمؤتى له (٧) و الله لشاعره أشعر من شاعرنا ، وخطيبه أخطب من خطيبنا ، فنزل قوله تعالى : (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ، ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم و الله غفور رحيم) . ثم إن القوم أسلموا و أقاموا عند النبى ﷺ يتعلمون القرآن و يتفقهون فى الدين ، ثم أرادوا الخروج إلى بيوتهم ، فأعطاهم رسول الله ﷺ و كساهم و قال : أما بقى منكم أحـد ؟ و كان عمرو بن الأهتم

(١) فى بعض أصول الأغانى « حاذق » .

(٢) فى الديوان : « فإنهم » . (٣) شمعوا : مزحوا .

(٤) دارم : أبو حى من تميم .

(٥) فى بعض أصول الأغانى : « العود » وهو القديم .

(٦) فى الأصل : « وجار » .

(٧) مؤتى له : ميسر له مسهل .

فی رکابهم ، فقال قیس بن عاصم ، و کان من رهطه وکان مشاحناً له لم یبق إلا غلام حدیث السن فی رکابنا ، فأعطاه رسول الله ﷺ مثل ما أعطاهم ، فبلغ عمراً ما قال قیس ، فقال عمرو لقیس :

ظللت مفترش الهلباء (١) تشتمنی عند الرسول فلم تصدق و لم تصب
إن تبغضونا فان الروم أصلکم و الروم لا تملك البغضاء للعرب
فان سؤددنا عود و سؤددکم مؤخر عند أصل العجب (٢) والذنب

بهذا نتبین مدی ما کان یتمتع به حسان بن ثابت من ثقة غالیة ومکانة عالیة عند النبی ﷺ ، ونقدر مبلغ البلاغة و الارتجال و القوة الذی بلغ إلیه حسان فی الاسلام ، و أن الاسلام لم یجن علی شعره ، لا من الناحیة الأدبیة البلاغیة ، ولا من الناحیة المعنویة ، بل علی العکس من ذلك أضفی علیه الاسلام لوناً ثابتاً من الجد و الموضوعیة و الدافع الایمانی الخالص

و لقد شهد بعلو مکانته الشعریة کثیر من النقاد ، فهذا أبو عبیدة یقول : « اجتمعت العرب علی أن حسانا أشعر أهل المدر (٣) » .

و قال الحطیئة : أبلغوا الأنصار أن شاعرهم أشعر العرب حیث یقول :

یغشون حتی ما تهر کلابهم لا یسألون عن السواد المقبل (٤)

و قال الأصفهانی : حسان فحل من فحول الشعراء (٥) .

و لما سمع النابغة الذبیانی شعر حسان قال له : إنك لشاعر ، کما أن الأعشی کان من أصدقاء حسان ، وشهد له بالشاعریة (٦) .

« یتبع »

---

(١) الهلباء : الأست . (٢) العجب : أصل الذنب .
(٣) الاستیعاب . (٤) نفس المصدر وتهذیب التهذیب .
(٥) الأغانی لأبی الفرج الأصفهانی ، أخبار حسان .
(٦) الاستیعاب ـ وبلوغ الأرب ج ١ / ٢٥ .

الحضارة المعاصرة و المفاهيم الحضارية

الأستاذ محمد الحسنى (رح)

للحضارة — أيا كانت و أينما كانت — ظاهر و باطن ، وعموم و خصوص ، فاذا أردنا تقييم حضارة ما وجب علينا أن نميز بين ما هو جوهر داخلى فيها ، وبين ما هو عارض طارىء عليها ، وبين ما هو « عام » لا يفرق فيه بين الشعوب و الأمم ، و ما هو « خاص » لا يعم سائر المجتمعات و البيئات أو الديانات .

إن الخلط و الالتباس فى المفاهيم الحضارية أثارت مشكلات و تساؤلات و تعقيدات . . لا مبرر لها و لا طائل تحتها ، و لا حاجة لنا إليها . .

و لنعد — قبل أن تتشعب بنا المسالك — إلى أصل المشكلة !

ما هو باطن الحضارة من ظاهرها ، و ما هو خاصها من عامها ؟

إن الحضارة تعبير عن تقدم البشرية الطبيعى نحو ما هو أعلى و أسمى و لكن هذا التعبير لا يأتى ـ بصورة عامة ـ خالصاً مجرداً عن الشوائب ، بل هذا التقدم العلمى و الأدبى أو الصناعى يحمل على صفحته « بصمات » من مطامع هذ المجتمع أو هذه الفئة البشرية التى تجتاز مرحلة التقدم و العمران و البناء و اتجاهاته ، و أذواقه ، و معتقداته أكثر الأحيان .

ثم ينقسم هذا التقدم فى شعبتين : فنرى فى هذا التقدم الحضارى ما هو عام مشاع ، مباح لسائر الشعوب ، و منها ما هو خاص ، و هو كاللباس فصل على قا شعب ، فلا يتناسب لشعب آخر فى أى حال من الأحوال .

و مثل هذه الناحية الخاصة أو الجوهر الداخلى لهـــذه الحضارة كمثل النظـام التربوى و منـاهج التربية و أصولها و مبادئها ، فالشعوب الحيـــة الواعية تعتبرها جزءاً أساسياً من كيانهـــا الداخلى . و تريد منها أن تنبع من صميمها ، و تحقق مطالبها الوطنية أو الدينية .

و مثل الناحية العامة كمثل المخترعات الطبيعية أو العلوم التطبيقية وهى كآلات يسخرها الانسان حسب ما يشاء .

فالراكب على الطائرة حر فى اتجاهه وتصرفه ، ولا ذنب على الطائرة إلا أنها أسرعت فى مهمته و هيأت له أحسن الفرص و أقصر الوسائل و الأسباب .

« و الخيل و البغال و الحمير لتركبوها و زينة و يخلق ما لا تعلمون » .

وهكذا فقل عن سائر الوسائل والوسائط ، و أجهزة الاعلام و المواصلات .

و حينما نقول : إننا نحارب الحضارة المعاصرة لأنها حضارة جاهلية و لأنهـا حضارة الظلام و الشقاء و الحرمان لا نعنى بذلك إلا ذلك الجوهر الداخلى فى تلك الحضارة أو الجانب الخاص منها .

لمـاذا ؟

لأنه بنى على تقديس المادة و المعدة ، و تعبد القوة و الجاه و المال و اتباع الشهوات من غير تقييد و تبصر و تأمل ، فلنقف قليلا و لنتأمل فى بعض الأمثلة العملية و النماذج السائدة الشائعة فى هذه الحضارة .

هذا التقدم حصل — كما هو المعلوم — لأسباب تاريخية لاحاجة إلى بيانها — فى أرض الغرب ، لجاء ممزوجاً بعقليته ، و اتجاهه ، و ذوقه وتجاربه الخاصة القاسية بطبيعة الحال ، ذلك فضلا عن المعايير والقيم و المعتقدات و المناهج التربوية وبعض الرواسب الصليبية ، لحينما يبنى الغربى فندقاً مثلا . . يأتى هذا الفندق صورة لخياله ،

و انعكاساً لهويته ، و ترجماناً لرغباته و شهواته ، و ميدانــاً لسكره و عربدته . . و لا عتاب ، فالشجرة لاتلام على ثمرتها ، و الذى خبث لا يخرج إلا نكداً . .

فصالة الرقص ضرورية ، و المسابح المختلطة لازمــة ، و الخمر و الخنزير لازمان ، و ألوان من التسلية المحرمة متوفرة . .

أما المسجد ، أو موضع خاص معلوم للصلاة والعبادة فلا محل له ، والتواليت لا مكان فيه للطهارة كما بينها الشرع ، و لا مراعاة فيه للآداب الاسلامية طبعاً . .

و هكذا فقل عن أجهزة الاعلام ، و أخص بالذكر منها الاذاعة و التلفزيون فالغناء و الرقص و سائر ضروب الفحشاء و المنــكر و البغى صارت جزءاً أساسياً لازماً لهذه الوسائل الاعلامية . . تحت عنوان الترفيه و التسلية و تنشيط الذهن .

و هذا المثل ينطبق على زى المرأة ، و مسألة السفور و التبرج ، و التعليم المختلط فى الجامعات و ما شاكلها .

إن التقدم العلمى و الصناعى فى الغرب جاء متأثراً بقيم المجتمع الأوربى و أهدافه المتميزة بالطبع ، ولكنه لا يعنى أن نرفض هذه الحضارة برمتها أونحاربها حرب العميان . . كلا ! إن الاسلام لا يسمح لنا بالصمم و العمى حتى فى آيات الله ، فكيف بشرور الحضارة المادية و آفاتها .

« و الذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً و عمياناً » .

إن المطلب الوحيد الذى نصر عليه ... هو أن لا نقبل هذا التقدم المشبوب بشوائب المادية الرعناء على علاته وعواهنه ... أن لا نكون صماً وعمياناً ، ولا نكون أطفالا صغاراً أو تلاميذ مبهورين ببريق الغرب . . كلمــا رأوا جديداً و طريفاً ولو كان مضحكاً سخيفاً صفقوا له بحرارة ، و هتفوا بلسان الحال إن لم يكن بلسان المقال ـ آمنا وصدقنا ـ و قالوا لكل فيلسوف و أديب و مفكر طلع من الغرب :

أصبت ، و أحسنت . إنما نريد أن نأخذ هذه الأشياء كانسان متبصر ، واع ، كامل الشخصية ... فحينما نستورد مثلا تلك الأشياء التى تدخـــل فى دائرة العموميـات ، لا نستوردها إلا بعد تمحيص و تدقيق ، و تصليح و ترميم .

نريد أن نجعلها صالحة لأغراضنا الاسلامية ، متشبعة بالروح الاسلامية فنغير فيها كالأحرار أو نرفض بعضها ـ التى ليست فيها كبير فائدة ، أو إثمها أكبر من نفعها ـ بتاتاً كالأحرار . . وأن نحافظ ـ بقدر الامكان ـ على الطابع الاسلامى فى كل جزء من أجزائها ، فى طراز البناء ، و الأزياء وآداب المعاشرة و الاجتماع . . فى المآدب و الحفلات ، و فى السهرات العائلية و أعياد العرس و الزفاف و نحو ذلك . و أن نحترز فيها عن البذخ و الاسراف و أسباب الرياء و السمعــة التى أنكرها الاسلام و شنع عليها و على أهلها ! و أن نفرق فيها بين الحاجة و الشهوة ، لحكم ما يأتى فى الحاجة غير ما يأتى فى الشهوة طبعاً ، ولكنهما يختلطان أكثر الأحيان.

و الصحافة التى يسمونها صاحبـــة الجلالة . . و قد نازع عرشها و تاجها التلفزيون الآن . . فأمرها كأمر سوابقها .

إن كلامنا اقتصر حتى الآن على تلك الوسائل البريئة ، و التقدم « المجرد » أو فى تعبير آخر تلك الآلات التى قد تستعمل فى خير و قد تستعمل فى شر ، إنها كالجوارح و الأعضاء للانسان يستعملها فيما يملى عليه قلبه وعقله و ضميره و وجدانه ، و ما يؤمن به و يصدقه .

و فيها نوعان .

نوع يمثله — قلم الحبر « باركر » مثلا — الذى أكتب به هذه السطور فقد أستطيع أن أستعمله بكل حرية فى إشاعة المنكر و الفحشاء أو فى التشكيك و إثارة الشبهات فى أذهان الجيل الجديد ، و قد أستطيع أن أستعمله أيضاً ، فى إعادة الثقة

بالاسلام ، و إثارة البغض و الكراهية و الحقد ضد كل ما هو جاهلى دخيل فى الاسلام ، و فى إحياء معانى الاخوة فى الله و الحب فى الله ، أو فى إقناع الشباب المصرى بخلود الاسلام و عبقريته و حلوله الناجحة لمشكلات الانسان .

هنالك لا عبرة بالقلم الذى هو آلة بسيطة فى يد الانسان ، إنما العبرة بالنية و حسن الاستعمال . و حسن الاخلاص و الصدق مع الله .

و هكذا السيارة فقد تستطيع أن تتوجه بها إلى « بار » أو تتوجه بها إلى مسجد أو حلقة من حلقات العلم والذكر ، و مركز من مراكز العلوم الاسلامية ، فلا اعتبار للسيارة إنما الاعتبار للهدف المنشود .

و هناك نوع آخر و تمثله حياة الفنادق أو أجهزة الاعلام ، فقد اختلط فيها السم بالدسم .. جانب منها مشرق ، وجانب منها مظلم ، ذلك ما يحتاج إلى إصلاح و تقويم ، ومراقبة وحسبة و التمسك بعنانها بدقة وشدة حتى لايطغى كالجمل الهائج .

و هناك نوع ثالث أخير . . و يمثل هـذا النوع المناهج التربوية و القيم التى قام عليهـا المجتمع الاسلامى ، و المبادىء التى توجـه مسيرة الأمة و تقرر مصيرها و تشرف عليها حتى النهاية .

فانها أشياء تحتاج إلى تحرر كامل و تخلص كلى من جاذبية الحضارة الجاهلية المعاصرة، ويجب صوغها من جديد وفق متطلبات الأمة من غير تزمت عقيم أو تخط للحدود ، لأنها من خصوصيات الأمة ومن قيمها و مسلماتها ، ومبادئها و معتقداتها .

و الدوافع الحافزة والعوامل المؤثرة فى هذا المجال تختلف عما هو عليه الشعوب الجاهلية المعاصرة من قمة رأسها إلى أخمص قدميها .

و تأتى فى هذه الدائرة ـ دائرة الخصوص ـ ما يعبر عنه القرآن بقوله المعجزة الخالدة ، الحاسمة الرائدة .

« و يسئلونك عن الخمر و الميسر قل فيهما إثم كبير ، ومنافع للناس و إثمهما أكبر من نفعهما » .

« إثمهما أكبر من نفعهما » هو المقياس الذى يقاس به سائر النشاطات الثقافية و السياحية و الفنية و المعمارية التى يزخر بها المجتمع المعاصر ، سواء منه المسلم أو غير المسلم .

فالملاهى والمسابح المختلطة و السهرات الليلية والبرامج الغنائية ، والصور المثيرة ، والرحلات الاعلامية المختلطة و نوادى الخمر والميسر ، والأفلام العارية ، والروايات الماجنة ، كلها وأمثالها تأتى فى هذا الحصر القرآنى العجيب « اثمهما أكبر من نفعهما » إنها فى قائمة الحذف . .

فلا مكان لها فى أمة الاسلام ، فى أمة محمد ﷺ ، فى خير أمة أخرجت للناس .

و ينبغى لها أن تحذف فى أمة تواجه أخطر التحديات ، و المؤامرات فى العصر الحديث . .

حياة بعيدة عن التنعم و الرخوة والنعومة . . و مناهج تربوية تتسم بالأصالة و الاستقلال ... و وسائل مسخرة فى سبيل الدعوة ، و حظر النشاطات الثقافية المشبوهة من أجل الحفاظ على شرف الشباب المسلم و الحفاظ على كرامة البنت المسلمة . . من لوازم البناء الاسلامى فى العصر الحديث . .

وكل مواجهة للحضارة المعاصرة أو صدها ، أو التعامل معها ، مما لا يأتى فى هذا الضوء يبقى عقيماً ضعيفاً منهاراً لا يحتمل أى صدمة .

و كل تقييم لهذه الحضارة يأتى ناقصاً أو مشبوهاً ، إذا فاتنا هذا المقياس الاسلامى للحضارات و المدنيات و الثقافات و الآداب .

((O))

نداء و تذكير للتبرع للمجاهدين الأفغان في هذا الشهر الكريم شهر رمضان

بقلم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز
رئيس إدارات البحوث العلمية و الافتاء
و الدعوة و الارشاد (الرياض)

الحمد لله وحده، و الصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه أجمعين و بعد:

فيقول الله تبارك و تعالى: «مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة و الله يضاعف لمن يشاء» الآية.

و يقول رسول الله ﷺ «مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى و السهر» و يقول ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» و شبك بين أصابعه و يقول ﷺ «من جهز غازياً فقد غزا و من خلفه في أهله بخير فقد غزا».

فمساعدة المجاهدين والمهاجرين الأفغانيين من أفضل القربات، ومن أعظم الأعمال الصالحات من الزكاة و غيرها، و من حكمة الزكاة في الاسلام و الصدقات، أن يشعر المسلم برابطة تجذبه نحو أخيه، لأنه يشعر بما يؤلمه، ويحس بما يقع عليه من كوارث و مصائب، فيرق له قلبه، ويعطف عليه، ليدفع مما آتاه الله بنفس راضية، و قلب مطمئن بالايمان.

و المجاهدون الأفغان و المهاجرون منهم ـ وفقهم الله - جميعاً يعانون مشكلات فى حياتهم ،فرغم أن عدوهم و عدو الدين الاسلامى يضربهم بقوته وأسلحته ، وبكل ما يستطيع ، فانهم ـ بحمد الله ـ صامدون و مصرون على مواصلة الجهاد فى سبيل الله كما تتحدث عنهم الأخبار و الصحف ، لم يضعفوا و لم تلن شكيمتهم ، إلا أن مشكلتهم نتجت من الدمار الذى حل بديارهم ، والتخريب الذى أحدثته أسلحة الروس و طائراتهم ، و الفاقة التى حلت بأهليهم ، مما تسبب فى هجرة جماعية إلى باكستان فقد ذكرت الأنباء الأخيرة بأن عدد اللاجئين الأفغان قد وصل إلى ثلاثة ملايين كلهم هربوا من ديارهم و أماكن رزقهم و أصبحوا بدون مأوى و لا مصدر رزق إلا ما ييسره الله ممن أفاء الله عليه بنعمة ليجود بما يستطيع .

و إنها لدعوة أوجهها لاخواننا المسلمين فى كل مكان فى هـذا الشهر الكريم المبارك الذى تضاعف فيه الحسنات و تلغى فيه السيئات و تقال فيه العثرات و تفتح فيه أبواب الجنة بأن يقدموا لاخوانهم الأفغان مما آتاهم الله من رزق ومال بالصدقات التى لا يراد بها إلا وجه الله ، و منها الزكاة التى فرضها الله فى أموالهم حقاً لمن حددهم الله جل و علا فى سورة التوبة و هم ثمانية ، يدخل إخواننا المجاهدون و المهاجرون الأفغان فى ضمنهم .

و الله تبارك و تعالى عند ما فرض الحق فى مال الغنى لأخيه المسلم فى آيات كثيرة من كتابه الكريم كقوله تعالى : « و الذين فى أموالهم حق معلوم للسائل و المحروم » و قوله سبحانه و تعالى : « آمنوا بالله و رسوله و أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم و أنفقوا لهم أجر كبير » .

فانه يثيب المسلم على ما يقدم لاخوانه ثواباً عاجلا وثواباً أخروياً يجد جزاءه

عنده فى يوم لا ينفع فيه مال و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، كما و يدفع عنه فى الدنيا بعض المصائب التى لو لا الله سبحانه و تعالى ثم الصدقات و الاحسان لحلت به أو بماله أو بولده ، فدفع الله بلاءها بصدقته الطيبة وعمله الصالح يقول الرسول ﷺ « ما نقص مال من صدقة » و يقول صلوات الله و سلامه عليه إن الصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار » و يقول ﷺ فى الحديث الصحيح (اتقوا النار و لو بشق تمره) .

وإخوانكم الأفغان أيها المسلمون يقاسون آلام الجوع والغربة و الحروب الفردية فهم فى أشد الحاجة إلى الكساء و الطعام ، و فى حاجة إلى الدواء كما أن المجاهدين منهم فى أشد الضرورة إلى هذه الأشياء و إلى السلاح الذى يقاتلون به أعداء الله أعـــداءهم .

لجودوا عليهم أيها المسلمون مما أعطاكم الله ، و اعطفوا عليهم يبارك الله لكم ، وتأسوا برسول الله ﷺ فى اهتمامه بمن فى مثل حالة المهاجرين الأفغان الذين طردوا من ديارهم و بيوتهم كما جاء فى الحديث الصحيح عن جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه قال : « كنا فى صدر النهار عند رسول الله ﷺ لجاء قوم مجتابو النمار أوالعباء متقلدو السيوف ، عامتهم من مضر بل كلهم من مضر ، فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة فدخل، ثم خرج ، فأمر بلالا فأذن و أقام فصلى، ثم خطب فقال :

« يا أيها الناس اتقو ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها و بث منهما رجالا كثيراً و نساء و اتقوا الله الذى تساءلون به و الأرحام إن الله كان عليكم رقيبا » والآية التى فى الحشر « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس

ما قدمت لغد » تصدق رجل من ديناره ، من درهمه ، من ثوبه ، من صاع بره ، من صاع تمره ، حتى قال : و لو بشق تمرة ، قال : فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها ، بل قد عجزت ، قال : ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب ، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ تهلل كأنه مدهنه ، فقال رسول الله ﷺ : من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شئ ، و من سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها و وزر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أوزارهم شئ » رواه مسلم فى صحيحه .

ثم هذه النفقة توجرون عليها و تخلف عليكم كما قال الله سبحانه و تعالى « و ما أنفقتم من شئ فهو يخلفه و هو خير الرازقين » و قال النبى ﷺ :

« يقول الله عز و جل يا ابن آدم أنفق تنفق عليك »

فنسأل الله عز و جل أن يضاعف أجركم ويتقبل منكم ما تجودون به وأن يعين المجاهدين الأفغان ويثبت أقدامهم فى جهادهم وأن ينصرهم على عدو الاسلام و عدوهم إنه سميع مجيب .

و صلى الله على نبينا محمد و آله وصحبه و سلم .

صور و أوضاع

من هو الارهابي . . ؟

واضح رشيد الندوي

تصدر بأقلام الكتاب الغربيين مؤلفات و بحوث بين فنية و أخرى للطعن فى الاسلام و المسلمين ، و لتصوير المجتمع الاسلامى المنتشر فى مختلف أنحاء العالم بأنه مجتمع مظلم ، كئيب ، تسيطر عليه قوى الظلم ، ومتخلف لأنه يخضع لتعاليم القرآن التى تختص بمجتمع القرون البدائية و تحث على القتل ، و التعذيب ، و النخوة ، و تظهر صور كاريكاتورية تعبر عن حقد الكتاب والمصورين الغربيين عن الاسلام والمسلمين ، و تخوف العالم بمصير الانسانية المشئوم إذا خضع لنفوذ المتطرفين المسلمين ، أو إذا ساد الاسلام الغرب و تحققت الصحوة الاسلامية . و يحاول هؤلآء الكتاب إقناع العالم بأن كل ما يحدث من مآس ومساوئ وظلم و من أعمال قتل ، وما يواجه المجتمع الاسلامى من شقاء ، يرجع إلى تمسك بالاسلام و اتباع تعاليم القرآن ، وذلك إضافة إلى محاولات النيل من الشخصيات الاسلامية ، والاستخفاف والازدراء بالمسلمين و أعمالهم و تصرفات حكامهم بدون التمييز بين ما يصدر منهم من أعمال تقليداً للغرب ، و محاكاة له ، وبين ما يصدر منهم نتيجة لظروف فرضت عليهم من الحكام الغربيين ، فانهم يحولون كل ما يحدث من سيئات إلى الدين ، و القرآن .

تنال هذه الكتب ، و التقارير عن العالم الاسلامى الحاقدة رواجاً و شيوعاً لأنها مدعمة بوسائل التوزيع و النشر فتصل إلى أقصى العالم و أدناه ، و تتعرض الصحف الاسلامية عند ما تتعرض لها فلا يقرؤها إلا عدد ضئيل من الذين تصل

إليهم بعد اجتياز حواجز كثيرة تضعها الحكومات ، وضآلة الوسائل المالية ، فتروج القصة التى تروجها وسائل الاعلام الغربية ، وخاصة فى الطبقات التى بيدها سلطات التنفيذ و التربية فتسمم أذهانها .

إنها مشكلة العالم الاسلامى ، إنه يرى ويشهد و يسمع ما يجرح مشاعره ويشوه تاريخه ، فيعيش فى كبت نفسى ، وأكبر ما فى هذا الأمر من شقاء أن هذا التزوير و الاختلاق ، و التشويه يجرى رغم وجود حكومات إسلامية مدعمة بالوسائل ، و يحدث على مرأى من القادة المسلمين و مسمعهم فلا يتجرأ أحد لتكذيبه ، و للرد عليه ، و الاحتجاج و التنفيذ ، إلا الأقلام المرتعشة و الأفواه المكممة .

أليس من مأساة هذا العصر أن يوصف دين الحق ، و العدالة ، وشرف الانسان ، بدين الارهاب والظلم ، و الذلة ، و أن توصف أمة حررت العالم ومنحته حضارة انسانية ، و وحدة ، و حرية ، بأمة التخلف و التزمت ، و القسوة .

لاشك أن واقع العالم الاسلامى يقدم برهاناً ومبرراً لما تكتبه وسائل الاعلام الغربية ، وخاصة فى السنتين الأخيرتين التى وقعت فيهما أحداث مؤلمة ، فى كثير من أنحاء العالم الاسلامى ، كسوريا و مصر ، و العراق و إيران ، و بلاد أخرى ، و لكن الحقيقة أن هذا الواقع مفروض على المسلمين و يرجع كله إلى النظم الغربية التى تحكم هذه البلدان ، فقد وقعت حوادث العنف فى كثير من هذه البلدان ، نتيجة لقمع رغبات الشعوب التى تريد العودة إلى الاسلام ، ونفذت رغبات الحكام الغربيين الذين يوجهون هذه الحكومات ، فلم يقتل شخص واحد بمعارضته الاسلام بل قتل آلاف و آلاف لأنهم أرادوا أن يكون للاسلام أمر و نهى .

أما الحرب الايرانية العراقية فانها حرب مفروضة على المسلمين ، لأن كلا من البلدين يستمد من القوى الغربية ، ولا تجرى هذه الحرب للاسلام و لا لمصلحة المسلمين ، بل إنها حرب إقليمية ، عنصرية ، و عقائدية .

و على الجانب الآخر ما يجرى على ساحة العالم من إكراه و جبر و قمع و اضطهاد للمسلمين لأنهم مسلمون و ما ينتهك من حرماتهم ، و يكره أولادهم على تعلم نظريات ومذاهب مناوئة لعقيدتهم وتاريخهم فهو مما لا ينكره إلا جاحد أوجاهل ، فان شعوباً كاملة مضطهدة فى العالم الشيوعى لا تمنح حرية العبادة، ولا حرية العمل، ولا حرية الاشتراك فى الحياة العامة ، و هى تعيش مكبلة تخضع باكراه شديد لقبول الشيوعة التى تعلن حرباً على الدين .

و هناك شعوب مسلمة خاضعــة لنظم غير إسلامية فى بلادها مكممة الأفواه ، فرضت عليها ظروف لا تقبلها .

أليس من باب الاضطهاد والكبت أن مجلة تنشر تفاصيل عن نشاطات التنصير فى العالم فتصادر هذه المجلة فى بلد إسلامى عربى ، و فى الوقت نفسه يسمح للكتب و المنشورات التى تهزأ بالاسلام و المسلمين . وتشوه سمعتهم بالدخول ، و الانتشار ، و من هذه الصحف و المجلات ، الصحف و المجلات التى تحمل الحقد و الكراهيـة للاسلام ، فتجد لها الأبواب مفتوحة .

أليس من باب الاضطهاد و الكبت أن الكتب الدينية تصادر و تمنع فى كثير من البلاد الاسلامية فور وصولها إلى الموانى و المطارات و الحدود ، بدون تحقيق و يسمح للكتب و المجلات الخليعة الهازئة و الفلسفات المعارضــة للاسلام و المسلمين ، بل يرحب بها .

أليس من باب الاضطهاد أن كل تنظيم لتنمية الروح الاجتماعية البناءة و إن كان أدبياً و ثقافياً ، يمنع فى البلاد الاسلامية و يسمح للحركات الهدامة و التنظيمات التى تشيع الميوعة و الفساد ، و محاربة الأخلاق فى الشباب .

أليس من باب الاضطهاد أن يسمح بترويج النصرانية ، و يسمح ببناء الكنائس ،

و تزويدها بوسائل الاعلام، وتستغل المؤسسات الخيرية والمرافق العامة لنشر المسيحية فى البلاد الاسلامية . و تمنح الحق لانشاء مطارات ، و محطات الاذاعة ، ولا يسمح لدعاة الاسلام بانشاء أى حركة أو منظمة للدعوة الاسلامية ، بل يفرض على كثير منهم حظر على تنقلاتهم .

إن الأغلبية الاسلامية محكومة فى بلادها لأقلية غير إسلامية تساندها الحكومات الأوروبية ، و هى تعيش ضد رغباتها ، و يدعم الغرب حكومات الأقليات ، و تبذل كل طاقتها لتظل جاثمة على صدور المسلمين .

لقد ضحى أكثر من مليون مسلم بحياتهم فى أفغانستان لحريتهم و شرد أكثر من أربعة ملايين ، و ضحى أكثر من مليون مسلم فى الجزائر لحريتهم ، و يواجه السودان و الصومال حملات صليبية تكلف البلدين خسائر جسيمة، ولا يزال المسلمون يضطهدون فى الفلبين الصليبية واغتصبت إسرائيل أرض المسلمين وهى تعيش هانئة سعيدة تتمع بكل دعم و مساندة من الغرب ، وحماية من المعسكرين الأوربيين ، ولم تعاقب على المذابح التى ارتكبها عملاؤها فى صبرا و شتيلا ، وما ترتكب من تدمير المقدسات الاسلامية و إبادة الجنس البشرى فى أراضيها المغتصبة .

و علاوة على هذه المآسى التى يمر بها المسلمون تهب موجات عارمة لابادتهم و تشريدهم فى بلدان تدعى بالحضارة و الحرية و الأمن .

و لكن مع كل ذلك فان المسلمين إرهابيون ، و دينهم دين إرهاب ، هـذا هو منطق العصر ، بل هذا هو منطق الغرب ، و هو منطق غريب ، و لكن :

إذا قالت حذام فصدقوها ... فان القول ما قالت حذام

إصلاح المجتمع لا يغنى عن إصلاح الفرد

من طبيعة هذا العصر ، الذى شهد الكفاح ضد الاستعمار والظلم الاجتماعى ، أن العاملين يفضلون المجهود الجماعى على المجهود الفردى ، لأن المجهود الجماعى أقل خطراً ، و أكثر أثراً ، بينما كان العصر السابق ، عصر المجهود الفردى ، و قد تسرب هذا الذهن ، ذهن العمل الجماعى إلى كل مجال من مجالات العمل ، الذهنية منها والعقلية ، والعملية، فتنشأ لنيل حقوق العمال نقابات العمال، لأن العامل لوحده لا يملك تلك القوة ، و التأثير والنفوذ ، ما تملكه نقابته ، كذلك تختلف الصلاحيات و الكفاءات ، فقد يملك رجل صلاحية فكرية و ذهنية و لا يملك صلاحية التنفيذ والعمل، وغيره يملك صلاحية الجرأة والمخاطرة ، ولا يملك صلاحية التفكير فتتكاتف هذه الصلاحيات و تتمخض عن صلاحية مؤلفة من صلاحيات هى مصدر قوة هذه المجموعة البشرية .

وقد حقق الانسان انتصارات كبيرة بتنظيم الصلاحيات وتوجيه الجهود المركزة فى ضوئها .

و فى المجالات العلمية كذلك كانت طبيعة الانسان فى الماضى تميل إلى المجهود الفردى ، فقد خلف شخص واحد موسوعات ضخمة فى مختلف المواضيع العلمية بمجهوده الفردى ، ما تتحير به العقول اليوم ، الذى تعود فيه الانسان على المجهود الجماعى فلا يتصور تحقيق عمل جسيم بدون مشاركة عاملين آخرين،وبدون نظائر الجهود ، فاذا أريد اليوم إنجاز عمل جسيم فى موضوع من المواضع العلمية و الفكرية ألفت لجان و شكلت مجامع علمية ، و قد تشترك عدة أقلام و أذهان فى إعداد كتاب واحد،ولا يستغرب اليوم إذا وجدت ثلاثة أسماء فى تحقيق كتاب أو تهذيب كتاب أو وضع كتاب علمى ، حتى الترجمة و النقل لا يخلو من المجهود الجماعى .

و قد تختلف الأسباب و الدواعى لهذا الاتجاه ، إما حب توفير الوقت و إما

عدم الكفاءة العلمية الفردية ، و إما الافراط فی حب الاستطلاع ، و إما غلبة طبيعة العمل الجماعی ، لأن لكل عصر طبيعة ، تكتسح سائر المجالات ، و طبيعة هذا العصر طبيعة اجتماعية لا فردية .

و فی میدان الدعوة و الابلاغ أيضاً مثل الميادين الأخرى تكتسح هذه الطبيعة فلا يتصور عمل دعوی إلا تحت جمعية أو منظمة أو حركة ، وقد نشأت فی أواخر القرن الماضی حركات و تنظيمات و جمعيات كثيرة و هی معروفة اليوم ، و لا ينكر ما لعبت من دور فعال فی تنظيم الجهود الدعوية ، و ما كان لها من منجزات و نفوذ بحيث إن الحكومات القائمة شعرت بخطرها ففرضت عليها رقابات ، وقيوداً و حاكت مكايد و مؤامرات لتشتيت شملها ، و تحطيم قوتها الجماعية ، و نفوذها فی الشعوب الاسلامية ، ولا يخفى على أحد ما لاقته حركة الاخوان المسلمين ، والحركات الاسلامية فی مختلف أنحاء العالم الاسلامی و جمعيات التبليغ و الدعوة من قبول وشعبية ونفوذ مما دفع الحكومات فی البلاد الاسلامية إلى التحديد من نشاطاتها ، و فرض القيود على تحركاتها و دعوتها ، كذلك هناك جمعيات ونواد ، و اتحادات للدعوة و التربية الفكرية .

كذلك فی ميدان النشر والتوزيع و الطباعة ، فقد كانت ثمار العقول الفردية تظل مدفونة مطمورة لا ترى النور لضآلة الوسائل ولكن وجود دور النشر والمجامع العلمية ، ودور التوزيع التی يشارك فيها أصحاب رؤوس الأموال ، و قوى عاملة ، سهلت عملية الطبع والتوزيع ، فتتوافر اليوم الجهود الموحدة للطباعة و النشر فی العالم الاسلامی و هی عامل كبير فی توزيع الكتب الاسلامية ، و قد ساعدت هذه المجهودات على إخراج عدد كبير من المخطوطات إلى النور و إيصالها إلى دار العلم .

و ثمة مجالات أخرى لتضافر الجهود ، و لها مكاسب كثيرة و إسهام عظيم

في خدمة العلم ، و العمل ، و الدعوة و الاقتصاد و السياسة ، و سائر المجالات الأخرى من مجالات الحياة .

و لكن بجانب هذه المكاسب ثمة مواطن نقص كبير ، لا يمكن إهمالها و لا التغاضي عنها ، و منها ضعف القوى الفردية ، أولا ، لأن الاتجاه إلى الجهود المشتركة أحدث طبيعة التركيز على جانب واحد من العمل ، أو جزء منه ، فيكون أحد أخصائياً خبيراً في جانب ، و يكون كالرجل العادي في جانب آخر من موضوعه ، أما المواضيع الأخرى فلا معرفة له ، و هو يعد من العلماء الباحثين في اختصاصه ، لكنه لسمعته و نفوذه في اختصاصه يتدخل في جوانب أخرى من العلم و العمل بدون معرفة لها ، فيسيئ أكثر مما يفيد ، و منها ضعف الثقة بالنفس و الاستقلال بالذات ، فتضيع بذلك أحيانا الصلاحيات الفردية و لا تجد مجالا للنمو و الانطلاق فلا تنشأ صلاحيات فائقة وإنما تنشأ صلاحيات على المستوى المتوسط .

وقد أساءت هذه المعرفة الجانبية كثيراً وأحدثت مشاكل كثيرة للمجتمع اليوم ، كما حالت دون تكون صلاحيات فردية ممتازة ، فقد كان العهد السابق ينجب عمالقة ، و أقطاباً في العلوم و التربية الدينية ، و التورع و الزهد ، و الصلاحيات العملية ، فيحمل شخص واحد منهم ما ينوء بعصبة أولي قوة ، في القوة و الذكاء ، والمعرفة ، و الادراك النفسي ، و الحكمة و الدهاء ، و الصبر و التحمل ، و الأخلاق ، فكان مشعلا و نبراساً لغيره يلتف حوله الناس و تتألف جماعة و حركة تغير مجرى الحياة ، وكان هؤلاء الأفذاذ يتوافرون في جماعة العلماء ، و السلاطين والقادة ، و المفكرين ، و رجال الفن .

و كانت هذه الكفاءات الفردية تنال كل تشجيع من الشعب ، و الحكومات ، و لغلبة طبيعة الانتماء إلى العمل و التركيز عليه و الاخلاص فيه إن لم يكن هناك

تشجیع و إغراء مادی كان هذا الانتماء و الارتباط بالعمل و حب البراعة والابداع فيه ، يكسب لذة و متعة تفوق لذة المال و الجاه ، و إن كان صاحب العمل ممن أكرمه الله بحبه و حب رضاه و العمل للآخرة فكان ممن لا تسخره و لا تسحره الوسائل الحكومية ، فكان غنياً لا يشتريه المال منقطعاً إلى عمله .

كان هؤلاء الأفراد أفراداً لكنهم كانوا يغيرون مجرى التاريخ بقوتهم الذاتية ، و نفوذهم على ملايين ممن كانوا يلتفون حولهم فكانت ترتج لهم العروش و أبواب الملوك المستبدين .

لقد ركزنا اليوم قوانا على الجميات و الحركات و الأعمال الاجتماعية و اقتنعنا بثمار جهود الجماعة المشتركة و أهملنا جانب تربية الكفاءة الذاتية ، و التركيز على بناء الذات ، و إعداد النفس لتحمل الأعباء و تحمل المكروه ، و المصابرة .

و قد حث الاسلام على تربية المجتمع والفرد معاً ، و بينما تؤكد الاسلام على تنمية روح الجماعة يؤكد كذلك على تنمية الصلاحية الذاتية بالرياضة الذاتية ، و هی نقطة مهمة يفضلها العاملون اليوم الذين ينسلكون فی جماعة ورابطة أو حزب ، فيفكر مصلح فی إصلاح العالم و لا يفكر فی إصلاح قومه ، و أسرته و عشيرته ، و أكثر من ذلك إصلاح نفسه ، كما يرتاح و يبتهج بثمار جهود جماعته وحزبه ، ويتمجد بها ، و لا يهمه ما فعل هو نفسه فی تحقيق هذه الأهداف ، و ما هو دوره و جهاده ، و ما هو نصيبه من الصلاح و العلم و العمل ؟ .

أخى القارىء :

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

حرصاً على تأمين و سلامة وصول المجلة إليك نرجو :

١- كتابة العنوان بالانجليزية و العربية كلتيهما فى ورقة خاصة ، كل حرف على حدة ، و إرساله إلينا .

٢- إرسال اشتراك بالقيمة المبينة أدناه باسم « البعث الاسلامى » مقابل عام واحد أو أكثر :

٣- أرفق شيك الاشتراك ضمن مظروف مسجل إلى العنوان المذكور أدناه .

الاشتراكات السنوية

فى الهند : ٤٠ روبية ، ثمن النسخة : أربع روبيات .

فى العالم العربى ١٢ دولاراً بالبريد السطحى ، ٢٥ دولاراً بالبريد الجوى .

فى أوربا و أفريقيا و أمريكا : ١٢ دولاراً بالبريد السطحى ، ٤٠ دولاراً بالبريد الجوى .

فى باكستان و بنغلاديش و دول شرق آسيا : ١٢ دولاراً بالبريد السطحى ، ٢٥ دولاراً بالبريد الجوى .

A L B A A S E L I S L A M I

N A D W A T U L U L A M A

P. O. Box No. 93 LUCKNOW (INDIA)

PHONE : 72338
73864

REGD. NO. LW/NP 59

Albaas-el-islami

NADWAT-UL-ULAMA, LUCKNOW.(INDIA)

صدر حديثاً :

المنهج الإسلامي السليم

بقلم : السيد محمد الحسني

منشىء مجلة « البعث الاسلامى »

و رئيس تحريرها سابقاً

تقديم

السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي

الناشر : دار القلم الكويت

قام بالطبع و النشر جميل أحمد الندوى فى مطبعة ندوة العلماء ـ رئيس التحرير : سعيد الأعظمى

...رنا الو...
إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

...ها: ندوة العلماء، لكهنؤ، الهند

أخي القــارىء :

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

حرصاً على تأمين و سلامة وصول المجلة إليك نرجو :

١- كتابة العنوان بالانجليزية و العربية كلتيهما في ورقة خاصة ، كل حرف على حدة ، و إرساله إلينا .

٢- إرسال اشتراك بالقيمة المبينة أدناه باسم « البعث الاسلامي » مقابل عام واحد أو أكثر :

٣- أرفق شيك الاشتراك ضمن مظروف مسجل إلى العنوان المذكور أدناه .

الاشتراكات السنوية

في الهند : ٤٠ روبية ، ثمن النسخة : أربع روبيات .

في العالم العربي ١٢ دولاراً بالبريد السطحي ، ٢٥ دولاراً بالبريد الجوي .

في أوربا و أفريقيــا و أمريكا : ١٢ دولاراً بالبريد السطحي ، ٤٠ دولاراً بالبريد الجوي .

في باكستان و بنغلاديش و دول شرق آسيـا : ١٢ دولاراً بالبريد السطحي ، ٢٥ دولاراً بالبريد الجوي .

A L B A A S E L I S L A M I

N A D W A T U L U L A M A

P. O. Box No. 93 LUCKNOW (INDIA)

العدد القــادم

لا يصدر في شهر محرم ١٤٠٥هـ وهو العدد الخامس للمجلد التاسع و العشرين و سيصدر العدد الخامس في غرة صفر ١٤٠٥هـ بإذن الله تعالى ، فلا يترقب القرّاء المجلة في شهر محرم ١٤٠٥هـ .

أنشأها فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني (رحمه الله) في عام ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية
رئاسة التحرير
سعيد الأعظمي الندوي
واضح رشيد الندوي

المجلد التاسع و العشرون
العدد الرابع
(ذو الحجة ١٤٠٤هـ)
(سبتمبر ١٩٨٤م)

عنصر الحب

إذا استعرضنا المجتمع الاسلامي في القرن الأول وجدناه مشرقاً بنور من الحب و الأخوة و السلام ، و التاريخ الاسلامي حافل بأمثلة رائعة من هذه الناحية يندر نظيرها في تاريخ الأمم الأخرى ، و إذا فكرنا اليوم في أحوال المسلمين و أمعنا النظر في الأوساط الدينية و الهيئات الاسلامية و استعرضنا هذه المشكلات ، التي تعترض الركب الاسلامي في كل مكان رأينا أن السبب لذلك كله هو عدم العناية بالحب و الاستهانة بأهميته في الدين الاسلامي و ضرورته لمجتمع الانساني .

فليتخذ شبابنا المسلم شعاره الأول ، الحب و الاخلاص ، و مهمته الأولى إشاعة الحب بين الناس حتى تنجلي تلك الظلمات المتكثفة التي أحاطت بالمسلمين هذه الأيام ، فهو حجر زاوية في بناء الاسلام ، نادى به القرآن العظيم و ندب إليه الرسول الكريم و عمل به المسلمون في القرون الأولى .

[محمد الحسني - رحمه الله]

البعث الاسلامي ندوة العلماء ص.ب ٩٣ لكهنؤ (الهند)
ALBAAS-EL-ISLAMI Nadwat-ul-Ulama LUCKNOW (India)

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحيـــة :

أمة العطاء فى حاجة إلى العطاء

المعنيون بقضية المسلمين اليوم لا يدخرون وسعاً فى التفتيش عن العلل والأسباب التى جعلتهم فى مؤخر الركب ، و فى أذيال الأمم و الشعوب المعاصرة ، ولم يقتصر الاعتناء بهذه القضية المهمة على جانب واحد أو عدة جوانب ، ولكنه شمل الموضوع كاملا بشئ كثير من الجدية و الدراسة و على جميع المستويات ، و قد وفق علماء الدين و رجال الدعوات و الحركات الاسلامية ، وأهل الاصلاح والتربية ، وأصحاب القلم و اللسان ، إلى الاهتمام بدراسة أوضاع المسلمين فى العالم الاسـلامى و خارجه على السواء ، ذاك أن الاهتمام بأمر المسلمين مسئولية من صميم الدين تعود على هذه الطبقة ، ممن أكرمهم الله بالتمكين فى الأرض عن طريق العلم و الفكر و الفهم الخالص السليم ، « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر و لله عاقبة الأمور » .

و لقد كانت هذه المسئولية من أهم ما يؤول إلى هذه الطبقة من المسلمين نحو إصلاح الأوضاع و تربية الجماهير على الفضائل و الآداب الاسلامية ، إذ أن الواقع الذى عاشه المسلمون فى حياتهم بوجه عام و لا يزالون ، يكفى لاثارة القلق و الهموم فى نفوس القادة من الدعاة و العلماء و المربين ، الذين يقومون بطبيعة الحال حيال الواجب الذى يتحتم عليهم نحو بذل المجهودات المخلصة فى سبيل التوجيه و التربيـة و الدعوة إلى الخير .

و من تأثير هذه الدعوة الخاصة و ثمار التربية الدينية أن المسلمين ظلوا وثيق الصلة بدينهم ، مطلعين على حقائق العقائد و الأحكام التى يقوم عليها صرح الحياة الاسلامية ، و عارفين بتفاصيل و دقائق الأخلاق والأعمال والآداب التي لا تكتمل هذه الحياة بدونها ، من هنالك أصبحت للسلمين شخصية متميزة إزاء الأمم والشعوب الأخرى ، و كانت ذات تأثير عميق فى مجريات الأمور العامة للحياة مما لا يختص بهم وحدهم ، بل يعم الحياة الانسانية فى كل مكان ، و إذا تأملنا تاريخ الحضارات الانسانية و درسناه بشئ من الجدية و الانصاف أدركنا تأثير المسلمين — فى قليل أو كثير — فى الأسس الحضارية لكل أمة ذات شأن ، وحتى إنها لا تكون بمعزل عن هذا التأثير فى العادات و الأخـــلاق و فى التقاليد و المراسيم التى تتبعهـا فى حياتها الخاصة .

والواقع الذى لامراء فيه أن الأمة الاسلامية ذات القياة العالمية تمثلت ـ عبر التاريخ ـ أمام العالم كأمة العطاء والمدد تعطيه ما يحتاج اليه فى بناء الهيكل الحضارى والفكرى ، وتمده بما هو يفتقر اليه فى رسم حدود الاجتماع والسياسة و الأخلاق ، و قد اقتبست منها أوربا العائشة فى الظلام قيماً وأسساً فى الحضارة والعلوم والمدنية و الاجتماع ، و استوحت منها الأمم الغربيـــة مفاهيم الحياة فى مجالاتها المتعددة ، و حتى فى القانون و التشريع و التخطيط المدنى ، و هكـذا عم عطاؤها فى المجالات الكونية كلها ، ولم تعد أى ناحية من النواحى الحية الانسانية إلا وأثرتها أمة الاسلام بالمعطيات الغالية من كل نوع .

إن استعراضاً قليلا للحضارات و الأخلاق التى سبقت مجئ الاسلام يساعدنا فى التوصل إلى حقيقة أنها لم تكن تمت بصلة إلى أساس من العدالة والمساواة ودافع من البناء و الانماء فضلا عن شعور بالقيم الخلقية و المثل الانسانية العليا ، و فضلا

عن عقيدة ذات جذور ثابتة تبعث على إيمان بالقوة المطلقة الخارقة، إنما كانت حضارة منهارة، مجردة عن كل أساس، و قائمة على أسس من الأثرة، و اتجاهات من النفعية، و على عبادة النفس و المصالح الذاتية، وتسخير القوى لدعم الفساد و الظلم والقسوة. فكانت طبقات من الناس تسعد على حساب الآخرين ممن كانوا يشقون لتوفير السعادة لرجال الطبقة العليا، زاعمين أنهم لم يخلقوا إلا لتحقيق هذا الغرض و الخضوع أمام السادة، و للشقاء و الذلة و الخنوع، هذا واقع عاشه الانسان فى القرن السادس والسابع الميلادى، وذلك رغم وجود الديانات التى كانت الطبقات الدينية تستند اليها إرساءاً لقواعد السيادة على الجماهير، و استبداداً بالشئون الدينية إزاء الحكام و الملوك الذين كانوا يحكمون هذه الجماهير فى المجالات السياسية و الشئون الدنيوية.

لم يكن بين الطبقتين أى اتصال أو مساس، فكان الحكام يتحينون الفرص لاذكاء شعلة الفساد والثورة بين الجماهير حول المعتقدات الدينية، و يترقبون مناسبات لاثارة الخلافات و الحروب فيما بين الناس لأتفه سبب، رجاء أن يستغلوها لصالح أنفسهم و ضرب بعضهم ببعض، و فرض عقوبات شنيعة و تنفيذ مخططات وحشية فيمن أرادوا ذلك، وحسبنا كمثال ما قد حدث فى النصرانية حول تعيين طبيعة المسيح عليه السلام، فقد توزعت النصارى فى ذلك بين طائفتين متنافستين، فبينما كانت « الملكانية » تقول بازدواجية طبيعة المسيح ووجود طبيعة الاله فيه مع وجود طبيعة البشر، إذا « بالمنوفيسية » التى تقول إن طبيعة المسيح واحدة وهى الالهية التى تلاشت فيها طبيعة المسيح البشرية، وإذا كانت الملكانية تمثل طبقة الملوك والحكام ومن معهم فى روما، كانت المنوفيسية تمثل نصارى مصر من الأقباط.

إن العداوة بين الطائفتين قامت على أساس الديانة و جرت إلى اختلال كبير لنظام الحياة فى مصر و الشام، و هى لم تعد محدودة بين فئات و طبقات بل إنها

مت الحياة فى جميع نواحيها ، ورغم ما بذله الامبراطور هرقل من جهود فى مجال توحيد العقيدتين و جمع الفئتين على كلمة واحدة باء بالفشل الذريع فى محاولاته ووقع فى زمنه من الفظائع ما تقشعر منه الجلود ، وكل ذلك باسم العقيدة و الدين ، ذلك لأن قبضة الدين على الحيـــاة كانت قد انحلت عراها ، و تفككت طاقتها ، و وصلت الحياة الانسانية عـــلى شفا جرف هار ، و صدق ذلك التصوير البارع الذى صوره القرآن الكريم للوضع المخزى الذى كان يغرق فيه الانسان إلى الآذان ، فقال و هو يمتن على الناس بنعمة الاســـلام عليهم « و اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءاً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ».

لا شك أن الاسلام قد أنقذ تلك المجموعة البشرية المتصارعة المتهالكة من الدمار الأخير الذى كان يتهددها ، و أوقفها تحت ظل الاخوة الاسلامية التى شملت المجتمعات كلها بالحب و الثقة ، و الرحمة و العطف ، و لذلك فان أول عمل قام به النبى ﷺ هو جمع القلوب على نقطة الايمان الواحدة ، و توحيد شمل الانسان المتشتت باسم الاخوة الايمانية التى نادى بها الله عز و جل فى كتابه فقال : « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ، و اتقوا الله لعلكم ترحمون » ، و فسرها النبى ﷺ فى قوله : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » و قال « والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » .

لقد قام الاسلام — بأمر من الله — باخراج الانسانية من زوبعة الدمار المنيفة ، حينما كانت الآمال كلها قد انقطعت عن إنقاذها منها ، وكانت الموشرات كلها تشير إلى أنها نهاية الانسان لآخر مرة ، و تولى المسلمون بعددهم القليل و وسائلهم الضئيلة واثقين بوعد الله بالنصر والتقوية ، بناء حياة إنسانية كريمة تسود فيها العقيدة ، و يخطيها الايمان ، و تحكمها الشريعة الالهية ، و تنميها الأعمال الصالحة ، و تراعيها

الأخلاق الفاضلة ، و قد تم لهم هذا العمل الكريم بفضل الله و توفيقه ، و بفضل التربية الربانية الحكيمة الدقيقة التي تلقوها من النبي ﷺ بوحي من ربه ، و لقد كان أصحابه البررة رضي الله عنهم يتميزون بخصائص إيمانيــة خالصة ارتضاها الله سبحانه و تعالى ، فكانت نواة الدعوة و العمل ، و علامة الايمان والتقوى في حياة المسلم ، تمكنه من القيام بوظيفته العملية ، و تتكفل له بالنجاح و السعادة على طول الخط « محمد رسول الله و الذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله و رضواناً ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود » .

هذه الخصائص الايمانية الخالصة ، من الشدة على أعداء الله و التراحم فيما بين عباد الله المسلمين ، و الوقوف بالركوع و السجود أمام رب العالمين ، مع الحرص على ابتغاء فضل الله و اكتساب الرزق الحلال ، و الحصول على مرضاة الله ، بأداء أعمال صالحة و القيام بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، كل ذلك مما يساعد المسلم على بناء الحياة ثم المجتمع ثم العالم كله ، على أساس متين من العقيــدة الخالصة و الايمان الكامل .

و ما عاش المسلمون في تاريخهم على هذه الخصائص الايمانية ، من غير تطلع إلى زخارف المادة ، وتكالب على الشهوات ، منحوا العالم كله أسوة كاملة في العلوم و الحضارات و أساليب الحياة و طرق المعاش ، و استطاعوا أن يقودوا الناس في الدين و الدنيا ، و يعلموهم طريق الجمع بينهما بالاتزان الكامل ، والتوفيق بين مطالب الروح و الجسد بكل دقة و عدل . « ربنا آتنا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة ، و قنا عذاب النار » .

المسلمون أمة العطاء و السخاء ، و أمة المنح و الجود ، فلم يبخلوا في أي فترة من تاريخهم بما يجودون به من إيمان و علم و عقيدة و شريعة ، و أخلاق وفضيلة و إيثار و تضحية ، وسلوك وسيرة ، إنهم لم يضنوا — في أي حال — بما أكرمهم

الله به من دين خالد ، و تعاليم خلقية عالية ، باعطاء النصح و الخير لكل من هو فى حاجة إلى ذلك ، الأمر الذى أنتج الصلاح و السعادة و الاتزان فى الحياة ، وغرس جذور الطاعة و الاحسان و البر فى النفوس ، و تكفل ببناء مجتمع رشيد عادل و بالتالى بتأسيس حضارة إسلامية يزدهر فيها العدل و الايمان و الطاعة واليقين .

إن أمة الاسلام لم تخلق للتبعية و التقليد . لم تخلق لدعم فلسفة أو عقيدة و فكر ، إنها ما أخرجت لاقتناء ما يتوفر من فتات الموائد و مخلفات العقول والأفكار ، و ما بعثت للأخذ من بقايا الحضارات و رواسب الانتصارات المادية ، إنما خلقت أمة الاسلام للعطاء من مائدة الاسلام الغنية ، و الامداد بالفكر القائد و السيرة المثالية ، و الجود بالأخلاق العالية و الفضائل الغالية ، و السخاء بالعقيدة الخالدة و الشريعة النامية الباقية .

و لكن أمة العطاء اليوم قد جفت فيها منابع العطاء و الجود . لأن صلتها ضعفت بمصدر القوة و العطاء ، فأصبحت فى حاجة إلى الأخذ و العطاء من غيرها .

و لا شك فان من استغنى عن ربه و انصرف عن طاعته — سواء عن شعور أو من غير شعور — فانه كفر بنعمة الله ، و تخلى عن منصبه ، و عاد إلى شرعة الجاهلية و الشقاء ، و نال عقابه من الذل ، و عاش فى المخاوف و الآلام ، وصار إلى الأخذ أقرب منه إلى العطاء .

لقد قال الله تبارك و تعالى : « و ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » ؟ . (سورة النحل الآية : ١١٢) .

سعيد الأعظمى

التوجيه الإسلامي

شلال الإيمان و الإخلاص
وكيف يستفاد منه؟

[محاضرة ألقيت بجامعة صنعاء فى ١٤/من شعبان ١٤٠٤هـ (١٥ / مايو ١٩٨٤م) أمام جمع حاشد من الطلبة و المثقفين من أهل العاصمة لليمن الشمالى ، و قد غصت القاعة بالحاضرين و امتلأت الساحة الخارجية بالمستمعين] .

بعد الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله :

سادتى و إخوانى ! لقد تقدمت الصناعة و المخترعات تقدماً كبيراً ، و اخترعت الأشياء التى لم تكن تخطر بالبال ، و لكن لم تخترع إلى الآن آلة تكشف عن مدى السرور ، و موجة الفرح التى تغمر القلب ، و ليس من الممكن أن يضع الانسان قلبه أمام الاخوة حتى يعرفوا ما يجيش فى القلب ، و لكن بالله الثقة ثم بحبكم و بعاطفتكم الاسلامية فى أن تقيسوا و تعلموا مدى سرورى لرؤية هذه المجموعة الطيبة من الشباب المسلم فهم الجيل المرتقب و أمل الاسلام والمسلمين فى هذه البلاد .

إخوانى ! كلكم تعرفون الشلال الذى ينبع من الأرض ، يتدفق بقوة ، وينزل بقوة على الأرض ، و هناك شلالات تتدفق و تنزل منذ آلاف من السنين ولكنها لم تستخدم فى صالح الانسانية و صالح المدنية ، و منها ما هو مجهول و منها ما هو مهمل ، أنى زرت « كنادا » و زرت « تورنتو » مدينة كنادا التى يقع فيها

(Niagara Fall) يعنى « شلال نياجرة » ، فرأيت العجب ، و رأيت هـذا الشلال الذى يعتبر من عجائب العالم السبعة، ينزل من ارتفاع كبير (١) لا يقاس حتى يراه الانسان ، و هو ينزل على الأرض منـذ آلاف من السنين بقوة عجيبة ، ولكن البلاد التى وضع الله فيها هذا الشلال قد وفقت لتستخدم هذا الشلال الطبيعى فى صالح الانسانية وفى صالح المدنية ، فتأخذ منه القوة الكهربائية (٢) ، التى تستطيع أن تنير هذه البلاد و تملأها حرارة و دفئاً ، و هنالك طاقات جبـارة و ثروات هائلة لم ينتفع بها الانسان بعد فى كثير من البلدان ، فهى ضائعة مهجورة مظلومة .

و لكنى أريد أن أحدثكم عن شلال لا يقاس به هذا الشلال الكنيدى فى القوة والتأثير ، والفائدة التى تعود على الانسانية ، ذلك هو شلال الايمان والاخلاص والحماس ، الذى أكرم الله به الأمة الاسلامية بصفة عامة ، و أكرم به بلادكم بصفة خاصة ، وشهد بهذا الاختصاص لسان النبوة الذى كان مجرى الوحى ، لقد شهد بهذا الشلال الايمانى الذى أكرم الله به القطر اليمانى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشى النبى العربى ﷺ بقوله لما جاء ، وفد من اليمن : « أتاكم أهل ايمن أرق أفئدة ، و ألين قلوباً ، الايمان يمان و الحكمة يمانية (٣) » .

إن الدول الكبيرة والبلاد الراقية المتحضرة التى تقود الآن ركب الانسانية بجدارة أو من غير جدارة ، وبحق أو من غير حق ، والتى تزعمت الحضارة ومصائر

---

(١) ينزل هذا الشلال من ارتفاع ١٠٨ متر ، و ارتفاع الماء ٥٤ متر .

(٢) و يهيأ منه خمسة ملائين من القدرة الحصانية (Horse Power) .

(٣) رواه البخارى فى صحيحه ، كتاب المغازى باب « قدوم الأشعريين و أهل اليمن ، و فى رواية أخرى للبخـارى « و الفقه يمان و الحكمة يمانيـة (الجامع الصحيح للبخارى ج / ٢) .

الأجيال البشرية ، عندها كل شئ ، و لكنها لا تملك هـذا الشلال الايمانى ، أنها تجردت — على مدى التاريخ — من الاخلاص لله تبارك و تعالى ، و من التسامى على المصالح الفردية و الجماعية و الحزبية ، و السياسية المحدودة ، أنها و إن بلغت قمة الرقى و الحضارة ، و تملك الشئ الكثير من أسباب الرفاهية و مظـاهر المدنية ، و الطاقات العلمية والفكرية ، و لكنها لا تملك هذا التدفق الايمانى و عمقه و أصالته التى يملكها الشعب الاسلامى المؤمن ، و لا تملك سلامة القلوب و صفاء الصدور و الحب البرىء البعيد عن الأغراض و الفوائد ، و الشوق إلى الجنة و الحنين إلى الشهادة ، والايمان والاحتساب ، و رجاء الثواب على الأعمال الحسنة ، إن المصرين الغربى والشرقى يفترقان فى أشياء كثيرة ، ولكنهما يلتقيان على أن زعماءهما وأقطابهما لا يملكون السيطرة على القلوب والحب و الاحترام فى النفوس ، و الولاء الصادق ، البعيد عن الاعتبارات السياسية و المصالح الفردية و الجماعية ، و الدوافع الدينية النابعة من أعماق القلب لفعل الخير .

أنا تكلمت على غلوة سهم من البيت الأبيض (White House) فى واشنطن فى أمريكا و كنت أتمنى أن يصل صوتى إلى البيت الأبيض و إلى صاحبه قلت :

« أيها السادة ! إن لكم مساهمة فعالة كبيرة القيمة للنهوض بالشعوب الشرقية ، و لكنى أقول لكم ان هذه الشعوب التى تنفقون عليهـا ملائين الملائين لا تحبكم ، أنها لا تتمنى لكم السعادة ، أنها تتمنى لكم كل عثرة و تتربص بكم الدوائر و تشمت بكل ما يصيبكم من أحداث و تشفى نفسها بذلك ، أنهـا تتم فى ظل مساعـداتكم ، ولكنها لا تحفظ لكم هذه اليد ولا تعترف بالجميل ، لأنها تصدر عن غير إخلاص ، إنها مساومات سياسية واقتصادية و تجارية ، فهذه الشعوب تأكل من رفدكم و تتطفل على مائدتكم ، و لكنها لا تضمر لكم الاخلاص والحب ، لماذا ؟ لأن مطامحكم الحضارى

و ما تغمرون به هذه الشعوب من روافد ومن مساعدات لا تصدر عن إخلاص، لا تصدر عن أعماق القلب ، أنها كلها مساومات و مبادلات تجارية »

إن الايمان و الحب العميق الذى يضمره الشعب المسلم للقادة المؤمنين الصالحين لا يوجد له مثيل أبداً ، لا فى المعسكر الغربى و لا فى المعسكر الشرقى ، فهنا نفاق و سياسة فقط ، إن هذه البلاد فقيرة مفلسة فى هذا الايمان مفلسة فى هذا الحب ، مفلسة فى هذا الحماس ، إن هنالك أنشطة الدعايات و الصحافة و وسائل الإعلام والجامعات والمؤسسات ، كل ذلك قد ربط هذه الشعوب برباط صناعى لاثقة به ، إذا استطاعت أن تكسر هذه الأغلال فانها فى أول فرصة تكسرها . و تقرأون أخبار الثورات و المؤامرات و المحاولات لقلب الأوضاع كل يوم ، و لكن رباط الايمان الذى كان يربط الأمة الاسلامية برسولها الأعظم ﷺ ، ثم بالخلفاء الراشدين ، ثم بالقادة المصلحين . ثم بالعلماء الربانيين ، ثم بالزعماء المخلصين ، هذا الرباط القوى الأمين الوفى العميق المحكم لا يوجد له نظير ، وصدق الله العظيم : « هو الذى أيدك بنصره و بالمؤمنين وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم و لكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم (١) » .

و لكنى أقول لكم و الحزن يملؤ قلبى ، إن هذا الشلال الايمانى الذى أكرم الله به أرض الجزيرة ، أكرم الله به أرض الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، أرض أنصار الرسول ﷺ ، وأرض دعاة الاسلام وحملة مشعله فى العالم ، أن هذا الشلال من الايمان و الاحتساب ، و رجاء الأجر و الثواب ، و الشوق إلى الجنة و الحنين إلى الشهادة و الحب لله و لرسوله و للمؤمنين ، لم يستخدم بعد و لم يقتبس منه هذا التيار المضئ المنير ، القوى المفيد ، هذا التيار كان يستطيع أن يملأ العالم كله نوراً

(١) الأنفال ـ ٦٣ .

و بهاءاً ، ويحل كل مشكلة ، و يتغلب على كل معضلة . ويربط القلوب بعضها ببعض و الشعوب بعضها ببعض ، و المجتمعات بعضها ببعض ، و يزيل كل مشاكل الانسانية و لكنه شلال مظلوم ، أنه ضائع من قرون .

إن من المؤسف و المحزن أن كثيراً من قادتنا إلى الآن ما عرفوا مدى قوة هذا الايمان ، مدى قوة هذا الرباط ، مدى قوة العقيدة الاسلامية ، لم يعرفوا إلى الآن هذه القوة الكامنة فى النفوس التى وضعها الله عن طريق الرسالات السماوية ، والنبوات الصادقة وجهود المخلصين فى قلوب المؤمنين إلى الآن ، ما عرفوا قيمة هذه الطاقة البشرية الهائلة أن الطاقة النووية لا تساوى الطاقة التى يحملها قلب المؤمن ، هذه الطاقة التى ولدت عالماً جديداً ، وأرغم التاريخ على أن ينحو نحواً جديداً ، أنها جعلت الأشياء التى كان لا يتخيلها الانسان حقائق واقعية .

مع الأسف الشديد أن قادة الفكر و الرأى فى كثير من البلاد الاسلامية لم يكتشفوا بعد هذه الطاقة ، بل إنهم مع الأسف الشديد يرون فى هذه الطاقة أكبر خطر عليهم ، فهم فى حرب معها ، و إنهم يعتبرون هذه البقايا الايمانية التى لا تزال تحملها الأمة الاسلامية رواسب تاريخية ، وقد يسمونها أنقاضاً تاريخية و خرائب يجب نقلها و إزالتها ، فأكبر مجهودهم ، و أكبر ذكائهم بل و عبقريتهم تصرف إلى نقل هذه « الأنقاض » و إلى الآن لم ينجحوا فى ذلك بل باءت مساعيهم بالفشل والاخفاق ، لأنهم يعارضون طبيعة الأمة ، و يغالطون نفوسهم فى الحقائق ، و يريدون أن يقضوا على مجهودات قرون ، أنهم فى جهاد فى غير عدو ، لأنهم يرون فى الايمان الذى لا يزال الشعب المسلم فى بلادهم يحمله و يتصف به ، الخطر الدائم و العدو المنافس لهم ، مأساة لا أقول مأساة إيمانية فقط ، بل هى مأساة عالمية إنسانية أن لا يستفاد بهذه الطاقة .

والله إن شعوبنا المسلمة الوادعة السليمة التى تؤمن بالله و رسوله و تؤمن بأن الآخرة خير من الأولى ، و التى تؤمن بأن العاقبة للمتقين ، و التى تؤمن بأن النصر للمؤمنين ، و التى تؤمن بأن هذه الدنيا فانية عاجلة ، والتى لا تزال ترى فى ما وعد الله به عباده المؤمنين من نعماء الجنة و فضل الشهادة فى سبيله ما لا تراه الشعوب الراقية فى لذات هذه الدنيا ، وترنح أعطافها وتخفق قلوبها مما يتلى عليها من القرآن ، و يذكر لها من مبشرات الرسول و مواعيده ، فتنسى نفسها و تهب حياتها لله ولرسوله ، إن هذه الشعوب تتصف بصفات من الرجولة والبطولة والمروءة و الفضيلة والسمو الخلق تتجرد عنها غالب الشعوب المتحضرة الآن ، إذا رزقت هذه الشعوب قائداً مخلصاً وفياً يعرف قيمة هذه الطاقة ، قيمة هـذا الايمان الذى لا تعطيه إلا النبوات ، لا تعطيه إلا التربية الربانية لا يعطيه إلا الاخلاص ، إن هذا الايمان لو كان عشر معشاره عند الأمم الأوربية لجعلت العالم غير العالم ، ولكنها دائماً تنتقل من مشكلة إلى مشكلة ، إنها تنقش الشوكة بالشوكة و ضلعها معها (كما يقول سيدنا على بن أبى طالب) ، فتنكسر هذه الشوكة التى استخدمت لازالة هذه الشوكة ، وتجتمع شوكة بشوكة ، هذه قصة الحضارة الغربية لا تحل مشكلة إلا و تواجه عشر مشكلات ، لأنها تحرم ذلك الايمان وتلك الثقة التى يربط قلب الانسان بالانسان ، إننى لا أعرف عالمـاً بعلم النفس ، و بفلسفة الأخلاق تصور ما قاله القرآن ، قال : « فلو لا إذ سمعتموه ظن المومنون و المؤمنات بأنفسهم خيراً و قالوا هذا إفك مبين (١) » ، هـذا غاية ما يتصوره الانسان ، يعنى « المسلم مرآة المسلم » فاذا سمع مسلم عن أخيه المسلم شيئاً يستعرض نفسه أولا و يقول أنا لا أستطيع أن أعمله ، أنا أربأ بنفسى و بايمانى عن هذه السفالة فكيف يصدر ذلك عن أخى المسلم ؟ و يبادر و يقول أنا

(١) النور — ١٢ .

لا أصدق أن أخي المسلم فعل هذا ، أى مجتمع فى التاريخ قام على هذا التصور الرفيع السامى لأعضاء المجتمع الانسانى ؟ .

إن قادة الغرب والشرق يريدون أن يملؤا فراغ الاخلاص بالقوة العسكرية و بالمخابرات و بالجاسوسية ، فلا يثق إنسان بانسان فى روسيا ، ولا يثق أخ بأخ ، ولا زوج بزوجته ، و لا زوجة بزوج ، قد فقد المجتمع الشيوعى الثقة بالأفراد . الثقة بأقرب الناس إليهم حتى الجدران لا يأمنونها ، لعل لها آذاناً أو سماعات ، ولعل هنالك مسجلات ، لا يستطيع الانسان أن يتكلم فى زاوية من زوايا بيته بسره مثلا أو ينفس عن ضميره الكئيب ، فمن القصص الطريفة أن كلباً جاء من مثل هـذه النواحى فقدم له الكلاب بنو جنسه ما عندهم من أنواع الطعام ، فاذا هو غير مقبل على أكل هذا يعافه و يزهد فيه ، فقالوا لماذا لا تأكل و أنت ضيفنا ؟ ، قال ما لى حاجة فى طعامكم إنى أريد أن أنبح ، قد كنت فى بلد لا أستطيع أن أنبح فيه ، فأنا جئت هنا لأنبح ، و هو شئ فطرى عندى ، فالطعام لا شأن لى به ، و لكنى أريد أن أسلى ضميرى و أرضى طبيعتى .

يا إخوانى ! اعرفوا نفوسكم قبل أن تعرفوا نفوس غيركم، اعرفوا ما أكرمكم الله به من ثروات إيمانية ، و من خصائص كريمة يمانية ، إذا عرفتم نفوسكم فقد عثرتم على الكنز الدفين ، وعلى شلال قوى ، أقوى شلال فى العالم ، هذا الشلال الايمانى الذى تستطيعون ، ويستطيع الذين منحهم الله فرص الاستفادة من هذه البلاد الغنية ، يستطيعون أن يقتبسوا منه التيار الكهربائى الذى يستطيع أن ينير ما حولكم من بلاد الله وينير العالم كله، لقد كان سلفكم هم الذين أناروا العالم لأنهم قد اقتبسوا وأخذوا هذا التيار الكهربائى من صدورهم المليئة بالايمان وحملوه إلى أقصى الشرق ، إلى الهند ، جاءنا علماء ربانيون منكم فقهاء و محدثون و مربون و أنقذوا الشعب

المسلم الهندى من مستنقع الوثنية ، من عبادة البقر و الشجر و النهر ، هؤلاء كانوا آباءكم الغر الميامين و نحن لا نزال متطفلين على مائدتكم ، و لكن اعرفوا نفوسكم أيها الاخوان و ليعرف قادة البلاد الاسلامية فى باكستان و فى بنغلاديش وفى البلاد العربية ، بصفة خاصة ، ليعرف قادة هذه البلاد ماذا يملكونه فى هذه الشعوب ماذا يملكونه فى بلادهم ، هم دائماً ينظرون إلى الخارج ، ليقتبسوا ثمرات الحضارة الغربية ، و العلوم التطبيقية الميكانيكية ، آلات يستوردونها من الغرب ، و لكن هذه الآلات لا تغير مصير الانسانية ، و لكن الايمان الذى تحملونه فى قلوبكم يستطيع أن يغير مسيرة الانسانية ، و من المحزن أن تنسلخ قرون بعد قرون و أن تأتى أجيال بعد أجيال و هذا الشلال الايمانى لا يستخدم فى صالح البشرية و فى صالح هذه البلاد ، إن العالم فى حاجة اليوم إلى هؤلاء المؤمنين الذين يتدفق الايمان من صدورهم ويفيض على لسانهم ، نورهم يسعى بين أيديهم و بأيمانهم ، هؤلاء المؤمنين الذين يتجردون عن الأنانيات ، يتجردون عن القوميات ، يتجردون عن الوطنيات يتجردون عن الشهوات و يخدمون الانسانية و ينقذونها من جديد .

إخوانى ! إن لسان النبوة لما وصفكم بالايمان و الفقه و الحكمة ، فانه لا يكون شيئاً موقتاً ، لأنه إذا جرى وصف أو شهادة على لسان حكيم ، أو مؤرخ أو بصير أو طبيب ، يكون مقصوراً على ذلك الفرد أو الجيل ، ويكون محدوداً فى ذلك الزمان ، ولكنها كلمة النبى الخالد ، النبى العلمى الانسانى ، الذى ختمت به الرسالات و أكملت به الأديان و الشرائع ، إذا قال : « الايمان يمان » ، فيجب أن يكون الايمان يمانياً فى كل عصر ، و أنتم بدوركم تغارون على هذه الشهادة و الكرامة و تحاولون أن ذلك لا يكون مختصاً بزمان دون زمان ، هذه شهادة لكم قائمة مسجلة فى التاريخ حفظها الحديث النبوى الصحيح ، فيجب عليكم أن تعتزوا بهذه الشهادة .

إن كثيراً من الشعوب الاسلامية مستعدة للمساومة وللمبادلة معكم ، اعطوها هذه الشهادة الايمانية ، الشهادة بالايمان و الفقه و الحكمة و خذوا منها ما شئتم ، و أنا أقول بلسان مسلمى الهند على الأقل، أقول خذوا منا ما شئتم من مكتبات و من مدارس ومن علوم و من ثروات و أعطونا هذه الكرامة التى أكرمكم الله بها : « الايمان يمان و الفقه يمان و الحكمة يمانية » ، و الله أن كبار الأولياء من هذه الشعوب العجمية مستعدون ليتفاهموا معكم فتعطونهم ، و لكن من المؤسف المحزن أن أكبر جزء من الطاقات البشرية تنفق فى إزالة الأنقاض المتخيلة المفروضة .

يا جماعة ! إنها ليست أنقاضا ، إنها أسس صالحة لبناء الانسانية من جديد و لبناء الخلق الكريم و المجتمع الصالح ، إنها اعلام فى فى متاهات الانسانية ، إنها ليست .أنقاضاً ليست خرائب قد فقدت قيمتها المعمارية ، فقدت قيمتها الصناعية ، لا ، ولكن كثير من زعمائنا يتخيلون ما يعتز به المسلمون فى بلادهم من عقيدة و إيمان و أخلاق و مبادئ ، ركامات قد فقدت قيمتها و انقضى دورها ، إنهم يعتقدون أن الاسلام بطارية قد نفدت شحنتها ، كثير من هؤلاء يقولون إن الاسلام قد قام بدور عظيم حين كان الانسان بدائياً حين كان الانسان فى سن المراهقة الفكرية ، و لكن الآن تقدم العالم و تقدمت العلوم ، و تقدمت المدنية ، فلا حاجة إليه ، لا يا إخوانى ! إن هذا الايمان يستطيع أن ينقذ أمريكا ، يستطيع أن ينقذ روسيا ، يستطيع أن ينقذ الهند البرهمية ، يستطيع أن ينقذ اليابان ، يستطيع أن ينقذ العالم كله ، و لكن الذنب علينا ، الذنب على النشء إلى الآن لم يقيسوا هذا الايمان و هذه القوة بمقياس صحيح ولم يزنوا بالميزان الصحيح الأمين ، ليس هذا الايمان مجرد كلمة ، لا هذا الايمان يستطيع أن يصنع عجائب كما صنع عجائب من قبل ، ويحل كل مشكلات الانسانية ، لأن كل مشكلات الانسانية نبعت عن عبادة النفس و الشهوات ، نبعت

عن الأنانية ، نبعت عن النظر القاصر المحدود ، نبعت عن الحزبية ، نبعت عن شهوة الرئاسة ، و الايمان يستطيع أن يتغلب على كل هذا ، و يصنع من الأمة أمة جديدة و من البلاد بلاداً جديدة ، و من العهد التاريخى عهداً تاريخياً جديدة ، و لكن أين الذين هم يستطيعون أن يستخدموه فى صالح بلادهم و فى صالح الانسانية ؟ .

هذا هو الفراغ الأكبر الموجود الآن فى المجتمع الاسلامى ، كل شئ مهيأ ، و كل شئ موجود ، و لكن لا نجد أحداً يستخدمه . فأنتم يا أهل اليمن ، أيها الاخوة ! أنتم تستطيعون أن تفيضوا على العالم الاسلامى إيماناً جديداً ، العالم الانسانى الآن يلهث و يلهث ـ و يقول كما سيقول أهل جهنم : « أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله » و اذكروا قول الله : « و اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها (١) ».

أنتم أبناء الأنصار و أبناء أبناء الأنصار ، الذين قال رسول الله ﷺ عنهم : « لو سلك الناس شعباً و وادياً وسلك الأنصار شعباً و وادياً لسلكت شعب الأنصار و واديها ، و لو لا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، و الناس شعار و الأنصار دثار ، اللهم ارحم الأنصار و أبناء الأنصار و أبناء أبناء الأنصار (٢) » ، أين هذه الشهادات الفريدة ، و أين هذه الكرامات المجيدة لأمة من الأمم ، خصكم الله و رسوله عليه الصلاة و السلام بهذه الشهادات الخالدة و بهذه الكرامات المطوقة المشرقة ، فعليكم أن تشكروا هذه النعمة الجليلة التى تكادون تنفردون بها ، و لكن المعول على الشئ الذى أشاد به الرسول عليه الصلاة والسلام لا على الموارد ولا على

---

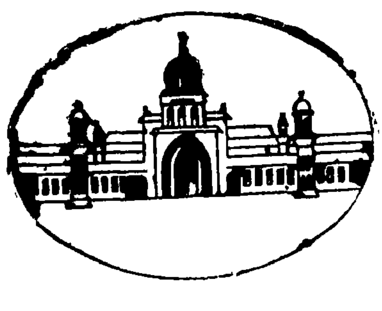
(١) آل عمران آية ـ ١٠٣ .

(٢) زاد المعاد .

التقدم ، و لا على الحضارة ، المعول على الايمان ، المعول على الفقه ، المعول على الحكمة .

يا شباب الجامعة ! أنتم تستطيعون أن يكون دوركم أكبر و أسعد على الانسانية من دور كولمبس الذى اكتشف العالم الجديد ، قارة أمريكا من غير إرادة ، إذا اكتشفتم العالم الجديد فى أمتكم و بلادكم و فى أرجاء العالم الاسلامى و انتفعتم بهذا الايمان الذى أكرم الله به الأمة الاسلامية و استخدمتموه فى صالح الانسانية و العالم الانسانى المحتضر ، هذا الايمان الذى لا يخلقه إلا النبوة ، و لا يخلقه إلا إرادة الله تبارك و تعالى .

هذه كلمتى لكم و أنا مغتبط مسرور ، فالله يعلم مدى سرورى برؤية هذه المجموعة الغضة الطرية ، الصافية النقية ، الايمانية اليمانية ، أقول لكم أخرجوا إلى عالم جديد ، اكتشفوا عالماً جديداً ، و لا تقنعوا بالميسور الموجود ، ابحثوا عن الكنوز الدفينة ، و الثروات المطمورة فى أرض القلوب المؤمنة .



ألفاظ إسلامية تركناها ،

لماذا ؟

بقلم الأستاذ على القاضى

في العصور الماضية :

كان المنبع الذى نأخذ منه ألفاظنا و مفاهيمنا هو القرآن والسنة النبوية المطهرة ـ ومع ضعف البلاد الاسلامية وقوة الدول الغربية ـ حدث استعمار عسكرى تبعه غزو فكرى قائم على أساس متين من الدراسات الواعية الهادفة .

ومرت فترات :

وعن طريق الشعور أو اللاشعور أصبحنا نسير إلى النظام الذى خطط لنا ـ و بدأنا نبعد شيئاً فشيئاً عن الألفاظ الاسلامية بمدلولاتها القرآنية التى جاء بها محمد عليه الصلاة و السلام .

لقد أعجبنى فى باكستان اللافتات الموجودة على مراكز الشرطة و مراكز قوات الجيش ومكتوب عليها :

تقوى ـ إيمان ـ جهاد فى سبيل الله :

و تمنيت لو أن جميع بلادنا الاسلامية على هذا المنوال .

نعم :

لقد قام المستشرقون بحملة منظمة على أسس دقيقة ليحدثوا تغريباً فى التعبيرات الاسلامية فأحلوا تعبيرات غربية محل التعبيرات الاسلامية ، ومع مرور الزمن تبهت المعانى الاسلامية شيئاً فشيئاً ، حتى تنمحى أو تكاد ، وتثبت المعانى الغربيـة الغريبـه

على الاسلام ـ و إذا أراد المسلم أن يرجع إلى أصل هذه التعبيرات ، فانه يرجع إلى الخلفية الثقافية الغربية ، وحينئذ يتم للغرب ما يريد من تغريب المسلمين، الأمر الذى يمكن لهم فى ديارهم، و من هذه التعبيرات :

الأجانب بدلا من الكفار

الحرب بدلا من الجهاد .

التراث بدلا من الاسلام .

المساعى الحميدة بدلا من الصلح بين طائفتين من المسلمين .

الوطنية و القومية بدلا من الاسلامية .

إلى غير ذلك من التعبيرات التى تسربت إلى ثقافتنا الاسلامية الحديثة وبعد فترة بدأت هذه البذور تأتى بثمارها .

كيف ؟

لقد أصبح الكفار يعيشون فى بلادنا على أنهم أجانب فقط ، و من الممكن أن يكون الأجنبى أرقى وأكثر ثقافة . . الخ - و بالتالى فان المسلم لا يرى أن هؤلاء الكفار دونه فى شئ ، حتى فى الدين ، و إنه مطالب بهدايتهم إلى الاسلام .

و من هنا :

فانه يبدأ فى الاقتداء بهم وتنمحى صورة المتميز شيئاً فشيئاً ويصير الأمر إلى ما نرى فى بلادنا الاسلامية من اقتداء بالأجانب و رؤيتهم من زاوية أنهم أرقى منا والمثل الأعلى فى التربية ، ثم إلى رؤية أن التمسك بالاسلام هو سبب التأخر فى المجتمع الاسلامى فى بعض البلاد ، و قد حذر النبى عليه السلام من ذلك .

الجهاد و الحرب :

و استعملت كلمة الحرب بدلا من الجهاد ، لأن الجهاد يعطى ظلاله الاسلامية ،

فهو حرب ضد أعداء الاسلام و هو جهاد فى سبيل الله ، و من يقتل فى سبيل الله فهو شهيد ...

وهدف الجهاد .

تحقيق رسالة المسلم فى هذه الحياة . باعتباره خليفة فى الأرض .

أما الحرب :

فشئ آخر ، قد تكون بين المسلمين وأعدائهم و قد تكون بين بعض المسلمين و بعضهم الآخر ، قد تكون لمطمع مادى أو مطمع ذاتى ، كتحقيق زعامة مثلا وما إلى ذلك .

ولا بد من جهاد المستعمر لأنه كافر ومستغل وضال .

ولكن ليس هناك ما يدعو إلى حربه لأنه صديق ومفيد وما إلى ذلك .

وبقى المستعمرون فى بلادنا فترات طويلة ، يغتصبون خيراتنا و يستعبدوننا و يشوهون مفاهيمنا ويعملون على إخراجنا من ديننا ، ولم يخرجوا من ديارنا إلا بعد أن اطمأنوا إلى أنهم ربوا مجموعات مكنوا لها فى البلاد و استطاعوا أن يطمئنوا إلى تحمسها لتنفيذ ما يريد .

التراث :

واستعملت كلمة التراث ، فأصبح المسلم يحس بأن القرآن والسنة شئ موروث ـ كأى شئ آخر ـ فليس له الأهمية الكبرى ، و لا يعتز المسلم به الاعتزاز الكامل ، وقد لا يخطر ببال المسلم الكتاب و السنة ، بل الكتب الصفراء ، وحينئذ يرى أن هذا التراث بال وأن التمسك به رجعية ، و ما ينسحب على الكتب الصفراء ينسحب ـ مع مرور الزمن إلى القرآن والسنة ، و من الممكن أن نستغنى عن التراث وبعضه ولكن ليس من الممكن أن نستغنى عن الاسلام وعن الكتاب والسنة .

المساعى الحميدة :

و استعملت كلمة المساعى الحميدة ، بدلا من الصلح بين طائفتين من المسلمين .

والمساعى الحميدة جهود تبذل للصلح بين جماعتين ، قد تفيد وقد لا تفيد ، وحينئذ لا يحس الساعى فى الصلح بأنه قد قصر فى أداء مهمته لأنه أدى ما عليه والأطراف المتنازعة لم تستجب إلى المساعى ، لكن الصلح بين طائفتين متقاتلتين من المسلمين فرض على المسلمين ، لا بد و أن يصلوا فيه إلى نتيجة و الأمر واضح فى الآية الكريمة :

(و إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ، فأصلحوا بينهما ، فان بغت أحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيئ إلى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل و أقسطوا إن الله يحب المقسطين) الحجرات / ٩ فلا بد إذن من اتباع الخطوات الآتية :

١ـ الاصلاح بين الطائفتين المتقاتلتين .

٢ـ إن لم يمكن فلا بد من مقاتلة الفئة الباغية .

٣ـ إن عادت الفئة الباغية إلى الصف الاسلامى ، فالصلح بين الطائفتين وإعطاء كل ذى حق حقه ، و الله تعالى يحب المقسطين .

بل إن التغريب قد وصل إلى أن الدول الاسلامية قد انقسمت فى سلوكها ، فبعضها يؤيد هذه الدولة وبعضهم يؤيد تلك الدولة ، وبعضها لا شأن له و كان الأمر لا يعنيه .

الوطنية و القومية :

واستعملت الوطنية والقومية ـ بدلا من الاسلامية ـ و كان الغرض من ذلك تفتيت الوحدة الاسلامية وتقسيمها إلى قوميات و أجناس تتصارع فيما بينها ، وبذلك تضعف الدول الاسلامية ، و بالتالى يصل أعداؤنا إلى ما يريدون .

ويلاحظ .

أن من خصائص القومية والوطنية الغربية : الكراهية والخوف ـ فهى لا تبقى ـ إلا إذا كان للشعب ما يكرهه وما يخاف منه .

ولا زال المسؤولون فى البلاد الغربية ، يثيرون الكامن من عوامل الخوف و الكراهية ، ليبقى لهم ما يريدون . وقد حلل العلامة الألمانى « جود » ذلك تحليلا نفسياً فقال :

إن العواطف التى يمكن إثارتها بسهولة هى عواطف المقت والخوف التى تحرك جماعات كثيرة من الدهماء ـ بدلا من الرحمة و الخوف ـ فالذين يريدون أن يحكموا على الشعب لغاية ما لا ينجحون ، حتى يلتمسوا له ما يكرهه و يوجدوا له ما يخاف ، فلم يعد من دواعى العجب أن الحكومات القومية فى هذا العصر ، فى معاملتها لجيرانها إنما تنقاد بعواطف المقت و الخوف ، فعلى تلك العواطف يعيش من يحكمونها و على تلك العواطف يقوى الاتحاد القومى) .

و يقول « والترشوبارت » فى ذلك أيضاً :

(إن الروح الغربية يتفشى فيها الخوف والقلق ، وهى شديدة الأثرة نزاعة إلى الفردية محبة للتنافس ... إن الفرد من خلال هذا النموذج الغربى لا يعبأ بخلاص روحه و إنما يهمه فرض سلطانه وتوسيع دائرة نفوذه ، و قد نجح الفرد فى تغيير وجه الأرض ، و لكن هذه الثقافة أخذت تملأ سماءها السحب و تومض حولها البروق وتعصف بها الأعاصير ، و أوربا تنزلق إلى الهاوية و تقترب من النهاية ، ولا شئ يستطيع دفع هذا المصير المحتوم) .

و على هذا الأساس .

قسمت الأمة الاسلامية إلى دويلات ـ تمشياً مع هذه النزعة ـ ولا زالت

تقسم حتى الآن، فلبنان التى هى جزء من الدولة الاسلامية الكبرى يعملون على تقسيمها إلى دويلات ، و أهم من ذلك، الروح التى تسود تلك الدويلات روح الحقد و الكراهية ، و أصبح كل قطر اسلامى يتعامل مع غيره على أساس العداوة فى أكثر الأحيان ... و أصبحت المودة تسير مع المصلحة الخاصة وقد تكون مع الدولة الكافرة المستعمرة ـ بينما العداوة مع الدول الاسلامية .

لكن الاسلام .

يربى أبناءه على أساس أن الناس جميعا خلقوا من ذكر وأنثى وجعلهم شعوبا و قبائل ليتعارفوا و أكرمهم عند الله أتقاهم ـ ومهمة المسلم عمارة الأرض وتحقيق الأمن و السلام فيها .

أما عاطفة الكراهية :

فانه يوجهها إلى العدو الحقيق الذى لا يريد بالانسان إلا الشر ، و ذلك هو الشيطان الرجيم الذى حذر منه بقوله (يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان ، كما أخرج أبويكم من الجنة) الأعراف ٢٧ .

و قد بدأ تفكك الدولة الاسلامية على أساس القوميات التى بدأت فى الشام ، ولو أن المظلومين قاموا باسم الاسلام ليدفعوا الظلم عنهم لوصلوا إلى ما يريدون ، مع بقاء وحدة المسلمين ، وحينئذ يبقى لهم كيانهم و يستطيعون أن يؤدوا رسالتهم .

و فى عصور الظلمات - و فى ظروف خاصة بالأمة الاسلامية ، استهوتها هذه الشعارات و أصبح الكثيرون يرددونها و أصبح بعضهم يعمل على تنفيذها .

وهكذا .

تثار نعرة الفرعونية فى مصر و البربرية فى شمال أفريقيا وما إلى ذلك .

و هكذا .

تبقى إسرائيل فى وضعها آمنة مطمئنة ـ لأن الجهود الحقيقية غير موجهة اليها ـ بل إلى أشياء بعيدة عنها ـ قد تفيدها أكثر مما تضرها

ولأنها آمنة .

فهى تعيث فى الأرض فساداً و تنفذ مخططاتها فى أمن و تبجح و استهانة بالعالم الاسلامى كله .

إن كل نجاح للامة الاسلامية لم يتم إلا تحت راية الاسلام .

و إن كل فشل لها لم يتم إلا تحت رايات أخرى ، لأن الاسلام يوحد وغير الاسلام يفرق .

و من هنا .

فانهم يعملون على إبعادنا عن الطريق المستقيم ليصلوا بنا إلى ما يريدون .

إنه مخطط خبيث .

و لا بد من أن نتنبه له ، حتى نصحح مسارنا الاسلامى ، لنبلغ بالاسلام إلى ما نريد ونحقق رسالتنا الاسلامية .

و فى ذلك فليعمل العاملون .



أرض الحرم أحكامها و مصالحها ، كما يراها القرآن
(٢)

العلامة السيد سليمان الندوى
تعريب : محمد أكرم الندوى

إنما أرض الحرم موطن للمؤمنين :

تبين مما قدمنا فى الحلقة الأولى أن أرض الحرم معقل دينى ، كل ناحية من نواحيها معبد للاسلام و موطن للمسلمين ، و أعلن الله عزوجل منذ أول يوم حرمت فيه هذه الأرض المباركة أنها ليست إلا مسجداً ومعبداً للطائفين و العاكفين والركع السجود ، و أنها موطن عباد الله الذين وقفوا حياتهم لعبادة الله ويبحثون عن الحياة الخالدة ويسعون لها ، يقول الله عزوجل : « أن طهرا بيتى للطائفين و العاكفين و الركع السجود » (سورة البقرة الآية ١٢٥) .

عرف من ذلك أن الغرض الوحيد من بناء أرض الحرم أن تكون معبدا للمؤمنين ، يختص بعبادة الله عزوجل ، و أما ما عدا ذلك من الأشغال و الأعمال فانه ينافى طهارتها وحرمتها ، إنما طهارتها و حرمتها وعظمتها و كرامتها فى أن تكون معقلا لعبادة الله ومعبداً للوحدانية ومركزا للركوع والسجود والاعتكاف والطواف.

و لما فرغ إبراهيم عليه الصلاة و السلام من بناء هذا البيت الكريم أعلن مدوياً مجلجلا : « و إذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا و اجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام ، رب إنهن أضللن كثيراً من الناس ، فمن تبعنى فانه منى و من عصانى فانك غفوررحيم ، ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة (سورة إبراهيم الآية ٣٥ - ٣٧) .

إن أول عامر لهذا البلد صرح بأنه على الوحدانية، وينبغى لكل من يعمر هذا البيت المحرم أن لايكون غرضه من ذلك إلا إقامة الصلاة وعبادة الله، إنه ليس مركزاً للدسائس والمؤامرات والسياسات الدنيوية والحكومات الجائرة، إن هذا البلد عاصمة الدولة التى ملكها الله الواحد القدوس، و إنه موطن أبناء إبراهيم السلام.

و لا يغبين عن البال أنه ليس خليفة لابراهيم عليه السلام من كان ينتمى إليه فى الأصل و النسب، وإنما خلفاؤه أولئك الذين يتبعونه وينتهجون سبيله و يقتفون آثاره، وقد أشار إلى هذه الحقيقة إبراهيم عليه السلام نفسه حينما قال: «فمن تبعنى فانه منى» (سورة إبراهيم الآية ٣٦).

أرض الحرم أرض جميع المسلمين:

فأبناء إبراهيم عليه السلام الذين يستحقون خلافة هذه الأرض المقدسة أولئك الذين يطيعونه ويتبعونه، إذلا تختص هذه الأرض المباركة بجنس ولا عنصر ولا أمة، والمسلمون عربهم وعجمهم، وأبيضهم و أسودهم كلهم فيها سواء، فالذين يرجع عهدهم بالاسلام والتوحيد إلى ثلاثة عشر قرناً ليسوا بأحق بها ممن هو حديث عهد بالاسلام والتوحيد، من العرب والعجم، والترك والتتار، وبنو هاشم وبنو أمية وبنو فاطمة و أهل مكة و الآفاقيون كلهم فيها سواء.

إن إله هذه الأرض المقدسة لم يعلق حق عمارتها إلا على أتباع إبراهيم عليه السلام و إطاعته، فمن اتبعه فقد استحق عمارتها و من لم يتبعه فقد حرم هذا الحق العظيم، : «إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه و الباد» (سورة الحج الآية ٢٥).

فمن الذى يستطيع بعد هذا الاعلان الالهى الصريح أن يدعى حق عمارة هذه الأرض المباركة على أساس أنه من العرب أو من بنى هاشم أو من أبناء الأشراف،

أو لأنه يسكن فيها منذ قرون أو أن قبيلته تحكمها منذ مآت من السنين ، و من الذى يستطيع أن يمنع المسلمين الأجانب من هذا الحق بحجة أنهم ليسوا من سكان هـذه البلاد ، إن مالك هذه الأرض المقدسة إنما هو الله الواحد القهار . يستوى فيها كل من يومن به و يعبده . و لأجل ذلك قررت الشريعة الاسلامية أن كل جزء من أجزائها وقف لا يباع ولا يشترى و لا يوجر و كل ما نشاهده اليوم من آثار التصرفات الشخصية فيها لا يقر به الاسلام ولا يسمح .

هذه الأرض المقدسة دار السلام :

ما زال أبناء آدم ينجسون أرض الله بسفكهم للدماء . فاختار الله ناحية منها لنفسه وجعلها بيتاله يكون فى مأمن من اعتداءات الانسان و اضطهاداته ، و هذه الناحية هى أرض الحرم ، حرمت فيها دماء الأبرياء والمجرمين واصطياد البهائم والطيور وقطع الأشجار والأغصان ، إنها دار السلام لكل كائن حياً كان أو غيره ، ولقد دعا إبراهيم عليه السلام ربه فقال : « رب اجعل هذا بلداً آمنا » (سورة البقرة الآية ١٢٦) وكان الله قد استجاب هذا الدعاء قبل أن يحرك شفتيه : « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً » (سورة البقرة الآية ١٢٥) .

و قد أقسم الله عزوجل بأمن هذا البلد وسلامته حينما قال : « والتين والزيتون وطورسينين و هذا البلد الأمين » (سورة التين الآية ١-٣) و امتن على قريش بقوله : « فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع و آمنهم من خوف » (سورة الايلاف الآية ٣ - ٤) و قوله « ألم يروا أنا جعلنا حرما آمنا و يتخطف الناس من حولهم » (سوره العنكبوت الآية ٦٧) .

وقال عزوجل : « و من دخله كان آمنا » (سورة آل عمران الآية ٩٧) .

كان الاسلام قد نال القوة والشوكة بعد دخوله فى المدينة بعدة سنوات ، وكان

يستطيع أن يدخل أرض الحرم عنوة ، كانت قلوب المهاجرين فى حنين بالغ لزيارة موطنهم ، و كانت سيوف الأنصار مسلولة مجردة لأخــذ الثأر من قريش . و كان عامة المسلمين فى لهف وتوق شديدين لزيارة المسجد الحرام ، و لكن النبي ﷺ كان يرى أنها دار السلام ، لا تتجس بحدود السيوف وأسنة السهام و الرماح و لا تغلب (مها كانت الغلبة فى سبيل الحق) بالقتل والنهب وسفك الدماء ، إنهـا دار الأمن والصلح ، لا سبيل إلى السيطرة عليها إلا عن طريق الأمن والهدنة ، وقد صالح النبي ﷺ قريشاً فى الحديبية رغم ما كانت تجيش به قلوب المسلمين من عواطف ومشاعر مضادة ، ولم يسمح بوضع السيوف فيها ، وقال : لا يعرضون على خطة لا ينتهكون فيها حرمة الله إلا وقبلتها ، دخل فى السنة الثانية فى موكب مئات من المسلمين فى مكة معتمراً بحيث ترك أسلحة القتل و السفك خارج مكة ، و فى العام الثامن من الهجرة يدخل النبي ﷺ مكة ومعه عشرة آلاف من أصحابه ، ويسل الأنصار سيوفهم ويقول قائدهم سعد بن عبادة : « اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة » فلما سمع النبي ﷺ ذلك قال : « كذب سعد ، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة » وأخذ الرأية من يده و أعطاها ابنــه ، و تقدم النبي ﷺ فرأى لمعان السيوف وقيل له : إن خالداً سل سيفه ، فسأل عن ذلك ، فأخبر بأن المشركين قتلوا رجلين من خيل خالد فقال : « قضاء الله » والتجأ بعض المجرمين من المشركين إلى الحرم فأمر النبي ﷺ فيهم « أن يقتلوا حيث وجدوا » و هذه هى الساعة التى أحل فيها القتل فى أرض الحرم ، يقول الله عزوجل : « لا أقسم بهذا البلد و أنت حل بهذا البلد » و قد حدد الله هذه الحلة حيث يقول : « ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقـاتلوكم فيه ، فان قاتلوكم فاقتلوهم » (سورة البقرة الآية ١٩١) .

و قال النبي ﷺ حينما أحل له القتال فى الحرم : « و إنه لم يحل القتال فيه

لأحد قبلي ولم يحل لى إلا ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة .

يعاقب الظالم فى أرض الحرم :

ليست أرض الحرم ملجأ للذين يعيثون فيها فساداً ويريدون فيها بالحاد بظلم ، بل ويعاقبهم الله أشد العقاب ويذيقهم من العذاب الأليم ، يقول الله عزوجل : « و من يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم : (سورة الحج الآية ٢٥) .

و إن التاريخ لخير شاهد على صدق هذا المقال ، فقد جعل الله أصحاب الفيل كعصف مأكول ، وقضى على يزيد وأسرته فى عدة سنوات ، وباء ابن زبير بالفشل ، وإن المدينة حرم كما أن مكة حرم ، يقول النبي ﷺ : « إن إبراهيم حرم مكة وإنى أحرم ما بين لابتيها » (لا بتى المدينة) و لأجل ذلك لقى المفسدون فى المدينة كذلك نفس المصير .

ليست أرض الحرم عاصمة لمملكة إنسانية :

قد قدمنا فيما مضى أن أرض الحرم معبد للسلمين ، يستوى فيها العالم الاسلامى كله و أنها دار السلام ، يعاقب فيها الظالم ، فلا بد إذن من أن تكون فى مأمن من الحكومات الجائرة وزحف الجيوش ، والثورات والمؤامرات والدسائس ، ولدينا أسوة النبي ﷺ و خلفائه أبى بكر وعمر وعثمان و على رضى الله عنهم ، وقد كان كلهم يحن إلى وطنهم الأم . ولكن لم يجعلها أحد منهم ألعوبة للسياسة وظلت المدينة هى العاصمة للدولة الاسلامية ، و إن فتنة عثمان رضى الله عنه قد كشفت النقاب عن هذه الحقيقة و هى أن الحرم المحمدى كالحرام الابراهيمى لا يليق بشأنه أن يكون ملعباً سياسياً ، و لأجل ذلك نقل على رضى الله عنه دار الخلافة إلى الكوفة .

ابن قيم الجوزية : عالماً و إماماً

ابن القيم والحب

الدكتور : توفيق محمد شاهين

اشتهر العرب فى جزيرتهم بالحب ، و ولعوا به ، و عاشوا له ، أو ماتوا بسببه ، و تمتعوا أو شقوا به .

و شمر أدباؤهم و شعراؤهم عن ساعد الجد ، وأسعفت شياطين الشعر الشعراء ، فتفننوا فى القول فيه ، و وضحوا معالمه ، و جعلوا له أشكالا و ألواناً ، و أطلقوا على كل نوع اسماً يناسب العشق و الهيام و الغرام و درجات المحبة ... الخ .

و لأن الشعراء من قبائل تباينت لغاتهم ، و اختلفت لهجاتهم ، وجدناهم قد نوع شعرهم و استعمالهم لفظ « حب ، والحب ، و المحب و المحب » بلفظ الفاعل أو اسم المفعول، وجاء اشتقاقاتهم غير متفقة ، و أصول الاشتقاقات مختلف عليها أيضاً .

و على قدر ما تمتع المحبون و المحبون بالحب ، و سعدوا أو شقوا به ، و على قدر تفنن الشعراء و الأدباء فى هذا الجانب حين مجلوه و أعلوا من شأنه فخلدوه و خلدهم ، وعلى قدر انتفاع الأدب و الأدباء بهذه الظاهرة الحبيبة إلى النفس السوية فكسب الأدب ميراثاً ضخماً ، فى حدائق باهرة و ناضرة .. [على قدر ما ذكر .] على قدر ما شقى علماء النحو و اللغة ، و علماء أصول اللغة و فقهها من ناحية أخرى .

فقد شغلوا أنفسهم ، و أفنوا زهرة حياتهم ، و أتعبوا تلاميذهم من بعدهم ، فى تشقيق القول فى (الحب) و ألفاظه ، و أمعنوا النظر فى الاستنباط ، وشرقوا فيه و غربوا . . و تلمسوا الشواهد و الأدلة ، بما يرفد وجهة نظرهم تأييداً ، و يرد

على غيرهم تفنيداً . .

و لم يكن ذلك منهم عبثاً و لا ترفاً عقلياً ، و لا اشتغالا بغير طائل . . و إنما كان دربة عقلية ، و متعة ذهنية ، و تقعيداً لقاعدة ، و تمهيدا لطريق ، و إنارة لسبيل ، و إعمالا لعقل ، و افتراضاً لمجهول بمعلوم ، و استئناساً بشاهد ، و خدمة للغة ، و بحثاً و بياناً لعلم ، و استنتاجاً لقاعدة ، و خدمة العلم للعلم ...

✠ و علامتنا « ابن القيم » رحمه الله ، تنوعت معارفه ، و رقت شمائله ، و رقت أبحاثه ، و غزر علمه ، . . . فضرب بسهم و أدلى بدلوه بين الدلاء فى هذا الجانب : الجانب اللغوى و أصوله ، فكتب بحثاً نفيساً عن (الحب) فى كتابه القيم « بدائع الفوائد » ٢ / ٨٥ ـ ٨٩ إيضاحاً لموضوع سابق عند الأفعال و هل تؤكد بالمصادر أم لا . . . و جاء الحديث عن لفظ « الحب » لمزيد بيان لذلك الموضوع . . فقرأته بامعان ، لطرافته ، و جديته ، و عمقه ، و فائدته ، فوجدته بحثاً ممتعاً قيماً ، فيه فوائد جمة ، تتناول اللغة وأصولها فى مواضيع متعددة وفريدة . . و أصيلة أيضاً . . تهم المختصين و غيرهم على السواء ، و تفتح بالتالى آفاقاً واسعة لخدمة لغة الضاد .

ويشير ابن القيم إلى أن الموضوع وأبحاثه من بنات أفكاره ، وهو ابن بجدتها ، و بتوفيق الله و منه ، و لذلك آثرت إتحاف القراء به ، والكتابة عنه ، عسى أن تغرى قراءته وتثير شاكلة انتباه للبعض ، تتلوها كثرة من الأبحاث عن هذا الموضوع وما شاكله ، و عن ابن القيم و معارفه ... و من ثم جعلت عنوان البحث مغرياً ، ليثير شاكلة انتباه ، توقع فى شباكها صيداً ، و سيكون تدخلنا خفيفاً ، لشرح مقام ، أو مزيد بيـان ، أو توضيح غامض بين الأقواس ، حتى لا نحرم القارىء متعة حديث العلامة الامام ابن القيم ، رحمه الله .

و لعل الخاصة هم الذين يعلمون أن الامام الجليل الفقيه ابن القيم — رحمه الله تعالى — ألف كتاباً رائعاً بعنوان : « روضة المحبين ، و نزهة المشتاقين » .

تحدث فيه عن أسماء المحبة ، و اشتقاق أسمائها ، وعلاقة الجمادات بعضها ببعض فضلا عن الحيوانات و الانسان بوشائج المحبة و العواطف ... و تحدث فيه عن نعمة الجمال و ميل النفس إليه ، و ذكر علامات المحبة و شواهدها ، وعفاف المحبين مع محبوبيهم .. و وجوب العفة والتعفف عن الحرام ، ليبدله الله تعالى خيراً وعوضاً ...

و يشير ابن القيم (٦٩١هـ ـ ٧٥١هـ) إلى الاعلاء و التويض بالغرائز ، حتى لا تنحط ، كما ذكر ذلك علم النفس الحديث فى مدارسه الجادة و المنهجية ، و قبل أن تخلق مدارس علم النفس الجديد ، و المعاصرة ...

و أشار إلى مباحث رائعة فى كتابه ، تضعه فى أعلى مكانة بين مصاف المحبين من جهة ، و تمجد الفضيلة و العفة و الكمال و تعلى من شأنهم . .

و يهمنا فى هذا البحث أن نتحدث عن « ابن القيم و الحب » لغوياً ، لنلمس جانباً قد يبدو خفياً فى معارف هذا الفقيه الجليل عن أبحاثه القيمة فى « أصول اللغة » و فقهها :

فى جانب « الترادف » و « الاشتقاق » و ما يوحيه من المعانى ، و « تحديد التعريفات » و « الاشارة إلى الفروق الدقيقة » التى تلمح أو لا تلمح فى استعمالات الترادف و الاشتراك بعامة ، أو نسيان الأصل ... فى هذا الجانب نجد أبحاثاً رصينة للامام ابن القيم :

يقول عن أسماء المحبة :

(لما كان الفهم لهذا المسمى أشد ، و هو بقلوبهم أعلق ، كانت أسماؤه لديهم أكثر ، فوضعوا له قريباً من ستين اسماً ، و هى :

المحبة ، و الهوى ، و الصبابة ، و الشغف ، و الوجد ، و التيم ، والعشق ، و الجوى ، و الدنف ، و اللهف ، و الحنين ، و اللوعة ، و الغرام ، و الهيام ، و الوله ... إلخ .

و عند اشتقاق هذه الأسماء و معانيها من هذا الامام الفقيه نراه لغوياً ضليعاً ، يقول عن « حد المحبة » :

قيل : هى الميل الدائم ، بالقلب الهائم .

و قيل : إيثار المحبوب ، على جميع المصحوب .

و قيل : موافقة الحبيب فى المشهد و المغيب .

و قيل : اتحاد مراد المحبوب و مراد المحب .

و قيل : إيثار مراد المحبوب على مراد المحب .

و قيل : أن تهب كلك لمن أحببت ، فلا يبقى منك شئ .

و قيل : حفظ الحدود ، فليس بصادق من ادعى محبة من لم يحفظ حدوده .

و قيل : عمى القلب عن رؤية غير المحبوب ، و صممه عن سماع العذل فيه .

و قيل : هى سكون بلا اضطراب ، و اضطراب بلا سكون ... إلخ .

و يريد ابن القيم أن يجعل أبحاثه ومواضيعه من تقوى القلوب ، فيرى الزواج نهاية طيبة للمحبين ، علينا أن نساعد و نعين عليه ، يقول :

جاء فى الحديث — فيما رواه الطبرانى — عن ابن عباس رضى الله عنهما ، « أن رجلا أتى النبى ـ ﷺ ـ فقال :

يا رسول الله ، عندنا يتيمة قد خطبها رجلان : موسر و معسر ، وهى تهوى المعسر ، ونحن نهوى الموسر ، فقال ـ ﷺ ـ : « لم ير للمتحابين مثل التزويج » .

و دواعى المحبة عند ابن القيم ، ثلاثة :

١- وصف المحبوب و جماله .

٢- و شعور المحب به .

٣- و العلاقة و الملاءمة بين المحب و المحبوب .

و هذه الأخيرة سيدور حولها نقاش فى أصل اشتقاق الحب . وهل هو مصدر الثلاثى ، أو غير مصدر ، كما سنرى .

و يفلسف ابن القيم — رحمه الله تعالى — الحب و المحبة ، و أن كل اتصال للجماد و غيره إنما أساسه الحب ، يقول :

(العالم العلوى و السفلى إنما وجد بالمحبة و لأجلها .

و أن حركات الأفلاك و الشمس و القمر و النجوم .

و حركات الملائكة ، و الحيوانات ، و حركة كل متحرك إنما وجدت بسبب الحب) .

وعلى طريقة المشجر والمسلسل فى أصول اللغة ، يقول ابن القيم فى هذا الصدد :

(النظرة كأس من خمر ، و العشق هو سكر ذلك الشراب ، وسكر العشق أعظم من سكر الخمر :

فان سكران الخمر يفيق ، و سكران العشق قلما يفيق) . أ هـ

و من ود مزيداً من البحث فعليه بمطالعة الكتاب الممتع : « روضة المحبين ، و نزهة المشتاقين » .

و تغلب على ابن القيم نزعة العالم و الفقيه ، و يريد أن يجعل كل شئ من تقوى القلوب ، أو ديانة ، فيحاول الاجابة على السؤال : هل الحب اختيارى أم اضطرارى ؟ و يرى أن مبادىء العشق و أسبابه اختيارية داخلة تحت التكليف ، لأن النظر و التفكر و التعرض للمحبة أمر اختيارى ، فاذا أتى بالأسباب كان ترتب

السبب عليها بغير اختياره ، كما قيل :

تولع بالعشق حتى عشق فلما استقل به لم يطق
لأى لجة ظنها موجة فلما تمكن فيها غرق
تمنى الاقالة من ذنبه فلم يستطعها ولم يستطق

و فى هذا البحث يحدثنا فقيه الدين الامام ابن القيم ، عن معارف فقيه اللغة الامام ابن القيم ، فى أخص مباحث « أصول الفقه » ، وسنرى فى بحثه القيم حديثاً لغوياً عن الحب ، يتناول :

تصاريف كلمة الحب ، و أنواعه ، ومعناه ، وإذا لم يكن « الحب » مصدراً ، فما هو ؟ و ما هى اللغات فيه ؟ و كيف تداخلت اللغات أو اللهجات فيه ؟ وكيف تتوجه استعمالات العرب الأقحاح للفظ ، من الثلاثى و الرباعى ، و استعمال المصدر فيهما ، مع هجر الثلاثى أو الرباعى .

و لماذا ضم الحرف الأول من لفظ « حب » و لم يفتح أو يكسر ؟ .

و مم اشتق اللفظ ؟ و لماذا تركب اللفظ من حرفى الحاء و الباء ؟

و مم مخرج كل حرف منهما ؟ فالحاء من أقصى الحلق ، و الباء الأخيرة من الشفتين ، و لم لم يكن العكس ؟ و هل هناك تلازم بين شرف المعنى والاشتقاق فى اللفظ ؟ و ما التلازم بين الأصل و الاشتقاق ؟

و من لم تشبعه هذه اللمحات عن هـذه المباحث ، فيحيله ابن القيم إلى كتاب « التحفة المكية » ، ففيها كفاية للمستفيد ، و فيها ما يشفى العليل و الغليل .

عن كل التساؤلات السابقة يجيبنا حديث ابن القيم فى منطق و علم ، و براعة تحليل ، و عمق تفكير ، و حسن بيان ، يقول — رحمه الله تعالى — :

(و يزيد الأمر وضوحا — أمر تأكيد الأفعال بالمصادر فى سابق حديثه —

قولهم : أحببت حباً : فالحب ليس بمصدر لأحببت ، إنما هو عبارة عن الشغل بالمحبوب ، و لذلك جاء على وزنه —(وزن الشغل)— مضموم الأول ، ومن ثم جمع كما يجمع الشغل ، قال الشاعر :

ثلاثة أحباب : فحب علاقة و حب تملاق ، وحب هو القتل

فقد انكشف لك بقولهم : أحببت حباً ، و لم يقولوا : إحباباً . . استغناؤهم بالمفعول المطلق ، الذى هو أفيد عن المخاطب من الاحباب ، أن حلمت حلماً ، و شكرت شكراً ، و كفر كفراً ، و صنع صنعاً ... كلها واقعة على ما هو اسم للشئ المفعول و ناصب له نصب المفعول المطلق ، و هو فى هذه الأفعال أجدر أن يكون كذلك ؟ لأنها أعم من أحببت ، إذ الشكر واقع على أشياء مختلفة ، وكذلك الكفر و الشغل و الحلم ...

و كلما كان الفعل أعم وأشيع لم يكن لمصدره معنى ، و كان فعل و يفعل مغنياً عنه ، و لو لا كشف الشاعر لاختلاف أنواع الحب ما كدنا نعرف ما فيه من العموم ، و أنه فى معنى الشغل : صار أحببت كشغلت ، و صار الحب كالشغل .

و لو قال : إحباباً لكان بمنزلة شغلت شغلا بفتح الشين : ألا ترى أنهم لا يجمعون من المصادر ما كان على وزن الافعال ، نحو : الاكرام ، و على وزن الانفعال و الافتعال و الفعل و نحوها إلا أن يكون محدوداً كالتمرة من التمر .

و أما جمعه لاختلاف الأنواع فلا اختلاف للأنواع فيه ، إنما اختلاف الأنواع فيما كان اسماً مشتقاً من الفعل استغنى به عن المصدر لخصوصه و عموم المصدر ، و ذلك لا تجده فى الثلاثى إلا على وزن فعل وفعل (بكسر العين فى الأول وفتحها فى الثانى) ، الا ترى أنهم لا يجمعون نحو الحذر ، والرمد ، والحدر ، والبرص ، و العمى و بابه ؟ .

قلت (ابن القيم هو القائل) : فعل الحب فيه لغتان : فعل وأفعل ، و قد أنشدوا فى الصحاح ، لغيلان بن شجاع النهشلى ، و هو عربى فصيح :

احب أبا مروان من أجل تمره　　و أعلم أن الحب بالمرء أرفق
و والله لو لا تمره ما حببتـه　　وكان عياض منه أدنى ومشرق

هكذا أنشده المبرد ، و الذى فى الصحاح : و لا كان أدنى من عبيد و مشرق ، بالاقواء .

و إذا ثبت أنهما لغتان فى : أحببته حباً فأنا له محب وهو محبوب على تداخل اللغتين ، فأتوا فى المصدر بمصدر الثلاثى ، كالشكر و الشغل .

و استعملوا من الفعلين الرباعى فى غالب كلامهم ، حتى كأنهم هجروا الثلاثى و أتوا بمصدره ، حتى كأنهم هجروا الرباعى .

فلما جاءوا إلى اسم الفاعل أتوا بالاسم من الرباعى ، حتى كأنهم لم ينطقوا بالثلاثى ، فقالوا : (محب) ، و لم يقولوا (حاب) أصلا .

و جاءوا إلى (اسم) المفعول ، فأتوا به من الفعل الثلاثى فى الأكثر ، فقالوا : محبوب ، و لم يقولوا (محب) إلا نادراً ، كما قال الشاعر :

و لقد نزلت فلا تظنى غيره　　منى بمنزلة المحب المكرم

فهذا (المحب) من أحببت (الرباعى) ، كما أن المحبوب من حببت (الثلاثى) .

ثم استعملوا لفظ (الحبيب) فى (المحبوب) أكثر من استعمالهم إياه فى (المحب) ، مع أنه يطلق عليهما :

فمن مجيئه بمعنى المفعول ، قول ابن الدمينة :

وإن الكثيب الفرد من جانب الحمى　　إلى و إن لم آته لحبيب

أى المحبوب .

و من مجيئه للفاعل ، قول المجنون :

أتهجر ليلى للفراق حبيبها ... و ما كان نفساً بالفراق تطيب

فهذا بمعنى محبها .

و ربما قالوا للحبيب حب ، مثل خدن ، لخدن وخدين مثل : حب وحبيب .

و إذا ثبت هذا فقوله — رحمه الله — الحب ليس بمصدر لأحببت ، إنما هو عبارة عن الشغل بالمحبوب ، ليس الأمر كما قال ، بل هى مصدر للثلاثى أجروه على الفعل الرباعى ، استغناء عن مصدره ، و هذا لكثرة ولوع أنفسهم بالحب وألسنتهم به ، استعملوا منه أخف المصدرين استغناء به عن أثقلهما .

و أما مجيئه بالضم دون الفتح فكثير فى ذلك ، وهو قوة هذا المعنى ، وتمكنه من نفس المحب و قهره و إذلاله إياه ، حتى إنه ليذل الشجاع الذى لا يذل لأحد فيتقهر لمحبوبه ، و يستأثر له ، كما هو معروف فى أشعارهم و نثرهم ، وكما يدل عليه الوجود ، فلما كان (الحب) بهـذه المثابة أعطوه أقوى الحركات و هى الضمة ، فان حركة الحب أقوى الحركات فأعطو أقوى حركات المتحرك أقوى الحركات اللفظية ، ليتشاكل اللفظ و المعنى ، فلهذا عدلوا عن قياس مصدره و هو (الحب) بفتح الحاء ، إلى ضمه .

و أيضاً فانهم كرهوا أن يجيئوا بمصدره على لفظ الحب الذى هو اسم جنس للحبة ، و لم يكن بد من عدولهم إما إلى الضم أو إلى الكسر ، و كأن الضم أولى لوجهين ، أحدهما : قوته و قوة الحب ، الثانى : أن فى الضمة من الجمع ما يوازى ما فى معنى الحب من جمع الهمة والارادة على المحبوب ، فكأنهم دلوا السامع بلفظه و حركته و قوته على معناه .

و تأمل كيف أتوا فى هذا المسمى بحرفين :

أحدهما : الحاء التى هى من أقصى الحلق ، مبدأ الصوت ، ومخرجها قريب من

مخرج الهمزة ، من أصل المصدر ، الذى هو معدن الحب و قراره ، ثم قرنوها بالباء التى هى من الشفتين ، و هى آخر مخارج الصوت و نهايته ، كما اشتمل معنى الحب على بداية الحركة و نهايتها :

فان بداية حركة المحب من جهة محبوبه و نهايتها إلى الوصول إليه ، فاختاروا له حرفين هما : بداية الصوت و نهايته .

فتأمل هذه النكت البديعة تجدها ألطف من النسيم ، و لا تعلق إلا بذهن يناسبها لطافة و رقة :

فقل لكثيف الطبع و يحك ليس ذا بشنك فادرج سالماً غير غانم

و اشتقاقه (الحب) فى الأصل من الملازمة و الثبات ، من قولهم : أحب البعير فهو محب إذا برك فلم يثر ، قال الشاعر :

حلت عليه بالقطيع ضربا ضرب بعير السوء إذا حبا

فلما كان المحب ملازماً لذكر محبوبه ، ثابت القلب على حبه ، مقيماً عليه لا يريم عنه انتقالا ، و لا يبغى عنه زوالا : قد اتخذ له فى سويداء قلبه وطناً ، و جعله له سكناً ، قال الشاعر :

تزول الجبال الراسيات و قلبه على العهد لا يلوى و لا يتغير

فلذلك أعطوه هذا الاسم الدال على الثبات و اللزوم .

و لما جاؤا إلى المحبوب أعطوه فى غالب استعمالهم لفظ فعيل الدال على أن هذا الوصف ، وهو كون متعلق الحب أمر ثابت له لذاته وإن لم يحب فهو حبيب ، سواء أحبه غيره أم لا ، و هذا الوزن موضوع فى الأصل لهـذا المعنى الشريف ، و إن لم يشرفه غيره ، و هو من بناء الأوصاف الثابتة اللازمة ، كطويل و قصير و كريم و عظيم و حليم و جميل و بابه .

و هذا بخلاف مفعول فان حقيقته لمن تعلق به الفعل ليس إلا مضروباً لمن وقع عليه الضرب ، و مقتولا و مأكولا و بابه . فهجروا فى أكثر كلامهم لفظ محبوب لما يؤذن من أنه الذى تعلق به الحب فقط .

و اختاروا له لفظ حبيب الدال على أنه حبيب فى نفسه تعلق به الحب أم لا ، ثم جاءوا إلى من قام به الحب فأعطوه لفظ (محب) دون حاب لوجهين :

أحدهما : أن الأصل هو الرباعى ، و النطق به أكثر ، فجاء على الأصل .

الثانى : أن حروفه أكثر من حروف (حاب) ، و المحل محل تكثير ، لا محل تقليل .

فتأمل هذه المعانى التى لا تجدها فى كتاب ، و إنما هى روضة أنف منح العزيز الوهاب فهمها ، و لله الحمد و المنة .

و قد ذكرنا من هذا و أمثاله فى كتاب « التحفة المكية » ، ما لو وجدناه لغيرنا لأعطيناه حقه من الاستحسان و المدح ، و لله الفضل و المنة .

و أما جمع الشاعر له على ثلاثة أحباب فلا يخرجه عن كونه مصدراً ، لأنه أراد أن الحب ثلاثة أنواع ، و ثلاثة ضروب ، و هذا تقسيم المصدر نفسه ، و هو تقسيم صحيح .

فان للحب بداية و توسطاً و نهاية ، فذكر الشاعر الأقسام الثلاثة :

فحب البداية : هو حب العلاقة ، ويسمى علاقة لتعلق القلب بالمحبوب ، قال الشاعر :

أعلاقة أم الوليد بعد ما أفنان رأسك كالثغام المخلس

[أفنان الرأس : خصائص الشعر و طرائقه ، و الثغام : نبت أبيض] .

و الحب المتوسط : هو حب التملق ، وهو التذلل والتواضع للمحبوب ، والانكسار له ، و تتبع مواضع رضاه ، و إيقاعها على ألطف الوجوه ، فهذا هو التملق ، وهو

إنما يكون بعد تعلق القلب به .

و الحب الثالث : هو الذى يباشر القلب ، و يصطلم العقل ، و يذهب اللب ، و يمنع القرار ، و هذه المحبة تنقطع دونها العبارة ، و تمتنع إليها الاشارة ، و لى (لابن القيم) فيها أبيات :

وما هى إلا الموت أو هو دونها و فيها المنايا ينقلبن أمانيا

فقد بان لك أن الشاعر إنما أراد جمع الحب الذى هو المصدر باعتبار أنواعه و ضروبه .

و لنقطع الكلام فى هذه المسألة ، فان من لم يشبع من هذه الكلمات ، ففى كتاب التحفة أضعاف ذلك ، و الله الموفق) أ هـ (بدائع الفوائد ٢/٨٥ ـ ٨٩).

و نظر لكلمة حب بلفظة على وزنها ، تصلح أن تكون مصدراً ، و افترضها اعتراضاً ، ثم رد على الاعتراض بما يؤكد أن كلمة « حب » ليست مصدراً لفعل « حب ».

يقول رحمه الله تعالى :

(فان قيل : فقد قالوا سقم أو أسقام ، و السقم مصدر سقم ، فهذا جمع لاختلاف الأنواع ، لأنه اسم كما ذكرت .

قيل : هذه غفلة .

أليس قد قالوا : سقم بضم السين ، فهو عبارة عن الداء الذى يسقم الانسان ، فصار كالدهن و الشغل ، و هو فى ذاته مختلف الأنواع لجمع .

و أما المرض فقد يكون عبارة عن السقم و العلة ، فيجمع على أمراض .

و قد يكون مصدراً كقولك « مرض » فلا يجمع .

فان قيل : تفريقك بين الأمرين دعوى فما دليلها ؟ .

قلنا : قولك : عرق يعرق عرقاً ، لا يخفى على أحد أنه مصدر عرق ، والعرق

الذى هو جسم سائل مائع من الجسد ، لا يخفى على أحد أنه غير العرق الذى هو المصدر و إن كان اللفظ واحداً ، فكذلك المرض : يكون عبارة عن المصدر وعبارة عن السقم و العلة .

فعلى هذا تقول : تصبب زيد عرقاً ، فيكون له إعرابان :

« تمييز » إذا أردت المائع ، و (مفعول من أجله ، أو مصدر مؤكد) إذا أردت المصدر .

وكذلك دميت أصبعى دماً ، إذا أردت المصدر فهى مثل العمى ، و إن أردت الشئ المائع فهو دم مثل « يد » .

و قد يسمى المائع بالمصدر ، قال الشاعر :

فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ... و لكن على أعقابنا تقطر الدما

فهذا مقصور كالعصا ، و عليه قول الآخر :

جرى الدميان بالخبر اليقين . أ هـ بدائع الفوائد ٢/٨٩ ـ ٩٠ .

لقد تحدث ابن القيم — رحمه الله تعالى — عن نقاط تمس أصول اللغة العربية من قريب ، و كان حديثه حديث الواثق الفاهم ، و لمس نقاطاً تعزب عن بال الكثيرين :

فمن لم يفرق بين «سقم» بضم السين كداء و مرض فهو غافل ، لأن المرض عام فيهما . و السقم خاص .

و يكون الشئ إعرابان محتملان مع اتحاد اللفظ وزناً و معنى مباشرة أو غير مباشرة .

و اشتقاق لفظ (حب) من غير لفظه ، و روعى فيه جانب المعنى فى الملازمة و الثبات ، اللذان من شأنهما أن يكونا وصفاً للحب و المحبة و المحب و المحبوب .

و عند إمعان النظر ، واستعمال لفظ (حب) وما اشتق منه ... يرى ابن القيم أن لفظ (الحب) إنما هو مصدر الثلاثى ، لا أنه عبـــارة عن الشغل بالمحبوب ، و ليس مصدراً للرباعى (أحببت) .. بل أجرى العرب مصدر الثلاثى على الفعل الرباعى ، للاستغناء عن مصـــدره ، فاستعملوا أخف المصدرين للخفة و لكثرة ولوعهم بالحب .

و حديثه عن أنواع الحب ، تقسيم للمصدر نفسه : بداية و توسطاً و نهاية ، كشأن المحبين درجة ، و إخلاصاً ، و مفاعلة من الجانبين ، أو من جانب واحد ، مع شرف المقصد و المعنى .

و بين لماذا أعطوا الحب لفظاً يناسب الثبوت و الملازمة ، و أعطوا المحبوب لفظ فعيل ، للعلاقة بينه و بين المحب فى عموم و خصوص و جرى بما يلتقيان به ، و ينفرد المحبوب بما إذا لم يحبه غيره ، أو تعلق به الحب فقط .

و هجروا لفظ محبوب إلى حبيب ، لتعلق الحب به ، و أعطوه لفظ المحب للأصل الرباعى ، ولكثرة التعلق به ، و لكثرة حروفه عن حروف حاب ، والمقام مقـام تكثير .

وكيف كان ضم لفظ الحب فى ابتدائه لقوة الضم المناسبة بقوة الحب ... وشبيه بهذا فى التناسب ما قاله علماءأصول اللغة من اختيار الحرف القوى لقوة المعنى والعكس بالعكس ... و جاء ابن القيم ليثبت ذلك للحركة ، كما هى ثابتة للحرف ، وقديماً قال أبو ذر - رضى الله تعالى عنه ـ فى استئثار الأغنياء بمطايب الدنيا ونعيمها ، ومعاناة الفقراء لما خشن و غلظ و جف ، قال :

(يخضمون و نقضم ، و الموعد الله) ، على حد ما وضحه أئمة علماء اللغة ، فضلا عما فى معنى الضم فى (حب) من جمع الهمة و الارادة بما يناسب قوة الحب

و معناه ، فناسب أن تكون هذه المشاكلة الآتية من الضم لا من غيره .

و الحاء مخرجها من أقصى الحلق ، و الباء من الشفتين ، فكانت بداية الصوت و نهايته مناسبة لبداية الحركة و الشعور و نهايتها . المستغرقة لكل شئ بين المحبين ، فيكون الاستغراق والاتحاد ، أو يقول أحدهما للآخر يا أنا ، بلغة الحب فى العصر الحديث و بلغة المحبين المخلصين الطاهرى الغرض :

و فى الحب (لغتان) من الثلاثى و الرباعى ، و لتداخل اللغتين جاء مصدر هذا لذاك ، هجراً لاحدى اللغتين و استعمال مصدر الأخرى و العكس .

و ليس كل مصـدر مضموم الأول كالحب ، يتصرف تصرفه ، و كذلك كل فعل يتصرف أحد تصاريفه تصرف (حب) بضم الحـاء . لخصوص (الحب) و عموم غيره مما على وزنه .

رحم الله ابن القيم ، و علماءنا القدامى ، و نفعنا بعلمهم ، و لنا أن نردد قول الفرزدق :

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجالس



(عدالة السلف الصالح برهان يقظتهم)

كلمة تعقيب على ما نشرته صحيفة المدينة بعنوان « نتائج غفلة المسلمين »

فضيلة الشيخ سعد بن إبراهيم الخرعان
الباحث العلمي لهيئة كبار العلماء ـ الرياض

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه و من والاه، أما بعد :

فقد نشرت صحيفة المدينة بعددها رقم ٦٠٨٨ /صفر ١٤٠٤هـ ص ١٠ الموضوع المشار اليه أعلاه « نتائج غفلة المسلمين » .

و قد استهدفت فيه كعب الأحبار رحمه الله و هو تابعى جليل ، فرمته بالنفاق و الكيد منه للاسلام كما رمت الصحابة رضى الله عنهم بالغفلة إزاء ما زعمته من نفاق كعب و أمثاله من مسلمة أحبار أهل الكتاب كوهب بن منبه، فآل الأمر بالمسلمين من جراء تلك الغفلة المزعومة إلى قتل عمر ثم عثمان ثم الفتن التى انتشرت فعمت المسلمين كقطع الليل المظلم . . الخ .

و لا شك أن مثل هذا المقال المغرض لا يصدر إلا من جاهل بحقيقة حال كعب رحمه الله وبما كان عليه السلف الصالح من الصحابة و التابعين وتابعيهم باحسان أو من ذى غل أعمى بصيرته ، فلم يبصر حال أولئك على حقيقتها فضل عن واجب الأخوة الايمانية حيث قال الله تعالى (والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا و لإخواننا الذين سبقونا بالايمان و لا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) .

كما لم يتمثل وصية رسول الله ﷺ حيث قال : الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضاً بعدى، فمن أحبهم فبحبى أحبهم، و من أبغضهم فببغضى أبغضهم و من آذاهم فقد آذانى و من آذانى فقد آذى الله و من آذى الله يوشك أن يأخذه) قال الترمذى حسن صحيح ، و قال ابن حبان صحيح ، وكذا الحاكم .

و قوله (لا تسبوا أصحابى فو الذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه - متفق عليه ، وقوله فى الأنصار : لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق فمن أحبهم أحبه الله و من أبغضهم أبغضه الله ، رواه البخارى . و الآيات والأحاديث الدالة على وجوب موالاة السلف الصالح ومودتهم و الذب عنهم كثيرة معلومة .

و أما ما شجر بينهم فمسلك النجاة من آثاره هو الكف عنه كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال « وأما ما شجر بينهم فالواجب الكف عنه ، لأنهم إما مجتهدون مصيبون فلهم أجران أجر اجتهادهم و اجر ما أصابوا فيه ، وإما مجتهدون مخطئون فلهم أجر اجتهادهم والخطأ مغفور لهم .

ثم القدر الذى ينكر من فعل بعضهم قليل مغمور فى جنب فضائلهم ومحاسنهم من الايمان بالله و رسوله و الجهاد فى سبيله و الهجرة و النصرة و العلم النافع و العمل الصالح .

و من نظر فى سيرتهم بعلم وبصيرة وما من الله عليهم به من الفضائل علماً يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التى هى خير الأمم وأكرمها على الله ، فرضى الله عنهم أجمعين ١٠هـ » .

فموقف كل مسلم من السلف الصالح موقف من أرشده الله فقال (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) .

(عدالة السلفى كعب خاصة و أن ما نسب إلى الصحابة عامة من كلمة تعقيب على ما نشرته صحيفة افلا تعويل عليها بحال ، كيف وقد زكاهم من يعلم السر واخفى . رسوله ﷺ بالرفيق الأعلى و هو عنهم راض .

أفبعد تزكية الله لهم قرآناً يتلى إلى أن يرث الأرض و من عليها، ورضا رسوله ﷺ عنهم سنة ثابتة كالشمس فى رابعة النهار يجترىء على اتهامهم بنقيصة إلا جاهل مركب أو منحرف عن سبيل المؤمنين قد عرض نفسه للوعيد حيث قال الله تعالى (و من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهــدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) .

وما حقيقة الطعن فيهم و حاشاهم إلا الطعن فيما وصل إلى المسلمين بعدهم من الدين الحنيف . قال أهل التحقيق : و أما كعب الأحبار و أمثاله من مسلمة أهل الكتاب كوهب بن منبه فليسوا فى عداد المنافقين كما زعمته الصحيفة ولا حتى فى عداد الضعفاء من أصحاب الرواية و لا يقدح فى عدالته هو و أمثاله أن كانوا يروون أخباراً من كتب قد دخلها التحريف و التبديل ، قال عنه معاوية رضى الله عنه (أن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب و أن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب) فهذا القول توثيق لكعب من معاوية وثناء عليه بأنه من أصدق المحدثين وكون بعض ما يرويه عن أهل الكتاب لا يطابق الواقع فرجع هذا إلى تلك الكتب المنقول عنها حيث دخلها التحريف و التبديل لا إلى كعب إذ لم يتعمد الكذب ، وكقول معاوية قول ابن عباس فيه بدل من قبله فوقع فى الكذب ١٠هـ .

و التحديث عن بنى إسرائيل كما درج عليه السلف الصالح لا حرج فيه لقول النبى ﷺ بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج و من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . (رواه البخارى) .

وقال ابن حبان فى كتاب الثقات تجاه كعب : أراد معاوية أنه يخطىء أحياناً
ا يخبر به ولم يرد أنه كان كذاباً) اهـ .

و قال ابن الجوزى رحمه الله : المعنى أن بعض الذى يخبر به كعب عن أهل لكتاب يكون كذباً لا أنه يتعمد الكذب و إلا فقد كان كعب الأحبار من خيار الأحبار - اهـ .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله (فى تأويل الحديث يعنى فيما ينقله : لا أنه ان يتعمد نقل ما ليس فى صحفه ولكن الشأن فى صحفه أنها كانت من الاسرائيليات لتى غالبها مبدل مصحف محرف مختلق - اهـ .

وقد عده ابن سعد فى الطبقة الأولى من تابعى أهل الشام و اتفقت كلمة نقاد الحديث على توثيقه ، ولذا لا يوجد له ذكر فى الضعفاء .

و مما تقدم ذكره يتضح أن الواجب لزوم تقوى الله تعالى و التأسى بمسلك السلف الصالح تجاه كعب و أمثاله و الكف عن قالة السوء بلا علم و دونما مصلحة شرعية ، قال تعالى (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) وقال (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) .

ولا جرم فنصوص الكتاب و السنة كفيلة بتمييز الغث من السمين مما روى عن أهل الكتاب فلا لبس ، والحمد لله أولا و آخراً و صلى الله وسلم على من بلغ البلاغ المبين محمد عبد الله ورسوله وخيرته من خلقه و على آله وصحبه .

الحج هو موسم المسلمين الأكبر !

الدكتور : توفيق محمد شاهين

يقول الله تعالى : « و لله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » :
الحج هو الركن الخامس من أركان الاسلام ، و قد كلف الله به من استطاع إليه سبيلا ، وكل إنسان أعرف بنفسه وأموره و أحواله ، والله عليم بذات الصدور .

و أمر المسلم كله خير ، و لم يكلفه الله سبحانه إلا بما فيه اصلاحه و نفعه فى حياته الدنيا ، و فى الآخرة طريق إلى الجنة .

فالصلاة : تطهر الانسان يومياً ، و تغفر ذنبه ، و تقوى عزمه ، و تقربه من ربه .

و الزكاة : قربى إلى الله تعالى ، و بركة للمال ، و جبر لخاطر الفقير ، وتعاون و مودة فى المجتمع .

و الصيام : سر بين العبد و بين ربه ، و جهاد النفس ضد النفس و نوازعها ، و إحساس بألم المسكين الجائع ، و تربية الارادة ، و تقدمة طاهرة ، تؤدى إلى رحلة الحج العظيمة .

و الحج : هو موسم المسلمين السنوى الأكبر ، فيه يذكرون اسم الله فى أيام معدودات ، و يشاهدون الأماكن المقدسة ، و يتشاورون فى كل ما يعود عليهم بالخير و البركات ، و على البشرية بالسعادة .

و فى الحج عبر و عظات و حكم .

فيتذكر المسلمون : أن المسجد الحرام فى مكة انتصار لتوحيد الله ، و عبادته

وحده ، و سقوط و هزيمة للوثنية و الشرك فى كل مظاهره .

و يتذكرون : جهاد إبراهيم خليل الله ، و ابنه اسماعيل عليهما السلام ، فى سبيل الله ، و بناء البيت العظيم ، و يتذكرون دعوة أبى الأنبياء إبراهيم ربه فى أنه يهب الانسانية نبينــا محمداً ﷺ ، يزكيهم و يهديهم إلى الدين الحق الكامل ، و إلى الصراط المستقيم إلى يوم الدين .

و يتذكر المسلمون : أن قبلتهم و احدة هى الكعبة المشرفة ، و أن إلهم واحد ، و أنهم أمة واحدة ، يؤمنون بالله و رسوله ، و يحترمون الأديان الصحيحة السابقة .

و أن عليهم أن يتحدوا ، ويكونوا أمة واحدة ، تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر ، و تتعاون على الخير ، و تسعى للخير .

و فى الحج تنمية عواطف المحبة والمودة والايمان والاخلاص لله رب العالمين ، و رحلة روحية ممتعة كريمة ، و مناسك الحج ليست معقـدة ، و إنما هى مبسطة : تتمثل فى الوقوف بعرفة ، و الطواف حول البيت العتيق ، و السعى بين الصفـا و المروة ، و رمى الجمرات فى أيام التشريق ... إلخ .

و الكون كله مسبح و عابد لله تعالى ، وحين يلبى الحاج بقوله « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ... » فانه يعلى صوته فخوراً وفرحاً ، مجيباً للدعوة الكريمة التى أوحاها تعالى إلى خليله إبراهيم عليه السلام ، فى قوله تعالى : « و إذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ألا تشرك بى شيئاً ، و طهر بيتى للطائفين و العـاكفين و الركع السجود ، و أذن فى النـاس بالحج يأتوك رجالا و على كل ضامر ، يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ، و يذكروا اسم الله فى أيام معلومات » (الحج ٢٦ ـ ٢٧) .

و كل الكائنات التى خلقها الله تشارك الحاج فى التلبية ، و يتحول الوجود كله إلى مظاهرة أو عرس توحيدى لتسبيح الله و شكره و حمده ، قال ﷺ : ما من قلب يلبى إلا لبى عن يمنه و شماله من حجر أو شجر أو مدر ، حتى تنقطع الأرض من هاهنا و هاهنا عن يمينه و شماله .

و نتذكر فى الحج أمنا العظيمة « هاجر » حين رضيت بقضاء الله و قدره ، وجلست مع وليدها إسماعيل عليه السلام بجانب الكعبة صابرة يؤنسها ربها ، ويكرمها هى و ابنها و نحن من بعدها بماء زمزم المبارك . و الذى فيه شفاء و غذاء و رى ، و جعل الله سبحانه خطوات هاجر شعائر لنا فى الحج ، و كذلك ذكريات إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام ، « واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى » ، وقال تعالى : « فيه آيات بينات مقام إبراهيم » .

و نتذكر طغيان قوم أبينا إبراهيم عليه السلام ، حين دعاهم إلى عبادة الله وحده و ترك عبادة الأوثان ، فرموه فى النار العظيمة عقوبة له على نبذ عبادة الأصنام (كما جاء فى سورة الأنبياء ٥١ ـ ٧١) ، و لأنه يقول : « إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات و الأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ، و حاجه قومه قال : أتحاجونى فى الله و قد هدان » (الأنعام ٧٩ ـ ٨٠) .

و نتذكر طاعة إسماعيل عليه السلام لوالده ، حين رأى فى المنام أنه يذبح ولده ، فأسلم إسماعيل عنقه للذبح ، قائلا : « يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين » (الصافات ١٠٢) .

و فى الجاهلية حرف الناس كثيراً فى شعائر الحج ، فأشركوا مع الله غيره أصناماً عظموها و عبدوها و وضعوها حول الكعبة ... فلما جاء الاسلام أعاد فى القلوب الوحدانية ، و للبيت حرمته ، و للحج نظامه و نظافته ، و حطم النبى ﷺ

لاصنام كلها يوم فتح مكة ، و هو يقول : « جاء الحق و زهق الباطل ، إن الباطل ن زهوقا » ، و أصبحت الكعبة قبلة لكل الناس ، و لكل المساجد كذلك إلى م الدين .

و كما أن الملائكة يسجدون حول العرش خاشعين ، كذلك الحجاج فى أيام لحج يسبحون حول الكعبة ، و يذكرون الله تعالى خاشعين ، راجين عفوه رحمته و معونته .

و حين يلبى الحاج تقول له الملائكة : لبيك و سعديك و الخير بين يديك ، حجك مبرور و ذنبك مغفور .

و حين نمتثل لأمر الله تعالى بأداء أعمال الحج ، فانما هى الطاعة للإله الواحد القاهر و اللطيف الخبير .

و نحن — مثلا — حين نقبل الحجر الأسود أو نشير إليه ، وحين نرجم احجاراً أخرى فى منى ، فانما هذا و ذاك امتثال لأمر الله تعالى ، و طاعة لنبينا ﷺ ، ولسنا نعبد أصناماً ولا أحجاراً والعياذ بالله ، و واجب الحاج أن تكون كل أعماله و أقواله و حركاته و سكناته خالصة لله تعالى .

فيكون فى سلام مع نفسه ، و مع غيره من الناس ، و مع خلق الله سبحانه من حجر و شجر و طير و حيوان ...

و يقدم الخير ما استطاع ، فيساعد المحتاج ، ويرحم الضعيف ، ويقول الحق، و الصدق ، و تطهر جوارحه و قلبه .

و يمتنع عن الشر و الفساد ، و عن قول الكذب والباطل ، و فعل المنكر ، و لا يصدر عنه إلا كل خلق فاضل ، يصدر عن إنسان مهذب مسلم ، يقول الله تعالى : « الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث و لا فسوق

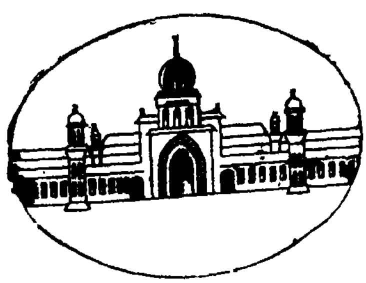
و لا جدال فى الحج ، و ما تفعلوا من خير يعلمه الله ، و تزودوا فان خير الزاد التقوى » (البقرة ١٩٧) .

قال رسولنا ﷺ : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، و الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » وسئل ـ عليه السلام ـ عن أى الأعمال أفضل ؟ قال : إيمان بالله و رسوله ، ثم جهاد فى سبيله ، ثم حج مبرور » ، و روى عنه — عليه الصلاة و السلام — أنه قال : « من حج لله فلم يرفث ، و لم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه » .

و بعد : فان التعارف غاية كبرى فى الحج ، و تطهير النفس غرض أسمى ، و تجمع القلوب و وحدة الأمة الاسلامية اليوم أمر فى غاية الأهمية لعزتهم و شرفهم و كرامتهم .

و على الحاج أن يتوب توبة نصوحاً قبل حجه ، و يرد المظالم إلى أهلها ، و يستسمح الناس الذين ظلمهم ما أمكنه ، ويحج من مال حلال ، و يكون متواضعاً صاحب خلق كريم ، و مثلا أعلى بين الناس كمسلم كامل حج بيت الله الكريم ، و أدى ركناً عظيماً من أركان الاسلام .

و الله يوفقنا جميعاً لحج بيته الكريم ، و لما يحبه و يرضاه ، إنه هو السميع المجيب لدعوة الداعين .



الفقه الاسلامى :

من أحق بالفتيا ؟ ! !

الأستاذ محمد إبراهيم شقرة
مدير المسجد الأقصى / عضو مجلس الافتاء بالأردن

حينما رزحت على صدر مجتمع المسلمين كوارث الكفر ، وأقامت بين أظهرهم بوائق الشر ، وسلبتهم الامم الغالبة حرية التصرف فى شؤونهم وفق مقتضى شريعة الاسلام ، و ألزمتهم السير فى ركابها ، و الأخذ بكل ماتمليه عليهم فى نظام حياتهم ، صاروا إلى حالة من السوء أدنى ما تكون إلى الشك فى صحة شريعة الاسلام وحقيقتها بالأخذ ، وجعلوا يصرفون ـ مع اتساع رقعة الزمن ـ أبصارهم عنها ، يأخذون لأنفسهم من غيرها مما قد يتفق او لا يتفق مع صريح الشريعة ، متأولين نصوصا فقهية لايدرى فى حقيقة الأمر صحة نسبتها إلى قائليها ، لكثرة ما اعتور مؤلفاتها ، محاولين بذلك التلفيق أو التوفيق بين ما صار مفروضاً عليهم ، وبين ما تفرضه الشريعة من أحكام ، غير ذاكرين أن ذلك الشك لا يتطرق من قريب أو من بعيد إلى الأصلين اللذين يجب على كل من يطلب منه الافتاء أن يعود اليهما فى فتواه ، إذ الافتاء هو فى حقيقته اجتهاد .

واختلاف العلماء فى مسألة من المسائل يعود فى جميع أحواله إلى أمرين اثنين

أحدهما : عدم توفر الدليل مما يحمل العالم على الاجتهاد قياساً على مسألة أو استنباطا من دليل عام يتناول مسائل كثيرة .

ثانيهما : وجود الدليل و لكن ربما خفى وجه الدلالة فيه على المسألة التى دلل به عليها عالم ، وظهر وجه الدلالة فيه بشكل أدق وأسلم لعالم آخر ، و هذا يكون لاختلاف قوة النظر بين العلماء ، بما أوتى كل منهم من فهم النص ذاته ، و بمعرفته

بما يتصل به من أحوال تعين على فهمه، بغض النظر عن فلان أو فلان ، فان الحق لا يعرف بالرجال ، بل الرجال يعرفون بالحق .

وهنا يأتى دور العالم أو الفقيه فى أى زمان ، و فى أى مكان ، أن ينظر فيما نظر فيــه العلماء أو الفقهاء الذين مضوا قبله ، وخلفوا وراءهم فى المسائل التى اجتهدوا فيها ، لا فى الأخذ بها أخذاً مسلماً فيه ، من غير ترجيح لاجتهاد على اجتهاد فى مسألة ما ، و لا فى النظر الحائر الذى يتيه فيه النـاظر نفسه ، فضلا عن غيره ممن ينتظر أن يعرف حكم الله فى هذه المسألة ، ولا فى سوق الاجتهاد فيها سوقا مجرداً ، قائلا : هذا رأى فلان فى هذه المسألة و هذا رأى فلان ...... الخ .

و لا فى التعصب لرأى واحد لا يحمله عليه إلا الهوى ، فكل هذه لا يكون فيها نصح لعامة المسلمين و لا لخاصتهم ، وليس يصح أن يقال : إن فى واحد من هذه كلها علما صحيحاً بله أن يقال إفتاءاً .

إذا فواجب العلماء فى المسائل التى اختلفت فيهـا أنظار العلماء باجتهادهم هو النظر من جديد فى هذه المسائل ، بإنزالها على أدلتها من الكتاب و السنة و اجماع الأمة ، فان رجح لديهم اجتهاد عالم فى مسألة منها على اجتهاد عالم آخر لموافقته صريح الدليل ، فيكون اجتهادهم فيها قد وافق اجتهاد من سبق ، ولا يكون ذلك إلا محض توافق فى نظر مجتهدين اثنين متقدم منهما و متأخر ، اجتهــد كلاهما ، مستندين فى اجتهادهما إلى دليل .

و فى الأغلب أن اجتهاد المتأخرين لا يتجاوز دائرة اجتهاد المتقدمين فى المسائل التى اجتهــدوا فيها ، و لا يعدو اجتهادهم ترجيح رأى على رأى ، إلا فى قليل من المسائل التى اختلفت أيضاً فيها أنظار المتقدمين للسببين اللذين ذكرنا آنفا ـ غير أن اختلافهم لم ينته بأحدهم إلى الوقوف على الحكم الصحيح فى هــذه المسائل ، وهنـا يكون الدور الكبير للمتأخرين من العلماء ، القادرين على النظر الاجتهـادى ، ليقدموا

جديداً من العلم للامة غفل عنه المتقدمون، أو أخطأوا فيه، أو لم يقطعوا فيه برأى لخفاء الدليل أو ذهابه. ولا يقال هنا: لم يترك المتقدمون للمتاخرين شيئاً، بل يقال: كم ترك المتقدمون للمتأخرين، و فی عالمنا الاسلامی الیوم وفرة من العلماء القادرین علی النظر الاجتهادی، ولكن منهم من يحجم عن الاجتهاد وهم الأكثرون، ومنهم من يقتحم على الاجتهاد دائرته و هم الأقلون، فيخرج منها بين الفينـــة و الفينة قبضة من العلم، ينثرها بالقلم و اللسان بين المسلمين فی بلادهم و فی غير بلادهم.

و قد منى هؤلاء الأقلون بجهلة ممن يلحقون أنفسهم بالعلم إلحاقاً، و سربلوا أجسامهم بسرابيل تقيهم الأقل منهم جهلا أن يفتضحوا فی أعينهم، و غشيتهم غواشی الحسد الأسود، فانطلقوا فی خفوت أحياناً، و فی صراخ أحياناً أخرى يمكرون بأولئك الأقلين، ويكيدون لهم كيداً لا يفعله أعدى الأعداء، وأشدهم حرباً على الحق، و يصورونهم تارة بالخروج على جماعة المسلمين، وتارة بكراهية الائمـــة الاعلام، و تارة بالطعن على الأولياء، و تجريح الأتقيـاء. وتارة بركوب متن الهوى وخرق إجماع الأمة، وتارة بالابتداع و التلاعب بنصوص الكتاب والسنة، وتارة بالتآمر على الأمن، و تارة باثارة الفتن، و تارة و تارة، فيلقى أولئك الأقلون من هؤلاء من الشر و البهت مالا يقوى على احتماله إلا أولو العزم.

ومما يزيد من إلزام هؤلاء الأقلين بالاجتهاد الأمور الحادثة التی لم تكن فی عهود مضت، وهی كثيرة، ولا يمكن القول بالاكتفاء بوقوعها، وترك الناس وشأنهم فيها، من غير أن يفصل بين ما هو محظور منها وبين ما هو مباح، فان إظهار حكم الله فی المسائل الحادثة واجب لا محيد عنه، وتخلى القادر عنه فيه إثم كبير، لأن الله سبحانه انتدب لدينه طائفة من العلماء أوجب عليهم ذلك، ولا يستقيم أمر الاسلام فی حياة الناس إلا به، ولا يعظم شأن الاسلام فی أعين الناس إلا به، ولا يقبل غير المسلمين على الاسلام إلا به، أحجم العلماء القادرون عن إظهار حكم الله فی هذه

المسائل ، فانهم بإحجامهم هذا قد ألقوا الناس فى ظلمات الحيرة و الاضطراب .

و إذا قدر وجود فقهاء مذاهب فى زماننا ، ليس فيهم قدرة سوى استي
نصوص المذاهب ، وحكايتها كما هى لمن يستفتونهم ، والقطع فى أنفسهم أنها هى ا
ولا حق سواها ، أو أن الحق متعدد بتعدد المذاهب التى ينسبون أنفسهم اليها ،
تراهم يحرصون على إلزام الناس بها بما يكون أشد من حرصهم على استقصاء ا
المذهب ، الذى يفتون به من يستفتونهم ، و يعلن فى الناس أنهـم مفتون ، فه
ما كان ينبغى أن يرضوا أن يتبوأوا مناصب المفتين ، لأنهم يعلمون أن الافتاء
الاجتهاد ، و المفتى مجتهد ، وهم قد قعدوا عن بلوغ مرتبة الاجتهاد ، إما من
و إما من خوف ، وكلاهما حائل لهم عن الوصول إلى منصب الافتاء فأولى بمر
يعرف من نفسه عجزاً عن الاجتهاد ، أو خوفاً من ولوج بابه ، وهو يتبوأ منه
الافتاء أن يعتزله لئلا يحمل وزره ويتخوض فى إثمه .

و لا يجوز شرعاً إذا وجد من يقدر على الفتيا بالنظر فى ما تيسر له مر
الأدلة ، و المعرفة بمذاهب المجتهدين ـ أن يصد عن الفتيا ، أو يؤخذ بعجزه ع
أما من كان جاهلا بها يتكشف جهله من أول فتيا يفتى بهـا ، و لم يعرف عنه
التسليم للمذهب الذى تفقه فيه ، من غير أن يكون له جهد إلا نقل مسائله
يستفتونه ، فهذا هو الذى يمنع من الفتيا ، وحتى هذا لا يجوز على ضعه من كار
مثله ، أو من كان دونه ، أو من كان أعلى منزلة منه فى معرفة المذهب والتسليم

و قد أخبر النبى ﷺ عن زمان يأتى على الناس يتصرف فيه العلماء ويض
فيه العلم ، و ينزع الناس فيه إلى الجهل فقال : إن الله لا يقبض هذا العلم انتز
ولكن يقبضه بموت أهله ، حتى إذا مات العلماء اتخذ الناس رؤساء جهالا (فاستفت
فأفتوهم فضلوا و أضلوا) ، أفيكون من حق هؤلاء الذين أخبر النبى ﷺ عنهم

يقولوا فى الدين ويجولوا كما يشتهون ، ثم لا يكون من حق من أكرم الله بعلم الكتاب و السنة والاحاطة بمذاهب أئمة الاسلام ومجتهديه أن يفتى ، فاذا أفتى انتضى أولئك أقلامهم و أحقادهم و حسدهم ثم أخذوا يأتمرون عليه ويظهرونه فى أعين من ألقوا إليهم بمقاليد عقولهم الجاهلة أنه داعية فرقة ، ومثير فتنة ، ومدبر مكيدة ، لا تحكمهم تقوى ، و لا يردهم دين ، و لا يردعهم خوف من الله و لا اليوم الآخر .

و أضع بين يدى القارىء الكريم ما كنت كتبته فى كتابى (الرأى السديد فى الاجتهاد و التقليد) تحت عنوان « و أخيرا المفتى » .

إن من أهم ما يجب أن يعرفه طالب العلم أن الفتوى فى الدين أمرها ليس بالسهل وأنه لا يجوز لأى إنسان أن يتعرض لها من غير أن يتخذ الأسباب الكاملة التى تؤهله أن يفتى فى المسألة الواحدة ، أو المسائل الكثيرة التى تعرض له ، ولا ينبغى أن يغيب عن غفلة طالب العلم أنه إذا ذكر الاجتهاد ذكر الافتاء ، فهما صنوان ، و لذا يجب علينا أن نعرف الأوصاف التى يجب أن تتوفر فى المفتى أولا : قال أحمد بن حمدان الحرانى الحنبلى :

« و من صفته و شروطه ـ أى المفتى ـ أن يكون مسلماً ، عدلا ، مكلفاً ، فقيهاً ، مجتهداً ، يقظاً ، صحيح الذهن و الفكر و التصرف فى الفقه و ما يتعلق به » .

ثم عرض ابن حمدان رحمه الله إلى تفصيل هذه الشروط و بيانها ، و صفة الاجتهاد التى تؤهل المفتى للافتاء ليس مقصوداً بها أن يكون قد نال مرتبة الاجتهاد المطلق ، بل المهم أن يكون مجتهداً فيما يفتى فيه ، فالمجتهد المطلق ، و مجتهد المذهب ، و المجتهد فى نوع من أنواع العلم كأن يكون متبحراً فى علم الفرائض مثلا ، و مجتهد المسألة أو المسائل ، كل هؤلاء مجتهدون ، و يجوز لهم أن يفتوا ، أما المجتهد المطلق فله أن يفتى فى كل مسألة يسأل عنها ، و أما مجتهد المذهب فيدانه المذهب الذى تفقه فيه ، و عرف مسائله كلها خفيها و جليها ، فهو إذ يفتى إنما يفتى بالمسألة المستندة إلى دليلها الذى يعرفه و يتقنه ، وأما المجتهد فى نوع من العلم فيفتى فى مسائل

هذا العلم فقط دون سواها ، و أما مجتهد المسألة أو المسائل فلا يجاوزها إلى غيرها في فتياه .

و أما ما ترى عليه المفتين اليوم في أغلب بلاد المسلمين من التقيد في فتياهم بمسائل المذاهب التي تفقهوا بها ، من غير نظر في الدليل ، فان ذلك منهم لا يعتبر إفتاء ، و إنما هو حكاية لرأى أو بيان لاجتهاد رجل آخر حفظ عنه مسائله التي أفتى بها و هو إذ يفعل ذلك إنما يفتى من غير دليل وهذا لا يجوز في المفتى أبدا ، يقول ابن القيم رحمه الله (ينبغي للمفتى أن يذكر دليل الحكم و مأخذه ، فهذا لضيق عطانه و قلة بضاعته من العلم ، و من تأمل فتاوى النبي ﷺ الذى قوله حجة بنفسه ، رآها مشتملة على التنبيه على حكمة الحكم و نظيره و وجه مشروعيته ، فاذا عريت الفتوى من الدليل فلا يجوز للمفتى أن يفتى مقلداً إمامه في المذهب من غير نظر في الدليل ، بل يكتفى بمعرفة حكم هذه المسألة التي تعرض له عند إمام مذهبه من غير أن يعرف دليلها .

و قال الرازى في المحصول . « اختلفوا في المجتهد ، هل يجوز له الفتوى بما يحكيه عن المفتين ، فيقول : لا يخلو إما أن يحكى عن ميت أو عن حى ، فان حكى عن ميت لم يجز له الأخذ بقوله لأنه لا قول للميت ، لأن الاجماع لا ينعقد على خلافه حياً ، و ينعقد على موته ، و هذا يدل على أنه لم يبق له قول بعد موته ، و قد حكى الغزالى في المنخول إجماع أهل العلم على المنع من تقليد الأموات .

و لذلك كان الصحابة و التابعون يحذرون من الفتيا التي لا تستند إلى دليل من قرآن أو سنة فهذا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يقول لجابر بن زيد و قد لقيه في الطواف : « يا أبا الشعثاء ، إنك من فقهاء البصرة ، فلا تفت إلا بقرآن أو سنة ، فانك إن فعلت غير ذلك هلكت و أهلكت » و يقول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : « تعلموا العلم قبل أن يقبض ، و قبضه أن يذهب أهله ،

الا و إياكم و التنطع و التعمق و البدع ، و عليكم بالعتيق » .

و كانوا يرون اثم الفتيا يلحق من يفتى بغير دليل ، لأنه بفتياه هذه حمل من قبل فتياه أن يعمل بها من غير تثبت، يقول أبو هريرة رضى الله عنه : « من أفتى فتيا من غير تثبت فانما أثمه على من افتاه » .

كما كانوا يكرهون السؤال عن أمر لم يقع لما فيه من التكلف، فعن مسروق قال : « كنت أمشى مع أبي بن كعب فقال فتى : « ما تقول يا عماه فى كذا و كذا ؟ قال يا ابن أخى أكان هذا ، قال : لا . قال فأعفنا حتى يكون » ، و عن الأعمش قال : « كان إبراهيم إذا سئل عن شئ لم يجب فيه إلا جواب الذى سئل عنه » .

و كانوا يمسكون عن الفتيا بما لا يعلمون خشية أن يقعوا فى هلاك بفتياهم ، و يرون النجاة فى قول لا أدرى ، فعن الشعبي قال : « لا أدرى نصف العلم » .

انظر إلى ما يقوله أعلام العلماء ، ثم انظر ما يكون من مفتي هذا الزمان ، واعتمادهم فى فتاواهم على ما استودعه المؤلفون بطون كتبهم ، وهم يظنون أنهم بذلك يحسنون صنعا ، أو أن العلم لان لمقولهم ، و لو علم هؤلاء المفتون لم صنف الفقهاء كتبهم لراجعوا أنفسهم كثيراً قبل أن يعمدوا إلى إحدى فتاواهم فيفتوا الناس بها ، و الفقهاء الذين ألفوا ثم أفضوا إلى ربهم رحمهم الله ما ألفوا إلا لأمرين :

الأول : ليفيد الناس من بعدهم طرق الاجتهاد ، و ذلك لحسن تصرفهم فى فى الحوادث و بناء بعضها على بعض ، و ثانيهما : لمعرفة المتفق من المسائل والمختلف فيها ، و هذا اللون العلمى لا نجده إلا عند فئة قليلة من الفقهاء و هم الطبقة الممتازة كالنووى ، و ابن قدامة ، و ابن حزم رحمهم الله ، أما الغالبية العظمى من الفقهاء فهم ناقلون جماعون .

اما أن يحكى غير المجتهد فتواه عن مجتهد حى ويفتى الناس ، فقد قال فيه الآمدى رحمه الله : « ذهب أبو الحسن البصرى و جماعة من الأصوليين إلى المنع من ذلك

لأنه إنما يسأل عما عنده لا عما عند غيره ، ولأنه لو جازت الفتوى بطريق الحكاية عن مذهب الغير ، لجاز ذلك للعامى ، و هو محال مخالف للاجماع » وقال ابن القيم رحمه الله : « ليحذر المفتى الذى يخاف مقامه بين يدى الله سبحانه و تعالى أن يفتى السائل بمذهبه الذى يعتقده و هو يعلم أن مذهب غيره فى تلك المسألة أرجح من مذهبه و أصح دليلا ، فتحمله الرئاسة على أن يقتحم الفتوى بما يغلب على ظنه أن الصواب فى خلافه ، فيكون خائناً لله و رسوله ، و غاشاً له ، و الله لا يهدى كيد الخائنين ، وحرم الجنة على من لقيه و هو غاش للاسلام و أهله ، و الدين النصيحة ، و الغش مضاد للدين كمضادة الكذب للصدق و الباطل للحق » و قد تقدم معنا كلام لابن القيم أيضاً نصه : « ينبغى للمفتى أن يذكر دليل الحكم و مأخذه ، و لا يلقيه للمستفتى ساذجاً مجرداً عن دليله و مأخذه » .

و قال أيضاً : « لا يجوز للمقلد أن يفتى فى دين الله بما هو مقلد فيه و ليس على بصيرة فيه سوى أنه قول من قلده دينه ، هـذا اجماع السلف كلهم ، و صرح الامام أحمد و الشافعى رضى الله عنهما بذلك » .

هذه النقول تكفى فى تعريف المفتين واجبهم و ما ينبغى عليهم أن يفعلوه من بذل الجهد فى استيعاب العلم و معرفة خوافيه و ظواهره ، و صرف الهمة إلى علوم الكتاب و السنة ، و الوقوف بالمسائل عند حـدودها المرسومة التى عرفها السلف الصالح ، فوقفوا عندها ، و ليعلم ان الافتاء جليل الشأن خطير الأثر ، فان فتوى المفتى شريعة عامة كما يقول ابن القيم رحمه الله تعالى ، وقد اخرج أبو داود عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « و من أفتى بغير علم كان اثمه على من افتاه » .

و لا شك أن الافتاء أصعب منزلة من القضاء لأن المفتى من شأنه إصـدار ما يرد عليه من ساعته بما حضره من القول ، والقاضى شأنه الأناة و التثبت ، ومن تأنى و تثبت تهيأ له من الصواب ما لم يتهيأ لصاحب البديهة .

التجديد فى الشريعة الاسلامية ، أبعاده و حدوده

فضيلة الشيخ محمد تقى العثمانى
تعريب : محمد أكرم الندوى

« التجديد » فى نفسه عاطفة محمودة و رغبة بشرية طبيعية ، و لو انعدمت هذه الرغبة لما أمكن الانسان أن يصل من عهد الحجر إلى عهد الذرة، ومن الركوب على الابل و الخيل إلى الطيران فى الفضاء ، و من الاستضاءة بالشموع و الأسرجة إلى المصابيح الكهربائية ، إن ما أحرزه الانسان من الانجازات المادية و العلمية التى سخرت القمر و الكواكب فى جانب و وصلت إلى أعماق البحار فى جانب آخر ليس ذلك إلا رهن رغبته الطبيعية و هى « التجديد » .

فالاسلام الذى هو دين طبيعى لم يفرض القيود على « التجديد » لمجرد أنه « تجديد » بل ربما استحسنه و شجع عليه .

لا سيما و قد ثبت عن النبى ﷺ استخدام الأساليب الحديثة فى الصناعات و الفنون الحربية ، فانه حينما تكتلت القبائل ضد النبى ﷺ و بيتت أن تشن الهجمة على المدينة ، قدم سلمان الفارسى رضى الله عنه خطة جديدة لم يكن للعرب عهد بها من قبل ، و هى أن يحفر خندق حول المدينة ، فأعجب النبى ﷺ بهذه الخطة وساهم بنفسه فى حفر الخندق (١) .

و قد استخدم النبى ﷺ فى غزوة الطائف باشارة من سلمان الفارسى نفسه

---

(١) راجع البداية و النهاية ج ٤ ص ٩٥ .

سلاحين حربيين جديدين ، أعدهما بيده ، و هما المنجنيق و الدبابة (١) .

و قد ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله أن النبى ﷺ بعث عروة بن مسعود و غيلان بن سلمة إلى جرش وهى مدينة فى الشام ليتعلما فيها صناعة الدبابة والمنجنيق و الضبورة و كانت جرش مدينة صناعيـة معروفة ، و الضبور سلاح حربى على طراز الدبابة كانت الروم يستخدمونها فى الحروب (٢) .

و يذكر الحافظ ابن جرير أن النبى ﷺ أمر أهل المدينـة بأن يكثروا من إنتاجاتهم الزراعية، وأشار عليهم أن يستخدموا جماجم الابل (٣) .

و روى أن النبى ﷺ أشار على الناس بتجارة الثياب لأن تاجر الثياب يحب أن يكون الناس فى رفاهيـة و نعمة (٤) ثم إنه حمل بعض الناس على الرحلة إلى مصر و عمان و التجارة بهما (٥) وقال ﷺ اطلبوا الرزق فى خبايا الأرض (٦) كى يستفيد الناس من الزراعة و الركائز .

كان العرب يجهلون الأسـاطيل البحرية ، و لكن النبى ﷺ بشر بأن رجالا من أمتى ليسافرون على أمواج البحر للجهـاد فى سبيل الله كأنهم جالسون على العروش (٧) ثم ذكـر فضائل الأسطول البحرى الأول للسلمين ، و قام معاوية

---

(١) البداية و النهاية ج ٤ ص ٣٤٨ .

(٢) راجع الطبقـات لابن سعد ج ٢ ص ٢٧١ و التاريخ للطبرى ص ١٦٦٩ و البداية و النهاية ج ٤ ص ٣٤٥ .

(٣) راجع كنز العمال ج ٢ ص ٢١٩ أنواع الكسب .

(٤) المصدر السابق ج ٢ ص ١٩٩ ، أنواع الكسب .

(٥) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٩٧ . (٦) نفس المصدر ج ٢ ص ١٩٧ .

(٧) راجع الصحيح للبخارى كتاب الجهاد .

رضی الله عنه فی خلافـــة عثمان بن عفان رضی الله عنه باعداد أول أسطول بحری حتی تجاوزت هجمات المسلمین قبرص و رودس وكريت و صقلية و سخرت لهم بحيرة الروم كلها .

و استخدم عمرو بن العاص رضى الله عنه لأول مرة طريقة التعتيم فى حرب ذات السلاسل ضد لخم و جذام سنة ٨ ه ، و أمر جيوشه باطفاء الأنوار كلها فى المعسكر إلى ثلاثة أيام ، فلما رجع إلى المدينة سأله النبى ﷺ عن ذلك ، فقال عمرو بن العاص رضى الله عنه : يا رسول الله : كان عددنا أقل بالنسبة إلى العدو ، فأمرت باطفاء الأنوار خشية أن يتشجع علينا فأعجب النبى ﷺ بهذه الخطة الحربيـة و حمد الله على ذلك (١) .

هذه عدة أمثلة سردتها على عجل للاشارة إلى أن الاسلام لم يمنع من إجراء خطوة جديدة لمجرد أنها جديدة ، بل شجع على التجديد إذا كان لأهداف صالحة وفى حدود مشروعة .

و لكن كما أن « التجديد » وصل بالانسان إلى الذروة العليا من الرقى المادى و منحه اختراعات حديثة و وفر له أسباباً و وسائل راقية للدعة و الرفاهية كذلك ورط الانسان فى أدواء نفسيـة كثيرة و ألحق به أضراراً بالغة ، و من أجل هـذا التجديد نرى التاريخ الانسانى حافلا بالفراعنة و الشـــدادين ، ممن لم يقفوا على حد من حدود القوة و السلطة و تجاوزوا إلى حد ادعوا فيه الألوهية ، و هذا التجديد هو الذى أنتج الطواغيت فى الغرب مثل « هتلر » و « مسولینی » وهو الذى أحدث زوبعة الخلاعة و الاستهتار فى العالم كله ، و منح الزنا وثيقة الشرعية ، إذا كان الطرفان راضيين ، بل و قـــد نال الاتفاق على شرعية اللواط من مجلس الشعب

(١) راجع جمع الفوائد ج ٢ ص ٢٧ .

البريطانى ، و هذا هو التجديد الذى تقوم به النساء الغربيات فى ظله بمطالبة شرعية الاجهاض ، و هذا هو التجديد الذى يحتجون به فى شأن توفير الشرعية للزواج مع المحرمات .

عرف من ذلك أن التجديد سيف ذو حدين ، ينفع الانسان و يقضى عليه ، فلا يصح أن يقبل شئ جديد على أساس جدته أو يرفض لأجل جدته ، ولكن هنا ينشأ السؤال فى كل ذهن عن المقياس الذى يحكم به على مشروعية « الجديد » أو تحريمه.

و يمكن تحديد هذا المقياس بتحكيم العقل المجرد ، فقد ترجع إليه المجتمعات العلمانية فى كل شأن من شئونها ، و لكن الذين سلبوا الانسانية قيمها و مثلها باسم التجديد كانوا كلهم يزعم نصيب العقل و التفكير لنفسه . فالحق أنه إذا تحرر العقل من هداية الوحى الالهى تصبح العناصر المتعارضة تتجاذبه وتتبناه فى آن واحد ، وقد رأينا بأعيننا أن العقل يوفر التأويلات الجميلة لكل نظرية مهما بلغت فى الاساءة إلى البشرية ، فعلى سبيل المثال نرى أن البشرية اليوم كذلك يتفصد جبينها عرقا إذا وقع على آذانها اسم « هيروشيما » و « ناكاساكى » و لكن دائرة المعارف البريطانية تقول فى تعريف القنبلة الذرية قبل أن تذكر التدميرات التى لحقت بهيروشيما و ناكاساكى نتيجة لقذف القنبلة الذرية عليهما :

« لقد قدر رئيس الوزراء السابق ونستان تشرشل أن القنبلة الذرية قصرت الحرب و حفظت أرواح مليون جندى أمريكى و ربع مليون جندى بريطانى (١)

لا شك أن مثل هذا المنطق يستطيع أن يقدم المبررات لكل نوع من الظلم والاضطهاد و العدوان .

و يمكننا أن نقدم أمثلة كثيرة لهذه التأويلات العقلية ، وأقدم هنا مثالا مع

(١) ج ٢ ص ٦٤٧ .

الاعتذار إلى الحياء و العقل ، يقول قائد الباطنية الشهير عبد الله القيروانى :

« و ما العجب من شئ كالعجب من رجل يدعى العقل ثم يكون له أخت أو بنت حسناء و ليست له زوجة فى حسنها فيحرمها على نفسه و ينكحها من أجنبى ، و لو عقل الجاهل لعلم أنه أحق بأخته و بنته من الأجنبى ، و ما وجه ذلك إلا أن صاحبهم حرم عليهم الطيبات (١) .

مهما أعربتم عن كراهيتكم و مقتكم تجاه هذه العبارة ، و لكن انظروا هل يستطيع العقل الذى قد تحرر عن هـداية الوحى الالهى أن يرد على ذلك رداً عقلياً خالصاً . و قد تحققت الآن بعد قرون رؤيا عبيد الله القيروانى ، و أصبحت بعض الدول الغربية تطالب بالزواج مع الأخوات .

فبتحكيم العقل فى شأن التحديد لا تبقى قيمة من قيم الحياة سالمـة و يتورط الانسان فى متاهات الآراء و النظريات المتعارضة، لأن العقل الذى يتحرر من هداية الوحى الالهى يحسبه الانسان عقلا حراً ، ولكنه عقله الذى استعبدته الشهوات البهيمية و الأهواء النفسية ، و هـذا من أشنع أنواع العبودية العقلية و الفكرية ، يقول الله عز و جل : « و لو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات و الأرض و من فيهن » وقد قدمت جماعة من فلاسفة القانون نظرية تعرف بنظرية Non cognitulst Theory يقول الدكتور فرويد المتخصص الشهير فى القانون فى كتابه Legal Theory فى تلخيصه لهذه النظرية : « ليس العقل إلا عبداً للاهواء و العواطف البشرية ، و ليس له إلا أن يكون عبداً لها ، و هل هناك وظيفة للعقل إلا أن ينقاد لهذه العواطف و يخضع لها » (٢) .

---

(١) الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادى ٢٩٧ .

(٢) ص ٣٦

و يشير الدكتور فرويد إلى النتيجة التى تؤدى إليها هذه النظرية بقوله :

« فكل شئ سواه حتى تصورات الحسن و القبح و القول بأن العمل الفلانى ينبغى أن يتم و أن يتم الأمر الفلانى جدير بأن يتم ، كل ذلك أمور عاطفية وليس فى العالم ما يسمى بالأخلاق » (١) .

مهما كانت هذه النظرية خاطئة لبناء فلسفة القانون عليها و لكنها تفسير صادق و واقعى لعقلية علمانية ، الواقع أن النتيجة الحتمية لاتباع العقل العلمانى أن لا يبقى فى العالم ما يسمى بالأخلاق ولا تسيطر على سلوك الانسان إلا العواطف النفسية ، لا يمكن الجمع بين العقلية العلمانية و الأخلاق ، فان الانسان يواجه فى تيار « التجديد » مرحلة يكره فيها الضمير الانسانى أمراً و لكنه يضطر إلى اقترافه لأن التجديد و العقلية العلمانية لا يوفران له الدليل على رفضه ، إن المفكرين الغربيين يواجهون الآن مرحلة هذا العجز المخزى ، إن عدداً كبيراً من المفكرين فى بريطانيا لا يستسيغ مشروع « اللواط » الذى وافق عليه البرلمان البريطانى ، لكنهم اضطروا إلى شرعيته ، لأنه لا بد فى دين التجديد العقلى الخالص من توفير المبررات الشرعية للسيئات التى تسود فى المجتمع ، تقول لجنة « وولفيدن » التى عقدت للنظر فى هذه القضية :

و قبل أن يقوم المجتمع الذى يسوده القانون بمحاولات جدية لكى يثير فى الناس خوفاً من الجرائم ، مخافتهم من الذنوب والآثام ، لابد أن تستمر سيادة الأخلاق الذاتية ، و لكن ذلك بتعبير أصح خارج من نطاق القانون » .

الواقع أنه بعد تحكيم العقل الخالص فى الشئون كلها لايبقى لدى الانسان مقياس يمنع على أساسه تقليداً جديداً أو عادة جديدة ، بل و تنجرف كل قيمة من قيم الحياة مع تيار التجديد .

---

(١) ص ٣٦ - ٣٧ .

إن الذى يبعث المفكرين اليوم على القلق و الاضطراب هو البحث عن طريق يضمن تأمين القيم الانسانيـة و المثل العليا فى تيار « التجديد » يقول أحد القضاة الأمريكيين، القاضى كاردوزو « Carduzo » .

« من أهم متطلبات القانون اليوم تدوين فلسفة للقانون تمهد الطريق إلى التوفيق بين المقتضيات المتعارضة للثبات و التغير » .

لكن الحق أن فلسفة عقلية مهما كانت لا تقدر على تحقيق هذه العملية الضخمة و لم ينشأ هذا الفساد إلا من أجل التحرر من الوحى الالهى و إلقاء مسئولياته على العقل الذى يعجز عن احتمالها ، والظاهر أن دعوى الثبات فى شأن قانون إنما تحتاج إلى الدليل ، و العقل الانسانى يعجز عن تقديم أى دليل على ذلك ، لو حكم بعض الناس اليوم على قانون بثباته على أساس عقولهم ليقومن غـدا من ينادى بتغيره و عدم صلاحيته للثبات ، فلا طريق إلى معـالجة هذه القضية إلا أن يتحرر العقل الانسانى من رق الشهوات ، و الأهواء النفسية و يخضع لمن خلقه و خلق الكون كله ، هو الذى يحق له أن يحكم بثبات قانون و تغيره فانه الحكيم الخبير بما يحدث فى العالم ، و لقد صدق مؤلف مبادىء القانون الشهير جورج يتن حينما قال :

« ما هى المصالح التى ينبغى لمجتمع مثالى قانونى أن يقوم تأمينها ؟ هذا سؤال يتعلق بالقيم ويؤدى فلسفة القانون فيها دورها ، ولـكن الاجابة على هذا السؤال تتعذر بقدر ما نستعين فى ذلك من الفلسفة ، فانه لم يكتشف بعد مقياس يجمع عليه فى شأن القيم و المثل، الواقع أن الدين هو الذى يوفر لنا أساساً ، ولا بد أن تقبل حقائق الدين على أساس العقيدة لا على أساس استنتاج عقلى محض (١) .

فالحاصل أن العقل العلمانى قد باء بالفشل الذريع فى شأن الحكم على التجـديد

(١) ص ١٢١ .

بحسنه و قبحه ، فلا سبيل إلى حل هـــذه القضية إلا أن يسترشد الانسان من ا
عز و جل و شريعته ، يقول الله عز و جل فى كتابه العزيز :

« أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله و اتبعوا أهواءهم (١).

فلا ينبغى لنا أن نختبر التقاليد الجديدة فى الحياة على أساس بهرجتها بل ع
أساس مطابقتها لسبيل الله و صراطه . فاذا وقفنا على حكم من أحكام الله وجب
علينا أن ننقاد له ، يقول الله عز و جل :

« و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون له
الخيرة من أمرهم (٢) ، ويقول عز وجل : « فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموا
فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت و يسلموا تسليما» (٣)

إن الله عليم خبير بالماضى و المستقبل على السواء، فلا بد أن تكون لأوامر
سيادة فى حياتنا ، يقول تعالى :

« يبين الله لكم أن تضلوا ، و الله بكل شئ عليم (٤) .

و من هنالك يتبين فى شأن التجديد أمر آخر ، و هو أن الانسان يحتاج إلى
الوحى الالهى لمجرد أن العقل المحض لا يهديه فى شئونه فلا بد له أن يتبع شريعة الله كم
هى ، فلا يصح أن يقوم أحد إلى عادة من عادات الزمان فيوفر الدلائل لشرعيتها
بعقله ثم يعوج على القرآن و السنـــة و يؤول نصوصهما حسب ما يحكم به عقله ،
فليس ذلك اتباعاً لأوامر الله و شريعته بل هو إحـــداث التغيير و التعديل فيها ،
و لا يجوز ذلك لأحد من البشر ، و الاتباع أن ينقـاد الانسان لأوامر الله من

(١) سورة ص الآية ١٢١ . (٢) سورة محمد الآية ١٤ .
(٣) سورة النساء الآية ٦٥ . (٤) سورة النساء الآية ١٧٦ .

قرارة نفسه لا تزعزعه عن ذلك أی قوة من قوی العالم ، یقول عز و جل :

« و تمت كلمة ربك صدقا و عدلا ، لا مبدل لكلماته، و هو السمیع العلیم ، وإن تطع أكثر من فی الأرض یضلوك عن سبیل الله ، إن یتبعون إلا الظن وإن هم إلا یخرصون ، إن ربك هو أعلم من یضل عن سبیله ، و هو أعلم بالمهتدین (١) .

و یقول : « قال الذین لا یرجون لقاءنا ائت بقرآن غیر هذا أو بدله ، قل ما یكون لی أن أبدله من تلقاء نفسی ، إن أتبع إلا ما یوحی الی (٢) » .

و یواجه الانسان فی هذا الاتباع معارضة عصره ، و صعوبات كثیرة ولكن الذین یجاهدون فی ذلك یكرمهم الله بالفوز فی الدنیا و الآخرة .

یقول الله تعالی : « و الذین جاهدوا فینا لنهدینهم سبلنا ، و إن الله لمع المحسنین » (٣) .

و لیس بصحیح أن یتبع الانسان شریعة الله إذا تحققت فیها مصلحة من مصالحه، وإذا واجه الصعوبات المشاكل انتهج طریق الاعراض والتأویل، وقد قرر القرآن الكریم خسارة الدنیا و الآخرة یقول « و من الناس من یعبد الله علی حرف ، فان أصابه خیر اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب علی وجهه ، خسر الدنیا و الآخرة ، ذلك هو الخسران المبین (٤) .

فطریق معرفة الحسن من القبح هو الرجوع الی شریعة الله فاذا كان أمر موافقاً لشرع الله قبله ، و إن كان مخالفاً له تركه ولم یؤول فیه ، مهما كان معارضاً لعادات الزمان و مهما استهزأ به الناس ، یقول عز و جل : « الله یستهزئ بهم و یمدهم فی طغیانهم یعمهون » .

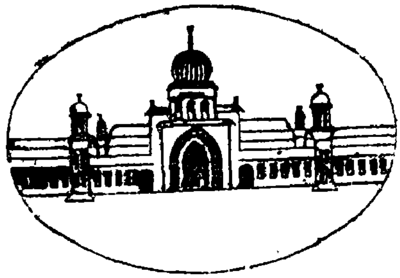
(١) سورة الأنعام الآیة ١١٥-١١٧ . (٢) سورة یونس الآیة ١٥ .
(٣) سورة العنكبوت الآیة ٦٩ . (٤) سورة الحج الآیة ١١ .

ولا يختار هذا المنهج إلا فى الأمور التى عبر عنها الشرع بالفرض و الواجب و السنة و الاستحباب و الحرام و المكروه ، فهذه أحكام ثابتة لا تقبل أى تغيير و لا تبديل فى أى عصر من العصور ، و أما المباحات فهى موكولة إلى مصالح الانسان إذا شاء اختارها و إذا شاء تركها ، و الحق أن عـدد المسائل المنصوص على فرضيتها و وجوبها و سنيتها و استحبابها و حرمتها و كراهيتها قليل جداً ، فقد تدخل معظم شئون الحياة فى المباحات .

و قد منح الاسلام للتجديد مجالا واسعاً ، يمكن فيه للعقل الانسانى ما أراد من اكتشاف و اختراع فى مجال العلوم و الفنون .

فمن أهم قضايا العالم الاسلامى الآن أن يعرف حدود هذا التجديد و أبعاده فلا ينبغى أن يترك هذا المجال الواسع للتجديد إلى المجال التشريعى الذى قد قررت الشريعة فيه أحكامها ، و لكن من الأسف الشديد نرى أن العالم الاسلامى قد قل اهتمامه بالتجديد فى المجال الواسع الذى هيأ له الاسلام ، و وجه عنايته إلى المجال التشريعى الذى حرم فيه الله التجديد، وإن هذا المنطق المعكوس أدى بنا إلى حرمان وتخلف فى المجالات العصرية ، الحضارية منها و العلمية ، وأخيراً نسأل الله التوفيق ،

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين و صلى الله على خير خلقه محمد و آله و صحبه و سلم .



دراسة خاصة بالشعر المخضرم :

حسان بن ثابت الأنصارى

و شعره الجاهلى

— ٢ —

سعيد الأعظمى الندوى

شعره الجاهلى يمثل شخصيته القوية :

شعر حسان الجاهلى ذو قيمة أدبية كبيرة فى تاريخ الشعر الجاهلى فيعتبر ثروة شعرية فى الأدب الجاهلى ، وقد اعتنى به أصحاب النقد و التاريخ و وضعوه فى الطبقة الأولى من الناحية الفنية ، نظراً إلى ارتجاله البديع لما كانت تجودبه قريحته الفياضة ، لذلك فان شعرة العام يتسم بعدم التكلف وجزالة اللفظ و روعة الأسلوب والبيان ، وقد شهد بعلو كعبه فى الشعر الشعراء الجاهليون ، كالنابغة الذبيانى والحطيئة والأعشى ، وغيرهم من نقاد الشعر العربى ، كما قد سبقت الاشارة إلى ذلك .

و لم يترك حسان فى الجاهلية أى فن من فنون الكلام إلا و قد أبدعه ، و لذلك فان شعره الجاهلى يمثل كل جانب من جوانب الفخر والحماسة و المدح و الغزل والوصف و الهجاء ، إنه كان شديد الاعتزاز بقبيلته ، كبير الاعتداد بمفاخر آبائه ، فكانت قريحته تفيض فى هذا النوع من الشعر بداهة و قوة وبلاغة و روعة ، و قد ساعده فى ذلك ، النسب العريق الذى تمتع به ، ومفاخره القبلية التى تجمعت لديه أكثر من غيره ، نظراً إلى الحروب التى عاشها هو ضد أعدائه القريبين الذين أحاطوا به ، فقاد قبيلته فى ميدان الحروب الكلامية ودافع عنها بشعره البليغ إذا لم يتمكن من الدفاع عنها بالحضور فى الحروب ومشاركة القتال .

الفخر هو اللون الغالب على شعره الجاهلى :

وقد تناول النقاد منهج شعره الجاهلى فى الفخر بذكر ذلك الشعور الذى تغلب عليه بالأمجاد التى اعتمد عليها فى أغلب كلامه الجـاهلى ، وأشاد بها فى معظم أحواله فى أيام الجاهلية التى عمت فيها نضية التغنى بالمفاخر و الأنساب و القبائل ، وامتدت فيها نيران الحروب من نطاق ضيق إلى أوسع ما يمكن ، و استمرت إلى أحقـاب طوال من السنين، و كان حسان من أنصار الخزرج فى حروبهم المتتالية الضارية مع الأوس وساهم فيها بكلامه إذا لم يتمكن من مساهمته العملية بالسيف والسنان و فى ساحة المعارك، ولذلك فكان الفخر هو اللون الغالب على شعره الجاهلى، يقول الدكتور محمد طاهر درويش ، وهو يتحدث عن هذا الجانب فى حياة حسان الشعرية :

« كان بيت حسان فى بنى النجار بيت رئاسة وشرف، وبيئة شعر ولسن، وأن هذه الحياة بما فيها قد أثرت فى حسان وأثر فيهـا ، و لذلك كان شعره أول الأمر دائراً بين تصوير عواطفه و لذاته فى الشراب و الغزل ، وبين الافتخار بمظاهر هذه السيادة فى قومه و الهجاء لأعدائهم .

فان شعور حسان بمجد آبائه ومفاخر قومه وشدة حاجته إلى التنويه بهذه المناقب العالية ، و الوقوف إلى جانب الخزرج فى حروبهم الطاحنة مع الأوس ، كان داعياً إلى شيوع الفخر وغلبته على أكثر ما أثر له من الشعر ، حتّى يشق على الباحث أن يجد له مطولة واحدة خلت من الفخر والاشادة بمجد قومه وسيادتهم وحسن بلائهم، ولم يكن له مندوحة من أن يمزج بين الفخر والغزل فى أكثر قصائده وبينهما وبين الوصف فى كثير منها .

كان حسان يفخر بنفسه وبالخزرج وبقومه الأزد، فاذا افتخر بنفسه ذكر شجاعته وجوبه الفيـافى وصرامة سيفه ولسانه وعلو شعره وسخـاء يده فى اليسر و العسر ،

وحياءه وعفته ونصره للعشيرة ، وحفظه غيب القبيلة ومعاداة أعدائها ومآثره فى قومه ورحلته إلى الملوك على عادة الجاهليين ، و ذكره أيضاً ما يكون من خلائقـه مع إخوانه و ندمائه فى اختيار الشراء ، و مكارمة من يكارمه ، وحبه للغناء والخمر و الميسر (١) » .

نماذج من شعره الجاهلى :

هنا قصيدة من شعره الجاهلى تجمع بين الاعتداد بالنفس وبيان مفاخره وقومه ونسبه و وصف ناقته ثم الغزل والافاضة مع الحبيبة فى مناجاته معها وبيان محاسنها ، و العودة إلى الفخر ببنى النجار فى نهاية القصيدة ، و يحسن بنا أن ننقل القصيدة بكاملها ، وعدد أبياتها ثمانية وثلاثون بيتاً .

إن النضيرة ربة الخدر　　　أسرت إليك ، ولم تكن تسرى (٢)

فوقفت بالبيـــداء أسألها　　　أنى اهتديت لمنزل السفر (٣)

و العيس قد رفضت أزمتها　　　مما يرون بها من الفتر (٤)

و علت مساوتها محاسنها　　　مما أضر بها من الضمر (٥)

كنا إذا ركد النهار لنا　　　نغتاله بنجائب صعر (٦)

(١) حسان بن ثابت للدكتور محمد طاهر درويش ص ٢٣٢ـ٢٣٣ .

(٢) النضيرة ، اسم امرأة وهى حبيبة الشاعر ، أسرت من الاسراء : السير بالليل .

(٣) السفر ، المسافرون .

(٤) الفتر ، بسكون التاء ، الاعياء .

(٥) الضمر ، الهزال .

(٦) ركد النهار ، بمعنى طال النهار ، نغتاله بمعنى نقطعه ، النجيبة ، الناقة الكريمة ، جمعها نجائب ، صعر ، صفة لنجائب ، بمعنى المائلات الرؤس من تجاذب الأعنة .

عوج نواج يعتليها بنا ... يعفين دون النص و الزجر (١)
مستقبلات كل هاجرة ... ينفحن فى حلق من الصفر (٢)
و مناخها فى كل منزلة ... كبيت جونى القطا الكدر (٣)
وسما على عود فصارمنا ... حرباؤها ، أو هم بالخطار (٤)
و تكلفى اليوم الطويل و قد ... صرت جنادبه من الظهر (٥)
و الليلة الظلماء أدلجها ... بالقوم فى الديمومة القفر (٦)
ينعى الصدى فيها أخاه كما ... ينعى المفجع صاحب القبر (٧)
و تحول دون الكف ظلمتها ... حتى تشق على الذى يسرى
و لقد أريت الركب أهلهم ... و هديتهم بمهامه غبر (٨)
و بذلت ذا رحلى و كنت به ... سمحا لهم فى العسر و اليسر (٩)

---

(١) عوج جمع عائجة لينة الانعطاف ، نواج جمع ناجية ، مسرعات ، يعفين دون النص ، يعنى يعطين ما عندهن عفواً من غير زجر ، كناية عن سرعة السير .
(٢) ينفحن بمعنى يرفسن بأرجلهن فى حلقات صفر من النحاس .
(٣) جونى القطا : سواد اللون ، الكدر جمع أكدر ، الذى يضرب إلى الصفرة .
(٤) الخطر بمعنى تحركه على العود .
(٥) صرت بالتشديد ، بمعنى صوتت ، من الظهر ، يعنى من شدة الحر .
(٦) الديمومة ، الصحراء ، والقفر ، بمعنى المستوحشة .
(٧) الصدى ذكر البوم ، المفجع على بناء المفعول ، الذى أوجعته المصيبة ، صاحب القبر : الميت .
(٨) أريت الركب أهلهم يعنى عاملتهم معاملة الأهل ، بالاكرام و الافضال .
(٩) بذلت ذارحلى ، يعنى بذلت زادى لهم .

فاذا الحوادث ما تضعضعنى   و لا يضيق بحاجتى صدرى
يعيى سقاطى من يوازننى   إنى لعمرك لست بالهذر (١)
إنى أكارم من يكارمنى   وعلى المكاشح يتحى ظفرى (٢)

ويعتز بشعره ويراه فوق منزلة الشعراء كلهم ، كأن غيره من فحول الشعراء المعاصرين يقولون من الكلام ما ليس له كبير قيمة .

لا أسرق الشعراء ما نطقوا   بل لا يوافق شعرهم شعرى
إنى أبى لى ذلكم حسبى   و مقالة كمقاطع الصخر (٣)
و أخى من الجن البصير ، إذا   حاك الكلام بأحسن الحبر (٤)

ثم يلتفت إلى معنى الغزل و يؤكد لحبيبته ما يكن لها من حب وإعجاب بها ، وينفى ظنها بما إذا كانت تظن أن عوامل الزمان قد حالت دون حبها ، و يؤكد لها الحب الخالص بتكرار الحلف ، ثم يمدحها و يصفها بأحسن وصف ، يقول :

أنضير ما بينى و بينكم   صرم و ما أحدثت من هجر
جودى فان الجود مكرمة   وأجزى الحسام ببعض ما يفرى (٥)
و حلفت لا أنساكم أبداً   ما رد طرف العين ذو شفر
و حلفت لا أنسى حديثك ما   ذكر الغوى لذاذة الخمر

---

(١) سقاطى : ما سقط منى من الشعر ، الهذر بالسكون بمعنى كثير الكلام .
(٢) المكاشح ، الذى يضمر العدواة ، ينتحى ، يعنى يتجه .
(٣) يريد بالمقالة الشعر ، الذى هو كتقطع الصخور فى الرصانة و القوة .
(٤) أراد من الجن شيطانه الذى يوحى إليه الكلام ، لأن العرب كانوا يعتقدون أن لكل شاعر شيطانا يلقنه الشعر ، الحبر : الوشى .
(٥) أراد بالحسام نفسه ، يفرى : يقطع .

و لأنت أحسن ، إذ برزت لنا   يوم الخروج بساحة القصر
من درة أغلى الملوك بها   مما تربب حائر البحر (١)
مكورة الساقين شبهها   برديتا متحير غمر (٢)
تنمى كما تنمى أرومتها   بمحل أهل المجد و الفخر
يعتادنى شوق فأذكرها   من غير ما نسب و لا صهر
كتذكر الصادى و ليس له   ماء بقنة شاهق وعر (٣)
و لقد تجالسنى فيمنعنى   ضيق الذراع ، وعلة الخفر (٤)
لو كنت لا تهوين لم تردى   أو كنت ما تلوين فى وكر (٥)
لأتيته لا بد ، طالبه   فاقنى حياءك و اقبلى عذرى (٦)
قل للنضيرة إن عرضت لها :   ليس الجواد بصاحب النزر

و فى الأخير يعود إلى مدح بنى النجار و يفتخربهم :

قومى بنو النجار رفدهم   حسن ، وهم لى حاضرو النصر
الموت دونى لست مهتضماً   و ذوو المكارم من بنى عمرو

---

(١) تربب بمعنى جمع ، حائر البحر ، معظمه ولجته .

(٢) مكورة بمعنى ممتلئة ، برديتا تثنية بردية مونث بردى ، نبات مائى من الفصيلة السعدية ، المتحير الغمر ، الماء الكثير .

(٣) الصادى : العاطش ، قنة : قلة الجبل وقمته .

(٤) يريد أن ذرعى يضيق عن كلامها ، استحياء منها و إجلالا لها .

(٥) لم تردى ، أى لم تردى فى خيالى ، تلوين فى وكر ، يعنى تمنعينى من أن آتى وكرك . ولو لا منعك لأتيت وكرك ، كما شرح ذلك فى البيت الذى بعده

(٦) اقنى حياءك ، بمعنى الزمى حياءك .

جرثومـــة ، عز معاقلهـا ، كانت لنا فى سالف الدهر (١)

و هذه قطعة من شعره وهى لا تخلو من الاهتزاز بجده و والده و أخواله ، والفخر بقومه وبنفسه ، ومن خبر هذه الأبيات أنه مر ذات يوم بنسوة فيهن عمرة بنت الصامت ، و كان خطبها سراً فأعرضت عنه ، وقالت لامرأة منهن : إذا حاذاك هذا الرجل فسليه من هو و انسبي أخواله ، فلما حاذاها سألته من هو ؟ فانتسب ، وسألته عن أخواله فأخبرها ، فأعرضت عنه فحدد إليها حسان نظره وعجب من فعلها و بصربها فاذا هى امرأته تضحك ، فعرفها وعلم أن الأمر من قبلها ، فقال :

قالت له يوما تخـاطبـــه نفج الحقيبة ، غادة الصلب (٢)
أما الوسامـــة و المروءة أو رأى الرجال ، فقد بدا حسبى (٣)
فوددت أنك لو تخبرنا من والداك ومنصب الشعب (٤)
فضحكت ثم رفعت متصلا صوتى أوان المنطق الشغب (٥)
جدى أبو ليلى ، و والده عمرو ، و أخوالى بنو كعب (٦)
و أنا من القوم الذين إذا أزم الشتاء محالف الجدب (٧)

---

(١) جرثومة ، بمعنى الأصل ، معاقلها عز ، يعنى حصونهـا عزيزة منيعة من سالف الزمان (ديوان حسان ، طبع دار صادر بيروت ص ٩٦-٩٧-٩٨-٩٩) .
(٢) نفج الحقيبة ، يعنى بضة الجسم ، الغادة : الفتاة الحسناء ، الصلب : الظهر .
(٣) الوسامة : الحسن ، المروءة بمعنى الرجولية ، حسبى بمعنى يكفينى .
(٤) المنصب : الأصل ، الشعب أرادت به القبيلة .
(٥) الشغب بالجزم ، تهييج الشر .
(٦) بنو كعب من الخزرج بن ساعدة .
(٧) أزم الشتاء بمعنى اشتد ، و آذن بالقحط .

أعطى ذوو الأموال معسرهم والضاربين بموطن الرعب (١) (٢)

دخل حسان بن ثابت مرة فى أيام الجاهلية بيت خمار بالشام ، ومعه أعشى بكر بن وائل فاشتريا خمراً وشربا ، فنام حسان ، ثم انتبه فسمع الأعشى يقول للخمار كره الشيخ الغرم ، فتركه حسان حتى نام ، ثم اشترى خمر الخمار كلها ، ثم سكبها فى البيت ، حتى سالت تحت الأعشى ، فعلم أنه سمع كلامه ، فاعتذر إليه ، فقال حسان يفتخر بنفسه وقومه ويهجو بنى عابد بن عمرو بن مخزوم :

ولسنا بشرب ، فوقهم ظل بردة يعدون للحانوت تيساً ومفصدا (٣)

و لكننا شرب كرام ، إذا انتشوا أهانوا الصريح والسديف المسرهدا (٤)

و تحسبهم ماتوا زمين حليمة و إن تأتهم تحمد ندامتهم غدا (٥)

و إن جئتهم ألفيت حول بيوتهم من المسك والجادى فتيتاً مبدداً (٦)

ترى فوق أثناء الزرابى ساقطاً نعالا و قسوباً و ريطاً معضدا (٧)

---

(١) موطن الرعب : هو القلب ، يعنى الذين يضربون صدورهم تأسفا لما ألم بهم من المجاعة و القحط .

(٢) ديوان حسان ، دار صادر بيروت ص ٢٠ / ٢١ .

(٣) البردة : كساء من صوف أسود يلتحف به ، التيس ، المعز ، مفصد : السكين .

(٤) الصريح ، الخالص من كل شئ ، والمراد بأهانوا الصريح أنهم يأكلون الأصل لا الدم ، السديف : السنام ، المسرهد : المقطع .

(٥) حليمة بنت الحارث بن أبى شمر الغسانى ، وجه أبوها إلى المنذر بن ماء السماء جيشاً فطيبتهم ، فدعى ذلك اليوم يوم حليمة ، و فى المثل « ما يوم حليمة بسر » الندامة ، المنادمة .

(٦) الجادى : الزعفران .

(٧) الزرابى جمع زربية ، ما يبسط و يتكأ عليه ، القسوب بالتشديد ، نوع من الخفاف ، الريط جمع ريطة : الملاءة ، معضد بمعنى ، مبسوط بعضه فوق بعض .

وذا نطف یسعی ملصق خده بدیباجة ، تکفافها قــد تقددا (١)

قصیدة أخری :

وهذه قصيدة أخرى تتميز بلون الغزل على عادة الشعراء المعاصرين له ، ورغم أنه يتحدث فيها عن الوضع الذى يعيشه نحو الحبيبة من آلام المحبة وآمال الهوى ، و روعات البين و الفراق التى أدركته فى هذه الرحلة الشاقة ، لا يكاد يخضع للهوى و ما يدعو إليه من تخاذل و بكاء و حيرة ، بل إنه يريد أن يتناسى حياة اللهو و الهزل و الغزل و قد تجاوز الأربعين و جرب الأمور و تمثل أمامــه المستقبل بعد أن شابت مفارقه و اتجهت الحياة نحو الجــد و الصرامة و الاهتمام بالزاد للغد القريب ، يقول :

تطاول بالخمان ليلى فلم تكن تهم هوادى نجمه أن تصوبا (٢)
أبيت أراعيها كأنى مؤكل بها ، لا أريد النوم حتى تغيبا
إذا غار منها كوكب بعد كوكب تراقب عينى آخر الليل كوكبا
غوائر تترى من نجوم تخالها مع الصبح تتلوها زواحف لغبا (٣)
أخاف مفاجأة الفراق بغتة وصرف النوى من أن تشت وتشعبا (٤)
و أيقنت لما قوض الحى خيمهم بروعات بين تترك الرأس أشيبا (٥)

---

(١) ذا نطف ، ذا قرط ، وهو الغلام ، تكفافها ، يريد بها حاشية الديباجة وهى المنديل . ديوان حسان طبع بيروت ص ٨٠ ـ ٨١ .

(٢) الخمان موضع قريب من دمشق ، هوادى النجوم ، أوائلها ، تصوب بمعنى تغيب .

(٣) تترى : تتابع ، زواحف : معيية ، من الاعياء ، و يريد إبلا زواحف ، شبه النجوم فى إبطائها بإبل لاغبة متعبة لا تكاد تسير .

(٤) بغتة يعنى فجاءة ، تشت و تشعب بمعنى تفرق و تبدد .

(٥) روعات البين ، مخاوفه .

و أسمعك الداعى الفصيح بفرقة ... وقد جنحت شمس النهار لتغربا (١)
و بين فى صوت الغراب اغترابهم ... عشية أوفى غصن بان فطربا (٢)
و فى الطير بالعلياء إذ عرضت لنا ... و ما الطير إلا أن تمر وتنعبا
و كدت غداة البين يغلبنى الهوى ... أعالج نفسى . أن أقوم فأركبا
و كيف و لا ينسى التصابى بعد ما ... تجاوز رأس الأربعين و جربا (٣)
وقد بأن ما يأتى من الأمر و اكتست ... مفارقه لونا من الشيب مغربا (٤)
أتجمع شوقاً إن تراخت بها النوى ... وصداً إذا ما أسقبت و تجنبا (٥)
إذا انبت أسباب الهوى ، وتصدعت ... عصا البين لم تستطع لشعثاء مطلبا (٦)
وكيف تصدى المرء ذى اللب للصبا ... و ليس بمعذور إذا ما تطربا (٧)
أطيل اجتناباً عنهم غير بغضة ... و لكن بقيا رهبة و تصحبا (٨)
ألا لا أرى جاراً يطل نفسه ... مطاعاً ، ولا جاراً لشعثاء معتبا (٩)

زار حسان بن ثابت الحارث بن أبى شمر الغسانى ، و كان النعمان بن المنذر اللخمى يساميه ، فقال له وهو عنده : يا ابن الفريعة ، لقد نبئت أنك تفضل النعمان على ، فقال : وكيف أفضله عليك ، فو الله لقفاك أحسن من وجهه ، و لأمك أشرف من أبيه ، و لأبوك أشرف من جميع قومه ، و لشمالك أجود من يمينه ،

---

(١) الداعى الفصيح ، أراد به الغراب ، جنحت بمعنى مالت .
(٢) أوفى غصن بان بمعنى أتى هذا الغصن ، و طرب ، يعنى مد صوته وتغنى .
(٣) التصابى ، الميل إلى اللهو واللعب . (٤) المغرب بالفتح ، الشديد البياض .
(٥) أسقبت بمعنى قربت ، يعنى إذا قربت منك لا تستطيع أن تقترب إليها .
(٦) انبت بمعنى انقطع . (٧) إذا تطربا ، يعنى إذا طلب اللهو .
(٨) بقيا بمعنى إبقاء ، التصحب : التمنع و الاستحياء .
(٩) يريد من الجار نفسه (ديوان حسان طبع بيروت، دار صادر ص ١٤-١٥) .

و لحرمانك أنفع من نداه ، ولقليلك أكثر من كثيره ، و لثمادك أشرع (١) من غديره ، و لكرسيك أرفع من سريره ، ولجدولك أغور من بحره ، وليومك أطول من شهره ، و لشهرك أمد من حوله ، و لحولك خير من حقبه ، و لزندك أورى من زنده ، و لجندك أعز من جنده ، و إنك من غسان ، وإنه من لخم ، فكيف أفضله عليك ، وأعدله بك ، فقال يا ابن الفريعة : هذا لا يسمع إلا فى شعر ، فقال :

نبئت أن أبا منذر يساميك للحارث الأصغر
قفاك أحسن من وجهه و أمك خير من المنذر
و يسرى يديك على عسرها كيمنى يديه على المعسر (٢)
و شتان بينكما فى الندى وفى البأس والخير والمنظر (٣)

و القصيدة التالية تحتوى على سبعة عشر بيتاً وفيها يجمع حسان بين الفخر بنفسه والتغزل بصاحبته، وقد أوصاها أن لا تتخذ بعده صاحباً يكون بمعزل عن الخصائص التى يتصف بها هو ، وذلك كأن يكون خذول العشيرة يترك نصرتها لدى الحاجة ، و حسادها الذى يعتبر شتم الأعراض مدحاً ويبغض أصحاب السيادة حتى إذا نزلت وقعة بالعشيرة دبرها الأعداء زادها شراً ، ثم إنه يتصدى بذكر الصفات العالية التى تفرد بها هو دون غيره ، وهنا يظهر اعتداده بالنفس ، وفخره بالمواهب التى أوتيها و يحذر شعثاء من اتخاذ صاحب بعده لا يكون مثله فى الأخلاق والرجولة والسماحة و المروءة ، يبدأ القصيدة بالغزل وينتقل بعده إلى الفخر .

ألم تذر العين تسهادها و جرى الدموع و إنفادها

---

(١) الثماد ، الماء القليل ، أشرع من شرع بفلان إذا أورده الماء ، و يريد أن ماءك القليل أكثر وروداً من غديره .

(٢) يعنى شمالك كيمينه . (٣) الخير بكسر الخاء : الشرف و الكرم .

تذكر شعثاء بعد الكرى ... وملقى عراص و أوتادها (١)
إذا لجب من سحاب الربيع ... مر بساحتها جادها (٢)
و قامت ترائيك مغدودنا ... إذا ما تنوء به آدها (٣)
و وجها كوجه الغزال الربيب ... يقرو تلاعا و أسنادها (٤)
فأوبه الليل شطر العضاه ... يخاف جهاما و صرادها (٥)
فاما هلكت فلا تنكحى ... خذول العشيرة ، حسادها (٦)
يرى مدحة شتم أعراضها ... سفاهاً ، و يبغض من سادها

و يروى فى كتابى « الكامل » و « عيون الأخبار » .

يرى مجده ثلب أعراضها ... لديه و يبغض من سادها
و إن عاتبوه على مرة ... ونابت مبيتة زادها (٧)

(١) العراص جمع عرص خشبة توضع على البيت عرضا إذا أريد سقفه، أو الحائط الذى يكون بين الحائطين فى البيت، و فى رواية العراض ، أى الموضع الذى ينزلونه و يعترضون فيه .
(٢) اللجب : السحاب الراعد ، جادها يعنى أمطرها .
(٣) المغدودن ، الشعر الطويل الكثير ، تنوء بمعنى تنهض ، آدها يعنى أثقلها .
(٤) يقرو : يقصد ، تلاع تلعة ، مسيل الماء إلى الوادى ، أسناد جمع سند ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح .
(٥) أوبه بتشديد الواو بمعنى أرجعه ، العضاه شجر شائك ، جهام : سحاب لا ماء فيه و الصراد هو السحاب الذى لا يكون فيه ماء ويوجد مع شدة برد الريح .
(٦) خذول العشيرة ، الذى يترك نصرتها ، و فى رواية للكامل و فى عيون الأخبار ظلوم العشيرة .
(٧) ويروى : على مرة بكسر الميم ، و المرة ، هى الحالة التى يستمر عليها الشق نابت : نزلت ، مبيتة : وقعة دبرت بالليل ، زادها ، يعنى زادها بكيده شراً .

ومثلى أطاق ، و لكننى — أكلف نفسى الذى آدها (١)
سأوتى العشيرة ما حاولت — إلى ، و أكذب إيعادها (٢)
و أحمل إن مغرم نابها — وأضرب بالسيف من كادها (٣)
و يثرب تعلم أنا بهـا — أسود تنفض ألبادها (٤)
نهز القنا فى صدور الكماة ، — حتى تكسر أعوادهـا
إذا ما انتشوا وتصابى الحلو — م واجتلب الناس أحشادها (٥)
و قال الحواصن للصالحـ — ـين عاد له الشر من عادها (٦)
جعلنا النعيم وقاه البؤس — و كنا لدى الجهد أعمادها

وقد روى بعض المورخين للادب العربى بيتين آخرين ، فى آخر هذه القصيدة ، ولا بأس فيما إذا نقلنا البيتين الزائدين ، فلعلهما يكونان من تمام القصيدة ، يقول : .

و فى كل يوم لنا غارة — على الأوس نقتل آسادها
ترانا من البيض سفع الخدو ..... — د نلبس للحرب أسبادها (٧) (٨)

(١) و فى رواية : ومثلى يطاع ، آدها : من آد يؤود بمعنى أثقل .
(٢) أوتى بمعنى أعطى ، إيعادها ، يعنى تهديدها .
(٣) مغرم ، الدين ، أو ما يلزم أداؤه .
(٤) ألباد ، جمع لبدة ، هى الشعر الذى يكون على كتفى الأسد .
(٥) أحشاد جمع حشد ، المجتمعون للحرب .
(٦) الحواصن بمعنى النساء المحصنات ، الصالحون : الأشراف ، من عادها ، يعنى من عاد الحرب وأتاها : وفى رواية : الحواضن ، جمع حاضنة بمعنى النسوة المربيات .
(٧) سفع جمع أسفع ، بمعنى متغيرى لون الوجوه والخدود ، من كثرة ما نحمل السيوف ، أسباد جمع سبد ، الثياب السود ، ولعله يريد بها الدروع التى تكون على لون الحديد .
(٨) ديوان حسان بن ثابت طبع المكتبة العربية ، القاهرة ، تحقيق : دكتور سيد حنفى حسنين ، مراجعة حسن كامل الصيرفى .

وقصيدة أخرى شهيرة :

و أشهر قصيدة قالها حسان فى الفخر بوالده و الاعتزاز بنفسه وأهله ، وهو يخاطب فيها بنى النجار ويحذرهم من البغى ومصيره ، ويناشدهم بالله أن يذكروا أفعال والده الجليلة من الكرم وكف المعتدين عن المظلومين وتقديم العون لكل عان ، ضعيف ، فانه هو الذى وأهله كانوا يسدون حاجة كل انسان قد بلغ به الفقر إلى البؤس والشقاء ، و أدى به الشتاء إلى الجدب و المجاعة ، و هو ينشد بنى النجار بقوله «وأنشدكم والبغى مهلك أهله» ويكرر هذه المناشدة مرات عديدة فى هذه القصيدة التى تحتوى على واحد وعشرين بيتاً ، يقول :

نشدت بنى النجار أفعال والدى إذا لم يجد عان له من يوازعه (١)
و فى رواية : « إذا العان لم يوجد له من يوازعه » .
وراث عليه الوافدون فما يرى على النأى منهم ذا حفاظ يطالعه (٢)
وسد عليه كل أمر يريده و زيد وثاقاً ، فاقفعلت أصابعه (٣)
إذا ذكر الحى المقيم حلولهم و أبصر ما يلقى استهلت مدامعه (٤)
ألسنا نفص العيس فيه على الوجا إذ نام مولاه ، ولذت مضاجعه (٥)
و لا ننتهى حتى نفك كبوله بأموالنا ، والخير يحمد صانعه (٦)

---

(١) عان : من شغلته الهموم و المشقة ، يوازعه : يكفه ويمنعه .
(٢) راث عليه الوافدون ، بمعنى أبطأوا عليه ، ذاحفاظ : ذا أنفة وغضب .
(٣) يبين حالة العانى و الأسير الذى شد عليه الوثاق بحيث تقفعت ويبست أصابعه من شد الوثاق .
(٤) إذا ذكر الأسير الذى فك قيوده والد حسان المناء الذى يعيش فيه الحى المقيم ، بكى على نفسه .
(٥) نفص العيس ، نرفعها للسير ، على الوجا ، يعنى على القرح الذى يصيب قوائمه .
(٦) كبول جمع كبل بمعنى القيد .

و أنشدكم والبغى مهلك أهله ... إذا ما شتاء المحل هبت زعازعه
إذا ما وليد الحى لم يسق شربة ... وضن عليه بالصبوح مراضعه
وراحت جلاد الشول حدباً ظهورها ... إلى مسرح بالجو جدب مراتعه (١)
ألسنا نكب الكوم وسط رحالنا ... ونستصلح المولى ، إذا قل رافعه (٢)
فان نابه أمر وقته نفوسنا ... و ما نالنا من صالح فهو واسعه (٣)
و أنشدكم ، و البغى مهلك أهله ... إذا الكبش لم يوجد له من يقارعه (٤)
ألسنا نوازيه بجمع كأنه ... أتى أبدته بليل دوافعه (٥)
فنكاثركم فيه و نصلى بحره ... و نمشى إلى أبطاله فنماصعه (٦)
و أنشدكم و البغى مهلك أهله ... إذا الخصم لم يوجد له من يدافعه
و أكثر حتى در حبل وريده ... و قصر عنه فى المقالة وازعه
ألسنا نكافيه و نعدل درأه ... ولا ننتهى أو يخلص الحق ناصعه (٧)

و فى رواية : « ألسنا نصاديه و نعدل ميله » (نصاديه : بمعنى نمارسه ونزاوله) .

---

(١) جلاد الشول : النياق الشديدة الصلبة .

(٢) نكب الكوم يعنى نصرع النياق العظيمة السنام ، و الكوم جمع كوماء : الناقة ذات السنام العظيم ، نستصلح المولى : نصلح أمره ، رافعه ، يريد به ماله ، لأن المال ، يرفع الانسان ويضعه .

(٣) وفى رواية : فان رابه أمر وقته نفوسنا ... وما نالنا من واسع فهو واسعه .

(٤) الكبش : سيد القبيلة ، يقارعه بمعنى يحاربه .

(٥) نوازيه : نحاذيه و نقوم بازائه ، الأتى بتشديد الياء ، السيل الغريب يأتيك و لم يصبك مطره ، دوافعه مجاريه .

(٦) نكاثركم : نغلبكم بالكثرة ، نماصعه بمعنى نقاتله .

(٧) نكافيه بمعنى نكافئه من المكافأة ، أو ، بمعنى : إلى أن ، ناصعه ، واضحه ، بدل من الحق .

و أنشدكم و البغى مهلك أهله إذا الضيف لم يوجد له من ينازعه
ألسنا نحييه و يأمن سربه و نفرشه أمناً و يطعم جائعه (١)
فلا تكفرونا ما فعلنا إليكم وأثنوا به ، و الكفر بور بضائعه (٢)
كما لو فعلتم مثل ذاك إليهم لأثنوا به، ما يأثو القول سامعه (٤)(٣)

و هـذه أبيات فى الهجاء ، يهجو بها معيص بن عامر بن لوى ، و هو من قريش الظواهر النازلين خارج مكة وبنى محارب بن فهر فبنى نزار بن معيص يقول :

فلا و الله ما تدرى معيص أسهل بطن مكة أم يفاع (٥)
و كل محارب و بنى نزار تبين فى مشافره الرضاع (٦)
و ما جمح و لو ذكرت بشئ و لا تيم ، فذلكم الرعاع (٧)
لأن اللؤم فيهم مستبين إذا كان الوقائع و المصاع (٨)
و مخزوم هم و عدى كعب لئام الناس ، ليس لهم دفاع (٩)

---

(١) سرب ، بمعنى الطريق . « يتبع »
(٢) يعنى أن كفران النعمة يودى إلى البوار و الضياع .
(٣) يعنى أنكم لو صنعتم بهم مثل هذا الصنيع لذكروه بالخير و الثناء ، ما دام الناس يتناقلون الأحاديث و يروون الأقوال فيما بينهم .
(٤) ديوان حسان بن ثابت طبع المطبعة العربية ، القاهره ص ١٤٤-١٤٦ .
(٥) معيص بن عامر بن لوى ، يفاع : ما ارتفع من الأرض .
(٦) الرضاع : اللؤم ، و يريد بها أنهم لئام .
(٧) يريد أن بنى جمح و بنى تيم كلهم سفلة .
(٨) المصاع : القتال .
(٩) ديوان حسان ، طبع دار صادر بيروت ، ص/١٥٥ .

صور و أوضاع :

عند ما تهدأ العاصفة

واضح رشيد الندوى

كانت ثورة مصر لعام ١٩٥٢م نواة الثورة فى العالم العربى ، و قد استقبلت الثورة فى بداية الأمر لأنها وعدت بالقضاء على طبقات أصحاب النفوذ ، والارستقراطيين و الاقطاعيين الذين كانوا يستغلون الطبقات المستضعفة ، و رجال السياسة المحترفين و الحكام المستبدين ، وقد استمدت الثورة المصرية شعبيتها بوعودها الخلابة و ساندها المحبون للاصلاح ، لأن مصر الملكية كانت أداة فى أيدى المستعمرين البريطانيين ، وكان الاخوان المسلمون فى مقدمة من أرادوا الاصلاح ، و إعادة مصر إلى دورها المرتقب . فلاقوا فى عهد فاروق مضايقات ، وكان اغتيال الامام حسن البنا رحمه الله فى ذلك العهد بايعاز رجال الحكم البائد ، كما كانت الحكومة مسئولة عن هزيمة العرب فى حرب فلسطين ، فرحب الشعب المصرى والشعب العربى عامة بالثورة لأنها قامت بأهداف نبيلة ، و وعد قادتها بمنح الشعب العربى شرفه و مجده ، و السعى إلى وحدة عربية ، من الخليج إلى المحيط ، كأمة واحدة برسالة خالدة ، و بالها من أمنية .

كان فى بداية عهد الثورة وصل بين الدين والعروبة ، كما يتضح من العناصر التى قادت الثورة ، و الاجراءات التى اتخذت فور الثورة ، و البيانات و التصريحات التى أدلى بها زعماء الثورة المصرية ، فقوبلت الثورة كفاتحة عهد جديد ، تتحقق فيه وحدة العرب ، و تتدفق فيه الاخوة الاسلامية ، و ينال كل فرد شرفه كمواطن حر فى

بلده ، وتتحرر مصر ، وبقيادتها العالم العربي كله . من تبعية الغرب ، الذى قد ضيق خناقه وجثم على صدره منذ سقوط الخلافة العثمانية ، واقتطع كل بلد عثمانى كما يوزع الارث بين الورثة .

و لكن على عكس ما كان يتوقع من الثورة المصرية و على عكس الآمال المعقودة بزعماء الثورة اتجهت الأمور إلى غير مجراها الطبيعى .

فتحولت الثورة إلى الاخوان فى مصر ، و إلى الاخوة و الأشقاء فى العالم العربى ، تاركة وراءها العدو الحقيقى ، و وقع انفصال سيئ ، بين العناصر التى كانت الثورة تتكون منها و التى كانت تشكل تناسباً و شمولا ، و انحرفت الثورة إلى جانب واحد ، و هو بقاء فئة خاصة أو أشخاص ، فى الحكم ، ثم انحرفت إلى مجهود لبقاء شخص واحد فى الحكم .

وتضخمت هذه النهامة ، وتفاقم طموح شخص واحد تقمص الثورة ، أو لبس أسلاب الحكام السابقين إلى أن يمتد حكمه و نفوذه إلى العالم العربى كله ، فحارب كل نظام لا يخضع له وكل شخص لا يذعن له ، و وضعت الاذاعة والصحافة وسائر وسائل الاعلام نصب عينها هذا الهدف ، فأصبحت إذاعة مصر و صحافتها مصدر فتنة و شغب فى كل بلد عربى ، و تدفقت الصحف و المجلات و المنشورات من مصر لاقلاع كل نظام قائم ، تصف كل زعيم بالخائن و العميل للاستعمار ، وعدو للشعب ، و دبرت مؤامرات و أثارت الفتن للتدخل فى شئون كل بلد .

و صرفت العناية القصوى إلى السعودية و الأردن و نظم ملكية أخرى ، و الاطاحة بالنظام القائم فى البلدين ، و كان لهيكل صاحب الاهرام . و أحمد سعيد صاحب صوت العرب ، أطول قلم و أطول لسان ، بكل ما أوتيا من سلاطة و بذاءة فى اللسان و القلم و كل سموم وكل لذعة يحسب كل سامع و قارىء بأن العروش تهتز بهذا الكلام ، و أن الثورة فى هذين البلدين على الباب ، و إنما هى مسألة دقائق و ثوان .

وكذا كان الحال عن الدعاية لفلسطين، فقد دوى نشيد عائدون فى الفضاء، و حسب الناس أن اسرائيل إذا تجرأت فان قوات مصر، التى ادعت الصحافة أنها أقوى جيش فى الشرق الأوسط، ستقذف اليهود فى البحر كما قال عبد الناصر مرة.

ولا حاجة إلى القول ماذا كان مصير كل هذه الدعايات، وكل هذه المؤامرات و الدسائس، فقد سكت المتكلمون، و أمسك الكتاب أقلامهم عن الكتابة، و ذهب من ذهب إلى ربه ليرى جزاء أعماله، و لقى الخزى و العار الذى لصق جبين بطل الثورة فى حياته بعد أن بدد أموال بلاده وطاقاتها البشرية، ولم يكسب شبراً واحداً، و إنما خسر مآت الأميال، و خسائر لا تعوض، فى المال، و الثروة، و فى خيرة الشباب، و شرد كفاءات و صلاحيات علمية و فكرية، كان مصيرها المنفى، أو الزنزانات و المشانق، أو آلات التعذيب.

ثلاثة أيام خالدة فى تاريخ ثورة مصر ١٨/يونيو، ٢٣/يوليو، و ٥/يونيو و هو يوم مشهور.

إن ثورة مصر عبرة و درس، فان الحقائق و الأرقام تتحدث بوضوح لكل من كان له قلب أو عقل، فاذا أراد قائد أن يسلك هذا المسلك، و يتبع خطوات زعماء ثورة مصر فانه يكتب لنفسه ذلك المصير المحتوم.

لم يكن فى ثورة مصر، شقاء مصر وحدها و إنما جلبت ثورة مصر التى انحرفت عن جادتها و انفصلت عن هدفها، شقاء للعالم العربى كله، و خزياً للمسلمين جميعاً، فقد تشتت شمل العرب، و ضاعت قضية فلسطين و تشرد الفلسطينيون، و امتد سلطان اليهود، و ضاع القدس الشريف، و مر العالم العربى، بفترة اضطراب و قلق و عدم استقرار، تغيرت فيها الموازين، و نشأ فيها الشباب على التمرد و الطغيان، و عدم المسئولية، و ارتبطت الثورة بتصور الزنزانات والتعذيب و الخداع.

حدث كل ذلك لتهامة شخص واحد فى الحكم و استبداده فى اتخاذ القرارات

المصيرية ، و تهوره فى الحكم ، و اعتباره نفسه فوق القانون ، و العرف ، و مقتضى الحكمة ، فى المعاملات و السياسة و الأخلاق ، فكسب الويل لبلاده و لقومه .

إن ثورة مصر جديرة بأن تدرس كتجربة خائبة جلبت شقاء أكثر من سعادة . وأهم أسبابها تقديس بطل الثورة إلى درجة يصبح بها شخصاً لا يسئل عما يفعل ، و يرتفع عن كل القيم ، و عداوة كل نظام فى العالم الاسلامى لا ينقاد له أو لا يقبل سيادته ، فتذوب سائر الصلاحيات فى شخصه ، و عدم الثقة فى المواطنين المخلصين من الأغلبية و التطاول ، و الانفصال عن المصادر الحقيقية لقوة الشعب ، و الانحراف عن رغباته ، و الاعتماد على الهتافات و الشعارات الفارغة أكثر من الجهد للبناء الحقيقى ، إن هذه اللهجة و الأسلوب ، و هذا السلوك فى المعاملات مع الأخوة ، وهذا التطرف فى بحث المعتقدات ومعالجة الآراء و الأفكار و السلوك مع الشخصيات الدينية ، و العلمية ، لن تؤدى إلى وحدة ، و لن تعيد مجد أمة ، إلا مزيداً من الخسائر و الدمار .

إن نكسة ٥ / يونيو (حزيران) عاقبة سيئة للاتجاه الخاطىء الذى اختاره زعماء ثورة عام ١٩٥٢م و قد فشلت هذه الثورة فى كسب الأصدقاء ، و خسرت كل معركة خاضتها ، و تحطم حلم الوحدة العربية عندما انفجرت الجمهورية العربية بين مصر و سوريا ، نتيجة لهذه الأطماع فى السيادة ، و التطرف فى اتباع المصالح الذاتية ، و الغطرسة .

لقد كان الدين الرباط الوحيد و الأساس الوحيد للوحدة ، و لكن لم يجرب حكام الثورة هذا العنصر و سيشعرون ذلك عندما تهدأ عاصفة الثورة .

و نحن إذ تحتفل مصر بذكرى الثورة نحسن الظن بالحكام الجدد و نرجو أن أنهم سيقومون بتصحيح المسار ويجعلون عهدهم مباركاً يتداركون فيه ما فات ويستعيدون ما خسرت بلادهم من جوهرها ونقائها و يعيدونها إلى دورها الاسلامى .

حصاد الثورة

كانت الثورة التي حدثت في العالم العربي ، ذات طابع القسوة ، فقد قام حسني الزعيم بالثورة في سوريا ، وتلتها ثورات أدت إلى سفك الدماء ، وتغيير الموازين ، وبروز أشخاص طامعين وطامحين على المسرح ولجوئهم إلى قوة السلاح بدلا من اللجوء إلى السياسة و الحكمة و التدبير ، و اعتمادهم على القوة بدلا من اعتمادهم على العقل و العلم و التربية ، والتف حولهم المتملقون المجاملون أكثر مما يلتف حول الملوك و الرؤساء ، و القادة العاديين ، فلا يسمع هؤلاء الحكام كلمة في نقد ما يفعلون إلا و يقتلعون لسان الناقد ، و لا يسمعون مشورة و نصيحة ناصح إلا و يعتبرونه خطراً على نفوذهم ومكانتهم فيقصونه أو ينفونه ويعدمونه ، لكي لا يبقى في سلطانهم إلا المطبلون لهم و المصفقون لهم .

هذه هي طبيعة الثورة المعاصرة ، و اقتبسها الزعماء العرب كما اقتبسوا في جوانب اخرى من الغرب ، لأن أسوتهم كانت الثورة الفرنسية و الثورة السوفيتية أو الثورة الصينية و الفيتنامية ، و هذه الثورات جميعها ثورات قامت على الاشلاء و الأنقاض ، و حرر تاريخها بمداد الدم ، يضمحل أمامها ما فعله الأباطرة والملوك المستبدون في العصور المظلمة .

و كان من الطبيعة الثانيـــة للثورة العربية التي اقتبست من الثورة الغربيـــة ، الخداع ، و الجدل ، و التحوير ، .

و قد شهدت الأمة العربية كل ما فعله الثورة بمختلف زعمائها و قادتها و بمختلف ستاراتها الناصرية ، و البعثية و القومية و الاشتراكية ، و فروعها ، وهي

فى خير موقف لتحاسبها و توازن ما خسرته و ما كسبته ، كما وكيفاً .

كانت خسائر هذه الثورة محصورة فى بلد حدثت فيه الثورة فى سفك الدما
و فى تشريد المواطنين ، و فى تغيير الثوابت ، والمسلمات ، فقد تجرعت مصر مرارة
الثورة ، و مرت سوريا بمراحل عصيبة ، و العراق بفترات قلق و هيبة رهيبة
و اليمن و ليبيا ، و الجزائر ، و لكن كان لدى حدوث كل ثورة فى بلد ، ملاجئ
و مآوى للشاردين و المعذبين ، يتنفسون فيها و يهدأ بالهم ، فى حماية اخوانهم
و كانت فى الحكام و الشعوب جرأة أخلاقيــة و قوة أرادية كانوا يتحملون بها
تبعات الأيواء للمظلومين ، و المستضعفين ، و يصرحون باستنكارهم لظروف المعاناة
و المقاساة ، .

و لكن عدوى الثورة الغربية الدموية انتشرت الآن فأصبح كل حركة و عمل
يهدف إلى إحداث تغيير فى الوضع ثورة ، لحركة الفلسطينين لتحرير فلسطين ثورة ،
و مكافحة الأمية ثورة ضد الجهالة ، و مكافحــة الفقر ثورة ضد الفقر ، و العمل
للتقدم ثورة ضد التخلف ، فكلمة الثوره عصا سحرية تحرك لتسوى بها المسائل .

أما المسائل فهى فى تعقد وتفاقم ، تلتف ، لأن طبيعة الثورة و المعنى اللغوى
للثورة الاخلاف و الجـدل ، و التحوير ، و القسوة ، كما فهمـه الذهن المعاصر ،
و إن كانت القواميس التى ألفها زعماء الثورة تحمل معانى أخرى ، .

هناك جمهوريات فى ظل الثورة لم تجر فيها انتخابات و إن جرت انتخابات
فهى مزورة نتيجتها ٩٩ فى المائة وثمة اشتراكيات فى ظل الثورة، يتمتع فيها الحكام
و يتنعمون بما كان لا يخطر ببال الملوك و الأمراء فى العهود الوسطى .

و هناك حكام فى ظل الثوره انتخبوا ليظلوا فى الحكم طول الحياة ، فيغيرون
حقائق تاريخية ، .

كانت هذه الثورة بمآسيها ومساويها و بطبيعتها الجدلية محصورة فى العالم العربى و ان كانت مستوردة من تركيا العلمانية ، الكمالية ، فاستغل الحكام شقاء شعوبهم رغبتهم فى استعادة مجدهم و شرفهم فألهوهم بالأمانى و الأحلام ، و عذبوهم باسمهم و لكن تعدت هذه الثورة فى السنين الأخيرة ، و دخلت فى بقاع غير البلادالعربية فانضم العرب و العجم إلى معسكر الثورة و قبلت نظم لم تأت إلى الحكم فى ظل الثورة ، قبلت فكرة الثورة ، و استوردت معاول الهدم من بلاد الثورة لهدم كل ما هو قديم ، أو كل ما هو متوارث و ما بقى من حسنات ومن قيم و أخلاق ، و السلوك الانسانى ، ، و حرية ، كان من مظاهر التقدم فى هذا العصر أن فكرة الثورة طغت على كل عمل وتسير بلاد غير ثورية فى طريق الثورة فيها نظم قامت بطرق شرعية نيابية ، لكنها عندما تستقر فى الحكم تستخدم المعاول و الفؤوس لمواصلة الحكم ، و قمع الحريات لفرض فكرها ، و تتقلص فيها طائفة الحكم إلى شخص واحد أو أشخاص على غرار الثورة فيصبح نظام حكمها نظاماً فردياً أو عائلياً ، و تجرى انتخابات بأسلوب الجدل والتزوير على غرار النظام الثورى.

كانت نتيجة تعدى الثورة فى العالم الاسلامى أن تعرضت عدة بلدان إسلامية للتدمير ، و التشريد ، و القلق النفسى ، و تحولت مزارع و مصانع إلى مسارح حرب ، و مقابر جماعية فقد كان حصاد الثورة فى مصر . عشرات و مآت من الناس ، و تعذيب ألوف ، و كذا فى سوريا والعراق ، عند ما كانت الثورة محدودة إقليمية ،ولما التقت الثورة الفارسية و العربية سجلت رقما قياسياً فبلغت الخسائر سبعمائة ألف قتيل،خلال أربع سنوات ، وتسعمائة ألف جريح ،وخسائر لاتقدر بقيمة فلا يتكهن أحد متى تنتهى هذه المسرحية الدامية ، لأن البلدين يخضعان للثورة ، والثورة من طبيعتها إنها عمياء صماء لا تسمع و لا ترى .

رجل فقدناه :

الشيخ محمد أيوب الأعظمي ، فى ذمة الله

بقلم فضيلة الأستاذ محمد الرابع الندوى

لقد توفى فى الأسبوع الأول من شهر شوال عالم جليل من علماء المسلمين بالهند ، و هو الشيخ محمد أيوب الأعظمى ، والد ثلاثة من أهل العلم و التعليم المعروفين ، و منهم أخونا الشيخ سعيد الأعظمى الندوى أستاذ الأدب العربى ، و رئيس تحرير مجلة البعث الاسلامى بندوة العلماء

كان الشيخ المرحوم محمد أيوب الأعظمى من مواليد ١٣١٧هـ - ١٨٩٨م ، و قد درس فى المدارس الاسلامية الأهلية و على نخبة من أساتذة عصره إلى أن تخرج من دار العلوم ديوبند ، و اهتم بالكفاح فى سبيل مقاومة الظلم و الاضطهاد الذى كان يصبه المستعمر على المسلمين ، وانضم إلى حركة « الخلافة » الشهيرة فى الهند التى قامت فى عام ١٩٢٠م و اشتغل بتدريس الحديث الشريف فى مختلف المدارس و الجامعات الاسلامية و صار ذلك شغله الشاغل إلى أن لبى دعوة ربه فى السابعة و الثمانين من عمره .

شغل فضيلة الشيخ المرحوم منصب إدارة جامعة مفتاح العلوم لمدة ٢٥ سنة ، ثم رئاسة تدريس الحديث فى الجامعة نفسها بمدينة مئو من مديرية أعظم كره لمدة عشر سنوات ، و شغل هذا المنصب الأخير فى دار العلوم ندوة العلماء لمدة سنتين ثم انتقل إلى الجامعة الاسلامية ببلدة دابيل فى ولاية غجرات ، الهند ، وقضى فيها إحدى و عشرين سنة من آخر عمره ، و كان على عطلة سنوية للسنة الحالية ، فوافته المنية فلحق برفيقه الأعلى ، فانا لله و إنا إليه راجعون .

كان فضيلة المرحوم على جانب عظيم من صفات المروءة و السماحة والكرم ،

يأنس به من يعرفه و يتصل به و ينال منه الحفاوة و العطف ، كان رقيقاً رفيقاً ، معنياً بالجد و الاهتمام بالتعليم ، فقد بذل أكثر من خمس وستين سنة فى مهنة التعليم ، وكان علم الحديث موضوع تدريسه فى معظم هذه المدة ، التى تبلغ من الزمن إلى أكثر من نصف قرن ، ولم يكن يتعب ولا يضجر من أداء مسئوليته فى ذلك ، حتى فى أيام ضعفه و شيخوخته ، فقد تجاوز أخيراً ٨٦ سنة من عمره و لم يضعف عزمه ولا قصرت همته فى ذلك وكانت الجامعة الاسلامية تقع بعيدة عن وطنه بنحو ألف وخمس مائة كيلو متر ، و لكنه كان يتوجه إلى الجامعة بعد قضاء عطلة سنوية فى وطنه بنفس النشاط و يواظب على أداء مسئوليته فى الجامعة طوال السنة الدراسية منقطعاً إلى العلم و التعليم ، محبوباً لدى طلابه و المستفيدين من علمه وهم ألوف و ألوف .

و كان من خصائص الشيخ محمد أيوب الأعظمى رحمه الله الاهتمام بنصوص الحديث على طريقة رجال العلوم الدينية المدرسين فى الهند ، فانهم يمتازون أولا بدراسة الحديث الشريف و تدريسه و يمتازون ثانياً فى مناهج تدريسه بالاهتمام بالنصوص و استيعابها وتفهم ما تتضمن عليها هذه النصوص من المعانى والاشارات ، و لذلك نجد أن منهج تدريس الحديث الشريف فى الهند يستوعب كتب الصحاح الستة كلها بالاضافة إلى عدد من الكتب الأخرى أيضاً مثل الموطا للامام مالك وغيره ، فتدرس نصوصها كاملة باهتمامات متفاوتة بفصولها و أبوابها ، و لا تزال هذه العادة جارية مستمرة فى معظم الجامعات الاسلامية الأهلية فى قسم الدراسات العليا .

و هى عادة لا تزال الهند تمتاز بها على غيرها من الأقطار التى فيها اعتناء بتدريس العلوم الدينية الاسلامية .

توفى المغفور له الشيخ محمد أيوب رحمه الله وترك مكاناً شاغراً فى مجال تدريس الحديث الشريف والعلوم الاسلامية فى وقت قل فيه ظهور من يملأون مكان أسلافهم العلماء والعظماء فى العلم والتعليم . فنحن ندعو الله سبحانه وتعالى بأن يعامل الفقيد بخير ما يعامل به عباده العلماء الصالحين و ندعو بأن يعوض مراكز العلم و الدين خلفاً للفقيد يملأ مكاناً أصبح شاغراً بوفاته .

و نقدم إلى أخينا الأستاذ سعيد الأعظمي تعازينا المخلصة .

الشيخ نور الحسن في ذمة الله

فجعت أسرة دار العلوم التابعة لندوة العلماء بوفاة الشيخ نور الحسن في ٢ م ذيقعده ١٤٠٤ﻫ المصادف أول أغسطس ١٩٨٤م، فانا لله وإنا إليه راجعون .

لقد كان انتماؤه إلى هذه الأسرة منذ نصف قرن من الزمان قام خلال ذلك بتدريس العلوم الاسلامية من النحو و الصرف وكتب الفقه و الحديث بنشاط زائد و استفاد منه الطلبة و أحبوه .

لقد كان الفقيد يتميز بالخلق الجميل و كانت أكبر ميزة له في هذا المجال تواضعه الذي وسع به كل صغير و كبير من تلاميذه و زملائه ، يتلقاهم جميعاً بوجه طلق ضحوك و بالبشر و السرور ، و يعاملهم معاملة لينة مع علو مكانته في النصح و الصلاح و الورع .

لقد كان الفقيد يحرص دائماً على إفادة طلابه وتربيتهم فكانوا يحبونه ويقتربون إليه ليتعلموا منه العلم والخلق ويتمتعوا بصحبته اللطيفة و إن أكبر ميزة اجتماعية له في حسن ظنه بالناس وعدم تعرضه لما يوجد في المجتمع من أمور وأخلاق غير مرضية ، وقد كان يتحاشى من النظر إلى مواضع ضعف أو عيب في الناس ،وقد كانت له علاقة صفاء مع كل شخص ، وهي ميزة قلما توجد في مجتمعاتنا اليوم .

لقد عكف الشيخ على أداء واجبه نحو التعليم و التربية إلى مدة طويلة مخلصاً لله تعالى و ناصحاً للطلاب في صمت و احتساب ، وعاش محبباً مقبولا في كل مكان ، و إن وفاته خسارة للعلم و الأخلاق و التواضع و الورع يشعر بها كل من كان يعرفه ، ويحبه لخصاله الحميدة و قد توفاه الله تعالى تعالى عن عمر يناهز الثمانين .

تغمد الله الفقيد برحمته و مغفرته ، و يجزيه من جناته ونعيمه ما هو يحتاج إليه في آخرته ، وندعو الله سبحانه أن يلهم أهله و أولاده وذويه الصبر والسلوان .

التحرير

REGD. NO. LW/NP 59

Albaas-el-islami

NADWAT-UL-ULAMA, LUCKNOW. (INDIA)

مجلة المجمع العلمي الهندي

تصدر قريبا عددها الممتاز

حول

[illegible]

العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي الهندي

- نرجو حضرات الأدباء الكرام و أصحاب اليراع الأجلة ، الاتصال بنا ، فيما إذا كانوا يستطيعون أن يزودوا العدد الممتاز بأفكارهم و كتاباتهم عن العلامة الميمني .

- كما نرجو حضرات العلماء و الأدباء و الكتاب ممن كان عنده شيء من آثار الميمني ونوادره و رسائله أن يتكرموا بإرساله إلينا ، حتى يحلى به العدد الممتاز .

عنوان الاتصال

دكتور مختار الدين آرزو ، رئيس تحرير مجلة المجمع العلمي الهندي

القسم العربي ، جامعة عليكراه الاسلامية علي كره (الهند)

ARABIC DEPARTMENT, A. M. U

ALIGARH (INDIA)

قام بالطبع و النشر جميل أحمد الندوي في مطبعة ندوة العلماء ـ رئيس تحرير : سعيد الأعظمي

إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

يصدرها: ندوة العلماء، لكهنؤ، الهند

أخي القارئ :

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

حرصاً على تأمين و سلامة وصول المجلة إليك نرجو :

١– كتابة العنوان بالانجليزية و العربية كلتيهما فى ورقة خاصة ، كل حرف على حدة ، و إرساله إلينا .

٢– إرسال اشتراك بالقيمة المبينة أدناه باسم « البعث الاسلامى » مقابل عام واحد أو أكثر :

٣– أرفق شيك الاشتراك ضمن مظروف مسجل إلى العنوان المذكور أدناه.

الاشتراكات السنوية

فى الهند : ٤٠ روبية ، ثمن النسخة : أربع روبيات .

فى العالم العربى ١٢ دولاراً بالبريد السطحى ، ٢٥ دولاراً بالبريد الجوى .

فى أوربا و أفريقيا و أمريكا : ١٢ دولاراً بالبريد السطحى ، ٤٠ دولاراً بالبريد الجوى .

فى باكستان و بنغلاديش و دول شرق آسيا : ١٢ دولاراً بالبريد السطحى ، ٢٥ دولاراً بالبريد الجوى .

A L B A A S E L I S L A M I
N A D W A T U L U L A M A
P. O. Box No. 93 LUCKNOW (INDIA)

أنشأها
الأستاذ محمد الحسني تغمده الله برحمته عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م

البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

رئاسة التحرير
سعيد الأعظمي الندوي
واضح رشيد الندوي

العدد الخامس — المجلد التاسع والعشرون ★ صفر ١٤٠٥هـ — نوفمبر ١٩٨٤م

عنصر الحب

إذا استعرضنا المجتمع الاسلامى فى القرن الأول وجدناه مشرقاً بنور من الحب والأخوة والسلام ، والتاريخ الاسلامى حافل بأمثلة رائعة من هذه الناحية يندر نظيرها فى تاريخ الأمم الأخرى ، وإذا فكرنا اليوم فى أحوال المسلمين وأمعنا النظر فى الأوساط الدينية والهيئات الاسلامية واستعرضنا هذه المشكلات ، التى تعترض الركب الاسلامى فى كل مكان رأينا أن السبب لذلك كله هو عدم العناية بالحب والاستهانة بأهميته فى الدين الاسلامى وضرورته للمجتمع الانسانى .

فليتخذ شبابنا المسلم شعاره الأول « الحب و الاخلاص » ومهمته الأولى إذاعة الحب بين الناس حتى تتجلى تلك الظلمات الكثيفة التى أحاطت بالمسلمين هذه الأيام ، فهو حجر زاوية فى بناء الاسلام ، نادى به القرآن العظيم وندب إليه الرسول الكريم وعمل به المسلمون فى القرون الأولى .

[محمد الحسني — رحمه الله]

البعث الإسلامي ندوة العلماء ص.ب ٩٣ لكهنؤ (الهند)
ALBAAS-EL-ISLAMI Nadwat-ul-Ulama LUCKNOW (India)

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحيــة :

موسم الحج، مشاهدات و انطباعات

أضفى الله سبحانه و تعالى على عبادة الحج لوناً ثابتاً عجيباً من الطهر والعفاف، التوحيد الخالص، وأحاطها بسياج من الايمان والتقوى، والعبودية والاستسلام؛ فرضها على كل مسلم استطاع إليها السبيل، و أعد نفسه عن طريق الطاعة العمل بالشريعة، للنهوض بهذا الواجب العظيم، الذى إذا أحسن القيام به و أداه ضوء الكتاب و السنة كاملا غير منقوص، و لا مشوب بشوائب من النفس، انه يستحق البشرى التى جرى بها لسان النبوة قائلا (من حج فلم يرفث ولم يفسق جع كيوم ولدته أمه) و قوله (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) و ذلك و المسلم الذى تمسك بالحنيفية، وعظم شعائر الله و حرماته، راغباً عن كل شريعة شعيرة، تغاير شريعة التوحيد و شعيرة التقوى و الايمان (ذلك و من يعظم حرمات الله فهو خير له) (ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب).

و لقد أراد الله تعالى أن يتناول العبد المسلم الذى يقوم بأداء هذه الفريضة التدريب على التوحيد و التقوى، بحيث لا تؤثر فيه المظاهر المادية الكثيرة التى يمر بها فى طريقه نحو إنجاز هذا الركن العملاق، ولا يقف فى طريقه شىء من عقبات النفس و الشيطان فيصرف وجهه عن الغاية الأصيلة المنشودة إلى نوع من الشرك و الاعتقاد بالأحجار و الجدران التى لا تغنى عن الله الواحد القهار شيئاً، فكم فى خلال المناسك و فى المشاعر و الأماكن المقدسة من حوافز تغر المسلم الساذج، و تحيد به عن درب الحق و التقوى و التوحيد و الطاعة إلى طرائق لا تمت إلى عبادة الله الخالصة بأى صلة.

فانه حينما يطوف بالبيت ، و يستلم الركن ، و يلتزم بالجدار ، و يتخذ من مقام إبراهيم مصلى ، و حينما يسعى كالهائم المستجير بين الصفا و المروة ، و يصعد على مرتفعاتهما فيتجه إلى البيت و يدعو الله ، فهو لا يفعل كل ذلك لأنه بيت الله أو لأنه الركن أو المقام أو لأنه الصفا و المروة ، بل لأن الله سبحانه و تعالى أمره بذلك فيستسلم لأمره و يمتثل طاعته ، و يخضع لسلطانه ، إنه لا يفعل كل ذلك إلا لأن الرسول الكريم ﷺ عمله كذلك بأمر من ربه ، فقال عليه الصلاة والسلام : « خذوا عنى مناسككم » و قال الله تبارك و تعالى (و إذ جعلنا البيت مثابة للناس و أمناً و اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، وعهدنا إلى إبراهيم و اسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين و العاكفين و الركع السجود) و قال تعالى (إن الصفا و المروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ، و من تطوع خيراً فان الله شاكر عليم) إن المسلم الذى يقوم بجميع هذه الأعمال و لا يألو جهداً فى الخضوع و الطاعة إنما يتوخى من ورائها ذكر اسم الله تعالى و توحيد ربه و تكبيره على ما هداه و تعظيم شعائره (و لكل أمة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فإلهكم إله واحد فله أسلموا ، و بشر المخبتين ، الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، و الصابرين على ما أصابهم ، و المقيمى الصلاة و مما رزقناهم ينفقون ، والبدن جعلناها لكم من شعائر الله ، لكم فيها خير ، فاذكروا اسم الله عليها صواف ، فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر ، كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون ، لن ينال الله لحومها و لا دماؤها و لكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم و بشر المحسنين) (سورة الحج الآيات ٣٤ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧) .

هل توجه إلينا هذه الآيات إلا دروساً من ذكر الله و توحيده و عبادته و تكبيره وتعظيم شعائره و إخلاص العمل له وتقواه ، و تلك هى فى الحقيقة الغاية

القصوى التى ينشدها المسلم من جميع أعماله و عبادته ، و لكن هذه المظاهر العالية لها مكانتها و أهميتها فى الحج بوجه خاص ، إنهـا تتجلى فيه بأبرز أشكالها و أجلى معانيها ، و لعل ذلك جزاء المسلم من هذه العبادة التى تكلفه شيئاً كثيراً من إنفاق المال و الوقت و الجهود ، و تحمل المشاق فى سبيل أدائها على الوجه السليم ، فاذا كانت تقوم على أساس الوحدة من حيث إنها تفرض مرة واحدة فى الحياة فانها كانت أولى بتوحيد الله و إبراز هـذه الوحـدة فى كل ما يلابسهـا من مناسك و مشاعر و أعمال ، و كانت أكبر العبادات محاربة للشرك و ما والاه و أعظمها مقربة إلى ذات الله و الايمان به و التوكل عليه و الثقة فيه .

و لقد بوأ الله سبحانه لابراهيم عليه السلام مكان البيت للتوحيد الخالص و تطهيره للطائفين و القائمين و الركع السجود ، و أمره بالأذان العام فى النـاس بالحج يأتون من كل فج عميق ليشهدوا منافع الدين و الدنيا و يذكروا اسم الله تعالى فى الأيام المعلومات المعدودات التى أكرم الله تعالى بها عباده المؤمنين من الحجيج (و إذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئاً وطهر بيتى للطائفين والقائمين و الركع السجود ، و أذن فى النـاس بالحج يأتوك رجالا و على كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهـدوا منافع لهم و يذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فكلوا منها و أطعموا البائس الفقير ، ثم ليقضوا تفثهم و ليوفوا نذورهم و ليطوفوا بالبيت العتيق) (سورة الحج الآيات ٢٦-٢٧-٢٨-٢٩) .

لا مساغ لأى نشاط يخالف هذه الروح النزيهة للعبودية الخالصة ، وهذه الصلة الربانية الوطيدة بين العبد و ربه تعالى فى هذه العبادة الطيبة العظيمة التى تحدث عنها القرآن بمثل هذه الصراحة و الايضاح و التكرار ، و التى لا تهدف إلا التوحيد و التطهير و ذكر الله والشكر له مع إحراز منافع من كل نوع مما يحتاج إليه المرء

فى حياته الدينية و الدنيوية ، و هنالك يكون الحج مبروراً ، « والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » كما قد صرح بذلك و بشر به الرسول العظيم محمد ﷺ .

و انطلاقا من هذه النقطة المهمة التى تدور حولها عبادة الحج يجتمع عباد الله فى أشهر معلومات من جميع أنحاء العالم و أرجاءه و طرقه حول بيت الله العتيق و فى بلده الأمين ممن يستطيع إلى ذلك سبيلا ، فيكون موسما رائعاً للعبادة و الذكر و الطواف و الدعاء و الحب و السعادة و تبادل المنافع ، و اكتساب مرضاة الله و امتثال الطاعة لله و لرسوله ، و يكون فرصة نادرة للتدريب على العبودية الخالصة و التمسك بالتوحيد النقى من الشوائب ، و تطبيقه على كل شأن من شئون الحياة ، و يكون من أسعد المناسبات للتقرب إلى الله تبارك و تعالى ، و لا شك فان من يعرف هذه الفرصة الغالية و يطلع على أهميتها و غلاء قيمتها إنما ينتهز منها كل لحظة لكسب الخيرات و يستغلها لجميع المصالح الحيوية و يعيشها فى طهر وعفاف وتقوى ، مع الحذر التام من كل ما يعكر صفو هذا الطهر و الورع (الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث و لا فسوق و لا جدال فى الحج ، و ما تفعلوا من خير يعلمه الله ، و تزودوا فان خير الزاد التقوى و اتقون يا أولى الألباب) .

و لكن هناك ـ فى هذا الموسم العظيم من العبادة والتقوى والذكر والطاعة ـ مواقف كثيرة من البدع و الجهل و مظاهر الشر و الفتنة و مشاهد لا يأتى عليها الحصر ، من الاصرار على الخطأ ، والاقتفاء بخطى النفس ، والخضوع أمام الأحجار و الأمكنة و التمسح بالجدران والأتربة ، اعتقاداً فى قدرتها على التصرف فى الأمور و المقادير ، و بتعبير أوضح : الاصرار على الشرك الجلى مع الغفلة عن ذات الله تعالى و التوكل عليه و الثقة فى قدرته و تصرفاته ، و نسيان ماله من حق التوحيد و الطاعة و الذكر و الخشية و الانابة اليه ، على العباد ، و خاصة فى موسم هذه

العبادة الرائع الجميل النزيه الذی لا يتحمل غبارا من شرك أو وثنية ، بل يحارب كل اتجاه نحو ذلك بكل قوة و تأكيد و يركز على ترسيخ جذور التوحيد والطاعة و اقتلاع جراثيم الوثنية و الشرك و البدع و الشهوات .

و إن هذه المواقف من الجهل و البدع و هذه المشاهد من الخطأ و الشرك و مخالفة أوامر الله ومحاربة روح العبودية الخالصة لها تأثيرها فی قلب مفاهيم الحياة الانسانية الصحيحة و غاياتها إلى مفاهيم خاطئة و تصورات شاذة لا يريدها الاسلام من وراء العبادات و الأعمال، ولا يرضاها الله و رسوله فی أی حال من الأحوال (و إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيراً ، فعليكم بسنتی وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فان كل بدعة ضلالة) .

وكم أحدث الناس من أمور لا علاقة لها بالدين، ولا صلة لها، بسنة الرسول عليه الصلاة والسلام فی مناسك الحج و مواقفه ، ألم يحدثوا فی الطواف حول البيت ما أحدثوا ، و من الحنين الشديد بالتبرك بالجدار أو أرض الحطيم أو كسوة الكعبة المشرفة أو الاكتفاء بالاشارة إلى هذه الأشياء و الخنوع أمامها تأكيداً للاعتقاد فيها والايمان بأهميتها ، من دون ذكر الله أو رجاء منه أوتضرع إليه واتجاه نحوه ، و لا ينتهی هذا الاعتقاد بغير الله فی البيت و المسجد الحرام و هذا التبرك بالمظاهر و المشاهد فی الصفا و المروة و آثار الطرق والبيوت فی مكة ، بل إن ذلك يتعدى إلى الجبال والأودية والساحات فی منى والمزدلفة و عرفات ، حيث إن معظم الحجيج لشد ما يكونون حريصين على لمس بعض الأحجار والوقوف على بعض المواقف و وضع الخدود و الجباه فی الرمال و الأتربة ، و الخضوع للهوى و النفس ، من غير دافع نحو عبادة الله و العمل بتعاليمه فی هذه المشاهد و المشاعر و من غير استحضار لتوحيد الله تبارك و تعالى و تحقيق طاعته وتنفيذ أوامره و نواهيه فيها ، و عقد الرجاء منه وربط المصير به فی كل شأن و حال .

ولا ينتهى الأمر إلى هذا الحد ، فان هناك معصية كبيرة لا يبالى بها الرجال و النساء من الوافدين إلى حج البيت و هى اختلاط النساء بالرجال من غير حيطة أو حذر أو استنكار ، و قد بلغ هذا الاختلاط فى كل مكان مع سفور النساء إلى ما لا مزيد عليه ، وحتى إن النساء لا يبالين بالوقوف إلى جنب الرجال فى صفوف الصلوات فى الحرم ، رغم المراقبة الشديدة التى يواظب عليها رجال الحرم و توعية الحجاج ، و لكن الاصرار على المخالفة طالما يهدم الجهود .

والذى يثلج الصدور هو أن حكومة المملكة لحريصة على إزالة هذه التناقضات و المخالفات فى الحج ، التى تعارض روح الشريعة ، وقد أقامت الحكومة مؤسسات و هيئات عديدة لتوعية الحجاج وإرشادهم وإنقاذهم من البدع والشرك والضلالات ، و فى مقدمة هذه الهيئات الدينية هيئة التوعية الاسلامية فى الحج التابعة لادارات البحوث العلمية و الافتاء و الدعوة و الارشاد و على رأس العلماء العاملين فى هذا المجال بوجه خاص شخصية المملكة المخلصة سماحة العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله تعالى ، الذى وقف بحياته للدين و إعلاء كلمة الله و نشر الحنيفية الخالصة فى كل بقعة من بقاع العالم ، و قد وضع جميع مواهبه و إمكانياته لتحقيق هذا الهدف العظيم ، لجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خيراً ، و تقبل جهوده المخلصة فى العودة بأمة الاسلام إلى منهجها الصحيح الوسط ، وطريقها السليم الأقوم (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) .

و صلى الله على خير خلقه محمد و على آله و صحبه و بارك و سلم .

سعيد الأعظمى

التوجيه الإسلامي

العالم الاسلامى فى القرن الثانى عشر الهجرى

—(٣)—

سماحة الشيخ السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى

وضع العالم الاسلامى العلمى و الدينى :

سنتعرض — بعد أن استعرضنا العالم الاسلامى سياسياً و إدارياً — لدراسته علمياً و دينياً إذ أن لها صلة قريبة بحياة الامام الدهلوى و موضوعه و تخصصه ، و ذوقه و عمله الاصلاحى و التجديدى .

نوابغ القرن الثانى عشر الهجرى :

تفيدنا دراسة تاريخ المسلمين العلمى والفكرى و قصة نشاطاتهم العلمية والتحقيقية و التأليفية أن حياتهم العلمية و الفكرية و نشاطاتهم فى مجالات العلم والبحث و التصنيف و التأليف لم تكن مرتبطة بالتقدم السياسى و رقى الدول و ازدهارها و فتوحها و انتصاراتها مثلما نجد فى تاريخ الشعوب و الملل غير الاسلامية ، فانها تعانى من الانحطاط العلمى و أزمة الرجال مع الانحطاط السياسى وانقلاب الحكومات و سوء الادارة و الفوضى فى البلاد ، و إذا فقدت تشجيع الحكومات و اشرافها ، و احتضانها ، و فقدت الثقة بالنفس و الشعور بالاستعلاء فانها تجف منابع فكرها و ذكائها ، و تموت فيها عواطف المسابقة و المنافسة و حب التقدم ، و تضعف دوافع العمل و أسباب الانتاج .

أما المسلمون فان شأنهم يختلف فى ذلك عن غيرهم ، فقد نبغ فيهم مراراً و تكراراً ـ رغم انحطاطهم السياسى والفوضى الداخلية واضطراب الأوضاع ـ عباقرة

و نوابغ لا يبدو أنهم وليدو عهـد السقوط و الانهيار ، ففى آخر القرن السابع الهجرى بعـد سقوط بغداد ـ عاصمة المسلمين و دار خلافتهم ـ على أثر هجمات التتار ـ ذلك الجراد المنتشر ـ الذى حطم شرق العالم الاسلامى و أهلك الحرث والنسل ، وخرب الديار والبلدان التى كانت مراكز العلم و المعرفة منذ عدة قرون ، بعد كل هذا الدمار و السقوط والانهيار نجد فى أواخر هذا القرن و أوائل القرن الثامن رجالا من نوابغ العلماء كشيخ الاسلام تقى الدين ابن دقيق العيد (م٧٠٢ھ) محدثاً ، و العلامة علاء الدين الباجى (م٧١٤ھ) أصولياً و متكلماً ، و شيخ الاسلام ابن تيمية الحرانى (م٧٢٨ھ) إماما مجتهداً ، و العلامة شمس الدين الذهبى (م٧٤٨ھ) محدثاً ومؤرخاً ، و العلامة أبو حيان النحوى (م٧٤٥ھ) نحوياً و مفسراً ، و أمثالهم من نوابغ العلماء و عباقرة الفنون .

و السر فى ذلك أن دوافع النبوغ فى العلوم الدينية و البواعث على خدمتها و نشرها و الحفاظ عليها مما تستقر فى داخل هذه الأمة و باطنها لا فى الخارج من إشراف الحكومات و تقديرها و تشجيعها ، و هذه الدوافع الخفية الباطنة هى الرغبة فى الحصول على رضا الله ـ تعالى ـ و القيـام بواجب نيابة الأنبياء و المرسلين ، و الشعور القوى بالحفاظ على الدين و نقله مصوناً من جيل إلى جيل .

فبالرغم من أن هذا العهد الذى نؤرخه هو عهد الاضطرابات السياسية والفوضى الداخلية فى البلاد ، و قد بدت فى الأفق علائم سقوط الدول و الحكومات المسلمة حتى المملكة العثمانية العظيمة ظهرت عليها أمارات الهرم و السقوط و كانت البلدان الاسلامية حتى بلاد الحجاز تشهد صراعات و حروباً داخليـة للتوصل إلى الامارة و السلطان ، كان العلماء فى مصر و الشام و العراق و الحجاز و اليمن و ايران و الهند و غيرها من بلدان العالم الاسلامى منصرفين إلى التدريس و الافادة و كان الباحثون و المحققون مقبلين على التأليف و التصنيف والبحث و التحقيق ، وكان

المشايخ و الصوفيـــة الربانيون متجهين إلى اصلاح النفوس و تزكية القلوب متصفين بالفضائل الروحية من صفـاء القلب و اشراق الروح ، و قد بلغ بعضهم من علو المكانة و جلالة الشأن ما لا يوجد له نظير فى الأقطار المترامية و البلاد القاصية و الدانية فى الماضى القريب .

خذ مثلا علم الحديث الشريف تجد فيه المحدثين الكبار كالعلامة أبى الحسن السندى الكبير (م١١٣٨هـ) الذى درس مدة طويلة فى الحرم الشريف و تعليقـاته على الكتب الستة معروفة بالهوامش الستة ، و الشيخ محمد حياة السندى (م١١٦٣هـ) الذى يزدان به كذلك هذا العهد ، والشيخ اسماعيل العجلونى المشهور بالجراحى (م١١٦٢) الذى كان من المحدثين الكبار فى الشام و كتابه « كشف الخفاء و مزيل الالبـاس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس » (١) من أنفع الكتب وأجمعها فى هذا الموضوع ، و لعله أكبر مجموعة من مجاميع الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، و يتضح من دراسة الكتاب ما يملكه المؤلف من سعة النظر و الاحاطة بالموضوع ، والأخذ بالانصاف و الاحتياط ، وتشتمل هذه المجموعة - عدا الأحاديث الضعيفة والموضوعة - على تلك الأحاديث المشتهرة بين الناس التى لا يعرف تخريجهـا — بصفة عامة — فعرف بها المؤلف و خرجها .

و كان الحرمان الشريفان من أكبر المراكز لتدريس الحديث الشريف حيث كان الشيخ أبو طاهر الكورانى الكردى والشيخ حسن العجيمى يلقيان الدروس، وكان فى اليمن الشيخ سليمان بن يحيى الأهدل (م١١٩٧هـ) محدث اليمن الجليل و من أكبر المحدثين و أجلهم فى عصره خدمة للحديث و نشراً لعلوم السنة المطهرة ، و كان الشيخ محمد بن أحمد السفارينى (م١١٨٨هـ) من كبار علماء الحديث و الأصول وهو صاحب « الدرر المصنوعات فى الأحاديث الموضوعات » وكان الأمير محمد بن اسماعيل

---

(١) نشرته مكتبة التراث الاسلامى بحلب — سوريا — .

الحسنی الصنعانی (م١١٤٢هـ) محدثاً جليلا ، و محققاً كبيراً ، و من مؤلفاته الجليلة « سبل السلام » شرح «بلوغ المرام» و «توضيح الأفكار» شرح « تنقيح الأنظار » و يلمع فى نوابغ هذا القرن أيضاً اسم العلامة الشيخ محمد سعيد السنبل (م ١١٧٥هـ) الذی يعتمد أكثر شيوخ الحديث على أوائله لكتب الحديث (١) فی رواياتهم واجازاتهم ، ومن كبار المحدثين كذلك العلامة محمد بن عبد الباقی الزرقانی (م١١٢٢هـ) الذی وصفه المؤرخون بقولهم : « خاتمة المحدثين بالديار المصرية » (٢).

و من العلماء البارزين فی هذا العهد فی تبحرهم العلمی ، و كثرة التدريس و الافادة ، و التصنيف و التأليف الشيخ عبد الغنی النابلسی (م١١٤٣هـ) الذی كثر تلامذته و الآخذون عنه ، ويصفونه « بالأستاذ الأعظم » و يقال إن مؤلفاته تبلغ مائتين و ثلاثة و عشرين ، و قد كان العلامة اسماعيل الحق (م١١٢٧هـ) أيضاً من علماء هذا العصر الذی ألف كتابه « روح البيان فی تفسير القرآن » ويعرف بالتفسير الحق كذلك ، وكان الشيخ عبد الله بن حسين السويدی (م١١٧٤هـ) من علماء بغداد ، صاحب مؤلفات كثيرة (٣) .

و توجد فی هذا العصر عدا المدارس والجامعات القديمة كالجامع الأزهر بمصر وجامع الزيتونة بتونس ، وجامعة القرويين بفاس ـ المغرب ـ أسماء المدارس الأخرى بدمشق كالمدرسة الحافظية و المدرسة الشلية ، و المدرسة العذراوية (٤) و يتكرر

(١) و هو المعروف بالأوائل السنبلية فی أوائل كتب الحديث .

(٢) انظر للتفصيل « البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع » للعلامة محمد ابن علی الشوكانی صاحب « نيل الأوطار » و « سلك الدرر فی أعيان القرن الثانی عشر » للمرادی .

(٣) انظر سلك الدرر ، و البدر الطالع .

(٤) انظر سلك الدرر .

من بين الطرق الصوفيــة ذكر الطرق النقشبندية و الخلوتية و الشاذليــة و القادرية و الرفاعية ، و يظهر أن مشايخها و أصحابها منتشرون من تركيا إلى اندونيسيا .

نظرة على الذوق العلمى و الأدبى
و الروحى فى العـالم الاسلامى :

يغلب على أصحاب العلم والمثقفين فى هذا العصر ذوق الأدب والشعر ، وثقافة المجالس و النوادى ، و اللطائف و الطرائف و الالغاز و الاحاجى ، و لا يبـدو أنهم حازوا فيهـا الفضل و السبق ، أو ابتكروا نوعا جديداً ، بل يطرد فيه السجع و تكثر القوافى ، و يغلب التكلف و التعمل ، و يتجلى تأثير الحكومة التركية (١) على الأوساط العلمية و الأدبية ، فلا يعثر على باحث محقق و مفكر كبير إلا بعـد بحث كبير ، و تزخر المجلدات الأربعة لسلك الدرر للمرادى بالقصائد و الغزليات و الأبيات و المقطوعات الشعرية ، و يكثر فيها ذكر المكاشفات و الكرامات ، و الأوهام و الخرافات ، و يتوجه علماء البلدان التى هى تحت السلطة العثمانية ونوابغها و أصحاب الفضل و الكمال فيها إلى دار الخلافة (القسطنطينية) و يتولون مناصب الحكومة ، و العلوم العقلية و الحساب و الهندسة وعلوم البلاغة و الفقه و شئ من الحديث هى الأجزاء الأساسية للمناهج الدراسية ، وتنتشر الرقى و التمائم ، و قد نظم بعض العلماء متن القدورى ، و المتون الفقهية الأخرى ، و كان عدد من العلماء العرب يعرفون اللغة الفارسية و التركية ، و كان الناس لاسيما فى الشام يألفون اللغة التركية لكونها اللغة الرسمية و كان عدد كبير من علماء تركيا نازلين بسوريا ،

(١) طبيعة الأتراك هى طبيعة السياسة والادارة والعسكرية (Martial Race) ، و لا نجد فيهم فى عهـد حكمهم الطويل كبار العلماء المحققين و المؤلفين البارزين أمثال العلامة أبى السعود وطـاش كبرى زاده ، و خليفة جلبى إلا قليلا جداً .

و يتكلمون بالعربية الفصحى ، وكان التدريس فى الجامع الأموى بدمشق من أسباب الفخر و الاعتزاز ، و كان بعض العلماء و المشايخ يلقى الدروس فى « الفتوحات المكية » و آخر يدرس « فصوص الحكم » و كان يدرس شرح الجامى و مختصر المعانى فى الشام أيضاً ، وكان التصوف هو السمة الغالبة حتى على العلماء والمحدثين ، و كان الشيخ عبد الغنى النابلسى و عدد من العلماء و المشايخ يقولون بوحدة الوجود (١) .

سيطرة العلوم العقلية فى إيران
و تأثيرها على البلدان المجاورة :

لقد أسس إسماعيل الصفوى (٩٠٥ - ٩٣٠) فى بداية القرن العاشر الهجرى الحكومة الصفوية فى إيران ، و جعل المذهب الشيعى هو المذهب الرسمى فى البلاد ، و قضى على المذهب السنى ، ومحا آثاره إلى حد كبير ، وبذلك انقطعت صلة إيران - تلك البلاد الخصبة التى انتجت - فى جانب - أئمة فن الحديث والأساطين الأربعة لبنيان الحديث الشامخ ، وهم الامام مسلم و الامام أبو داود والامام النسائى و الامام ابن ماجة ، الذين خضع الناس لامامتهم وجلالة شأنهم ، وانتجت فى جانب آخر ، كبار الفقهاء النابغين ، و العلماء المتبحرين كالامام أبى اسحاق الشيرازى ، و إمام الحرمين أبى المعالى عبد الملك الجوينى ، و حجة الاسلام أبى حامد محمد الغزالى - و أمثالهم من نوادر الزمن و نوابغ العلوم — لقد انقطعت صلة إيران فى عهد هذه المملكة القوية العظيمة الذى يمتد على قرنين وربع قرن من الزمن عن الحديث الشريف والفقه و العلوم النافعة المفيدة ، فقد كان الملوك الايرانيون يميلون إلى الحكمة والفلسفة لأن الشيعة لم تزل متعلقة بالفلسفة والاعتزال ، وقد كان الفيلسوف والرياضى المعروف خواجه نصير الدين الطوسى (م ٦٧٢هـ) مؤلف « شرح إشارات ابن سينا»

(١) أنظر سلك الدرر ، الأجزاء ١-٢-٣-٤ .

— الذی کان شیعیاً و معتزلیاً — مستشاراً عاماً لهلاکو خان و أمیناً لدیه (١)، و کانت هذه الثقة و الزلفی عند الملك التتاری سبباً کبیراً فی نشر علوم الفلسفة و الریاضیات فی المملکة التتاریة التی کانت تحتوی علی ترکستان و إیران و العراق، فقویت فیها المیول إلی العلوم العقلیة، وفی عهد الحاکم الثانی الملك طهماسب (م٩٨٤هـ) للملکة الصفویة نفسها لمع نجم المیر غیاث الدین منصور (م ٩٤٨هـ) الذی کان حکیماً إشراقیاً و فیلسوفاً ومؤسساً للمدرسة المنصوریة بشیراز، وتولی منصب الرئاسة فیها فی عهد الملك طهماسب لمدة طویلة، و انتشر تلامذته و تلامذة تلامذته إلی الهند، فکان الأمیر فتح الله الشیرازی (م٩٥٧هـ) من تلامذته الذی قصد الهند فی أواخر القرن العاشر الهجری، و ولاه أکبر منصب الصدارة، و هو الذی طبع المناهج و المقررات الدراسیة و الطرائق التعلیمیة فی الهند بالطابع العقلی، و ترك تأثیراً عمیقاً استمر مفعوله إلی القرن الثالث عشر الهجری، و هو الذی جاء حسب تصریح الشیخ آزاد البلکرامی — بمؤلفات صدر الدین الشیرازی. والمیر غیاث الدین منصور، والفاضل مرزا جان (م٩٤٤هـ) إلی الهند وقررها فی المدارس الاسلامیة.

و طلعت شخصیة المیر باقر داماد (م١٠٤١هـ) فی منتصف القرن الحادی عشر الهجری، الذی سیطر بذکائه و عقلیته و أدبه علی الأوساط العلمیة و التعلیمیة من إیران إلی الهند، و قد کان مرموقاً عظیم القدر و الحظوة فی بلاط السلطان عباس الصفوی (م ١٠٣٧هـ)، و ظل کتابه «الأفق المبین» غایة ما یحلق فی أجوائه المعلمون، و الکتاب النهائی فی الأوساط الدراسیة.

ثم برزت شخصیة العلامة صدر الدین الشیرازی (م١٠٥٠هـ) الذی کان حکیماً إشراقیاً، و فیلسوفاً طلیقاً حر التفکیر، و مؤلفاه «الأسفار الأربعة» و «شرح

---

(١) أنظر «تاریخ أخبار و آثار خواجه نصیر الدین الطوسی» نشر جامعة طهران — إیران.

هداية الحكمة » المعروف « بصدرا » (١) يحملان صيتاً ذائعاً و شهرة عالميــة ، لقد تعاون الذوق الايرانى — الذى تعود منذ قرون على صنع القبة من الحبة ، و تشقيق الشعرة مع هذه النزعة العقلية الفاسفية ، و بث شبكة التعبير فى الألفاظ ، و توليد الطرائف و النكات و تعقيدات الدعاوى و المفروضـات من الحدود الغربية لايران إلى الحدود الشرقية للهند ، التى لم يكن مثلها إلا كما يقـال : « تمخض الجبل فولد فأراً » لقد كانت دولة العلوم العقلية و الفلسفية تسيطر على الأوساط التعليميـة والتأليفية من عجم القرن العاشر إلى عرب القرن الثانى عشر ، ولم تكن هناك وسيلة للعلماء لاظهار فضلهم و نبوغهم و اثبات ذكائهم و عبقريتهم إلا حل عبارات المؤلفين السابقين ، و شرحها و التحشية عليها و محاولات فهمها وافهامها ، و كان أدنى مقال و انتقاد لفائدتها و ثمرتها اثباتاً للجهل و الغباوة و سوء الفهم .

لقد تركت ايران تأثيرها — طبيعة الحال — على أفغانستان ، و لاسيما على « هرات » المدينة الغربية لأفغانستان ، فكان القاضى محمد أسلم الهروى الكابلى (م١٠٦١هـ) كسفير لأساتذة إيران و مواجها فى المنطق والفلسفة ، و رفع ابنه القاضى محمد زاهد المعروف بميرزا زاهد (م١١٠١هـ) منار هذه العلوم و زاد فى قدرها و مكانتها ، و قد أمضى معظم حياته فى الهند ، و نالت حواشيه الثلاثة على « شرح المواقف » و « شرح التهذيب » و « الرسالة القطبية » التى تعرف « بالزواهد الثلاثة » قبولا كبيراً و رواجا عظيمـاً فى الأوساط الدراسية فى الهند ، و لم يكن هو بجانب فضله و نبوغه فى العلوم العقلية عالى الكعب فى الفقه و الحديث و العلوم الشرعية ، حتى إنه لم يكن يثق بنفسه فى تدريس كتاب متوسط متداول فى الفقه « كشرح الوقاية »

(١) كتاب « صدرا » مقرر فى المناهج الدراسية فى الهند من القرن الحادى عشر الهجري ، و لم يكن الطالب يعد قبل دراسته ، و احراز البراعة فيه خريجاً فاضلا لأى مدرسة من مدارس الهند .

فقد جاء فى « ملفوظات الشيخ عبد العزيز الدهلوى » — و هى مجموعة كلماته التى دونها بعض أصحابه ـ :كان أحد الأمراء يقرأ على مير زاهد كتاب « شرح الوقاية » و لكنه — لعدم ثقته بنفسه فى تدريس هذا الكتاب— لم يكن يدرس إلا بعد أن يحظر الجد (١) (وهو الشيخ عبد الرحيم الذى كان أحد تلامذته نفسه فى العلوم العقلية .

و كان خوضه — بجانب ذلك — فى العلوم العقلية إلى حد أن يقول .

« كلام الميرزا جان هو روحى و كلام إخوند هو روح روحى .

و لم يكن هذا التأثير لايران على الهند و أفغانستان فحسب ، بل كانت إيران تترك تأثيرها على العراق والشام أيضاً ، فكان ينظر هناك كذلك إلى علماء المعقولات بعين التقدير والاحترام ، وكانت لهذه العلوم مهابة فى القلوب ، وجلالة فى النفوس ، و كانت كتبها مقررة فى المناهج الدراسية .

الوضع الخلقى و الاجتماعى و العقائدى العام :

لقد كان العالم الاسلامى — رغم اشتغال العلماء بالعلم والبحث ، و وجود عدد كبير من النوابغ و أصحاب الفضل و الكمال و انتشار السلاسل و الطرق الصوفية فى الناس ، و العناية بالحديث النبوى الشريف و تدين كثير من الملوك و الحكام ، و رغم وجود تلك الحكومات المسلمة التى كانت تدين بالاسلام و تدين بالشريعة الاسلامية فى كثير من نواحى الحياة العملية، وقوانين الأحوال الشخصية ، و وجود المدارس آهلة و المساجد معمورة ، و كون الجمهور و عامة المسلمين يحبون الاسلام و يدينون به ، و يعتقدون فى المشايخ و الصالحين ، و يحافظون على أركان الدين و فرائضه ، و لا تخلو قلوبهم من الحمية الاسلامية ، كان العالم الاسلامى رغم كل ذلك يعانى من الجمود و الانحطاط ، وقد تسربت الأدواء إلى الأخلاق و الاجتماع ، و قبل المسلمون كثيراً من العادات والشعائر والتقاليد العجمية غير الاسلامية ، وكان

الحكام و الأمراء أنانيين قد ركبوا أنفسهم و أهوائهم . و كانت الفوضى فى الدول و الحكومات ، و قد ألهت طبقة الأمراء و الأثرياء أموالهم وثرواتهم ، و تسربت إليهم أخلاق « المترفين » و نزعاتهم ، وسيطرت على كثير من طبقات المجتمع عادة الكسل و التواكل و البطالة ، و التعلق بحواشي السلطـان ، و التقرب فى البلاط ، و الاطراء والتملق ، وكانت طبقات أخرى تهيم فى الأوهام و الخرافات ، و كانت تترامى نماذج عبادة القبور و تقديس الأولياء و تعظيمهم إلى حد التأليـه و تعدى حدود التوحيد ، حتى مظاهر الشرك الجلى فى بعض المواضع .

وقد صور المؤلف الأمريكى الدكتور لوثروب استودرد (Lothrop Stoddard) فى كتابه الشهير (New World of Islam) «حاضر العالم الاسلامى» العالم الاسلامى فى القرن الثامن عشر المسيحى ، و هو وإن كان يوجد فيه إفراط و غلو فى بعض المواضع و لكنه بمجموعه ليس تصويراً خطأ (١) للعالم الاسلامى حينذاك ، و قد جاءت فيه جوانب كثيرة لا يتنبه لها من يعيشون داخله ، والمشاهدون له كل حين ، و تسترعى انتباه الزائرين الجدد و المشاهدين لأول مرة ، و سوف لا يكون خطأ و لا غير لائق بالمكان أن ننقل شيئاً من هذا التصوير بدون أن نتحمل مسئوليـة صحته مائة فى المائة ، يقول المؤلف الأمريكى :

« فى القرن الثامن عشر كان العالم الاسلامى قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ ، و من التـدنى و الانحطاط أعمق دركة ، فأربد جوه و طبقت الظلمة كل صقع من أصقاعه و رجا من أرجائه، و انتشر فيه فساد الأخلاق والاداب ، و تلاشى ما كان

---

(١) لقد صدق هذا التصوير و الاستعراض العام للعـالم الاسلامى و استحسنه و رآه أمس بالحقيقة و الواقع أمير البيان الأمير شكيب أرسلان فى حواشيه الشهيرة على ترجمة هذا الكتاب العربية التى نشرت باسم « حاضر العـالم الاسلامى » .

باقياً من آثار التهـذيب العربى ، و استغرقت الأمم الاسلامية فى اتبـاع الأهواء و الشهوات ، و ماتت الفضيلة فى النـاس ، و ساد الجهل و انطفأت قبسات العلم الضئيلة ، و انقلبت الحكومات الاسلامية إلى مطايا استبـداد و فوضى و اغتيـال ، فليس يرى فى العالم الاسلامى فى ذلك العهد سوى المستبدين الغاشمين كسلطان تركية و أواخر ملوك المغول فى الهند ، يحكمون حكماً واهناً فاشى القوة متلاشى الصبغة ، و قام كثير من الولاة و الأمراء يخرجون على الدولة التى هم فى حكمها و ينشئون حكومات مستقلة و لكن مستبـدة كحكومة الدولة التى خرجوا عليها ، فكان هؤلاء الخوارج لا يستطيعون إخضاع من فى حكمهم من الزعماء هنا و هناك ، فكثر السلب و النهب ، و فقد الامن ، و صارت السماء تمطر ظلماً و جوراً ، و جاء فوق جميع ذلك رجال الدين المستبـدون يزيدون الرعايا إرهاقاً فوق إرهاق ، فغلت الأيدى ، و قعد عن طلب الرزق ، و كاد العزم يتلاشى فى نفوس المسلمين ، و بارت التجارة بواراً شديداً ، و أهملت الزراعة أيما إهمال .

و أما الدين فقد غشيته غاشية سوداء ، فألبست الوحدانية التى علمها صاحب الرسالة الناس سجفاً من الخرافات و قشور الصوفية ، و خلت المساجد من أرباب الصلوات و كثر عديد الأدعياء الجهلاء و طوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون فى أعناقهم التمائم و التعاويذ و السبحات ، و يوهمون الناس بالباطل و الشبهات و يرغبونهم فى الحج إلى قبور الأولياء ، و يزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور ، وغابت عن الناس فضائل القرآن فصار يشرب الخمر والأفيون فى كل مكان ، وانتشرت الرذائل وهتكت ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء (١) .

---

(١) لو أن فيلسوفاً من فلاسفة الاسلام ، أو مؤرخـاً عبقرياً بصيراً بجميع أمراضه الاجتماعية ، أراد تشخيص حالته فى هذه القرون الأخيرة ، ما أمكنه أن يصيب المحز و أن يطبق المفصل تطبيق هذا الكاتب الأمريكى ستوداد . (ش)

مباحث مهمة فى القرآن الكريم

بقلم العلامة الدكتور تقى الدين الهلالى المراكشى

اعلم — علمت خيرا و وقيت ضرا — أن مباحث القرآن و علومه و فوائده و جواهره و أسراره لا تعد و لا تحصى و ليست خاصة بزمان دون زمان ، ففى كل زمان يظهر منها شيء كان خافيا من قبل كما قال الشاعر :

يزيدك وجهه حسنا   إذا ما زدته نظرا

بل كما قال الله تعالى فى آخر سورة فصلت (سنريهم آياتنا فى الآفاق ، و فى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) .

قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره : أى سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقا منزلا من عند الله على رسول الله ﷺ بدلائل خارجية فى الآفاق من الفتوحات و ظهور الاسلام على الأقاليم ، و سائر الأديان . قال مجاهد و الحسن و السدى : و دلائل أنفسهم قالوا : وقعة بدر وفتح مكة ، و نحو ذلك من الوقائع التى حلت بهم ، نصر الله فيها محمداً ﷺ و صحبه وخذل فيها الباطل و حزبه .

و يحتمل أن يكون المراد من ذلك ، ما الانسان مركب منه و فيه و عليه من المواد و الأخلاط و الهيئات العجيبة كما هو مبسوط فى علم التشريح الدال على حكمة الصانع تبارك و تعالى ، و كذلك ما هو مشغول عليه من الأخلاق المتباينة من حسن و قبح و غير ذلك و ما هو متصرف فيه تحت الاقدار التى لا يقدر بحوله و قوته و حيله و حذره أن يجوزها و لا يتعداها ، كما أنشد ابن ابى الدنيا

« فى التفقه والاعتبار » عند شيخه أبى جعفر القرشى حيث قال ، و أحسن المقا

و إذا نظـــرت تريد معتبرا　　فانظـــر إليك ففيك معتـــبر
أنت الذى تمسى وتصبح فىالدنيا　　و كل أمـــــوره عـــبر
أنت المصرف كان فى صغـــر　　ثم استقل بشخصك الكبر
أنت الذى تنعاه خلقتـــه　　ينعاه منها الشعر و البشر
أنت الذى تعطى و تسلب لا　　ينجيـه من أن يسلب الحـذر
أنت الذى لا شيء منـــه له　　و أحق منـــه بمـا له القدر

قال محمد تقى الدين الهلالى : أقتصر من ذلك على مثال واحد إذا تأمله . الأمل ازددت يقينا بما ذكرته آنفا و ذكره غـــيرى من الباحثين من أن عجا القرآن لا تنقضى ، قال تعالى فى سورة الواقعة (٧١—٧٤) (أفرأيتم النار ا تورون ، أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ، نحن جعلناها تذكرة ، متاعا للمقوي فسبح باسم ربك العظيم) قال القانوجى فى تفسيره : (أفرأيتم النار التى تورون) ا أخبرونى عنها ، و معنى تورون تستخرجونها فى القـــدح من الشجر الرطب ، يق أوريت الناد إذا قدحتها ، و العرب تقدح بعودين تحك أحدهما على الآخر ، ويسم الأعلى الزند و الأسفل الزندة ، شبهوهما بالفحل و الطلوقة (أأنتم أنشأتم شجرتها التى تكون منها الزنود ، وهى المرخ و العفار ، تقول العرب فى كل شجر نار و استم المرخ و العفار ، و زاد الجلال المحلى : الكلخ ، نقل سليمان الجمل عن شيخه أنه قال و لم نجده فى القاموس و لا فى المختار ، غير أنه أخبره بعض أهل المغرب و الش بأنه موجود معروف عندهم شبيه بالقصب ، تأخذ منه قطعتان ، و تضرب إحدا بالأخرى فتخرج النار .

و قوله (أم نحن المنشئون) لها بقدرتنا دونكم ، و معنى الانشاء : الخلق

و عبر عنه بالانشاء للدلالة على ما فى ذلك من صنيع الصنعـــة و عجيب القدرة ، (نحن جعلناها) أى النار التى فى الدنيا تذكرة بنار جهنم الكبرى حيث علقنا بها أسباب المعاش و عممنا فى الحاجة اليها البلوى ، لتكون حاضرة للناس ينظرون إليها، و يذكرون ما أوعدوا به .

قال مجاهد و قتادة : « تبصرة للناس فى الظلام » ، و قال عطاء : « موعظة ليتعظ بها المؤمن . .) و قال ابن عباس : « تذكرة للنار الكبرى » ، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : (ناركم هذه التى توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم، قالوا و الله إن كانت لكافية يا رسول ! قال : فانها فضلت عليها بتسعة و ستين جزءا كلها مثل حرها) أخرجه البخارى و مسلم .

و قوله (و متاعا للمقوين) أى للمسافرين قاله ابن عباس ، يعنى منفعة للذين ينزلون بالقواء ، وهى الأرض القفر ، كالمسافرين وأهل البوادى النازلين فى الأراضى المقفرة ، يقال : أرض القفاء بالمد و القصل أى مقفرة . و يقال : أقوى أذا سافر أى نزل القوى ، وخصوا بالذكر ، لأن منفعتهم بها أكثر من المقيمين فانهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع ، ويهتدى الضال إلى غير ذلك من المنافع . وقال مجاهد : « المقوين المستمتعين بها من الناس أجمعين فى الطبخ و الخبز و الاصطلاء و الاستضاءة وتذكرنا جهنم » ، وقال ابن زيد : « للجائعين فى اصلاح طعامهم » ، يقال أقويت منذ كذا وكذا ، أى ما أكلت شيئا ، و بات فلان القوى أى جائعا .

و قال قطرب : القوى من الاضداد : يكون بمعنى الفقر ، ويكون بمعنى الغنى ، يقال أقوى الرجل إذا لم يكن معـــه زاد ، و أقوى إذا قويت دوابه و كثر ماله . و المعنى جعلناها متاعا ومنفعة للأغنياء و الفقراء لا غنى لأحد عنها ، وقال المهدوى : الآية تصلح للجميع لأن النار يحتاج اليها المسافر والمقيم و الغنى و الفقير ، و حكى الثعلبى عن أكثر المفسرين القول الأول و هو الظاهر ، انتهى .

انتفاع المسافرین بالنار فی هذ الزمان

قد رأیت فی کلام أئمة التفسیر أن المقوین هم المسافرون ، وأن الله جعل لهم النار متاعا یستمتعون بها فی أسفارهم ، و رأیت ما ذکره المفسرون فی استمتاعهم بها وقد ظهرت فی هذا الزمان أنواع من الاستمتاع بالنار للمسافرین لم تکن تخطر بالبال ، فمنها القطر جمع قطار ، و هی سفن البر التی تسیر لیلا و نهارا فی جمیع أنحاء المعمورة ، منها السریع و المتوسط و البطیء ، تحمل المسافرین و أمتعتهم — بالغة ما بلغت فی الثقل — و تحمل البضائع من قطر إلی قطـــر و من صقع إلی صقع وتحمل الأطعمة لکثیر من القری والمحطات التی لاتعیش إلا علی ما تحمله القطر إلیها.

هذا النوع من المتاع للمسافرین أولا ، و للقیمین ثانیا قوامه النار ، فهی التی تسیر القطار و تضیئها و تطبخ أطعمتها ، و تدفیء أهلها ، و هی علی أنواع ، غیر ما تقدم .

فمنها التی تسیر فی سککها علی وجه الأرض ، و منها التی تسیر تحت الأرض فی أنفاق طویلة مشتبکة ، ینزل الیها عشرین درجة أو أکثر ، و تکون فی طبقات تحت الأرض ، قطر فی الطبقة المباشرة لوجه الأرض ، و هناك طبقة تحتها تسیر فیها قطر أخری ، و هناك طبقة ثالثة ، کما یعلم ذلك من أقام فی برلین وباریس ولندن ، و هناك نوع من القطر یسیر عـــلی قضبان ممدودة علی أعمدة فی سماء المدینة کلها فی ارتفاع یحاذی الطبقة الخامسة و السادسة من البیوت ، حتی أن الانسان إذا کان راکبا فیها یری السیارات علی وجه الأرض کأنها حشرات کما فی مدینة برلین .

و منها القطر التی ترفع المسافرین وأمتعتهم ، والبضائع و الأغذیة إلی الفنادق المبنیة علی قمم الجبال المرتفعة العالیه آلاف الأمتار کما فی سویسرا و النمسا وغیرهما. و هذه القطر تسیر بالکهرباء ، و لها أعمدة حدیدیة یلتصق بها القطار فیرتفع فی

الهواء فوق غابات جبليـــة يندر أن يصل إليها الناس بأقدامهم أو على الدواب و لا يشاهدون ما فيها من الوحوش و الأشجار إلا اذا كانوا راكبين فى تلك القطر و هى صاعدة بهم ·

و سكان تلك الفنادق متوقفون فى معيشتهم على تلك القطر ، لا يصل إليهم من الأرض إلا ما حملت و هم يعيشون فى تلك الفنادق عيشة راضية لا ينقصهم شىء مما يوجد فى المدينة أسفل منهم و محطات هذه القطر تعلو عن وجه الأرض بمقدار أربع مائة درجة و منها ينبعث القطار صاعدا فى الجو و له منظر عجيب ·

و منها البواخر الجوارى فى البحر كالأعـــلام ، أى كالجبال و قد ذكرها الله سبحانه و تعالى فى سورة الشورى فى قوله جل من قائل (٣٢—٣٥) ﴿ و من آياته الجوار فى البحر كالأعـــلام ، إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ، إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ، أو يوبقهن بما كسبوا و يعف عن كثير ، و يعلم الذين يجادلون فى آياتنا ما لهم من محيص ﴾ ·

قال القاسمى فى تفسير هذه الآيات : (و من آياته الجوار) أى السفن الجارية (فى البحر كالأعلام) أى الجبال (إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره) أى فيبقين ثوابت على ظهر البحر (إن فى ذلك) أى فى جرى هذه الجوارى فى تسخير الله تعالى الرياح بجرها (لآيات) أى لعبرة و عظة و حجة بينة على القدرة الأزلية (لكل صبار شكور) أى لكل مؤمن ، و إنما آثر المذكورين تذكيرا بمـا ينبغى أن يكون المؤمن عليه من وفرة الصبر ، و كثرة الشكر إذ لا يكمل الايمـان بدونهما ، و الايمان نصفان ، نصف صبر و نصف شكر · انتهى ·

و فى الزمان السابق كانت السفن صغارا لا تشبه بالجبال الا على ضرب من التجوز و التسامح ، أما فى زماننا هذا فقد صنعت سفن كالسفينة الانكليزية المسماة

« مارى كوين » أى الملكة مارية ، و حمولتها ثمانون ألف طن ، وسمعت أن اليابانيين صنعوا سفينة من ناقلات الزيت حمولتها مائتا ألف طن فهذه السفن شبيهات بالجبال يستمتع المسافرون فيها بالنار أنواعا من المتاع ، فالنار هى التى تحملهم و تسيرهم ، و تجعل سفينتهم فى الليل الحالك قطعة من النور و فيها مطاعمهم ، و دور اللهو كالمسرح ، و دور الصور المتحركة وآلات النقل للأثقال من الأرض إلى الباخرة و من الباخرة الى الأرض فى المراسى و فى عرض البحر،كل ذلك استمتاع بالنار ، و منها الطائرات بجميع أنواعها ، فانها تسير بالنار ، و المسافرون فيها يستمتعون بسبب النار أنواعا من الاستمتاع ، لولا وجود النار ما قدروا على شيء منها ، ومنها الصواريخ والأقمار الصناعية والسفن الفضائية التى تخرق الغلاف الجوى للأرض كانها السهام المنبعثة من القسى ، أو الرصاص المنبعث من البنادق فتشق ذلك السقف المحفور ، و تخرج إلى الفضاء الخالى ، فتجول فيه دائرة حول الأرض أياما وليالى كثيرة ، لأن يومها و ليلتها لا يزيدان على ساعة و نصف ثم ترجع إلى الأرض التى منها خلقت و فيها صنعت باذن العليم الحكيم .

و أما قوله تعالى فى سورة الرحمن (٣٣—٣٥) ﴿ يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات و الأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان ، يرسل عليكما شواظ من نار و نحاس فلا تنتصران ﴾ .

قال البيضاوى : إن قدرتم أن تخرجوا من جوانب السموات و الأرض هاربين من الله ، فارين من قضائه فانفذوا ، فاخرجوا (لا تنفذون) لا تقدرون على النفوذ (إلا بسلطان) إلا بقوة و قهر و أنى لكم ذلك . أو إن قدرتم أن تنفذوا لتعلموا ما فى السموات و الأرض فانفذوا لتعلموا ، لكن لا تنفذون و لا

تعلمون إلا بينة نصبها الله تعالى فتعرجون بأفكاركم عليها (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى من التنبيه و التحذير و المساهلة و العفو مع كما القدرة أو عما نصب من المصاعد العقلية و المعارج النقلية ، فتنفذون بها إلى ما فوق السموات العلى (يرسل عليكما شواظ) لهب من نار ونحاس و دخان ، قال :

تضئ كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا

أو صفر مذاب يصب على رؤوسهم (فلا تنتصران) فلا تمتنعان (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان التهديد لطف و التمييز بين المطيع و العاصى بالجزاء و الانتقام من الكفار فى عداد الآلاء . انتهى .

قوله « تضئ كضوء سراج السليط » : هو الزيت و النحاس ، و لم يجئ فى هذه الآيات تفسير عن النبى ﷺ و قد اختلف المفسرون فيها ، فلا حرج علينا أن نفسرها بما يوافق لغة العرب و وقائع علم الهيئة ، ففيها تحد للجن و الانس أنهم مكبلون بقدرة الله فى هذه الأرض ، لا يستطيعون أن يخرجوا من فضاء الله وما لهم مهرب و لا محيص ، فان الله ربط حياتهم و سلامتهم بهذا الغلاف الجوى لا يستطيعون اختراقه و الخروج عنه إلا بقوة من الله يمنحهم إياها متى شاء على القدر الذى يريده ، أما الأرض فقد سخرها لهم و جعلها واسعة مذللة ، و أذن لهم أن يمشوا فى مناكبها ، و يأكلوا من رزقه فى جميع أرجائها ، برها و بحرها . لا حرج عليهم ، أما الخروج عنها فلا يمكنهم إلا بالقدر الذى يريده الله بما يشاء و بالسلطان الذى يمنحهم مع بقائهم مرتبطين بالأرض منها يتزودون ، غذاء وهواء ، و أخبارا ، و إليها يرجعون اضطرارا . فكل سفينة تسعى لاختراق هذا الجو المحيط بالأرض الذى هو جو الحياة المحفوظ من الآفات السماوية من الشهب و النيازك والاشعاع القاتل ، تعرض نفسها للاحتراق بالنار والنحاس ، فان شاء الله منحها سلطانا تتغلب به وتنتصر على الشوظ من النار والنحاس ، وإن لم يشأ احترقت وتلاشت ، فسبحان العزيز العليم .

قال القاسمى فى تفسير هذه الآية (فمن يرد الله أن يهديه) أى لتوحيده (يشرح) أى يوسع (صدره للاسلام) بتصقيله بنور الهداية ، فيقبل نور الحق كما قال تعالى (و لكن الله حبب إليكم الايمان و زينه فى قلوبكم) روى عبد الرزاق أن النبى ﷺ سئل عن هذه الآية كيف يشرح صدره؟ قال : نور يقذف فيه فينشرح له و ينفسح ، قالوا : فهل لذلك من أمارات يعرف بها ؟ قال الانابة إلى دار الخلود ، و التجافى عن دار الغرور ، و الاستعداد للموت قبل لقاء الموت ، رواه ابن جرير ، و ابن أبى حاتم . قال ابن كثير : و للحديث طرق مرسلة و متصلة يشد بعضها بعضا ، (و من يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) أى شديد الضيق فلا يتسع للاعتقادات الصائبة فى الله ، و الأمور الأخروية ، وقوله (كأنما يصعد فى السماء) أى يتكلف الصعود فى جهة السماء ، و طبعه يهبط إلى الأرض ، فشبه للمبالغة فى ضيق صدره من يزاول أمرا غير ممكن لأن صعود السماء مثل فيما يمتنع و يبعد من الاستطاعة ، و تضيق عنه المقدرة ، انتهى .

وليس مقصودى بهذه الاشارة أنه استوعب ما ظهر فى الآفاق للعلماء والباحثين فقد ألف فى ذلك الامام السلفى خاتمة المحققين وسيف الله المسلط على المبتدعين السيد محمود شكرى الألوسى البغدادى جزءاً لطيفاً سماه (ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئات الجديدة القويمة البرهان) ولم يتعرض رحمه الله للآيات التى ذكرتها من سورة الواقعة و الرحمن ، فأكتفى بهذا القدر الذى سقته على سبيل التنبيه .

فضائل القرآن و شروطها :

اعلم أن للقرآن حياة بلا موت ، و غنى بلا فقر ، وعز لا ذل معه ، و سعادة لا يخالطها و لا يعقبها شقاء ، و قوة أبدية ، ونصر سرمدى ، و فضائله لا تعد و لا تحصى ، ولكن لادراكها شروط لا تنال بدونها البتة ، وهذه الشروط مبينة فى

الكتاب و فى بيانه و هو السنــة ، و لو أردت أن أستوعب ما وصل إليه علمى القاصر من هذه الفضائل المشروطة لطال الكلام حتى يبلغ مجلدات ، لذلك أقتصر على ذكر شيء من ذلك ، و فى بعضه كفاية ، فمن آيات الكتاب العزيز :

١- قوله تعالى فى سورة النساء (١٧٤-١٧٥) (يا أيهـا الناس قد جاءكم برهان من ربكم ، و أنزلنــا إليكم نوراً مبيناً ، فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه و فضل و يهديهم إليه صراطاً مستقيماً) .

قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره : يقول تعالى مخاطبا لجميع الناس ، مخبرا بأنه قد جاء منه برهان عظيم ، وهو الدليل القاطع للعذر و الحجة المزيلة للشبهة ، و لهذا قال (و أنزلنا إليكم نوراً مبيناً) أى ضياء واضحاً على الحق ، قال ابن جريج و غيره : و هو القرآن (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا) أى جمعوا بين مقام العبـادة و التوكل على الله فى جميع أمورهم ، قال ابن جريج : آمنوا بالله واعتصموا بالقرآن ، رواه ابن جرير ، و قوله تعالى (فسيدخلهم فى رحمة منه و فضل) أى يرحمهم فيدخلهم الجنة ، و يزيدهم ثوابا و مضاعفة ، و رفعــا فى درجاتهم من فضله عليهم ، و إحسانه إليهم (و يهديهم إليه صراطاً مستقيماً) أى طريقا واضحا قصداً قواماً لا اعوجاج فيه و لا انحراف ، و هذه صفة المؤمنين فى الدنيا و الآخرة ، فهم فى الدنيا على منهاج الاستقامة و طريق السلامة فى جميع الاعتقادات و العمليات ، و فى الآخرة على صراط الله المستقيم المفضى إلى روضات الجنات ، انتهى .

٢- قال تعالى فى سورة المائدة (١٦) (يهـدى به الله من تبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم) .

قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره : يخبر تعالى عن نفسه الكريمة أنه قد أرسل رسوله (بالهدى ودين الحق إلى جميع أهل الارض عربهم وعجمهم ، أميهم وكتابيهم ،

و أنه بعثه بالبينات و الفرق بين الحق و الباطل، فقال تعالى : (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ، ويعفو عن كثير) أى يبين ما بدلوه و حرفوه و أولوه و افتروا على الله فيه و يسكت عن كثير مما غيروه و لا فائدة فى بيانه ، و قد روى الحاكم فى مستدركه من حديث ابن عباس قال : من كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحتسب ، (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) فكان الرجم مما أخفوه، ثم قال: صحيح الاسناد و لم يخرجاه ، ثم أخبر تعالى عن القرآن العظيم الذى أنزله على رسوله الكريم فقال (قد جاءكم من الله نور و كتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) أى طرق النجاة و السلامة و مناهج الاستقامة ، (و يخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) أى ينجيهم من المهالك ، و يوضح لهم أبين المسالك فيصرف عنهم المحظور ، و يحصل لهم أحب الأمور، وينفى عنهم الضلالة و يرشدهم إلى أقوم حالة ، إنتهى .

نفهم من آيتى النساء و آية المائدة أمورا :

الأول أن القرآن نور و برهان من الله تعالى، أما كونه نورا فانه يخرج كل أمة آمنت به و عملت بمقتضاه و اتخذته إماما و حكما من ظلمات الشقاء المادى و الروحى إلى نور السعادة الكبرى ، حتى تكون أسعد الأمم فى حياتها من جميع الوجوه ، و لا تكاد تساويها فى ذلك أمة أخرى من الأمم المخالفة ، و ذلك بعينه هو ما حدث للعرب الذين استضاءوا بنور القرآن ،ولكل أمة استضاءت به بعدهم .

و أما كونه برهانا ، فانه حجة من الله تعالى على خلقه جميعا ، فأى جماعة استمسكت به ظهرت و انتصرت و فازت و علت ، و بذلك تتم الحجة على غيرها من الأمم التى سلكت غير مسلكها .

و قوله سبحانه (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل و يهديهم إليه صراطا مستقيما) دليل على أن الايمــان بالله ، و الاعتصام بالقرآن — كما قال ابن جريج — شرط فى الاستضاءة بذلك النور و الخروج من ظلمات الشقاء فمن اعتل إيمانه بالله و لم يعتصم بالقرآن و لم يعمل به و لا اتخذه إماما و حكما لا يستضيء بنوره ، و لا يخرج من ظلمات شقائه،و الرحمة هنا هى السعادة الدنيوية و الأخروية جميعا ، أى سعادة البدن و الروح ، العاجل و الآجل، و الفضل هو زيادة الاكرام و الانعام لمتبعي ذلك النور فوق ما يخطر ببــالهم حتى يدهشوا و يتحيروا و يغبطوا ، و قوله سبحانه (و يهديهم إليه صراطا مستقيما) أى يديم عليهم نعمته و يسلك بهم طريق السعادة ، و هذا الصراط هو المعبر عنه فى آية المائدة بـ (سبل السلام) .

الثـانى فى آية المائدة خطاب لأهل الكتاب و هم اليهود و النصارى ، وحث لهم على الايمان بخاتم النبيين رسول رب العالمين محمد ﷺ أنه يبين لهم كثيرا مما أخفوه فى كتبهم لآية الرجم و يعفو عن الـكثير مما تدعو الضرورة إلى بيـانه فيتركه مستورا .

الثـالث أن الله سبحانه أخبرهم بأنه قد جاءهم منه نور و برهان كما قــد جاء غيرهم ، و هذا النور و البرهان هو كتاب الله القرآن ، فالعطف عطف تفسير كما فى قول الشاعر :

ألا حبذا هند وأرض بها هند وهند أتى من دونها النأى والبعد

فالنأى هو البعد ، و قال عنترة :

حييت من طلل تقـادم عهــده أقوى و أقفر بعــد أم الهيثم

فالاقواء هو الاقفار ، و قال عدى بن زيد :

فقـــد دث الأديم و ألفى قولها كذبا ومينا

و المين هو الكذب ، و مثله قوله تعالى فى سورة البقرة (٥٣) (و إذ آتينا موسى الكتاب و الفرقان لعلكم تهتدون) فالفرقان هو الكتاب .

و أخبر سبحانه بأنه يهدى بذلك الكتاب المبين من اتبع رضوانه ، و (من) من ألفاظ العموم تصدق على الفرد ، الجماعة ، فكل من اتبع رضوان الله بأن عمل بما فى كتابه و استضاء بنوره فاتخذه إماما و حكما ، و تخلق بما فيه من الأخلاق يهديه الله سبل السلام ، أى طرق السلامـــة فى الدنيا و الآخرة ، فلا يسلك سبيلا إلا صحبته السلامة و يخرجهم أى المستضيئين بنور القرآن من الظلمات إلى النور وظلمات الحياة كثيرة ، و النور هو زوالها و لذلك أفرد (باذنه) أى بتوفيقه و إرادته ، و يهديهم فى جميع أعمالهم إلى صراط مستقيم ، وهو الاعتدال فى أعمالهم وأحكامهم بلا إفراط و لا تفريط لتمسكهم بالقرآن الذى هو الميزان ، كما سيأتى فى حديث الحـارث الأعور عن على بن أبى طـالب مرفوعا (و من دعا إليـه هــدى إلى صراط مستقيم) .

٣- و قال تعالى فى سورة الأعراف (٢-٣) (كتاب أنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنـذر به و ذكرى للمؤمنين ، اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ، و لا تتبعوا من دونه أولياء) .

قال الخازن : (كتاب أنزل إليك) يعنى هذا الكتاب أنزله الله إليك يامحمد و هو القرآن (فلا يكن فى صدرك حرج منـه) يعنى فلا يضيق صدرك بالابلاغ و تأدية ما أرسلت به إلى النـاس ، انتهى . (لتنذر به) أى بالقرآن جميع النـاس تخوفهم من عذاب الله فى العاجل أو الآجل إذا أعرضوا عنه ولم يتبعوه (وذكرى للمؤمنين) أى لتذكر و تعظ به المؤمنين فانهم المنتفعون بالموعظة و الذكرى ، ثم قال

تعالى مخاطبا جميع الناس: (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم) و هو هذا القرآن (و لا تتبعوا من دونه أولياء) من شياطين الانس والجن ، توالونهم على خلاف القرآن، و المؤمنون المنتفعون بالقرآن هم الموصوفون فى أول السورة التى تلى هذه ، و هى سورة الأنفال (٢ـ٤) (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم و إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، و على ربهم يتوكلون، الذين يقيمون الصلاة و مما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم و مغفرة و رزق كريم) .

عبر سبحانه و تعالى بـ (إنما) التى هى للحصر ، و أكد هذا الحصر فى آخر الآيات ، أولئك هم المؤمنون حقا، و قد تضمنت هذه الآيات خمس صفات لا يتم الايمان بدونها :

الأولى : وجل القلب أى خوفه عند ذكر الله .

الثانية : زيادة الايمان عند سماع آيات الله تتلى.

الثالثة : التوكل على الله و الاعتماد عليه وحده لا شريك له فى جلب المنافع و دفع المضار ، و الثقة بوعده .

الرابعة : إقامة الصلاة، أى أداؤها قائمة كاملة تامة بالمحافظة على أوقاتها وطهارتها و جماعتها و أركانها و آدابها ، و الخشوع فيها ، و كونه مطابقة لصلاة رسول الله ﷺ لقوله عليه السلام (صلوا كما رأيتمونى أصلى) رواه البخارى .

الخامسة: إنفاق المؤمن مما رزقه الله ، زكاة وغيرها ، والمتصفون بهذه الصفات يعلى الله درجاتهم فى الدنيا و الآخرة و ينصرهم فى الدنيا و الآخرة ولهم رزق كريم فى الدنيا و الآخرة وهم المتبعون للقرآن السعداء بـه ، واقتصر على هذا القدر من آيات كتاب الله العزيز ، لأن المقام لا يتسع لأكثر منها ، وفيها بيان كاف .

الأحاديث النبوية فى هذا المعنى

١- عن النواس بن سمعان قال : سمعت النبى ﷺ يقول : (يؤتى بالق
يوم القيامة و أهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة و آل عمران ك
غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق ، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحا
عن صاحبهما) رواه مسلم .

الظلة و الغمامة : ما أظل الانسان فوق رأسه كالسحاب و نحوه ، و الفر
تثنية فرق بالكسر ، و هو السرب من الطير ، و الشرق الضوء والنور ، وتحا
عن صاحبهما : أى تشفعان له ، و الشاهد فى قوله (وأهله الذين كانوا يعملون ب
فى أن أهل القرآن حقا هم الذين يقرأونه ويعملون به ، أما الذين يقرأونه ولا يعم
به فليسوا بأهله ، و لا ينالون هذا الفضل .

٢- عن الحارث الأعور قال : مررت بالمسجد فاذا الناس يخوضون فى الأحاد
فدخلت على على فأخبرته فقال : أو قد فعلوها ؟ قلت نعم ، قال أما إنى سم
رسول الله ﷺ يقول : (ألا إنها ستكون فتنة ، قلت : ما المخرج يا رسول ا
قال : كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، و حكم ما بينكم ، هو الف
ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أذله ا
و هو حبل الله المتين ، و هو الذكر الحكيم ، و هو الصراط المستقيم ، هو ا
لا تزيغ به الأهواء و لا تلتبس به الألسنة و لا يشبع به العلماء ، و لا يخلق
كثرة الرد ، و لا تنقضى عجائبه ، هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا (
سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به) من قال به صدق ، و من عمل به أج
و من حكم به عدل ، و من دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم) ، رواه الدا
و الترمذى و قال : هذا حديث فى إسناده مجهول و فيه الحارث ، ثم قال :

ليس لهذا الحديث إسناد صحيح ، و لكن معناه صحيح ، ولذلك رواه المنذرى فى الترغيب والترهيب ، والبغوى فى المصابيح ، وابن كثير فى التفسير ، والأحاديث التى كانوا يخوضون فيها و شغلتهم عن القرآن هى القصص و الأخبار والحكايات التى لا طائل تحتها ، و المساجد إنما بنيت للصلاة و ذكر الله وخير الكلام كلام الله ، وبه ينبغى أن تعمر المساجد لا بالرأى و الأباطيل ، قال الشعبى رحمه الله : والله لقد بغض إلى أهل الرأى المسجد ، حتى لهو أبغض إليهم من كناسة المسجد .

و قوله (أو قد فعلوها) إنكار عليهم ، و الضمير عائد على الفعلة الشنيعة ، وقد صح عن رسول الله ﷺ بجيء الفتن بعد زمانه عليه الصلاة السلام ، ولاشك أن من تمسك بكتاب الله وسنة رسوله التى هى بيانه عصمه الله من الفتن فى كل زمان و مكان ، و فى زماننا هذا فتن عظيمة و لا مخرج منها للدول و الشعوب و آحاد الناس إلا باتباع القرآن اتباعا حقيقيا ، و العمل به و تحكيمه و رفع رايته ، وقوله (نبأ ما قبلكم) أخبار الأمم السابقة و ما أصابها من العذاب باعراضها عن كتب الله و رسله ، (وخبر ما بعدكم) من سوء عواقب الظالمين و الفاسقين عن أمر الله ، و المتعدين لحدود الله ، و أشراط الساعة . فمن تمسك به هداه الله دائما سبل السلام كما تقدم فى آية المائدة ، (وحكم ما بينكم) الأحكام الشرعية التى تحتاج إليها الأمة إلى يوم القيامة .

و قوله (هو الفصل) أى الفاصل بين الحق و الباطل ، و ليس فيه شيء من الهزل ، بل هو جد كله (من تركه من جبار قصمه الله) أى ترك القرآن من الجبارين القاهرين لخلق الله المتعالين عن حكم الله ، قصمه الله) إى أهلكه (ومن ابتغى الهدى) أى طلب الحق و الرشاد و العـــدل فى غير القرآن أى بما يضاد القرآن ويناقضه (أضله الله) أى أخرجه عن سبل السلام و أوقعه فى سبل الهلاك .

وقوله (وهو حبل الله المتين) قال الحافظ ابن كثير عن أبى جعفر الطبرى بسنده إلى أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : (كتـاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض) و روى ابن مردويه بسنده إلى عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : (إن هذا القرآن هو حبل الله المتين و هو النور المبين و هو الشفاء النافع عصمة لمن تمسك به و نجاة لمن اتبعه) و روى من حديث حـذيفة و زيد بن أرقم نحو ذلك ، إنتهى .

فمن تمسك بالقرآن كما تمسك به أصحاب رسول الله ﷺ والصالحون من بعدهم من جماعات و آحاد أوصله إلى السعادة الأبدية ، و من أعرض عنه فان له معيشة ضنكا ، أى ضيقة نكدة فى هـذه الدنيا ، ويحشره الله يوم القيامة أعمى لأنه كان فى الدنيا أعمى لايستضىء بنور القرآن ، (من كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى و أضل سبيلا) فكل ما أصاب المنتمين إلى الاسلام فى هذا الزمان هو بسبب إعراضهم عن القرآن ، و من شك فليجرب ، و كيف يشك عاقل فى ذلك ، وهذا تاريخ المسلمين أمامنا،كأننا ننظر إليه بأعيننا مطابق لهذا الوعيد كل المطابقة ، وقد اعترف بهذا الموافق و المخالف حتى الملحدون أعداء الدين ،اعترفوا بأن القرآن هو الذى نفخ فى أتباعه روح الحياة ، و بعثهم على اقتباس المدنيات و علوم الحضارة كما قرره (جوزيف ماك كيب) ، و نقله عن كبار الفلاسفة الملحدين فى كتابه (مدنية العرب فى الأندلس) فى أكثر من موضع ، و يحتمل أن يكون الحبل بمعنى العهد فى قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا) من أعرض عن القرآن فقد نقض عهد الله ، فالمعنيان متلازمان .

قوله (لاتزيغ به الأهواء) يعنى أن من كان هواه تبعا للقرآن ، يحيى ما أحيا القرآن ، و يميت ما أمات القرآن ، و يثبت ما أثبته القرآن ، وينفى ما نفاه القرآن

و يرفع ما رفعه القرآن، و يخفض ما خفضه القرآن، و يدور معه كيفما دار، فهو سعيد موفق منصور مهتد، لأن القرآن هو الصراط المستقيم فمن خرج عنه وقع فى الزيغ و الهلاك، و يشابه هذا المعنى حديث الأربعين قال النووى : عن أبى محمد عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : (لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به)حديث حسن صحيح، رويناه فى كتاب الحجة باسناد صحيح.

و مصداقه فى كتاب الله عز و جل قال تعالى فى سورة النساء (٦٥) (فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت و يسلموا تسليما) فلا تصح دعوة الايمان ولا تدرك ثمرته ـ وهى السعادة ـ إلا برد كل نزاع إلى كتاب الله و سنة رسوله و الرضا بما يصدر عنهما من حكم مع التسليم و الاذعان و المحبة .

و قوله (و لا تلتبس به الألسنة) لأن الله يسر تلاوته وتدبره على العرب و العجم، و لذلك نجد المجودين و المتضلعين فى علوم القرآن من الشعوب الأعجمية أكثر مما نجدهم من العرب .

فقد جرت مباراة فى ماليزيا بالشرق الأقصى فى تجويد القرآن و حسن تلاوته اشترك فيها أربعة عشر قطرا ، رجالا و نساء ، ففاز بالجائزة الأولى قراء ماليزيا و قارئاتها ، و فاز بالجائزة الثانيـــة قراء أندونيسيا و قارئاتها (لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) .

(و لا يشبع منه العلماء) لأن فوائده لا نهاية لهـا، فمن شبع منه فهو من الجاهلين ، و للأستاذ (محمـــد مارماديوك) الانجليزى النسب — رحمه الله — فى مقدمة تفسيره القرآن بالانجليزية كلام حسن فى هـذا المعنى ، و ليس تحت يدى الآن نسخة منـه لكى أنقله ، و كذلك للأستاذ الفرنسى (خير الدين زينى) فى تفسيره للقرآن بالفرنسية رحمه الله .

(و لا يخلق عن كثرة الرد) أى لا يبلى مع كثرة التلاوة و إعادتها و لا يمل (و لا تنقضى عجائبه) أى أودع الله فى القرآن حكما و أسرارا لانهاية لها فلا تزال تظهر للمفكرين و المتدبرين فيتعجبون منها، هو الذى سمعته الجن فأجلته و أكبرته ، و بهرها حتى قالت (إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد) إلى الخير و العدل و الحق ، وأهم ذلك توحيد الله ، ولذلك قالوا (فلن نشرك بربنا أحدا) و سائر ما قالوه فى سورة الجن يدل على شدة تأثير القرآن فيهم ، و قوله (من قال به) أفتى بمقتضى ما فيه (صدق) أى أصاب الحق ، ومن أفتى بخلافه كذب (و من عمل به نجا (من خزى الدنيا و عذاب الآخرة ، و من لم يعمل به هلك هلاكا أبديا (و من حكم به عدل) و من حكم بخلافه تعدى و ظلم (و من دعا إليه) أى إلى تحكيمه و العمل به (فقد هـدى) بصيغة المجهول و المعلوم ، وهما متلازمان ، لأنه الهادى إلى الصراط المستقيم مهدى .

تجويد القرآن :

اعلم أن تجويد القرآن فرض على كل قارىء ، و تعليمه فرض كفاية على أهل كل بلد ، فان تركوه و أهملوه اثموا جميعا ، و قد نص العلماء على ذلك ، وحرروه أتم التحرير ، غير أن هذا المقال قد طال — لذلك أردت أن ألم به إلماما .

قال ابن الجزرى فى المجلد الأول من كتابه (النشر فى القراءات العشر) ص ٢١٠ ما نصه : التجويد مصدر من جود تجويدا ، و الاسم منه الجودة ضد الرداءة يقال : جود فلان فى كذا إذا فعل ذلك جيدا ، فهو عندهم عبارة عن الاتيان بالقراءة بجودة الألفاظ ، بريئة من الرداءة فى النطق ، ومعناه انتهاء الغاية فى التصحيح و بلوغ النهاية فى التحسين .

و لا شك أن الأمة كلهم متعبدون بفهم معانى القرآن و إقامة حدوده ، فهم

كذلك متعبدون بتصحيح ألفاظه و إقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة، المتصلة بالحضرة النبوية الأفصحية العربية ، التى لا تجوز مخالفتها و لا العدول عنها إلى غيرها .

و الناس فى ذلك بين محسن مأجور ، و مسيء آثم أو معذور، فمن قدر على تصحيح كلام الله تعالى باللفظ الصحيح العربى الفصيح ، و عدل إلى اللفظ الفاسد العجمى أو النبطى القبيح ، استغناء بنفسه ، و استبدادا برأيه و حدسه ، و اتكالا على ما ألف من حفظه، واستكبارا عن الرجوع إلى عالم يوقفه على صحيح لفظه، فانه مقصر بلا شك ، و آثم بلا ريب ، و غاش بلا مرية ، فقد قال النبى ﷺ (الدين النصيحة لله و لكتابه و لرسوله و لأئمة المسلمين و عامتهم) .

أما من كان لا يطاوعه لسانه ، أو لا يجد من يهديه إلى الصواب ، فان الله لا يكلف نفسا إلا وسعها و لهذا أجمع من نعلمه من العلماء على أنه لا تصح صلاة قارىء خلف أمى ، و هو من لا يحسن القراءة ، و اختلفوا فى صلاة من يبدل حرفا بغيره سواء تجانسا أم تقاربا ، و أصح القولين عدم الصحة . ثم نقل عن الشيخ أبي عبد الله نصر بن على بن محمد الشيرازى فى كتابه الموضوع فى وجوب القراءات فى التجويد منه ما نصه : « فان حسن الأداء فرض فى القراءة ، ويجب على القارىء أن يتلو القرآن حق تلاوته ، صيانة للقرآن عن أن يجد اللحن و التغيير إليه سبيلا » .

ثم مضى إلى أن قال : « فالتجويد هو حلية التلاوة، وزينة القرآن وهو إعطاء الحروف حقوقها و ترتيبها فى مراتبها ● ورد الحرف إلى مخرجه و أصله ، و إلحاقه بنظيره و تصحيح لفظه ، و تلطيف النطق به على حال صيغته ، وكمال هيئته ، من غير إسراف و لا تعسف ، و لا إفراط و لا تكلف، و إلى ذلك أشار النبى ﷺ بقوله (من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد) يعنى عبد

الله بن مسعود ، و كان قد أعطى حظا عظيما فى قراءة القرآن و تحقيقه و ترتيله كما أنزله الله تعالى.

و ناهيك برجل أحب النبى ﷺ أن يسمع القرآن منه و لما قرأ أبكى رسول الله ﷺ كما ثبت فى الصحيحين ، وروينا بسند صحيح عن أبى عثمان النهدى قال صلى بنا ابن مسعود المغرب بـ (قل هو الله أحد) و والله لوددت أنه قرأ بسورة البقرة من حسن صوته و ترتيله .

و الأخذ بالتجويد حتم لازم   من لم يجود القرآن آثم
لأنـه بـه الاله أنزلا   و هكذا منه إلينا وصلا
و هو أيضا حليـة التلاوة   و زينـة الأداء و القراءة
فواجب عليهـم محـتم   قبل الشروع أولا أن يعلموا
مخارج الحروف و الصفات   ليلفظوا بأفصح اللغـات

و هذا الواجب مضيع فى المغرب لايقوم بأدائه إلا النادر من أهل العلم ، مع أن المغرب أحق الناس بالعناية باصلاح اللسان لاختلاطهم مع الأعاجم وإبدال كثير منهم بعض الحروف ، كالجيم يبدلونها زاياً ، و التاء يبدلونها بحرف ألمانى بين التاء و السين ، و الثاء ينطقون بها مثل ذلك ، و الذال يبدلونها دالا مهملة ، و الظاء يبدلونها ضادا ، و الشين يبدلونها سينا ، و قد يبدل هؤلاء السين شينا ، يرتكب ذلك حتى من ينسب إلى العلم منهم من غير نكير ، و قد أشار إلى ذلك المحقق ابن عبد السلام الفاسى فى كتابه الذى ألفه فى القرآن وعلومه و آدابه فى المجلد الأول قال : اللحن لحنان : جلى ، وخفى ، فالجلى : لحن الاعراب ، والخفى : لحن ترك إعطاء الحرف حقه من تجويد لفظه ، و ذلك إما بالنسبة إلى مخارجها ، بأنه لاتعطى حقها الواجب لها .

و إما بالنسبة إلى صفاتها التى تحقق ذاتها و تفصلها عما يشاركها أو يقاربها ، و إما بالنسبة إلى تبديلها بغيرها كجعل الظاء المعجمة مكان الضاد ، و كجعل السين مكان الشين المعجمة وكجعل الزاى مكان الجيم ،وكجعل الغين المعجمة مكان الراء ، و كجعل الهمزة مكان القاف ، إلى غير ذلك مما يطول تتبعه مما نسمعه من ألسنة الناس ، انتهى .

و قد سمعت بأذنى قارئا يقرأ قوله تعالى : (إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ) بإبدال الشين سينا و الجيم زايا و الذالين دالين مهملتين ، و هذا من اللحن الذى يغير المعنى ، وقد نقل القاضى عياض فى الشفاء الاجماع على أن من بدل حرفا فى القرآن عمداً كفر .

و من أسوأ ما يرتكبه المغاربة من تبديل الحروف نطقهم بالتسهيل فى قراءة ورش هاء خالصة فيقرأون الهمزة الثانية فى (أئنك) و (أئذا) و ما أشبه ذلك هاء و ليس هذا معنى التسهيل ، فالتسهيل تليين الهمزة الثانية حتى تكون بين الألف و الهمزة ، أو بين الواو و الهمزة ، أو بين الياء و الهمزة ، ويقابله التحقيق وهو النطق بهما همزتين خالصتين .

و لم ينعدم التجويد بالمرة فى المغرب فى أى زمن ، و لكنه كما قلت سابقا نادر و أكثر القراء على خلافه ، ومما يدلنا على ذلك ما جاء فى نصوص الشيخ التهامى ابن الطيب السجلماسى ثم الغرفى فى إنكار تبديل التاء بما تقدمت الاشارة إليه ، وهذه الأبيات بعضها مختل الوزن فأنا أنقلها على علاتها ، قال :

تحفظ رعاك الله فى السر والجهر   على مخرج التاء حين تتلو على عبر
إلى الحنك اصعد حين إخراجك لها   ولا تحون نحو الثنايا تنل شكرى
ولا تحدثن فيها صفيرا و رخوة   فذلك فعل الجاهلية ذوى السكر

فبالسين و الزاى الجهوا وصادها يخص صفير القوم كلهم قادر
كما خصصوا رخوا بجملة أحرف وليس لحرف التاء فيهن من ذكر

و قد كان علماء المغرب إلى عهد قريب جدا معنيين بتجويد كتاب الله أحسن عناية، قل ما يجاريهم فى ذلك علماء قطر آخر من الأقطار الاسلامية، حتى أن الملك فؤاد ملك مصر لما أراد أن يطبع المصحف على الرسم العثمانى، و كلف بذلك جماعة من علماء مصر المحققين لم يجدوا من الكتب ما يعتمدون عليه مثل كتاب مورد انظمآن بشرح العالم المقرىء عبد الواحد بن عاشر، ومن أشهر المنظومات التى عم نفعها، و قل فى التحقيق والبلاغة نظيرها منظومة (الدور اللوامع فى أصل مقرأ الامام نافع) لأبى الحسن على بن الرباطى، المشهور بابن برى، قال فى المنظومة المذكورة :

القول فى التحقيق و التسهيل للهمز و الاسقاط و التبديل
و الهمز فى النطق به تكلف فسهلوه تارة و حذفوا
و أبدلوه حرف مد محضا و نقلوه للسكون رفضا
فنافع سهل أخرى الهمزتين بكلمة فهى بذاك بين بين

قال شارحه إبراهيم المارغنى شيخ القراء بالجامع الأعظم بتونس المتوفى سنة ١٣٤٩ﻫ فى شرحه لمنظومة ابن برى المسمى (النجوم الطوالع على الدرر اللوامع فى أصل مقرأ الامام نافع) ما نصه « التسهيل فى اصطلاح القراء إذا أطلق اختص بالتسهيل بين بين، أى فالهمزة الثانية بسبب ذلك التسهيل لكونها بين بين، أى بينها و بين الحرف المجانس لحركتها فتكون المفتوحة بين الهمزة و الألف، و المضمومة بين الهمزة و الواو، و المكسورة بين الهمزة و الياء، هذا هو المأخوذ به عندنا فى كيفية التسهيل بين بين. قال أبو شامة : و كان بعض أهل الأداء يقرب الهمزة

المسهلة من مخرج الهاء قال : وسمعت أنا منهم من ينطق بذلك، و ليس بشيء لكن جوز الدانى و جماعة إمدادها هاء خالصة فى الأنواع الثلاثة ، قال العلامة سيدى عبد الرحمن بن القاضى فى بعض تكاليفه جرى الأخذ عندنا بفاس و المغرب فى المسهل بالهاء خالصة مطلقا ، و به قال الدانى . انتهى . و جوزه بعضهم فى المفتوحة دون المضمومة و المكسورة ، و الأكثرون على المنع مطلقا ، و عليه جرى عملنا بتونس ، انتهى » .

قال محمد تقى الدين الهلالى: الصواب هو تسهيل الهمزة الثانية بين بين ، كما قاله أبو الحسن ابن برى ، و قرره شارحه ، ولا حق للدانى أن يتصرف فى كتاب الله فيبدل حرفاً بحرف ، لأن القراءة سنة متبعة لا مجال فيها للاجتهاد ، و لا تصح الرواية بإبدال أخرى الهمزتين هاء البتة .

و قد روى مسلم فى صحيحه من حديث عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) و قد طال المقال حتى أنه لايحتمل الزيادة ، فنسأل الله أن ينفعنا و يرفعنا بالقرآن العظيم ، وبما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، و أن يجعله لنا شافعا مشفعا ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مع الشكر لمجلة البحوث الاسلامية (الرياض)

الحـــرية
بين المفهوم الغربى و المفهوم الاسلامى

بقلم : الأستاذ على القاضى

الحرية فى الحضارات القديمة :

لو أننا نظرنا إلى الحرية فى الحضارات القديمة ، لما وجدنا لها أثراً من الناحية العملية ، فالمجتمع الاغريقى ـ قديماً ـ كان يتكون من المواطنين و الأجانب والعبيد ، و العبيد هم الطبقة المستغلة ، و لم يكن عددهم قليلا ، بل إنه كان يزيد عشرين ضعفاً على عدد السادة ، و كانت أعمال العمال كلها يدوية قاسية ، فهم للخدمة فقط ، والديمقراطية كانت للاحرار .

و إذا ما انتقلنا إلى الدولة الرومانية وجدنا المناصب العليا قاصرة على النبلاء وحدهم ، و القانون الرومانى المشهور بالعدالة ، فرق بين السادة و العبيد .

و الديانة اليهودية ديانة عنصرية قومية ، لا تتصف بالشمول ، و هى ذات تطلعات و تنبؤات يريدون تطبيقها بحذافيرها إن أمكن ، بالتعاون مع كل من يؤمن بالتوراة .

والمسيحية جاءت بالمحبة ، ولكنها تركت ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، ولكن قيصر حاربها و لم يترك لها فرصة لجنى ثمارها ، بل إنه شوه رسالتها ، و ما أكثر ما قاست الانسانية من انتصار المسيحية على أيدى محاكم التفتيش التى انتشرت فترات طويلة فى بلاد كثيرة .

و حتى حرية الرأى فان الكنيسة لم تعرفها على مدى التاريخ ، لأنها كانت تمنع الناس من إبداء آرائهم و كانت تحاسبهم على ذلك أشد الحساب ، بل إنها استعملت كل وسائل التعذيب حتى القتل فى شمال أوربا لتدخل أهلها فى المسيحية

وما زال الناس يتحدثون عن محاكم التفتيش وما صنعته فى أوربا و فى الاندلس لتصير المسلمين ، بل وما زال المسيحيون يقومون بهذا العمل فى تصير المسلمين فى اندونيسيا و فى الفلبين وغيرها مستخدمين كل أنواع الترغيب و الترهيب ، مع أن المسلمين على مدى التاريخ أنقذوا المسيحيين من الظلم الواقع عليهم فى كل البلاد التى فتحها المسلمون ، وحين دخل المسلمون القدس تركوا للنصارى كل شىء وكتب عمر بن الخطاب أماناً لهم وأبى أن يصلى فى كنيستهم حتى لا يطمع فيها أحد من المسلمين وعامل المسلمون المسيحيين معاملة كريمة متبعين قول الله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين) (١) . و أهل الكتاب لهم معاملة كمعاملة المسلمين تماماً ، و غير أهل الكتاب لهم هذه المعاملة أيضاً ، اللهم إلا فى شيئين نكاح نسائهم ، و أكل ذبائحهم ، و فى ذلك يقول الرسول عليه السلام (سنوا بهم سنة أهل الكتاب غير ناكحى نسائهم و لا آكلى ذبائحهم) .

الحرية فى الفلسفات الحديثة :

الفلسفات الحديثة تسير على نهج الفلسفات القديمة فى التفريق بين الانسان و الانسان فى تطبيق الحرية .

فالماركسية أغرقت العالم فى بحر من القهر الاستبدادى و ما تبعه من تعذيب وقتل وغسيل للمخ فى البلاد الشيوعية نفسها ، ثم انتقلت إلى البلاد الأخرى فأغرقتها فى بحر من الدماء و أشاعت فيها الفوضى ، و رأينا الدماء التى تسيل فى شرق آسيا و إفريقيا بفعل الماركسية ، فهى تمنع حرية الكلمة و حرية الرأى و حرية التفكير وحرية المعتقد ، وقد أعلنت الشيوعية فى روسيا وعدد المسلمين خمسون مليونا ، وما زالت بهم فى التعذيب و التنكيل و التغريب حتى وصل عددهم عشرين مليوناً فقط ، وقد أصبحوا أغراباً عن كل معانى الحرية .

---

(١) الممتحنة / ٨ .

و الشيوعية دائماً تستخدم كل الأساليب ضد حرية الانسان ، فالتجسس أسلوب أساسى عندهم فى كل مجالات الحياة ، و ما أكثر الكتب التى الفت فى ذلك وما أكثر المعتقلات التى فتحت ، ولا تكاد أية مجموعة فى دولة شيوعية تجد الفرصة للمطالبة بالحرية إلا و طالبت بها ، كما يحدث الآن فى بولندا ، و إن كانت هذه المطالبة لا تأتى بنتيجة .

والاسلام حرم أساليب التجسس وما يتبعه والقرآن الكريم يقول (ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً) وشبه هذا بمن يأكل لحم أخيه ميتاً (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً ؟) (١) و أموال الناس ودماؤهم نهب مشاع فى الدول الشيوعية ، بينما هى حرام فى المجتمع الاسلامى ، وفى خطبة حجة الوداع يقول النبى عليه السلام : (إن دماءكم و أموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا) .

الوجودية :

و الوجودية تنادى باطلا ، بدعوى الارادة و الحرية ، وهى تريد جوف الانسان إلى غاية من الحرية المطلقة ، غير الملتزمة بأى إطار أخلاق مثالى ، غاية تسودها الفوضى وتظهر انعكاساتها السلبية على كيان الأسرة و على علاقات الناس بعضهم ببعض و علاقة الناس بالدولة ، و كان حصاد ذلك موجات الهيبز المتحللة التى تسود أوربا .

البراجماتية :

وهى فلسفة تؤله الفرد على حساب المجموع ، وتضع معايير للتقدم و النجاح ، ولا تلق بالا لعذاب المجتمع فى سبيل صعود الفرد بالنظام الاقتصادى الراسمالى ، إلى مرحلة الاحتكار و الاستبداد والقهر المستتر تحت إرادة الحرية ، ونتائج هذا ما نشاهده من

(١) الحجرات : ١٢ .

مظاهر التفسخ الاجتماعي التي تظهر دلائلها الآن في أمريكا و تدفع بالمئات إلى الانتحار الجماعي .

زائر أمريكي :

ومنذ عامين زار جامعة قطر خبير أمريكي في أمر تربوي ، و في جلسة مع بعض طلبة الجامعة الذين يتدربون على التدريس في إحدى المدارس أخذ يتحدث إلى الطلبة عن الحرية في أمريكا ويشيد بها حتى خفت على طلبتي أن يفتنوا بهذه الحرية حين وجدت الاعجاب في نظراتهم .

فسألته : ما معنى الحرية في أمريكا ؟ قال : أن يفعل الانسان كل ما يريد ما دام لا يعتدي على حرية غيره ولا يخالف القانون ، قلت له : فمن الحرية إذن أن يشرب الخمر ! و إذا ما اتفق شاب وفتاة على ممارسة الجنس فذلك من الحرية ؟ و إذا ما أباح القانون شيئاً و لو كان ضاراً بالمجتمع ، كانجلترا التي أباحت اللواط بقانون أقره مجلس العموم البريطاني فذلك من الحرية ، فسكت منتظراً اتمام حديثي ، فقلت :

أما الاسلام فالحرية فيه مقيدة بأوامر الله تعالى الذي خلق الانسان و وضع له التشريع الذي يتلاءم مع طبيعته وفطرته ويحفظه من انحرافات نفسه ومن انحرافات القوانين ، و وجدت الراحة في نظرات الشباب و وجدت الحيرة على وجه الخبير .

قال زميلي الذي كان يستمع إلى حديثنا : ما هذا ؟ قلت : لقد جاء ليعلمنا ما عندهم من جديد في ميدان التربية فلما ذا لا نعلمه ما عندنا من قيم الاسلام و مفاهيمه ؟

ذلك لأن الحرية في الفكر الرأسمالي تعني الانفلات من كل قيد أي الانطلاق ، و في الفكر الماركسي تعني تأمين البطن ولو ظاهرياً ، فهي إطلاق القيود التي تعترض سبيل البدن وحده .

و الحرية في اللغة العربية ليس معناها أن يفعل الانسان كل ما يريد ، ولكن معناها أن يختار الانسان فيحسن الاختيار ، و من هنا كان معنى تحرير الكتاب المعاناة في تأليفه وكتابته و إخراجه في الصورة الجيدة ، ومعنى تحرير الرقبة عتقها ،

وتحرير الولد أن يفرد لطاعة الله تعالى، فهى تعنى تحمل المسئولية على نحو من الانحاء.

الحرية فى الاسلام إشعاع داخلى يملأ جنبات النفس الانسانية بارتباطها بالله تعالى فيدفعها إلى درجة من السمو تجعله أقدر على أن يفعل الخير ويقيم العدل ويحق الحق ويبطل الباطل، والحر ليس عبداً لشهواته و أهوائه، لأن الحرية تحمل للمسئولية و على قدر تحمل المسئولية تكون الحرية.

أما الرق فانه مشتق من الرقة تقول : رق فلان لفلان، أى لان له وسهل، و رق الحر أى دخل الرق وصار رقيقاً.

فالرق نقيض للحرية، ومعناه تملك انسان لانسان آخر من الناحية القانونية، فيغدو و لا حرية له فى التصرف إلا بما يأمره به مولاه، و من ثم ترفع عنه المعاناة التى تقع على عاتق الاحرار.

و فى الاسلام رقيب باطنى هو الضمير، ورقيب ظاهرى هو الرأى العام الاسلامى و القانون، وذلك إن فشل الرقيب الداخلى، و إلى جانب ذلك فهناك يوم الحساب الذى لا يفلت منه أحد.

و الحرية فى الاسلام غير قابلة لأن تخرج عن حدودها ولا أن تصادر تحت أى شعار لأنها أصل فى الانسان، و لذلك فان الاكراه على عمل ما يجعل الانسان لا يقع تحت طائلة العقاب سواء أكان العقاب فى الدنيا أم فى الآخرة (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان).

و شعور الفرد بحريته وكرامته فى كنف الدولة الاسلامية جعل المظلوم غير المسلم يركب المشاق من مصر إلى المدينة ليأخذ حقه فيعطيه له عمر بن الخطاب ويقول لعمرو بن العاص كلمته المشهورة :

متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟

معرفـــة أنواع المدعوين

و أثرها فى نشر الدعوة

للدكتور محى الدين الألوائى

عضو هيئة التدريس

بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

المدعو المقصود فى اصطلاح الدعوة الاسلامية هو الانسان المخاطب بدعوة الاسلام أى الانسان البالغ العاقل ، ذكر أو أنثى ، مهما كان جنسه ونوعه و لونه وبلده ومهنته . لأن الاسلام رسالة الله الخالدة إلى الناس أجمعين ، و لهذا يخاطب القرآن البشر جميعاً فقال تعالى : « يا أيها الناس اعبدوا ربكم » و قال بشأن عمومية البعثة المحمدية : « قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا » و قال : « و ما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً و نذيرا » .

و إذا عرفنا أن دعوة الاسلام عامة لجميع البشر فعلى الداعى أن يحرص على إيصالها لكل انسان يستطيع الوصول إليه ، وعليه أن يذهب إلى المدعو ويتصل به ليبلغه الدعوة و يدعوه إليها ، ولا ينبغى له انتظار مجيء الناس إليه ، و هكذا كان يفعل إمام الدعاة محمد بن عبد الله ﷺ و سائر الأنبياء و الرسل عليهم السلام فى جميع الأزمنة و الأمكنة فكان رسول الله ﷺ يأتى مجالس قريش و يدعوهم ويخرج إلى القبائل فى منازلها و يدعوهم إلى الله و يذهب إلى ملاقاة من يقدم إلى مكة فى المواسم الخاصة فيدعوهم ، وجاء فى سيرة ابن هشام « ... وكان ﷺ لا يسمع بقادم إلى مكة من العرب له اسم و شرف إلا تصدى له فدعاه إلى الله و عرض عليه ما عنده » (ج ... ص ٣٢) .

و لم يكتف ﷺ بأهل مكة و من كان يأتيها وإنما ذهب إلى خارجها ، ذهب إلى الطائف يدعو أهلها وكان يدعو كل انسان يلقاه أويذهب إليه ، ولا يجوز للداعى أن يستهين بأى إنسان و أن لا يستصغر شأنه ، لأن الذى لا يقيم له وزنا فى أول الأمر ربما يكون له فى المستقبل وزن كبير فى مجال خدمة الاسلام و الدعوة إليه ، وهكذا كان رسول الله ﷺ يدعو كل إنسان ولم يستصغر شأن أحد، وجاء فى السيرة النبوية أن رسول الله ﷺ بعد أن عرض نفسه على قبائل العرب التى وافت الموسم فى مكة ، و كان ذلك قبل الهجرة بنحوثلاث سنوات ، ولم يستجب له منهم أحد ، لقى ستة نفر من الخزرج عند العقبة من منى وهم يحلقون رؤوسهم فجلس إليهم رسول الله ﷺ فدعاهم إلى الاسلام وقرأ عليهم بعض الآيات القرآنية فاستجابوا لله ورسوله و آمنوا ثم رجعوا إلى قومهم بالمدينة و ذكروا لهم نبأ رسول الله ﷺ و دعوهم إلى الاسلام فانتشر فيهم خبره حتى لم يبق دار من دور الأنصار فى المدينة إلا فيها ذكر رسول الله ﷺ و دعوته .

و جدير بالاعتبار أن النبى ﷺ لم يستصغر شأن أولئك الستة وهم يحلقون رؤوسهم فى مكان بعيد فى منطقة منى بقرب مكة ولم يقل فى نفسه الكريمة : أى أمل فى هؤلاء الستة الوافدين المشغولين بحلق رؤوسهم مع أن أحداً من القبائل النازلة حوالى مكة لم يستجب له ، و كانت نتيجة هذه الوسيلة الحكيمة التى اتبعها إمام الدعاة أن كان أولئك الستة نواة الدعوة الاسلامية فى المدينة وطليعة الدعاة إلى الاسلام فى خارج مكة المكرمة وفاتحة مستقبل ميمون لتاريخ الاسلام و المسلمين .

و إذا اتضح لنا أن المنهج المحمدى فى تبليغ الدعوة هو أن يذهب الداعى إلى المدعوين و لا ينتظر مجيىء الناس إليه بل و من حق المدعو أنْ يوقّى ويدعى و أن لايستهان به ولا يستصغر شأنه ، فيجب أن نفهم القواعد التى يقوم عليها هذا المنهج الصحيح .

القاعدة الأولى ـ أن التبليغ قد يستلزم انتقال المبلغ إلى مكان من يراد تبليغه لاحتمال عدم وصول خبر الدعوة إليه ، و أن مهمة التبليغ تسبق مهمة السامعين فى الاستجابة لدعوة الحق ونداء الخير ، و إذا لم تصل إليهم الدعوة و لم يسمعوا خبر الدعاة فكيف يطالبون بالاستجابة ؟ و لهذا كان رسل الله الكرام يأتون إلى أماكن الناس لتبليغ دعوة الحق والخير و إنما هم القدوة و المثل الأعلى فى مجال وظيفة تبليغ الدعوة و على الداعى أن يقتدى بهم .

و القاعدة الثانية ـ إن الذين لم تبلغهم دعوة الاسلام أو لم يدخل الايمان فى قلوبهم فى حكم التائهين و الضالين عن الصراط المستقيم فلا بد من هدايتهم إلى الطريق الصحيح و تخليصهم من الضلال من قبل الدعاة إلى الله والهداة إلى طريق الحق و يخبروهم بالمرض الذى أصابهم والعلاج الذى يحتاجون إليه ، فكل هذا يحمل الداعى على الذهاب إلى الناس المطلوب دعوتهم فى أماكنهم و مجالسهم .

و القاعدة الثالثة - أن العلماء هم ورثة الأنبياء و الرسل ، لا يجوز لهم ترك الناس على الضلال و الجهل و لا ينبغى لهم أن ينتظروا و يصبروا إلى أن يأتيهم الناس و يسألوه و عليهم المبادرة فى الانتقال إلى الناس لتبليغ الاسلام والدعوة إلى الله ونشر العلم النافع، و أن من ضريبة العلم الانفاق منه على المحتاجين ، يجب على كل عالم أن يؤدى حقه فى خدمة دين الله ونشر علومه و ارشاد الضالين بين أهله و قريته وبلده بالتوجه إلى مساجدهم و جامعهم ونواديهم بالحكمة و الموعظة الحسنة ، بعيدين كل البعد عن الاستهانة بأى فرد أو جماعة و عن التعالى بعلمه أو التعاظم بفضله بل خاشعين وهادئين وشاكرين أنعم الله عليهم وراجين فضله العظيم .

أنواع المدعوين الأربعة :

يمكن تقسيم المدعوين من كل مجتمع بشرى ، بحكم أوضاعهم الاجتماعية والفكرية ومستوياتهم الثقافية والعلمية ومكانتهم فى المجتمع من حيث السلطة أو الجاه أو المال أو مدى استجابتهم لدعوة الحق ، إلى أربعة أنواع :

النوع الأول :

القادة من رؤساء القوم و أعيان البلد وسادة المجتمع فهم أصحاب النفوذ والجاه والسلطة فى البلاد، وكانوا هم الذين يتولون مقاومة دعوة الرسل الكرام فى كل مكان وزمان ، وأطلق القرآن على هذه الطبقة من الناس كلمة « الملأ » لأنهم هم البارزون فى المجتمع و فى أيديهم قيادة الناس و الرئاسة ، و من الصفات الغالبة فيهم التكبر وحب الجاه و الرئاسة ، والتهافت على متع الدنيا والغفلة عن الدار الآخرة ، و هذه الصفات تمنعهم من قبول الدعوة الاصلاحية خوفاً من تأثيرها على مكانتهم و ترفهم و مركزهم المتوارث .

و على الداعى المسلم أن يتبع فى المعاملة مع هذا النوع من الناس مناهج الرسل الكرام مستنيرا بقصصهم الواردة فى القرآن الكريم وبالسيرة النبوية ، وفيما يلى بعض الآيات الدالة على ما جرى لهم مع الملأ من أقوامهم .

قال تعالى فى قصة نوح عليه السلام : « لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ، قال الملأ من قومه إنا لنراك فى ضلال مبين » ، و قال تعالى مخبراً عن الملأ من قوم عاد فى معاملتهم مع نبيهم هود عليه السلام : « قال الملأ الذين كفروا من قوم إنا لنراك فى سفاهة و إنا لنظنك من الكاذبين » و فى شأن موسى عليه السلام مع فرعون وملئه قال الله تعالى : « ثم أرسلنا موسى و أخاه هارون بآياتنا و سلطان مبين إلى فرعون وملئه فاستكبروا و كانوا قوماً عالين ، فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ، فكذبوهما فكانوا من المهلكين » .

و أن الملأ من قريش قالوا لرسول الله ﷺ مثل ما قال الأولون لأنبيائهم

بل وأشد منهم ، و قال تعالى عن المتكبرين عن التصديق بنبوة محمد ﷺ : « وقالوا لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ، أهم يقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا » (سورة الزخرف ٣١) ، و أن المعترضين على إنزال القرآن على محمد ﷺ تكبروا عليه و استصغروا شأنه فقالوا لو لا كان إنزال القرآن على رجل عظيم فى مكة أو الطائف ، و رد الله عليهم قولهم بأن الأمر بيد الله وهو يعلم حيث يجعل رسالته ويعلم من يستحق للرسالة و نزول الوحى .

و قال رؤساء قريش لرسول الله ﷺ تكبراً و استصغاراً لضعفاء المسلمين الذين آمنوا بالرسول فى أول الأمر ، مثل عمار بن ياسر و بلال الحبشى وصهيب الرومى ، « لا نرضى أن نكون مع هؤلاء الضعفاء فاطردهم عنك إذا دخلنا بمجلسك فاذا فرغنا من الحديث معك والسماع منك وخرجنا فأدخلهم إن شئت ، فأنزل الله تعالى قوله : « و اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة و العشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم » ، وقال تعالى أيضاً عن أولئك المتكبرين الذين طلبوا ذلك : « و لا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً » ، وليس هذا بدعا فى تاريخ الأنبياء فقد قال قوم نوح عن أتباعه : « ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين » (سورة هود ٢٧) و قد فات هؤلاء و أولئك أن الأراذل فى الحقيقة هم المخالفون للحق جهلا وعنادا و إن كانوا فى الظاهر من كبار القوم و أن الشرف فى اتباع الحق و خدمة الخلق .

و لا يخلو مجتمع من هذا النوع من الناس فى كل زمان و مكان ويقفون غالبا فى وجه دعوة الحق والدعاة إليه إما بدافع من الكبر أو حب الرياسة على الناس و خوفهم أن تسلبهم هذه الدعوة الاصلاحية مكانتهم و تفقدهم مركزهم القائم فى

المجتمع ، و منهم جماعة أخرى تقاوم دعوة الاصلاح بسبب الجهل و الغباوة و لا يسمح لهؤلاء تقليدهم الأعمى لآبائهم وأجدادهم لاتباع الذين يدعونهم لاصلاح ما أفسده التقليـد و ترك الضلال الذى تفشى فى أوساطهم و ترسخ فى نفوسهم بطول الأمل و خفة العقل و سفاهة النفس .

و النوع الثـانى :

المنافقون والمداهنون الذين يتظاهرون بقبول الدعوة رغبة فى التقرب إلى المسلمين الصالحين الذين يستجيبون لدعوة الاسلام و نظرا للاحتفاظ ببعض المصالح الذاتيـة و فى الوقت نفسه يظهرون الولاء للسادة الذين يضمرون العداء للدعوة الاصلاحيـة و يترددون إليهم خوفا من ضياع قربهم إلى هؤلاء السادة و استصغارا لشأن متبعى دعوة الحق و الاصلاح ، و موقفهم أشبه بموقف المنافقين فى عهد النبى ﷺ الذين قال الله تعـالى فى شأنهم : « و إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنـا و إذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون » .

وأن المنافق الذى يخفى الكفر فى الباطن ويظهر الاسلام فى الظاهر أشد ضررا من الكافر المعاند على المجتمع الاسلامى والدولة الاسلامية لأنه عدو خفى يخدع المسلمين بتظاهره و فتنته ، فهو إذن أسوء من العدو الظاهر خطراً و أما الذين يتبررون ببعض صفات المنافقين بحجة لوازم المجاملة أو من حسن الآداب بدون إيذاء للمسلمين وخداعهم فى الخفاء أو الاشتراك سرا فى المؤامرات التى يحيكها بعض المعارضين وأصحاب الاهواء ضد الدعوة الاصلاحية ، فيعامل بالحكمة وبالحسنى حتى يزول من قلبه الضعف والخوف من المكانة و الجـاه و يقوى فيه الايمان بالله و الاخلاص له ، و لا يرمى بالنفاق والردة جزافا ولايخرج من صفوف المؤمنين بلا روية و لا عجل ، وأن علينا الحكم بالظاهر و يعلم الله ما فى القلوب .

و النوع الثالث : أهل المعصية الذين يرتكبون المعاصي و يخالفون أوامر الشرع مع الاعلان بالايمان بالله و رسوله و كتابه و الاقرار بالشهادتين و لكنهم متهاونون فى أداء حقوق هذا الايمان و هذه الشهادة و لم يصدر منهم إنكار شيء معلوم فى الاسلام بالضرورة أو نطق بكلمة كفر أو خروج على جماعة المسلمين ، وعلى الداعي أن ينظر إلى أهل المعاصي نظرة تمثل لأسباب سقوطهم فى هذه المعاصي و نظرة شفقة لتخليصهم من هذه الهاوية . و أن الداعي الواعي لتحقيق هذه الغاية النبيلة لا يحتقرهم افتخارا بنفسه عليهم بطاعته على معاصيهم ولا يهجوهم علنا ولا يشمت بهم بل يتخذ الوسائل اللازمة بحكمة و يقظة لهدايتهم و إصلاحهم و جعلهم أعضاء صالحين فى المجتمع الاسلامى المثالى الذى يعمل لايجاده ، لأن احتقارهم و تشنيعهم علنا سوف يؤدى إلى تقوية جرثومة المعصية و الاستهانة بالداعي وإلحاق الأذى به .

و ينبغي للداعي أن يتذكر دائما ما جاء فى الحديث الشريف عن المسلم العاصي : « كل ابن آدم خطاء و خير الخطائين التوابون » وأن المسلم غير معصوم من المعصية ، و أن الأنبياء و الرسل هم المعصومون من الخطايا ، و إذا وقع مسلم فى معصية فعليه أن يسارع إلى التوبة و يقلع عن معصيته ويعزم على أن لا يعود إليها أبدا ، ويعصى المسلم إما بسبب ضعف فى إيمانه أو بجهل أو بغفلة بدافع من إغراءات الشيطان أوشهوات الدنيا . و أن الداعي يعمل معهم مثل الطبيب الخبير فيكشف أصل الداء ثم يشعر المريض بالمرض الذى أبتلى به ثم يدفعه لتناول الدواء الذى يصفه له لانقاذ نفسه من التهلكة و يستعيد صحته كاملة . ثم يتعهد بحالة مريضه من حين إلى آخر ، حتى يتأكد من مراعاته لارشاداته و نجاته من زلاته .

النوع الرابع : عامة الناس و هم جماهير الشعب ماعدا الرؤساء و الاعيان الذين هم فى العادة قلة و أما ما عداهم فهم أكثرية الناس فى أى مجتمع بشرى ف

العالم و يكونون غالبا على الفطرة ولم تفسد نفوسهم بحب الرئاسة و شهوة الجاه و السلطة كما يكونون عادة من الطبقات العاملة التي تباشر مختلف أنواع الحرف والمهن و منهم أيضا طبقة الفقراء و المساكين و الكادحين ، و هؤلاء الاصناف من الناس أسرع من غيرهم إلى الاستجابة إلى دعوة الحق واتباع الدعاة إلى الخير .

و يتضح لنا من قصص الأنبياء و الرسل أن الذين آمنوا بهم و صدقوا بنبوتهم هم الجمهور قبل غيرهم . و السبب الطبيعي لهذه الاستجابة السريعة منهم أنهم خالون من موانع القبول السريع الموجودة فى غيرهم من الاعيان و السادة والعصاة والمترفين كحب الرياسه و خوف ضياع المكانة التى توارثوها فى المجتمع ظلما وباطلا ، و التكبر و التعالى عن انقياد الغير والانغماس فى الترف و الأهواء النفسية . و لهذا تستنكف هذه الطبقة عن اتباع دعاة الاصلاح وتستصغر شأن الذين يتبعونهم ويرمونهم بالسفاهة و الاستكانة كما يحبون المكائد لتضليلهم و إغوائهم .

و حكى الله سبحانه وتعالى قول الملأ من ثمود : « قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون » . و يستطيع الملأ الذى بيده الجاه و المال و القوة أن يرهبوا الجمهور و يثبطوا هممهم و عزائمهم بالاغراء بالمال و الجاه وبالتهديد بالايذاء و البطش ، و قال تعالى فى شأن فرعون و ملئه : « فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون و ملئهم أن يفتنهم و إن فرعون لعال فى الأرض و إنه لمن المسرفين » (سورة يونس ٨٣) . و كذلك كان أتباع محمد ﷺ فى مكة من الضعفاء و قد نالهم من مشركى قريش أذى كثير .

و فى السيرة النبوية أن أشراف قريش عرضوا على الرسول ﷺ المال الكثير يعطونه له إذا ترك دعوته كما وعدوه بالملك والسلطة والجاه مما يدل على أن السادة

و الكبراء يغرون الناس بالمال إعطاء أو منعا لصدهم عن الدعوة إلى الحق وقبولها ، و من ناحية أخرى يسلك أصحاب الرئاسة و الأموال و الأغراض الذاتية مع هؤلاء الدعاة و الذين يتبعونهم سبيل إثارة الشبهات و الافتراءات حولهم بدعوى حماية عقيدة الناس و مصالحهم و المحافظة على تقاليدهم و عاداتهم الموروثة و الدفاع عن آبائهم و أجدادهم . فقال تعالى عن مثل هذه المسالك : « و قال فرعون ذرونى أقتل موسى و ليدع ربه إنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد » (سورة المؤمن ٢٦) .

و مثل هذا كان زعماء قريش يقولون عن النبي ﷺ من أنه يريد إفساد عقيدتهم و تسفيه آلهتهم ، و من الشبهات التى وقعوا فيها أن لهم الأموال الكثيرة و الجاه و السلطان و توهموا أن هذا دليل على أحقيتهم و صلاحيتهم لهذه المهمة ، فكيف كان فرعون يعتز بملكه و ثرائه و سلطته و يوهم بها قومه أنه أحق بالحق و الاتباع من موسى الذى ليس عنده شيء مما عند فرعون من أسباب هذه المنزلة ، و قال تعالى : « و نادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر و هذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون . أم أنا خير من هذا الذى هو مهين و لا يكاد يبين » . و أن مثل هذه الأوهام و الشبهات ، على بطلانها و سذاجتها ، فانها تؤثر فى الجمهور لأن الانسان العادى ينخدع بالاسلوب الناعم المزخرف و ينبهر بمتع الحياة الدنيا و مباهجها ، و يزداد اغترارا إذا كان ذلك الاسلوب مصحوبا بالتهديد بالقوة و الايذاء بالحرمان ، فلا ينجو منه إلا الراسخون فى العلم بأن الله تعالى يعطى المال و الجاه لمن يحبه و لمن لا يحبه فلا يكون المال و الجاه دليلا على صلاح الشخص و صواب دعواه ، و مع وجود احتمال تأثر الجمهور باغراءات السادة و الزعماء و أضاليلهم كما حصل من فرعون و ملئه و قادة قريش ،

فان الجمهور فى كل زمان و مكان أسرع من غيرهم إلى الاستجابة لدعوة الحق ، و يجب على الداعى المسلم أن يضع نصب عينه دائما أن أتباع رسل الله كانوا من جمهور الناس . وعليه أن يتخذ منهم قاعدة لنشر الدعوة بين سائر أنواع المدعوين.

دراسة المستوى الثقافى للمدعوين :

يجب أن يكون الداعية الاسلامى ذا ثقافة عالية و اطلاع واسع فيسهل عليه توجيه أنظار الناس إليه و مخاطبة المثقفين من جميع قطاعات المجتمع ، و يستطيع كذلك دعم آرائه و أقواله بحجج واضحة قوية و توجيه أفكاره و دعوته إلى الجمهور بثقة فى نفسه وإرادة قوية فى مهمته . وإذا كان الداعى قليل الثقافة و سطحى الوعى سرعان ما ينكشف الناس عنه و يتراجعون عن دعوته و ينفضون عنه و عن دعوته ، و ينبغى أن يدرك الداعى أن تعميق حركة الدعوة فى قلوب الجمهور يكمن فى تقريبهم إليه و صرف تطلعاتهم نحو هذه الحركة .

و أن الداعى المثقف الواعى يدرس المستوى الثقافى و الفكرى لكل طبقة من المجتمع الذى يعمل فى وسطه و يضع برنامجا متقنا مدروسا يناسب عقول أفراد و جماعات تلك الطبقة و يلبى حاجاتهم الاساسية النابعة من واقع حياتهم ، و يراعى فى ذلك البرنامج الاولوية و الترتيب . و لا بد أن يكون منهجه متنوعا و متكاملا بحيث يشمل مختلف طبقات المجتمع الذى اتخذه ميدانا لعمله الشاق و لكنه مفيد ، لانه يجالس ويحادث الأدباء و العلماء و الساسة و الاقتصاديين و العقلاء و البسطاء ، فيجب أن يكون منفتحا فكريا و حركيا واسع الادراك و لا يكن انغلاقيا و ضيق الأفق .

و يمكن للداعى المسلم أن يستوعب ثقافته العالية الشاملة بالقراءة الواسعة على مستوى عال فيقرأ الأفكار و الآراء المختلفة و لا ينبغى له أن يستكبر أو يستنكف

ن قراءة أفكار المخالفين أو الأعداء بل لا بد أن يمر على جميع الأفكار ، و ان
ثلاقة الداعى تجعله يبدو غريبا فى وسط المجتمع المثقف بثقافة عالية شاملة و إذا
ن الداعى مع أفكاره المحدودة و معلوماته القليلة التى التقطها من بعض صفحات
كتب المقررة فى المدارس و المعاهد و اكتفى بحفظ بعض النصوص المتداولة فى
ن المناسبات ، يعيش مع نفسه فقط و يدور فى حلقة مفرغة . ويمكن للداعى الواعى
ن يستقى ثقافته و معلوماته الواسعة المتنوعة من الذين يجالسهم و يحادثهم فان
كثيرين منهم يحملون أفكارا واسعة و معلومات مفيدة فعليه أن يستقى العلم والخبرة
ن كل شخص يجالسه و يناقشه فينفتح فكره تدريجيا ، والمهم أن يكون الداعى واعيا
اما واسع الأفق و الاطلاع ، قادرا على الكلام فى المجالس و توجيه أنظار الناس
ليه و صاحب الحجة الواضحة .

ضرورة الحركة السريعة :

يجب أن يعلم الدعاة أن الناس لا يأتون إليهم و أن منهج رسل الله جميعا فى
بلاغ الدعوة هو الذهاب إلى الناس ليدق أبوابهم و يوقظهم من سباتهم العميق الذى
ظلوا فيه نائمين و المثل الأعلى فى هذه الوسيلة المنهج المحمدى لخاتم الأنبياء و الرسل
محمد بن عبد الله ﷺ فانه لبث عشر سنين يتتبع الحجاج فى منازلهم فى المواسم
و يغبر قدميه الشريفتين فى التردد على أسواق العرب الموسمية و أماكن تجمعاتهم فى
سبيل إيصال كلمة الحق و ابلاغ دعوة الله .

و كان رسل الله الكرام فى جميع الأزمنة و الأمكنة يبلغون الدعوة إلى الناس
بالحركة المستمرة ، و التشمر الدائم وليس بالجلوس فى البيوت أو فى المساجد أو فى
الزوايا . و انتشرت الدعوة الاسلامية فى أرجاء الدنيا بالتحرك المتواصل حتى رويت
الأرض بقطرات عرق جبينهم و رويت القلوب المتعطشة بدعوتهم المباركة . و كان

الصحابة الكرام رضى الله عنهم المثل الأعلى للداعى المسلم فى سبيل إيصال كلمة الحق وبذل الجهد قدر المستطاع دون توفير وقت أو خوف على متع الدنيا و زخارفها، فيجب على كل داعية مؤمن أن يتحرك بسرعة ويوسع دائرة تحركه شيئا فشيئا ويساهم فى وضع لبنة فى بناء الاسلام ولو بكلمة واحدة حيث يقول الرسول ﷺ: « بلغوا عنى و لو آية ». و أن البطىء مسبوق و الزمن لا يرحم لأنه سريع الحركة.

أثر القدوة الشخصية:

إن السيرة الطيبة للداعى و صفاته العالية و أخلاقه الفاضلة و أفعاله الحميدة تجعله قدوة حسنة و أسوة مثالية لغيره، لأن التأثر بالأفعال و السلوك الشخصى أبلغ وأكثر من التأثر بالكلام فقط. و الدعوة الاسلامية فى حقيقتها تربية. والتربية تحتاج إلى القدوة الشخصية و الذى قام به رسول الله ﷺ لم يكن بمجرد وعظ و إرشاد و إنما كان فى الحقيقة تربية. و أن تبليغ الدعوة بالقول الحكيم والموعظة الحسنة مطلوب كاحدى الوسائل الهامة كما جاء فى كتاب الله المنزل: « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة »، و لكن جاءت فيه إرشادات أخرى عديدة فى مجال التبليغ بالسيرة الحسنة ومنها قوله تعالى: « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة »، « و ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا ».

و كان الرسول ﷺ يدعو الناس و يبلغهم رسالة ربه، و يربيهم بسلوكه الشخصى و بالقدوة، يربيهم كيف يحققون فى العالم الواقع أوامر الله تعالى وكيف تكون العبادة خالصة لله، و سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: « كان خلقه القرآن » وأن الرسول قد تشرب فى قلبه كل معانى القرآن و تخلق بها و تطبع حتى صار القرآن هو خلقه وصار خلقه هو القرآن ثم دعا الناس وهو على هذه الصورة أى صورة حية محسوسة لتعاليم كتاب الله، و كان بها كالكتاب المفتوح الذى يقرأ فيه الناس معانيه فيقبلون عليها و ينجذبون إليها.

إن القدوة الحسنة التى يحققها الداعى بسيرته الطيبة هى فى الحقيقة دعوة عملية للاسلام يستدل بها المدعوون على أحقية الاسلام لا سيما إذا كان سليم الفطرة وسليم العقل و أن الاسلام قد انتشر فى كثير من بلاد الدنيا بالسيرة الطيبة للدعاة المسلمين، و فى مقدمة أصول السيرة الحسنة حسن الخلق وموافقة العمل للقول . ومن الأخلاق الحسنة التى يجب أن يتحلى بها الداعى الصبر و الحلم و العفو ، و قد أمر الله سبحانه و تعالى رسله الكرام الذين هم أئمة الدعاة بهذين الخلقين مقرونا بتبليغ الدعوة و قال تعالى : « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » ، وقال أيضاً : « خذ العفو وأمر بالمعروف و انه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور » وهذا يدل على أهمية الصبر ولزومه للداعى . و أن الداعى بسماحته و عفوه و صبره على أذى الجاهلين و المعارضين و إعراضه عنهم ، يفتح قلوبهم للتفكر فى أحقية دعوته و جديتها ، وتحمليهم هذه الصفات العالية على التوجه إلى ما يدعو إليه و قبوله ولو بعد حين .

وليتق الداعى ربه فى هذا الأمر الخطير ، فلا يكون منفرا عن الاسلام بسيرته و هو يريد الدعوة إليه بقوله . أن موافقة عمل الداعى بقوله لهى المعيار الذى يزن به المدعوون من عامة الناس مدى جدية دعوته ومقدار إخلاصه فيها ، فليحذر الداعى من مخالفة أفعاله لأقواله ، فان النفس مجبولة على عدم الانتفاع بكلام من لا يعمل بعلمه و لا يوافق فعله قوله . و لهذا حذرنا الله تعالى من مخالفة أفعالنا لأقوالنا فقال : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » .

من أساليب الحكم و السياسة
إلى أساليب الدعوة و الهداية

الأستاذ السيد محمد الحسنى (رحمه الله)

الدولة (State) فى الاسلام وسيلة لاحياء القيم الاسلامية ، و العبادات الاسلامية ، و الشعائر الدينية، و السنن النبوية ، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، و ليست غاية بذاتها ، تدل ذلك الآية التالية دلالة واضحة .

(الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة و آتووا الزكاة ، و أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور) (١) و قد دخل فى حيز الآية و إطارها الواسع النظام التعبدى ، والنظام الاقتصادى ، والنظام القضائى ، والتشريع الجنائى ، و كل ما تستحسنه الفطرة السليمة ، من أدب، وجمال ، وذوق ، ونظافة، و طهارة ، و زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، فالأصل فى الاسلام الاباحة إلا ما حرمه الشارع .

إن قيام الدولة الاسلامية مطلوب و منشود و لازم للحياة الاسلامية والمجتمع الاسلامى من جهة واحدة خطيرة ، وهى أن النظام المالى والنظام التشريعى ، لا ينفذ برمته وبحذافيره ـ بطبيعة الحال ـ إلا فى ظل دولة تحكم بالشرع الاسلامى، (و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) (٢) .

و لكنها ليست الدورة الأخيرة أو نهاية المطاف فى مسيرة المجتمع الاسلامى أو فى مسيرة الدعوة الاسلامية ، إنها بالعكس من ذلك بداية طيبة ، و شكل مأمون مضمون بعض الأحيان ، لاحياء الدعوة الاسلامية بمعناها الواسع العميق ، و إقامة مجتمع الصلاة و الزكاة ، و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر .

---

(١) سورة الحج الآية ٤١ . (٢) المائدة الآية ٤٨ .

(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض)(١) .

و يضغط القرآن أخيراً على نقطة هامة . . فيردف الآية بجملة (ولله عاقبة لامور) لكيلا ننسى هدفنا الأخير و غايتنا الأسمى ، فى أى حال من الأحوال ، أن لا تلهينا الصور و الأشكال عن الحقيقة واللب ، والثمرة و المحصول ، فالعبرة الخواتم ، و بالنيات الحسنة ، و بقبول الله سبحانه و رضاه .

(تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض و لا فساداً العاقبة للمتقين) (٢) .

و هذا مقام لا يتنال منه هزيمة ، أو لا ينقص من شأنه انكسار و اندحار ، إخفاق الجهود .

و ذلك فى ذات الاله و إن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

و لم يكن الجهاد و قيام حكم الاسلام بالتالى فى عهد رسول الله ﷺ وصحابته رضى الله عنهم ، إلا لتمهيد الطريق للدعوة الاسلاميـــة أو للدين الحق ، و لم تكن لدعوة متجهة إلى انشاء دولة كشرط أساسى للايمان أو كمرحلة نهائية أخيرة ، أونقطة لنضج و الاكتمال لمد الدعوة و رصيد الدعوة فى كل حال من الأحوال .

فيكون الترتيب الاسلامى الأصيل على النحو الآتى :

الجهاد لاعلاء كلمة الله للجهاد ، و الزحف إلى الامام . و التمكين فى الأرض لاقامة مجتمع الصلاة و الزكاة ، و إجراء شريعـــة الله فى عبـاده و بلاده ، أو فى تعبير آخر ، لتحقيق مطالب الدعوة الاسلامية و ليست الدعوة الاسلامية و الصلاة و الزكاة و سائر الأحكام للتمكين فى الأرض .

إن حكم الاسلام ضرورى من ناحيتين ... سواء من جهة الوسيلة و الأداة

(١) الاعراف الآية ٩٦ .

(٢) القصص الآية ٨٣ .

أو كجائزة من الله سبحانه بناء على كرمه و نتيجة على جهد المؤمن و جهاده وحسن بلائه فى الاسلام ـ كما قلنا ـ تدل عليه الآيتان التاليتان :

(وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض) (ولو أنهم آمنوا واتقوا لفتحنـــا عليهم بركات من السماء و الأرض) (١) و نحو ذلك من الآيات ، أو كرحلة نهائية ، و غاية منشودة ، كما يقول البعض ، و لكن المهم هنا هو الترتيب و المحافظة على التوازن الدقيق المطلوب بين الدولة الاسلامية وبين الدعوة الاسلامية ، وبين الغاية و الوسيلة ، وبين الأسلوب و الغرض والجوهر والروح

فاما أن نقول : إن الصلاة مثلا خير وسيلة إلى إقامة دولة إسلامية ، وإما أن نقول : إن الدولة الاسلامية خير وسيلة إلى إقامة الصلاة . أو فى تعبير آخر : إقامة مجتمع الصلاة و نحوه .

انظر ماهو الفارق الدقيق بين الاتجاهين وبين المنهجين ؟

فى الاتجاه الأول يركز الانسان سائر قواه و مواهبه على انشاء دولة مع الاعتراف بضرورة الصلاة كوسيلة من وسائل الدعوة الاسلامية ، ولكنه لايتحمس لها ولغيرها من العبادات و السنن و مختلف جوانب الخلق الاسلامى النبيل الذى عبر عنه رسول الله ﷺ فقال : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » (٢) ولم يقل إنما بعثت لأنشىء إمارة الاسلام أوخلافة الاسلام ، وقال : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » ولا ذنب على أصحاب هذا الاتجاه ، فالانسان مفطور على حب هدفه الأخير ، ومقره النهائى ، فاذا جعل الدولة نصب عينيه سعى لها سعيها ، و بذل لها كل ما فى وسعه ، بل تهاون فى بعض أركان الدين ، بعض الأحيان ، و استخدم ما لا يقبله الاسلام من وسائل « ملونة » حرصاً على تحقيق هــدفه الكبير ، و هو يتذرع بحجة أنه

---

(١) سورة الاعراف الآية ٩٦ .

(٢) جاء فى البخارى فى كتاب الايمان .

سيصلح ما فسد ، و يرم ما انثلم ، و يعوض عما فاته فی هذا الوقت عندما تسلم إليه مقاليد الحكم ، و يكون بيده الأمر و النهی ، و الحول و الطول ، وهيهات ، فهو ـ أعنی صاحب هذا الاتجاه ـ إما أن يخسر الجولة ويظل فی متاهة الحيرة واليأس ، و إما أن يصل بعد طول انتظار ، وعناء شاق و صعود و هبوط ، إلى جزء من جوانب الحكم ، أو نوع من المشاركة فيــه ، و قد فقد كثيراً من رأس ماله الذی جاء عنه « كذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب » .

و قد يتدرج الأمر فی النهاية إلى قوم يستغلون الدين للفوز بالحكم ، فتنطلق الحناجر بهتاف « الله أكبر » و الجهاد فی سبيل الله ، و تضحيات تقوم بها شعوب مؤمنة بريئة ، كما حدث فی باكستان ، و تركيا ، والجزائر ، وفی مصر عن إعلان الثورة وظهور أبطال الثورة بمظهر الموالين للدين ، و الموالين للاخوان المسلمين الذين كانوا - و ما زالوا - رمز الدين . . و لكنها طبقة لا نريدها ، و لا نوجه إليهـا هذا الخطاب ، إنما المراد أصحاب هذا الاتجاه الذين التبس عليهم الأمر ، ولم يحافظوا على التوازن الصحيح بين الأمرين .

أما الاتجاه الثانی ، فهو أن الدولة الاسلامية مطلوبة ، و مرغوب فيها ، لأنها خير وسيلة إلى مجتمع الصلاة و الزكاة ، و الطهر و العفاف ، و الصدق مع الله ، والاخلاص لدين الله ، وتنفيذ شريعة الله ، ولولا هذه الناحية ما كان لها عند الله وزن .

أصحاب الاتجاه الثانی ينسحبون عن بلاد مفتوحـــة ، بعد أن أراقوا دماءهم ، و قدموا فی المعركة خيرة شبابهم و أبطالهم ، بمجرد أنهم لم يراعوا عند الغزو آداب الشرع الاسلامی ، وفاتهم التوجيه النبوی . . أما أصحاب الاتجاه الأول فهم يتذرعون بألف حجة ودليل ، وتعليل وتأويل ، من أجل « الحفاظ » على الدولة الاسلامية ، و لو كان « على حساب » روح الدعوة الاسلامية ، وأسس الدولة الاسلامية .

(و لا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا ، تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة) (١) .

لقد فتح الامام السيد أحمد بن عرفان (م١٢٤٦هـ) «بشاور» بعد أن قطع المسافات الهائلة ، وطوى الصحارى القاحلة ، و المسالك الوعرة ، و المضايق الجبلية الخطرة ، و تحمل صعوبات لا تتصور ، و دخل هذا البلد غازياً بعد أن دفع ضريبة الحياة الفادحة ، ثم تركها و لم ير مبرراً فى أن يبقى جاثماً على هذا البلد ، و قد أطاعه أهله ، و بايعوا على يده ، وتابوا إلى الله و وعدوا بتنفيذ شريعة الله ، و التحكيم بما أنزل الله . . ثم ظهرت منهم خيانة ، و كان ما كان (٢) .

و ما سقت هذه الحكاية إلا لأضع أمامكم هذا الفارق الدقيق ، بين اتجاهين ، و هى نتيجة طبيعية لذلك الطراز من التربية والذوق و الثقافة ، و الميول الأشواق ، و الحوافز و الدوافع ، و الشجرة لا تلام على ثمرتها .

هذا الفارق الذى قد لا يبدو هاماً و دقيقاً و فاصلا بين خطين ، فى أنظار بعض المثقفين ، يأتى بتحويلات جذرية عميقة ، و تغييرات نفسية عقلية تكيف الحياة الفردية و الاجتماعية و السياسية ، و الشئون الحربية ، و العلاقات الدولية ، تكييفا كاملا ، ويخلق مجموعة بشرية صالحة تختلف عن المجموعات الانسانية الأخرى ، والمجتمعات الدولية المعاصرة ، بل عن شقيقاتها و أخواتها ، كل الاختلاف و ما ذلك إلا لذلك التغير فى ترتيب الأمور ، و وضعها فى محلها ، و معرفة حجمها الصحيح ، و المحافظة على توازنها الدقيق .

الحكم الاسلامى هو حاجة الوقت ، و نداء الساعة ، وفراغ يجب أن يملأ فى أول فرصة ، وقد كان غيابه مصدر قلاقل واضطرابات وثورات ، وهزائم ونكبات ،

(١) سورة النساء الآية ٩٤ .
(٢) انظر القصة بطولها فى كتاب «إذا هبت ريح الايمان» لسماحة الشيخ الندوى .

وقد كان غيابه سبب ضياع شطر كبير من أحكام الاسلام ، وذهاب شوكة الاسلام و سلطانه عن القلوب و تأثيره فى النفوس .

ولكن يجب أن لاننسى أن حكم الاسلام ليس إلا شعلة وهاجة من ومضات الايمان والسكينة ، والصبر و الاستقامة ، والجهاد والتضحية ، و الاخلاص والحب ، و الخشية و الانابة ، والدعاء و التضرع ، فى المجتمع الربانى المؤمن .

إنه سياج منيع وسور واسع كبير للمحافظة على الحياة الاسلامية بكل ما فيها من عبادات ، و طاعات ، و قربات عند الله ، مهما كان لونها ونوعها ، فاذا ذهبت هذه العبادات و الطاعات ، أو بعبارة أصح و أوجز : ذهب التقرب إلى الله واتباع سنة رسول الله ، والجهاد الخالص لاعلاء كلمة الله ، أو انزوى وانكمش وعاش على الهامش ، أو بقى فى رفوف المكتبات وعلى ألسنة الخطباء ، وأقلام الفلاسفة والأدباء ، وعلى منبر الجوامع ، أو صالة المؤتمرات فحسب ، وصار حكم الاسلام مجرد الفلسفة الاسلامية ، أو النظرية الاسلامية السياسية والاقتصادية ، وصرنا نقيس الأمور بحجمها و روائها وبهائها ، وعددها وعدتها ، لا بعاقبتها ، ولا بمقياس الاصلاح لله ، و الوفاء بأصالة الدين ، أصالة المنهج والطريق ، والغاية والوسيلة ، والثبات على جادة الحق والتمسك بسنن الاسلام ، وشعائره و خصائصه ، و ذهب اللب أو ضعف ، و بقى القشر أو تضخم ، وضعفت تلك الدوافع و المقومات و ذبلت ولقى السياج المنيع ، و السور الكبير ، و صار العيش بلا قوائم ، و الحكم بلا طاعة ، أو وازع من الضمير ، و دافع من الايمان ، وامتثال أمر الله ايماناً و احتسابا ، ذهبت كل هذه المجهودات الجبارة و التضحيات الجسام ، و حسن بلاء فى الدعوة و الجهاد ، هباء منثوراً ، أو لم تؤت على أقل تقدير ثمرتها الشهية المرجوة ، وخابت آمال كثيرة ، وصار ذلك حجة للذين ينكرون فضل الشرع الاسلامى وصلاحيته على الذين يدعون إليه ، ويتفانون فى سبيله ، ويضحون له بكل رخيص وغال .

ولعل ذلك هو المراد من قول المشرف العام للاخوان حين قال :

« أقيموا دولة القرآن فى صدوركم تقم على أرضكم » .

وليس المراد منه أبداً ـ كحقيقة بديهية ـ أن نترك الجهاد لاعلاء كلمة الله ، وإنما المراد أن لايبقى مجرد الجهاد و الاستعداد ، و تذهب كلمة الله ، وهى كلمة الحق و الاخلاص و الرضا ، ويعود حكم الاسلام ، ويتضاءل روح الاسلام و الايمان ، ويتحمس الدعاة إلى الله للأساليب السياسية ، ولشئون التصميم و البناء وتغيير مناهج الحكم ، أكثر مما يتحمسون لصور الايمان و الاحتساب والعبادة والذكر ، والصبر ، الشكر و الزهد و القناعة ، والدعاء والانابة ، وباقامة الحياة الاسلامية الصحيحة الجميلة فى عائلتنا ، و فى أبنائنا وبناتنا ، و فى نفوسنا .

وإذا قيل لهم أن يعنوا بالفرد الصالح ، و بالأسرة الصالحة ، قالوا : أو ليس كل هذه الأسباب و الوسائل فى سبيل الاسلام ، وإذا قيل لهم أن يعنوا بالوحدة ، فمن غير وحدة صالحة لايصلح البناء ، قالوا : نحن نهتم بالمجموعة ، والمجموعة الأولى ، و إذا قيل لهم إن اللبنة الفاسدة لاتصلح للبنـــاء ، و لو تكدست بعضها على بعض ، و صارت كالأهرام ، قالوا : إنها عاطلة ، وقعود ، و دعوة إلى التزمت ، و فرار من المسئوليات . أما نحن فندعو ـ و نحمد الله على هذا التوفيق ـ إلى الجمع بين منهجين والمواصلة بين محاولتين ، مع المحافظة على التوازن المطلوب بين جهات مختلفة ومع التمسك الشديد بشعائر الاسلام و آدابه و التمسك بهدى النبى ﷺ و منهجه و طريقه ، من غير تأخير عملية لعملية ، وتأجيل إنشاء دولة لبناء فرد ، أو تأجيل بناء فرد لانشاء دولة ، ومن غير تأجيل إعداد مناخ طيب لتطبيق الشريعة ، أو تأجيل تطبيق الشريعة فى انتظار مناخ صالح ، فانهما يسيران جنباً إلى جنب ، يشد بعضه بعضاً ، و يأتى بعضه على إثر بعض ، و قديماً قيل .

« الدين أصل و السلطان حارس به ، وما لا أصل له فهو معدوم ، وما لا حارس له فهو ضائع » .

ابن القيم : عالماً و إماماً

السلام و البركات بين المبنى و المعنى

{ ٤ }

دكتور : توفيق محمد شاهين

العلامة ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ ثر الجوانب العلمية ، و معارفه وفيرة ، كما لمس الدارسون و الباحثون فى كتبه المتعددة و المتنوعة .

وحول بحثه القيم لشرح جملة (الاسلام عليكم ورحمة الله و بركاته) يدور هذا المقال ، فنحن نردد تحية الاسلام والمسلمين فيما بيننا كثيراً ، ولكننا قليلا ما نفكر فى معانيها ، وحبذا لو ألممنا ببعض ما ذكره ابن القيم الفقيه حول معانيها ، واشتقاق الفاظها ، وتصويب أو تخطئة أو استدراك على ما ذكره الأقدمون مبنى ومعنى .

و قد أوضح أن هذه الجملة تتطلب الاجابة على ثمانية وعشرين سؤالا ، ذكرها مع أجوبتها فى كتابه القيم : « بدائع الفوائد » فى قرابة السبعين صفحة من الحجم الكبير ، فى الجزء الثانى من كتابه المذكور ، والحافل ببدائع الفوائد الفريدة والممتعة .
و أشار إلى أنه أوجز القول فى هذا الكتاب عن هذه المسألة (السلام عليكم ورحمة الله) كما سماها مسألة ، و أحال أحياناً على كتابه (الفتح المكى) لمن ود مزيداً من البحث و الفائدة .

و فى ختام بحثه يقول : (وليكن هذا آخر الكلام فى مسألة « سلام عليكم » فلولا قصد الاختصار لجاءت مجلداً ضخماً ، هذا ، و لم نتعرض فيها إلى المسائل المسطورة فى الكتب من فروع السلام ومسائله ، فانها معلومة منها فمن أرادها فليأخذها من هناك و الحمد لله رب العالمين) (١) .

---

(١) بدائع الفوائد ٢ / ١٩٧ .

ولن نسوق كل ما ذكره ابن القيم فى هذا الصدد ، و إنما هى مقتطفات يهمنا فيها جانب أصول اللغة بخاصة ، والجانب اللغوى بعامة . مع الالماع إلى المعنى ، و بهذا نرضى الجميع ، كما أمتعهم صاحب المقال رحمه الله تعالى .

و سنحاول إبراز التطبيق فى الخطوط العريضة حول أصول اللغة ، مثل : الاشتقاق ، و الحقيقة و المجاز ، و دوران المعانى حول اللفظ و اشتقاقاته :

فقد أوضح علماء الأصول اللغوية الوان الاشتقاق و ضروبه و ذكروا التطبيق فى نطاق ضيق بما يوضح القاعدة فقط .

و لكن العلامة ابن القيم وسع قاعدة التطبيق ، بعد أن ألمح إلى النظرية ، و وسع قاعدة التطبيق المستقاة من القرآن الكريم و نماذج السنة النبوية و كان ما ذكره بمثابة التطبيق التعليمى و الفقهى بجانب العملى ، مع إيراد الشواهد و الأدلة من الفصيح والمأثور كضوء كاشف، ودليل واضح على ما يذكر حول المبنى والمعنى ، فينزل إلى ميدانها من كل جوانبها ، مشققاً المعنى، و.بينا تنوع المعنى لاختلاف المأخذ فى المبنى والاسناد ، فيرضى العلماء والفقهاء،وعلماء التوحيد والمتصوفة من الباحثين عن أشواق الروح فى أضواء العقل الواعى . . و أقنع علماء اللغة و النحاة ، ودار مع المناطقة فى إيجاد الصلة و العلاقة . . وجعل جل أبحاثه من تقوى القلوب دينيا ، لخدم العربية ، ودعا إلى الاسلام بحسن العرض و المنطق الموضوعى ، و جادل بالتى هى أحسن ...

ولسنا نسوق ما كتبه فى هذا المجال من وجهة نظر لغوية متخصصة ، أو فى فرع معين من فروع أبحاثها ، أو فى مجال معين لا يريم عنه .

فهو علامة له فهمه الألمعى ، و ذكاؤه الثاقب ، و قدرته على الهضم لما يرى وما يسمع ، وبلاغة فيما يكتب ويسطر .

وسنعنى إذن بالجانب اللغوى و أصول اللغة فيما كتب فى هذا المقال ، مع تعليق يوضح المقام ، و لا يحرم القارىء متعة فصاحته و أسلوبه القيم ، مع تخريج الأحاديث ، و ترقيم للآيات وذكر مراجعها ، تتميماً للفائدة .

وسنلمح أصالة فى كل مايقول ويذكر ، فلم يكن حاكيا ولا ناقلا فقط ، وحسبه انه ألم بأطراف الموضوع ، وصحح مفاهيم شاعت وكانت الحقيقة بخلافها ، أو كانت وهما عند بعض علمائنا القدامى ، أو كانت جزء المعنى لاختلاف المبنى ، وحسبه ذلك وجزاه الله الخير عن العلم و أهله .

وحسبه بالتالى أنه ذكر عناوين مواضيع ـ فيما نحن بصدده ـ لكنه شقق القول فيها ، ومس أطراف فروعها بما يوضح المقام و المقال :

وليس بصحيح ما يقال : من أن اشتغال علماء الأصول ـ أصول الفقه ـ باللغة إنما هو من الفضول .

و لما كان ذلك ضروريا لبيان المعنى و تحديد التعاريف ، فهو فى نظرى من الأصول لا من الفضول .

ولهذا كان اشتغال علامتنا ابن القيم بهذا الجانب إنما هو من الأصول .

السلام و السلامة بين الحقيقة و المعنى :

عن حقيقة لفظة (السلام) و المعنى التى تدور حوله تصاريفها ، وتسمية اللديغ (سليما) وورد معنى (السلم) إلى السلام ، و إطلاق (دار السلام) على الجنة ، وسر الاضافة فى ذلك ... الخ هذه المباحث اللطيفة و البديعة ، يقول - رحمه الله تعالى ـ فيما قاله عن لفظة (السلام) أما السؤال الأول : و هو ما حقيقة هذه اللفظة (السلام) لحقيقتها : البراءة ، و الخلاص ، و النجاة من الشر والعيوب . . و على هذا المعنى تدور تصاريفها .

فمن ذلك قولك : سلمك الله ، وسلم فلان من الشر .

ومنه : سلم الشيء لفلان أى خلص له وحده ، فخلص من ضرر الشركة فيه ، قال الله تعالى : «ضرب الله مثلا فيه شركاء متشاكسون، ورجلا سلماً لرجل» (١) ، أى خالصاً له وحده لا يملكه معه غيره .

ومنه (السلم) ضد الحرب ، قال تعالى : « و إن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » (٢) لأن كلا من المتحاربين يخلص ويسلم من أذى الآخر . ولهذا يبنى منه على المفاعلة فيقال : المسالمة مثل المشاركة .

ومنه : القلب السليم ، وهو النقى من الغل و الدغل ، وحقيقته : الذى قد سلم لله وحده ، فخلص من دغل الشرك وغله ، ودغل الذنوب و المخالفات ، بل هو المستقيم على صدق حبه وحسن معاملته ؟ فهذا هو الذى ضمن له النجاة من عذابه و الفوز بكرامته ، ومنه أخذ (الاسلام) فانه من هذه المادة ؟ لأنه الاستسلام و الانقياد لله سبحانه ، و التخلص من شوائب الشرك ، فسلم لربه ، وخلص له ، كالعبد الذى سلم لمولاه ، ليس فيه شركاء متشاكسون ، و لهذا ضرب سبحانه هذين المثلين ـ فى قوله تعالى : « ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ، و رجلا سلماً لرجل » ـ للسلم الخالص المخلص لربه ، و المشرك به .

ومنه (السلم) للسلف، وحقيقته : العوض المسلم فيه ، لأن من هو فى ذمته قد ضمن سلامته لربه ـ أى لصاحبه ـ ثم سمى العقد سلما ، وحقيقته ما ذكرنا .

فان قيل : فهذا ينتقض بقولهم للديغ سليما (على رأى من قال : إن لفظ السليم من الأضداد) .

قيل : ليس هذا بنقض له ، بل طرد لما قلناه ، فانهم سموه - الدبغ ـ سليما

---

(١) الزمر ٢٩ .

(٢) الأنفال ٦١ .

باعتبار ما يهمه ويطلبه ويرجو أن يؤول إليه حاله من السلامة، فليس عنده أهم من السلامة، ولا هو أشد طلبا منه لغيرها، فسمى سليما لذلك.

و هذا من جنس تسميتهم المهلكة مفازة، لأنه لا شيء أهم عند سالكها من فوزه منها أى نجاته. فسميت مفازة لأنه يطلب الفوز منها.

وهذا أحسن من قولهم: إنما سميت مفازة وسمى اللديغ سليماً تفاؤلا، و إن كان التفاؤل جزء هذا المعنى الذى ذكرناه، و داخل فيه، فهو أعم وأحسن (١).

و العلامة ابن القيم مجيد فيما قال لا شك فى ذلك، و أجاب عن الاعتراض بما يشفى و يفيد، ومصحح ومزك للأقوم ومصيب فيما نظر، ومنصف فيما برر، وأصيل فيما خصص وعمم أو استدرك.

ولكن فاته تتبع لفظ (فوز) ومفازة، لأن بعض اللغويين جعله أصيلا فى معنى الهلاك، فكانت المفازة من المهلكة على الحقيقة لا على المجاز. و لهذا تلقفه بعض علماء أصول اللغة ليقول إن اللفظ من الأضداد.

• • •

ثم يستطرد الفقيه اللغوى ابن القيم يسطر خواطره حول لفظ «السلام»، مورداً للاعتراضات، ليجيب عليها، فيقول:

فان قيل: فكيف يمكنكم رد السلم إلى هذا الأصل؟

قيل: ذلك ظاهر، لأن الصاعد إلى مكان مرتفع لما كان متعرضا للهوى و السقوط، طالباً للسلامة راجياً لها. سميت الآلة التى يتوصل بها إلى غرضه سلماً لتضمنها سلامته، إذ لو صعد بتكلف من غير سلم لكان عطبه متوقعاً، فصح أن السلم من هذا المعنى.

• • •

ومنه تسمية الجنة بدار السلام، و فى إضافتها إلى السلام ثلاثة أقوال:

(١) بدائع الفوائد ٢ / ١٣٣، ١٣٤.

أحدها : أنها إضافة إلى مالكها (السلام) سبحانه .

الثانى : أنها إضافة إلى تحية أهلها . فان تحيتهم فيها سلام .

الثالث : أنها إضافة إلى معنى ، السلامة أى دار السلامة من كل آفة ونقص وشر .

و الثلاثة متلازمة ، و إن كان الثالث أظهرها .

فانه لو كانت الاضافة إلى مالكها لأضيفت إلى إسم من أسمائه غير السلام ، و كان يقال : دار الرحمن ، أو دار الله ، أو دار الملك ونحو ذلك ، فاذا عهدت إضافتها إليه ثم جاء دار السلام حملت على المعهود .

و أيضاً : فان المعهود فى القرآن إضافتها إلى صفتها أو إلى أهلها .

أما الأول فنحو دار القرار ، دار الخلد ، جنة المأوى ، جنات النعيم ، جنات الفردوس .

و أما الثانى فنحو دار المتقين ، ولم تعهد إضافتها إلى إسم من أسماء الله فى القرآن ، فالأولى حمل الاضافة على المعهود فى القرآن .

و كذلك إضافتها إلى التحية ضعيف من وجهين :

أحدهما : أن التحية بالسلام مشتركة بين دار الدنيا و الآخرة ، و ما يضاف إلى الجنة لا يكون إلا مختصاً بها ، كالخلد ، و القرار ، و البقاء .

الثانى : أن من أوصافها غير التحية ما هو أكمل منها ، مثل : كونها دائمة ، وباقية ، و دار الخلد ، و التحية فيها عارضة عند التلاقى و التزاور .

بخلاف السلامة من كل عيب ونقص وشر ، فانها من أكمل أوصافها المقصودة على الدوام ، التى لا يتم النعيم فيها إلا به ، فاضافتها إليه أولى و هذا ظاهر (١) .

فالثلاثة أراء فى إضافة (دار السلام) متلازمة عنده ، لكنه يرجع ثالثها ، و هذا معناه أن شخصيته بارزة وملموسة فى كتابته وفكره .

---

(١) بدائع الفوائد ٢ / ١٣٤ .

و تعليله فی الاختيار معقول ومنطقى ، ومقنع دينياً ، لسلامة وقناعة المقدمات و كأنها مسلمات .

والحمل على التعبير القرآنی دائماً أبلغ وأولى بالاتباع ، وما سلم و اختص خير مما احتمل المعنى وغيره ، ولا ترجيح إلا بمرجحات راجحة لا مرجوحة ، و الاختيار إنما يبنى على الأقوى و الأرجح و الأظهر .

• • •

و للجانب الدينى أو العقائدى . . المقام الأول عند الامام ابن القيم ، فهو لا يدع المناسبة تمر دون اهتبالها و اتحاف القراء بها ، ابتغاء وجه الله تعالى ، وبثا للعلم و المعرفة ، وتتميما للفائدة .

فتسمية المولى سبحانه نفسه (السلام) أولى من كل ما ذكر وأحق ، وسنجد فی المبحث ما يحقق ما ذكره من دوران المعانى السابقة حول لفظة السلام ، يقول :

(و إذا عرفت هذا فاطلاق (السلام) على الله تعالى إسما من أسمائه ، هو أولى من هذا كله ، و أحق بهذا الاسم من كل مسمى به .

لسلامته سبحانه من كل عيب ونقص .

فهو سبحانه سلام فی ذاته عن كل عيب ونقص يتخيله الوهم .

وسلام فی صفاته من كل عيب ونقص .

وسلام فی أفعاله من كل عيب ، ونقص ، وشر ، وظلم ، وفعل واقع على غير وجه الحكمة .

بل هو السلام الحق من كل وجه وبكل اعتبار .

فعلم أن استحقاقه تعالى لهذا الاسم أكمل من استحقاق كل ما يطلق عليه ، و هذا هو حقيقة التنزيه الذی نزه به نفسه تعالى ، ونزهه به رسوله ﷺ :

فهو السلام من الصاحبة و الولد .

و السلام من النظير والكفء والسمى و المماثل .
و السلام من الشريك .

و لذلك إذا نظرت إلى أفراد صفات كماله وجدت كل صفة سلاماً مما يضاد كمالها .

فحياته سلام من الموت ، و من السنة و النوم .
و كذلك قيوميته وقدرته سلام من التعب و اللغوب .
وعلمه سلام من عزوب شيء عنه أو عروض نسيان ، أو حاجة إلى تذكر وتفكر .
و إرادته سلام من خروجها عن الحكمة و المصلحة .
و كلماته سلام من الكذب و الظلم ، بل تمت كلمة ربك صدقاً وعدلا .
و غناه سلام من الحاجة إلى غيره بوجه ما ، بل كل ما سواه محتاج إليه و هو غنى عن كل ما سواه .
و ملكه سلام من منازع فيه ، أو مشارك أو معاون مظاهر ، أو شافع عنده بدون إذنه .

و إلاهيته سلام من مشارك له فيها ، بل هو الله الذى لا إله إلا هو .
و حلمه ، و عفوه ، و صفحه ، و مغفرته ، و تجاوزه ، سلام من أن تكون عن حاجة منه ، أو ذل ، أو مصانعــة ، كما يكون من غيره ، بل هو محض جوده و إحسانه و كرمه .

و كذلك عذابه ، و انتقامه ، و شدة بطشه ، و سرعة عقابه . . سلام من أن يكون ظلما ، أو تشفيا ، أو غلظة ، أو قسوة ، بل هو محض حكمته ، وعدله ، و وضعه الأشياء مواضعها ، و هو مما يستحق عليه الحمد و الثناء ، كما يستحقه سبحانه على إحسانه ، و ثوابه ، و نعمه .

بل لو وضع الثواب موضع العقوبة لكان مناقضا لحكمته و لعزته ، فوضعه العقوبة موضعها هو من عدله (فى بعض النسخ من حمده) و حكمته و عزته ، فهو سلام عما يتوهم أعداؤه و الجاهلون به من خلاف حكمته .

و قضاؤه و قدره سلام من العبث و الجور و الظلم ، و من توهم و قوعه على خلاف الحكمة البالغة .

و شرعه و دينه سلام من التناقض والاختلاف و الاضطراب و خلاف مصلحة العباد و رحمتهم و الاحسان إليهم و خلاف حكمته .

بل شرعه كله حكمة و رحمة و مصلحة و عدل .

و كذلك عطاؤه سلام من كونه معاوضة أو لحاجة إلى المعطى (بفتح الطاء) .
و منعه سلام من البخل و خوف الاملاق (الفقر) بل عطاؤه إحسان محض لالمعاوضة ولا لحاجة ، ومنعه عدل محض ، وحكمة لا يشوبه بخل ولاعجز .

و استواؤه و علوه على عرشه سلام من أن يكون محتاجا إلى ما يحمله ، أو يستوى عليه ، بل العرش محتاج إليه ، و حملته محتاجون إليه ، فهو الغنى عن العرش و عن حملته ، و عن كل ما سواه ، فهو استواء وعلو لا يشوبه حصر و لا حاجة إلى عرش و لا غيره ، و لا إحاطة شيء به سبحانه و تعالى . بل كان سبحانه و لا عرش ، و لم يكن به حاجة إليه ، و هو الغنى الحميد .

بل استواؤه على عرشه ، و استيلاؤه على خلقه من موجبات ملكه و قهره ، من غير حاجة إلى عرش و لا غيره بوجه ما .

و نزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا سلام مما يضاد علوه ، وسلام مما يضاد غناه .
و كماله سبحانه سلام من كل ما يتوهم (أنه) معطل ، أو مشبه ، و سلام

من أن يصير تحت شيء، أو محصورا فى شيء، تعالى الله ربنا عن كل مايضاد كماله.

وغناه، وسمعه، و بصره، سلام من كل ما يتخيله مشبه أو يتقوله معطل.

و موالاته لأوليائه سلام من أن تكون عن ذل، كما يوالى المخلوق، بل هى موالاته رحمة و خير و إحسان وبر، كما قال سبحانه:

« و قل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا، و لم يكن له شريك فى الملك، و لم يكن له ولى من الذل » (١).

فلم ينف أن يكون له ولى مطلقا، بل نفى أن يكون له ولى من الذل.

وكذلك محبته لمحبيه وأوليائه سلام من عوارض محبة المخلوق للمخلوق، من كونها محبة حاجة إليه، أو تملق له، أو انتفاع بقربة، و سلام مما يتقوله المعطلون فيها.

و كذلك ما أضافه تعالى إلى نفسه من اليد و الوجه، فانه سلام مما يتخيله مشبه، أو يتقوله معطل.

فتأمل كيف تضمن اسمه السلام كل ما نزه عنه تبارك و تعالى.

و كم ممن حفظ هذا الاسم لا يدرى ما تضمنه من هذه الاسرار و المعانى، و الله المستعان المسئول أن يوفق للتعليق على الأسمـــاء الحسنى على هذا النمط، إنه قريب مجيب) (٢).

فاهتمام علماء اللغة العربية بعامة، و أصول اللغة بخاصة، بعلم تشقيق الألفاظ و اشتقاقاتها و معرفة أصولها، و دوران المعانى حول اللفظ، و الاستدلال على ذلك بفصيح الشاهد و صحيح الدليل . . . مما يحدد المعنى الأصيل و الطارىء، ويعين - بالتالى على التاريخ للألفاظ، و إلقـــاء ضوء على كل ما من شأنه أن يظن أنه

---

(١) الاسراء / ١١١.

(٢) بدائع الفوائد / ١٣٥—١٣٧.

من مشاكل اللغة فى دفع التوهم ، أو رفع إشكال ، أو دعوى تناقض ، أو ادعاء اشتراك لفظى أو معنوى . . . إلخ .

ويسهم ابن القيم بجهده فى هذا الجانب الحيوى ، و المتبع لتراثه القيم والضخم و الأصيل ، وحبذا لو تتبعه متتبع ، و بحثه باحث متفرغ ، إذن لظهر إمامنا ابن القيم اللغوى أصيل ، يمتاز بتأصيل القواعد ، و ذكاء التعاليق ، و سعة المدارك ، و شمولية الرؤية ، و تسلسل المنطق، و اتساع الأفق، حين يسعفه الدليل و تتكامل الجزئيات فى وحدات متناسقة متتابعة فى تعاريف جامعة مانعة . شافية كافية .

و نحن نعلم أن الاتصاف بالتضاد أو التناقض غير مستساغ إلا من خالقها سبحانه ، فهو تعالى يتصف بالشيء وضده ، كالنافع و الضار ، و الأول و الآخر ، و الظاهر و الباطن ، و الرحمن الرحيم و شديد العقاب . . .

والامام ابن القيم يحل ذلك بما يرضى العقل و الروح ، حين يتحدث عن السلام تعالى ، عند ما يتحدث عن عقاب الله و عفوه ، ورحمته وجبروته، كما رأينا

• • •

والاشتقاق بعامة عامل فى سعة التصرف اللغوى ، وثراء فى الاستعمال، وحيوية و مرونة ، و شاهد على عظمة العربية فى سعة المدرج و ديناميكية الاستعمال ، وإذا خلد العربية نزول القرآن الكريم بها و السنة النبوية حين كانت وعاءهما ، و إذا خلدتها كنوز الشعر و روائع النثر فى دنيا اللغة العربية قديما وحديثا، فحسب العربية (دينا ميكية) الاستعمال ، و ثراء و تنوع أسباب تنميتها و مرونتها (وانا كتاب فى ذلك) .

و رجوعا إلى ما نحن بصدد بحثه (فى لفظ السلام) وتنوعا فى الاستعمال توسعة على الناظم و الناثر ، و استعراضا لأفصح الأساليب العربية ، نجد (السلام) استعمل مصدرا و اسم مصدر ، أى أن استعماله تنوع، فما الفرق بينهما ؟ كما أنه المصدر جاء فى بعض الاستعمالات جريا على حسب الفعل ، فما سر ذلك ؟

و أين موضع السلام كتحية ، و اسم للمولى عز و جل ؟ و لم أخذت السلامة التاء و لم يأخذها المصدر إذا أطلق على اسم الفاعل ؟ و لم جاء (السلام) اسم مصدر ، و لم يجيء على أصل المصدر ؟

يقول الفقيه اللغوى ابن القيم — رحمه الله تعالى — فى هذا الصدد :

(و أما السؤال الثانى ، و هو : هل « السلام » مصدر أو اسم مصدر ؟

فالجواب أن السلام الذى هو التحية اسم مصدر من (سلم) و مصدره الجارى عليه تسليم ، كعلم تعليما ، و فهم تفهيما ، و كلم تكليما ، و السلام من سلم كالكلام من كلم

فان قيل : و ما الفرق بين المصدر و الاسم ؟

قلنا : بينهما فرقان : لفظى و معنوى :

أما اللفظى :

فان المصدر هو الجارى على فعله الذى هو قياسه ، كالافعال من أفعل ، و التفعيل من فعل ، و الانفعال من انفعل ، و التفعلل من تفعلل و بابه .

وأما السلام والكلام ، فليسا بجاريين على فعليهما ، ولوجريا عليه لقيل تسليم وتكليم .

و أما الفرق المعنوى :

فهو أن المصدر دال على الحدث و فاعله ، فاذا قلت : تكليم و تسليم و تعليم و نحو ذلك ، دل على الحدث و من قام به .

فيدل التسليم على السلام و المسلم ، و كذلك التكليم و التعليم .

و أما اسم المصدر ، فانما يدل على الحدث وحده ، فالسلام و الكلام لا يدل لفظه على مسلم و لا مكلم (بكسر اللام فيهما) بخلاف التكليم و التسليم .

وسر هذا الفرق :

أن المصدر فى قولك سلم تسليما ، وكلم تكليما بمنزلة تكرار الفعل ، فكأنك قلت : سلم سلم ، و تكلم تكلم ، و الفعل لا يخلو عن فاعله أبدا .

و أما اسم المصدر ، فانهم جردوه لمجرد الدلالة على الحدث .
و هذه النكتة من أسرار العربية .

• • •

و أما « السلام » الذى هو اسم من أسمائه تعالى ، ففيه قولان :
أحـــــدهما :
أنه كذلك اسم مصدر ، و إطلاقه عليه كاطلاق العدل عليه ، و المعنى : أنه ذو السلام ، و ذو العدل على حذف المضاف .
و الثـــــانى :
أن المصدر بمعنى الفاعل هنـا ، أى السالم ، كما سميت ليلة القدر سلاما ، أى سالمة من كل شر ، بل هى خير لا شر فيها) (١) .
ولا يترك الامام الفقيه القول بدون تفضيل وترجيح وذكر للفاضل والمفضول فيقول :
و أحسن من القولين ـ على حذف المضاف أو بمعنى الفـــاعل ـ و أقيس فى العربية أن يكون نفس « السلام » من أسمائه تعالى ، كالعدل . و هو من باب إطلاق المصدر على الفاعل لكون غالبا عليه مكررا منه ، كقولهم : رجل صوم ، و عدل ، وزور ، و بابه .

• • •

و أما السلام الذى هو بمعنى السلامـــة ، فهو مصـــدر نفسه ، و هو مثل الجلال و الجلالة ، فاذا حذفت التاء كان المراد نفس المصدر ، و إذا أتيت بالتاء كان فيه إيذان بالتحديد بالمرة من المصدر كالحب و الحبة .
فالسلام و الجمال و الجلال كالجنس العام من حيث لم يكن فيه تاء التحديد ، و السلامة ، و الجلالة ، و الملاحة ، و الفصاحة ،كلها تدل على الخصلة الواحدة ، ألا ترى أن الملاحة خصلة من خصال الكمال ، والجلالة من خصال الجلال .

(١) بدائع الفوائد ١٣٨/٢ .

و لهذا لم يقولوا : كمالة كما قالوا : ملاحة و فصاحة . لأن الكمال اسم جامع لصفات الشرف و الفضل ، فلو قالوا : كمالة لنقضوا الغرض المقصود من اسم الكمال فتأمله (١) .

و ينظر ابن القيم اللغوى بما جاء على مثال ما ذكر من مفرادت و تعابير ليزيد الأمر أيضاحا ، فيقول رحمه الله تعالى موردا الأمر و عكسه :

(و على هذا جاء الحلاوة ، و الأصالة ، و الرزانة ، و الرجاحة ، لأنها خصلة من مطلق الكمال و الجمال محدودة . لجاءوا فيها بالتاء الدالة على التحديد .

و عكسه الحماقة ، و الرقاعة ، و النذالة ، و السفاهة ، فانها خصال محدودة من مطلق العيب و النقص .

لجاءوا فى الجنس الذى يشمل الأنواع بغيرتاء ، و جاءوا فى أنواعه و أفراده بالتاء . .) (٢) .

وبعد هذا التأصيل و التقعيد للقاعده . يعود إلى موضوعنا (السلام) فيقول :

(فتأمل الآن كيف جاء السلام مجردا عن التاء إيذانا بحصول المسمى التام ، إذ لا يحصل المقصود إلا به ، فانه لوسلم من آفة ، ووقع فى آفة ، لم يكن قد حصل له السلام ، فوضح أن السلام لم يخرج عن المصدرية فى جميع وجوهه) (٣) .

ثم يسأل و يجيب عن الحكمة فى اختيار اسم المصدر ، دون أصل المصدر ، فيقول :

(فان قيل : فما الحكمة فى مجيئه ـ السلام ـ اسم مصدر ، ولم يجىء على أصل المصدر ؟ قيل هذا السر بديع ، و هو أن المقصود حصول مسمى السلامة للمسلم عليه على الاطلاق من غير تقييد بفاعل .

فلما كان المراد مطلق السلامة من غير تعرض لفاعل أتوا باسم المصدر الدال على مجرد الفعل ، ولم يأتوا بالمصدر الدال على الفعل والفاعل معا فتأمله) (٤)

---

(١) بدائع الفوائد ١٣٨/٢ . (٢) السابق .

(٣) السابق (٤) بدائع الفوائد ١٠/١٣٩ .

منافذ الحضارة الاسلامية
إلى
أوربا قبل عصر النهضة

إعداد : محمد صدر الحسن الندوى

أطلق العرب اسم « الأندلس » على الجزء الجنوبى من شبه جزيرة « أيبريا » الواقعة فى الجنوب الغربى من قارة أوروبا ، و التى تسمى الآن « أسبانيا » .

و كانت الأندلس تمتد إلى الشمال من الوادى الكبير و إلى الجنوب والشرق منه حتى بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) ، تجاه بلاد المغرب الأقصى حيث يفصلها عن قارة إفريقيا بحر الزقاق (مضيق جبل طارق) .

و أطلاق العرب اسم الأندلس مأخوذ عن قبائل الفندال الذين طردوا الرومان وأسسوا على نهر الوادى الكبير مملكة باسمهم (الفندال) ومنها جاءت كلمة « فندلس » التى نطق بها العرب « أندلس » و أطلقوها على هذه البلاد .

كانت أسبانيا فى الوقت الذى امتد فيه سلطان العرب إلى الشواطىء الغربية منها و إلى الجزر المجاورة لها خاضعة لنير القوط ، و كانت قبل ذلك بنحو ثلاثة قرون ولاية رومانية ، فلما أضمحل سلطان روما وغزتها القبائل البربرية الجرمانية فى أوائل القرن الخامس الميلادى اقتسمت هذه القبائل أملاك روما الغربية و استولت على إيطاليا وفرنسا و أسبانيا ، وكانت أسبانيا من نصيب القوط ، ولبث القوط زهاء قرنين سادة لأسبانيا حتى الفتح الاسلامى و اتخذوا طليطلة عاصمة لبلادهم ، و وضعوا لبلادهم الجديدة نظماً وقوانين خاصة و اعتنقوا النصرانية منذ أواخر القرن الرابع .

وقبل فتح أسبانيا كان العرب قد أتموا فتح المغرب الأقصى و استولوا على ثغر طنجة ، أشرفوا على شواطئ الأندلس من الضفة الأخرى من البحر و لم يبق لاتمام فتح إفريقية سوى ثغر سبتة الذى يقع مقابل طنجة لكن المسلمين ما استطاعوا فتح هذا الثغر لمنعتها الشديدة تحت قيادة حاكمها الكونت يوليان ، و لكنه لم يمض إلا وقت قليل إذ جاء إلى موسى بن نصير رسالة من الكونت يوليان يعرض فيها تسليم معقله ويدعوه إلى فتح أسبانيا .

و فى شهر رجب سنة ٩٢هـ / ابريل سنة ٧١١م جهز موسى جيشا من العرب والبربر يبلغ سبعة آلاف مقاتل بقيادة طارق بن زياد الأندلسى و كان يومئذ حاكماً لطنجة ، وسار الجيش الاسلامى منحدراً إلى جنوبى أسبانيا فى الجزيرة الخضراء (Algeciras) و جرت مناوشات فى معركة أو أكثر مع قوات القوط . انتصر فيها المسلمون . فكتب عامل لذريق على الروم يسمى تدمير « بأن قوماً لا يدرى أمن أهل الأرض أم من أهل السماء قد وطئوا إلى بلادنا و قد لقيتهم فلتنهض إلى بنفسك » (١) .

لما علم لذريق بدأ يجهز الجيش للقاء الجيش الاسلامى ولما علم طارق بأخبار هذا التجمع طلب إلى موسى يستنجده ، فأرسل إليه جيشاً قرابة خمسة آلاف محارب بقيادة طريف بن مالك و بذلك صار عدد الجيش الاسلامى اثنى عشر ألف محارب جلهم من المسلمين البربر (٢) وكان عدد الجيش مأة ألف ذوى عدد وعدة (٣) .

---

(١) التاريخ الأندلسى من الفتح الاسلامى حتى سقوط غرناطة د / عبد الرحمن على الحجى دار القلم دمشق نقلا عن « تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس » (مخطوطة) لمؤلفه : على عبد الرحمن بن هذيل ص ٧٠ .

(٢) نفح الطيب للقرى ١ / ٢٣٩ تحقيق الدكتور إحسان عباس دار صادر بيروت (١٩٦٨م) .

(٣) نفح الطيب ١ / ٢٥٧ .

وتلاقى الجيشان فى سهل الفرنتيرة (Fronters) فى الثامن و العشرين من شهر رمضان سنة ٥٩٢ھ / ١٧ يوليو سنة ٧١١م و فى اليوم الرابع نشبت معارك دامية بين المسلمين وبين القوى النصرانية الضخمة و فى اليوم الثامن تم النصر للسلمين وهلك لذريق آخر ملوك القوط فى هذه المعركة .

وقبل بدء هذه المعركة الحاسمة ألقى طارق خطبته المشهورة قائلا :

«أيها الناس أين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصدق و الصبر واعلموا أنكم فى هذه الجزيرة أضيع من الأيتام فى مأدبة اللئام وقد استقبلكم عدوكم بجيوشه و أسلحته ، و أقواته موفورة وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم و لا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدى عـــدوكم و إن امتدت بكم الأيام على افتقاركم و لم تنجزوا لكم أمراً ذهبت ريحكم وتعرضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذه الطاغية ، فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة ، و إن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم الموت ، وإنى لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس ، إلا و أنا أبدأ بنفسى، وأعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالأرفه الألذ طويلا ، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسى فما حظكم فيه بأوفى من حظى ، و قــد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات فى الدر والمرجان والحلل المنسوجة العقيان ، المقصورات فى قصور الملوك ذوى التيجان ، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عرباناً ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهاراً و أختاناً ، ثقة منه بارتياحكم للطعان و استماحكم بمجـالدة الأبطـال والفرسان ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته ، وإظهار دينه بهذه الجزيرة ، و ليكون مغنمها خالصة لكم من دونه و من دون المؤمنين سواكم و الله تعـالى ولى

إنجادكم على ما يكون لكم ذكراً فى الدارين ، و اعلموا أنى أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه ، وأنى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طاغية القوم لذريق فقاتله إن شاء الله فاحملوا معى ، فان هلكت بعده فقــد كفيتكم أمره و لم يعوزكم بطل عاقل تسندون أمركم إليه ، و إن هلكت قبل وصولى إليه فاخلفونى فى عزيمتى هذه ، و احملوا بأنفسكم عليه ، واكتفوا لهم من فتح هذه الجزيرة بقتله ، فانهم بعده يخذلون (١).

ثم فرق طارق بعض جنوده فى بعوث جانبية و توجه هو إلى طليطلة عاصمة المملكة القوطية . لكن الجيش القوطى تجمع عند مدينة استجة (Ecija) لحرب الجيش الاسلامى فزحف طارق إليه فاتحاً فى طريقه بعض المدن .

فمر طارق بمدينة شذونة (Sidonia) وفتحها ومضى إلى مورون (Moron) و فتحها ثم عطف على مدينــة قرمونة (Carmona) ثم تقدم إلى إشبيليــة (Sevilla Seville) فتم له فتحها صلحا . ثم اتجه إلى مدينة استجة (Ecija) وفتحها .

ثم وجه طارق من إستجة سرايا من جنده إلى عدة جهات ، فبعث جيشاً بقيادة مغيث الرومى لفتح مدينة قرطبة (Cordoba) و أرسل جيشاً آخر إلى مدينة مالقة (Malaga) وآخر إلى كورة إلبيرة (Elvira) حيث فتح مدينتها غرناطة (Garanada) و كذلك وجه إلى كورة تدمير (٢) وكانت قاعدتها أوريولة (Orihuela) التى حلت محل مدينة مرسية (Murcia) محلها قاعدة لكورة مرسية بدلا من تدمير .

وسار طارق إلى عاصمة القوط طليطلة (Toledo) ماراً بمدينة جيان (Jean) وفتح طليطلة ثم فتحت بعض الأجزاء الشمالية المتبقية فى قيادة موسى بن نصير .

---

(١) نفح الطيب للمقرى ١ / ٢٤٠ .

(٢) الاحاطة فى أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب المجلد الأول ص ١٠١ طبعة ثانية ، تحقيق محمد عبدالله عنان ، الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة .

يقول فليب حتى (Philip Hitti) و هو يستعرض الانتصارات الباهرة التى احرزها المسلمون فى أسبانيا :

« لقد أصبح أسبانيا بعد أن فتحها العرب مصراً من أمصار الخلافة و سميت بالأندلس و لم يبق أمام خلفاء موسى سوى أنحاء صغيرة فى شمالى الجزيرة و شرقها كان عليهم أن يفتحوها ، و قدتم فتح الجزيرة كلها فى مدة لا تزيد على سبع سنوات وكسب العرب بذلك قطراً من أكبر أقطار أوروبا فى العصور الوسطى وأجملها» (١) .

لكنه لما أفل نجم المسلمين فى الأندلس الاسلاميــة أقيمت الاحتفالات بتحويل المسلمين قسراً عن دينهم وسحبت الكتب العربية من التداول و أحرقت المخطوطات العربية فى محارق ضخمة .

و فى عام ٩٦٣هـ/١٥٥٦م أصدر فليب الثانى (Philip II) تشريعا صارما يمنع المسلمين من ممارسة شعائر عباداتهم و عوائد حياتهم و الحديث بلغتهم . . . ودمرت الحمامات العامة التى كانت كثيرة فى المدن الأسبانية بسبب وفرة المواد المائية المتدفقة من قمم الجبال المجاورة و كانت أثيرة لدى المسلمين و المسيحيين على السواء . و منذ ذلك الوقت كان تعلق أى مواطن أسبانى بالاستحمام مثاراً لتوجيه تهمة الهرطقة (Heresy) إليه و تعريضه لتحقيقات محاكم التفتيش .

و فى سنة ١٠١٨هـ/١٦٠٩م و قع فليب قراراً نهائيا بالطرد الجماعى ، وعلى ذلك أجبر فعلا جميع من بقى من المسلمين بالأرض الأسبانية على الرحيل (٢) .

٢– المنفذ الثانى : صقلية الاسلامية

فتحت جزيرة صقلية و أوروبا الوسطى على يد الأغالبة حكم القيروان فى القرن التاسع الميلادى نهائيا . و إن كانت هنــاك محاولات للغزو متقطعة قام بهـا بعض

(١) تاريخ العرب حتى (مطول) طبعة رابعة ٢/٥٩٤ .

(٢) المسلمون فى تاريخ الحضارة ، تاليف ستانوودك ص ٨٥–٨٦ ترجمة الدكتور فتحى عثمان .

المغامرين قبل الأغالبة بزمن طويل ، فقد أغار أحد قواد معاوية رضى الله عنه على صقلية البيزنطية فى عام ٦٥٢ الميلادى ، و كان قيام دولة الأغالبة و تثبت سلطتها فى القيروان فى السنة الأولى من القرن التاسع

زحف الجيش الاسلامى فى عهد زيادة الله الأول (٨١٧—٨٣٨م) العامل الأغلبى الثالث بقيادة أسد بن الفرات إلى مازر ، ثم زحف إلى سرقوسة من بلاد صقلية و اشتد حصار المسلمين فى سرقوسة لكن المسلمين ما استطاعوا أن يفتحوها ، وعمت الأوبئة أثناء الحصار فهلك معظم الجيش ومات أسد بن الفرات (١) ثم جاء الامداد من أسبانيا الاسلامية و زحف المسلمون إلى بلرم و فتحوها فى سنة ٢١٧هـ/٨٣١م ثم ساروا إلى مدينة قصريانة و هزموا الروم سنة ٢٢٠هـ/٨٣٤م و حوالى سنة ٨٤٣م سقطت مسينة و فى سنة ٨٧٨م سقطت سرقوسة الحصينة بعد حصار دام تسعة أشهر ثم فتحت الأراضى الواقعة بجوار جبل النار ثم فتحت صقلية فى سنة ٢٨٩هـ/٩٠٢م .

لكن الأغالبة لم يقتصروا أعمالهم الحربية على شواطئ إيطاليا بل زحفوا إلى مالطا وفتحوها سنة ٢٥٦هـ/٨٧٠م وأول ماعرف التاريخ عنها أن الفينقيين استعمروها قبل القرن العاشر قبل المسيح و استولى القرطاجنيون على مالطا فى القرن السابع قبل المسيح و بقوا فيها أربعة أو خمسة قرون ثم استولى عليها الرومانيون سنة ٢١٨ قبل الميلاد و بقيت نحواً من عشرة قرون فى أيدى الرومانيين و اليونانيين ، و فى القرن الأول للمسيح تنصر أهل مالطا على يد القديس بوليس و لما سقطت السلطنة الرومانية استولى عليها البيزنطيون .

وقد خرجت مالطا من أيدى المسلمين سنة ١٠٩٠م فان النورمنديين استردوها بعد استردادهم الصقلية ، لكن كان المسلمون مأذونا لهم فى الاقامة بهذه الجزيرة إلى

(١) تاريخ ابن خلدون ٤/١٩٩ .

سنة ١٢٤٩م (١) .

٣ ـ المنفذ الثالث : الحروب الصليبية

قد تعددت أقوال المؤرخين فى تقييم الحركة الصليبية ، فهناك من المؤرخين من نظر إلى الحروب الصليبية على أنها حلقــة من حلقات الصراع بين الشرق و الغرب و هو الصراع التقليدى القديم الذى ظهر بوضوح فى النزاع بين الفرس و اليونان ثم بين الفرس و الروم .

ويرى فريق آخر من المؤرخين أن الحركة الصليبية وما ارتبط بها من محاولات كبرى ومشاريع عديدة لغزو الوطن العربى ليست فى حقيقة أمرها إلا الحلقة الأخيرة فى سلسلة الهجرات الكبرى التى صحبت سقوط الامبراطورية الغربية .

ويرى فريق ثالث من المؤرخين أن الحركة الصليبية ليست إلا انطلاقة كبرى نتجت عن عمليـة الاحياء الدينى التى بدأت فى غرب أوروبا فى القرن العاشر و التى بلغت أشدها فى القرن الحادى عشر .

و هناك فريق رابع من المؤرخين يرى فى الحروب الصليبية الرسيلة التى تحايل بهـا الغرب الأوروبى للخروج من أوضاع العصور الوسطى و الانطلاق إلى حيـاة أوسع أفقاً ذلك أن الغربيين ظلوا طوال العصور الوسطى يعيشون داخل دائرة معينة حددت أفقها الكنيسة تحديداً ضيقاً .

هذه هى أهم النوافذ التى أطل منها الباحثون على الحروب الصليبية ونحن نستطيع فى ضوء الآراء السابقة أن نعرف الحركة الصليبية بأنها :

« حركة كبرى نبعت من الغرب الأوروبى المسيحى فى العصور الوسطى »

---

(١) تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا و إيطاليا ص ٢٥٤ تاليف الأمير شكيب أرسلان ، دار مكتبة الحياة بيروت لبنان ١٩٧٩ .

و اتخذت شكل هجوم حربي استعماري على بلاد المسلمين و بخاصة فى الشرق الأدنى بقصد امتلاكها، وقد انبعثت هذه الحركة عن الأوضاع الفكرية والاجتماعية والاقتصادية و الدينية التى سادت غرب أوروبا فى القرن الحادى عشر، و اتخذت من استغاثة المسيحيين فى الشرق من المسلمين ستاراً دينيا للتعبير عن نفسها تعبيراً عملياً واسع النطاق (١).

و وقعت الحرب الصليبية الأولى فى سنة ١٠٩٩م و الثانية فى سنة ١١٤٧ م و وقعت الثالثة بين صلاح الدين و ملك بريطانيا فى الفترة ما بين ١١٨٩—١١٩٣م و الرابعة وقعت فى الفترة ما بين ١٢٠٣—١٢٠٤م وحدثت الخامسة فى سنة ١٢١٧م و وقعت السادسة فى سنة ١٢٢٨م و وقعت السابعة فى سنة ١٢٥٨م و حدثت الثامنة فى سنة ١٢٧١م و وقعت التاسعة فى سنة ١٣٨٥م وحدثت العاشرة الأخيرة فى سنة ١٤٦٤ الميلادية.

هذه هى ثلاثة منافذ تسربت منها الحضارة الاسلامية الرائعة إلى أوروبا قبل عصر النهضة. لكن هذا التأثير اتخذ صوراً و أشكالا متعددة نظراً للحالة التى كانت عليها أوروبا حينئذ، و نستطيع أن نميز ثلاث مراحل لأثر العرب على أوروبا ابتداء من بداياته الأولى حتى عصر النهضة.

١— عصر التأثير غير المباشر

٢— عصر الترجمة العربية إلى اللاتينية.

٣— التجارة.

« يتبع »

(١) الحركة الصليبية ١/٢٥ د/ سعيد عبد الفتاح عاشور.

الفقـــه الاسلامى :

طفل الأنبوب★

الأستاذ محمد إبراهيم شقرة

هذه مسألة شغلت أذهان الناس منـذ سنين ، و جالت فيهـا أنظار العلمـاء ، و حدقت فى نتائجها و مقدماتهـا عقولهم ، فكان منهم المتثبت المتأنى ، و كان منهم المتخوض المتسرع .

و قد نظرت فيها نظر الحذر اليقظ المتوقى بالأدلة الشرعية ، التى كان واحد منها يغنى عن كل الأدلة العقلية مجتمعة ، فما وجدت الا الدليل الحاظر المانع ، الذى تدرىء به تقوى الله سبحانه ، فلا يكاد مؤمن يخالجه ريب فى حظره و منعه ، ولا أحسب أنه تحدثه نفسه أن يدلى فيها برأى عقلى محض ، ليقول فيه بالاباحة ، بالغا ما بلغ ذلك الرأى العقلى من قوة الاحكام و النظر ، فليس للرأى حيلة مع الدليل الشرعى الموحى به إلى رسول الله ﷺ من ربه ، فأقول مستعيناً بالله طالباً من السداد .

أولا : إن طفل الأنبوب لا يعـدو أن يكون تجربة علميـة ظنية ، لا يمكن القطع معها بحمل المرأة و إنجابها ، لأن الحمل و الانجاب — حتى فى الحـالات الطبيعية — يبقيان شيئاً ظنياً محضاً ، مرده إلى علم الله و إرادته وحده ، لا يستطيع انسان أن يحدسه فضلا عن أن يقطع بوقوعه قبل أن يكون أمراً واقعاً مشهوداً ،

★ نشر فى جريدة الدستور يوم السبت ٦ / ٧ / ١٤٠٤ ٦ / ٤ / ١٩٨٤

وثانياً : إن المادة التى تساعد البويض على الانشطار ، والحيوان المنوى على التفاعل مع البويض والالتحام بها لم تعرف حتى الآن على وجه القطع ما هيتها ، رغم أن بعض الأطباء يحاول أن يزيل الشك من حولها بقوله : إن الحيوانات المنوية الآن تجمد و تباع علانية و بصراحة ، فربما خالطت هذه المادة أشياء عضوية ، ومنها حيوانات منوية ، و لا يقال هنا : إنه لا داعى لاخفاء ماهية هذه ما دامت الحيوانات المنوية تباع كما يباع الدم ، فان العقلية التجارية غلبت على العلم ، و المنطق التجارى يفرض على صاحب تجربة طفل الأنبوب أن يخفى ماهية هذه المادة ، إذ أن جل الناس لا زالوا على الأقل ، ينفرون من أن يكون علوق حمل فى أرحام أزواجهم من غير مائهم إذا فمن شاء من الناس الملهوفين على الأبناء ، فلياخذ بما هو مجهول غير معلوم ، و من شاء فلياخذ بما هو ظاهر معلوم ، و النتيجة فى النهاية واحدة ، حمل لا يعرف ماؤه ، لكن الاقبال على المجهول غير المعلوم يظل أرغب و أكثر ، و يتوفر بذلك لصاحب تجربة الأنبوب دخل مالى وفير .

وثالثاً : قضت إرادة الله سبحانه ان يكون تزاوج بين الرجال و بين النساء ، و ان يكون منهم العقيم و منهم الولود ، قال تعالى : (أو يزوجهم ذكرانا و اناثا و يجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير) ، و لا بد للانسان الذى يبتلى بالعقم أن يصبر عليه ، و أن يعلم علم اليقين بأن لله سبحانه حكمة فى ذلك ، و حكمة الله و ارادته لا يتضادان .

و اذا جاشت عاطفة البنوة فى صدر الرجل ، و كانت المرأة عقيما فقد أباح الله للرجل أن يجمع اليها ثانية ، وثالثة ، و رابعة ، و لكن ماذا لو تحركت عاطفة البنوة فى صدر المرأة ، و كان الرجل عقيما ؟ فماذا تصنع المرأة حينئذ ؟ الجواب : إما أن تطلب من زوجها أن يفارقها لتجرب حظها مع رجل غيره فى نيل طلبتها ، و إما أن تجد فى طفل الأنبوب تسكينا لعاطفتها ، و فى هذه الحالة طبعا لن يكون طفل الأنبوب من زوجها العقيم ، بل من رجل آخر مجهول تبرع بمائه ، أو باعه

و هذا هو المحظور الذى سوف لن يطول زمانه ، بل سيصبح يوما ما أمرا عاديا غير محظور و لا معيب ، و كم من باب شر فتح على الأمة بمثل هذا الأمر الذى كانت الآراء فيه مختلفة ، و تساهل فيه الناس .

و رابعاً : فى هذا لا يختلف بين ما اذاكان عقم فى الزوجين أو فى أحدهما ، و بين ما إذا كان عدم الحمل من عائق عضوى فى المرأة ، و لا يقال : بان العائق العضوى يشبه المرض الذى يستدعى الكشف من الطبيب لعلاجـــه ، فالمرض شيء و العائق شيء آخر لا يقاس به ، المرض يطلب له الدواء و العائق لا يطلب له دواء ، فاختلفت العلة فيهما فبطل القياس ، إلا أن يكون هذا العائق مرضا عضويا يخشى منه على صحة المرأة ، فحينئذ يكون العلاج لان العائق مرض .

و خامساً : معلوم أن الزواج يكون لأمرين اثنين ، الأول : إعفاف النفس عن الحرام . الثانى : النسل و الولد ، و تحقق الأول يغنى عن الثانى ، أما تحقق الثانى فليس مغنيا عن الأول ، فقد يكون مع الانجاب و الولد وقوع الفاحش من الرجل أومن المرأة ، أما اذا عف الانسان بالزواج عن الوقوع فى الفاحش فيبقى طلب الولد أمراً ثانويا يمكن الاستغناء عنه كما هو واقع فى حياة الكثيرين .

و سادساً : قاعده سد الذرائع فى الاسلام تفرض حظر طفل الأنبوب ومنعه، إذ أن هذه القاعدة تحظر على المسلم شيئاً من الحلال الصريح مخافة الوقوع فى الحرام الصريح ، و طفل الأنبوب يطلب — بغض النظر عن وصفه بالحل أو بالحرمـة — بسبيل غير مشروع ، وهو الكشف على عورة المرأة ، وملامستها و تصويب النظر إلى مواطن الفتنة ، فالقضية فيه معكوســة تماما ، فيكون أولى بالتحريم مما حرم بسد الذرائع .

و سابعاً : وبعد ما تقدم ينبغى أن نعلم أن مثل هذه الحالة التى يمتنع فيها الحمل لمانع إلا بطريق الحمل الأنبوبى ، ليست حالة مرضية ، يصدق عليها ما يصدق على

ما يطلب للمرضى من علاج و دواء ، فلا يباح للطبيب علاجهـا بالنظر إلى عورة المرأة و بخاصة المغلظة منها ، و ليس كل حالة مرضية أيضاً يباح للطبيب أن يجرى ما يعرف (بالفحص النسائى) الذى يتساهل فيه الناس فى زماننا هذا تساهلا جرهم إلى الاثم ، و أوقعهم فى حبالة المنكر ، و أذهب عنهم الحياء و الحياء من الايمان .

و اذا كان النظر لا يباح لوجه المرأة الاجنبية الا أن تكون نظرة واحـدة لجائية ، يحرم على الرجل بعدها النظر مرة أخرى ، فكيف بمثل هذا الكشف الذى لا تمليه ضرورة شرعية .

وقد صح فى ذلك أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ ، منها قوله لعلى رضى الله عنه : (إن لك الأولى وليست لك الآخرة) وأخرج الامام مسلم فى صحيحه عن جرير بن عبد الله البجلى قال : (سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة فأمرنى أن أصرف بصرى) و القرآن صريح فى نهيه و أمره فى هذا الأمر (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم و يحفظوا فروجهم) و (قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن و يحفظن فروجهن) و لا شك أن من حفظ الفرج عدم الأذن بالنظر اليه لغير ضرورة شرعية أباحها الشارع الحكيم .

بل ان الامر بغض البصر و عدم النظر كما يكون من الرجل للمرأة و بالعكس يكون من المرأة للمرأة أيضاً و من الرجل للرجل ، يقول عليـه الصلاة و السلام : (لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ، و لا تنظر المرأة إلى عورة المرأة) .

و مما يؤسف له ، و يؤذن بالاثم و العقوبة أن المسلمين قد تساهلوا فى مثل هذا الأمر وغيره تساهلا عجيباً ، حتى أن المرأة لتسمح لنفسها أن تذهب إلى الطبيب النسائى لأدنى ألم تحس به ، كان أضعافه فى زمان مضى و انقضى تؤديه (الداية) الله يرحمها ، و يرحم زماناً كانت فيه الداية أما بارة رحيمة ، و طبيباً حاذقاً مؤنساً ، و جدة فاضلة تقية .

صور و أوضاع :

مجهودات مكثفة لاحياء الحضارة الهندية القديمة

واضح رشيد الندوى

تصعدت نشاطات الحركات الهندوكية الطائفية أخيرا فى بعض أجزاء الهند ، و تضخمت حملة الكراهية ضد المسلمين ، وفى مقدمة هذه الحركات حركة و شوهندو بريشد ، و من بين الأهداف التى اعلنت هذه الحركات تحقيقها الاستيلاء على المساجد التاريخية التى تدعى هذه الحركات بأنها كانت معابد هندوكية قبل العهد الاسلامى ، وفرض قانون موحد للاحوال الشخصية، وإحياء الحضارة الهندية القديمة، وقد تجددت الحملة لاستعادة الجامع البابرى فى أجودهيا ، و قد كان هذا المسجد موضع نزاع بين المسلمين والهنادك منذ أن نالت البلاد الاستقلال، ولا يزال جانب من المسجد مغلقا ولا يسمح للمسلمين بالدخول ، وقد وضع فيه تمثال لأحد الآلهة ، و قررت هذه الحركات شن حملة شعبية للاستيلاء على المسجد كليا ، وقد وزعت منشورات بنطاق واسع تناشد الهنادك لبذل كل تضحية لما سمته الحركة بتطهير الأماكن الهندوكية المقدسة كاجودهيا بالقرب من فيض آباد و متهرا بالقرب من دلهى وأماكن أخرى يعتبرها الهنادك أنها كانت مواطن آلهتهم قبل آلاف السنين ، و يدعى الهنادك ان إلههم « راما » كان قد ولد فى أجودهيا و لذلك يجب ان لا يقع فى هذه المنطقة معبد غير هندوكى ، و يدعى المؤرخون من الهنادك ان الامبراطور بابر كان قد حول معبدا هندوكيا الى مسجد فى عام ١٥٢٨م و منذ ذلك الوقت يدعى هذا المسجد بالجامع البابرى ، ولا يعرف الهنادك متى تم بناء هذا المعبد إلا أن أساطيرهم تدعى بأن هذا المعبد كان قد رمم قبل الفين و مأة عام .

و اعدت هذه الحركات برنامجا لتعبئة الرأى العام ، فتعقد اجتماعات فى اجزاء مختلفة من الهند ، و تجمع تبرعات لتمويل حركة الاستيلاء على المساجد التاريخية

الكبرى التى تدعى بأنها كانت معابد هندوكية قبل الفتح الاسلامى، وتنوى هذه الحركة اخراج مسيرة تتألف من مآت الالوف من المتظاهرين للضغط على الحكومة من أجل اعادة هذه المساجد وهددت بالاستيلاء عليها عامة اذا فشلت المجهودات السلبية.

و قد اعربت صحيفة «سهارا» الاسبوعية الهندية فى عددها الصادر ١٦-٢٢ سبتمبر ١٩٨٤ م عن قلقها بهذه الحملة الطائفية التى نشرت تفاصيلها على صفحاتها و دعت الحكومة إلى اتخاذ إجراء فى حينه قبل فوات الأوان، و أوضحت الصحيفة ان الطائفيين اذا نجحوا فى مخططاتهم فانهم سيؤدون إلى حدوث مجزرة شنيعة.

و أشارت الصحيفة ايضاً إلى نشاط ملحوظ فى شمال الهند بصفة خاصة للحركات الاحيائية للدين الهندوكى، و حماس الكهنة فى نشر تقاليدهم و دعوة الناس إلى اتباع الطقوس الهندوكية و توزيع الأجراس و النواقيس فى القرى، و عقد اجتماعات و لقاءات لدعوة الريفيين إلى الاجتماع فى المعابد، و تفهم الأخطار المحدقة بديانتهم و ثقافتهم، و محاربة النزعات و الدعوات المعادية لديانتهم، ولا تجد هذه الحركات أى عائق أو حظر من الأجهزة الادارية.

تحدث سائر هذه النشاطات و يشترك فيها المثقفون و لرسميون، و قد انضم إلى مثل هذه الحركات بعض كبار الرسميين والعقلاء بعد التقاعد من مناصبهم لغرض خدمة ديانتهم، و ثقافتهم، و لا تشعر الحكومة بحاجة إلى وقف هذه النشاطات التى تكاد تعم البلاد، لأنها تمثل الأغلبية الهندوكية و هى متمسكة بتاريخها و تراثها و حضارتها القديمة، و لا يشعر قادتها بعار فى الانتماء إلى ماضى البلاد العتيق، فيحاولون تهنيد كل قطاع من قطاعات الحياة، وادخلت أساطير هندوكية فى مناهج التعليم و التربية، وتبذل جهود لاستخراج أمجاد الهند من دفائن التاريخ، و ابراز الادوار التاريخية المطمورة باعتزاز، و لغلبة هذه النزعة تصرف الحكومة النظر عن نشاطات الحركات المتطرفة، وبدلا من أن تحد من نشاطها يلقن قادة الهند المسلمين أن يطوروا فكرهم و منهج حياتهم فى ضوء الظروف المتغيرة، و ينضموا إلى التيار القومى، رغم العلمانية و الاشتراكية، و التقدم التى تبرز كشعارات سياسية.

و مثل ما يحدث فى الهند من تهنيد، يجرى فى اسرائيل من تهويد، و فى

البلدان النصرانية من تنصير ، و لا تتهم هذه الدول بالرجعية والتخلف ولا العصبية و المنجهية .

ولكن لو حدث جزء من مثل هذا النشاط فى بلد اسلامى لاحياء الحضارة الاسلامية ، ماذا كان مصيره ؟ إنه سؤال محرج ، ولكن الرد عليه سهل يسير ، لثارت ضجة كبرى من الأوساط السياسية ، و اتهم هؤلاء العاملون بأنهم يثيرون الفتنة ، و لتحركت اجهزة الحكومة كلها لمحاربة هذا الخطر وزجت بكل عامل إلى السجن ، رغم أن الدعاة إلى الاسلام لا يريدون الاستيلاء على معابد غيرهم ، و لا يعترضون على منشآت غيرهم ولا يشوهون تاريخ غيرهم ، ولا يعتدون على ديانة غيرهم ، فكل ذلك لا تقبله طبيعة الاسلام ، ولا يعتدون على متبعى الأديان الأخرى ، و لا يطالبون بأن تطبق تعاليم الاسلام على غير المسلمين ، و لكن جهاز الأمن يقف دائماً بجانب أعداء الاسلام ، و اذا تجرأت صحافة أن تكتب كلمة ضد جالية أخرى أو عقيدة أخرى ، صودرت وحوكم رئيس تحريرها بينما تتمتع الصحافة بحرية فى نقد الاسلام و حضارة الاسلام ، و فى الاعتداء على التاريخ الاسلامى ، والشخصيات الاسلامية الكبرى ، ولا يسمح بأى تجمع اسلامى حتى اللقاءات الدعوية محرمة فى بعض البلدان الاسلامية .

فاذا كان موقف الحكومات الاسلامية ازاء الاسلام و المسلمين هذا الموقف ، فكيف يمكن أن يتوقع منها الاهتمام بقضية الاسلام و المسلمين فى خارج بلادها ، فانه تدخل فى الشئون الداخلية .

بين الدين و السياسة

نشرت إحدى الصحف الصادرة من لندن وهى موالية للثورة الايرانية أن قائد الثورة الايرانية الخمينى ندد برجال الدين على كثرة التدخل فى الشئون السياسية فى البلاد وطالب بأن يهتموا بمسئولياتهم الدينية بدلا من التدخل فى الشئون الادارية وصرح فى كلمة له لرجال الدين بأن شكاوى تدخل رجال الدين فى الجهاز الادارى قد كثرت أخيراً وعلم أن بعض رجال الدين لا يولون واجباتهم الدينية باهتمام لائق .

يحمل هذا الخبر إن صح ، أهمية خاصة فى ضوء دعوة قائد الثورة الايرانية الأساسية التى كانت تقوم على أساس تحميل رجال الدين مسئولية الحكم أو مسئولية اصلاح الحكم وعدم الاقتصار على التربية الدينية أو تأدية الطقوس الدينية ، وقد أكد الزعيم الايرانى على مبدأ الجمع بين الدين والسياسة ، ولكن يبدو أن تجربة الحكم قد أحدث تغيراً فى ذهن الزعيم الايرانى ، أو إنه يسير الآن فى منهج الاشتراكيين الذين يطالبون بحقوق العمال والقضاء على الفوارق الطبقية ويلجؤن إلى وسائل الاضراب والاحتجاج و استعمال العنف لنيل الحقوق و لكن حالما يتم قيام الثورة الاشتراكية تعتبر كل محاولة للاصلاح أو النظام محاولة خائنة أو ثورة مضادة ، ويفرض الحظر على كل نشاط شعبى ويسد سائر المنافذ لتسرب الأفكار الخارجية .

و إن صح نقل هذا البيان الذى نسب إلى الخمينى فأنه يدل على أن مرحلة إبعاد العلماء و رجال الدين عن الحكم و حصرهم فى مواقعهم و تأدية واجباتهم المعينة قد بدأت فى إيران و بالتالى تعود إيران إلى سياسة « الدين لرجال الدين و الدولة لرجال السياسة » .

إن الجمع بين الدين والسياسة أمر قيم لكنه خطير ، ومحاط بالأشواك ، فأن الطبيعة السياسية بالمفهوم السياسى المعاصر ، هى طبيعة الدهاء والمكر والخداع ، وهى قائمة على أصول التورية والاحتيال ، و قد يعامل بعض الساسة مع الدين معاملتهم مع المشاعر القومية يستغلونها لتحقيق مآربهم ثم يثورون عليها ، و قد حدث ذلك فى الثورات القومية ، التى حدثت من أجل حقوق الفرد ، و المساواة ، و العدل ، و التقدم ، فكان الحكام الجدد أكثر خطراً على هذه الحقوق من غيرهم .

لقد اتجهت الثورة الايرانية بوجود بعض السياسيين المحترفين والطامعين فى الحكم إلى المنهج الثورى المألوف فوقعت عدة حوادث لا تقبلها طبيعة الدين ، وإنما كانت ذات نزعة سياسية ثورية ، ويخشى أن نفوذ العلماء ورجال الدين ينكمش مزيداً بغياب أصحاب الهمة و المكانة العالية سياسياً أو طبيعياً ، لقد بدت الثورة فى إيران فى منطلقها

إسلامية، فانكمشت بغلبة العصبية الشيعية إلى ثورة شيعية، وأصبحت تمثل الأقلية الشيعية رغم كل ما أدعاه الزعماء الايرانيون بأنهم يمثلون الأمة الاسلامية، لان منشورات إيران التى تتدفق تمثل جانباً واحداً، و تدافع عن عقيدة الشيعة و مذهبهم، وتهاجم عقائد السنة بدون خفاء، وبدون مصلحة سياسية، ويشف عن انتماءهم إلى جانب معين موقفهم مع الاخوان المسلمين، و صداقتهم مع الحكومة العلوية فى سوريا، وهجومهم على كل نظام، و يبدو الآن أن الطابع السياسى يغلب على الطابع الدينى، و بذلك يخشى أن تنكمش الثورة إلى ثورة كالثورات السياسية الأخرى التى وقعت فى كثير من البلدان الآسيوية و الافريقية للاستيلاء على الحكم.

وثنيـــة جـديدة

كان من مظاهر الخضوع للحضارة الغربية التى استمدت من الحضارة الرومية، و اليونانية، تقديس الأبطال و الخضوع أمام الجبابرة، و المستبدين، مهما اختار هؤلاء الجبابرة و المستبدون من وسائل الخداع والمكر، والبطش و الظلم، والقهر، وملأوا الدنيا بطشا، و أكثروا فيها الفساد، لأن القلوب التى جبلت على الخنوع و الاستسلام و العبودية لا تقدر على أن تخرج من جاذبيتهـا أو مدارها فتبقى فى الحصار المفروض عليها من هؤلاء الجبابرة.

كان هذا الخضوع للجبابرة سائدا فى عهد الامبراطوريات الرومية والفارسية التى كانت تخضع لطبقة أو لشخص من الأشخاص صعد إلى الحكم بدهاء وقهر للاعداء، و فرض نفوذه على الشعب، بوسائل القهر، و الخداع و سحر النفوس بالتضليل.

كان ذلك مفهوما فى عصر الجهل، والاستعمار و العبودية، فقد كانت الحقائق فى ذلك العصر مكتومـــة و كان العلم احتكارا، و كانت المكتبات تقفل لكيلا يستفيد منها إلا رجال معدودون من أصحاب النفوذ، و لم تكن هناك وسائل للاعلام و التوعية، و نشر الحقائق، و لم يكن أحد يتجرأ على الكشف عن الفضائح.

ولكن اليوم فقد عمت هذه الوسائل، فلا تخفى حقيقة، واذا حدث شيء فى ناحية

من العالم نقل على شاشة التلفزيون و شاهده ألوف من الناس ، و تصل الجرائد و الصحف ، وتصدر تقارير و بحوث تعالج كل موضوع ، وتناقش كل مسألة ، فلا يستطيع أى بلد أن يعيش فى انعزال أو فى ظلام و إن حاول ذلك ، سلطت عليه الأضواء ، سواء رغب فيه أم رفضه .

و قد تحرر الانسان من عبودية الأبطال و الحكام لأن هذا العهد هو عهد الحرية و العلم ، و المساواة ، و تقديس الأبطال يقوم على عنصرين أحدهما الجهل ، وآخرهما الشعور بالعجز ، ومركب النقص ، أويكون التقديس تقديساً صناعياً فيزول بزوال تلك الشخصية أو بسقوط ذلك البطل الصناعى .

و لكن رغم انتشار العلم ، وانتشار الحرية ، وتوفر فرص انكشاف الحقائق ، إذا أرادت بعض العقول أن تعيش فى ظلام تقدس أبطالها الخاسرين الذين أهانوا بلادهم و جلبوا لها الويل ، و بعد أن خلع كل من كان يعبده رباط العبودية عن رقبته واعترف أن عهد ذلك البطل كان عهد الظلم و الخداع والنكسات ، إذا أرادت هذه العقول أن تبقى فى الظلام و تظل تعبد تلك الشخصيات البائدة بعد كل لعنة صبت عليها من عبادها ، فلا يستطيع أحد أن يخرج هذه العقول من تلك العبودية أو يحررها من قفصها .

إن وجود الحركات الناصرية والكمالية والبعثية و غيرها من الحركات وتقديس بعض الناس لزعماء هذه الحركات رغم ما ارتكب هؤلاء الزعماء فى العالم العربى من هازل و مآسى لا يزال العالم العربى يتجرع مرارتها ، يدل على أن بعض العقول لا تقدر على أن تتعظ و تأخذ العبرة ، و أنها لا تقدر على أن تأخذ الدرس .

إن بعض المقالات ، و بعض البحوث و بعض الأحداث التى تقع فى العالم الاسلامى بصفة خاصة تدل على سيادة عقلية الخضوع والخنوع ، وتقديس الحكام ، وهى خطر كبير يجب أن يعالج نفسياً أكثر مما يحتاج إلى أن يعالج علمياً ، و أدبياً ، فقد تعدت هذه العبودية إلى الاعتقاد بالعصمة فى بعض الزعماء و القادة .

Albaas-el-islami
NADWAT-UL-ULAMA, LUCKNOW.(INDIA)

قام بالطبع و النشر جميل أحمد الندوي في مطبعة ندوة العلماء ـ رئيس تحرير : سعيد الأعظمي

الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

يصدرها: ندوة العلماء، لكهنؤ، الهند

أخي القــارىء :

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

حرصاً على تأمين و سلامة وصول المجلة إليك نرجو :

١- كتابة العنوان بالانجليزية و العربية كلتيهما فى ورقة خاصة ، كل حرف على حدة ، و إرساله إلينا .

٢- إرسال اشتراك بالقيمة المبينة أدناه باسم « البعث الاسلامى » مقابل عام واحد أو أكثر :

٣- أرفق شيك الاشتراك ضمن مظروف مسجل إلى العنوان المذكور أدناه .

الاشتراكات السنوية

فى الهند : ٤٠ روبية ، ثمن النسخة : أربع روبيات .

فى العالم العربى ١٢ دولاراً بالبريد السطحى ، ٢٥ دولاراً بالبريد الجوى .

فى أوربا و أفريقيــا و أمريكا : ١٢ دولاراً بالبريد السطحى ، ٤٠ دولاراً بالبريد الجوى .

فى باكستان و بنغلاديش و دول شرق آسيا : ١٢ دولاراً بالبريد السطحى ، ٢٥ دولاراً بالبريد الجوى .

A L B A A S E L I S L A M I

N A D W A T U L U L A M A

P. O. Box No. 93 LUCKNOW (INDIA)

أنشأها
فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله في شوال عام ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م

البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

رئاسة التحرير
سعيد الأعظمي الندوي
واضح رشيد الندوي

العدد السادس — المجلد التاسع والعشرون ★ ربيع الأول ١٤٠٥هـ — ديسمبر ١٩٨٤م

عنصر الحب

إذا استعرضنا المجتمع الاسلامى فى القرن الأول وجدناه مشرقاً بنور من الحب والأخوة و السلام ، والتاريخ الاسلامى حافل بأمثلة رائعة من هذه الناحية يندر نظيرها فى تاريخ الأمم الأخرى ، وإذا فكرنا اليوم فى أحوال المسلمين وأمعنا النظر فى الأوساط الدينية والهيئات الاسلامية واستعرضنا هذه المشكلات ، التى تعترض الركب الاسلامى فى كل مكان رأينا أن السبب لذلك هو عدم العناية بالحب والاستهانة بأهميته فى الدين الاسلامى وضرورته للمجتمع الانسانى .

فليتخذ شبابنا المسلم شعاره الأول « الحب و الاخلاص » ومهمته الأولى إذاعة الحب بين الناس حتى تنجلى تلك الظلمات الكثيفة التى أحاطت بالمسلمين هذه الأيام ، فهو حجر زاوية فى بناء الاسلام ، نادى به القرآن العظيم وندب إليه الرسول الكريم وعمل به المسلمون فى القرون الأولى .

[محمد الحسنى ـ رحمه الله]

في هذا العدد

★ الافتتاحية ★

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحيــة :

خطوة جريئة نحو تطبيق الشريعة

الجماهير المسلمة اليوم فى كل مكان تحن إلى الاسلام كعقيدة و شريعة ومنهج وسلوك ، وخاصة بعد ما تخلصت من تجارب الأنظمة الزائفة ، والمذاهب والأيدلوجيات الوضعية المادية ، و أخفقت فى البحث عن سعادة فيها ، إن ثقتها بمستقبل الاسلام عادت إليها من جديد ، وصح إيمانها بخلود هذا الدين ، واستمرارية عطائه الحضارى و التشريعى ، حينما جفت منابع النظم و الشرائع العلمانية ، و عجزت عن تقديم أى إسعاف فى المجالات الانسانية الحيوية .

و على رغم ما بذل من محاولات جادة فى سد المنافذ التى تسربت منها عيوب هذه المذاهب و النظرات ومواطن الداء فيها ، لم يخف على الناس ذلك الوجه الكالح الذى يختفى وراء الأسماء و المصطلحات البراقة ، و خاصة المخدوعين من المسلمين ممن كانوا يعيشون فى يأس عن مستقبل الاسلام و فى جو من التشاؤم ، فقد أتيح لهم فرصة جديدة لاعادة النظر فى منهج الحياة الذى جاد به الاسلام يوم كانت الحياة الانسانية واقفة على شفير من الفناء والدمار ، ففى كل بلد آثار ملحوظة لهذه اليقظة الاسلامية التى تجاوزت حدود المجالس الخاصة و الأحاديث الدينية إلى الندوات العلمية والمؤتمرات العالمية ، وحتى قرعت أبواب قادة الحكم ولفتت أنظار الحكام والسادة فى محافل السياسة ومنابر الأمم و معسكرات العالم .

لم يكن جهاد افغانستان الاسلامى إلا نتيجة لهذه الصحوة الاسلامية ، فان الموت لا يكون أحب إلى المسلم من لذة و نعمة فى الدنيا إلا فى مكان واحد فقط ، وهو الجهاد فى سبيل الله ، ولو لا هذا الجهاد كان خالصاً لابتغاء وجه الله لما استمر إلى اليوم ولما صمد فيه المسلمون بازاء عدو هو أضرى من السباع والوحوش ، ولكن نماذج البطولة الرائعة والتفانى فى سبيل إعلاء كلمة الله و الحنين إلى الشهادة ، تؤكد أن دين الله حى خالد إلى يوم الدين ، و أن شعلة الجهاد متوقدة فى النفوس ، و أن

الايمان يعمل عمله فى القلوب ، وسوف لا يستشعر أحد أى صعوبة فيما إذا أراد أن يقدر ما قد أودع الله فى الاسلام من صفات الكمال والشمول و الخلود فى كل عصر وجيل، ولعل أعداء الاسلام يعرفون هذا الواقع ثم ينكرونه لحاجات فى نفوسهم وآمال يريدون أن يحققوها، وكذلك الاصرار الكبير على تطبيق الشريعة الاسلامية فى باكستان ، و إعداد العدة لتحقيق هذا الغرض الأسمى على المستوى الرسمى ، و الاهتمام الكبير الجاد ببناء الحياة على أسس صالحة ثابتة من القيم الخلقية و المثل الاسلامية العليا ، لأوضح علامة على طريق الصحوة الدينية والعودة إلى الاسلام من جديد . و أكبر حجة على أن الاسلام إنما هو فوق جميع العلاقات الدولية والاعتبارات والمصالح السياسية، و أنه يغزو القلوب قبل أن يغزو الشعوب، و ناهيك ما قد نال هناك ، الهتاف إلى الاسلام من جديد، مكانته بين صفوف القادة من العلماء والحكام.

و يأتى مؤتمر السودان العالمى لتطبيق الشريعة الاسلامية الذى عقد فى الفترة من ٢٧/ ذى الحجة الحرام عام١٤٠٤هـ إلى غرة محرم عام ١٤٠٥هـ ، وعلى المستوى العالى حيث أعلنت الحكومة السودانية تطبيق شرع الله على جميع القطاعات والمستويات، وفعلا نفذت أحكام الشريعة ومضى على ذلك عام واحد تم فى خلاله منجزات هامة، من جلد السكران ، والقاذف ، وإجراء بعض الحدود ، و استبدال النظام الربوى فى البنوك من نظام المضاربة الاسلامى ، يأتى هذا المؤتمر المهم ضمن الصحوة الاسلامية التى أصبحت اليوم حقيقة ملحوظة ، وانبعث فيها المسلم اليوم يبحث عن ملامح شخصيته الاسلامية ويبنى مستقبل الأمة اللامع على أسس حقيقية ثابتة من الشريعة السماوية الأخيرة التى أنزلها الله سبحانه وتعالى عن طريق نبيه محمد ﷺ فى كتابه وسنة رسوله العظيم.

ليس هذا التوجه الاسلامى العظيم فى السودان إلا نتيجة للتجارب القاسية التى مر بها السودان عبر تاريخه الحافل بالأمجاد و البطولات ، كم ذاق فيه المسلمون مرارة الضغوط السياسة و الاقتصادية و سومات الحضارات المادية على أيدى الدهاة و القساة ، و لم يخرج السودان إلى ساحة هذه الانتفاضة الكبرى إلا بعد انصهاره فى بوتقة التجارب والتطلعات الجدية نحو النور والحرية، ولذلك لم يؤثر عليه التهديدات

السياسية و الاقتصادية ، و ظل يخطو إلى الامام فى المجال الذى أراده الشعب المسلم فى السودان وأراده الرئيس جعفر محمد النميرى الذى استهان بكل ذلك فى سبيل الغاية الأسمى والهدف العظيم ، وما لبث أن صرح فى بعض أحاديثه حول تطبيق الشريعة فى السودان ، بأنه لا يتمكن أي ضغط أو تهديد من حد خطوته هذه الجادة نحو الاسلام ، وكل مصيبة لجلل فى سبيل العودة إلى دين الله ، وإن التجأ الناس إلى أكل أوراق الشجر.

وقد افتتح المؤتمر الرئيس السودانى بتلاوة آى من الذكر الحكيم وهى كما قال الله تعالى : « أفغير الله ابتغى حكما و هو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين ، و تمت كلمة ربك صدقاً و عدلا ، لا مبدل لكلماته و هو السميع العليم ، و إن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله ، إن يتبعون إلا الظن ، و إن هم إلا يخرصون » وقد أوضح للناس منهجه القويم الذى وضعه لانجاز هذا المشروع العظيم و هو يمضى فى هذا الطريق من غير مبالاة بالمشكلات و العراقيل ، و بكل تصميم و تأكيد على تنفيذ أحكام الله تعالى على المسلمين فى جميع مجالات الحياة الفردية و الجماعية ، و فى القطاعات الشعبية و الحكومية .

و بالفعل فقد تم هناك بعض التنفيذات العملية فى المعاملات و العقوبات ، ففى ظرف سنة واحدة خلال عام ١٤٠٤هـ انخفضت نسبة الجرائم من ٤٠ ـ إلى ٦٠ فى المأة ، و لمس النـاس توافر الأمن و السلامـة فى طول البلاد و عرضها ، كما أن الزكاة وجدت طريقها إلى التنظيم الجديد فى ضوء الشريعة ، و تم العمل فى وضع أسس صالحة عملية فى الاقتصاد من التصدير و الاستيراد و الجمارك ، و تم تنظيم الخدمات العسكرية و المدنية بما و يتفق شرع الله .

هذه التجربة المباركة التى يمر من خلالها السودان حكومة و شعباً ليست أسطورة خيالية و لا تخطيطا يحلمه النائمون ، إنما هو واقع يعيشه شعب وبلد مسلم ، ويريد أن يطبقه على الحياة بكامل شعبها ونواحيها ، وقد واجه و يواجه ظروفاً مضادة من الدول والشعوب المادية التى لا ترضى للمسلمين أن يعودوا إلى شريعتهم أو يروها

صالحة للعمل ، و التطبيق فى عصر يسيطر فيه فكرهم و أسلوبهم على العالم ، ويخضع فيه الشعوب أمام عقولهم المادية و ما يملونه عليهم من إرادتهم القاهرة وما يفرضونه من ظلام و جهل عليهم ، و إن أقصى أمانيهم أن يبقى طريق النور و الهداية مسدوداً عليهم بكل ما أمكن من أسباب السد ، ومعمياً عليهم بكل وسائل التعمية والتضليل .

هذا إن دل فإنما يدل على ضيق تفكيرهم و تشاحن صدورهم بالحقد و العداء ضد الاسلام و المسلمين ، ولو أنهم أطلقوا عقولهم للتفكير فى هذا الحق المشاع الذى ليس ملكا لأمة دون أمة و إنما هو حق الجميع ، وهو الاسلام ، و لو أنهم أفسحوا صدورهم للفطرة التى تنور الطريق و تخرج الانسان من العيش النكد إلى ساحة العز و السعادة و الغلبة ، لو أنهم فعلوا ذلك لكان خيراً لهم قبل أن يكون لغيرهم ، و لامتدت منطقة نفوذهم من الدويلات و المستعمرات إلى العالم كله ، و لكنهم لا يفعلون ذلك لأنهم يخافون من الاسلام و يرونه أكبر خطر على سيادتهم و على مناطق نفوذهم و غلبتهم فى مختلف أنحاء العالم الذى يسكنه المسلمون ، و يظنون أن الاسلام دين المساجد و الزوايا ، و دين التزمت الفكرى ، لا يمكن من خلال ذلك الوثبة إلى العالم المتقدم فى مجالات العلم و الحضارة و السياسة و الحرية و الانفتاح الانسانى من كل نوع .

و لتقدير هذه الأحقاد السوداء والظنون السيئة التى تكمن وراء أفكار واتجاهات هؤلاء العلمانيين الماديين يجب أن ندرس ونتأمل فى الغزو العسكرى الوقح الذى يقوم به الاتحاد السوفياتى فى أفغانستان منذ أكثر من خمس سنوات و يحشد كل طاقاته و جنوده للقضاء على الجهاد الاسلامى و سحق المجاهدين الغيارى ، و لا يألو جهداً فى عمليات الابادة و التدمير و دوس الحقوق المشروعة بالأحذية رغم استنكار العالم لجميع الاجراءات و الانجازات الوحشية السبعية التى يقوم بها نحو المجاهدين والمسلمين الأفغان ، حتى إنه بهراوته الوقحة وغزواته الجوية والأرضية يتهدد باكستان و الدول المجاورة بفرض حروب عليها و استيلاء على مناطقها و خيراتها ، مما يثير تساؤلات أمام الضمير العالمى ويحدث مشكلات لا نهاية لها فى بلد لا حق له فيه.

وكيف كان دور الاعلام العالمى نحو مؤتمر السودان لتطبيق الشريعة ؟ هل هو دور التغطية الأمينة ، و إذاعة الحقائق على وجهها الأصيل ، أم أنه كان دور إخفاء الحقائق و تشويهها ، و إثارة الشكوك فى أذهان الناس حول تطبيق الشريعة فى السودان ، فبدأ الناس فى داخل السودان وخارجه على السواء يتساءلون عما إذا كان إعلان تطبيق شريعة الله لعبة سياسية أو ذريعة لتهدئة الأعصاب ، و قد ظن البعض أن ذلك استهلاك محلى قام به المسئولون عن الحكم هناك نظراً إلى بعض المصالح السياسية الخطيرة .

هذه بعض ثمار أجهزة الاعلام العالمى الذى يسيطر عليه الفئة المرجفة من أذناب و عبيد المعسكرات الكبرى فى العالم ، و لكن الحقيقة التى لا غبار عليها هو ما أعلن عنه الرئيس جعفر النميرى بمناسبة افتتاح المؤتمر فى خطابه التاريخى الذى عرض فيه الخطوط العريضة للسيرة الايمانيــة التى يقودها السودان ، و حدد معالم التوجه الاسلامى الذى قام به السودان حكومة و شعباً ، و أكد عزمه على المضى قدماً فى هذا الخط الاسلامى الواضح و تطبيق الشريعة الاســلامية فى جميع مناحى الحياة الفردية و الاجتماعية ، و تحدث عن الآثار والنتائج الايجابية التى أنتجه تطبيق الشريعة ، مع الشعور العميق بالسلامة و الرضا لدى الشعب السودانى ، و الانخفاض الملحوظ فى الجرائم ، و التحسينات الملموسة فى المشكلات الاقتصادية و الشئون الاجتماعية و المالية .

هل هذا كلام يكيله جزافا الرئيس النميرى وهو فى مركزه الكبير من رئاسة دولة إسلامية عريقة، أم أنها حقائق صارخة يعيشها السودان و يخطو بها نحو إقامــة دولة إسلامية نموذجية تمهد الطريق للعالم الاسلامى أجمع للسير فى هــذا المسار ، و العيش فى ظل السعادة و الأمن ، مع التخلص من تبعية الدول المادية و الاستغناء عن القوانين الوضعية و أوبئة المدنيات الزائفة ، و مع إعطاء نموذج عملى للمجتمعات البشرية كلها التى تترقب النجاة من خضم الحياة المصطنعة و التزاماتها الزائفــة ، وتريد أن تتنفس فى جو من الحرية و الهدوء ، وتخرج من تلك الأوهام و المخاوف

التى أقضت مضجعها و من العذاب النفسى الذى لا يسمح لها بتحمل المسئوليــة و أدائها فى أمانة و دقة ، و ذلك هو العذاب الأدنى الذى أشار إليه كتاب الله فى قوله : « ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون » .

تجربة السودان ليست محدودة الفوائد و النطاق إنما هى محاولة جادة عملية فى بناء الشخصية الاسلامية للانسان المسلم على جميع المستويات ، و دعوة صارخــة موجهة إلى جميع الشعوب و الدول و الأمم لتصحيح اتجاهها الخاطىء وتغييره باتجاه طبيعى سليم ، و لذلك فان زعماء الدول و قادة الشعوب ممن يرون إلى الاسلام بالمنظار الأسود مدعوون إلى دراسة هذه التجربة بالرؤية العادلة المحايدة ، و وضعها فى ميزان العدل والنقد من الوجهة الايجابية الخالصة ، عسى أن يجدوا فيها ما يساعدهم فى البحث عن حلول واقعية للشكلات التى يعانون منها ماداموا محايدين فى الحكم فيما يتمخض لهم من دراستها العميقة ، ذاك أن الاسلام ليس ملكا لبلد أو أمة بل إنه نعمة من الله للبشرية جمعاء ، أنزلها لهداية الانسان و سعادته ، ولكل زمان وفى كل مكان ، فلا يستبد بها قوم دون قوم ، و لاتختص بها بلاد دون بلاد .

شريعة الله تحتضن جميع الحلول و الردود لكل ما يعانى منه الانسان المعاصر من شقاء و متاعب و لكل ما تثيره الحضارات الحديثة و الأفكار و الأيدلوجيات المادية من تساؤلات و تناقضات فى الحياة الانسانية المتطورة و العالم المتغير .

شريعة الله ليست للسلمين وحـــدهم و للسودان و الأفغان و باكستان ، ولا للدول المسلمة وحدها ، بل إنها شريعة النوع البشرى فى كل بقعة من بقـاع العالم ، إنه الصراط المستقيم نحو العزة و الاستقرار . إنه الطريق المفتوح إلى الحياة الطبيعية الأصيلة .

فليقبل العالم الحديث على إجراء تجربة ممـاثلة ، ولو فى نطاق محدود أولا ، فاذا كانت التجربة ناجحة فليجرها على النطاق الأوسع ، و ليصدق شريعة الله وليزكها للانسانية جمعاء . (وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ، و لاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) . ؟

سعيـد الأعظمى

التوجيه الإسلامي

درس من قوم سبأ

سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

[محاضرة ألقيت في جامع المشهد بصنعاء في ١٩/ من شعبان ١٤٠٤هـ ٢٠/ مايو ١٩٨٤م ، في حفل كبير ملأ أرجاء الجامع الكبير نقدمها إلى قراء المجلة تعميماً للنفع] « التحرير »

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية ، جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم و بدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط و أثل و شئ من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا و هل نجازي إلا الكفور و جعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة و قدرنا فيها السير ، سيروا فيها ليالي و أياماً آمنين ، فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا و ظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث و مزقناهم كل ممزق ، إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور » (١) .

سادتي و إخواني ! إنني سعيد و مغتبط برؤية هذه الوجوه النيرة المشرقة التي اجتمعت في بيت من بيوت الله لسماع حديث من أخ مسلم نامت به الديار و حالت بينهم و بينه البحار ، و لا يعرفون عنه إلا ما قيل الآن وإلا ما عرفوه من خلال كتاباته المتواضعة ، إن هذا إن دل على شئ فانه يدل على القوة التي لا تزال كامنة في الاخاء الاسلامي ، كامنة في الرابطة التي تربط المسلمين بعضهم ببعض ، على بعد الدار و حيلولة البحار و قلة المزار .

إخواني ! إن الواقع أن الجو الذي أتحدث فيه كان يفرض على أن أبدأ بشئ

(١) سورة سبأ ١٥ - ١٩ .

يبشركم و يسركم و يسرنی ، و لست الرجل المتشائم ـ و الحمد لله ـ إنی بفضل الله تبارك و تعالى و بفضل هذا الدين الذی أدين به و تدينون به ، قوی الثقة كبير الأمل فی نصر الله تبارك و تعالى ، و فی صلاحية هذه الرسالة و خلودها ، و إنی و الحمد لله متفائل و مستبشر ، و لكن قرأت هذه الآيات لنتلقى منها درساً ، و الرسول كان بشيراً و نذيراً ، و القرآن فيه البشارة و الانذار ، و قد حكى الله سبحانه و تعالى حكايات الأمم السالفة و الحضارات البائدة و المجتمعات المندثرة لتكون عبرة لنا جميعا ، و لنتلقى منها دروساً ، و قد ضرب الله الأمثال و عرض النماذج المختلفة لأن فيها عبرة و درساً .

و هذه الآيات التی تلوتها عليكم لها نسب جغرافی و تاريخی (١) ـ لا أقول نسب آخر ـ لبلادكم ، و هی موضع العبرة ، لا لكم أيها الاخوان اليمنيون ، بل هی موضع عبرة و درس لكل مجتمع إنسانی ، و لكل بلد مسلم و غير مسلم ، فان هذه الآيات تعرض علينا حقيقة عالمية خالدة ، حقيقة نفسية إنسانية ، حقيقة تستحق التأمل و الدراسة ، هی حقيقة أن الانسان يسأم و يضيق صدره و يتخم من نوع واحد ، و إن كان هذا النوع النوع السامی الرفيع ، النوع الذی يتهالك عليه و يتقاتل فی سبيله العقلاء ، و الملوك و الأمراء .

و لكن من مواضع الضعف فی الطبيعة الانسانية أنه إذا خص بنوع خاص ، بنوع لذيذ عزيز ، كريم جميل ، و دام هذا النوع زمناً ، فانه يسأمه ويضيق صدره منه ، كما أن الانسان يتخم من مأكولات فيعافها و يزهد فيها ، كذلك الانسان يتخم

(١) تقع مأرب عاصمة مملكة سبأ فی شرق صنعاء على مسافة ١٧٣ كيلو مترا منها ، و كانت سبأ هی أقدم الدول اليمنية القديمة ، و أخلدها ذكرا ، و منها تسلسلت أنساب حمير و كهلان .

بالنعم و هذا الذى وصفه الله تبارك و تعالى بالكلمة البليغة ، البطر » : « وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها (١) » ، لم تكن فقيرة ، ولكن قد تضخم فيها الغنى وتضخمت فيها الثروات ، و توفرت وسائل الرفاهية و النعمة ، فبطرت معيشتها و اشتهت نوعاً آخر ، و إن كان نوعاً قاسياً يزهد فيه الانسان العادى الذى رزق سلامـــة الفطرة و صحـــة الفكرة ، و لكن من خصائص الانسان و من مواضع الضعف فى الفطرة الانسانية أنه إذا طال أمده بجو خاص و وضع خاص ، اشتهى نوعا آخر ، وقال قد سئمنا هذا الرخاء و هذا التوسع فى المطاعم و المشارب، و هذه النعم التى تتدفق علينا صباح مساء ، و التى تتقلب فى أعطافها و نتأرجح فى أرجوحتهـا ، و ننعم فى ظلالها ، لا حاجة لنا فى هذه النعم ، نريد تجربة أخرى ، نريد التقشف و المشقة والتعب .

هذا موضع ضعف فى الطبيعة البشرية ، كانت و لا تزال ، و قد حذر الله منها ، أنه دائماً يحث على الشكر على النعمة ، حتى يقول لرسوله الحبيب : « و أما بنعمة ربك فحدث » (٢) «لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد (٣) » هنا قص الله علينا قصة قوم سبأ ، و قصة قوم سبا هى القصـــة الخالدة التى تصور جانباً دقيقاً عميقاً من جوانب الطبيعة البشرية يجب أن لا نتغافل عنها ، بل نعتبر بها ، لأن الله سبحانه تعالى إنما قص علينا القصص للاعتبار فقال : « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه و تفصيل كل شئ و هدى و رحمـــة لقوم يؤمنون » (٤) و قال : « فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » (٥) ، و قال : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن » (٦) ، والقرآن ليس تاريخ الحضارة الانسانية، إنه يقص علينا قصص

(١) سورة القصص ٥٨ . (٢) سورة الضحى ١١
(٣) سورة إبراهيم ٧ . (٤) سورة يوسف ١١١ .
(٥) سورة الاعراف ١٧٦ . (٦) سورة يوسف ٣ .

الشعوب القديمة و الحضارات و المجتمعات الماضية لتكون لنا عبرة ، و لأن هنالك عاثلات عجيبة ، هى موضع تأمل علماء النفس ، و رجال الحكمة و أصحاب الاختصاص فى التاريخ البشرى ، وكذلك موضع دراسة وعبرة لقادة الأمم والشعوب والباحثين و الأساتذة الكبار ، و إن الحكمة الالهية تعرض علينا صورة دافقة بالحيوية بارزة الملامح و القسمات ، صورة بارعة تنطق بلسانها، إلى أى درجة وصل قوم سبأ من السعادة والرخاء الذى يتمناه الانسان ، و يجاهد فى سبيله الفاتحون ، و المؤسسون للحكومات « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية ، جنتان عن يمين و شمال، كلوا من رزق ربكم و اشكروا له ، بلدة طيبة و رب غفور، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم، وبدلناهم بجنتيهم جنتين ، ذواتى أكل خمط و أثل و شئ من سدر قليل » (١) .

القرآن يضع أصبع الانسان على الوتر الحساس: على موضع الداء ، لماذا جاءهم هذا البلاء ، لماذا انتزع الله عنهم هذه السعادة و هذا الرخاء العظيم الذى يتقاتل فى سبيله الملوك ؟ إن القرآن يضع أصبع قارىء القرآن كما يضع الأستاذ أصبع تلميذه الصغير على حروف الهجاء فى الكتاب ، فيقول تعالى : « وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير ، سيروا فيها ليالى وأياماً آمنين» (٢) . يقول المفسرون إن مساكن سبأ كانت لطيفة الهواء حسنة التربة لا تحدث فيها عاهة ، و لا يكون فيها هامة حتى إن الغريب إذا حلها و فى ثيابه قمل أو براغيث ماتت ، و قد جعل الله بينهم و بين الشام قرى ظاهرة و جعل نسبة بعضها إلى بعض على مقدار معين من السير ، فلا يحتاج مسافرهم لحمل زاد ولا ماء ولا مبيت فى أرض خالية و لا يخاف من عدو و نحوه ، بل حيث نزل وجد ماء أو ثمراً و يقيل فى قرية و يبيت فى أخرى بمقدار ما يحتاج إليه فى سيره ، حتى إن المرأة كانت تمشى

(١) سورة سبأ ١٥ ـ ١٦ (٢) سورة سبأ ١٨ .

تحت الأشجار على رأسها مكتل أو زنبيل و هو الذى تخترف فيه الثمار فتساقط فيه من الأشجار فى ذلك ما يملؤه من غير أن يحتاج إلى كلفة و لا قطاف لكثرته و نضجه و استوائه (١) .

ولكنهم سئموا ما كانوا فيه من النعمة و الغبطة و العيش الهنئ الرغيد والبلاد الرخية ، و الأماكن الآمنة و القرى المتواصلة (٢) ، فطلبوا تبديل اتصال العمران و فضلوا المفاوز و القفار ، و قالوا أيش هـذا السفر ؟ نقرأ فى كتب الرحلات (و إن كان زمناً متأخراً قالوا فى رحلات سندباد البحرى و لكن الزمن متقدم) أو نسمع عن الجوالين و الرحالين أنه كانت القوافل تمشى و تخاف المغيرين و كانوا يأخذون الخريت و الحرس معهم ، و يحملون السلاح لصيانتهم و بعد ذلك يبيتون ليالى ويحرسهم الناس ، ثم يمشى واحد و يأتى بالحطب ويشعل النار ثم يطبخ ويضع عليها القدر و يغلى ، ثم يطبخ الطعام ثم يأكله ، نقرأ هـذه الحكايات بلذة ، هذه كانت رحلات فى الحقيقة ، رحلات هى تجارب و مغامرات ، رحلات فيها تنوع و تفنن ، ينتقل الانسان من راحة إلى تعب ، و من تعب إلى راحة ، نحن سئمنا هذا ، نمشى فى ظلال الأشجار ونأكل من الثمار بطريق تلقائى ، لا ، ما نريد هذا ، نريد الأسفار المتعبة ، نريد الصحارى الموحشة و الأراضى القاحلة ، نريد المشقة ، نريد المغامرات ، نريد المخاطر .

هذا من ضعف الفطرة البشرية ، بدل أن يحمدوا الله تبارك و تعالى على هذا و يبقوا فى هذا النعيم إلى أن يشاء الله ، طلبوا العكس قالوا « ربنا باعد بين أسفارنا » (٣) كما أن الحجاج فى هذا العصر يقولون أيش هذا الحج ؟ أيش هذه

---

(١) مستفاد من تفسير ابن كثير و روح المعانى .

(٢) اللفظ لابن كثير . (٣) سورة سبا ١٩ .

الرحلات المتنعمة ، نرید أن یعود الزمان الماضی و نرکب الابل و یموت بعض الناس عطشاً لعدم وجود الماء ، لا لذة فی الحج الآن ، نرید تلك الأیام التی کان مآت من الناس یموتون عطشاً فی عرفات و فی منی ، و کان یغیر علیهم البدو .

فماذا کانت العاقبة ؟ عاقبهم الله سبحانه وتعالی بسلب هذه النعم کلها و بدل بها تلك الأسفار الشاسعة الخطرة ، فقالوا ربنا باعد بین أسفارنا ، وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحادیث و مزقناهم کل ممزق » .

هذه قصة ربما یتخیل الانسان أن هذه قصة بسیطة ، و ربما یشك فیها کثیر من الناس ، کیف تمسخ الطبیعة البشریة إلی هذا الحد ، هل تصل الطبیعة البشریة فی أمة متمدنة کقوم سبأ إلی هذه النهایة ، إلی هذا من المسخ و الانحراف و من الاعوجاج و الفساد ؟ ، تستبعد هذا ، و لکن القرآن قد حکی لنا هذه القصة ، و القرآن هو کتاب الله، والرسول لا ینطق عن الهوی إن هو إلا وحی یوحی .

لا یا إخوانی ! التاریخ یصدق هذا، والواقع یصدق هذا فهنالك شعوب نعرفها، أنعم الله علیها النعم و أغدق علیها النعم و أمطر علیها شآبیب من الراحة و الرخاء ومن رغد العیش و هناء الحیاة ولینها ، ولکنها عادت سئمة ضیقة الصدور من هذا الرخاء ترید الفقر وترید المخاطر وترید ضنك العیش و ترید تفرق الکلمة و ترید أن تجرب حیاة قاسیة ، حکی لی بعض الاخوان الثقات أن بلاداً سعیدة أکرمها الله بشتی کثیر من النعم والخیرات ، قال بعض رجالها المثقفین لبعض زعماء البلاد التی أخذت بالنظام الاشتراکی و الشیوعی و هی بلاد فقیرة ، شیوعیة منحرفة عن الدین و عن الخط السلیم ، قال هؤلاء لهم : إن عندنا غنی و عندکم فقر ، عندنا دین و عندکم کفر ، اعطونا فقرکم و نعطیکم غنانا ، اعطونا کفرکم و نعطیکم دیننا . هذا حق ، سمعته أنا بطریق لا یشك فیه ، و هذا اعوجاج الفطرة البشریة کان و لا یزال ، و القرآن

لا يتعرض لذكر شئ إلا و هو صالح للعودة و البقاء، أما الأمراض التى انقرضت و لا تعود أبداً ما تعرض لها القرآن ، الذى يدرس القرآن دراسة عميقة يعرف أن القرآن ما ذكر من مواضع الضعف فى الفطرة أمراض الأمم البائدة و الشعوب المنقرضــة الزائلة إلا ما هو من مواضع الضعف فى الفطرة البشرية ، و هو إما موجود و إما يعود .

فالقرآن يحكى لنا قصة سبأ ، إن الله الحكيم الخبير العليم يعرف أن هنالك شعوباً و هنالك مجتمعات تسلك نفس الخط ، تسلك نفس الطريق ، بطر ، بطر ، الله سبحانه و تعالى يعطيها ما تحتاج إليه و لكنها تكفر بنعمة الله ، و تريد البؤس و تريد الفقر و تريد المخاطر و المهالك و تريد القسوة و شظف العيش ، لماذا ؟ لا تخامها و سأمتها من هذه النعم وبتأثير الدعايات وبتأثير المغريات المضللة وبتأثير العوامل الاجتماعية و العوامل الخارجية و السياسية تتمنى أن تعود إلى الفقر وضنك العيش و الضيق و الشدة ، كذلك سجل القرآن هذه الحكاية التى لا يحويها كثير من كتب التاريخ لأن سبيل كتب التاريخ غير سبيل القرآن، إنها تعنى بما يختص بالبلاد و بالملوك و بالوزراء و الحروب و الغزوات، أما ما كان فى صالح الانسانية وماكان فيه درس للدارسين و المعتبرين فلا ، و لكن القرآن بالعكس من ذلك لا يعنى بهذه الحكايات ، حكايات تقلبات الأمم و تبدل الحكومات و الفتوح و الغزوات ، هذا موضوع التاريخ و لا بأس ، و لكن القرآن يعنى بأمراض البشرية يعنى بمواضع الضعف فى الطبيعة الانسانية ، يعنى بما فيه عبرة وما فيه درس للانسان فى كل مكان و فى كل زمان .

إن الذى أخشى (أقول بصراحة) على المجتمعات الاسلامية الكثيرة هنا وفى آسيا فى شبه القارة الهندية وفى أوربا و فى أمريكا هو البطر : « و كم أهلكنا

من قرى بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا و كنا نحن الوارثين (١) » ، إننا نفهم و نشهد ونؤمن بأن ما قاله القرآن هو حق و يمكن أن يرى فى مرآة الشعوب المعاصرة و بعض المجتمعات الموجودة .

إخوانى ! يجب أن نستعرض حياتنا فى ضوء القرآن ، يقول القرآن : « لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون (٢) » ، يعنى فيه الحديث عنكم ، فيه تصويركم ، كان سيدنا الأحنف بن قيس رحمه الله من أخص أصحاب سيدنا على رضى الله عنه و سيد قومه ، مرة جالساً ، إذا به يسمع إنساناً جالساً قريباً منه يقرأ القرآن ، فاذا هو يقرأ : « لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون » فانتبه ، كأنه كان نائماً ، قال : « لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم » هل فى القرآن حديث عنى ؟ ، على بالمصحف على بالمصحف ، فحضر المصحف فصار يقلب الصفحات يفتحه من غير قصد ، فاذا به يمر بقوم يقول الله تبارك وتعالى عنهم: « قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، و الذين هم عن اللغو معرضون ، و الذين هم للزكاة فاعلون (٣) » قال : اللهم لا أجد نفسى فى هؤلاء ، و مر بقوم يصفهم الله تعالى و يقول : « وعباد الرحمان الذين يمشون على الأرض هونا ، و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما (٤) » قال اللهم لا أجد نفسى فى هؤلاء ، أنا أصغر من هؤلاء ، ثم مر بقوم يقول الله تبارك و تعالى عنهم : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً (٥) » قال اللهم إنى لا أجد نفسى فى هؤلاء ، ثم قلب الصفحات فاذا به يمر بقوم يصفهم الله تبارك و تعالى بصفات معاكسة فيقول : ما سلككم فى سقر ،

(١) سورة القصص ـ ٥٨ . (٢) سورة الأنبياء ـ ١٠ .
(٣) سورة المؤمنون ـ ١-٤ . (٤) سورة الفرقان ـ ٦٣ .
(٥) سورة السجدة ـ ١٦ .

قالوا لم نك من المصلين ، و لم نك نطعم المسكين ، و كنا نخوض مع الخائضين ، و كنا نكذب بيوم الدين ، حتى أتانا اليقين (١) » قال اللهم إنى أعوذبك من هؤلاء ، ولكن أين أنا ، أين صفتى؟ ، و يقلب الصفحات ويقلب ، حتى مر بقوله تعالى : « و آخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحاً و آخر سيئاً ، عسى الله أن يتوب عليهم ، إن الله غفور رحيم (٢) » قال اللهم إنى هنا ، اللهم إنى هنا »

هكذا يجب أن نقرأ القرآن و نستعرضه و نستفسره و نستوضحه و نستوحى منه واقع الحياة و نبحث عن مكاننا فى هذه المجموعة من صور الأمم و من صور المجتمعات البشرية والنماذج الانسانية ـ و القرآن مرآة وضيئة نرى فيها وجهنا فنمسح ما فيه من غبار ومن تراب و من وصمات ـ ونعرف مواضع هذه الوصمات فنغسلها .

إخوانى ! أقول لكم ولا أريد أن أطيل عليكم : يجب علينا أن لا نبطر ويجب علينا أن نحمد الله على النعم ، و أن نضعها فى مواضعها الحقيقة ، لا نبطر ولا نكون كما يقول الله تبارك و تعالى : « و إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً (٣) » ، لا نكون من المترفين و لا نكون من البطرين و لا نكون من الجاحدين للنعم و لا من الكافرين بالنعم ، و لا نكون من الذين يقول الله تبارك و تعالى عنهم : « ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفراً و أحلوا قومهم دار البوار (٤) » ، هذا تبديل « بدلوا نعمة الله كفراً » كما قال بنو إسرائيل لما أنزل الله عليهم المن و السلوى و كان من ألذ الأطعمة ، قالوا تتمنى القثاء و الفوم ، و العدس ، و البصل : « و إذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها و قثائها وفومها و عدسها

(١) سورة المدثر - ٤٢ ـ ٤٧ . (٢) سورة التوبة ـ ١٠٢ .

(٣) سورة الاسراء ـ ١٦ . (٤) سورة إبراهيم ـ ٢٨ .

و بصلها ، قال أ تستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ، اهبطوا مصراً فان لكم ما سألتم (١) » ، هذه هى الطبيعة البشرية، فاذا أنعم الله عليكم بالنعم فارجعوا إلى الله تبارك و تعالى و احمدوا الله على الموجود و اطلبوا منه المزيد ، و لكن لا تكفروا بنعم الله ولا تبدلوا نعمة الله كفراً ، ولا تتورطوا فيما تورط فيه غيركم من الشعوب و البلاد ، فهم فى عذاب أليم و فى بؤس و شقاء وفى جحيم ، فأتتهم كل نعمة حتى حرموا لقمة العيش و أصبحوا متشككين متذمرين متشائمين لا يثق احد بأحد حتى لا يثق الأخ بأخيه ، و لا يثق الزوج بزوجته ، كل إنسان ينظر إلى أخيه بعين الشك، حتى فى الخلوات لا يستطيع الانسان أن يبوح بما فى ضميره، يرى يميناً و شمالا ، لعل الجدران تسمع ، ولعل هنالك مسجلا ، و يخاف أن تعد عليه الأنفاس ، فيقال له أنت تنفست كذا كذا من الانفاس، أصبح المجتمع مجتمعاً معذباً منكوباً .

هذا الذى نخشاه على المجتمعات الاسلامية فى البلاد الاسلامية التى أكرمها الله بالأمجاد و البطولات و بالصحابة رضى الله تعالى عنهم ، وطئوا أرضهم ونشروا فيها الاسلام ، و ربطوا المجتمع بالاسلام ، و كان لهـــذه البلاد و لهذه المجتمعات دور عظيم فى تاريخ الاسلام و فى تاريخ الدعوة الاسلامية و فى تاريخ الفتوح الاسلامية و شهد لهم العالم الاسلامى بالايمان و الفقه و الحكمة ، و أكثر من ذلك شهد لهم الرسول ﷺ بالايمان فقال ، « أتاكم أهل اليمن ، أرق أفئدة و ألين قلوباً ، الايمان يمان و الفقة يمان ، و الحكمـــة يمانية » أ يستبدل المجتمع اليمانى من كل هذا بماذا ؟ بالشك و الريب و التهم و التعذيبات و المضايقات و المحاكات و الاجلاء و النفى و التشريد و التفنيك و التقتيل ؟ ، فأحذركم مما حذر الله تبارك و تعـالى فى القرآن

(١) سورة البقرة — ٦١ .

فقال : « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين و شمال، كلوا من رزق ربكم و اشكروا له ، بلدة طيبة و رب غفور، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا و هل نجازى إلا الكفور (١) » .

علينا بالمشى على الخط السليم الشرعى الدينى ، نتبع الشريعة المحمدية الاسلامية الغراء و نحكمها فى حياتنا ، إننا نطالب بتحكيمها فى الخارج ، و هذا صحيح ، ولكن نحكمها فى نفوسنا أولا ، نحكمها على رؤوسنا و فى نفوسنا و فى الحياة الداخلية المنزلية و بيننا و بين أفراد أسرتنا و معاملاتنا الفردية و الاجتماعية ، هنالك يقدر الله تبارك و تعالى تحكيم هـــذه الشريعة فى الحكم و المعاملات و فى التجارة و فى الخارج ، لا ملجأ ولا منجا لنا من الله إلا إليه ، قد وصلنا إلى الدرجة التى وصفها الله تبارك و تعالى بقوله ، « ضاقت عليهم الأرض بما رحبت و ضاقت عليهم أنفسهم و ظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه (٢) » ، هذا الوصف الذى ينطبق على كثير من البلاد الاسلامية ، فلا ملجأ من الله إلا إليه، ففروا إلى الله ، كما يقول القرآن .

أشكركم على هذا الاجتماع الكبير و الجم الغفير من المستمعين الكرام و ادعو الله لى و لكم بالعافية ، يا إخوانى ! أطلبوا من الله أن يوفقكم و يوفقنا جميعاً للشكر على النعم ، و تتعوذون من البطر و من الكفر و الكفران بالنعم و من تبديل نعمة الله بنقمة الله — و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته .

---

(١) سورة سبأ ١٥ — ١٧ . (٢) سورة التوبة — ١١٨

الصحوة الاسلامية
و كيف يخططون لوقفها ؟

بقلم الأستاذ علي القاضي

يلاحظ المتأملون فى العصر الحديث نهضة شاملة فى البلاد الاسلامية تعمل على تصحيح المفاهيم التى عمل الاستعمار على طمسها و تغيير عقول أبناء المسلمين بحيث تفهم الاسلام على أنه المسجد بمفهومه الضيق ، أما ميداناً للحياة الاجتماعية والاقتصادية و السياسية والعسكرية و غير ذلك فيترك للمفاهيم الغربية ، و بذلك يبقى الاستعمار الفكرى و يبقى المستعمرون من خلال أبناء المسلمين الذين يفهمون الاسلام كما يريد الغربيون .

و قد نشطت أجهزة الدعاية و الاعلام و أجهزة المخابرات الغربية لتراجع حساباتها و تحاول أن تعرف مكمن الخطر عليها حتى تعمل على درئه ، وقد أعلن «جيمس كالاهان» رئيس وزراء بريطانيا الأسبق بأن قضية الشرق الأوسط والوضع فى إيران و تركيا و ظهور الشعور الاسلامى ستكون من الموضوعات الأساسية التى سيتطرق إليها البحث فى المؤتمر الرباعى فى «غواديلوب» كما أن كيسنجر دعا الولايات المتحدة و أوربا و اليابان إلى تحديد استراتيجية شاملة لمواجهة خطر الانهيار التدريجى للحكومات الموالية للغرب فى الدول النامية .

و فى اسرائيل عقد معهد شيلوح بجامعة تل أبيب، ندوة موضوعها (هل هناك احتمال لحدوث يقظة إسلامية بين المسلمين فى إسرائيل) ولشارون رأى يتلخص فى

أنه ما من قوة فى العالم تضاهى قوة الاسلام و قدرته على اجتذاب و تحريك الجماهير و قال :

« و إن الاسلام يشكل قاعدة الحركة الوطنية عند العرب » .

و يقول كيسنجر : لقد تغيرت الأمور الآن بعد ما ظهر من مصدر للخطر على إسرائيل فى الحركة الاسلامية - كما تقول صحيفة التايمز «تحذر من الحركة الاسلامية» و الغرب أمام خطر سيجعله يدفع الغالى و النفيس » .

صحوة إسلامية عامة :

والصحافة الغربية تحس بأن هذه صحوة إسلامية عامة فى جميع البلاد الاسلامية و ترى أن فى هذا خطراً على الاستعمار وفى الوقت نفسه خطر على الزعماء الوطنيين الذين يسيرون فى فلك الغرب — و هم لذلك يثيرونهم ليقضوا على هذه الصحوة... تقول صحيفة الجارديانا البريطانية «إنه لتهديد واسع الخطر يأتى إلى الزعماء الوطنيين، أن البعث الحالى يملك من القوة الكبرى ما لم يدركه المسلمون الماديون و الغرب إلا مؤخراً — ثم تقول « أما العوامل النفسية التى أعطت هؤلاء المسلمين المتمسكين بعقيدتهم حياة جديدة من خلال السنوات الأخيرة فهى عوامل معقدة — و لكن اثنين منها لهما أهمية بارزة :

الأول : هو إدراك أن الغرب الذى كان على قدر من القوة يبدو الآن غارقاً فى المشاكل و الأزمات .

و الثانى : ناشئ من أخطار القومية العلمانية فى العالم الاسلامى نفسه .

الغربيون دخلاء :

وتقول صحيفة التايمز اللندنية : «ليست هذه الصحوة مقصورة على مصر بالطبع — فهنالك نسخة أكثر وضوحاً فى باكستان — و هناك علامات على وجودها فى

اندونيسيا ومؤثرات على انبثاقها فى بعض مناطق الاتحاد السوفيتى — وأما إفريقيا — فقد أحرز فيها الدين الاسلامى بعض التقدم على المسيحية والمعتقدات الأخرى المختلفة و على المستوى الدولى فقد أحرز ازدياد الشعور الاسلامى التضامنى بعد أن احتلت اسرائيل القدس الشريف ثم تقول :

« إن المسلمين يكرهون الغرب لأنه برز و اشتهر على حساب المد الاسلامى و فرضوا عليه كل أنواع الخزى و العادات السيئة » و تختم الصحيفة مقالها قائلة : إن العالم الاسلامى يعتريه اليوم تطلع و حاجة لتأكيد ذاته و هويته فبعض أجزائه يرد بعنف على الماركسية و فى الأجزاء الأخرى تركز رد الفعل الشديد على الثقافة الرسمالية الغربيـــة التى تعتبر خطرها أكبر من خطر الماركسية » ثم تصيح الصحيفة محذرة منذرة « الغرب اليوم أمام خطر سيجعله يدفع الغالى و النفيس بسبب عجرفته الماضية و نجاحه السابق » .

عن تركيا يقولون :

صحيفة «الهيرالد تريبون» تعبر عن القلق الذى بدأ يساور المسئولين فى الولايات المتحدة من جراء هذه الانتفاضة الاسلامية — ثم تشرح الأخطار التى تهدد اسرائيل من جراء البعث الاسلامى .

وقد كتب الصحفى « برجر » فى صحيفة « الهيرالد تريبيون » عن حزب السلامة الاسلامى فى تركيا فقال : « هو حزب قديم يمثل مجموعة دينية تخاطب غرائز القرون الوسطى من جماهير فلاحين واسعة غير متعلمة » و يلاحظ أن الحزب حديث ـ و لكن الصحفى يوحى بأن غرائز القرون الوسطى متخلفـــة على نحو ما كان فى الغرب و أن الانتشار الاسلامى لا يكون بين المتعلمين و يقول أيضاً عن حزب العمل القومى و هو إسلامى أيضـــا « أما حزب العمل الذى يرأسه ألب أرسلان

بتركيا و هو ضابط سابق فهو حزب فاشى جديد يضم عناصر عنصرية و شوفينية و يداعب مشاعر العظامة لدى البسطاء و يسلح أنصار الشبان بالأسلحة الارهابية ، و هكذا يتهم الحزب بعدة تهم منها : أنه يداعب مشاعر الفطرة لدى البسطاء و أنه يسلح أنصاره الشبان بالأسلحة الارهابية — و هو بهـذا يثير الحكام على الحزب لخطورته عليهم .

الاسلام هو الخطر عليهم :

إنهم يبحثون عن سبب هذه الصحوة فيبدون أن السبب هو الاسلام والقرآن و السنة — و هذا هو الخطر عليهم — الخطر الذى يهدد مستقبلهم فى العالم الاسلامى فهم لذلك يعملون على القضاء عليه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، تقول الجارديان : « إن لب المعتقدات الاسلامية هو لب إدراك المعانى الحقيقية فى الدين و اعتباره نظاماً كاملا مستق من القرآن و السنة — و القرآن يضع الأسس اللازمة لكل وجه من أوجه الحياة الشخصية و الاجتماعيـة و السياسية على أن انتقاد المؤمنين هؤلاء للحضارة الغربية و للتحرر فى العالم الاسلامى له مبرراته — حيث يرى بعضهم فى العودة إلى القيم الاسلامية طريقاً للخروج من مأزق العالم المادى الذى يسود حضارة العصر التكنولوجى المثقل بالتعقيد والهموم ، ويرى البروفيسور شارون مستشار رئيس الوزراء الاسرائيلى للشئون العربية : إن المساجد هى الخطر فيقول (إنه ما من قوة فى العالم تضاهى قوة الاسلام من حيث قدرته على اجتذاب و إثارة الناس وإنه يشكل القاعدة الوحيدة للحركة الوطنية الاسلامية) و يضيف قائلا : إن المساجد هى دائماً منبع الدعوة — دعوة الجموع العربية إلى محاربة الوجود الصيهونى » وهكذا يأخذ الرجل زاوية المساجد لأنه يراها خطراً على الوجود الصيهونى فى الأرض المحتلة — و هو بذلك يريد رسم الطريق للقضاء على هذا الخطر — كما يراه .

كيف يواجهون الخطر الاسلامى :

ماذا يفعلون إذن؟ لابد من حل لهذه المشكلة، وقد تولت صحيفة الأيكونمنست البريطانية فى عددها الصادر فى ١٩٧٩/١/٢٧م نشر دراسة عن الاسلام رسمت فى آخر الأسلوب الذى تراه ، و هو محاولة فصل الدين عن السياسة فقالت : لماذا يبقى الاسلام بالذات مؤثراً فى الحياة السياسية و الاجتماعية ، بينما لا تمتلك الأديان الأخرى ، المسيحية و البوذية ذلك التأثير ، و فى نهاية الدراسة قالت : إن مشكلة العالم الاسلامى لن تحل إلا إذا خرجت دولة أو اثنتان من أسلوب التوفيق بين الدين و السياسة إلى مرحلة ما بعد الدين ، كما حدث فى أوربا عند ما خرجت إلى مرحلة ما بعد الكنيسة ، فاذا نجح الطريق فسوف تسلكه الدول الأخرى .

وصحيفة «الصنداى تلغراف» البريطانية تبين كيف انتهى التهديد العسكرى الاسلامى بعد الحرب العالمية الأولى وكيف تغير هذا الوضع الآن وترى اللجوء إلى القوة العسكرية و السلاح الاقتصادى و ما إلى ذلك فتقول : بعد زوال الامبراطورية العثمانية فى نهاية الحرب العالمية الأولى انتهى التهديد العسكرى الاسلامى و حل محله الوجود البريطانى فى الشرق الاوسط و نتج عن ذلك انتشار الأفكار و القيم الغربية وتغلغلها داخل الروح العربية وظهور جيل من القادة العرب متشوق لانتهاج الأسلوب الغربي — و لكن يبدو أن الدول الاسلامية تنفتح على العالم بدون تبن للنظم المعاصرة — كما أن بعض أجزاء العالم الاسلامى تشهد عملية تجديد للاسلام بين شعوبها مما يعتبر خطراً جديداً يجب البحث عن وسيلة مناسبة للتصدى له و حتى يتم ذلك فانه من الممكن اللجوء إلى القوة العسكرية — فالاسلام يدعو إلى تجديد الجهاد مما يحكم على المسيحيين بالانقراض و الفناء .

و قالت المجلة فى عددها الصادر فى ١٩٧٨/١٢/١٧ تحت عنوان : مواجهة

الخطر الاسلامى : ان من بين الوسائل الممكنة استعمال القوات المسلحة لأن ترك الانبعاث الاسلامى يتحول إلى نوع من الجهاد ، و دون أن نواجهه بكل قوتنا سيؤدى إلى القضاء على مصالحنا ، بل و القيم التى نعتز بها » كما دعت إلى استعمال الاقتصاد أيضاً ، و دعت الغرب إلى التحرر من عقدة الذنب التى خلفتها عهود الاستعمار ـ و انتقدت الصحيفة بشدة المسؤلين الغربيين الذين فوجئوا بالظاهرة الاسلامية لأنهم لم يدرسوا الاسلام كما كان يفعل المسؤولون الغربيون فى القرن الماضى وحتى بداية هذا القرن .

خطر الجهاد فى نظرهم :

وصحيفة الجويسن كرنكيل الانجليزية اليهودية الأسبوعية الصادرة فى ٥/ ١/ ١٩٧٩ تثير الشرق والغرب ضد اليقظة الاسلامية ، وإلا فان الصحوة الاسلامية ستنتزع توازن قسم كبير من الكرة الأرضية ، تقول الصحيفة « سوف يصبح الجهاد الاسلامى عاملا فى سياسات القوى الدولية بما فى ذلك من نتائج خطيرة على بقية العالم ـ بما فى ذلك الاتحاد السوفيتى ، ومن غير المحتمل أن يحمل هذا الموقف فائدة طويلة للاتحاد السوفيتى بل العكس تماماً هو الصحيح ـ فدور الاسلام فى الحياة اليوميـــة لمئات الملايين فى قارتى إفريقيا وآسيا كانت تتجاهل حتى الآن حسابات المطلقين الغربيين المهتمين بقضايا عملية تتعلق بامدادات النفط و السياسة و الأمن - و لكن صانعى السياسة فى الغرب يكونون قصيرى النظر إذا أهملوا هذه الظاهرة التى تتدرج فى صلب الاستفزازات الاسلامية الجديدة حيث لا يوجد فقط فى الأنظمة المعتدلة فى العالم العربى وإنما أيضاً فى الأنظمة الأكثر راديكالية .

و إذا ألقينا نظرة شاملة وجدنا أنه ليس فى وسع الغرب و لا حتى الاتحاد السوفيتى أن ينظر بلا مبالاة إلى الوعى الذاتى المتنامى و الثقة بالنفس عند المسلمين

اللتين إذا اخطىء توجيهما أو التحكم فيهما يمكن أن تزعزع توازن قسم كبير من الكرة الأرضيــة .

وقد نشرت صحيفة «واشنطن بوست» إن البيت الأبيض كلف وكالة المخابرات الأمريكية بالعمل على دارسة الحركات الدينية فى العالم الاسلامى كله ـ و إن هــذه الدراسة طلبها بريجنسكى مستشار البيت الأبيض لشؤن الأمن القومى ـ سابقاً ـ .

و الآن : ما ذا نفعل حتى نستطيع أن نقف أمام هذه المؤامرات ؟ .

لا بد أن نكون متنبهين إلى الأخطار المحيطة بنا .

و الأخطار الآتية من الشرق و الأخطار الآتية من الغرب و الأخطار الآتية من اسرائيل والأخطار الآتية من أبناء المسلمين الذين تربوا تربية غربية وآمنوا بهــا .

و لا بد أن تكون العودة إلى الاسلام كاملة : عقيدة وشريعة وتربية و سلوكا و نظاماً .

الاسلام الذى جاء به محمد ﷺ و الذى حفظه القرآن و السنة ، لا بد و أن ينتصر اذا نصرنا الله تعالى (إن تنصروا الله ينصركم و يثبت أقدامكم) .

حينئذ ننقذ أنفسنا من المخططات التى تحيط بنا .

و حينئذ ننقذ هذا العالم الحائر من الهاوية التى يوشك أن يتردى فيها .

أربع دعائم لسيرة النبي ﷺ

الأستاذ : مصطفى أحمد الزرقاء
(الأردن)

إن لعظماء البشر ميادين مختلفة تبرز فيها عظمتهم، ويتجلى فيها سموهم وتفوقهم، فهناك عظماء العلم ، و عظماء الحرب ، و عظماء الجود ، و عظماء الفلسفة ، و هناك حقول كثيرة غير ذلك من منابت العظمة .

و إن عظمة العظماء فى جميع منابتها تقوم على أسس هى أسباب لها كما ينبت جذع الشجرة على الجذور ، و بحسب ما يكون فى تلك الأسس والأسباب من كثرة و قوة ، تكون قيمة العظمة وشأنها وخلودها ، كالجذع تكون قوته و ضخامته و ثباته فى وجه الرياح و الأنواء بقدر مالجذوره من كثرة تغذية ، و قوة تمسكه .

و إذا أحصينا أسباب العظمة الحقيقية و حللناها نرى أنها ، بالمقاييس الصحيحة للحياة البشرية ، إنما تقوم على دعائم أهمها أربع :

الأولى : الصفات النفسية و الأخلاق الشخصية فى الشخص العظيم .

الثانية : مدى الابداع و السمو فى المبادىء و الأعمال التى أتى بها .

الثالثة : مدى كفايته ونجاحه فى تحقيق مناهجه الاصلاحى ، أى مدى قدرته التنفيذية .

الرابعة : مدى نجاحه العظيم فى تكوين جيل قيادى صالح مؤهل لحمل مسئولية المحافظة على المبادىء و متابعة تنفيذها .

و لا يكون للعظمة شمول و استيعاب ، و لا يتحقق لها الكمال إلا باجتماع هذه الدعائم أو المقومات الأربعة ، و كذلك بمقدار النقص فى هذه الدعائم تنخفض درجة العظمة و يضيق أفقها .

و سنعرض فیما یلی عظمة نبینا محمد ﷺ علی هذه المقاییس الأربعة ، لنری موقعها منها بدلالة الحقائق ، و شهادة الواقع .

الدعامة الأولی :

فأما الدعامة الأولی للعظمة ، و هی الخصال النفسیة والأخلاق الشخصیة ، فان ما روی منها فی التاریخ الثابت عما کان یتحلی به النبی علیه السلام من الصفات النفسیة والشمائل والأخلاق ینبئ بأنها کانت أعظم مثال وأنبل صورة عرفها التاریخ البشری.

فقد کان قبل النبوة مثالا فریدا للشباب الصالح، والفطرة الکاملة السویة النقیة، حتی لقبه قومه « بالأمین » ، لم یعرف عنه فی نشأة شبابه ، وهو فی محیط جاهلی ، أنه شرب خمراً ، أو عبد صنما من أصنام قومه ، أو أنه لها لهواً فاسداً ، و اتبع هوی من أهواء الشباب ، و لم ینسب إلیه شیئا من ذلك أحد من قومه الذین أصبحوا بعد دعوته الاسلامیة ألد أعدائه ، و کان محباً للفقراء عطوفاً علی الضعفاء ، ناصرا للمظلومین ، حتی إنه دخل فی حلف الفضول الذی تعاهد فیه فریق من ذوی الکرم و النجدة من قریش فی الجاهلیة علی إغاثة الضعفاء المظلومین ، وتخلیص حقوقهم التی یهضمها الأقویاء المستبدون من زعماء العشیرة .

و بعد البعثة وصفته عائشة أم المؤمنین (رضی الله عنها) بأنه کان خلقه القرآن ، أی کما جاء فی القرآن العظیم من تعالیم .

و قالت أیضاً : إنه علیه الصلاة و السلام لم یکن یغضب لنفسه ، إلا أن ینتهك شیء من حرمات الله ، فیغضب عندئذ لله .

و من قبل ذلك حین نزل علیه الوحی لأول مرة فی غار حراء ، و عاد إلی بیته مرتاعا مما رأی و سمع یرتجف فؤاده ، و أخبر زوجه خدیجة الخبر قالت له : « و الله ما یخزیك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، و تحمل الکل ، و تکسب المعدم و تقری الضیف ، و تعین علی نوائب الحق » .

و بعد هذه الصورة الاجمالية العامة لأخلاقه الشخصية نشير إلى أربع شمائل معينة عظيمة الأهمية ، تحلى بها ﷺ مما يندر أن ترى واحدة منها ـ فضلا عن توافرها جميعاً ـ فى واحد من العظماء ، و لا سيما ذوى السلطان والحكم منهم :

(أ) ـ لقد جمع الرسول ﷺ جمعا فريداً فى التاريخ بين أعلى درجات التنقيـة الروحية بالاجتهاد فى عبادة الله تعالى ، وأعلى درجات النشاط و العمل جهادا و بناء : فكان يجتهد فى التعبد عبادة خشوع ودموع وخشية من الله وحسابه فى اليوم الآخر ، و خلوص فى التوجه إليه و ابتغاء مرضاته بالتضرع والتذلل له ، صلاة و صياما و زهدا و جودا بالصدقات و العطايا بلا حدود . فكان يوزع كل ما يأتيه من أموال ، و يطوى هو و أهل بيته على الطوى الأيام المتتاليـة ، و يعصب الحجر على بطنـه من الجوع ، ويقوم ليلا فى الصلاة النـافلة ـ و التهجد حتى تتورم قدماه ، و يصوم الوصال يوما على يوم دون إفطار ، و ينهى أصحابه عن ذلك خشية أن لا يتحملوا ، و يقول لهم : « إنى أبيت عند ربى يطعمنى و يسقينى » .

و قد سألته مرة زوجه عائشة أم المؤمنين (رضى الله عنها) عن سبب اجتهاده فى العبادة مع أن الله سبحانه قد أمنه فى قرآنه العظيم بأنه قد غفر له ما تقدم و ما تأخر ، أى كل تقصير مما يمكن أن يكون قد صدر منه أو سيصدر فى مدى حياته ؟ فكان جوابه لها : أفلا أكون عبدا شكورا ؟

و كان يقول لأهله وأصحابه : لو تعلمون من الله ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، و قضية تعبده و بلوغه فيه المزيد مما لا يطيقـه سواه ، أخبارها مستفيضة مشتهرة فى سيرته العطرة .

و كل ذلك الاجتهاد فى العبادة لم يمنعه من أن يكون مبادرا لكل عمل فى

حینه الواجب أو المناسب ، من الأعمال الاعدادیة أو الانشائیـة ، إداریة و تشریعیة و اقتصادیة و سیاسیة و عسكریة . فلم تكن تفوته فرصة دون أن یغتنمها بما یجب أن یملأها من عمل أو قول .

ففرصة مرور أبي سفیان بقافلة التجارة الكبرى السنویة العائدة من الشام قد اغتنمها الرسول ﷺ خیر اغتنام مع أن هجرته إلى المدینة انما كانت فی . . أول عهدها لم یكن قدبنی القوة العسكریة اللازمة للمصادمة مع الأعداءالأكثر عددا وقوة ، و لم یكن قد صحا عما أحدثته تلك الهجرة من مشكلات و بلبلة فی الفكر ، و فی وسائل المعیشة و الحیاة . فكان من النتائج الخالدة الأثر لاغتنام هذه الفرصة و عدم النوم عنها معركة بدر الكبرى التی خضدت شوكة كفار قریش ، وحطمت یعضتهم ، و أطاحت بأهم الرؤوس من صنادیدهم و سطعت الهیبة للمسلمین .

ثم بعد ذلك فی معركة أحد الثأریة لما انكسر المسلمون بعد الانتصـار بسبب مخالفة بعضهم لأمر الرسول فی المحافظة علی مواقعهم — و عاد المسلمون إلی المدینة موهنین ، خشی الرسـول ﷺ أن یظن الأعداء بهم الضعف فیطمعوا بهم ، فبـادر إلی الخروج بالمسلمین الذین لم یكادوا یضعون أسلحتهم قاصدا معسكر الكـفار لاستئناف المعركة معهم . فلما علم الأعداء بالخبر توجسوا و بادروا مسرعین بالرجوع إلی مكة ، قانعین بما وصلوا إلیه ، و عاد المسلمون بقیادة الرسول ﷺ إلی المدینة و قد استعادوا إلی أنفسهم ثقتهم و قوتهم المعنویة بعد أن جرحتها الهزیمة التی كانوا هم سببها ، وكان ذلك لهم درساً واعظاً امتد نفعه علی مستقبل حیاتهم العسكریة كلها .

(ب) — و من أبرز خصاله الشخصیة النادرة بین العظماء ذوی السلطان مزید التواضع و الحیاء و الایثار .

— فكان من تواضعه ابتعاده عن كل صور الأبهة ومظاهر التعاظم التی یتمیز

فى العادة بها الحكام و الرؤساء ، و يحرصون عليها أشد الحرص و ذلك على مزيد هيبته و رغبة أصحابه (رض) فى تعظيمه و توقيره .

ــ فكان ﷺ يتساوى مع أتباعه فى المظهر و الملبس و المجلس و الأعمال البدنيــة ، و يكره أن يتميز عنهم فى شئ . فنى غزوة الخندق كان يحفر فيه مــع الناس و ينقل التراب ، و فى الأسفار كان يجمع لهم الحطب حين يقومون لاعداد الطعام . و كان يدخل الأعرابى الوافد عليه إلى مجلسه بين أصحابه فى المسجد فيسألهم: أيكم محمد ؟ فيشيرون إليه لأنه بينهم كأحدهم .

ــ أما حياؤه فقد وصفه أبوسعيد الخدرى رضى الله عنه بقوله «كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء فى خدرها » .

ــ و كان من إيثاره وزهده أنه يأتيه ما يملأ الوادى من الأموال و الهدايا و الغنائم فيوزعه كله من فوره ، و يبيت ليس عنده منه شئ . ويشعر أحدهم بجوع الرسول ﷺ فيهدى إليه قعباً من اللبن ، فيدعو إليه أهل الصفة (و هم أفقر فقراء المسلمين) فيديره عليهم ، ثم يكون هو آخر من يشرب فضلهم !

و قد روى عن عائشة رضى الله عنها أنهـا قالت ما شبع آل محمد من خبز الشعير ثلاث ليال متوالية و قد توفى ﷺ ودرعه مرهونة بدين عليه لرجل يهودى ، كما روى البخارى و مسلم .

و هذه الخليقة من الزهد و الايثار نادرة بل مفقودة بين الحكام و الرؤساء ، فانهم اعتادوا ــ حتى فى البلاد ذات النظم الديمقراطية أو الاشتراكية ــ الاستئثار من دون الناس بأفضل المساكن و المراكب و سواها من أصناف النعم ، علاوة على جمع الثورات الضخمة من طريق السلطة و النفوذ .

(ج ــ و الثالثة من خصاله النادرة إذعانه للحق على نفسه فقد اقترض من

يهودى ، جاء يتقضيه دينه ، و لم يكن لدى الرسول ﷺ ما يفى به ، فأغلظ اليهودى له القول ، فهم به عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فنهاه النبى ﷺ و قال له : دعه يا عمر فان لصاحب الحق مقالا .

و مما يتصل بهذه الخصلة الكريمة ، ويندر بين العظماء ذوى السلطان صبره ﷺ على ما يسىء و يؤذى من غلظة بعض الجهال و الجفاة .

و قصة الأعرابى الذى جاء يطلب منه العطاء وأمسك بتلابيبه حتى حز زيق القميص فى عنق الرسول ﷺ ، هى و أمثال لها معروفة فى السيرة النبوية ، و قد تحمل الرسول ﷺ ذلك من الأعرابى و أعطاه برحابة صدر .

(د) — و كان من أهم ما يميز سيرته المثالية بين سير العظماء التزامه الشديد بتطبيق الأخلاقيات فى السياسة التزاما لا استثناء فيه ، دون أى تناقض بين الدعوة و السلوك .

فلم ينقض عهدا مع عدو ، و لم يحاول غدرا بخصم مهما كان يائسا منه و يخشى غدره ، و لم يكذب فى سبيل كسب نصر فى معركة حربية .

و أما قوله الثابت عنه : « الحرب خدعة » فليس فيه ما ينافى هذه الأخلاق المثالية فى السياسة ، لأن معناه أن تخدع عدوك بطريق الايهام دون أن تكذب ، و ذلك كترتيب الصفوف فى المعركة توهم كثرة العدد ، و إحداث ضوضاء فى ليل توهم العدو بجيش نجدة ، و نحو ذلك . و من صور هذا الخداع الشريف للعدو أنه عليه السلام كان إذا خرج لحرب قوم يبتدئ السير بجيشه فى اتجاه آخر ، ثم يتحول خلال الطريق إلى الجهة المقصودة ، لتعمية أخباره عن العدو . و فى كل ذلك حكمة و حسن تدبير ، و ليس فى مثل هذا الخداع الحربى ما ينافى الأخلاق المثالية فى السياسة و التدبير الحربى .

و من أروع ما يروى فى السيرة أن أحد المشركين هو عبد الله بن سعد بن أبى سرح أسلم ثم ارتد و افترى على الرسول ﷺ ، فأهدر دمه يوم فتح مكة وأمر بقتله أينما وجد . فلجأ إلى عثمان رضى الله عنه ، وكان أخاه من الرضاعة ، فجاء به إلى الرسول ليبايعه ، فكف الرسول يده و بصره عنه ثلاث مرات ، ثم بايعه بعدها . فلما انصرف قال ﷺ « ألم يكن فيكم رجل يقوم إليه حيث كففت يدى عن بيعته فيقتله ؟ فقالوا يا رسول الله : الا أومأت إلينا بعينك . فقال لهم : « أنه لا ينبغى لنبى أن تكون له خائنة الأعين » .

الدعامة الثانية :

و أما الدعامة الثانية من دعائم العظمة ، و هى مدى الابداع و السمو فيما يأتى به العظماء ، فان الرسول ﷺ له فيها أعظم الآثار ، فقد بنى القواعد الخالدة للحياة الشخصية و الاجتماعية و السياسية ، و أقام هذه الحياة فى جميع ميادينها على النظم الصالحة بذاتها و المكفولة النجاح فى معترك الحياة العقلية و العملية بحسب فطرة البشر ، و قد أرسى جميع الأسس الاصلاحية الجديدة فى أرض خواء بدءاً من الصفر ، و فى جوسلبى مقاوم عنيف .

و نلخص هذه القواعد المتينة الناجحة بأنه عليه الصلاة و السلام قد أتى بالنظام الذى يجمع بين الواقع والمثل الأعلى ويوفق بينهما توفيقاً بديعاً ، وينظم منافع العناصر المتضادة فى الحياة ، فلم يهمل أحد الضدين ، لأن كلا منهما قوة تفيد إذا أحسن استعمالها فى محلها المناسب .

وبيان ذلك أن الحياة فى هذا المجتمع البشرى المملوء بالخير والشر ، وبالأخيار و الأشرار تحتاج إلى عناصر متضادة : فكما يحتاج الزرع إلى الحر و البرد و إلى الجفاف و المطر ، و إلى الشمس و الندى ، تحتاج الحياة البشرية كذلك إلى الرحمة

و القسوة ، إلى اللين و الشدة ، إلى الصفح و الكبح ، إلى العمل و الراحة ، إلى الحرب و السلم ، إلى التواضع و الاعتزاز ، إلى التخيير و الاجبار ، إلى الموعظة الحسنة و المقامع الخشنة ، و هكذا .

و إن الفضيلة و الحزم من الفرد و الجماعة و الحكام إنما يقومان على حسن استعمال جميع العناصر المتضادة ، و الافادة من كل منها فى المحل والوقت المناسب له . و لا يقومان على الأخذ بأحد الطرفين المتضادين من هذه الوسائل الحيوية و إهمال الآخر ، فان الاعتماد على أحد هذه العناصر المتضادة فقط فى نظام الحياة دون ضده قد يوصل الانسان إلى موطن لا تصلح فيه الحال إلا باستعمال ذلك الضد ، فاللين الدائم يفسد النتائج ، و الرحمة الدائمة تنبت الفوضى ، و العفو الدائم يشجع على الجريمة ، و المسالمة الدائمة تطمع العدو ، و هكذا .

فالنبى عليه الصلاة و السلام يتميز فى تاريخ البشرية و فى النبوات و المذاهب الاصلاحية بأنه قد أتى بشريعة جمعت بين هذين الطرفين : الواقع والمثل الأعلى جمعاً عجيباً ، و ألفت بينهما تأليفاً بديعاً ، و سخرتهما معاً لحاجات الحياة تسخيراً حكيماً يكفل مداواة عللها وإصلاح خللها بهما معاً ، ويستخدم كلا منهما فى موقعه الضرورى من حاجات الحياة .

ولننظر هذا الجمع والتسخير الحكيم فى الأمثلة التالية من شريعته عليه السلام :

---

(١) قد أمر النبى ﷺ بالرحمة و عممها حتى على الحيوان ، و جعل فى إطعام الحيوان أجر الصدقة إذ يقول : « فى كل كبد رطبة أجر » و منع تعذيب المقتول من الانسان بحق ، و المذبوح من الحيوان فقال : « إذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، و إذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة » حتى وصل فى الرحمة إلى مثل قوله عليه السلام « دخلت امرأة النار فى هرة حبستها ، فلا هى أطعمتها ، ولا تركتها

تأكل من خشاش الأرض » ، و كان يصغى الأناء بيده للهرة لتشرب .

و لكن إلى جانب هذه الرحمة المتناهية فى محالها المعقولة شرع عكسها عند الحاجة إليه ، كالقصاص و قتل المؤذين و عقوبة المجرم .

(ب) و كذلك أمر ﷺ بالسلم و المودة بين الأفراد و الشعوب ، و تعارفهم و تعاونهم على الأهداف الكريمة ، و جاء فى القرآن العظيم « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » و جاء فيه أيضاً : « و إن جنحوا للسلم فاجنح لها » .

و لكن إلى جانب هذا الاتجاه السلمى النبيل جاءت شريعته بالمحاربة لمن يكيد للاسلام ويبغى حربه ، وأمرت ببذل الوسع فى الاستعداد لمقاومته، فجاء فى القرآن العظيم أمر المؤمنين بذلك فى قوله : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل ترهبون به عدو الله و عدوكم » ، و قديما قال المثل : « الحديد بالحديد يفلح » .

(ج) — و كذلك أمر عليه السلام بالتواضع للاخوان بقوله : « من تواضع لله رفعه » و لكنه إلى جانب ذلك شرع الاعتزاز على العدو المغالب ، أن قال القرآن العظيم : « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين » و قال النبى ﷺ : « من أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منا » .

(د) — و كذلك ندب الرسول ﷺ إلى العفو عن المسيىء فى الحقوق الشخصية الخاصة لأنه فضل و مكرمة ، و قال القرآن العظيم : « فمن عفا و أصلح فأجره على الله » و لكن الرسول ﷺ إلى جانب ذلك قد شدد وقسا قسوة الحزم فى الحقوق العامة فمنع العفو عن حقوق الله تعالى فى إقامة الحدود ونهى عن الشفاعة فيها .

هذه مجموعة من الأمثلة يقتطفها الناظر من ثمر جم ، وهی تدل علی مبلغ ما فی شریعة الرسول ﷺ من تقدیر لضرورة العناصر المتضادة ، و علی أن الحیاة البشریة الصالحة لا تستغنی بأحد الضدین منها عن الآخر ، لأن کلیهما فی الحاجة العملیة کالحقائق المختلفة فی الحقائق العلمیة . فاذا علم الانسان إحدی الحقائق فی موطنها ، و جهل الموطن الذی تنعکس فیه کان علمه ناقصا ، و قیاسه خطأ .

تساؤل و جوابه :

و بعد هذه الأمثلة الناطقة قد یرد علی الذهن السؤال التالی : إن هذا الموقف الحکیم من العناصر المتضادة فی الحیاة ، و الاستفادة من کل منها فی الموطن المناسب هو من القواعد التشریعیة فی نظام الاسلام .

و هذا النظام فی عقیدة المسلمین وحی من الله لرسوله ، و لیس من وضع الرسول و تدبیره و تقدیره ، لأنه لاینطق عن الهوی ، ولا سیما فی أحکام الشریعة ، « إن هو إلاوحی یوحی » . و بعض من هذه القواعد جاءت به نصوص القرآن المنزل ، و لیس مصدره السنة النبویة وحدها .

فما وجه اعتباره من جوانب عظمة الرسول ﷺ وهو لیس من صنعه ؟

و الجواب عن ذلك أننا إنما نعرض هذه الجوانب من عظمة محمد ﷺ بالنظر الذاتی إلیها من حیث حقیقة واقعیة فی تاریخ البشریة جاء بها إنسان مصلح رائد قائد بقطع النظر عن مصدرها .

فالمسلم یری فیها العظمة من جهة مصدرها الالهی بحسب عقیدته ، و من جهة من اختیر لحملها و أدائها ، فانه لا یمکن تحمل المهمات الجسیمة للضعفاء أو للعادیین من الناس ، و إلا باءت بالفشل والخیبة ، فعظائم الأمور عهدة العظماء .

و أما غير المسلمين ممن يعتقدون أن هذا النظام الاصلاحي العظيم الذى أتى به محمد ﷺ هو من صنعه ، فلا مجال لهذا السؤال منهم ، إذ لا إشكال فى إسناد . . العظمة لمن صنع الشئ العظيم .

وهذه المزية فى قواعد الشريعة التى أتى بها النبي ﷺ ، أى الاستفادة من جميع العناصر المتضادة ، كل فى الموطن المناسب له ، إذ أسميناها بالتوازن فى نظام الاسلام ، نجدها متمثلة فى ذات الرسول ﷺ أصدق تمثل ، إذ كان فى جميع أحواله و مواقفه و أخلاقه مثالا حيا لهذا التوازن . فقد استخدم عليه السلام فى سلوكه العملى كلا من تلك الأضداد فى الموطن الذى يناسبه أو يقتضيه :

فالمزح والجد ، واللين والشدة ، والرحمة والقسوة ، والتواضع والترفع ، والزهد والاستمتاع ، والمحاسنة و المخاشنة ، والمسايرة و التأبى ، و المسارعة والتأنى و الوداعة ، والتنمر والحلم والغضب ، والملاطفة والمجابهة ، إلى كثير غير ذلك من المتضادات ، كلها موجودة فى سيرته و سلوكه يستعمل كلا منها فى محله المناسب حيث يكون هو من مكارم الأخلاق و حسن التقدير و حكمة السلوك و مقتضى الحال ويكون ضده هو الخطأ أو سوء التقدير .

و لنعرض فى هذه الناحية بعض صور من هذا السلوك الحكيم المتوازن فى الأمثلة التالية :

(أ) — ثبت فى سيرته (ص) أنه كان يمزح فى بعض الأحيان والمناسبات ولكنه لا يقول فى مزاحه إلا الحق و الصدق . من ذلك قوله : لامرأة مسنة : « لا تدخل الجنة عجوز » . فلما ظهر عليها الحزن و الاكتئاب ضحك وبين لها أنها لا تدخل و هى عجوز ، بل يعود إليها شبابها فتدخلها شابة .

(ب) — كان عليه الصلاة و السلام يتنزل إلى مستوى الأطفال فيداعبهم بما يسرهم و كان يضع ظهره لسبطيه الحسن و الحسين فى طفولتهما ليركبا عليه ، ويقول

لهما : « نعم الجمل جملكما ، و نعم الحملان أنتما » . و كان يصفهما بأنهما ريحانته من الدنيا ، و لكنه حينما وضع أحدهما فى فمه تمرة من تمر الزكاة (و هى محرمة على الرسول و آله) لم يمكنه من ابتلاعها ، بل استخرجها من فمه .

(ج) — كان النبى ﷺ أرحم الناس ، وقد وصفه القرآن بأنه : « بالمؤمنين رؤوف رحيم » . وصح عن النبى أنه قال : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » .

وروى ابن مسعود رضى الله عنه قال : « كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر .. فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخيها ، فجاءت الحمرة تعرش ، فجاء النبى ﷺ فقال : من فجع هذه بولدها ردوا ولدها إليها (رياض الصالحين للنووى ، الحديث ، ١٦٠٧) .

و روى الشيخان البخارى و مسلم أنه ﷺ قال : « بينما كلب يطيف بركية ـ أى بئر قد كاد يقتله العطش إذ رأته بغى من بغايا بنى إسرائيل ، فنزعت موقها ـ أى خفها ـ فاستقت له به فسقته ، فغفرلها به .

فهذه الرحمة ورقة القلب و الرفق كان إلى جانبها فى نفس الرسول ﷺ الشدة و البأس فى الأمور التى تفسدها الرأفة . فقد قاتل الأعداء المقاومين للدعوة وصمد لهم وقتل منهم ، وعفا عمن توقع أنه قد يصلحه العفو . و كان فى المعارك الحربية إذا أشتد البأس يكون هو الأقرب من أصحابه إلى صفوف العدو وشوكته.

و لما سرقت المرأة الشريفة المخزومية ، و أراد بعض أصحابه أن يتشفع فيها ، استنكر ﷺ منه ذلك ، و أطلق كلمته الخالدة المشهورة : « إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، و إذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد ، و أيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

وقالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : « ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ، ولا امرأة ، ولا خادما ، إلا أن يجاهد فى سبيل الله ، وما نيل منه شيئ قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شئ من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى » (رواه مسلم) .

(د) جمع النبى ﷺ فى سلوكه الفعلى بين التوكل على الله و بين الأخذ بالأسباب المادية جمعا حكيما يوضح المقصود بالتوكل فى شريعة الاسلام ، و يميز بينه و بين الاهمال و الكسل و التواكل . فنى الهجرة اتخذ عليه السلام كل وسائل التكتم و التخفى و التمويه فى سلوك الطريق إلى المدينة لتضليل الأعداء عن مساره و آثاره إذ اتبعوه ، و توكل على الله تعالى فى إنجاح هذه الوسائل التى يستطيعها ، و تيسير مالا يستطيعه منها ، وإزالة العوائق المحتملة التى لا يملك هو القدرة على منعها أو ازالتها.

ثم فى غزوة أحد ظاهر عليه السلام بين درعين (أى لبس إحداهما فوق الأخرى) زيادة فى التوقى من سلاح العدو .

و كذلك لما سأله رجل : هل يترك ناقته مطلقة بلاعقال ، و يتوكل على الله فى حفظها ؟ قال له الرسول ﷺ : « إعقل و توكل » وهكذا كان فعله وتعليمه أكمل صورة وأحكمها فى الجمع بين اتخاذ الأسباب والوسائل المادية كافة دون تهاون ، و بين التوكل على الله فيما وراء ذلك مما هو فوق قدرته من عوامل النجاح .

إن هذا التوازن الذى يبلغ الغاية والنهاية فى دقة التمييز بين الأحوال المختلفة، توزيع المواقف المتضادة عليها بحسب طبيعة كل منها و ظروفها و مقتضياتها بالحكمة و الاعتدال ، كيلا يصبح التسامح فساداً ، و الرأفة ضعفاً ، وقلة المبالاة خللا و مضيعة للحقوق و الواجبات و المصالح ، هذا التوازن فى شخصية الرسول ﷺ وسلوكه كان صورة تطبيقية دقيقة لذلك التوازن فى الشريعة الكاملة التى جاء بها .

(يتبع)

نصيحة الاسلام للنفس و المجتمع

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
الرئيس العام لادارات البحوث
العلمية والافتاء والدعوة والارشاد (الرياض)

بسم الله و الحمد لله وصلى الله وسلم على رسول الله و على آله وصحبه و من اهتدى بهداه .

أما بعد . . فالى جميع مسلمى العالم أقدم هذه الوصايا عملا بقول الله سبحانه : « و تعاونوا على البر و التقوى » ، وقول النبي ﷺ : « الدين النصيحة » قيل لمن يا رسول الله قال : « لله ولكتابه و لرسوله ولا ئمة المسلمين وعامتهم » .

الاولى :

الوصية بتقوى الله تعالى فى جميع الأحوال ، والتقوى هى جماع الخير وهى وصية الله سبحانه و وصية رسوله ﷺ قال الله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة » ، و قال سبحانه « ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم و إياكم أن اتقوا الله » ، و كان النبي ﷺ يوصى فى خطبه كثيراً بتقوى الله و حقيقة التقوى أداء ما افترض الله على العبد وترك ما حرم الله عليه عن اخلاص لله ومحبة له ورغبة فى ثوابه وحذراً من عقابه على الوجه الذى شرعه الله لعباده على لسان رسوله ونبيه محمد ﷺ ، قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وهو أحد علماء اصحاب رسول الله عليه الصلاة و السلام ورضى عنهم : « تقوى الله حق تقاته أن

يطاع فلا يعصى و يذكر فلا ينسى و يشكر فلا يكفر » ، و قال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله: ليست تقوى الله بصيام النهار ولا قيام الليل والتخليط فيما بين ذلك ، و لكن تقوى الله أداء ما افترض الله وترك ما حرمه الله فمن رزق بعد ذلك خيراً فهو خير إلى خير » ، وقال طلق بن حبيب التابعي الجليل رحمه الله : « تقوى الله سبحانه : هي أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله و أن تترك معصيــة الله على نور من الله تخاف عقاب الله » و هذا كلام جيد و معناه أن الواجب على المسلم أن يتفقه في دين الله ، و أن يتعلم ما لا يسعه جهله حتى يعمل بطاعة الله على بصيرة ويدع محارم الله على بصيرة ، و هذا هو تحقيق العمل بشهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله، فان الشهـادة الأولى تقتضي الايمان بالله وحده وتخصيصه بالعبادة دون كل ما سواه و إخلاص جميع الأعمال لوجهه الكريم، رجاء رحمته وخشية عقابه .

و الشهادة الثانية ـ تقتضي الايمان برسول الله ﷺ وأنه رسول الله إلى جميع الجن والانس ، وتصديق أخباره وأتباع شريعته والحذر مما خالفها ، وهاتان الشهادتان هما أصل الدين و أساس الملة ، كما قال الله تعـالى : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة و أولو العلم قائماً بالقسط لا اله إلا هو العزيز الحكيم »، وقال سبحانه : (و إلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم .

وقال عزوجل : (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذى يؤمن بالله و كلماته و اتبعوه لعلكم تهتدون » ، و الآيات في هذا المعنى كثيرة .

الثانية :

أوصى كل مسلم يطلع على هــذه الكلمــة بالمحافظــة على الصلوات

الخمس فى أوقاتها و العناية بها و تعظيم شأنها و الطمأنينة فيها ، لأنها الركن الأعظم بعد الشهادتين ولأنها عمود الاسلام ، ولأنها أول شيء يحاسب عليه المسلم من عمله يوم القيامة ، ولأن من تركها فقد كفر ، قال الله سبحانه و تعالى : « و أقيموا الصلاة وأتوا الزكاة و أطيعوا الرسول لعلكم ترحمون » ، وقال عز وجل : « حافظوا على الصلوات و الصلاة الوسطى و قوموا لله قانتين » ، و قال جل شأنه : « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون » ، و قال سبحانه : « والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » . و قال النبي ﷺ « بين الرجل وبين الكفر و الشرك ترك الصلاة » خرجه مسلم فى صحيحه ، و قال أيضاً عليه الصلاة و السلام : « العهد الذى بيننا و بينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » ، خرجه أحمد وأهل السنن باسناد صحيح ، وخرج الامام أحمد باسناد حسن عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « من حافظ على الصلاة كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة و من لم يحافظ عليها لم يكن له نور و لا برهان و لا نجاة ، وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان و قارون و أبى بن خلف » ، قال بعض أهل العلم فى شرح هذا الحديث ، و إنما حشر من ضيع الصلاة مع هؤلاء الكفرة لأنه إما أن يضيعها تشاغلا بالرئاسة والملك و الزعامة فيكون شبيها بفرعون ، و إما أن يضيعها من أجل الوزارة و الوظيفة ، فيكون شبيهاً بهامان وزير فرعون ، و إما أن يضيعها تشاغلا بالشهوات وحب المال و التكبر على الفقراء فيكون شبيها بقارون الذى خسف الله به و بداره الأرض ، و إما أن يضيعها تشاغلا بالتجارة و المعاملات الدنيوية فيكون شبيهاً بأبى بن خلف تاجر كفار مكة ، فنسأل الله العافية من مشابهة أعدائه .

ومن أهم أركان الصلاة التى يجب على المسلم رعايتها والعناية بها الطمأنينة فى ركوعها

وسجودها وقيامها وقعودها ، وكثير من الناس يصلي صلاة لا يعقلها ولا يطمئن فيها .

و لا شك أن الطمأنينة من أهم أركان الصلاة فمن لم يطمئن فى صلاته فهى باطلة ، و كان النبي ﷺ إذا ركع استوى فى ركوعه و أمكن يديه من ركبتيه وهصر ظهره وجعل رأسه حياله ، و لم يرفع رأسه حتى يعود كل فقار إلى مكانه ، و إذا رفع رأسه من الركوع اعتدل حتى يرجع كل فقار إلى مكانه ، و إذا سجد اطمأن فى سجوده حتى يرجع كل فقار إلى مكانه و إذا جلس بين السجدتين اعتدل حتى يرجع كل فقار إلى مكانه ، و لما رأى ﷺ بعض الناس لا يطمئن فى صلاته أمره بالاعادة ، و قال له إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم أفعل ذلك فى صلاتك كلها ، أخرجه الشيخان فى الصحيحين ، فهذا الحديث الصحيح يدل على أن الواجب على المسلم أن يعظم هذه الصلاة و يعتنى بها ويطمئن فيها حتى يؤديها على الوجه الذى شرعه الله ورسوله ﷺ ، وينبغى أن تكون الصلاة للمؤمن راحة قلب ونعيم روح وقرة عين ، كما قال النبي ﷺ : « وجعلت قرة عيني فى الصلاة » و من أهم واجبات الصلاة فى حق الرجل أداؤها فى الجماعة فى مساجد الله لأن ذلك من أعظم شعائر الاسلام ، و قد أمر الله بذلك و رسوله كما قال عزوجل : « وأقيموا الصلاة و أتوا الزكاة و اركعوا مع الراكعين » و قال سبحانه فى صلاة الخوف : « و إذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك و ليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم و لتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، الآية » فأوجب الله سبحانه على المسلمين أداء الصلاة فى الجماعة فى حال الخوف ، فيكون وجوبها عليهم فى حال الأمن أشد

وآكد ، وتدل الآية المذكورة على وجوب الاعداد للعدو و الحذر من مكائده حتى فى حال الصلاة كما قال سبحانه : « و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة » الآية .

فالاسلام دين العزة والكرامة والقوة والحذر والجهاد الصادق كما أنه دين الرحمة و الاحسان و الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة ، ولما جمع سلفنا الصالح بين هذه الأمور مكّن الله لهم فى الأرض ورفع شأنهم و ملكهم رقاب أعدائهم وجعل لهم السيادة والقيادة ، فلما غير من بعدهم غير عليهم كما قال عزوجل : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا فيصلى بالناس ثم أخالف إلى رجال لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار » ، و قال عليه الصلاة و السلام : « من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له إلا من عذر » ، و عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا أعمى قال يا رسول الله أنه ليس لى قائد يلائمنى إلى المسجد فهل لى من رخصة أن أصلى فى بيتى قال هل تسمع النداء بالصلاة قال : نعم قال فأجب ، خرجه مسلم فى صحيحه .

أما النساء فصلاتهن فى بيوتهن خير لهن كما جاء بذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ وما ذاك إلا لأنهن عورة وفتنة و لكن لا يمنعن من المساجد إذا طلبن ذلك لقول النبي ﷺ : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله » ، وقد دلت الآيات والأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ على أنه يجب عليهن التستر و التحجب من الرجال وترك الزينة و الحذر من التعطر حين خروجهن لأن ذلك يسبب الفتنة بهن و لهذا قال النبي ﷺ : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله و ليخرجن تفلات ومعنى تفلات أى لا رائحة لهن تفتن الناس و قال ﷺ : « أيما امرأة أصابت بخورا فلا تشهد معنا العشاء » ، وقالت عائشة رضى الله عنها لو علم النبى ﷺ ما أحدث النساء اليوم

لمنعهن الخروج ، فالواجب على النساء أن يتقين الله و أن يحذرن أسباب الفتنة من الزينة و الطيب و إبراز بعض المحاسن كالوجـــه و اليدين و القدمين حين اجتماعهن بالرجال و خروجهن إلى الأسواق وهكذا فى وقت الطواف والسعى وأشد من ذلك و أعظم فى المنكر كشفهن الرؤوس ولبس الثياب القصيرة التى تقصر عن الذراع والساق لأن ذلك من أعظم أسباب الفتنة بهن ولهذا قال عزوجل : « وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » ، والتبرج اظهار بعض محاسنهن ، وقال عزوجل : « يا أيها النبى قل لأزواجك و بناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن » ، الآية ، و الجلباب هو الثوب الذى تغطى به المرأة رأسها و وجهها وصدرها وسائر بدنها ، قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما : أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن فى حاجة أن يغطين و جوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب و يبدين عيناً واحدة ، وقال تعالى ، « و إذا سألتموهن متـاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم و قلوبهن » الآية .

و قال النبى ﷺ « صنفان من أهل النار لم أرهما بعد نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة و لا يجدن ريحها ورجال بأيديهم سياط مثل أذناب البقر يضربون بها الناس » خرجه مسلم فى صحيحه ومعنى كاسيات عاريات فسر بأنهن كاسيات من نعم الله عاريات من شكرها ، وفسر بأن عليهن كسوة رقيقة أو قصيرة لا تسترهن فهن كاسيات بالاسم والدعوى ، عاريات فى الحقيقـــة ، و لا ريب أن هذا الحديث الصحيح يوجب على النساء العناية بالتستر والتحجب و الحذر من أسباب غضب الله وعقابه ، و الله المستعان .

الوصية الثالثة :

أوصى كل مسلم فى كل مكان باخراج زكاة ماله إذا كان لديه مال تجب

الزكاة فيه لأن الزكاة من أعظم فرائض الدين وهو الركن الثالث من أركان الاسلام فالله سبحانه وتعالى شرعها طهرة للمسلم وزكاة له و لماله وإحساناً للفقراء وغيرهم من أصناف أهل الزكاة .

كما قال عزوجل : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » ، وهي من شكر الله على نعمة المال و الشاكر موعود بالأجر و الزيادة كما قال سبحانه « و إذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد » ، و قال عزوجل : « فاذكروني اذكركم و أشكروا لي و لا تكفرون » ، و قد توعد الله من لم يؤد الزكاة بالعذاب الأليم كما توعده سبحانه بأنه يعذبه بماله يوم القيامة ، قال الله عزوجل : « و الذين يكنزون الذهب والفضة و لا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » وصح عن رسول الله ﷺ في تفسير هذه الآية الكريمة أن كل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز يعذب به صاحبه يوم القيامة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة و إما إلى النار ، فالواجب على كل مسلم له مال تجب فيه الزكاة أن يتق الله و يبادر باخراج زكاته في وقتها في أهلها المستحقين لها ، طاعة لله ولرسوله وحذراً من غضب الله و عقابه والله سبحانه وعد المنفقين بالخلف والأجر الكبير، كما قال سبحانه : « وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه و هو خير الرازقين » و قال تعالى « آمنوا بالله و رسوله و انفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم و أنفقوا لهم أجر كبير » .

الوصية الرابعة :

صيام رمضان وهو من أعظم الفرائض على جميع المكلفين من الرجال و النساء وهو الركن الرابع من أركان الاسلام، قال الله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم

الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .. ثم فسر هذه الأيام المعدودات بعد ذلك بقوله سبحانه و تعالى ، « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، و من كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر » .

و قال النبي ﷺ « بنى الاسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت » فهذا الحديث الصحيح يدل على أن جميع الوصايا المتقدمة وهى الشهادتان و الصلاة والزكاة والصوم أنها كلها من أركان الاسلام التى لا يقوم بناؤه إلا عليها ، فالواجب على كل مسلم ومسلمة تعظيم هذه الأركان و المحافظة عليها والحذر من كل ما يبطلها أو ينقص أجرها و الله سبحانه إنما خلق الثقلين ليعبدوه سبحانه وأرسل الرسل وأنزل الكتب من أجل ذلك ، و عبادته هى طاعته و طاعة رسوله ﷺ عن إخلاص لله سبحانه ومحبة له و إيماناً به و برسله ورغبة فى ثواب الله وحذراً من عقابه و بذلك يفوز العبد بالسعادة و النجاة فى الدنيا و الآخرة ، و إنما أصيب المسلمون فى هذه العصور الأخيرة بالذل و التفرق وتسليط الأعداء بسبب تفريطهم فى أمر الله وعدم تعاونهم على البر و التقوى كما قال عزوجل . « و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير » ـ فنسأل الله أن يجمعهم على الحق ويوفقهم للتوبة النصوح وأن يهديهم للعمل بكتابه وسنة نبيه ﷺ ويوفق حكامهم للحكم بشريعته و التحاكم اليها و إلزام شعوبهم بما أوجب الله و منعهم عن محارم الله حتى يمكن لهم فى الأرض كما مكن لأسلافهم ويعينهم على عدوهم إنه سميع قريب .

الوصية الخامسة :

حج بيت الله الحرام و هو الركن الخامس من أركان الاسلام كما تقدم فى

الحديث الصحيح وهو فرض على كل مسلم ومسلمة يستطيع السبيل اليه فى العمر مرة واحدة كما قال الله سبحانه « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » ، و قال النبى ﷺ «الحج مرة فمن زاد فهو تطوع» وقال ﷺ : العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» وقال عليه الصلاة والسلام : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » ، فالواجب على حجاج بيت الله الحرام أن يصونوا حجهم عما حرم الله عليهم من الرفث و الفسوق و أن يستقيموا على طاعة الله و يتعاونوا على البر والتقوى حتى يكون حجهم مبروراً وسعيهم مشكوراً ، والحج المبرور هو الذى سلم من الرفث و الفسوق و الجدال بغير حق ، كما قال الله سبحانه ، « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق و لا جدال فى الحج » ، ويدل على ذلك أيضاً قوله ﷺ ، « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » ، والرفث هو الجماع فى حال الاحرام ويدخل فيه النطق بالفحش ورديئ الكلام ، و الفسوق يشمل المعاصى كلها .

فنسأل الله أن يوفق حجاج بيت الله الحرام للاستقامة على دينهم وحفظ حجهم عما يبطله أو ينقص أجره وأن يمن علينا وعليهم بالفقه فى دينه والتواصى بحقه والصبر عليه ، و أن يعيذ الجميع من مضلات الفتن ونزغات الشيطان إنه ولى ذلك و القادر عليه .

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد و على آله وأصحابه واتباعه باحسان .

أساس العقيدة الوحدانية مع الله

بقلم الدكتور : محمد بن سعد الشويعر

تعني الوحدانية مع الله استحضار معنى كلمة التوحيد التي كانت المنطلق الأول الرسالة المحمدية ، و المدخل الرئيسي للاسلام ، و اللبنة الأولى التي توضع في إرساء العقيـــدة .

إنها كلمة لا إله إلا الله ، تلك الكلمة صغيرة الحجم ، قليلة الحروف ، خفيفة النطق على من وفقه الله ، و سهلة الأداء على من أعانه الله .

لكنها تعني في ميزان الجزاء عند الله الشيء الكثير ، لثقلها في الميزان ، ومكانتها عند الرحمن ، فقد أخبر ﷺ « بأنه أمر بقتال الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله و أن محمــداً رسول الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم و أموالهم إلا بحقها و حسابهم على الله » ، و عن مكانتها في ميزان العقاب و الجزاء فيتضح ذلك حسبما جاء في الأثر عن الرجل الذي طاشت موازينه و ثقلت سيئآته عند حسابه ، و أيقن بالهلاك ، فقيل له هل ظلمت شيئاً ؟ فقال : لا يا رب ، إنما هي أعمالي التي لا أنكر ، قيل هل تذكر شيئاً ينفعك ؟ قال : لا ، فقيل له : بلى لك عمل — و لا يظلم ربك أحداً — فجئ بورقة صغيرة تحمل : لا إله إلا الله ، فوضعت في الميزان ، فثقلت فيه ، وغلبت سيئآته الكثيرة ، والكثيرة جداً ، فماذا تعني هذه الكلمة ، و ما حقيقتها في العمل ؟ ؟ . .

— إنها تعني النفي و الاثبات : نفي كل معبود في الوجود ، و كل اتجـاه في الحياة ، و كل تعلق بالقلب .

و إثبات ذلك لله وحده لا شريك له ، فلا شريك له سبحانه فى العبادة بأنواعها ، و لا شريك معه فى الاتجاه بالنية ، و لا يتعلق القلب بأمر من أمور الوجدانيات خوفاً أو رجاء أو خشية أو إنابة و غيرها من أمور العبادات ، بغيره جل وعلا ، لأنه سبحانه هو المستحق لذلك .

فالاثبات هنا عبادة و ألوهية له وحده ، و هذا الاثبات هو الذى دعت إليه جميع الرسل و نزلت به الكتب من عند الله ، و قام على ذلك سر الوجود فى ملكوت السموات و الأرض .

فلا إله إلا الله المدخل الأول إلى دين الاسلام ، لأنها تترك تثليث النصارى ، و تتنافى مع وثنية الجاهلية ، و تعلقات المعبودين الآخرين بأنواعهم .

و لا إله إلا الله : كلمة تغضب إبليس المطرود من رحمة الله ، لأنه يجهد نفسه لصرف الناس عنها ، و تشكيكهم فى دلالة معناها .

و لذا أمرنا باستحضارها فى قلوبنا ، و تكرارها بألسنتنا ، و العمل بمقتضاها فى عباداتنا ، و لا إله إلا الله : كلمة تزيل الهم ، وتباعد عن النفس الغم و الألم ، لأنها تريح القلب ، و تهدىء ثائرة النفس ، لأنها ذكر الله ، و اعتراف له سبحانه بالوحدانية المتفردة « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .

و إذا كان الشيطان حسبما أعطى عهداً على نفسه قد نصب حبائله ليصطاد البشر و يباعدهم عن كل شئ يرضى ربهم ، حيث دخل عليهم من طرق شتى ، بدون كلل أو ملل ، ليفسد عليهم عقيدتهم و دينهم الذى يربطهم بخلقهم ، فان أهم شئ يحرص عليه مداخل ما يشوب لا إله إلا الله فى السلوك و العمل ، والاعتقاد و التقرب .

و هذا الجهد من إبليس اللعين نحو إغواء البشر ، يحتاج من البشر أنفسهم

إلى جهد معاكس ، و مجاهدة النفس للوقوف دون تحقيق مآرب عـدو الله ، التى قطعها على نفسه باضلالهم ، و ذلك بالتعرف الدقيق على حبائله و طرائقه لتجنبها ، ثم الوقوف ضدها ، والسلاح المؤكد فى ذلك هو الثبات على معنى لا إله إلا الله ، و التطبيق العملى و الاعتقادى لمعناها ، و معرفة حقيقة مقتضاها .

فالمسلم يجب أن يعرف أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له عقيدة وعملا ، فلا يشرك معه غيره فى الدعاء ، و لا فى التقرب أو التوسل ولا فى الذبح والنذور و غيرها من القربات ، و لا يجعل بينه وبين الله واسطة فى أى نوع من القربات لأنه الله قريب مجيب الدعاء ، كريم جزيل العطاء .

لحقيقة الوحدانية لله : المعرفة اليقينية ، و الانصراف إليه جلت قدرته بجميع الحواس ، دون مشاركة لبعض المخلوقات مهما كانت ، فقد جاء فى الحديث القدسى : «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معى فيه غيرى تركته وشركه» .

فالله سبحانه و بحمده يقول : « كيف أخلق و يعبد غيرى ، و كيف أرزق و يشكر غيرى » ؟ ؟ . .

فاحرص — أيها المسلم — على أن لا يدخل عليك إبليس فى عبادتك ، و الا يفسد عليك نيتك و تعلق قلبك ، لأن حرصه الشديد ، وعمل الدؤوب على أن يفسد عليك علاقتك الصادق بخالقك ، و يباعدك عن رحمته و غفرانه .

فعدو الله يغضبه رضا الله على خلقه ، ويزعج اتجاههم إليه سبحانه بجميع الحواس وحده ، لجند طاقته ، و بذل وسعه ، و أرسل أعوانه من إنس و جن ، لمحاولة الدخول على الناس فى العقيدة بما يفسد العمل ، و يناقض مدلول لا إله إلا الله .

فحاول يا أخى أن تكون مدركاً لبعض المظاهر التى درج عليها بعض العوام فى بلدك ، أو فى بلاد أخرى من أعمال تفسد حقيقة التوحيد ، فلعلك تكون مؤثراً

فيهم بإيضاح تلك الحقيقة التى جهلوها ، و تبيين الهدى الذى ضلوا عنه ، فتكسب أجراً عظيماً من الله ، بإعادتهم عن طريق الرفق و الملاينة ، و التوضيح بالمجادلة الحسنة ، بما هو صائب بعد أن ران الجهل على قلوبهم ، و أفسدهم دعاة الضلال و النفعيون و الجهال ، فلعلك تفوز بأجر من قال الرسول فيهم لعلى بن أبى طالب عند ما بعثه إلى خيبر : « لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم » .

و عملك هذا يجب أن يقترن بالاخلاص مع الله ، و الصدق فى العمل ، والقدوة الصالحة ، و أن تريد يا أخى المسلم بعملك هذا وجه الله تعالى : فلا تطلب النفع العاجل أو السمعة الدنيوية ، أو عرضاً من أعراض الدنيا .

و اعزم على المداومة ، و وطن نفسك على تحمل الأذى فى هذا السبيل ، لأن مقتضيات العمل النافع أن تعترض العقبات ، و أن تسمع النفس ما تكره ، وخاصة فيما يتعلق بحقيقة لا إله إلا الله التى دخل عليها ما يفسدها من تعلق بالقبور ، أو الأحجار و الأشجار ، و الاعتقاد بالنفع و الضر من دون الله .

و إن من نتيجة هذا الاحتكاك بروز الجوهر ونقاوة المعدن ، ذلك أن لا إله إلا الله إحساس و عبودية ، و ارتباط ومسئولية ، يحس بذلك العبد أمام خالقه ، فيقف خاشعاً متضرعاً أمام وحدانية الخالق المبدع ، و ارتباط لله بالعمل الملتزم ، و مسئولية أمام الله سبحانه بالصدق و أداء الأمانة التى تتطلبها هذه الكلمة .

لا إله إلا الله تقدس وتعظم عما يقوله و يفعل المشركون بوحدانيته ، وعما يعمل المبتدعون عن إدراك مدلول لا إله إلا الله و حقيقتها فى النفس والاثبات ، و العقيدة و العمل ، بعد أن أغواهم الشيطان عن طريق الله السوى الذى أراده الله لعباده المخلصين .

ابن القيم : عالماً و إماماً

السلام و البركات بين المبنى و المعنى

—(٥)—

دكتور : توفيق محمد شاهين

و الحقيقة والمجاز من أساليب التنمية فى اللغة العربية ، والتعبير بالخبر أوالانشاء حسب مقتضى الحال ـ جزء من ذلك .

و الكلام قد يكون خبراً أو إنشاءاً . . لكن كونه خبرا و إنشاء فى الوقت ، لحديث تكتنفه الغرابة ، و يحتاج هذا الغموض إلى إيضاح و بيان . .

و حين قال سيبويه - صاحب الكتاب ـ بأن من الكلام ما يتضمن الخبر و الدعاء ، لم يفهم قصده الكثيرون ، و حرفوا قوله ! !

و فى سياق الحديث عن موضوعنا حول (السلام عليكم و رحمة الله وبركاته) يتعرض الفقيه اللغوى ابن القيم بالكشف و الايضاح عند هذا الجانب ، بما يزيل الغموض و الغرابة ، و يبين مقصود إمام النحاة ، حين يقول : إن العبارة أحيانا تتضمن الخبر و الانشاء معا ، و فى نفس الوقت . . يقول رحمه الله :

(و أما السؤال الثالث ، و هو : أن قول المسلم . . سلام عليكم ، هل هو خبر أم إنشاء ؟

فجوابه : أن هذا و نحوه من ألفاظ الدعاء متضمن للانشاء و الاخبار : فجهة الخبرية فيه لا تناقض جهة الانشائية .

و هذا موضع بديع يحتاج إلى كشف و إيضاح ، فنقول :

الكلام له نسبتان :

نسبة إلى المتكلم به نفسه ، و نسبة إلى المتكلم فيه إما طلبا و إما خبرا و له نسبة ثالثة إلى المخاطب ، لا يتعلق بها هذا الغرض ، و إنما يتعلق تحقيقه بالنسبتين الأولين :

فباعتبار تينك النسبتين نشأ التقسيم إلى الخبر و الانشاء ، و يعلم أين يجتمعان و أين يفترقان :

ـ فله بنسبته إلى قصد المتكلم و إرادته ـ لثبوت مضمونه ـ وصف الانشاء .

ـ و له بنسبته إلى المتكلم فيه ، و الأعلام بتحققه فى الخارج — وصف الأخبار .

ـ ثم تجتمع النسبتان فى موضع ، و تفترقان فى موضع :

فكل موضع كان المعنى فيه حاصلا بقصد المتكلم وإرادته فقط ، فانه لا يجامع فيه الخبر الانشاء ، نحو قوله : بعتك كذا ، و وهبتك ، و أعتقت و طلقت... فان هذه المعانى لم يثبت لها وجود خارجى إلا بارادة المتكلم وقصده : فهى إنشاءات ، وخبريتها من غير جهة أخرى ، و هى تضمنها إخبار المتكلم عند ثبوت هذه النسبة فى ذهنه لكن ليست هذه هى الخبرية التى وضع لها لفظ الخبر .

و كل موضع كان المعنى حاصلا فيه من غير جهة المتكلم ، و ليس للتكلم إلا دعاؤه بحصوله و محبته ، فالخبر فيه لا يناقض الانشاء ، وهذا نحو : سلام عليكم فان السلامة المطلوبة لم تحصل بفعل المسلم ، و ليس للمسلم إلا الدعاء بها و محبتها .

فاذا قال : سلام عليكم ، تضمن الأخبار بحصول السلامة ، و الانشاء للدعاء بها و إرادتها و تمنيها .

و كذلك ، ويل له ، قال سيبويه — رحمه الله — هو دعاء وخبر و لم يفهم

كثير من الناس قول سيبويه على وجهه ، بل حرفوه عما أراده به :

و إنما أراد سيبويه هذا المعنى : أنهـا تتضمن الأخبار بحصول الويل له مع الدعاء به .

فتدبر هذه النكتة التى لا تجدها محررة فى غير هذا الموضع هكذا .

بل تجدهم يطلقون تقسيم الكلام إلى خبر و إنشاء ، من غير تحرير و بيان لمواضع اجتماعهما و افتراقهما .

و قد عرفت بهذا أن قولهم : سلام عليكم ، و ويل له ، و ما أشبه هذا أبلغ من إخراج الكلام فى صورة الطلب المجرد ، نحو : اللهم سلمه (١) . اهـ

فابن القيم يقرر كعالم بلاغة : أن ما حرره هنا من تعاريف و فروق لا تجدها فى مكان آخر .

و يذكر أن الكثير من لم يفهموا قول سيبويه بأن بعض العبارات تتضمن الدعاء و الخبر .

و يشير إلى أن البلاغيين ذكروا تقسيم الكلام إلى خبر و إنشاء ، غير أنهم لم يبينوا موطن اجتماعهما و افتراقهما فى : عموم وخصوص وجهى أو غيره ، لكنه بين ذلك .

و أوضح بادئ ذى بدء : أن من الكلام ما لا يتعارض فيه وصف الانشاء و الخبرية فى آن واحد .

و يبدو أن مناط العلة فى الاجتماع و الافتراق راجع إلى النسبة .

و النسب مختلفة : فللكلام نسبة إلى المتكلم به ، و أخرى إلى المتكلم فيه ، و هناك نسبة ثالثة . ترجع إلى المخاطب فيما يتعلق تحقيقه ، بالنسبة للنسبتين الأولين

(١) بدائع الفوائد ٢ / ١٣٩ ، ١٤٠

(المتكلم به ، و فيه) .

و قال : إن تقسيم الكلام إلى خبر و إنشاء يرجع إلى النسبتين (المتكلم به ، و فيه) .

و قصد المتكلم حين يريد وصف الاخبار و تحققه فى الخارج يؤكد وصف الخبرية ، و إن أراد وصف الانشاء بالدعاء مثلا كان له وصف الانشاء .

و أن ما قصده المتكلم وأراده وحده من المعانى التى يثبت لها وجود خارجى هى محتملة للانشاء و الخبر : الانشاء بقصده و إرادته و عدم وجودها فى الخارج ، و خبريتها إنما لما تضمنها إخباره عن ثبوت هذه النسبة فى ذهنه ، و هى خبرية لا ترقى إلى خبرية وضع الخبر لها أصلا ، فلفظة (السلام عليكم) لها الاخبار بحصول السلامة ، و الانشاء لتمنيها و إرادتها .

كلام نفيس ، من إمام جليل . لم نجده فى موضع من قبل ، بأسلوب و بيان منطقى ! !

و علنا نفهم - بعدئذ - السلام و سلام ، و قد ذكر فى القرآن الكريم .

و نفهم ما جاء فى أحاديث الرسول - ﷺ - من ألفاظ السلام و سلام .

و نفهم ما جاء فى قول بعض المحبين :

ألا يا نخـلة من ذات عرق : عليك ورحمـة الله السلام

سلام الله يا مطر عليها : وليس عليك يا مطر السلام

و لاينسى الامام ابن القيم المعانى فى زحمـة اللغة ، لشرف المعنى و جلاله ، حين رشف عنه اللفظ و المبنى ، فيخوض فى مسائل تهم المؤمن معرفتها ، فيزفها فى حكمة و روية و حسن تأنى :

فمعنى « السلام » المطلوب عند التحية ، هو :

اسم السلام عليكم ، « والسلام » هنا هو الله عز وجل ، أى نزلت بركة اسمه عليكم و حلت عليكم . . .

أو أن « السلام » مصدر بمعنى السلامة وهو المطلوب المدعو به عند التحية.

وحجة من قال بذلك : أن السلام يذكر أحيانا نكرة (سلام عليكم) واسم الله تعالى كسائر أسمائه لا ينكر ، و إنما يطلع عليه معرفا كسائر أسمائه سبحانه . . .

و لأن المقام طلب السلامــة ، التى هى أهم ما عند الرجل ، جاء فى لفظها اسم من أسماء الله تعالى وهو « السلام » الذى يطلب منه السلام ، فتضمن لفظ « السلام » معنيين : أحدهما : ذكر الله ، و الثانى : طلب السلامة ، وهو مقصود المسلم ، أى تضمن تسليم المسلم : سلام عليكم اسما من أسماء الله ، و طلب السلامة منه ،

و قريب من هذا ما روى بعض السلف أنه قال فى « آمين » أنه اسم من أسماء الله تعالى . وأنكر كثير من الناس هذا القول ، وقالوا : ليس فى اسماء آمين.

و لم يفهموا معنى كلامه ، فانه إنما أراد أن هذه الكلمة تتضمن اسمه تبارك و تعالى ، فان معناها : استجب و أعط ما سألناك .

فهى (آمين) بمعنى استجب متضمنه لاسمه تعالى ، مع دلالتها على الطلب ، و هذا التضمن فى (سلام عليكم) أظهر ، لأن السلام من أسمائه تعالى ، فهـذا كشف سر المسألة (١) .

وقد وقع السلام فى التشهد على الرسول بلفظ الخطاب ، و المقام للغيبـة ، و الصلاة بصيغة الغيبـة ، فى قولنا ـ السلام عليك أيها النبى ، و اللهم صل على سيدنا محمد ـ .

لأن الصلاة عليه طلب و سؤال من الله أن يصلى عليه فلا يمكن فيها إلا لفظ

---

(١) بدائع الفوائد ، إجابة عن السؤال الرابع ص ١٤٠ - ١٤٣ ج ٢ بتصرف كبير.

الغيبة : إذ لا يقال ، اللهم صل عليك .

و جاء السلام بلفظ الحاضر ـ عليك تنزيلا له منزلة المواجه ، لأنه أحب إلى المؤمن من نفسه التى بين جنبيه و أولى بها منها و أقرب و كانت حقيقته الذهن ، و مثاله العلمى موجودا فى قلبه ، بحيث لا يغيب عنه إلا شخصه ، كقول الشاعر :

مثالك فى عينى و ذكرك فى فمى : و مثواك فى قلبى فأين تغيب :

فلم يمنعهم بعد الأشباح عن محادثة الأرواح و مخاطبتها ، كقول الشاعر :

يا مقيما مـــدى الزمان بقلبى : و بعيدا عن ناظرى و عيانى :
أنت روحى إن كنت لست أراها : فهى أدنى إلى من كل دانى (١)

و أضيف إلى هذا ماذكره المعرى من سرى محبوبه أمامه ليلا ، و خلفه نهارا ، فهو لا يراه حين قال :

ما سرت إلا و طيف منك يتبعنى : سرى أمامى ، و تأويبا على أثرى

شرف التحية الاسلامية :

إجتماعيا يتحدث الفقيه ابن القيم عن عادات الشعوب فى التحية عند اللقاء ، و لماذا كانت تحية الاسلام « السلام » دون غيره من الدعاء ؟ وما معنى « السلام » وما هى التحية ؟ يقول رحمه الله تعالى :

تحية الناس عند اللقاء تختلف من رموز اصطلحوا عليها :

فكانت العرب قبل الاسلام تقول فى تحيتها : أنعم صباحا ، و أنعم مساء ، من النعمة (بفتح النون) بمعنى طيب العيش و الحياة كل الوقت ، و كذلك يقول بعضهم : صبحك الله بالخير و مساك الله بالخير ، فهو مثل : أنعم صباحا ، إلا أن فى ذكر الله سبحانه .

---

(١) السابق ٢ / ١٩١ بتصرف شديد .

و تقول الفرس فى تحيتها : (هزا ميابى) أى تعيش ألف سنة . . .
و لهم تحيـــة يخصون بها ملوكهم ، كالسجود و نحوه من ألفاظ لا تشبــه ألفاظ السوقـــة .

ويشقق معنى التحية ليتضح معناها ، فيقول :

« تحية » تفعلة من الحياة ، كتكرمة من الكرامـــة ، لكن أدغم المثلان من فصار (تحية) .

و شرع الله تعالى لأهل الاسلام تحية بينهم : سلام عليكم ، و هى أولى من جميع تحيات الأمم التى منها ما هو كذب أو محال ، كقولهم : تعيش ألف سنة . ومنها ما لا ينبغى إلا لله تعالى . فتحية الاسلام تتضمن السلامة التى لا حياة ولا فلاح إلا بها.

و مقصود العبد من الحياة إنما يحصل بشيئين :

بسلامة من الشر ، و حصول الخير كله ، و السلامة من الشر مقدمـــة على حصول الخير . و كل إنسان و حيوان تهتم بسلامته أولا ، ثم غنيمته ثانيـا . . .
و فوات الخير يمنع حصول السلامة المطلقة .

فانتظمت تحية الاسلام الأصلين اللذين لا تتم الحياة إلا بهما ، مع كونها مشتقة من اسمه « السلام » تعالى ، وحذفت التاء منه ، لارادة الجنس لا السلامة الواحدة .

و الجنة : دار السلام ، و تحيتهم فيها السلام ، و الرب يحييهم فيها بالسلام ، و تحية الملائكة لهم كذلك ، و المراسلان تحيتهما السلام (١) .

و كان « السلام » معرفا آخر الصلاة و ختامها و تحليلها ، لقوله ـ عليـــه السلام ـ : « تحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم » فالتكبير باب الدخول ، و التسليم باب

---

(١) بدائع الفوائد ٢ / ١٤٤ ، ١٤٥ بتصرف .

الخروج لحكمة بليغة يفهمها من عقل عن الله ، و ألزم نفسه بتأمل محاسن هـــذا الدين العظيم :

فالمتهيئ للدخول على الله قطع العلائق بأبلغ لفظ (الله أكبر) مستشعراً أن الله أكبر من كل ما يخطر بالبال ، فلا يشغل نفسه بغيره سبحانه ، و لا تمتلىء نفسك بغيره .

و يكون الانصراف من الصلاة بتحف و خيرات ، هو باب السلام المتضمن أحد أسمائه تعالى ، كما بدأها باسمه .

وكان المصلى فى حمى ربه ما دام فى صلاته ، حماية من كل الآفات و الشرور و البلايا و المحن فاذا انصرف منها ابتدرته الآفات والمحن و تعرضت له ، و جاءه الشيطان بجنوده . . . فاذا انصرف من بين يدى الله بالسلام لم يزل عليه حافظ من الله إلى وقت الصلاة الأخرى ، و كان من تمام النعمة أن ينصرف المصلى بالسلام ، الذى نرجو أن يستصحبه و يدوم له و يبقى معه (١) .

و يرينا الامام ابن القيم الاشتقاق فى أكثر من لون ، ترضية لعلماء أصول اللغة وموافقة لرأى ابن فارس اللغوى فى الاشتقاق الكبار أو النحت فى أقل الأصول اللغوية للكلمة أيضاً ، ويفرق أيضاً بين التعدية للسلام بحروف جر مختلفة ، وكيف يتأتى المعنى مع كل حرف ، و لم كانت « اللغة » متعدية بنفسها ، فلنستمع إلى ابن القيم اللغوى يقول :

(إعلم أن لفظ سلمت عليه ، و صليت عليه . و لعنت فلانا ، موضوعها : الفاظ هى جمل طلبية ، وليس موضوعها معانى مفردة :

فقولك : سلمت ، موضوعه : قلت السلام عليكم ، و موضوع صليت عليه ،

---

(١) السابق ٢ ١٩٥ ـ ١٩٧ بتصرف .

قلت : اللهم صل عليه و موضوع لعنته ، قلت : اللهم العنه .

و نظير هذا : سبحت الله ، قلت سبحان الله . و نظير هذا و إن كان مشتقاً من لفظ الجملة : هلل ، إذا قال : لا إله إلا الله . و حمدل ، إذا قال : الحمد لله و حوقل : إذا قال : لا حول و لاقوة إلا بالله ، و حيعل : إذا قال : حي على الصلاة ، و بسمل ، إذا قال : بسم الله ، قال الشاعر :

وقد بسملت ليلى غداة لقيتها : ألا حبذا ذاك الحبيب المبسمل

و إذا ثبت هذا ، فقولك : سلمت عليه ، أى ألقيت عليه هذا اللفظ ، و أرضعته عليه ، إيذانا باشتمال معناه عليه كاشتمال لباسه عليه ، و كان حرف (على) أليق الحروف به فتأمله .

و أما قوله تعالى : « وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين » (١) فليس هذا بسلام تحية ، ولو كان تحية لقال : فسلام عليه ، كما قال سبحانه : « سلام على إبراهيم » (٢) « سلام على نوح فى العالمين » (٣) .

و لكن الآية تضمنت ذكر مراتب الناس و أقسامهم ، عند القيامة الصغرى حال القدوم على الله تعالى ، فذكر أنهم ثلاثة أقسام :

مقرب له الروح و الريحان ، وجنة النعيم .

ومقتصد من أصحاب اليمين له السلامة ، فوعده بالسلامة ، و وعد المقرب بالغنيمة و الفوز ، إن كان كل منهما سالماً غانماً .

و ظالم بتكذيبه و ضلاله ، فأوعده بنزل من حميم ، و تصلية جحيم .

---

(١) الواقعة ٩٠، ٩١ .

(٢) الصافات ١٠٩ .

(٣) الصافات ٧٩ .

فلما لم يكن المقام مقام تحية ، و إنما هو مقام إخبار عن حاله ، ذكر ما يحصل له السلامة .

فان قيل : فهذا فرق صحيح ، لكن ما معنى اللام فى قوله (لك) ؟ و من هو المخاطب بهذا الخطاب بهـذا الخطاب ؟ وما معنى حرف (من) فى قوله : (من أصحاب اليمين) .

أسئلة نجيب عنها إكمالا للفائدة بحول الله و قوته . و إن كنا لم نر أحداً من المفسرين شفى فى هذا الموضوع الغليل ، و لا كشف حقيقة المعنى و اللفظ . بل حوم بعضهم على المعنى من غير ورود ، كقولهم : فسلم لك أنك من أصحاب اليمين .

فاعلم أن المدعو به من الخير و الشر مضاف إلى صاحبه بلام الاضافة الدالة على حصوله له . و من ذلك قوله تعالى « أولئك لهـم اللعنة » (١) و لم يقل عليهم اللعنـة ، إيذانا بحصول معناها و ثبوته لهم ، و كذلك قوله تعالى : « ولكم الويل مما تصفون » (٢) .

و يقول فى ضد هذا : لك الرحمة ، ولك التحية ، ولك السلام ، ومنه هذه الآية « فسلام لك » أى ثبت لك السلام وحصل لك .

و على هذا فالخطاب لكل من هو من هذا الضرب ، فهو خطاب للجنس ، أى فسلام لك يا من هو من أصحاب اليمين ، كما تقول : هنيئالك يا من هو منهم .

و لهذا ـ و الله أعلم ـ أتى بحرف من ، فى قوله تعالى : (من أصحاب اليمين » (٣) ، والجار والمجرور فى موضع حال ، أى سلام لك كائناً منهم ، والجار والمجرور بعد المعرفة ينتصب على الحال ، كما تقول : أحببتك من أهل الدين والعلم ، أى كائناً منهم .

---

(١) الرعد / ٢٥ . (٢) الأنبياء / ١٨ . (٣) الواقعة / ٩٠ .

فهذا معنى هذه الآية ، و إن خلت عنه كتب أهل التفسير ، فقد حام عليه منهم من حام ، و ما ورد ولا كشف المعنى ولا أوضحه ، فراجع ما قالوه ، و الله الموفق المان بفضله » (١) اهـ .

وأما الحكمة فى تأكيد السلام على النبى ـ ﷺ ـ دون الصلاة فى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » (٢) فان التأكيد ـ فى الوقع ـ واقع على الصلاة و السلام معاً ، و إن اختلفت جهة التأكيد : فأول الآية مؤكدة بحرف « إن » ، ومخبرة عن الملائكة بصيغة الجمع المضاف له سبحانه ، و هذا يفيد العموم والاستغراق ، فان النفس إذا استشعرت أن هذا شأن النبى عند الله وملائكته بادرت إلى الصلاة عليه و إن لم تؤمر بها ، ويكفيها أدنى إشارة ، فاذا أمرت لم تحتج إلى تأكيد الأمر ، بل سارعت إلى الموافقة لله تعالى و ملائكته عليهم السلام .

و لما خلا السلام عن هذا المعنى ، وجاء فى حيز الأمر المجرد دون الخبر ، حسن التأكيد ليدل على تحقيق المعنى وتثبيته ، فقام تأكيد الفعل مقام تكريره ، كما قام التكرير فى الصلاة خبراً أو طلباً ، فلذلك حصل التكرير فى السلام فعلا و مصدراً فتأمله فانه بديع جداً (٣) اهـ .

و أما تقديم السلام على النبى فى التشهد بعد التحيات لله ، لأن الصلاة قد اشتملت على عبودية جميع الجوارح و الأعضاء مع عبودية القلب ، وفتحت بالجلوس فى خشوع و خضوع و انكسار لعظمته ، فكان بدء التحيات بأبلغ ثناء من تحيات و صلوات و طيبات ، لأنها كلها له وحده سبحانه ومنه مبتدؤها ومصدرها و منتهاها (فلما أتى بالثناء العظيم على الرب التفت إلى شأن الرسول فسلم عليه أتم سلام معرف بالألف واللام التى هى للاستغراق مقروناً بالرحمة و البركة .

---

(١) بدائع الفوائد ٢ / ١٤٥ ـ ١٤٧ بتصرف من إجابة السؤال الخامس .

(٢) الأحزاب / ٥٦ . (٣) بدائع الفوائد ٢ / ١٨٨ بتصرف .

ثم انتقل بالسلام على نفسه ، للاهمية و الانسان يبدأ بنفسه ثم بمن يعول ، ثم ختم بعقد الاسلام وهو التشهد بشهادة الحق ، الذى يجمع نوعى الدعاء :

دعاء الثناء والخير ، ودعاء المسألة والطلب ، وبدأ فى دعاء الطلب بأنفعه و هو طلب الصلاة من الله على رسوله ـ ﷺ ـ و هو من أجل أدعية العبد و أنفعها له فى دنياه و آخرته ، و أيضاً كتقدمة بين يدى حاجته (١) .

البركة و البركات : مبنى ومعنى :

البركة نوعان : بركة هى فعله تعالى ، والفعل منها بارك ، ويتعدى بنفسه تارة ، و بأداة (على) تارة ، و بأداة (فى) تارة ، و المفعول منها مبارك ، وهو ما جعل مباركا بجعله تعالى .

والنوع الثانى : بركة تضاف إليه إضافة الرحمة و العزة ، والفعل منها تبارك ، و لهذا لا يقال لغيره ذلك ، و لا يصلح إلا له عز وجل ، فهو سبحانه المبارك ، وعبده ورسوله المبارك .

و أما صفة (تبارك) فمختصة به تعالى ، كما أطلقها على نفسه سبحانه بقوله : « تبارك الذى بيده الملك » ، (٢) و « تبارك الذى نزل على عبده الفرقان » (٣) و « وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة ، و إليه ترجعون » ... (٤) إلخ .

أفلا تراها كيف اطردت فى القرآن جارية عليه ، مختصة به ، لا تطلق على غيره .

وجاءت على بناء السعة و المبالغة ، كتعالى ، و تعاظم ، و نحوهما ، فجاء بناء

---

(١) السابق ٢ / ١٨٨ ـ ١٩٠ بتصرف شديد .

(٢) الملك / ١ . (٣) الفرقان / ١ .

(٤) الزخرف / ٨٥ .

تبارك على بناء تعالى الذى هو دال على كمال العلو و نهايته ، فكذلك تبارك
كمال بركته وعظامها وسعتها .

و هذا معنى قول من قال من السلف ، تبارك : تعاظم .

وقال آخر معناه : أن تجئ البركات من قبله ، فالبركة كلها منه .

وقال غيره كثر خيره وإحسانه إلى خلقه ، وقيل : اتسعت رأفته ور

و قيل تزايد عن كل شيء ، وتعالى عنه فى صفاته و أفعاله ، وقيل
تقدس ، و القدس الطهارة ، وقيل : تبارك ، أى يبارك كل شيء باسمه .

وقيل : تبارك ، ارتفع و المبارك المرتفع ذكره ، وقيل : تبارك أى
وتكتب باسمه وذكره .

وقال ابن عباس : جاء بكل بركة ، وقيل : ثبت ودام بما لم يزل ولا

وحقيقة اللفظة : أن البركة كثرة الخير ودوامه ، ولا أحد أحق ب
وفعلا منه ، تبارك وتعالى .

وتفسير السلف يدور حول هذين المعنيين ، وهما متلازمان .

لكن الأليق بمعنى اللفظة : الوصف لا الفعل ، فانه فعل لازم مث
وتقدس وتعاظم .

ومثل هذه الألفاظ ليس معناها : أنه جعل غيره عالياً ، و ا
ولا عظيماً : هذا مما لا يحتمله اللفظ بوجه .

وإنما معناها فى نفس من نسبت إليه : فهو المتعالى المتقدس ، فكذلك
لا يصح أن يكون معناها بارك فى غيره .

و أين أحدهما من الآخر لفظاً ومعنى : هذا لازم ، و هذا متعد

فعلمت أن من فسر (تبارك) بمعنى ألقى البركة ، وبارك فى غير
معناها و إن كان هذا من لوازم كونه متباركا .

فتبارك من باب مجد ، والمجد كثرة صفات الجلال والسعة و الفضل .

وبارك من باب أعطى و أنعم .

ولما كان المتعدى فى ذلك يستلزم اللازم من غير عكس . فسر من فسر من السلف اللفظة بالمتعدى ، لينتظم المعنيين ، فقال : مجئ البركة كلها من عنده ، أو البركة كلها من قبله ، و هذا فرع على تبارك فى نفسه .

والبركة كلها له تعالى ومنه ، فهو المبارك ، و من ألقى عليه بركته فهو المبارك : و لهذا كان كتابه مباركاً ، وبيته مباركاً ، و الأزمنة و الأمكنة التى شرفها و اختصها من غيرها مباركة .

فليلة القدر مباركة ، وما حول المسجد الأقصى مبارك ، وأرض الشام وصفها بالبركة فى أربعة مواضع من كتابه أو خمسة ...

فالبركة كلها له وصفاً وملكاً ـ وكذلك السلام ، والحمد ، والعزة ، والرحمة ، و قد جمعت بين نوعى الثناء : ثناء الحمد و التمجيد ـ فهو المتبـارك فى ذاته ، الذى يبارك فيمن شاء من خلقه وعليه فيصير بذلك مباركاً :

« تبارك الله رب العالمين » ، (١) « وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما و عنده علم الساعة ، و إليه ترجعون » (٢) .

و هذا بساط ، وإنما غاية معارف العلماء : الدنو من أول حواشيه وأطرافه .

و أما ما وراء ذلك فكما قال أعلم الخلق بالله ، وأقربهم إلى الله ، و أعظمهم عنده جاها : « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » ، [وقال فى حديث الشفاعة : [« فأخر ساجداً لربى فيفتح على من محامده بمالا أحسنه الآن » ، [و فى دعاء الهم والغم : [« أسألك بكل اسم هولك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته فى

(١) الأعراف /٥٤ . (٢) الزخرف /٨٥ .

كتابك ، أو أعلمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك » .

فدل على أن لله ـ سبحانه و تعالى ـ أسماء وصفات استأثر بها فى علم الغيب عنده دون خلقه ، لا يعلمها ملك مقرب ، و لا نبى مرسل ، [وحسبنا الاقرار بالعجز ، و الوقوف عند ما أذن لنا فيه من ذلك ، فلا تغلوا فيه ولا تجفوا عنه ، و بالله التوفيق] ، (١) اهـ .

فلفظ البركة واحد، ولكن الفقيه ابن القيم نوع معناه حسب الفعل والاضافة، ولله تعالى صفة مختصة به فى (تبارك) لا تطلق على غيره ، وبين معنى البركة وأرجعها إلى الكثرة والدوام فى جميع معانيها .

وتلك حقيقة اللفظ ، ومع تلازمهما ، فالأليق به تعالى الوصف لا الفعل ، ومعنى اللفظة فى نفس من نسبت إليه ، وفرق بين اللازم والمتعدى فى اللفظ : فتبارك من باب (مجد) وبارك من باب أعطى ونعم .

والمتعدى يستلزم اللازم ولا عكس، ومن فسر اللفظة بالمتعدى ليتنظم المعنيين : أن مجىء البركة كلها من عنده ، و أن هذا فرع على تبارك فى نفسه .

فعلى ابن القيم السلام ورحمة الله و بركاته ، ونفعنا بعلمه ، وبارك لنا فيه .



(١) بدائع الفوائد ٢/١٨٧ بتصرف .

منافذ الحضارة الاسلامية

إلى

أوربا قبل عصر النهضة

—(٢)— إعداد: محمد صدر الحسن الندوى

هذا العصر يمتد من وقت الغزو سنة ٧١١م حتى أوائل ظهور مدرسة سالرنو فى منتصف القرن الحادى عشر .

العصر الأندلسى والصقلى فى التاثير غير المباشر :

كانت جامعة قرطبة فى القرن العاشر قد أصبحت حقيقة واقعة معروفة فى أنحاء أوربا ، و كان العلم العربى قد بدأ يكتسب شهرة واسعة فى العالم اللاتينى و كانت تعاليم الأساتذة العرب فى صقلية و سالرنو أيضاً قد بدأت تذيع و تستحسن.

و أهم شخصية فى هذا الوقت المبكر لتلاقى الفكرين العربى الاسلامى و المسيحى اللاتينى هو شخصية الراهب الفرنسى جربير (Gerbert) الذى استطاع بما أوتى من فضائل نفسية ومواهب عقلية أن يشق طريقه ليصبح ناظراً لمدرسة ريمز (Rheims) الأسقفية ثم أستاذاً ناصحاً للاباطرة ثم أسقفا لرافنا (Ravenna) ثم يتربع أخيراً على عرش البابوية فى روما تحت اسم سلفستر الثانى من ٩٩٩م إلى ١٠٠٣م .

كان جيرو رئيس الدير البندكى بأفريلاك (AVRILLAC) بفرنسا من هؤلاء الذين خصتهم الطبيعة بشئ من المواهب الدافعة ، لذلك كان حريصاً على رفع مستوى رهبانه ، ذات يوم انتهز فرصة اجتماعية بكونت برشلونة بوريل (BOREL) واستفهم منه عما إذا كان فى أسبانيا أساتذة من أرفع المستويات حقاً . فعند ما أكد

له الكونت هذا ، أرسل معه الراهب جربير إلى برشـلونة ، و كان جيرو يعجب إيما إعجاب بمواهب جربير ، و كان مصيباً و لا شك ، أقام جربير زمنا فى أسبانيا و قضى عدة سنين فى قرطبة ، حيث كان الخليفة يشرف على جميع العلوم و يعضدها و إنه بناءاً على ذلك تعلم العربية و كان يتكلمها بفصاحة أحد أبنائها (١) .

و قد ذاع صيت هـذا الرجل العبقرى العظيم إلى حد اضطر « مان » إلى أن يقول :

« إن عدد تلاميذه كان يزداد يوماً بعد يوم ، و لقد شاع فى الخارج أيضاً لا فى بلاد الغال (فرنسا) وحدها ، و إنمـا فى ألمانيـة و إيطالية حتى البحر الأدرياتى و البحر الترينى أن فى ريمز أستاذاً لا يعتقد أنه يكفى تدريس أعمق فلسفات القدماء فحسب ، و إنمـا عمد إلى التوسع فى علوم الطبيعة و هو فوق ذلك يعرف كيف يوضح بعض العلوم بطلاوة الشاعر و يشرح الأخرى مستعيناً بأعجب الآلات (٢) .

أما بداية التأثير العربى فى جنوبى إيطاليا وصقلية ، فقد ظهرت بوجود مدرسة أسقفية فى سالرنو أسست فى وقت ما قبل قـدوم العرب ، وكانت دراسة الطب بين براعجها ، لـكن المعلومات الطبية كانت بسيطة للغـاية ، أما إحياء سالرنو باعتبارها مركزاً من مراكز التعليم الصحيح ، فبدأ فى القرن التاسع عند ما غزا العرب صقلية و جنوبى إيطاليـا ، و بدأ المعلمون العرب يفدون إلى هنالك و بدأت تعاليمهم تنتشر

(١) أثر العرب فى الحضارة الأوربية جلال مظهر ص ١٦٣ ط أولى ، منشورات دار الرائد بيروت .

(٢) A. K. Mann' The lives of the popes in the early middle ages Vol. V. P. 16 .

و اصبح تأثيرهم ملموسا ظاهراً قبل بداية عصر الترجمة و التدوين .

غير أن الشخصية الكبرى فى هذا العصر كانت لرجل إفريقى يعتبر بحق، إما العصر السارقى و هو قسطنطين الافريقى (١٠٢٠-١٠٨٧م) إنه لم يكن عالماً و لا طبيباً و لا أديباً و لا لغوياً قديراً لا فى اللاتينية و لا فى العربيـة ، و مع ذلك لم يكتف بأن يترجم ترجمات رديئة لبعض المؤلفات العلمية الهامة ، وإنما انتحلها لنفسه و ادعى بلا خجل أنه مؤلفها ، فقد استحسن الناس أعماله استحساناً كبيراً و ذاعت و اشتهرت فى العالم اللاتينى ،

وبدأ يظهر فى هذا العصر ملوك شغفوابالعلم و الأدب منهم روجر الثانى ملك صقلية (١٠٤٣-١١٥٤م) و يرجع فضل هذا الرجل إلى حبه للثقافة و تشجيعه لمختلف فروع المعرفة و خاصة الثقافة العربية التى ازدهرت فى بلاطه .

و من أعماله الهامة الاصلاح الذى أدخله على مهنة الطب تنفيذاً للمبدأ الذى وضعه الخليفة العباسى المقتدر ، وكان المقتدر قد أصدر فى سنة ٩٣١م قانوناً بتحريم مزاولة مهنة الطب على أى طبيب ما لم يجتز الامتحان الطبى بعد ذلك بقرنين أدخل روجر هذا النظام إلى الغرب اللاتينى، فأصدر فى سنة ١١٤٠م أمرا يحتم على جميع من يريد مزاولة مهنة الطب أن يحصلوا على إذن خاص من موظف مختص.

و هناك رجل آخر أعظم هو الامبراطور فريدريك الثانى (١١٩٤-١٢٥٠) وريث العرش الصقلى، إنه تأثر بالطريقة الشرقية الاسلامية و أخذ الكثير من عادات العرب و أخلاقهم ، وكانت زوجاته محجوبات فى حريم على الطريقة الشرقية

٢ - عصر الترجمة العربية إلى اللاتينية .

هذا العصر ينقسم إلى قسمين :

(الف) العصر الأندلسى .

(ب) العصر الصقلى .

(الف) العصر الأندلسى :

امتد هذا العصر تقريباً من النصف الثانى من القرن الثانى عشر إلى آخر القرن الثالث عشر .

و كانت طليطلة مركز الثقل فى هذا العصر ، و بذلك أصبحت طليطلة فى مركز ممتاز لتصبح القبلة التى يتطلع إليها الراغبون فى الترجمة و فى نفس الوقت تملك أعظم الامكانيات للترجمة من العربية إلى اللاتينية و مع مرور الزمن و مع ازدياد الرغبة فى استيعاب حضارة العرب و معارفهم أصبحت طليطلة أهم مركز من مراكز الترجمة .

يقول الأستاذ سنجر :

« و نستطيع أن نستبين بوضوح الحالة الراهنة فى ذلك العصر بأن نستجمع الصورة الحقيقية من وثائق مختلفة تدل على أن طالب العلم الأوربى الشغوف بالعلم المتطلع إلى الاستزداد من المعرفة ، ذاك الذى كانت الدراسة فى باريس أو بادما أو أكسفور لا يرتضيه ، والذى كانت تأخذ بلبه الأخبار المتناقلة الشائعة عن عجائب العلم و الحكمة العربية إنما كان يذهب إلى طليطلة أو قرطبة » (١)

و بدأ يظهر نوع جديد من طالبى العلم جنحوا إلى تعلم اللغة العربية و الترجمة منها إلى اللاتينية ، و كان روبرت الشسترى (ROBERT OF CHESTER) العالم الانكليزى من أوائل الذين قدموا من شمالى أوربا إلى أسبانيا ، وبعد أن تجول فى أنحاء أسبانيا استقر فى طليطلة حيث تعلم اللغة العربية و أنجز ترجمة أحد كتب جابر الكيماوية فى ١١ من فبراير سنة ١١٤٤م كما يقول هو بنفسه ، و فى نفس

(١) CH. Singer' Medieval controbution of modern csvilization P. 124.

الوقت ذهب أسبانى يدعى بطرس الفونسى (P. AlPhonsi) حيث أصبح الطبيب الخاص للملك هزى الأول و نشر هناك علوم المسلمين لأول مرة ، و هذان العالمان ترجما مؤلفات عربية فى الفلك و الرياضيات إلى اللغة اللاتينية .

و استمر التقدم و كثر الطلب على الكتب المترجمة ، فأسس أسقف طليطلة ريموند (١١٢٦ ـ ١١٥١) مدرسة للترجمة و كلف المترجمين بنقل أهم مؤلفات اليونان و العرب إلى اللاتينة .

و يعتبر جيرار الكريمونى (١١١٤-١١٧٨م) من أعظم المترجمين فى هذا العصر على الاطلاق ، حيث تعلم أولا اللغة العربية عن ابن غالب وأجادها ، وعكف خلال العشرين سنة الأخيرة من عمره على الترجمة ، فاتم ترجمة حوالى ثمانيين مؤلفا من أهم المؤلفات فى مختلف العلوم ، و ترجم جميع المؤلفات التى ترجمها قبله إلى العربية حنين ابن اسحاق فى بغداد ، كما ترجم مؤلفات الكندى و كتاب القانون فى الطب لابن سينا وكتاب الجراحة لأبى القاسم ، و فى الفلسفة ترجم كثيراً من مؤلفات أرسطو و الكندى و الفارابى و ثابت بن قرة .

(ب) العصر الصقلى

أما العصر الصقلى فى الترجمة فامتـد تقريباً من منتصف القرن الحـادى عشر إلى آخر القرن الثالث عشر .

قدم عالم إلى سالرنو و قام ببعض الترجمات من العربيـة إلى اللاتينية و هو أديلارد الباقى (ADEALARD OF BATH) و كان قـد عرج على طليطلة ليتعلم العربية و كان ذلك بعد أن زار المراكز الثقافية فى صقيلة حيث استقر بعض الوقت فى سالرنو و ترجم النسخة العربية لأقليدس و ألف مختصراً فى العلوم العربية .

و كذلك أنشأ الامبراطور فردريك الثانى (١١٩٤-١٢٠٥م) جامعة نابولى

وجعل فيها إكاديمية (ACADEMY) لنقل العلوم العربية إلى العالم الأوروبي الغربي وكان شديد الاعجاب بالفلاسفة العرب الذين كان يقرء مؤلفاتهم العربية وكان يجيدها، و كان ميشيل سكوت الذى ترجم شروح ابن رشد و ليوناردو البيزى الذى عرف الغرب بالأرقام العربية و فى بلاطه نشأ الشعر الايطالى الجديد الذى ظهر فى هـذا الوقت كان متأثراً إلى حد كبير بالشعر العربى .

و بعد فردريك عرفت صقلية عصراً آخر من عصور المعرفة و التقدم تحت حكم شـارل أنجو (CHARLES ANJOO) - ١٢٢٦-١٢٨٥م - و هو شقيق القديس موليس التاسع ملك فرنسا ، إنه تربع على عرش صقلية و اهتم بترجمـة المؤلفات العربية إلى اللاتينية ، وإنه كان لديه مؤسسة كاملة لهذا الغرض بما فى ذلك مترجمون من العرب مثل فرج بن سالم و موسى السالرنى و نساخون و مصححون مثل هنرى الانجليزى ، و هناك خطاب من الملك شارل مورخ فى سنة ١٢٨١م يذكر فيه هنرى ترجمة كتاب الحادى للرازى ، و خطاب آخر للملك أيضاً يشير إلى تقديم ابن جزلة عند ما فرغ فرج بن سالم من ترجمته .

(٣) التجارة :

كان العرب يرسلون إلى جميع الموانى الأوروبية المحيطة بهم منتجاتهم الصناعية و الزراعـة كالقطن و الزعفران و الورق و الحرير الغرناطى ، و الجلد القرطبى و النعال الطليطلية و العنبر والفراء و القصدير ، و كانت الموانى الأسبانيـة قادس و مالتة و قرطاجنة و غيره مركز نشاط تجارى .

وتدل النقود العربية كشف التى عنها أعمال الحفر الحديثة على أن العرب وصلوا إلى أقصى الشمال فى أوروبا فوصلوا إلى بحر البلطيق و شواطئ أسوج و فنلاندا و الدنمارك و بروسيا .

يقول الدكتور أوم متز :

« لم يكن لأوروبا سلطان على البحر الأبيض خلال القرن العاشر الميلادى ، بل كان بحراً عربياً ، وكان لا بد لمن يريد أن يقضى لنفسه فيه أمراً من أن يخطب ود العرب كما فعلت نابلى و غيتة و أمالق ، و يظهر أن الملاحة الاوروبية نفسها كانت فى ذلك العصر على حال يرثى لهـــا من الضعف ، ففى سنة ٩٣٥م استطاعت مراكب عبد الله المهدى الفاطمى أن تغزو جنوب فرنسا و مدينة جنوه و أن تفعل مثل هذا بمدينة بيزا فى عامى ١٠١١-١٠١٤م » (١) .

و لما استرد الصليبيون سردينية سنة ١٠٢٢م وكرسكة سنة ١٠٩١م من المسلمين فتح مضيق مسينا و البحر المتوسط للملاحة الأوروبية ، كما استردت الحرب الصليبية الأولى معظم الثغور الجنوبية فى البحر المتوسط وربطت أوروبا بشبكة من الطرق التجارية بينها و بين الشرق ، و سمح مركز ايطاليا المتوسط بين الشرق و الغرب بأن يكون لثغورها مالبندقة و رافنا و ريمين و أمكونا وبارى و برنديزى و تارنو وكروتون و رجيو و سالرنو و أملفى نابلى و استبا وبيزا و لوكا . . . سمح لهذه الثغور بأن تكون لها تجارة مع فلسطين و بلاد المسلمين (٢) .

٣ــ المنفذ الثالث : الحروب الصليبية :

استفاد الغرب من الحروب الصليبية فى ثلاث نواحى بارزة .

(١) التجارة : إزدهرت التجارة فى عهد الصليبيين بسبب تجهيز الجيوش الكبيرة التى ألقت بها أوروبا فى الشرق مدى قرنين و لما يجر ذلك من أمور التموين و النقل

---

(١) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع آدم متز ص ٤٢٣ .

(٢) قصة الحضارة ول ديوار أنت لمجلد الرابع ٤/٥٤ ـ ٧٤ ترجمة بدران .

و بفضل التجارة بين الشرق و الغرب عرف الغرب الدمقس و الساتان و المخمل و الأقمشة المزركشة والطنافس و الأصباغ و المساحيق و العطور و الجواهر وحلت المرايا الزجاجيــة المطلية بغشاء معدنى محل المرايا المصنوعــة من البرنز أو الصلب المصقول و الزجاج (١) .

ودخلت أوروبا محاصيل و زراعات بكميات وافرة بعد أن كان بعضها من مواد الترف كالسكر و الفلفل و الزنجبيل و القرنفل والقرفة و كذلك الأمر بالنسبة للذرة و الأرز و السمسم و الخروب و الليمون والبطيخ و الخوخ و المشمش و الكزبرة و البلح البصل ، وأخذوا من الشرق صناعة تكرير السكر و أخذوا أيضاً عادة الحمامات العامة و المراحيض الخاصة (٢) .

٢– الصناعة :

أثرت الحرف الصليبية أيضاً فى ترقية الصناعات فى أوروبا واستحداث المسلمين مبتكرات جديدة فيها ، نشطت حركة التعدين ، لهذا فردريك الثانى حــذو المسلمين فأمر باصلاح طرق صقلية و أنشأ أولى « الطرق الكبرى الملكية » بتثبيت مكعبات حجرية فى الزى المفكك أو الرمال . و استخــدمت فى انجلترا سنــة ١٠٨٦م أولى الطواحين المائية عن الشرق الاسلامى .

و انتقلت البوصلة و الطباعة و البارود من الشرق إلى الغرب عقب هذه الحروب (٣) .

لقد استوقفت نفائس الشرق الباهرة أنظار أمراء الصليبيين مع جلفهم، فوجدوا فى التجارة وسيــلة تقليدها ، فترى اقتباس نفائس الشرق فى أسلحة الغرب و ثيابه و مساكنه فى القرن الثانى عشر و القرن الثالث عشر على الخصوص .

---

(١) قصة الحضارة ٤/٦٨ . (٢) قصة الحضارة ٤/ ٦٤ ـ ٦٨ .

(٣) قصة الحضارة ٤/ ٨٥ ـ ٨٧ .

حسان بن ثابت الأنصارى

و شعره الجاهلى

(٢)

سعيد الأعظمى الندوى

قصيدته المخضرمة :

و من اللطائف الأدبية أن يكون لهذا الشاعر لمخضرم الذى عاش ـ فى الجاهلية والاسلام كشاعر كبير ـ قصيدة مخضرمة (١) بدأها فى الجاهلية وأتمها فى الاسلام ، وهى القصيدة الأولى من ديوانه فى قافية الهمزة ، استهلها بذكر الديار والآثار لحبيبته شعثاء ، تحدث فيها عن هذه الديار ومروجها وما كان فيها من نعم وشاه و من أنيس حبيب سكنها إلى مدة طويلة ، فكانت لحظات سعيدة لا تكاد تعدلها لحظات أخرى ، وهى ديار بنى الحسحاس بن مالك من بنى النجار ، وقد عفت هذه الديار والمواضع و أتى عليها الروامس و الأمطار ، ولكن الحبيبة شعثاء لم يمح ذكرها و لا ذهب طيفها بل إنها لا تزال تتمثل له بعد وقت العشاء حالما ينام و يأوى إلى فراشه ، و إن لها ذكريات حلوة كثيرة تفاق قلبه و تثير كوامن حبه ، وتحثه على لقائها والبكاء على ما فاته من حديثها وساعات الحب الحانية التى فقدها منذ أمد طويل .

---

(١) اقرأ فى ذلك ما قد كتبه العدوى فى كتبه وهو أحمد بن محمد بن حميد بن سليمان بن حفص بن عبد الله بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج ابن عدى بن كعب العدوى الجهمى ، أحد رواة هذا الديوان ، و من علماء القرن الثالث الهجرى .

وإنه يفيض فى مدحها و الثناء على أوصافها الجميلة و على ما أودع الله سبحانه فيها من جمال الخلق و الخلق وما خلع الله عليها من لباس الحسن الظاهر والباطن، وطالما عالج ما على أسنانهـا من لذة طيبة و حلاوة رائقة تفوق الخمور الجيدة التى كانت تنتجها قرية « بيت رأس » فى الأردن ، التى كانت تتميز بجودة خمورها وصفاء شرابها ، ورقة مزاجها من الماء و العسل ، ولكن الخمر التى فى فمها و على أنيابهـا طعمها أطيب من طعم هذه الخمور ومن طعم عصير التفاح الغض الطرى الذى اقتطف من شجرته وعصر من ساعته .

و من هنا فان كل شراب من الأشربة مهما كان غالياً و بالغاً من الجودة بمكان، إنما يتضاءل ويفقد لذته وبهاءه أمام ذلك الشراب الغالى والراح الطيبة التى تحملها الحبيبة فى فمها وبين أسنانها ، و التى ليس من شأنها أن تسكر الشارب و تجرده من لباس العقل و الشعور الانسانى السليم، بينما نرى أن الأشربة من الخمور المسكرة تهدم الانسان عقلياً و تحرمه من التفكير السليم لفترة من الوقت ، فاذاً به يظن نفسه على قمة من السعادة حيث يفوق ملوك العالم كله ، وقد تهبط به فى الحضيض فلا يتحرج فى السباب و القتال ، و انتهاك الحرمات ، و أحياناً تبعث فيه الهمة و الشجاعة فلا يخاف من الخوض فى صفوف القتال و التربع على عروش الملوك .

إلى هذه المعانى أو مثلها يشير الشاعر المخضرم فى أبيات هذه القصيدة الأولى ، وهى عشرة أبيات يفتتح بها هذه القصيدة قبل أن يسعد بالاسلام ولعله كان يريد أن يتمها قصيدة جاهلية، ولكنه اهتدى بأمر من الله وقضائه إلى الاسلام وذاق حلاوة الايمان بالله و رسوله ، و لم يرض إلا أن يضيف إلى هذه القصيدة معانى إسلامية ويفيض فى مدح النبى المصطفى ﷺ و أن يتناول الكفار والمشركين بالهجاء ممن كان يهجو النبى ﷺ ويؤذيه :

و هذه هى الأبيات العشرة الأولى التى استهل بها القصيدة المخضرمة :

عفت ذات الأصابع فالجواء ... إلى عذراء منزلها خلاء (١)
ديار من بنى الحسحاس قفر ... تعفيها الروامس و السماء (٢)
و كانت لا يزال بها أنيس ... خلال مروجها نعم وشاء
فدع هذا ، و لكن من لطيف ... يؤرقنى إذا ذهب العشاء (٣)
لشعثاء التى قد تيمته ... فليس لقلبه منها شفاء (٤)
كأن سبيئة من بيت رأس ... يكون مزاجها عسل وماء (٥)
على أنيابها ، أو طعم غض ... من التفاح هصره الجناء (٦)
إذ ما الأشربات ذكرن يوماً ... فهن لطيب الراح الفداء (٧)
نوليها الملامة ، إن ألمنا ، ... إذا ما كان مغث أولحاء (٨)

(١) عفت : درست ، ذات الأصابع و الجواء : موضعان فى الشام ، عذراء : موضع على بريد من دمشق ، وبها قتل معاوية حجر بن عدى الأدبر وأصحابه .

(٢) بنو الحسحاس : أولاد الحسحاس بن مالك بن بنى النجار ، الروامس : الرياح التى تثير التراب فترمس به الآثار أى تدفنها ، السماء : المطر .

(٣) إذا ذهب العشاء : أى إذا حان وقت النوم ، و العشاء : أول الظلام .

(٤) شعثاء : اسم امرأة .

(٥) سبيئة : الخمر ، بيت رأس ، اسم لقريتين فى كل واحدة منهما كروم كثيرة وينسب إليها الخمر لجودتها ، إحداهما فى بيت المقدس ، وقيل هى كورة بالأردن ، و الأخرى فى نواحى حلب .

(٦) هصره : أماله .

(٧) الأشربات ، جمع الجمع ، الراح الخمر وسميت الخمر راحاً لارتياح شاربها .

(٨) المغث : الشر و القتال ـ اللحاء : السباب - .

و نشربها فتتركنا ملوكاً   و أسداً ما ينهنهنا اللقاء

إلى هنا قالها حسان فى الجاهلية ، ثم كتب الله للشاعر أن يهتدى إلى الاسلام ويصرف عنان الشعر من المعانى الجاهلية إلى ما يمدح به النبى ﷺ ويدافع به عن رسالته التى جاء بها من عند ربه الكريم، وقد آمن بكل معانى الايمان بأن الاسلام سينتصر على الكفر ، وتبيض وجوه المسلمين بالنصر على الأعداء و بالفتح المبين ، فيأتى بنبوة الفتح و يتحدث عنه فى الأبيات التالية بشئ من التحدى ، و من الثقة بالحق ، و لا يفارقه فى هذه الأبيات معانى الفخر و الاعتزاز بالدين الذى دخل فيه وهجاء المشركين ، وخاصة أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب الذى كان ألد أعداء المسلمين يوم ذاك ، وعصر جميع مواهبه الشعرية فى النيل من شخصية الرسول ﷺ وهدم رسالته ، يقول :

عدمنا خيلنا إن لم تروها   تثير النقع ، موعدها كداء
يبارين الأعنة مصعدات   على أكتافها الأسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات   تلطمهن بالخمر النساء

وقد تحققت هذه النبوة يوم فتح مكة فقد جرت خيول المسلمين تثير النقع ، وبلغت إلى موضع الثنية العليا بمكة التى تسمى بكداء ، و هى حاملات على أكتافها الرماح الصلبة التى كانت تترقب الرى بدماء المشركين ، و وقفت نسوة المشركين يرمين خمرهن على أعين الخيول لكى يرددنها عن غايتها ، و ذلك ما عبر عنه الشاعر بتلطيم النساء الخيل .

و الشاعر يشير على المشركين أن يعرضوا عن المسلمين ويسمحوا لهم بدخول مكة و أداء العمرة ، و هنالك ينكشف الغطاء ويتم للمسلمين الفتح ، أما إذا لم يقبلوا هذا النصح فعليهم بانتظار يوم الحرب التى تحكم بما يجب ، ويعز الله فيها من يشاء من عباده .

فاما تعرضوا عنا اعتمرنا — و كان الفتح و انكشف الغطاء
و إلا فاصبروا لجلاد يوم — يعز الله فيه من يشاء

ثم يتظاهر الشاعر بالفخر و الاعتزاز بالاسلام و بأمين الوحى و رسول الاسلام عليهما السلام ولا يترك شيئاً من معانى الهجو و التهديد والتحدى و الفخر والترغيب و الترهيب إلا ويأتى به فى الأبيات الآتية ويوجهه إلى المشركين :

و جبريل أمين الله فينا — و روح القدس ليس له كفاء
و قال الله قد أرسلت عبداً — يقول الحق إن نفع البلاء
شهدت به فقوموا صدقوه — فقلتم : لا نقوم و لا نشاء
و قال الله قد يسرت جنداً — هم الأنصار عرضتها اللقاء
لنا فى كل يوم من معد — سباب أو قتال أو هجاء
فنحكم بالقوافى من هجانا — و نضرب حين تختلط الدماء

وهنا يوجه الهجاء إلى أبى سفيان بن الحارث (١) مباشرة ويخاطبه بأغلظ كلام :

الا أبلغ أبا سفيان عنى — فأنت مجوف نخب هواء
بأن سيوفنا تركتك عبداً — وعبد الدار سادتها الاماء
هجوت محمداً فأجبت عنه — و عند الله فى ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفو — فشركما لخيركما الفـــداء
هجوت مباركاً براً حنيفاً — أمين الله شيمته الوفاء (٢)

---

(١) أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ، ابن عم رسول الله ﷺ و أخوه فى الرضاعة ، هجا الرسول ﷺ فى الجاهلية بكلامه وآذاه . ثم أسلم وحسن إسلامه .

(٢) قال ابن عساكر فى روايته : هجوت محمداً براً حنيفاً رسول الله شيمتــه الوفاء، و فى الاستيعاب : هجوت مطهراً براً حنيفاً أمين الله شيمته الوفاء و فى صحيح مسلم : هجوت محمداً براً تقياً رسول الله شيمته الوفاء .

فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء (١)

فان أبى ووالده وعرضى ... لعرض محمد منكم وقاء (٢)

ثم ينتقل إلى ما كان بين بنى لوى وجذيمة من عداوة ونقمة ، فكانت حى بنى لوى تتحين الفرصة لقتال حى جذيمة ، الذين أوقع بهم رسول الله ﷺ يوم المريسيع ، وجذيمة هو المصطلق بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو مزيقياء، فيقول حسان : إن وجدت بنو لوى حى جذيمة فان قتلهم إياهم شفاء لما فى الصدور، ذلك لأن جذيمة نصروا علينا أعداءنا وفعلا انتقمنا منهم وبطشنا بهم وافترسناهم بضراوة ففى أظفارنا دماؤهم ، يقول :

فاما تثقفن بنو لوى ... جذيمة إن قتلهم شفاء

أولئك معشر نصروا علينا ... ففى أظفارنا منهم دماء

ويشير إلى الحلف الذى قام به الحارث بن أبى ضرار بن خبيب بن الحارث بن عائذ بن مالك بن المصطلق ، وهو والد جويرية أم المؤمنين رضى الله عنها ، وكان الحارث يقود بنى المصطلق الذين ساعدوا قريشاً على حرب المسلمين فى أحد ، فكان قائدهم كذلك فى غزوة بنى المصطلق ، ثم أسلم الحارث وأسلم معه رجال من قومه ، وقريظة هم بنو قريظة إخوة النضير ، وقد كانوا عاهدوا رسول الله ﷺ ثم نقضوا العهد ، وظاهروا المشركين على رسول الله ﷺ ، يقول :

وحلف الحارث بن أبى ضرار ... وحلف قريظة منا براء

---

(١) استفهام انكارى .

(٢) أراد حسان فى هذا البيت : فان أبى ووالده وآبائى وأسلافى ، فأتى بالعموم بعد الخصوص ، ويقال : لما بلغ حسان إلى هذا البيت قال رسول الله ﷺ لحسان : وقاك الله يا حسان حر النار .

ويختم القصيدة بالاعتزاز بلسانه الذى يشبهه بالسيف الصارم، وشعره بالبحر الصافى

لسانى صارم لا عيب فيه وبحرى لا تكدره الدلاء (١)

و هذه قصيدة أخرى جاهلية قالها حسان رداً على قصيدة قيس بن الخطيم التى قالها بمناسبة يوم السرارة الذى كان بين الأوس و الخزرج ، و قد تحدث عنه هشام بن محمد بن السائب الكلبى فقال : كان من أيام الأوس و الخزرج يوم السرارة و كان يوما عض على الحيين جميعاً ، و ذاك أن رجلا من الخزرج لقى رجلا من الأوس خارجاً من بئر أريس من عند ظئر له، و مع الخزرجى قوس له ونبل ، فرماه فقتله ، فلما بلغ الأوس مقتل صاحبهم ليلا قتلوه بياتاً ، و كان لا يقتل رجل فى داره ولا فى نخله ، فرأت الخزرج مقتل صاحبهم ، فقالوا : والله ما قتل صاحبنا إلا الأوس ، فخرجوا إليهم و خرجت الأوس نحوهم بالسرارة فاقتتلوا بها أربعة أيام حتى نال القتل كلا الفريقين ، كل واحد من صاحبه كيف شاء ، و هنالك قال قيس بن الخطيم قصيدته التى تحتوى على ٢٢ بيتاً و فيها من معانى الفخر و التهديد ما تعود به شعراء القبائل أن يتظاهروا بها فى كل مناسبة .

و مطلع القصيدة .

تروح من الحسناء أم أنت مغتدى و كيف انطلاق عاشق لم يزود

إلى آخر ما جاء فيها من قول

فلا يبعدنك الله عبد بن نافذ و من يعله ركن من الترب يبعد

و رد عليها حسان بالقصيدة التالية و فيها تركيز قوى على معانى الفخر والاعتزاز بما كان يتمتع به من أوصاف كريمة ، و الاعتراف بالفضل الذى تفضل به النعمان بن المنذر اللخمى عند زياراته له فى الأيام الأولى ، يقول :

(١) شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصارى ، عبد الرحمن البرقوقى ، طبع دار الكتاب العربى ، بيروت ص/٦٣ .

لعمر أبيك الخير ياشعث ما نبا ... على لسانى فى الخطوب ولا يدى (١)

لسانى و سيفى صارمان كلاهما ... و يبلغ مالا يبلغ السيف مذودى (٢)

و إن أك ذامال قليل أجد به ... وإن يهتصرعودى على الجهد يحمد (٣)

فلا المال ينسينى حيائى و عفتى ... و لا واقعات الدهر يفللن مبردى (٤)

أكثر أهلى من عيال سواهم ... و أطوى على الماء القراح المبرد (٥)

و إنى لمعط ما وجدت و قائل ... لموقد نارى ليلة الريح أوقد (٦)

و إنى لقوال لدى البث مرحباً ... وأهلا إذا ما جاء من كل مرصد (٧)

---

(١) الخير نعت لأبيك، وياشعث ترخيم شعثاء وهى امرأة من أسلم تزوج بها حسان

(٢) مذود : من ذاد يذود بمعنى دافع و هى آلة الدفاع يعنى لسانه .

(٣) أجدبه : من جاد يجود، و الجهد و الجهد و المجهود الطاقة و الاستطاعة ، و إن يهتصرعودى : يعنى به أن يمال غصنى، و المراد به إذا جربنى الناس وجدونى صالحا للحمد .

(٤) يقول : إن الثراء لا ينسينى واجبى من العفة و الحياء و إن صروف الدهر و نوازله لا تقعد بى عن أداء الواجب من القرى و العطاء و هذا توكيد لما قبله .

(٥) أطوى : من باب ضرب بمعنى تعمد الجوع و أما من باب علم فمعناه خمص من الجوع ، و الماء القراح الخالص يقول : أبيت جائعاً أكتفى بالماء و أوثرغيرى على نفسى بالطعام كما أضم إلى أهلى غيرهم و أعولهم .

(٦) لقد كانت للعرب نار تسمى نار القرى توقد ليستدل الأضياف بها على المنزل وكانت توقد على الأماكن المرتفعة ، و المراد من ليلة الريح ليلة الشتاء القارة التى تهب فيها الرياح الباردة .

(٧) البث : الهم و الحزن ، و المرصد : الطريق يشير إلى أنه يحتفى بالضيوف وقت الشدة والأسى ويرحب بكل ضيف جاء من أى طريق وفى أى وقت.

و إني ليدعوني الندى فأجيبه — و أضرب بيض العارض المتوقد (١)
و إني لحلو تعتريني مرارة — و إني لتراك لما لم أعود (٢)
و إني لمزجاء المطي على الوجى — و إني لتراك الفراش الممهد (٣)
و أعمل ذات اللوث حتى أردها — إذا حل عنها رحلها لم تقيد (٤)
أكلفها أن تدلج الليل كله — تروح إلى باب ابن سلمى وتغتدى (٥)
و ألفيته بحراً كثيراً فضوله — جواداً متى يذكر له الخير يزدد (٦)
فلا تعجلن يا قيس و اربع فانما — قصاراك أن تلق بكل مهند (٧)
حسام و أرماح بأيدي أعزة — متى ترهم يا ابن الخطيم تبلد
ليوث لها الأشبال تحمي عرينها — مداعيس بالخطى فى كل مشهد (٨)

---

(١) الندى : السخاء و الكرم ، بيض العارض : يريد بها المطر ، و أضرب بيض العارض : يعني بذلك أنه يسبق المطر في البذل و السخاء ، المتوقد : الذي يلمع بالبرق.

(٢) كناية عن كونه ذانفع و ضرر يقال : فلان ما يمر و ما يحلى : يعني لا يضر و لا ينفع.

(٣) مزجاء على وزن مفعال صيغة المبالغة بمعنى كثير الازجاء و السوق ، الوجى من باب علم بمعنى رقة القدم من كثرة المشي ، و الألم في حافر الفرس.

(٤) ناقة ذات اللوث ، ناقة قوية ، و هي لا تقيد لشرف مكانتها.

(٥) أدلج الليل : سار الليل كله أو آخره ، وابن سلمى هو النعمان بن المنذر اللخمي.

(٦) ألفيته بمعنى أدركته ، فضول جمع فضل بمعنى المنة والعطاء ، يعني كلما طلب منه الفضل زاد فضلا و عطاءاً.

(٧) يريد قيس بن الخطيم ، واربع بمعنى انتظر وتوقف ، قصاراك : يعني نهايتك أن تحارب بالسيوف الحسام و الرماح التي تحملها أبطال اعزة تتبلد بمجرد رؤيتهم و تفقد رشدك.

(٨) ليوث ، صفة ثانية لأبطال، الأشبال جمع شبل ، ابن الأسد ، مداعيس جمع مدعس ومدعاس ، المراد بها كثير الطعن بالرماح ، من دعس يدعس بمعنى ★

فقد ذاقت الأوس القتال وطردت ... وأنت لدى الكنات فى كل مطرد (١)
فناغ لدى الكنات حوراً نواعما ... و كحل مآقيك الحسان بإثمد (٢)
نفتكم عن العليا أم لئيمة ... و زند متى تقدح به النار يصلد (٣)

و هنا قصيدة أخرى يشتمل على اثنى عشر بيتاً من نفس قافية الدال ، وفيها اعتزاز بالنفس ، و حديث عن الشجاعة و الكرم و السخاء و ذكر لمجالس السمر و الخمر ، يقول ،

أنظر خليلى ببطن جلق هل ... تؤنس دون البلقاء من أحد (٤)
جمال شعثاء قد هبطن من ... المحبس بين الكثبان فالسند (٥)
يحملن حوراً حور المدمع فى الر ... يط و بيض الوجوه كالبرد (٦)

★ وطئ و داس، الخطى : الرمح المنسوب إلى الخط، وهى نسبة جرت مجرى الأسم العلم ، والخط موضع باليمامة ، وهو مرفأ السفن ، التى كانت تحمل قصب الرماح .

(١) طردت بمعنى شردت أو طوردت و الكنات جمع كنة بضم الكاف بمعنى السقيفة والجناح الذى يخرج من الحائط فوق الباب مثلا، وأما بالفتح فمعناها زوجة الابن أو الأخ .

(٢) ناغ بمعنى غازل، حوراً نواعما كناية عن النساء الشابات ، مآقى جمع مأق بمعنى مجرى دموع العين مما يلى الأنف ، كناية عن التشبه بالنساء .

(٣) نفتكم بمعنى أبعدتكم ، الزند : العود الأعلى الذى يقتدح به النار ، وصلد يصلد كعلم ، يعلم إذا صوت الزند و لم يخرج ناراً .

(٤) الجلق اسم لدمشق قديماً ، و البلقاء كورة من أعمال دمشق .

(٥) المحبس : موضع ، و السند بفتح السين بلد معروف فى البادية .

(٦) حور ، جمع حوراء من الحوة و هى سمرة الشفة يريد بها نساء حواً ، حور المدامع بمعنى حور العيون ، الريط ، الملاءة إذا كانت قطعة واحدة .

من دون بصرى و خلفها جبل الثلج عليه السحاب كالقدد (١)
إنى ورب المخيسات و ما يقطعن من كل سربخ جدد (٢)
و البدن إذ قربت لمنحرها حلفة بر اليمين مجتهد (٣)
ما حلت عن خير ما عهد و لا أحببت حبى إياك من أحد (٤)
تقول شعثاء لو تفيق من الكأس لألفيت مثرى العدد (٥)

(١) بصرى : قرية بالشام ، معروفة باقية إلى اليوم ، وقوله كالقدد : جمع قدة والقدة : القطعة من الشيء ، والقدة : الفرقة من الناس و فى التنزيل « كنا طرائق قدداً » وتقدد القوم: تفرقوا قدداً أى قطعاً ، يقول كالجماعات المتفرقة .

(٢) المخيسات : الأبل المذللة من خيس الدابة ذللها ، و فى الأثر أن رجلا سار معه على جمل قد خيسه أى راضه وذلله بالركوب ، و السربخ : الأرض البعيدة وقيل هى المضلة التى لا يهتدى فيها لطريق ، وقيل الواسعة ، و فى الأثر « وكأن قطعنا إليك من دوية سربخ » أى مفازة واسعة بعيدة الأرجاء ، والجدد ، : الأرض الغليظة وقيل المستوية ، وفى المثل « من سلك الجدد أمن العثار » يريد من سلك طريق الاجماع ، فكنى عنه بالجدد ، ولكن الأنسب هنا أن يكون المراد بالسربخ البعيدة و بالجدد الغليظة .

(٣) و (٤) البدن : جمع بدنة ، وقد تقدمت ، يقول ورب البدن ، والمنحر : موضع النحر ، وقوله حلفة بر مجتهد راجع إلى قوله ورب المخيسات ، أى أقسم بذلك قسم صادق لم يقصر أنى ما تحولت عن خير ما عهدتنى عليه باشعثاء و إنى ما أحببت أحداً حبى إياك .

(٥) لو تفيق من الكأس : لو تقلع عن الشراب ، وقوله لألفيت : أى لوجدت صاحب ثراء ومال .

أهوى حديث الندمان فى فلق الصبـــــح وصوت المسامر الغرد (١)

يأبى لى السيف و اللسان وقو م لم يضاموا كلبدة الأسد (٢)

لا أخدش الخدش بالنديم و لا يخشى جليسى إذا انتشيت يدى (٣)

و لا نديمى العض البخيل و لا يخاف جارى ما عشت من وبد (٤) (٥)

(١) قوله أهوى و فى نسخة أشهى : يعتذر عن حبه الخمر والسكر ، وأشهى : أشتهى ، تقول شهيت الشىء أشهاه ، و الندمان ، النديم أى الذى ينادمك و يرافقك و يشاربك وقد يكون الندمان واحداً وجمعاً ، و المسامر : من السمر و هو الأحدوثة بالليل و لكن المراد به هنا المغنى و من ثم وصفه بالغرد ، قال الشاعر : من دونهم إن جئتهم سمراً ـ عزف القيان ومجلس غمر . وقد يكون المراد الذى يسمر فقط و وصفه بالغرد لطيب حديثه .

(٢) و (٣) و (٤) وقوله يأبى لى السيف أى يأبى لى كل أولئك ـ السيف واللسان وقومى ـ كل ما لا يليق من قولة أو فعلة ، ومفعول يأبى محذوف للتعميم مع الاختصـار ، و قوله كلبدة الأسد يريد أن قومه ذو منعة وعز ، و فى المثل : هو أمنع من لبدة الأسد و من جبهة الأسد ، ولبدة الأسد ، الشعر المتراكب بين كتفيه ، والعض : السىء الخلق قال :

ولم أك عضا فى الندامى ملوما : والجمع أعضاض ، و الوبد : شدة العيش و الفقر و البؤس مصدر يوصف به . فيقال رجل وبد : أى سىء الحال يستوى فيه الواحد والجمع ، كقولك رجل عدل ثم يجمع فيقال أوباد على توهم النعت الصحيح : يقول يأبى لى سيفى ولسانى و قومى الأعزة أن يفرط منى ما أواخذ به فلا أسيق إلى النديم و لا يخشى جليس يدى إذا سكرت ولا ينادمنى سيئ الخلق ولا البخيل ولا يخاف جارى بؤسا ما حييت .

(٥) شرح ديوان حسان للبرقوقى ص ١٦٣ ـ ١٦٥ .

رة إيران ، الامام الخمينى و المذهب الشيعى

عرض وتعريب : الدكتور عبد الله عباس الندوى
أستاذ بجامعة أم القرى، مكة المكرمة

[كتاب جديد يعكف على تأليفه العالم الجليل فضيلة الشيخ محمد النعمانى أحد أعلام الهند و عضو مجلس رابطة العالم الاسلامى ، حب مجلة دينية باللغة الأردية « الفرقان » تصدر منذ أكثر من خمسين بانتظام ، و مؤلف معارف الحديث النبوى الشريف ، و كتب دينية ، واسعة الانتشار و القبول بين مسلمى الهند و باكستان ، يلى مقدمة كتابه .]

لأراجيف (١) التى تثيرها حكومة إيران عن طريق سفاراتها و عملائها ء العالم لابراز شخص الامام (٢) الخمينى فى إطار من التمجيد وهالة من تفخيم ثورته وإظهارها فى مظهر إسلامى بحت ، أمر يفوق المستويات مروفة التى تنهجها الحكومات لكسب الرأى العالمى نحوها ، و ليس أن الأراجيف حدود الصدق و الواقع إلى مراحل الاغراق الشائن و الغلو د بل إنها حاولت محاولة سافرة لقلب الحقائق و تعريف المنكر و إنكار

ب للترجم أن يستعمل كلمة «الدعاية» مقابل التعبير الأردى الانجليزى ، لأن الدعاية كلمة شريفة وردت فى الحديث النبوى الشريف فى معنى الأراجيف أقرب إلى مدلول كلمة «بروباغندا» إلا أن المرحوم الشيخ محب ب استعمل نفس الكلمة (بروباغندا) فى كتاباته (المترجم) .
اة لشعور أتباع الشيخ الخمينى الذين لا يسمونه إلا بلقب « الامام » كتبت رعا بهذا اللقب، أما ما أراه فسيتبين للقراء فى الصفحات التالية إن شاء الله .

المعروف ... و لم يعهد كاتب هذه السطور فى مدة سبعين سنة من حياته بعد الرشد أن حكومة ما أو حزباً ما تتبنى سياسة الأراجيف بالدقة و الشمول اللتين تتميز بهما وسائل الدعايات الايرانية المعاصرة و تنفق لها الأموال الطائلة و تبذر لها أقوات الشعب المنكوب ، ما لا تقوم بها الحكومات إلا أيام حربها مع حكومة أخرى ، ومن قبيل هذه الأراجيف المفتعلة مؤتمرات و لقاءات تنظم فى داخل إيران و خارجها و تدعى إليها شخصيات يرجى منها تأييد الأهداف الثورية و إطراء الشيخ روح الله الخمينى ، و هذا بجانب المنشورات و الدوريات التى توزع على أوسع نطاق ممكن فى العالم كله ، و قد تحدث إلى زائر لى جاء من أقصى المناطق الريفية أنه يستلم بانتظام الدوريات الايرانية فى لغته .

والرجل العادى الذى ليس لديه خلفيات علمية عن حقيقة الشيعة يزعم فى عفويته أن دعوة الشيخ الخمينى دعوة إسلامية عامة ، دعوة إلى الوحدة الاسلامية و تقريب وجهات النظر بين أهل السنة والشيعة و تضييق هوة الخلاف بين الفرق الاسلامية ، ويشترك الرجل العادى فى فهمه كثير من الكتاب والمثقفين ممن لم يطلع على أهداف حقيقية لهذه الثورة ، ولم يطلع على أسسها الدينية والعقائدية التى بينها الامام الخمينى فى كتابه « ولاية الفقيه والحكومة الاسلامية » ولم يعرف مدى المكاره التى يعانيها المسلمون من أهل السنة فى داخل إيران ولم يتضح له رؤية الوجه الحقيقى للمذهب الشيعى المظلم .

و إنى لا أرى باساً فى الاعتراف بجهل كثير من أمثالنا طلبة العلم عن حقيقة الشيعة فضلا عن عامة المثقفين ، و قليل منا من تفرغ لدراسة المذهب الشيعى و وقف على أسراره .

أما أنا شخصياً فلم أكن أعلم عن حقيقة الشيعة أيام دراستى للعلوم الدينية وأثناء قيامى بالتدريس إلا الخطوط العريضة لهذا المذهب ، ثم جاء أوان اطلعت فيه على بعض الكتب التى ألفها علماء أهل السنة والجماعة فى المذهب الشيعى ، وأذكر أن أول كتاب قرأت فى هذا الموضوع كان من تاليف القاضى احتشام الدين المرادآبادى رحمه الله ، باسم « نصيحة الشيعة » وقد وجدت الكتاب ممتعاً و إن كان مضى على تاليفه

ما يقرب مائة سنة ، كما اطلعت فيما بعد على مؤلفات العالم الكبير الشيخ عبد الشكور الفاروقى رحمه الله ، الذى كان اختصاصه بهذا الموضوع وكنت أظن فى نفسى أنى علمت كل شئ عن الشيعة و لكنى لما اطلعت على كتب الشيخ الخمينى وجدتنى مدفوعاً إلى أن أدرس هذا المذهب من جديد ، وكلما بلغتنى تلك الأراجيف التى ذكرتها فى مستهل مقالى ، زدت يقيناً أننا فى أمس الحاجة إلى دراسة موضوعية جدية لهذا المذهب وقرأت فى هذه المرحلة - رغم أنى تجاوزت الثمانين من عمرى وأعانى أمراض الشيخوخة - آلافاً من الصفحات و ظهر لى الآن أنى لم أكن أعرف عن الشيعة شيئاً يذكر و علمت أنه ليس بامكان واحد منا أن يدرك حقيقة الثورة الايرانية إلا بعد معرفته حقيقة المذهب الشيعى ومبدأ الامامة ، فان مبدأى « الامامة » « والغيبة الكبرى » للإمام المحتجب (المهدى المنتظر) هما قوام الثورة الايرانية وأساسها ، وبالمناسبة تجدر الاشارة هنا إلى أن أهم أسباب اختفاء هذا المذهب عن أنظار العلماء المسلمين هو مبدأ «الكتمان» (١) عند الشيعة الذى لم يمكن علماء أهل السنة من دراسة المذهب الشيعى عن كثب ، وهذا المبدأ الشيعى متغاير عن مبدأ التقية ، فالتقية تضليل المخاطب أو الشاهد بالقول أو العمل ، أما الكتمان فهو شيء آخر مرده عدم اطلاع الناس على أسرار العقيدة والسلوك ، وسيأتى إيضاح المراد بينهما بشيء من التفصيل فى مواضعهما من البحث ، وجملة القول فى هذا المكان أن كتب الشيعة كانت كنوزاً مخفية عند علمائها فى نسخ خطية طوال العصور التى سبقت اكتشاف المطابع فلم يستطع علماؤنا الاطلاع عليها بحال من الأحوال ، و بعد أن عم استخدام المطابع بدأ الناس يعرفون شيئاً عن معتقدات الشيعة و لكن حرص علماء الشيعة على الكتمان و ضنهم بكتبهم و عدم الرغبة عند عامة الباحثين فى الاطلاع على مصادرهم ظل حاجزاً بين حقيقة الشيعة و معرفتنا إياها ، و يبدو من دراسة ما كتب عن الشيعة فى مسائل الردة و النكاح فى كتب الفتاوى و الأحكام

---

(١) إن مبدأ الكتمان ركن من أركان المعتقدات الشيعية كما جاء فى « أصول كافى » وهو من أهم مراجع الشيعة رواية عن إمامهم المعصوم الامام جعفر الصادق أنه قال : إنكم على دين من كتمه أعزه الله ، و من أذاعه أذله الله » .

إن علماءنا السابقين - رحمهم الله - مع سعة علمهم وذكائهم و إخلاصهم للعلم والدين لم يكونوا مطلعين من مبادىء الشيعة ومعتقداتهم إلا على أمور سطحية عرفوها واكتفوا بها، اقرأ على سبيل المثال الفتاوى الهندية المعروف باسم « فتاوى عالمجيرى » الذى ألفه نخبة من علماء الهند تحت رعاية الملك المسلم أورنك زيب - رحمه الله - قبل ثلاثة قرون من الآن و رد المختار للعلامة ابن عابدين الشامى ، ستعلم أن علماءنا لم يقفوا على مراجع المذهب الشيعى .

وأغرب من هذا كله أن الامام الثقة الشيخ أحمد السرهندى و هو من كبار علمائنا و قد مضى على وفاته أربعة قرون يتحدث عن الشيعة فى مكاتيبه (الرسائل) مراراً و له كتاب بالفارسية فى رد الشيعة و ترجم هذا الكتاب العلامة الحجة الشيخ أحمد بن عبد الرحيم أيام عكوفه بالمدينة المنورة فى القرن الثانى عشر الهجرى تحقيقاً لرغبة أستاذه الشيخ أبى طاهر الكردى ، و قد أضاف الشيخ أحمد رحمه الله إلى فوائد الأصل تعليقات موضحة (١) ثم ألف كتابين ضخمين فى رد الشيعة و هما « إزالة الخفاء » و « قرة العينين » ولاشك أن الكتب المذكورة تدل على سعة علمه وعلم مؤلفيها وما أفاض الله على قلوبهم من معان دقيقة ولكنها فى الوقت نفسه تدل دلالة واضحة على أن هؤلاء الجهابذة لم يتمكنوا من الاطلاع على أهم مصادر الشيعة مثل « الجامع الكافى» الكتاب الذى لا يستغنى عنه من يريد كشف القناع عن وجه أو وجوه هذا

(١) إن كتاب الامام الشيخ ولى الله الدهلوى (العلامة أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى صاحب حجة الله البالغة) ظل مطموراً غير مطبوع ، وكانت نسخته الخطية توجد فى بعض المكتبات وأخيراً تولى طبعه الشيخ أبو الحسن زيد الدهلوى ومعه الأصل الفارسى للشيخ للسرهندى باسم « ردود روافض » و المجموعة طبعت باسم « المجموعة السنية » .

ذهب ، والسبب كما أسلفت أن علماء الشيعة لم يكونوا يسمحون لأحد أن يقترب
ل هذه الكتب فضلا عن أن يطلع عليه امتثالا لأمر أئمتهم المعصومين
لكتمان ، ولذلك لم تصل هذه الكتب إلى عامة علمائنا ، ولا نكاد نستثنى منهم أحداً
لا القليل النادر مثل العلامة الشيخ عبدالعزيز بن أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى الذى تمكن
ن الاطلاع على بعض المصادر المهمة للمذهب الشيعى بعد محاولات طويلة ، وألف « تحفة
نا عشرية » بالفارسية (وقد ترجم جزء كبير من هذا الكتاب إلى العربية وتولى
لرحوم الشيخ حامد الفقى طبعه على نفقة العلامة الوجيه الشيخ محمد حسين نصيف عام
١٣٦هـ - المترجم) .

و الواقع أنه بعد ظهور المطابع و طبع مصادر المذهب الشيعى أيضاً لم يعن
راستها عامة علمائنا إلا الذين دعتهم الأوضاع المحيطة بهم فعكفوا على دراستها وبذلوا
مهوداً مشكورة لتعريف عامة المسلمين بالمذهب الشيعى ، غير أنه مما يدعو إلى الأسف أن
وساطنا العلمية قصرت فى الاستفادة من تلك المحاولات ، و لعل هذا هو السبب فيما
راه اليوم من أن أكثر علماء أهل السنة لايعلمون عن المذهب الشيعى إلا قليلا ،
إذا كان هذا شأن علماء الدين ، فما بالك فى إخواننا المتنورين المتجددين .

على أى حال فقد بات مؤكداً وواضحاً أن المذهب الشيعى لم يدرس فى أوساطنا
لعلمية حتى بعد ظهور المطابع و طبع أسفار الشيعة ، سواء كان هذا ناشئاً من عدم
كتراثنا بها وتحقيرنا إياها أو من اقتناعنا بأننا نعرف كل شىء فى حين لا نعرف شيئاً
عن الشيعة ، و كان من نتيجة هذه اللامبالاة أو الجهل عن نوايا الشيعة وعقائدهم أن
كثيراً من المثقفين أصحاب فكرة خاصة اندفعوا إلى تائيد الثورة الخمينية و استجابوا
نعرة أطلقها الخمينى لاقامة الدولة الاسلامية و تعميم مبادىء الثورة الاسلامية فى
لعالم كله ، وانخدعوا بالأراجيف و الاشاعات الفارغة مع العلم بأن قائد هذه الثورة

ليس فقط أنه رجل شيعى بل إنه من قمة علمائها الذين يلقبون بالآيات ، ولكن رغم هذه الحقائق زعم هؤلاء أن الحكومة الايرانية الثورية تمثل الاسلام تمثيلا كاملا مثل الخلافة الراشدة ، ويقوم الامام روح الله الخمينى مقام أمير المؤمنين وولى الأمر ، ونهضت الصحافة « الاسلامية » تصدر أعداداً ممتازة للاشادة بالدور القيادى الاسلامى ، الذى يقوم به الخمينى فى زعمهم ، و أوسعوه مدحاً و إطراء بأحسن ما أنتجته قرائحهم من شعر ونثر ، ولما أن هذه الفئة تعد من أهل السنة ، وعدد كبير من الشباب الجامعيين الذين يطلق عليهم كلمة الاسلاميين يتخذون من قادة فكرتها أولياء الفكر الاسلامى ؛ فأصبح من المؤكد لديهم أن آية الله روح الله الخمينى إمام للعالم الاسلامى ، و قد طالعنى بجلة يصدرها شباب هذه الطائفة من مدينه « بتنة » (الهند) بكلمات تؤمى إلى مدى الضلال الفكرى وفساد القيم عند هؤلاء من حيث عرفوا أم لم يعرفوا.

و لكنى أعتقد جازماً أن ما نراه من تأييد و اندفاع إلى إمامة الخمينى ليس إلا نتيجة طبيعية للجهل عن الشيعة و الأراجيف المركزة التى أوهمتهم أن الثورة الايرانية تأويل أو تحقيق لأحلام المسلمين لبناء الصرح الاسلامى فى ظل الحكومة الاسلامية، ذلك الحلم الحلو الذى طالما راود العالم الاسلامى ، و هذا الحب والحنين إلى إقامة الحكومة الاسلامية جعلهم يؤمنون بكل نعرة بصرف النظر عن الحقيقة التى تكمن وراء النعرات والصيحات الفارغات تطبيقاً للقاعدة الفطرية « حبك الشىء يعمى و يصم » .

و على هـــذا رأى هـــذا العاجز الفقير لزاماً عليـــه و حقاً لهؤلاء الأخوة فى الدين أن يوفر لديهم المعلومات الصحيحة عن الشيخ الخمينى وثورته ، وعن عقائد الشيعة ، لاسيما مبدأ الامامة الذى يكون حجر الأساس للثورة الايرانية ، وسنتناول أولا الثورة التى قادها الشيخ الخمينى ، ثم نتحدث عن شخصيته ومركزه الدينى ، وأخيراً نلقى الضوء بشىء من التفصيل على المذهب الشيعى ، والله يقول الحق و هو يهدى السبيل .

إن يقولون إلا كذبا

واضح رشيد الندوى

كانت أكبر حجة للقوى المعادية للاسلام أن الاسلام دين العنف، ودين العنجهية و لذلك كانت تصف الدعوة إلى الاسلام دعوة إلى التزمت، والعصبية و الاكراه، وقد قبلت العقول المريضة هذا المنطق الذى لا يؤيده التاريخ ولا واقع الحياة المعاصرة.

كانت عدة بقاع العالم المتمدين اليوم خاضعة لحكم المسلمين سابقاً، فقد كانت عدة بلدان أوربية، و آسيوية، والعالم العربى كله، تابعة للعثمانيين، الذين كانوا يسيطرون على مجرى الأمور، و كانت الدول التى تعتبر الآن القوى الكبرى التى تقتسم مصير العالم، مستضعفة بحيث إنها كانت تستنجد الدولة العثمانية كلما وقعت فى أزمة أو هددت من البلد المجاور، فكان المسلم أو العثمانى رمزاً للقوة والشجاعة، يسمع ويطاع، كما كان رمزاً للاسلام، كذلك كان المغول فى الهند الذين كانوا منافسين للامبراطورية العثمانية، كانت حكومتهم شبه امبراطورية، يمتد نفوذهم من إيران إلى حدود الصين، ولم يشهد التاريخ هذه المنطقة الشاسعة تحت علم واحد، ونظام واحد وحاكم واحد، قبل المغول كل كانت هذه المنطقة التى تتكون الآن من أكثر من ثلاث دول، ويصعب على حكام دولة منها أن يبقوا سيطرتهم، ويحلوا مشاكلها، و يؤمنوا سلامة البلاد بلداً واحداً، كما كانت الامبراطورية العثمانية السابقة، تغطى مساحة تتوزع الآن على عشرات الدول وقد عرف التاريخ الحاكمين المغولى والعثمانى مثالا للتسامح، مع القوة والغيرة، فقد استطاع المغول فى الهند بحكمتهم و دهائهم و تجربتهم و سليقتهم فى معالجة الأمور و السلوك مع الرعية، و تيقظهم، و روح المخاطرة و الشجاعة، أن يحكموا هذه البلاد ذات الحضارات و اللغات، و التناقضات و الجبال والسهول، و الزهور و الأشواك، ثلاثمائة سنة، لا ينازعهم فيه أحد، و تخضع لهم أغلبية البلاد بل تشاركهم فى الحكم فى مختلف قطاعاته، رغم

اختلاف العقيدة و الثقافة ، و أبدى هؤلاء الحكام من رحابة الصدر في سلوكهم مع رعيتهم فسمحوا ببناء المعابد ، و خصصوا لها الأوقاف ، و أمنوا سلامة البلاد و لم يسمحوا بالتمييز على أساس الدين و العقيدة ، و اللغة و الثقافة ، و حتى إن ثقافتهم عرفت بالثقافة المركبة ، وكان سلوكهم مع الهنادك الذين كانوا يشكلون الأغلبية في البلاد سلوكا قد يعترض عليه المتشددون بالتسامح الزائد و أكبر شاهد عليه وجود المسلمين في أقلية في هذه البلاد ، و لغتهم وثقافتهم تكافحان للبقاء رغم حكم دام ثمانية قرون .

و سلك نفس المسلك العثمانيون رغم حروبهم مع الدول الأوربية الصليبية و عداء الصليبين السافر لهم ، فقد تمتع المسيحيون و اليهود بحقوق المواطنة كما كان المسلمون يتمتعون بها وكان سلوكهم مع الدول المسيحية التي لم تحاربهم سلوك صداقة و ود و تعاون ، وقد أنقذوا عدة دول مسيحية من مخالب العدو في محنتها ، و يجد الباحث في التاريخ أمثلة من هذه العلاقة بين العثمانيين و عدد من الدول المسيحية وما كان المسيحيون يتمتعون به من حقوق و لم تفرض قيود في مجال التعليم وفرص العمل ، ومناصب الحكومة ، وخير شاهد على هذا التاريخ الآثار المسيحية في البلاد ، التي حكمها الأتراك ، و المكانة التي يتمتع بها المسيحيون في مجالات التعليم و الثقافة و الاقتصاد ، في العالم الاسلامي اليوم .

كل ذلك لأن الحكام المسلمين كانوا واثقين بالنفس معتمدين على صدق القول و العمل و كانوا بعيدين عن نفسية الخوف و الذعر ، فكانوا لا يخافون الأغلبية على اختلاف عقيدتها ، و لا الأقلية على اختلافها في العقيدة و الثقافة .

و لو سلك المسلمون في عهد حكمهم الذي دام عدة قرون السياسية التي يتهمهم بها أعداؤهم اليوم لما بقي غير المسلمين في بلادهم بعددهم الزاحم ، و لغتهم و ثقافتهم ، و لتم القضاء على كل أثر غير إسلامي ، و وجود غير إسلامي ، ولا يعرف التاريخ ظلماً اجتماعياً على أساس الدين أو مجزرة من المجازر الرهيبة التي مضت في الاتحاد السوفيتي و فرنسا و دول جنوب شرق آسيا ، و إفريقيا ، باسم الدين و العقيدة

السياسية و الاقتصادية فى هذا العصر الذى عرف بعصر الحرية و الوحدة والمساواة و الحقوق الأساسية و فى عهد الأمم المتحدة ، و ما تمارسه الحكومات المتحضرة اليوم ضد الأقليات الدينية و اللغوية والثقافية اليوم رغم دعوى العلمانية و المساواة.

إن الذين يتهمون المسلمين باستعمال القوة فى فرض عقيدتهم و ثقافتهم يجهلون التاريخ ، أولأنهم يرون فى مرآة التاريخ صورتهم ، و يريدون أن يبرروا مآسيهم و مهازلهم بتزوير التاريخ الاسلامى .

إن الحروب التى وقعت فى العالم المسيحى باسم الدين ، و المطامع السياسية ، و وسائل الاضطهاد و الاستبداد التى اختارها الحكام المسيحيون فى أوروبا ، و فى العهد الأخير فى دول العالم الأخرى تشكل وصمة عار على جبين التاريخ ، ولا يغسل هذا العار باثارة مدافن التاريخ ، أو بتلطيخ وجه نقى .

كذلك شوهدت فى عهد الحكم الهندى الاسطورى الذى يدعى المؤرخون اليوم ، أن حكامه كانوا قد عرفوا وسائل الحرب النووية ، و كان لهم كل ما اكتشفه العالم اليوم ، فى عهد يسمونه بعهد الآلهة ، حروب لا ينكرها أحد ، بل تمجد و تردد حكاياتها ، و أساطيرها كملحة دينية اليوم فى المحافل ، وفى مناسبات المراسيم الدينية ، فقد أصبحت كلمة «مها بهارته» مثلا سائراً فى اللغة الهندية ، وقد أراق الامبراطور أشوكا الذى يعرف اليوم كرمز للسلم ، دماء مآت الألوف و قضى معظم حياته فى حروب طاحنة ، و كان السلم الذى لجأ إليه رد فعل لحياته الوحشية و الأعمال البربرية التى ارتكبها .

و الحرب موضوع من موضوعات الميثالوغيا الهندية الأسطورية ، و ذكر هذه الحروب التى لم تخل منها حياة الالهة يزين الملحمة و الملهاة التى تعاد اليوم فى الهند ، و كذلك التمييز بين الطبقات أمر مقبول فى الأساطير الهندية .

و كان من تسامح المسلمين أنهم لم يقضوا على هذه الأساطير التى تحبذ الحرب ، والتمييز ، والظلم الاجتماعى ، فبقى نظام « ستى » مثلا ، وهو حرق الأرملة نفسها بعد وفاة زوجها خوفاً من الظلم و السلوك غير الانسانى إلى آخر العهد الاسلامى ، وقد

قضى عليه الانجليز كما قضى الحكم الحالى على عدة طقوس ظالمة ، وعلى التمييز الطائفى ،
ويشهد التاريخ بأن هذه الوقائع الحربية التى تعرف بالبطولات معروفة لا ينكرها إلا جاهل .

و هذه طبيعة أعداء الاسلام و قد واجه الاسلام و المسلمين هذه الطبيعة فى كل عصر و هى طبيعة أعداء الاسلام اليوم كما كانت بالأمس ،

يتهمون المسلمين بأنهم هدموا المعابد و حولوها إلى مساجد و لا يعرفون إلا ثلاثة أو أربعة مساجد يدعون أنها اقيمت على أنقاض المعابد ، ولكن توجد اليوم مآت من المساجد التى حولت إلى أنقاض ، أو حولت إلى معاهد هندوكية ، و يقولون إن المسلمين أكرهوا على قبول الدين الاسلامى و ليس لديهم مثال لهذا الاكراه وتوجد اليوم مناطق شاسعة أجبر المسلمون فيها على التخلى عن دينهم ، وتوجه الدعوة فى الاجتماعات المفتوحة إلى التخلى عن دينهم ، ويهدد المسلمون علناً بأنهم سوف يطردون من البلاد أو يقضى عليهم وأنه لا حق لهم فى هذه البلاد ، ولا تمانع الحكومة مثل هذه الحركات ، كذلك فى العالم المسيحى اليوم فى الفلبين واثيوبيا ، و فى كثير من بلاد المسلمين أنفسهم تتخــذ وسائل لمنع النشاط الاسلامى ، و لاجبار المسلمين على قبول أفكار معادية للاسلام ، فاين يقع الاكراه إذاً .

خطوط الطيران للدول الاسلامية ومشاعر الركاب المسلمين

خبر قصير ظهر فى إحدى الصحف العربية يلفت الانتباه ، يقول عنوان الخبر « عبد الوهاب و أم كلثوم و الشيخ رفعت فى طائرة ٧٦٧ الجديدة » .

يقف القــارىء مشدوهــا بقراءة هذا العنوان ، كيف سافرت أم كلثوم و عبد الوهاب و المقرىء الـكبير الشيخ رفعت فى طائرة واحدة ورحلة واحدة بعد بينهم من اختلاف الزمان .

يقرأ القارىء الخبر بعجلة ولهفة وشوق كأنه مفاجأة تاريخية فيجد الخبر مفاده كما يلى

« أضافت خطوط مصر للطيران إلى أسطولها الجوى طائرات جديدة من طراز ٧٦٧ مجهزة باثنتى عشرة قناة و من هذه القنوات قنــاة لكوكب الشرق أ

كلثوم و أخرى لمطرب الملوك ، أستاذ الجيلين عبد الوهاب ، والثالثة للذهب المسموع الشيخ محمد رفعت ، و أضاف الخبر مزايا الطائرة الأخرى بأن فيها مقاعد و حماماً خاصة للعوقين » .

بهذا الترتيب ، و بهذا الابهام ، كأن الشيخ محمد رفعت أستاذ جيل المقرئين لهذا العصر و صاحب ذلك الصوت الذهبى الملهم الذى لا يزال يلهم المقرئين فى العالم هو ثالث الفنانين .

إن تزويد الطائرات بتسجيلات سماع الموسيقى أثناء الرحلة أمر عادى ليس فيه أى مفاجأة، و ما يلفت النظر فى هذا الخبر هو إضافة قناة للقرآن الكريم اهتماماً بالمتذوقين بالقرآن الكريم من بين اثنتى عشرة قناة مخصصة لهواة الأغانى والالحان الشرقية والغربية، وذلك هو تطور مشجع رغم ما يؤسف له من مساواة بين فنان ومقرىء للقرآن .

إن الركاب على متن طائرات الدول الاسلامية لا يصادفون فيها شيئاً يميزها عن غيرها من طائرات الدول غير الاسلامية ، لأن الطائرات التى تصنع فى الدول الأوربية لا تراعى إلا الذوق الغربى ، و مقتضيات الحضارة المعاصرة و مقاييسها ، و مواصفاتها ، فيشعر الركاب الشرقيون ، و على الأخص المسلمون المتطهرون أو المتخلقون بالأخلاق الاسلامية والقيم الشرقية بغربة ، و يواجهون صعوبات يمكن تجنبها بسهولة باجراء تعديلات بسيطة من غير إخلال بالنظام للطيران الدولى إذا اهتمت بها الدول الاسلامية ، وشعرت بشخصيتها الاسلامية .

وعلى سبيل المثال إذا أراد أحد الوضوء ـ والركاب فى العالم الاسلامى معظمهم مسلمون ـ أو الصلاة إذا طال السفر و استغرقت الرحلة عدة ساعات بحيث إنه يخشى خروج وقت الصلاة المكتوبة، فيصادف الراكب صعوبة فى الوضوء ، وتأدية الصلاة ومعرفة جهة القبلة ويواجه عند السؤال من أعضاء طاقم الطائرة زجراً ويصادف رد فعل شنيع ،كأنه فى طائرة أجنبية، لأن حمامات الطائرة تتبع النظام الغربى فى استعمال المياه ، وصرفها ، رغم ما فيها من أماكن فسيحة للراحة وللوقوف والمرور و مكان

مخصص للبار ، و رعاية خاصة بالمدخنين ، وتصدر لهم تعليمات و توجيهات ، كأن التدخين أمر لازم لا تكتمل الرحلة إلا بها ، ولكن يجد الراغب فى تأدية الصلاة صعوبة كبيرة فى البحث عن مكان للصلاة ،ويعتبر ذلك العمل محرجاً ،ولا يشعر طاقم الطائرة بأى حرج عند ما يزدحم الركاب لشراء السجاير ، و الأدوات الأخرى و المشروبات الكحولية فى السوق الحرة داخل الطائرة أثناء الرحلة ، و على المطارات الدولية خلال توقف الطائرة .

كذلك الاهتمام باذاعة الموسيقى والأنغام وبرامج تلفزيونية لقضاء وقت الفراغ ، فان هذا الوقت أيضاً رغم أهمية التسلية و الترفيه و الحرص على تخفيف وطأة السفر ، يمكن الاستفادة منه لبرامج تربوية و أخلاقية ، ولبث الوعى القوى بدون أن يؤدى ذلك إلى إرهاق الفكر .

و قد اتخذت الخطوط السعودية إجراء طيباً فى هذا الصدد وحذت حذوها بنغلاديش بافتتاح الرحلة بآيات من القرآن الكريم ، و الأدعية المأثورة ، و يمكن أن تضاف إليها آداب السفر ، و الآداب العامة ، وبيان حقوق الركاب المجاورين ، و مسئولية الفرد و الجماعة فى السفر فيساعد ذلك فى تكوين الفكر .

لقد طال عهد التقليد و المحاكاة ، والتلمذة ، و حان الأوان ليدخل العالم الاسلامى ، فى مرحلة تطوير حياته و مرافقها بتغيير سياسته حسب طبيعة شعوبه و ظروف المعيشة و أن تكون مرافقها العامة أسوة و نموذجا فى الأخلاق ، و النظام ، و أن يكيف سائر مؤسساته حسب المثل التى يرنو إليها المسلمون ، ويصطبغ كل نشاط ، و كل عمل بصبغته القومية ،ولا يحتاج ذلك إلا إلى تعديلات جزئية ، ولكن قبل ذلك إنه يحتاج إلى تغيير جوهرى فى الفكر و الشعور ، وليست الرحلات الجوية إلا مثالا ، أو جزءاً من الحياة ، فان الفنادق الكبرى التى ينزل بها المسافرون . معظمهم من المسلمين و الأسواق الكبرى و المكاتب ، و دور الحكم ، كل ذلك يحتاج إلى تعديل فى صيغته ونظامه ، ليتطابق مع مشاعر الأغلبية بابراز الأصالة و الذاتية بدون أن يطغى ذلك على المرافق العامة ، وتقدم الحضارة .

REGD. NO. LW/NP 59

Albaas-el-islami

NADWAT-UL-ULAMA, LUCKNOW.(INDIA)

مجلة المجمع العلمي الهندي

تصدر قريباً عددها الممتاز

حول

أديب العربية الكبير و اللغوي العظيم

العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي الهندي

- نرجو حضرات الأدباء الكرام و أصحاب اليراع الأجلة، الاتصال بنا، فيما إذا كانوا يستطيعون أن يزودوا العدد الممتاز بأفكارهم و كتاباتهم عن العلامة الميمني.
- كما نرجو حضرات العلماء و الأدباء و الكتاب ممن كان عنده شئ من آثار الميمني ونوادره و رسائله أن يتكرموا بإرساله إلينا، حتى يتحلى به العدد الممتاز.

عنوان الاتصال

دكتور مختار الدين آرزو . رئيس تحرير مجلة المجمع العلمي الهندي

القسم العربي، جامعة عليكراه الاسلامية علي كره { الهند }

ARABIC DEPARTMENT, A. M. U.
ALIGARH. (INDIA)

قام بالطبع و النشر جميل أحمد الندوي في مطبعة ندوة العلماء ـ رئيس تحرير : سعيد الأعظمي

شعارنا الوحيد
إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

تصدرها: ندوة العلماء، لكهنؤ، الهند

أخي القـارىء :

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

حرصاً على تأمين و سلامة وصول المجلة إليك نرجو :

١– كتابة العنوان بالانجليزية و العربية كلتيهما فى ورقـة خاصة ، كل حرف على حدة ، و إرساله إلينا .

٢– إرسال اشتراك بالقيمة المبينة أدناه باسم « البعث الاسلامى » مقابل عام واحد أو أكثر :

٣– أرفق شيك الاشتراك ضمن مظروف مسجل إلى العنوان المذكور أدناه .

الاشتراكات السنوية

فى الهند : ٤٠ روبية ، ثمن النسخة : أربع روبيات .

فى العالم العربى ١٢ دولاراً بالبريد السطحى ، ٢٥ دولاراً بالبريد الجوى .

فى أوربا و أفريقيـا و أمريكا : ١٢ دولاراً بالبريد السطحى ، ٤٠ دولاراً بالبريد الجوى .

فى با كستان و بنغلاديش و دول شرق آسيـا : ١٢ دولاراً بالبريد السطحى ، ٢٥ دولاراً بالبريد الجوى .

A L B A A S E L I S L A M I
N A D W A T U L U L A M A
P. O. Box No. 93 LUCKNOW (INDIA)

أسسها الأستاذ محمد الحسني رحمه الله عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م

البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي — واضح رشيد الندوي

العدد الثامن — المجلد التاسع والعشرون ★ جمادى الأولى ١٤٠٥هـ – يناير و فبراير ١٩٨٥م

عنصر الحب

إذا استعرضنا المجتمع الإسلامي في القرن الأول وجدناه مشرقاً بنور من الحب والإخاء والسلام، والتاريخ الإسلامي حافل بأمثلة رائعة من هذه الناحية يندر نظيرها في تاريخ الأمم الأخرى، وإذا فكرنا اليوم في أحوال المسلمين وأمعنا النظر في الأوساط الدينية والهيئات الإسلامية واستعرضنا هذه المشكلات التي تعترض الركب الإسلامي في كل مكان رأينا أن السبب في ذلك كله هو عدم العناية بالحب والإشادة بأمره في البعث الإسلامي وضرورته للمجتمع الإنساني، فليتخذ شبابنا المسلم شعاره الأول: الحب والإخلاص، وهمه الأول إشاعة الحب في الناس حتى تتبدد تلك الظلمات الكثيفة التي أحاطت بالمسلمين هذه الأيام، فهو سر رائع في بعث الإسلام، نادى به القرآن العظيم ودعا إليه الرسول الكريم وعمل به المسلمون في القرون الأولى.

[محمد الحسني - رحمه الله]

البعث الإسلامي ندوة العلماء ص.ب ٩٣ لكهنؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI Nadwat-ul-Ulama LUCKNOW (India)

فى هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

القيادة المسلمة و حكم التاريخ

يبدو أن التاريخ يعيد نفسه اليوم، وبدأ التراجع إلى تجربة الاسلام من جديد فى صفوف القادة ورؤساء بعض الدول التى يسكنها ويحكمها المسلمون، ولعل ما أجراه العالم الاسلامى من تجارب طويلة ومستمرة فى مجال الحياة بأوسع معانيه ، أسفرت عن فشل ، ولم يعد له طريق يلتجئ إليه أو بالأصح ملجأ يأوى إليه ، إلا العودة إلى الماضى المشرق ، إلى شريعة الله العادلة الكاملة التى شملت جميع شئون و قضايا الانسان فى كل زمان و مكان ، وهى باقية دائمة بأمر ربها فى العالم المتطور ورغم وجود الشرائع الانسانية والحضارات الراقية، باقية بجميع ما فيها من حلول للمشكلات، ومن شمول للفطرة الانسانية، وتغطية لكل ما نشأ وينشأ من شئون و أوضاع طريفة، ومسائل مستحدثة لم يكن للانسان القديم عهد بها « ذلك الدين القيم و لكن أكثر الناس لا يعلمون »

لم يكن هذا الشعور بفشل الشرائع المادية و النظرات و الأيدلوجيات الحديثة و إخفاقها فى عالم العمل و التطبيق مجرد عملية إعجاب بالشريعة الاسلامية ، أو تأثير التوجيهات والخدمات الدعوية التى يقوم بها الدعاة وأصحاب العلم والتربية من هذه الأمة، ولكن مع الاعتراف بقيمة هذا الجانب العملى المهم والمجهودات الضخمة التى تبذل فى مجال الدعوة إلى الاسلام والتربية الاسلامية . فوائدها الكثيرة نقول : إن الشعور بالخصوبة الكاملة لشريعة الاسلام وغنائها فى جميع ظروف الانسان و فى مجال القيادة ، تحقق بالتجارب المستمرة التى أجريت على جميع المستويات فى البحث

عن بديل الشريعة الالهية فيما اخترعه زعماء الحضارات وقادة الفكر المادى فى الغرب من أنظمة وطرق، ولو لا أن هذه التجارب تكون قد باءت بالفشل فى كل مرة وأثبتت إخفاق النظم المادية ونضوب معينها فى حل المشكلات وتوجيه الانسان وإسعاد الحياة لما ظهر هذا الشعور بمثل هذه القوة والثقة ، و لم يحظ منهج الاسلام بهذا الاهتمام الجاد الذى تتجلى آثاره اليوم على المستوى العالمى و القيادى .

وليس هذا الشعور وليد الصدف و الارتجالات الفكرية ، وليس موجة طارئة تكون نتيجة للظروف، وليس حماساً دينياً من غير فقه وبصيرة، ذلك أن رجال الغرب ما زالوا مكبين على البحث عن الاسلام كنهج ونظام للحياة وشريعة كاملة للانسان ، وقد أدت بهم دراساتهم الطويلة و عكوفهم على التجربة والبحث والتحقيق إلى حقيقة الخلود والشمول ، وواقع المسايرة مع الفطرة فى كل مجتمع وجزء من العالم ، ولكن العناد لم يسمح لهم بالاعتراف بهذا الواقع الملموس ، وظلوا يتمادون فى مناوءاتهم و أحقادهم خوفاً من أن يعود الاسلام ويسود ، ويشكل خطراً على سيادتهم ، بالاضافة إلى ما قد تمثل أمامهم من أخطار أخرى كثيرة تهدد مستقبلهم و تتحدى فلسفتهم المادية و تاريخهم الحضارى ، فيما إذا عاد الاسلام إلى منصة القيادة العالمية .

وقد كان من الطبيعى أن يغتر السذج من المسلمين، جماهيرهم وقادتهم ممن كانوا ينظرون إلى الغرب بعين الاعجاب والاعتبار بما كان يتميز به من قوة وعلم وصناعة وحضارة و استعمار ، حتى ونشأ فى المسلمين طائفة منهم تلمذت على الغرب وقلدته فى كثير من القيم الخلقية ، وهتفت بفصل الدين عن الدولة ، ونال هذا الهتاف فى أوساط الزعماء و القادة قبولا عاماً وتم عزل الدين عن ساحة السياسة نهائياً ، و قد أنمى هذا الاتجاه وقواه ما ظهر من الجهات الدينية من انسحاب عن ميدان السياسة بحجة أن السياسة الحاضرة كافرة لا تستحق أى تأييد أو مشاركة ، و ما رضى به زعماء المسلمين الدينيون من انعزال عن تدخل فى الشئون السياسية و تفرد بالدين فقط ،

وهنالك نشأت فى التاريخ لأول مرة بدعة فصل الدين عن الدولة، الواقع الذى إذا بحثنا عنه وجدنا له أساساً منذ انحراف القادة المسلمين فى التاريخ الماضى .

و لا أدل على انحراف الاتجاه السليم فى هذا الموضوع لدى المسلمين ، من باكستان ، تلك الدولة التى برزت إلى الوجود باسم الاسلام فحسب، وكان الغرض من ذلك تأسيس دولة مسلمة على أساس الشريعة الاسلامية الكاملة دون نقص أو زيادة ، و لكن العالم يطلع على ما حدث مع وجود هـذه الدولة على أيدى الزعماء والقادة المسلمين الذين لم تكن أفكارهم نقية نحو إيجاد دولة إسلامية تقوم على الأسس الشرعية و تمثل نموذجاً للخلافة الاسلامية ، و إنما كانوا تلاميذ الغرب فى السياسة ، و يؤمنون بالهتاف الذى تولاه الغرب بفصل الدين عن السياسة ، بحيث إن الاسلام دين عبادة و طريق خاص فى الحياة التعبدية و لا شأن له بالسياسة ، و خاصة فى العصر الحاضر الذى تغيرت فيه الحياة و تطورت ، و الذى سيطر فيه العقل والعلم والمدنية ، وخضع فيه الانسان للآلة ، فاذا كان الاسلام صالحاً للحكم فى فجر تاريخه فانه لم يعد صالحاً فى هذا العصر للتدخل فى الشئون الحضارية و العلمية ، و النظرات السياسية المعاصرة .

هكذا كانوا يعتقدون ، ويعللون الجماهير المسلمة التى كانت حريصة على مشاهدة دولة إسلامية بعد طول العهد ، و كانت تطالب باقامتهـا فى أقرب مدة ، كانوا يعللونهـا بمواعيد معسولة مع التظاهر بالولاء للاسلام ، واستمرت هذه العملية إلى مدة طويلة يكاد ينسى الناس خلالها أنها ظهرت إلى الوجود على أساس تنفيذ الاسلام و تطبيق الشريعة فى الحياة و المجتمع ، و حتى ينقرض الجيل الذى أسهم فى تكوين باكستان و يحل محله جيل حديث لا يعرف عن تاريخ هذا البلد المسلم ، و أهداف وجوده شيئاً ، و فعلا تم ذلك ، فقد كاد يتناسى الشعب المسلم الهدف المنشود من تكوين هذا البلد ، و ينضم مع شعوب الدول التى يسكنها المسلمون .

و أراد الله سبحانه خيراً فقيض له رجلا عصامياً سيطر على الوضع ، و قام بإصلاح ما قد فسد فيه إلى مدة ثلاثين عامـاً و بدأ يغير الاتجـاه الفاسد باتجاه إسلامى ، و يحبب إلى القلوب الحياة الاسلامية بأساليب و طرق منوعة شتى ، فيها شئ كثير من الحكمة و الفراسة الايمانية . و قد وضع طاقاته كلها فى التحول بهذا البلد المسلم إلى دولة إسلامية خالصة ، تنفذ فيها أحكام و حدود الاسلام و تطبق فيها الشريعة الاسلامية بكامل معنى التطبيق . و لم يبـال بالسياسات الرخيصة التى أرادت أن تقف عائقة فى طريقه و تعرقل سيره الحثيث نحو بناء دولة إسلامية خالصة ، و ظل يتقدم نحو الغاية باصرار و لكن بهدوء ، مصمما على تحقيق تطلعات الشعب المسلم نحو تأسيس حكومة إسلامية ، و قد كان ضمن المؤامرات التى دبرت ضده ، الغزو العسكرى فى أفغانستان الذى اضطر عدداً كبيراً من الشعب الأفغانى إلى اللجوء إلى باكستان ، توخياً لتضييق الخناق على الرئيس المسلم ضياء الحق ، و انصرافه عن اتجاهه الاسلامى القوى إلى الاستعطاف من الاتحاد السوفياتى ، و ركونه إلى القادة الروس طلباً للمدد الاقتصادى و السياسى فى القضية .

و لقد كانت الأحزاب السياسية تطالب باجراء انتخـابات شعبية لتوطيد دعائم الديموقراطية فى باكستان، ولكن الرئيس كان يرى ذلك خطراً على الهدف المنشود من وجود هذه الدولة ، و يعتقد أن ذلك لا يعنى إلا تمديد فترة العلمانية التى تمر بهـا البلاد و يلعب بمصيرها قادة الدول و المعسكرات المادية باسم الانتخابات الحرة التى تغرى عليها زعماء الأحزاب و قادة الجماعات ، وظل الرئيس المسلم يخطو بتؤدة نحو الغاية ، و يفكر فى كل ما فيه مصلحة الاسلام فى بلده . فأتى باصلاحات وتعديلات عديدة تمهد الطريق نحو تطبيق الشريعـة الاسلامية ، و من بين هذه الاجراءات العملية إقامة المحكمة الشرعية العليا . وتكوين مجلس الشورى، وتعميم الزى الوطنى بإزاء

اللباس الغربی ، و الاهتمام بالصلوات فی الدوائر الرسمیة و غیرها ، و تعیین العلماء للاشراف علی تربیة و توجیه الشعب المسلم .

وفاجأ الرئیس ضیاء الحق فی الأسبوع الأول من شهر ربیع الأول عام ١٤٠٥هـ (دیسمبر ١٩٨٤م) باعلان إجراء الاستفتاء الشعبی یوم ٢٥ / من ربیع الأول ـ ١٩ / من شهر دیسمبر ، حول تنفیذ النظام الاسلامی فی باكستان للاطلاع علی رأی الشعب المسلم فی هذه القضیة ذات الأهمیة الكبری ، بـ « نعم » أو « لا » ؟؟ و قد نال هذا الاعلان ترحیباً كبیراً من جمیع طبقات الشعب .

وفعلا تم الاستفتاء فی جوشعبی علی الاطلاق ، وأبدی الناس رأیهم بمعدل ٦٧./ٍ وطلعت النتائج تحمل ٩٨./ٍ تأیید النظام الاسلامی ، الذی قال فیه الشعب « نعم » وذلك بالرغم مما قامت به أجهزة الدعایات المضادة من تضلیل الشعب ومنعه عن الوقوف بجنب الاستفتاء ، و قام المعارضون و تعدوا لصد الناس عن الاسهام فی الموضوع و إثارتهم ضد الاستفتاء بأسالیب الدعایات السافلة ، وطلبوا منهم أن یقاطعوا الاستفتاء ، ویرفضوا حكم الرئیس « ضیاء الحق » ویطردوه من منصب الرئاسة ، ولكن الدعایات والأراجیف كلها قد باءت بالفشل الذریع ، و أقبل الناس علی إبداء رغبتهم فی تنفیذ النظام الاسلامی بغایة من الاهتمام و النشاط .

ألیس فی هذا دلیل علی عودة المسلمین شعوبا و قادة نحو الشریعة الاسلامیة والانضواء تحت رایة الاسلام ، لا لشیء سوی أنهم سئموا من الأنظمة الفاشلة والقیادات الانتهازیة ، و النفسیات المریضة التی یعیشها زعماء السیاسات ، و العقلیات المادیة التی یمارسونها للحصول علی منافع حقیرة وتحقیق مصالح شخصیة ، باسم خدمة الشعب و الوطن ، و الولاء للشعارات الخادعة ، و الهتافات البراقة .

و قد سبق أن الرئیس السودانی أعلن تطبیق الشریعة فی بلاده ، وهو مكب علی صیاغة جدیدة للحیاة بشیء كثیر من الجدیة ، وقد تم هناك تنفیذ بعض الأحكام

و الحدود ، ولا يزال العمل مستمراً فى هذا المضمار ، وعما قريب يصبح السودان دولة إسلامية مستقلة فى كامل معناها ، بإذن الله تعالى (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) .

هذا عدا ما يوجد فى المملكة السعودية من تطبيق للشريعة وتنفيذ للحدود ، والتزام بالأحكام الاسلامية ، ولا شك فان المملكة تتميز فى مجال العمل بالاسلام ، بوجود المحاكم الشرعية ، والادارات و الهيئات العاملة لنشر الدعوة الاسلامية والقيام بالتوعية الاسلامية على أوسع نطاق داخلياً وخارجياً ، وفيها من العلماء الغيارى من يسعى جاهداً لتطبيق الشريعة بكاملها ، وتنظيم جميع الشئون السياسية و الاجتماعية فى ضوء الشريعة السمحاء بتوفيق من الله سبحانه و تأييده .

وبعد فان الاتجاه إلى تنفيذ الاسلام وتطبيق الشريعة متوافر فى المسلمين على جميع مستوياتهم ، وقد تحقق لديهم بعد إجراء تجارب طويلة فى الشرائع و الأنظمة الوضعية أنها بالغة فى الزيف و الانهيار إلى آخر المدى ، وليس لهم ملجاء إلا فى ظل الاسلام و شريعته الخالدة ، التى لا ينفد مددها فى أى لحظة و مناسبة ، وهى التى تستطيع أن ترافق الحياة و توفر لها السعادة الكاملة ، و تقدم حلولا للشكلات التى تعانى منها البشرية على الصعيد العالمى ، ذالك لأنها تتمتع بالصمود فى مواجهة كل معاناة ، و حصانة كاملة فى كل الظروف و الأحوال .

هذا ما يجب أن يفهمه القادة و الجماهير ، و يترقبوا حكم التاريخ فى هذه القضية ذات الأهمية الخطيرة ، (والله يحكم لا معقب لحكمه ، وهو سريع الحساب) و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم .

و صلى الله تعالى على خير خلقه محمد و على آله وصحبه وبارك وسلم .

سعيد الأعظمى

التوجيه الإسلامي

مصدر قوة المسلم

[حديث ألقاه سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي في لواء المدرعات بصنعاء صباح ١٩/ من شعبان ١٤٠٤هـ-٢٠/ مايو ١٩٨٤م، و نقل من الشريط ، و تناوله المحاضر بالحذف والزيادة و التنقيح والتهذيب ، فأصبح حديثاً محرراً مستقلا ، وذلك رجاء أن يكون أكثر تركيزاً وقوة ، ويعم نفعه للقوات العسكرية في جميع البلاد الاسلامية]

[التحرير]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم « ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لايرجون وكان الله عليماً حكيماً (١) » .

إخواني الأعزاء ! تعلمون جميعاً - وأنتم والحمد لله مثقفون متعلمون أبناء هذه التربة الكريمة الندية ، الايمانية اليمنية - أن الدعوة الاسلامية قامت على أكتاف البشر ، و الفتوح و الانتصارات التي تحققت وتمت في الشرق و الغرب إنما تحققت على أيدي بني آدم ، لم يكن الأمر أن المسلمين كانوا من جنس الجن أو الملائكة ، ومنافسوهم كانوا من البشر ، لا ، كلهم بنو آدم ، وكلهم من لحم ، ودم ، وكلهم كانوا يحملون أجساماً خاضعة لناموس السنن الالهية و الطبيعة البشرية ، تجرح و تكلم ، و تتأذى وتتألم ، هم في ذلك سواء ، فاذا قسنا هذه الأجسام البشرية و هذه المواد الانسانية بمقياس الطبيعة ، كانوا سواء في ذلك .

ولكن الله سبحانه وتعالى يقول للمسلمين ويعلمهم كما يعلم الأستاذ الكبير والمربي العطوف الأطفال الصغار : « ولا تهنوا في ابتغاء القوم (٢) » ، تقولون لا قبل لنا بالأعداء ، فاننا نحمل أجساماً بشرية تتأذى و تتألم و تصيبها جراحات وكلم ، فيقول الله تعالى : « إن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون (٣) » يعني إن كنتم تشعرون بالألم ، فان منافسيكم كذلك يشعرون بالألم ، فانهم يحملون أجساماً بشرية مثلكم .

---

(١) سورة النساء - ١٠٤ . (٢) أيضاً . (٣) أيضاً .

ولكن هنالك فارق كبير ، وهو أنكم ترجون من الله مالا يرجو هؤلاء، إنكم ترجون عند الله الثواب العظيم ، إنكم تؤمنون بأنكم إذا متم فى ساحة القتال فأنتم من الشهداء الذين يقول الله تبارك و تعالى عنهم : « ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات ، بل أحياء ولكن لا تشعرون (١) » و يقول : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله و يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم و لا هم يحزنون (٢) » . ويقول : « والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم ، سيهديهم ويصلح بالهم ، و يدخلهم الجنة عرفها لهم (٣) » .

يقول رسول الله ﷺ : « ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما فى الأرض من شئ إلا الشهيد ، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات ، لما يرى من الكرامة (٤) » ، ويقول : « و الذى نفس محمد بيده ما من كلم يكلم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم ، لونه لون دم و ريحه ريح مسك » .

و فيه أنه قال : « و الذى نفس محمد بيديه لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل (٥) » ، و يقول : « إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف (٦) » ، و فى رواية : « واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف (٧) » ، وقال: « لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع ، ولا يجتمع على عبد غبار فى سبيل الله و دخان جهنم (٨) » .

---

(١) البقرة ـ ٥٤ .
(٢) آل عمران ـ ١٦٩ .
(٣) سورة محمد ٤ ، ٥ ، ٦ .
(٤) البخارى و مسلم .
(٥) رواه مسلم و رواه البخارى بعضه .
(٦) رواه مسلم .
(٧) متفق عليه .
(٨) رواه الترمذى .

و تؤمنون بأن كل جراحة تصيبكم إنما هى فى سبيل الله وكل قطرة من دمائكم تسيل على الأرض تغير مصاير الأمم و تنقل الناس من الظلمات إلى النور و أنتم تقضون على شقاء الانسانية و على شقاء الأمم ، إنما خرجتم لنشر هداية الله و إنقاذ البشرية ، كما قال سيدنا ربعى بن عامر لرستم قائد قواد الفرس حين قال له ما الذى جاء بكم ؟ « الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده و من ضيق الدنيا إلى سعتها و من جور الأديان إلى عدل الاسلام (١) » .

ما أعظم هذا الفارق وما أكبره تأثيراً على المشاعر ومنهج التفكير ، و إثارة القوة المعنوية التى هى أكبر من قوة السلاح و قوة الأجسام بل أعظم من الطاقة الذرية ، و التى انتصر بها العدد القليل على العدد الكبير ، و الانسان الضعيف على الانسان القوى ، مآت و آلافاً من المرات فى تاريخ الحروب و الغزوات ، فاذا أصابكم ألم فقولوا هذا فى سبيل الله ، فلا يهون هذا الألم فقط ، بل ينتقل إلى لذة و عزة ، و قد دميت إصبع رسول الله ﷺ فى القتال فتمثل بهذا البيت :

هل أنت إلا إصبع دميت و فى سبيل الله ما لقيت (٢)

إن عقيدة الايمان و عقيدة الثواب و الأجر ، و الشوق إلى الجنة والحنين إلى الشهادة ، يأتى بعجائب لا يتصورها العقل و يحدث نشوة الايمان التى تقضى على ألم الجراح ، وقد روى التاريخ أن جعفر بن أبى طالب أخذ راية رسول الله ﷺ فى غزوة مؤتة (٣) ، فقاتل بها حتى إذا أرهقه القتال اقتحم عن فرسه ، فعقرها ثم قاتل ، فقطعت يمينه فأخذ الراية بيساره فقطعت يساره ، فاحتضن الراية بعضديه ، حتى قتل ، وله ثلاث وثلاثون سنة ، و وجد المسلمون ما بين صدره ومنكبيه وما

(١) البداية و النهاية لابن كثير .

(٢) فى الصحيحين . (٣) كانت فى السنة الثامنة للهجرة .

أقبل منه تسعين جراحة، مابين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح، كلها فى الأمام، ومات فتى الفتيان وهو يحن إلى الجنة ويتغنى بنعيمها ويستهين بالعدد والعدد وبزخارف الدنيا (١).

هل يتصور هذا من غير عقيدة تتغلغل فى الأحشاء ونشوة إيمانية تسرى فى العروق، ولذة روحية تتغلب على الشعور بالألم؟.

و أنا أروى لكم ثلاث حكايات و نماذج من هذا الايمان من عصر الرسالة وحياة الصحابة، ثم أضم إليها ثلاث حكايات من تاريخ الجهاد والدعوة الاسلامية فى القرن الثالث عشر الهجرى فى عصر متأخر عن عصر النبوة و فى ناحية بعيدة – شبه القارة الهندية – عن مركز الاسلام ومهبط الوحى ومنزل القرآن، لتعرفوا أن تاريخ الايمان متصل وأن شجرة التربية الاسلامية تؤتى أكلها كل حين باذن ربها، وخلية الاسلام تعسل فى كل مكان و زمان.

فمن حكايات عصر النبوة لما تراجع المسلمون يوم أحد تقدم أنس بن النضر فلقيه سعد بن معاذ، فقال: أين يا أبا عمر؟، فقال أنس واها لريح الجنة يا سعد، إنى أجدها دون أحد (٢)، ويقول زيد بن ثابت رضى الله عنه: بعثنى رسول الله ﷺ يوم أحد أطلب سعد بن الربيع فقال لى: إن رأيته فاقرأه منى السلام وقل له: يقول لك رسول الله ﷺ كيف تجدك؟، قال فجعلت أطوف بين القتلى، فأتيته وهو بآخر رمق، فقلت يا سعد! إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام و يقول لك أخبرنى كيف تجدك؟، فقال و على رسول الله السلام، و قل له: يا رسول الله أجد ريح الجنة، و قل لقومى الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله وفيكم عين تطرف و فاضت نفسه من وقته (٣).

(١) ابن كثير ج/٣، ص/٤٧٤، و زاد المعاد ج/١، ص/٤١٥.
(٢) زاد المعاد، ج/١، ص/٣٥٠، و أصل الرواية فى الصحيحين.
(٣) أيضاً، ص/٣٥٣.

والحكاية الثالثة هي حكاية خبيب رضي الله عنه، لما جاؤا به ليصلبوه ـ وذلك في سنة ثلاث للهجرة في الرجيع (١) ـ قال لهم إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا، قال دونك فاركع، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال أما: والله لو لا أن تظنوا أني طولتهما جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة، و أنشد بيتين:

فلست أبالي حين أقتل مسلماً على أي شق كان في الله مصرعي
و ذلك في ذات الاله و إن يشاء يبارك على أوصال شلو ممزع (٢)

و لقائل أن يقول: أنت تحدثنا عن عصر كله سعادة وبركة وعن أناس نشأوا في أحضان النبوة و في مدرسة القرآن و الايمان، وكيف يتوقع مثل هذه النفحات الايمانية من رجال تأخر عصرهم و بعد عصرهم، و اختلفت بيئتهم، فاني أعرض عليكم ثلاثة نماذج من هذا الايمان والبطولة، ملتقطة من تاريخ حركة الجهاد والاصلاح التي قادها السيد الامام أحمد بن عرفان الشهيد (١٢٤٦هـ) في شبه القارة الهندية (٣)، يقول المؤرخ:

« رجع المسلمون من ساحة القتال في « ميار » ظافرين و قد اغبرت وجوههم و ثيابهم من النقع حتى تنقعت وجوههم وتنكروا، وقام الرئيس بهرام خان بالمنديل

(١) و هو موضع بين عسفان و مكة.

(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي، و راجع للتفصيل سيرة ابن هشام، ق/٢، ص/١٦٩ ـ ١٧٦.

(٣) راجع للاطلاع على هذه الحركة العظيمة الفريدة و دوافعها و تفاصيلها في كتاب صاحب المحاضرة « إذا هبت ريح الايمان » طبع مؤسسة الرسالة ببيروت، و دار القلم بالكويت.

بنفض النقع عن وجه السيد الامام ، فقال السيد مهلا يا أخا الأفغـان مهلا ، فان هذا النقع هو الغبار الذى قال فيه النبى ﷺ : لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم (١) » ، وما جئنا إلى هنا و ما تحملنا المشاق إلا لأجل هذا الغبار ، مهلا ، يا أخا الأفغان مهلا ، ومكث المجاهدون ولم ينفضوا عنهم الغبار فى ذلك الحين :

و الحكاية الثانية حكاية أحد المشاركين فى هذه الغزوات الاسلامية يقول فتح على العظيم آبادى: بينما أنا أمر بين القتلى والجرحى إذا بالسيد أبى محمد يجود بنفسه و قد أثخنته الجراح فدنوت منه و صرخت فى أذنه ، يا أبا محمد إن الله قد نصر أمير المؤمنين وهزم الأعداء ، ولم يلتفت أبو محمد ولم يتكلم وما زال يلحس شفتيه و يقول : « الحمد لله » فحملته إلى القرية وبه رمق و نفس يتردد ، و هو يلحس شفتيه و يحمد الله وما لبث أن لفظ نفسه الأخير .

و الحكاية الأخيرة أن القاضى الانجليزى (أيدورس) أصدر حكم الاعدام (الموت شنقاً) على الشيخ محمد جعفر (٢) فى محاكمة أنباله فى ٢ من مايو ١٨٦٤م (١٢٨٠هـ) و قال: ها أنا ذا أحكم عليك بالاعدام و مصادرة جميع ما تملك من مال وعقار ، و لا يسلم جسدك بعد الشنق إلى ورثتك بل تدفن فى مقبرة الأشقياء بكل مهانة ، وسأكون سعيداً مسروراً حين أراك معلقاً مشنوقاً ، ولكن محمد جعفر استبشر حين سمع هذا وتهلل وجهه فرحاً ، كأنما تمثلت له الجنة و تمثلت له الحور و القصور و تمثل ببيت الشاعر :

هذا الذى كانت الأيام تنتظر   فليوف الله أقوام بما نذروا

هنا تقدم ضابط إنجليزى و قال ، لم أر كاليوم قد حكم عليك بالاعدام وأنت

---

(١) رواه أصحاب السنن .

(٢) كان من كبـار أنصار السيد الامام و أتباعه و من المنظمين لبعث الأمداد و المساعدات إلى مركز المجاهدين فى الحدود الغربية الشمالية من الهند .

مسرور مستبشر ؟ قال محمد جعفر ، و مالى لا أفرح ولا أستبشر ، وقد رزقنى الله الشهادة فى سبيله ؟ ، و أنت يا مسكين لا تدرى حلاوتها .

وكذلك كان مولانا يحيى على الذى حكم عليه بالاعدام كذلك ، فكان من أشد الناس فرحاً كأنه من شوق الجنة فى الجنة ، ومن انتظار النعيم فى النعيم ، ينشد الأبيات فى حنين و وجد ويتمثل بما قال سيدنا خبيب رضى الله عنه عند شنقه (١) .

و لكن هذا الفارق لا يأتى إلا عن طريق الرسالة السماوية ، و عن طريق الايمان و العقيدة ، و عن طريق التربية الاسلامية ، و عن طريق القيادة الايمانية و الشخصية القوية القيادية ، إن هذا فارق لا يشاركم فيه شعب و لا جيش من الجيوش ، و لا شباب من الشباب المسلمين المقاتلين ، و ما هزم المسلمون و نكبوا بالنكبات الأخيرة و فقدوا المركز القيادى فى العالم وخسروا بلادهم ودولهم ، وما ذلوا وما هانوا إلا حين ضعفوا فى هذه القوة المعنوية و فقدوها على مر الأيام ، و لا تمكن استعادة هذا المركز و هذه المهابة فى القلوب ، و الرجحان فى كفتين متساويتين فى العدد و العدد ، إلا باسترداد هذه القوة و الشحنة الايمانية و التربية الاسلامية ، و استحضار فضائل الجهاد و والشهادة فى سبيل الله و مدارستها .

والشق الثانى هو تجنب ما يبعد عن نصر الله و يعرض لسخط الله ، وقد روى أن الأمراء فى اليرموك لما كتبوا إلى أبى بكر و عمر رضى الله عنهما يعلمونهما بما وقع من الأمر العظيم و ما يقابلونه من خطر داهم و عدد لا قبل لهم به ، كتبا إليهم أن اجتمعوا و كونوا جنداً واحداً ، و القوا جنود المشركين ، فأنتم أنصار الله ، و الله ناصر من نصره ، و خاذل من خذله ولن يؤتى مثلكم عن قلة ولكن من تلقاء الذنوب فاحترسوا منها .

ولما أمر سعد بن وقاص جيشه بعبور دجلة وليست هنالك سفن ولا جسر ،

(١) و قد مر البيتان .

و العرب لا عهدم لهم بالسباحة و عبور الأنهار ، قال « حسبنا الله ونعم الوكيل » و الله لينصرن الله وليه و ليظهرن الله دينه إن لم يكن فی الجيش بغی أو ذنوب تغلب الحسنات (١) .

وكتب سيدنا عمر بن عبدالعزيز إلی قائد جيشه قال فيه : وآمره أن لا يكون من شئ من عدوه أشد احتراساً منه لنفسه ومن معه من معاصی الله ، فان الذنوب أخوف عندی علی الناس من مكيدة عدوهم ، وإنما نعادی عدونا وننصر عليهم بمعصيتهم ، ولو لا ذلك لم يكن لنا قوة بهم ، لأن عددنا ليس كعددهم و لا عدتنا كعدتهم ، فلو استوينا نحن وهم فی المعصية كانوا أفضل منا فی القوة والعدد فان لا ننتصر عليهم بحقنا لا نغلبهم بقوتنا ، و لا تكونوا بعداوة أحد من الناس أحذر منكم لذنوبكم ، ولا تكونوا بالقدرة لكم أشد تعاهداً منكم لذنوبكم (٢) .

هذا هو الفارق النفسی العميق ، الطبيعی الدقيق ، بين مقاتل لغرض مادی أو لمجرد نظام عسكری وخضوع لما يصدر من القيادة من تعليمات وترتيبات ، وبين من يقاتل فی سبيل العقيدة و فی سبيل الايمان وتصديق ما جاء من الله ورسوله من وعد و أخبار ، يتمثل ذلك فيما روی فی تاريخ الغزوات الشامية : أن رجلا جاء إلی أبی عبيدة يوم اليرموك ، و هو قائد الجيش الاسلامی ، فقال إنی قد تهيأت لأمری فهل من حاجة إلی رسول الله ﷺ . قال : نعم تقرأه عنی السلام وتقول يا رسول الله إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً (٣) .

ما أرسخ هذا اليقين ، وما أشد هذا الايمان بأنه سيلقی الرسول عليه الصلاة

---

(١) البداية و النهاية ، ج/٧ ، ص/٦٥ .

(٢) سيرة عمربن عبد العزيز لأبی محمد عبد الله بن حكم المتوفی سنة ٢١٤هـ .

(٣) البداية و النهاية ، ج/٧ ، ص/١٢ .

والسلام ، لا يقل هذا الايمان من إيمان رجل يخبره صديق له بأنه مسافر إلى مصر أو إلى الحجاز ، فيحمله رسالة إلى أسرته . بل يخامر ذلك عشرة شكوك ، لعله يعدل عن السفر ، أو يتوجه إلى جهة أخرى أو يموت فى الطريق ، أو لا يقابل أعضاء أسرته . أو ينسى الرسالة ، ولكن إيمان المسلم الذى يتهيأ للقتال بلقاء الرسول ﷺ وثقة أبى عبيدة بهذا اللقاء أعظم و أقوى من ثقتنا باتجاه أحدنا إلى بلد من البلدان و وصوله إليه .

و هذا الفارق النفسى يتجلى فيما ينقل من حوار بين كلب صيد ـ الكلب المعلم ـ وغزال ، قال الكلب للغزال : لماذا لا ألحقك يا غزال ، وأنا مضرب المثل فى العدو و الجرى وقد مرنت على هذا و دربت ولكنى لا أدركك ، قال : لأنك تعدو لسيدك و أنا أعدو لنفسى ، وشتان بين من يعمل عملا ميكانيكياً لا دافع فيه ولا لذة ، ولا إيمان فيه ولا عقيدة ، وبين من يعمل مدفوعاً من عقيدته و منبعثاً من أعماق نفسه ، و من أعماق العقيدة الراسخة و الايمان الجازم ، وعن تمثل الجنة واستنشاق أريجها وتنسم نفحاتها ، وطمع فى أجر الآخرة والقبول عند الله .

★

سيرة محمد ﷺ الشاملة الكاملة

و شهادة التاريخ العادلة

بقلم الدكتور العلامة السيد سليمان الندوى

إن السيرة المحمدية هى السيرة التامة الكاملة الشاملة لجميع أطوار الحياة، وما من حياة أحد - مهما بلغت من صحة التاريخ وثبوت الرواية ـ يصح أن يكون منها للناس أسوة تتبع، ومثال يقتدى به، إلا إذا كانت متصفة بالكمال، ولا تكون حياة أحد كاملة ومنزهة عن العيوب والمثالب إلا إذا كانت معلومة للناس بجميع أطوارها و متجلية لهم دخائلها من كل مناحيها . وحياة محمد ﷺ من ميلاده إلى ساعة وفاته معلومة للذين عاصروه و شهدوا عهده ، وقد حفظها التاريخ عنهم لمن بعدهم ، وهو فى حياته لم يحتجب عن عيون قومه إلا مدة يسيرة ليعد عـــدته للمستقبل و ليهيء الأسباب لحياته القابلة .

إن جميع شئونه و أطوار حياته ـ من ولادته و رضاعتـــه و طفولته إلى أن صار يافعاً و شاباً ـ كل ذلك ظاهر أمره ، معلومة تفاصيله ، و قد علم التاريخ عن هذا النبى ﷺ باشتغاله فى التجارة و كيفية زواجه ، و علم الناس مجاياه فى صداقته و فى وفائه للناس قبل النبوة ، و اتصلوا به حين اتخذوه أميناً و أقاموه حكما فيما اختلفوا فيه من نصب الحجر الأسود فى موضعه من الكعبة ، ثم وقفوا على أمره حين حبب الله إليه الخلوة فاعتزلهم فى غار حراء ، ثم علموا حاله حين نزل عليـــه الوحى من رب العالمين ، وحين بدأ أمر الاسلام يظهر للوجود فأخذ يدعو الناس إليه ويبلغ ما أنزل عليه .

وقد رأى التاريخ كيف خالفوه وعاندوه ، وهل غاب عن التاريخ ما لقى صلى الله عليه وسلم فى نشر الاسلام من جهد وعناء ، وما قابله به أهل الطائف حين سار إليهم ينهاهم عن عبادة الأوثان و يأمرهم بعبادة الرحمن ، وهل نسى التاريخ حين أخبر أهل مكة - وهم أقلية قليلة من المسلمين و أكثرية ساحقة من المشركين - بخبر العروج به إلى السماء ، ثم هل خفى عن التاريخ أمر هجرته ومع من هاجر ، و الغزوات التى غزاها ، و الأسباب الباعثة عليها ، وموقفه من المدنة إذا هادن ، و عهوده إذا عاهد ، وما صلح الحديبية بسر .

و الذين طالعوا كتب السيرة النبوية يعلمون ما ذكرنا وما لم تذكر ، وقد وقفوا على كتبه ﷺ إلى الملوك و الأقيال و الولاة يدعوهم فيها إلى دين الله ، دين السلام و الوئام ، و عرفوا جهاده فى سبيل الحق وما بذله فى تبليغ دعوة الاسلام إلى الناس ، إلى أن أكمل الله للانسانية دينها ، وحج ﷺ حجة الوداع ، و توفاه الله إليه .

فهل فى شىء من ذلك ما يجهله التاريخ ، وهل فيما يتعلق بهذا الرسول الأعظم و رسالته ما أسدل عيه ستار من خفاء ؟ إن كل ما ينسب إليه ﷺ أو يعزى إليه من حق أو باطل ، وصدق أو كذب و صحيح أو فاسد معلوم بالتفصيل و واضح أمره للناقدين ، وقد يخطر ببال سائل أن يسأل : ما بال المحدثين حفظوا موضوعات الأحاديث و ضعافها ، وهلا اكتفوا بالصحيح وأهملوا غيره ؟ و الذى ينعم النظر فى ذلك يبدو له من المصلحة أن لا يوجه القادحون اللائمة إلى المسلمين بأن هنالك مرويات قضوا عليها و أخبارا نبذوها ليخفوا من أمر نبيهم ما فيه مغمز كما يطعن الطاعنون فى هذه الأيام على الأخبار المسيحية لأجل ذلك .

أما المحدثون الكرام من علماء المسلمين فقد جمعوا كل ماله علاقة بالنبى ﷺ

صحیحاً کان أو سقیما، حقاً کان أو باطلا، وجعلوا لنقده قواعد وأصلوا لتحقیقه أصولا یرجع إلیها فی تمییز الصحیح من الفاسد و الغث من السمین، وهم قد حفظوا شئون حیاة النبی ﷺ و أحواله و أخباره کلها ولم یترکوا أمرا من أموره ولا شأنا من شئونه إلا ذکروه. حتی لقد وصفوه فی قیامه و جلوسه و نهوضه من النوم وهیئته فی ضحکه و ابتسامه و عبادته فی لیله و نهاره، وکیف کان یفعل إذا اغتسل و إذا أکل، و کیف کان یشرب، و ماذا کان یلبس، وکیف یتحدث إلی الناس إذا لقیهم، وما کان یحب من الألوان ومن الطیب، وما هی حلیته وشمائله ـ ووصفوا جسده الطاهر وصفا کاملا کأنك تراه. ووصفوا حیاته العائلیة من معاشرة الرجل أهله وخلیله، وأتبعوا ذلك بذکر الطهارة من الغسل فوصفوا ذلك کما وصفوا الوضوء للصلاة.

و استعرض لکم فهرسة أقدم کتاب فی الشمائل للترمذی لتعلموا کیف ضبط المسلمون أحوال النبی ﷺ و أحصوا أخباره جلیلها ودقیقها، خطیرها وحقیرها، کثیرها و قلیلها: (١) باب ما جاء فی حلیة النبی ﷺ (٢) فی ذکر شعره (٣) فی ترجله (٤) شیبه (٥) خضابه (٦) کحله (٧) لباسه (٨) عیشه (٩) خفه (١٠) نعله (١١) خاتمه (١٢) صفة سیفه (١٣) درعه (١٤) مغفره (١٥) عمامته (١٦) إزاره (١٧) مشیته (١٨) تقنعه (١٩) جلسته (٢٠) فرشه و وسادته (٢١) ما جاء فی اتکائه (٢٢) صفة أکله (٢٣) خبزه (٢٤) إدامه (٢٥) وضوؤه (٢٦) ما یقوله قبل الطعام وبعده (٢٧) قدحه (٣٨) فاکهته (٢٩) شرابه (٣٠) صفة شربه (٣١) تعطره و تطیبه (٣٢) کیف کان کلامه (٣٣) إنشاده الشعر (٣٤) مسامرته وقصصه (٣٥) نومه (٣٦) عبادته (٣٧) ضحکه

و تبسمه (٣٨) مزاحه (٣٩) عبادته بعد طلوع الشمس (٤٠) تطوعه فى بيته (٤١) صومه (٤٢) تلاوة القرآن (٤٣) بكاؤه و خشوعه (٤٤) فراشه (٤٥) تواضعه (٤٦) أخلاقه (٤٧) أسماؤه الكريمة (٤٨) معاشرته (٤٩) سنه (٥٠) وفاته (٥١) ميراثه (٥٢) حجامته .

ذلك مما يتعلق بنفسه الشريفة و شخصه الكريم ، و هنالك أحاديث عن كل طور من أطوار حياته و ناحية من نواحيها ، كل ذلك فى وضوح و جلاء بحيث لم يبق شىء من حياته مخفيا أمره مكتوماً سره ، فاذا دخل بيته فهو بين أهله وعياله و أولاده ، و إن خرج منه فهو بين أصحابه و رفقائه ، و كل ذلك محفوظ مذكور مشهور .

إخوانى : إن أعظم الناس و أجلهم ، إذا انقلب إلى بيته كان فيه رجلا من الرجال وواحدا كآحاد الناس ، ولقد صدق فولتير فى كلمته المشهورة : « إن الرجل لا يكون عظيما فى داخل بيته ، ولا بطلا فى أسرته » يريد أن عظمة المرء لا يعترف بها من هو أقرب الناس إليه ، لاطلاعه على دخيلته فى مباذله . و هذا الحكم يشذ عن الرسول صلوات الله و سلامه عليه ، فيقول « باسورث سمث » إن ما قيل عن العظماء فى مباذلهم لا يصح - على الأقل - فى محمد رسول الاسلام . و استشهد بقول «كبن» : « لم يمتحن رسول من الرسل أصحابه كما امتحن محمد أصحابه ، إنه قبل أن يتقدم إلى الناس جميعاً ، تقدم إلى الذين عرفوه إنساناً المعرفة الكاملة فطلب من زوجته و غلامه و أخيه و أقرب أصدقائه إليه و أحب خلانه أن يؤمنوا به نبياً مرسلا . فكل منهم صدق دعواه و آمن بنبوته . و أن حليلة المرء أكثر الناس علما بباطن أمره و دخيلة نفسه و ألصقهم به ، فلا يوجد من هو أعرف منها بهناته و نقائصه . أليس أول من آمن بمحمد رسول الله زوجه الكريمة التى عاشرته

خمسة عشر عاما ، و اطلعت على دخائله فى جميع أموره ، وأحاطت به علما ومعرفة ، فلما ادعى النبوة كانت أول من صدقه فى نبوته .

إن أعظم الناس لا يأذن لزوجه ـ و إن كانت له زوج واحـدة - بأن تحدث الناس عن جميع ما تراه من حليلها ، وأن تعلن كل ما شاهدته من أحواله . لكن رسول الله كانت له فى وقت واحد تسع زوجات ، و كانت كل منهن فى إذن من الرسول بأن تقول عنه للناس كل ما تراه منه فى خلواته وهن فى حـل من أن يخبرن الناس فى وضح النهار كل ما رأين منه فى ظلمة الليل ، و أن يتحـدثن فى الساحات والمجامع بما يشاهدن منه فى الحجرات . فهل عرفت الدنيا رجلا كهذا الرجل يثق بنفسه كل هذه الثقة و يعتمد عليها إلى هذا الحد ولا يخاف قالة السوء عنـه من أحد ، لأنه أبعد الناس عن السوء . هذا ما يتعلق بذات الرسول ، و أما ما تحلت به نفسه من دماثة الخلق و رجاحة العقل و حصافة الرأى وكرم النفس وعلو الهمة و رحابة الصدر فان كتب الحديث ملآى بتفاصيله . و أحسن كتاب فى ذلك كتاب (الشفا) للقاضى عياض الأندلسى . وقـد قال لى يوما و أنا فى فرنسا مستشرق اسمه ماسنيون : يكفى لتعرف أوربا محاسن رسول الله محمد ﷺ ومحامده أن ينقل كتاب (الشفا) للقاضى عياض إلى إحدى اللغات الأوربية .

إننى بوبت فى الجزء الثانى (١) من السيرة عند ذكر شمائله ﷺ هذه الأمور : خلق رسول الله ﷺ ، وحليته ، و خاتم النبوة ، وشعره و مشيته ، و كلامـه وضحكه وتبسمه ، و لباسه ، و خاتمه ، ومغفره ، و درعه ، و طعامه ، و صفـة أكله ، وسنن طعامه ، و شارته ، و اللون المحبب إليه ، و اللون الذى كان يرغب عنه ، و تعطره ، و حبه للنظافة و الطهارة ، و ركوبه . و ذكرت فى أشغـاله : ما كان يعمله فى نهاره من الصباح إلى المساء ، ثم نومه ، و تهجده ، و أوراده فى

(١) من كتابه (سيرة النبى ﷺ) وهو فى ٧/ مجلدات .

الصلوات ، و أسلوب خطبته ، و أعماله فى السفر ، و أعماله فى الجهاد ، و سنته فى عيادة المرضى ، و تعزيته أهل الميت ، وسنته فى لقاء الناس و عامـة أشغاله . وكذلك ما ذكرت عن مجلسه ﷺ : مجالس الارشاد، آداب المجالس ، أوقات جلوسه مع الناس ، مجالسه الخاصة بالنساء ، طريقة هديه و إرشاده ، لقاؤه الناس بالبشاشة و البشر ، تأثير صحبته فيمن يصحبه و أسلوب كلامه معهم ، و أنواع خطابه النبوية و أثرها فى السامعين .

و من العناوين التى وردت فيما ذكرته عن عبادته : دعاؤه ، صلاته ، صومه ، زكاته و صدقاته ، حجه ، مداومته على ذكر الله ، ذكره الله عز وجل فى مواقف القتال ، خشيته من الله ، بكاؤه ، محبته لله ، توكله عليه ، صبره ، شكره لمفيض النعم جل جلاله . ومما جاء فى كتابى المذكور عن أخلاقه ﷺ : أخلاقه بالتفصيل ، مواظبته على العمل ، مكارم أخلاقه ، حسن معاملته للناس ، عـدله ، جوده و كرمـه ، إيثاره ، ضيافته وقراه ، كراهته سؤال الناس إباؤه لأموال الصدقة ، قبوله الهدية ترفعه عن فضل الغير ومنته ، تنزهه عن الفظاظة ، و موقفه من التقشف ، و كرهه للهجاء و المدح ، و التزامه عدم التكلف فى الحياة ، و بعده عن التأنق فى المشرب و المأكل ، إجتنابه الرياء والخيلاء ، مساواته ، تواضعه ، كرهه للمبالغـة فى التعظيم و الاطراء ، حياؤه ، عمله بيده . عزيمته ، شجاعته ، صدقـه فى القول ، وفاؤه بالوعد ، زهده فى الدنيا ، قناعته ، حلمه ، عفوه عن الناس ، صفحه عن أعدائه إحسانه إليهم ، معاملته للكافرين و المشركين ، معاملته لليهود و النصارى ، حبه الفقراء و المساكين ، عفوه عن أشد أعدائه ، دعاؤه لأعدائه بالخير ، شفقته على الصبيان ، معاملته للنساء ، رحمته بالحيوان ، ما فطر عليه من الرحمة و المحبة بوجه عام ، لين قلبه ورقته ، عيادته للمرضى ، مجاملة خلقه ودماثته ، محبته لأولاده ، معاشرته

لازواجه الطاهرات ، هديه فی المراسلة ، معالجته لأمراض النفس وأمراض البدن .

وقد استقصی ، الحافظ ابن قیم الجوزیة فی کتابه (زاد المعاد) کل ما ینبغی معرفته عن النبی ﷺ و أحواله ، فاستوعب ذلك أکثر من غیره من المؤلفین ، و إلیکم فهرس ما ورد فیه عن أحواله الخاصة ﷺ و شئونه الیومیة : .

هديه فی إرسال الکتب و الرسائل ، هديه فی الأکل و ذکر کیفیته ، هديه فی النکاح و معاشرة الأهل ، هديه فی نومه و انتباهه ، هديه فی رکوب الدواب ، هديه فی العبید و الاماء ، هديه فی البیع و الشراء و التعامل مع الناس ، هديه عند قضاء الحاجة ، هديه فی أمور الفطرة ، هديه فی قص الشارب ، هديه فی کلامه و سکوته وضحکه و بکائه ، هديه فی خطبته ، هديه فی وضوئه ، هديه فی مسح الخفین ، هديه فی التیمم ، هديه فی الصلاة ، هديه فی الجلسة بین السجدتین ، هديه فی السجود ، کیفیة تورکه فی القعدة الأخیرة بعد السجدة ، هديه فی جلوسه وإشارته بالتشهد ، هیئة تسلیمه عند الخروج من الصلاة ، دعاؤه بعد التسلیم ، هديه فی سجدة السهو ، هديه فی السنن الرواتب و صلاة التطوع فی الحضر والسفر و فی المسجد و البیت ، هديه فی قیام اللیل (التهجد) إضطجاعه بعد سنة الفجر ، صلاته فی اللیل و وتره . صلاته جالسا بعد الوتر ، قنوت الوتر .

هديه فی قراءة القرآن وترتیله ، هديه فی صلاة الضحی . هديه فی سجود الشکر ، هديه فی سجدات القرآن ، هديه فی الجمعة ، هديه فی عیادات الجمعة ، هديه فی خطبة الجمعة ، هديه فی العیدین ، هديه فی صلاة الخوف و صلاة الکسوف ، هديه فی الاستسقاء ، هديه فی السفر و التطوع فیه ، هديه فی الجمع بین الصلاتین ، هديه فی تلاوة القرآن و الاستماع له ، هديه فی عیادة المرضی ، هديه فی الجنائز و الاسراع بها ، هديه فی تسجیة المیت ، هديه فی السؤال عن المیت إذا حضرت جنازته ، هديه

فى الصلاة على الجنازة ، هديه فى الصلاة على جنازة الصغير ، هديه فى تركه الصلاة على قاتل نفسه و الغال ، هديه فى المشى أمام الجنازة ، هديه فى الصلاة على الميت الغائب ، هديه فى قيامه للجنازة إذا مرت به ، هديه فى التعزية ، و زيارة القبور .

هديه فى الاكثار من العبادة فى رمضان ، هديه فى الصوم عند رؤية الهلال ، و الافطار لرؤية الهلال ، هديه فى قبول الشهادة لرؤية الهلال ، هديه فى الافطار فى السفر ، الافطار يوم عرفة ، صومه أيام الجمعة و السبت والاثنين ، هديه فى صوم الوصال ، هديه فى صوم التطوع و أفطاره و ترك قضائه ، كراهيته تخصيص الجمعة للصوم ، هديه فى الاعتكاف .

هديه فى الحج والعمرة ، اعتماره مرتين فى سنة واحدة ، أداؤه الحج ، وهديه فى التضحية بيده ، هديه فى تضحية البدنة ، هديه فى العقيقة ، أذانه فى أذن المولود ، و تسميته ، و ختانه ، هديه فى تسمية الناس و تكنيتهم ، احتياطه فى الكلام وتخير الالفاظ ، هديه فى الذكر و الدعاء ، هديه فى دخول البيت ، هديه فى لبس الثياب ، هديه فى الذهاب إلى الخلاء و الرجوع منه ، هديه فى الدعاء عند الوضوء ، هديه فى ترديد كلمات الأذان ، هديه فى الدعاء لرؤية الهلال و الدعاء قبل الطعام و بعده و هديه فى الطعام و فى السلام ، وأن لا يدخل أحد على الناس فى بيوتهم إلا بعد الاستئذان ، هديه فى الدعاء فى السفر ، وعند النكاح ، هديه فى كراهية بعض الكلمات ، هديه فى الغزو و الجهاد ، معاملته لأسرى الحرب و العبيد ، و هديه فى معاملة الجواسيس إذا أسروا ، هديه فى عقد الصلح ، و تأمين المحارب ، و ضرب الجزية ، و معاملته أهل الكتاب و المنافقين .

لقد أجملت لكم فيما تقدم ما جاء فى أحوال النبى ﷺ خاصة ، ليتبين لكم أنه إذا كانت هذه الأمور الدقيقة قد عنى المسلمون بحفظها فما ظنكم بالأمور الجليلة

العظيمة الخطر ، وكم بذل رواة الشريعة من عنايتهم فى إحصاء أمهات السنن وأصول الرسالة ، و إحصائها ، و ضبطها مفصــلة ، ويظهر لكم من ذلك أن جميع وجوه الحياة النبوية ومناحيها و ألوانها قد صينت وحفظت من أن تعبث بها أيدى الدهر .

إخوانى : حسبكم الآن أنكم قد علمتم ما أوردته فى أول هذه المحاضرة من وصف السيرة المحمدية بالكمال و التمام و الاحاطة ، وقد تبين لكم صدق ما أدعيته لها من أنه ما من أحد من الرسل قد حفظت سيرته و أحصيت أخباره و أحواله كما حفظت سيرة محمد ﷺ و أحصيت أخباره و أحواله .

إن المجال ضيق ، والذى أريد أن أفضى به إليكم متنوع و مترامى الأطراف وكثير المناحى ، فأنا أجمل لكم فى القول ما استطعت ، وأرجو منكم أن تستمعوا له: إن النبى ﷺ أذن لأصحابه ولمن يحضر مجالسه أن يبلغوا عنه لمن غاب عنها ، وهذا الاذن عام لما يكون عنه فى بيته و بين أهله و عياله ، أو ما يصدر عنه فى حلقته مع أصحابه ، أو ما يقفون عليه من أعماله و أقواله عند تعبده فى مسجــده ، أو قيامه على منبره خطيبا ، أو جهاده فى ساحة الحرب تجاه أعدائه وهو يسوى صفوف المجاهدين فى سبيل الله . أو إذا خلا إلى ربه فى حجرة منعزلة فى بيتـه يعبد الله و يتضرع إليه ، فكان أزواجه وأصحابه يتحدثون جميعاً بكل ما يصدر عنه من قول أو عمل . ثم إنه كان تجاه مسجده صفة يأوى إليها فقراء الصحابة الذين لم تكن لهم بيوت يأوون إليها ، فكانوا يتناوبون الخروج إلى ما بعد بنيان المدينة يحتطبون من أشجار الصحراء و الجبل و يبيعون ما يأتون به ليقتاتوا جميعا بثمنه ، و لم يكن اساترهم عمل غير صحبة النبى ﷺ و لزوم مجالسه ليحفظوا عنه ما يقول وما يعمل ثم يروونه للناس بعناية وأمانة ، وقد بلغ عــدد أهل الصفة هؤلاء سبعين رجلا ، كان منهم أبو هريرة الذى لم يكن صحابى أكثر منه حديثــاً عن رسول الله ﷺ ،

و هؤلاء السبعون كانوا كأنهم جواسيس الحكومة و عيونها فى نشاطهم و إخلاصهم لما يسرهم الله له من حفظ كل ما يستطيعون حفظه مما يدخل فى موضوع الحديث النبوى لا يفترون عن ذلك آناء الليل و أطراف النهار ، و قد استمر الحال بهم على ذلك يومياً مدة عشر سنوات متوالية ، وإذا ارتحل عن المدينة فى غزو أو حج كانوا معه ، و كذلك غيرهم من الصحابة ، حتى لم تخف عنهم خافية من أمره ، و لم يغب عنهم معنى من معانى رسالته ، و لما كان فتح مكة كان معه من أصحابه عشرة آلاف ، و لما سار إلى تبوك كان فى معسكره ثلاثون ألفاً ، و لما حج حجة الوداع حج معه فى تلك السنة مائة ألف مسلم ينطبق عليهم عنوان الصحابة .

و ما منهم إلا من يحرص على الوقوف على شىء من هداية نبيه ﷺ أو أى أمر من أموره فيتحدث عنه ، بل هو الذى أمرهم أن يبلغوا عنه ما يسمعون منه أو يرون من تصرفاته ، فما ظنكم به بعد ذلك ،هل يخفى عن التاريخ وجه من وجوه حياته أو ناحية من نواحيها ، هذا من جهة أصحابه ، وأما أعداؤه فانهم أفرغوا جهدهم ، و استنفذوا سعيهم ليقفوا على دخيلة من دخائله و ليؤاخذوه بحقيقة يعلنونها عنه فلم يستطع أحد منهم أن يجد له ناحية ضعف ولا ما يندد به ، و أقصى ما استطاع أعداؤه فى كل زمان و مكان أن يقولوه عنه إنه سل سيفه للقتال و أنه كان كثير الأزواج ، وقد تبين لكم مما سلف أن حياته الطاهرة التى فصلنا حقيقتها تفصيلا ، و أحطنا بجوانبها علماً ، هى حياة العصمة من كل نقص ، البريئة من كل عيب ، فأين هذا من حياة لا نعلم عنها شيئاً ، ولا تزال نواحيها و وجوهها سراً فى ضمير الزمن !.

إخوانى : أريد أن ألفت أنظاركم إلى أمر آخر : إن الرسول ﷺ لم يقض حياته كلها بين أحبابه و أصحابه ، بل قضى أربعين سنة من عمره فى مكة قبل أن

یبعث ، فکان بین أهلها مشرکی قریش ، و کان یتعاطی فیهم التجارة . و یعاملهم فی أمور الحیاة لیل نهار . و هی الحیاة الیومیة وما تنطوی علیه من أخـــذ و عطاء ، و من شأنها أن تکشف عن أخلاق المرء فیتبین للنـاس فسادها وصلاحهـا ، و هی عیشة طویل طریقها ، کثیرة منعطفاتها ، وعرة مسالکها ، تعترضها وهدات مما قد یصدر عن المرء من خیانة و إخفار عهد و أکل مال بالباطل ، و عقبـات من الخدیعة و الخیانة وتطفیف الکیل وبخس الحقوق و إخلاف الوعد ، و إن الرسول ﷺ اجتاز هذه السبیل الشائکة الوعرة و خلص منها سالماً نقیاً لم یصبه شئ مما یصیب عامة الناس ، حتی لقد دعوه « الأمین » ، و إن قریشا بعد بعثته و ادعائه النبوة کانوا یودعون عنده ودائعهم وأموالهم لعظیم ثقتهم به ، وقد علمتم أنه ﷺ لما هاجر من مکة خلف فیها علیاً لیرد ما کان لدیه من الودائع إلی أهلها ، فقریش خالفوه أشد الخلاف فی دعوته ولم یترکوا سبیلا الی ذلك إلا سلکوه ، فقـاطعوه و عاندوه و صدوا عن سبیله و ألقوا علیه سلی جزور وهو یصلی و رموه بالحجارة و أرادوا قتـــله و کادوا له کیدهم وسموه ساحراً و دعوه شاعراً ، وفندوا آراءه و سخفوا حلمه ، و لکن لم یجرؤ أحـد منهم علی أن یقول شیئاً فی أخلاقـة ، ولا أن یرمیه بالخیانة ، أو ینسب إلیه الکذب فی القول أو إخلاف الوعـد أو إخفار الذمة أو نقض العهد .

وإن من ادعی النبوة و قال : إن الله یوحی إلیه فکأنه ادعی العصمة والبراءة من جمیع المفاسد و مساوی‌ء الأعمال ، ألم یکن یکفی قریشاً فی ردهم علی الرسول أن یذکروا أمورا عمل فیها الرسول بغیر الحق و أن یشهدوا علیه بأنه أخلفهم وعدا أو خانهم فی أموالهم أو کذبهم فی شئ مما قاله لهم ؟ إن قریشاً أنفقوا أموالهم وبذلوا نفوسهم فی عداوة الرسول وضحوا بفلذات أکبادهم فی قتاله حتی قتل منهم و جرح

كثيرون لم يستطيعوا أن يدنسوا ذيله الطاهر ولا أن يصموه بشئ فى عظيم أخلاقه، و كانت أحوال الرسول و شئونه و هديه ظاهرة لجميع الناس معلومة لهم ، استوى فى ذلك أحبابه و أعداؤه ولم يخف عليهم شئ من أمره .

كان عظماء قريش مجتمعين ذات يوم فى ناديهم فجرى ذكر الرسول ﷺ وفيهم النضر بن الحارث و كان رجلا داهيـــة محنكا و عالماً بالأخبار فقال لهم : يا معشر قريش ، لقد اعياكم أمر محمد ، و عجزتم عن أن تدبروا فيه رأياً لما أصابكم به إن محمداً قد نشأ فيكم حتى بلغ مبلغ الرجال ، و كان أحب الناس إليكم و أصدقهـــم فيكم و اتخذتموه أمينا ، فلـما وخطه الشيب و عرض عليكم هذا الأمر قلتم : ساحر و كاهن و شاعر و مجنون . تالله لقد سمعت كلامه فليس فيه شىء مما ذكرتم .

و أبو جهل كان أشد الناس عداوة للرسول، وقد قال له ذات يوم : يا محمد، إننى لا أقول إنك كاذب ، لكنى أجحد الذى جئت به وما تدعو إليه . فأنزل الله هذه الآية (قد نعلم أنه ليحزنك الذى يقولون ، فانهم لا يكذبونك و لكن الظالمين بآيات الله يجحدون) الأنعام (٣٣)

ولما تلق الرسول أمر ربه بأن يدعو ذوى قرباه إلى الاسلام وينذر عشيرته الاقربين صعد الجبل و نادى : يا معشر قريش ، فلما اجتمعوا قال : هـــل كنتم مصدقى إن قلت إن جيشا قد بلغ سفح هذا الجبل ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذبا قط (صحيح البخارى : سورة تبت يدا) .

ولما أرسل النبى ﷺ كتاب الدعوة إلى هرقل عظيم الروم دعا هرقـــل أبا سفيان ليسأله عن هذه الدعوة و صاحبها . و أنتم تعلمون أن أبا سفيان كان يومئذ على العداوة للاسلام و رسوله مدة ست سنوات متواليـــة انقضت بحشـــد المقاتلة و استنفار المشركين لحرب المسلمين . و انظروا إلى هذا الموقف يدعى فيه عـــدو

ليسأل عن عدوه اللدود الذى يتمنى لو استطاع أن يقتله ويمحو اسمه و يخفض من شأنه ، ثم يدعى إلى مجلس رجل عظيم صاحب سلطان ليشهد عنده فى عدوه .

فسأله هرقل عن النبى ﷺ .

– كيف نسبه فيكم ؟

قال أبو سفيان : هو فينا ذو نسب .

– هل قال هذا القول منكم أحد قبله ؟

قال أبو سفيان : لا

– هل كان من آبائه من ملك ؟

قال أبو سفيان لا !

– فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟

قال أبو سفيان : بل ضعفاؤهم .

– أيزيدون أم ينقصون ؟

قال أبو سفيان : بل يزيدون .

– فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه ؟

قال أبو سفيان : لا !

– فهل كنتم تتهمونه بالكذب ؟

قال أبو سفيان : لا

– فهل يغدر ؟

قال أبو سفيان : لا ، ونحن منه فى مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها .

– ماذا يأمركم ؟

يقول : اعبدوا الله وحده ، و لا تشركوا به شيئاً ، و اتركوا ما يقول آباءكم ، ويأمرنا بالصلاة و الصدق و العفاف و الصلة (١) (البحث صلة)

(١) البخارى ك ١ ب ٦ .

من وحى الطب النبوى

الدكتور : غريب جمعه

كنا قد تحدثنا بتوفيق الله فى مقال سابق عن بعض توجيهات الرسول ﷺ فى الجانب الصحى من حياة الفرد و المجتمع و تناولنا قطفين من قطوف السنة النبوية فى هذا المجال وهما :

القطف الأول : مدح الصحة و العافية .

القطف الثانى : فى مجال الصحة البدنية و النظافة الشخصية .

و فى هذه المرة نعود إلى روضة السنة المباركة ذات الظل الممدود والعطاء غير المحدود إلى يوم القيامة لمن دخلها بقلب سليم وفكر مستقيم .

نعود لنستكمل ما بدأنا فنقول و الله المستعان .

القطف الثالث : فى مجال ضبط الانفعالات العصبية و النفسية .

لكى تعرف أخى القارئ عظمة التوجيه فى هذا المجال يحسن بك أن تتبين أثر الغضب و توتر الأعصاب على أجهزة الجسم المختلفة حيث يتأثر ما يسمى بالهيبوتلامس (تحت المهاد) فى الجزء الأوسط من المخ ، ويرسل إشارات إلى الغدة النخامية والغدة فوق الكلية فتفرز مادة تسمى « الأدرينالين » الذى يزيد من سرعة ضربات القلب و يؤدى إلى ارتفاع ضغط الدم وزيادة الدورة الدموية فى الأطراف كما لو كان الشخص يتأهب للدخول فى معركة .

كما أن توتر الأعصاب المستمر يؤدى إلى اضطرابات فى مركز التحكم فى الدورة الدموية فيرتفع ضغط الدم وتتأثر تبعاً لذلك شرايين الجسم بما فيها الشرايين التاجية و هى التى تغذى القلب و شرايين المخ كذلك و أعصاب المعدة ، وقد تنتهى الحالة بمأساة كالذبحة الصدرية ، و كم سمعنا عن نوبات قلبية تصيب الأشخاص بعد مشادة أو مشاجرة عنيفة و تودى بحياتهم ، و قد يحدث نزيف فى المخ و ازدياد فى حموضة المعدة .

لذلك كان توجيه الله لعباده حتى يرحموا أنفسهم ولا يقتلوها قتلا بطيئا بمثل هذه الانفعالات، يقول تعالى معلما الأمة فى شخص رسوله الكريم ﷺ « خذ العفو و أمر بالعرف و أعرض عن الجاهلين » (١) .

روى أن رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية قال :

« قلت ما هذا يا جبريل ؟ قال إن الله أمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك » و يأتى توجيه الرسول فى هذا المجال متفقاً و مفصلا ما سبق .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال للنبى ﷺ أوصنى :

« قال لا تغضب فردد مراراً قال لا تغضب » (٢) .

و حتى لا يكون هذا التوجيه مجرد كلام نظرى نرى رسول الله يضرب لنا المثل بنفسه ، فعن أنس رضى الله عنه قال : كنت أمشى خلف النبى ﷺ و عليه برد نجرانى غليظ الحاشية فأدركه أعرابى فجبذه جبذة شديدة فنظرت إلى صفحة عاتق النبى ﷺ وقد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال : يا محمد مر لى من مال الله الذى عندك ، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء » (٣) .

(١) الأعراف / ١٩٩		(٢) رواه البخارى		(٣) متفق عليه

و يتأسى سلفنا الصالح رضى الله عنهم بالرسول فيقول الامام الشافعى :

قالوا سكت وقد خوصمت قلت لهم ... إن الجواب لبـاب الشر مفتـاح
فالعفو عن جاهــل أو أحمق أدب ... نعم وفيــه لصون العرض إصلاح
إن الأسود لتخشي و هى صامتــة ... و الكلب يخشى ويرمى و هو نبـاح

فهل يعى المسلمون ذلك و يكونون كما قال الله فيهم « . . أشداء على الكفار رحماء بينهم » ؟

القطف الرابع : فى مجال مخالطة المريض .

يوصى الرسول ﷺ المريض ألا يختلط بأحد إذا كان مرضه معديا ، و على السليم أيضاً أن يتجنب هذا المريض الذى يجب عزله فى مصحة خاصة ، فقد أخرج الامام مسلم من حديث عمرو بن الشريد الثقفى عن أبيه أنه قال : كان فى وفــد ثقيف رجل مجذوم (مصاب بمرض الجذام) فأرسل إليه الرسول ﷺ : « إنا قد بايعناك فارجع » .

كما ينبه إلى زيارة المريض بعد الأيام الثلاثة الأولى من بداية مرضه ، و يعلق السيد الدكتور / محمود ناظم نسيمى على ذلك بقوله :

« ولقد تبين فى عصرنا الحاضر أن الكثير من الأمراض الشائعة كالانفلونزا و نزلات البرد يكون سريانها شــديداً فى الأيام الأولى من المرض أى فى الدور النزلى ، و إنه لشطط أن يتعجل الناس عيادة المريض فى تلك الأيام الثلاثة من كل مرض دون وجود مبرر لذلك ، مثل تقديم العون للمريض و لأسرته دون مراعاة لاعتبارات عديدة مثل ضيق بيت المرض أو انشغال ذويه فى إعداده أو فى استشارة الطبيب و جلب الدواء ، أما الأحاديث التى تفيــد زيارة المريض فى الأيام الأولى فتحمل ـ والله أعلم ـ ، على ظروف خاصة كحاجة المريض إلى معونة الآخرين بسبب فقره أو قلة المساعدين فى بيته وغير ذلك » اهـ .

و يعلمنا رسول الله ﷺ آداب زيارة المريض فيقول :

« إذا دخلتم على المريض فنفسوا له فى الأجل فان ذلك لا يرد شيئاً وهو يطيب (أو تطيب نفس المريض) » (١) و لاشك أن تفريج نفس المريض وتطييب قلبه و إدخال السرور عليه له تأثير عجيب فى شفاء علته و خفتها فان الأرواح و القوى تقوى بذلك فتساعد الجسم على دفع الأذى وقد شاهد الناس كثيراً من المرضى تنتعش قواهم بعيادة من يحبونهم و يعظمونهم و رؤيتهم و مكالمتهم إياهم .

و من طريف ما يروى عن بعض أنواع الأوقاف أن بعض أهل الخير كانوا يقفون جزءا من أموالهم لأناس تكون مهمتهم أن يذهبوا إلى المستشفيات أو إلى أماكن تواجد المرضى ثم يقفون فى مكان بحيث لا يراهم المريض ثم يتحدثون بأن زيدا من الناس أصيب بنفس المرض الذى يشكو منه المريض و لكنه شفى منه باذن الله ، وتصور مدى تأثير ذلك على نفسية المريض حينما يسمع أن مرضه قابل للشفاء !

(رحم الله أهل الخير و أين أوقافهم الآن التى اغتصبتها الحكومات بالمكر و الخديعة ؟) .

ولقد كان رسول الله ﷺ يسأل المريض عن شكواه وكيف يجده و يسأله عما يشتهيه و يضع يده الشريفة على جبهته أو يضعها بين ثدييه و يدعوله و يصف له ما ينفعه فى علته .

و يعلمنا الرسول ﷺ كيف ندعو للمريض فعن عائشة رضى الله عنها .

« أن النبى ﷺ كان يعود بعض أهله يمسح بيده اليمنى و يقول :

اللهم رب الناس أذهب البأس ، أشف و أنت الشافى ، لا شفاء إلا شفاءك

---

(١) رواه ابن ماجة فى سننه

شفاه لا يغادر سقماً (١) وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال :

« من عاد مريضاً لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرات : أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك ، إلا عافاه الله من ذلك المرض » (٢) .

و يعلمنا أن نطلب من المريض أن يدعو لنا و أن نطالب منه أن يحافظ على عهود الله بعد شفائه :

عن عمر رضى عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« إذا دخلت على مريض فمره فليدع لك فان دعاءه كدعاء الملائكة » (٣) .

و عن خوات بن جبير قال ما معناه : مرضت فعادنى رسول الله ﷺ فقال:

« صح الجسم يا خوات ، قلت و جسمك يا رسول الله ، قال فكن وفيا بما وعدت به الله ، فقلت ما وعدت الله تعالى شيئاً فقال ﷺ :

« بلى إنه ما من عبد يمرض إلا حدث الله عز وجل خيراً فعليك أن تكون وفيا لله بما وعدته » (٤) .

و لهذا فان على زوار المريض فى البيت أو المستشفى أن يراعوا هذه الآداب النبوية و أن يتحلوا بها ولا يتكاثروا حول المريض تكاثرا يقض مضجعه و يقلق راحته و أهله و راحة العاملين بالمستشفى بسبب تقديم التحايا لهم أو بسبب إزالة مخلفاتهم . وعليهم أن يختاروا الوقت المناسب للزيارة ولا يشغلوا المريض بمشكلاتهم حتى لا تسوء حالته ولا يحملوا إليه الأطعمة التى تتعارض مع مرضه .

نعم إن من حق المسلم على أخيه أن يعوده إذا مرض ولكن بأى طريقة و بأى أسلوب و فى أى وقت ؟ هذا هو ما نلفت الأنظار إليه .

---

(١) رواه البخارى ومسلم . (٢) رواه أصحاب السنن

(٣) رواه ابن ماجة (٤) رواه ابن السنى

القطف الخامس : فى مجال الوقاية من الأوبئة و المحافظة على صحة المجتمع (البيئة)

وقاية الطعام من التلوث :

كثير من الناس يتركون الطعام مكشوفا إما جهلا بخطورة ذلك وإما تكاسلا فاذا نصحتهم بتغطيته منعا للتلوث بالأتربة و الميكروبات المختلفة التى تنقلها الحشرات الضارة مطوا الشفاه ثم قالوا فى بلاهة عجيبة : توكل على الله و الشئ الذى من نصيبك يصيبك . ! !

ألا فليعلم هؤلاء القوم أن الاسلام لا يقر تلك البلاهة بل و يرفض مثل هذا القول المتهافت بما يوجهها إليه الرسول ﷺ حيث يقول :

« غطوا الاناء و أوكئوا السقاء فان فى السنة ليلة ينزل فيها وباء لايمر باناء ليس عليه غطاء، أو سقاء ، ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء » (١) .

وكأنما يرى رسول الله بنور النبوة من وراء حجب الغيب أن للاوبئة فصولا معينة و هذا ثابت و صحيح علميا ، كما أن بعض الحشرات التى تنقل الميكروبات تنشط ليلا حينما يهجع الناس . حقا إنه لرسول الله .

وينهى رسول الله ﷺ عن النفخ فى الشراب فقد يكون النافخ حاملا لميكروب مرض معين ينتقل مع النفخ إلى ذلك الشراب فيصيب غيره، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ :

نهى عن النفخ فى الشراب فسأله رجل : القذارة أراها فى الاناء فقال : « أهرقها » (٢) .

و لذلك فان على أصحاب محلات بيع اللحوم و البقالة و الفاكهة و المطاعم والخضروات وغيرها أن يستجيبوا لهذه التوجيهات النبوية و يغطوا ما يبيعونه للناس

(١) رواه مسلم (٢) رواه الترمذى .

على أساس أن هذه تعليمات الرسول قبل أن تكون تعليمات الدول، وأن لهم الأجر إن فعلوا و عليهم الوزر إن قصروا .

(٢) وقاية الشرب :

يرفض الرسول ﷺ أن يشرب أكثر من فرد من إناء واحد أو يضعوا أفواههم على مصدر الشرب ، ويطالب أن يشرب كل منهم فى وعاء خاص به ، تقول السيدة عائشة رضى الله عنها :

« نهى رسول الله ﷺ إن يشرب فى السقاء لأن ذلك ينتنه » وعن أبى سعيد ، أن رسول الله ﷺ « نهى عن اختناث الاسقية (و اختناثها كسر أفواهها) (١) وقد ثبت علمياً أن ميكروبات بعض الأمراض تنتقل بواسطة اللعاب والشفتين كالدفتريا و التيفود و الانفلونزا . . إلخ ، و على ذلك فان عادة اجتماع فريق من الناس فى مجلس واحد للتدخين بوسيلة واحدة يضعها كل منهم على فمه يعتبر من أخطر الوسائل لنقل الأمراض المعدية ، و تختلف تسمية تلك الوسيلة من بلد إلى بلد فمرة يطلق عليها (الجوزة) ومرة يطلق عليها (الشيشة) إلى آخر هذه المسميات التى نجهلها لجهلنا الكامل بالتدخين ، والحمد لله على هذا الجهل ولكن أهل الخبرة من المدخنين يعرفونها بل و يتقنونها (نسأل الله أن يبصرهم بمضار التدخين حتى يقلعوا عنه) .

(٣) وقاية مصادر المياه :

تختلف مصادر المياه باختلاف الاماكن فمنها الترع و الأنهار و الآبار وأحياناً البحار المالحة التى قد تستخدم مياهها للغسل أو للشرب بعد معالجتها بطرق خاصة ، وقد حذر الرسول ﷺ من تلويث تلك المصادر كما يحدث بالقاء القاذورات والجيف و النجاسات أو مخلفات المجارى ، و حرم التبول فى التبرز فيها و اعتبر ذلك من أسباب لعنة الله يقول ﷺ .

« اتقوا الملاعن الثلاث: البراز فى الموارد وفى الظل وفى طريق الناس » (٢).

(١) رواه مسلم . (٢) رواه أبو داؤد و ابن ماجة .

و يقول أيضاً : « لا يبولن أحدكم في الماء (الراكد) فإن عامة الوسواس منه » (١) .

و على هذا فإننا من منطق نبوى نطالب إخوتنا من المسلمين الذين يقيمون قريباً من مصادر المياه المختلفة أن لا يبولوا أو يتبرزوا فيها أو قريباً منها حتى لا يصابوا أو يصيبوا غيرهم بأمراض متوطنة فى غاية الخطورة مثل مرض البلهارسيا الذى يمتص رحيق العافية من أبدانهم و يحيلهم إلى أشباح بسبب تأثيرها الضار على الكبد و غيره من أعضاء الجسم ، و عليهم أن يقضوا حاجاتهم فى الأرض الجافة ثم يغطوها بالتراب وقاية لأنفسهم و لغيرهم .

وعلى وعاظ و أئمة المساجد وخطبائها فى القرى و الأحياء القريبة من مصادر المياه أن يتناولوا هذه الموضوعات فى دروسهم وخطبهم ، وللدين سلطانه على النفوس الذى لا ينكر ، و على وسائل الأعلام المختلفة أن تقدم برامج للثقافة الصحية فى صورة مبسطة تجعلها محببة إلى النفوس بدلا من طوفان الأغانى الماجنة و المسلسلات الهابطة التى لا تمس مشكلات الناس من قريب أو بعيد خصوصاً و قد غزا التلفاز (التليفزيون) القرى بحسناته وسيئاته واقتحم على الناس مجالسهم وحجرات نومهم .

(٤) نظافة البيوت و الشوارع :

كثير من مدن المسلمين تمتلئ شوارعها بأكوام القمامة و القاذورات التى تعتبر بيئة خصبة لنمو الحشرات و تكاثرها كما أنها تشوه جمال تلك المدن بصورة تثير الأعصاب بينما نرى مدن غير المسلمين على العكس من ذلك ـ بكل أسف ـ ولو علم المسلمون أن نبيهم الكريم يوجههم إلى نظافة بيوتهم و مدنهم و يعتبر من يتسبب فى القذارة مستحقاً للعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين » لو علموا ذلك لكانت مدنهم وبيوتهم أكثر نظافة وجمالا من غيرها فى البلاد الأجنبية يقول الرسول ﷺ :

(١) رواه أحمد و ابن ماجة و الترمذى .

« نظفوا بيوتكم و لا تشبهوا باليهود التي تجمع الأكباء (القاذورات) في دورها » (١) .

و يأمرنا بنظافة الشوارع قائلا :

« من سمى الله ورفع حجرا أو عظما أو شجراً من طريق الناس مشى و قد زحزح نفسه من النار » (٢)

و يقول : « من آذى المسلمين في طريقهم وجبت عليه لعنتهم » (٣)

و قد مر بك نهيه عن البراز في الموارد و قارعة الطريق و الظل بل بلغ به الأمر أن ينهى عن البصق على الأرض فقد يكون من يبصق مصابا « بالسل » الذي تنتقل ميكروباته بواسطة الهواء من المريض إلى السليم ، عن أنس عن النبي ﷺ قال : « البصاق على الأرض في المسجد خطيئة و كفارتها ردمها » (٤) .

و بعد :

فقد رأيت من خلال هذه القطوف الخمسة توجيهات للنبي الكريم في غاية العظمة يستحيل أن تصدر عن غيره من البشر ، وعليك أخي القارى (وعلى قبلك) أن نكون نماذج تحتذى في نظافة النفس و الملبس والبيت والمجتمع و المدينة ما دمنا نحب رسول ﷺ و نحرص على اتباع سنته ، و لقد كانت هذه التوجيهات النبوية العظيمة سبباً في شهادة رجل من قوم عدو لنا ـ و الفضل ما شهدت به الأعداء ـ ذلك الرجل هو « برناردشو » حيث يقول في كتابه « حيرة الأطباء » :

« إن الاسلام هو الدين الوحيد بين الأديان السماوية الذي اهتم بالنظافة وجعلها جزءاً لا يتجزأ من العبادات و أنه بفضل تعاليم الاسلام حمى الله الشعوب التي اعتنقته من كثير من الأوبئة التي كانت تفتك بأوربا في العصور الوسطى قبل نهضتها » .

فهل يفهم ذلك مهاجمو السنة من تلاميذ أبي جهل ؟ ! .

---

(١) رواه مسلم و الترمذي . (٢) رواه مسلم و النسائي .
(٣) رواه مسلم . (٤) رواه مسلم .

دراسات وأبحاث

اللغة العربية بين طبيعتها وقضاياها

للدكتور : توفيق محمد شاهين

امتازت العربية بخصائص وميزات فضلتها على غيرها ، و خلدتها بالتالى خلود الزمن ، و نزل بها القرآن الكريم - معجزة الاسلام الكبرى - فطار صيتها ، وحفظت رسومها ، و استقرت معانيها ، وجمعت بين المثالية المعنوية ، و التى هى تسام للحسية الواقعية ، و شرفت بتدوين الحديث النبوى الشريف من أفصح العرب - ﷺ - و الذى لم يعرف اللحن ، فامتازت بالجلال و الكمال . أو أضافت جمال الفن إلى جلال العلم .

و وفت العربية بمطالب العرب المحدودة فى جاهليتهم ، وغطت متطلباتهم الآنية و أشواق الروح ، و مطالب المستقبل ، وغنيت بألفاظ جديدة من أصول ثرة فى الاسلام . . فاتسعت للمفاهيم الجديدة وأصبحت لغة الدين والثقافة فى مفهومها الواسع ، والحضارة والحكم فى آن واحد . وبما حملت فى طياتها من خصائص النمو والحياة و القوة نهضت بالعبء العظيم فى رشاقة و توازن واتساق و قدرة عز نظيرها بين اللغات فى المجموعات اللغوية ، وحسبها أنها وسعت كتاب الله لفظاً وغاية .

فالعربية إذا بدت حين باد العرب . . فلقد تحضرت حين حضروا ، و وفت بالمطالب المحدودة لقوم محدودى الثقافة ، ونهضت بعبء ثقافة ممتازة ، وحضارة رشيدة بعد ذلك .

وحين شهد القرن الرابع الهجرى قمة الحضارة الانسانية ، ونضجت فيه الثقافة الانسانية نضجاً كاملا . . تفجرت عبقرية اللغة العربية ،واحتوت الوسائل والمقاصد ، و أسعفت علماء العرب و المسلمين بدقة الأداء و التعبير فى عذوبة وسهولة ويسر ، فأطلقوا فى كل جانب نجماً ثاقباً ، ولمعت هذه النجوم فى سماء الحضارة ، تطرزها وتنير أجواءها فى تواكب وتناسق وتلالؤ منير بهى وهاج .

و من ميزاتها : سعة المدرج الصوتى ، فى توازن موسيقى و انسجام مع ثبات الأصوات على مر العصور وكر الدهور . وتواكب قوافيها كقطع موسيقية ، تسابق المعنى إلى القلب من طريق الحواس ، و عوامل تنميتها و تفرعها كامنة فى ذاتية اشتقاقها ، مما يجعل نموها مطرداً ، له نفس حيويتها و (ديناميكيتها) الفعالة المؤثرة .

و إذا أمكن تجريح شهادة الآل والمحبين . . فان التجريح يتأبى على المخلصين من الباحثين العلماء، وممن لا يمتون إلى العروبة بصلة ، سوى صلة العلم الخالص والمخلص .

فلنستمع فى حفاوة إلى ما يشدو به أبناء العربية فى حقها ، و إلى غير أبنائها فى عجالة ، على ذلك يثير شاكلة انتباه لأبناء العروبة و المسلمين ، فيحتفون بها فى انبهار مذعنين ، وعاقلين على ما يرفع من شأنها ، وإيفاء حقها كلغة التنزيل والحضارة .

ونعرض بالتالى ما تنفرد به اللغة العربية من ميزات فضلتها على غيرها أو أخواتها .

ونشير إلى بعض قضاياها الراهنة ، والتى نأمل أن نسهم بجهد متواضع فى إلقاء الضوء لبيان وجهها ، وطريقة حلها ، والرأى الأمثل فيها وعسى أن تتوالى الأبحاث فى هذا الجانب وتتواكب لخدمة العربية وتمكينها من أن تكون لغة دولة واسعة الانتشار .

يقول عتبة بن أبى سفيان :

إن للعرب كلاماً أرق من الهواء ، و أعذب من الماء ، مرق من أفواههم مروق السهام من قسيها .

بكلمات مؤتلفات ، إن فسرت بغيرها عطلت ، و إن بدلت بسواها من الكلام استصعبت ...

فسهولة ألفاظهم توهمك أنها لكنة إذا سمعت ، و صعوبتها تعلمك أنها مفقودة إذا طلبت » .

و العربية وعاء القرآن ، المتحدى بآيات منه ، فكان العجز البين من أساطين البلاغة ، وفحول البيان ، و شياطين الشعر و الكهانة .. لأنه : « تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون ، بشيراً و نذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ، و قالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه ، و فى آذاننا وقر ، و من بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون » (١) .

و كان لهذا الأسلوب المعجز سحره فى القلوب ، وأثره فى النفوس ، وتأثيره فى العقول .

فقد وقفت قريش ـ بطواغيتها و شياطينها ـ موقف المعارض من الرسالة و الرسول ، ورموهما بالسحر و الكهانة والشعر ... فنظرت قريش إلى أعلمهم بالسحر والكهانة والشعر ، فاختارت عتبة بن ربيعة ، وحين قرأ الرسول ـ ﷺ ـ أمامه أول سورة (فصلت) خاف عتبة بن ربيعة من تهديد السورة ، وقال لقومه عن القرآن الكريم : (سمعت قولا و الله ما سمعت مثله قط ، و الله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة ... . قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه) (٢) .

ويقول أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى ـ ٣٦٢ ـ ٤٤٣ ـ فى كتابه (الصيدنة) : على نقل العلوم إلى العربية ، وموقف اللغة العربية منها بعد نقلها : (و إلى لسان العرب نقلت العلوم من أقطار العالم فازدانت وحلت فى الأفئدة وسرت محاسن اللغة منها فى الشرايين و الأوردة ......

---

(١) سورة فصلت ٢-٥ . (٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٩١ .

ويذكر رأيه فى تفضيل العربية حيث يقول (... والهجو بالعربية أحب الى من المدح بالفارسية ، ويعرف مصداق قولى من تأمل كتاب علم قد نقل إلى الفارسية كيف ذهب رونقه ، وكسف باله ، وأسود وجهه ، وزال الانتفاع منه ، إذ لا تصلح هذه اللغة إلا للاخبار الكسروية ، و الأسمار الليلية) (١) .

ولا تلون فى مبالغة عباراته ، إذ كان فى وقته من يبغض العرب و العربية ، وهو صادق فى أن خللا ما يقع فى نقل المحتوى والمعنى إلى غير العربية وقصور غيرها عن الوفاء بالتعبير و البيان التام ، تشهد به الترجمات .

ويقول (رينان) كما يحكيه عنه العلامة محمد كرد على فى (الاسلام والحضارة العربية) : (... من أغرب ما وقع فى تاريخ البشر ، وصعب حل سر انتشاره : (اللغة العربية) فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادىء ذى بدء ، ثم ظهرت فجأة : لغة كاملة سلسة كل السلاسة ، غنية إلى أبعد حد ، ليست لها طفولة ولا شيخوخة ... ظهرت لأول أمرها مستحكمة ... وسحر رنينها الأسبان فاعتنقوها ، و تناولوها شعراً و نثراً تناول النابغين من أهلها ، و أبناء جلدتها الأصلاء ... بل كادت أن تصبح لغة دولية) .

وعن سعة العربية ودقتها ومرونتها يحدثنا أستاذنا المرحوم الشيخ محمد على النجار ، فيقول : هى (من أوسع اللغات و أغناها ، و أدقها تصويراً ، و أوسعها مذهباً : وسعت جميع الأغراض التى تناولها البشر ، و لم تضق ذرعاً بجميع العلوم الفنون ، و تقبلت بصدر رحب ثمرات قرائح الفحول ، ونتاج أفكار الفلاسفة و الحكماء من سائر الأمم .

و كان أن نزل بها القرآن الكريم : أبلغ كلام ، و أعلاه طبقة ، و أسماه بلاغة ، و أسمحه فصاحة ، و أفرعه بيانا ، و أفرعه افتنانا) .

---

(١) كتاب الصيدنة للبيرونى .

و يكفينا مؤونة الحديث عن المميزات و التفضيل للعربية بالنسبة لمثيلاتها فى أرومتها ماذكره المستشرق (ما سنيون) (١) من أن :

« تركيب الآرية بنائى فى قياس منطقى ، و من ثم مالت إلى التميزات النظرية .

و إن تركيب الطورانية : أشبه بوشى جمعته الصدفة ، و من ثم مالت إلى الايقاعات الموسيقية .

وإن تركيب السامية أشبه بالتركيب الجوارى ، مع تتابع فى سلك خطى كحبات العقد ، موزعة بين جمل أصلية ، وجمل تبعية ، و من ثم مالت إلى الحكم الأخلاقية .

ثم خلص (ماسنيون) إلى أن العربية تفضل زميلتيها الكبيرتين : العبرية و السريانية ، لأنها السابقة بالوصلة ، و الآخرة بالنبوة ، و الوصلة هى المحافظة على خصائص السامية الأصلية ، و النبوة هى الثقافة بالمعنى العام لثروة المعانى الكامنة فى كل أصل ثلاثى من أصولها ، و من قدرتها فى القبض على الامتدادات المعنوية المشتركة أسسها ، و أخيراً من صقلها للمعانى ، و الصعود بها فى مدارج التقدم » ...

ثم فند الاتهامات التى وجهت وتوجه إلى الأدب العربى و الثقافة العربية ، وامتدح العرب وعلومهم وفنونهم وثقافتهم و آدابهم ، وعدد ألوانا كثيرة من تآليفهم المبتكرة الأصيلة ، وفضلها على الحضارة قديماً وحديثاً ، وذلك بأمثلة كثيرة على كفاية العربية ، وكفاءة قوالبها و ألفاظها و موسيقاها ، وسفه القائلين بتفاهة الثقافة العربية وقصورها ، وفند شبههم بأدلة قوية ومنطقية .

وتحدث ـ ما سنيون ـ عن سعة المدرج الصوتى للعربية ، وتوزيع حروفها على هذا المدرج توزيعاً عادلا : من أقصى الحلق إلى ما بعد الشفتين ، وقد أدى ذلك إلى عذوبة موسيقية ، وتناغم وانسجام صوتى لها ، وثبوت هذه الأصوات على مدى العصور والتاريخ ، توفيرا للجهد ، ودلالة على الاتصال بين أجيال العربية ، وتعبيراً عن الثبات و الخلود » .

---

(١) صحيفة الأهرام القاهرة ٢٦/١/١٩٤٨م .

و ذلك يرجع إلى أن العرب شديدة الحفاظ على أنسابهم ، و كل ما لا داعى ولا موجب لتغييره كمكارم أخلاقهم ، ومألوف عاداتهم وبذلك حفظت العربية .

وثبتت لها ألفاظها ، و أصولها ، و حروفها ، و الروابط الاشتقاقية بين المعانى من حروف ثابتة ، تمكن من إنشاء سلسلة كبيرة مترابطة من المعانى .

ومكن من هذا الثبات والخلود نزول القرآن الكريم بها ، و اجتماع العرب و المسلمين عليه ، و مكن لهذا الثبات أيضاً أن لكل صوت فى العربية صفة و مخرجاً ، و إيحاء و دلالة ، وظلا و معنى وإشعاعاً ، وصدى وإيقاعاً يميزها عن عن غيرها من اللغات .

فليس الحرف مجرد صوت و إنما له قيمة تعبيرية سواء أكان صوتاً بسيطاً مكوناً من حرف واحد ، أو حرفين ، أو أكثر .

ويحكى ابن جنى (١) رحمه الله إلى أنهم تنبهوا إلى (أن فى تقديم الحروف ـ على بعضها ـ ما يضاهى أول الحدث ، و تأخير ما يضاهى آخره ، و توسط ما يضاهى أوسطه : سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود و الغرض المطلوب .

ومثل ابن جنى لذلك بمادة (بحث) :

« فالباء » لغلظها تشبه بصوتها خفقة كف الأسد على الأرض حين يبحث عن شئ .

و « الحاء » تشبه المخالب إذا غارت فى الأرض ، إذا أحس بشئ .

و « الثاء » تشبه النفث ، والنبش فى التراب ، بحثاً عن المطلوب و المدفون .

ويحتفظ الحرف فى العربية بقيمته التعبيرية فى ثنايا تقاليب المادة . وقد تعطى كل التقاليب المعنى المطلوب ، أو بعضاً منه ، وقد يكون بعضها مهملا ، وقد يرجع خفاء المعنى أحياناً إلى شئ لم يصلنا حين جمع المادة اللغوية من الصحراء، أو عدم استعماله ، وحاول أن يجرب ذلك فى تقاليب (علم) مثلا ، التى ترجع الى :

(١) الخصائص لابن جنى تحقيق الشيخ النجار ص ٤٩ و ما بعدها .

علم - لمع - معل - عمل - ملع - لعم .

ـ فى ذلك يقول ابن جنى :

« فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ، ج متلئب (مستقيم) عند عارفيه مأموم . وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات روف على سمت الأحداث المعبر بها عنها ، فيعدلونها بها ، و يحتذونها عليها ، لك أكثر مما نقدره ، و أضعاف ما نستشعره » .

والتطبيق العملى و القولى يجلى المقام ، لا شك فى ذلك :

فلنأخذ لفظ (رمضان) مثلا لهذا التطبيق ، ليتضح صدق ما قلناه : فالراء الميم والضاد ، تدل فى العربية على الحر و شدته كما تحكى القواميس العربية ، إذ تذكر : مض الشئ : اشتدحره ، بالتالى رمض الصائم : اشتد حر جوفه من شدة العطش ، الرمضاء : شدة الحر ، و على ذلك جاء المثل :

و المستغيث بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

و يقول ابن دريد (١) :

إن العرب عندما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التى هى نيها ، فوافق رمضان أيام رمض الحر وشدته ، فسمى به ، و بعد فترة تغير موعد حلول الشهر . فبقى الاسم من غير أن يدل على مسمى ، وبمثل ذلك قيل عن شهر شوال لما شالت الابل أذنابها طلباً للضراب فى هذا الوقت .

وتفاكه شاعر متظارف ، فذكر أنه يحب الصيام لشهر رمضان ما لم يكن فى أشهر الحر ، و بخاصة شهر (آب ، أو أغسطس) فقال :

شهر الصيام محبب ما لم يكن فى شهر آب
خفت العقاب فصمته فوقعت فى نفس العذاب

(١) الجمهرة لابن دريد .

و الأصل فى لفظ (رمضان) : الراء والميم و الضاد ، أما الألف و النون فهما فيه مزيدتان فى آخره ، كعثمان ، و عدنان ...

وجميع حروف (رمضان) مجهورة ، بمعنى تذبذب الوترين الصوتيين فى الحنجرة عند النطق بها ، أو هو ـ الصوت المجهور ـ الصوت الذى يهتز معه الوتران الصوتيان فى اقتراب يسمح للهواء بالتأثير فيهما بالاهتزاز ، و عند الأقدمين هو ما يمتنع معه النفس أن ينطلق إلى الخارج ، و الحروف المجهورة فى حروف العربية هى ما عدا حروف (سكت فحثه شخص) (١) .

وصوتياً تتكون كلمة (رمضان) من سبعة أصوات ، هى :

الراء ، والفتحة ، والميم ، والفتحة ، والضاد ، والألف ، والنون .

الراء فى (رمضان) لمسية ، لأنها متلوة بحركة ، وصوتها يسمع على صورة انحباس و انفجار متواليين ، أى فى صورة ضربة واحدة (٢) والراء اللمسية هنا ، بخلاف الراء المكررة ، التى ينتج صوتها حين يلتق طرف اللسان باللثة ، و يفارقها عدة مرات على التوالى ، فيسمع الصوت على صورة من الانحباسات و الانفجارات المتوالية ، فهى صوت لثوى مكرر .

و هذا بخلاف الراء فى الانجليزية ، كما فى (Red) بمعنى أحمر ، فهى راء التوائية ، لأن أسلة اللسان تلتوى لتلتق بمخرج الصوت خلف اللثة .

بينما الراء فى الألمانية لهوية فى نحو (Rund) بمعنى مستدير ، فمخرجها اللهاة بالمعنى العلمى المعروف .

والميم صوت شفوى ثنائى أنفى ، وتلتق الشفتان عند النطق بهـــذا

---

(١) التجويد و الأصوات للدكتور إبراهيم نجا ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٢) د ، عبد الله عبد الحميد رسالة الجهاد عدد /٢٤ ص ٩١ .

الصوت التقاء تاماً بحيث يمنع خروج الهواء من الفم، وتتدلى اللهاة إلى أسفل لتفتح مجرى الهواء الأنفي ، فيخرج الهواء منه .

و يصفــه علمـاء الأصوات بأنه صوت مجهور ، و متوسط ، و مستفل ، ومنفتح وزلق (١) .

والضاد هو النظير المفخم لصوت الدال ، و الفرق بينهما فى ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الحنك اللين عند النطق بالضاد، فهو صوت أسنانى لثوى انفجارى مفخم، وصفته : أنه صوت مجهور ، شديد ، مستفل ، مطبق ، مصمت و عند مراعاة هذا الوصف نجد أن الضاد المنطوق بها فى مصر فى هذا العصر أقل شدة من الضاد التى وصفها الأقدمون ، و التى يجب أن تخرج من جانب اللسان أو من كلا الجانبين ، كما أشار إلى ذلك سيبويه رحمه الله و وصفها الرواة بأنها أوسع الحروف مخرجاً ، ولعسر نطقها على غير العرب الفصحاء ذكرها العلماء كعلامة مميزة للغة العربية، فقالوا : لغة (الضاد) (٢) .

و الألف ، هى الفتحة الطويلة ، التى يقدرها علماء التجويد بحركتين فى المد الطبيعى ، بخلاف الفتحة التى يقدر طولها بحركة واحدة .

و الألف تطورت من الهمزة بالتحفيف فصارت ألفا إبدالا ، و هى صوت مجهور ، وعند آخرين وسط بين الجهر والهمس، شديد ، مستفل، منفتح ، مصمت .

و النون ، أسنـانية لثوية أنفية ، و هو صوت مجهور ، متوسط بين الشدة و الرخاوة ، مستفل منفتح ، زلق .

و عند النطق به يلتقى طرف اللسان باللثة خلف الأسنان العليا ، و يكون مم

---

(١) التجويد و الأصوات للدكتور إبراهيم نجا ص ٤٨ .

(٢) السابق ص ٥٤ .

الهواء الفموى مسدوداً ، و تتدلى اللهاة فيخرج الهواء الفموى من التجويف الأنفى.

و يلاحظ : أن جميع الحروف فى رمضان تمثل وحدة صوتية أساسية بالنسبة لكل حرف بين حروف اللغة العربية ، و تعبر عن معنى خاص بها ، لا يشاركها فيه غيرها ، و إن اتفق اللفظ فى الحركات و النطق ، كما فى : [رد ، و مد] ، و [علم ، و علف] ، [ضرب ، و درب] و [نفير ، و سفير] .

من هذا المثل الذى ضربناه ، و ذكرنا فيه شيئاً مما قاله علماء أصول اللغة و الأصوات ، ندرك أن اللغة العربية دقيقة فى مبناها ، منطقية فى تركيبها البسيط و المركب ، لطيفة فى معناها ، مصونة فى جوهرها و مخبرها ، خالدة فى أصواتها و ثابتة على مر العصور و تواكب الأعوام و الدهور ، عنى بها أهلوها عناية فائقة، فرن عودها واستقام أمرها ، واتسعت ميادينها، ولله در شاعر النيل حين يقول عنها:

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية | وما ضقت عن آى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة | و تنسيق آيات لمخترعات

فضلا عن ضبط النطق ، و ترتيب القواعد ، و استقصاء الأصول و الشواهد ، وأصبح العلم بالعربية علماً بالدين و تفنن أهلوها فى القول بها فى شعر معبر ، أو نثر معجب ، ففاقت و بذت ، و سمعنا عن تفسير القرآن الكريم بدون نقط لكلمة من كلمات هذا التفسير .

و جاء شعراؤنا ليقرضوا بها ، ليقرضوا بها من روائع الشعر ما يقرأ من جهتيه أو مقلوباً ، على حد قول الشاعر :

مودته تدوم لكل هول | و هل كل مودته تدوم

و ينظم بها غيره شعراً خالياً من النقط ، حيث يقول:

الحمــد لله الصمـــد | حال السرور و الكمد

الله لا إله إلا الله مولانا الأحـد

كل سواه هـالك لا عـدد ولا عـدد

و أنطقوا بأغمهم بلسان الحال شعراً فيه تفنن، حين طلب أحد خلفاء العباسيين من أحد الشعراء ترجمة هديل الحمام، فقال على الفور، هي تقول :

هل قد علم

أو قد عهد

أو كان

كالمعتصم

و المعتضد

ملكان ؟ .

و قد سقنا ذلك ترفيهاً للقارىء الكريم وطرفا من مرونة العربية وسعتها .

و للعربية مشاكل و قضايا، طال فيها الأخذ و الرد، و الجذب و الشد و ابتر فيها القول، أو ألقى على عواهنه، و تقول عليها المفترون، وتطاول عليها الضالون، و غمطها المضلون :

فما الرأى فى المعرب والتعريب؟ و كيف نسهل العربية علماً و تعليماً وتعلماً وهل نبقى على حروفها أو نستبدلها بغيرها ؟ ولماذا لا نسمح للعامة بأن تطل برأسها و تواكبها ؟ و متى ننهنه من ضراوة التمزق اللهجى، أو نقضى عليه ؟ و إذا بدا فى بعضها ظواهر صحة و جوازات مرور فكيف نتسامى بهـا ؟ و أنى تعرف هوية المعرب، و يلحق نسبه بخلص أهله ؟ و إلى أى حد ثبتت أصواتها، واتسع مدرجها الصوتى . . . ؟ .

قضايا كبيرة، ومشاكل مرهونة، لن تستعصى على الحل إذا ما صحت الجهود

و فويت العزائم ، و ذاليق المؤن ، . . و ما ذلك على الله بكثير ، و لا على لغة القرآن بضنين ، و يسألونك : متى هو ؟ قل عسى أن يكون قريباً .

و سنحاول فى جهد متواضع ، إضاءة شمعات على الطريق لتبين الخطو ، و السير الجيد .

و نحن مع الاصلاح حيث كان ، و لكن على أسس رشيدة ، و خطوات مدروسة ، و حفاظ على الموروث ، و بصر بوسائل الاصلاح و بصيرة .

يقول أستاذنا المرحوم الشيخ رفعت فتح الله ، فى محاضرة له : (. . و إذا كنا نرجو جيلا صاعداً ، بوعى صاعد ، فلا يتم هذا الصعود إلا بلغة صاعدة

و ثورتنا لأجل لغتنا العربية نريد أن نتقدم بها لتتقدم بنا : .

نريد ثورة بناءة بيضاء : تصون و لا تبدد ، و تحمى و لا تهدد .

و لا ننسى أن ننبه فى هذه الثورة على أمرين :

(ا) إجلال علمائنا القدامى ، الذين ألفوا فى علوم اللغة و قواعدها، فبذلوا أقصى ما يستطيعون من جهد ، و فتحوا كثيراً من أبواب البحث و النقد فجزاهم الله أحسن الجزاء .

(ب) و ألا ننكر الثقافة الأجنبية ، كما لم ينكرها أجدادنا ، ففيها الطيب و غير الطيب ، وفى استطاعة العرب أن يأخذوا طيباتها فيعربوها فى ثقافتهم العربية .

و لكننا ننكر الاستعمار « اللغوى » الذى يريد أن يفرض نفسه على ألسنتنا و أقلامنا (١) .

إن لغتنا مرنة مطواع ، و لها من وسائل تنميتها الذاتية ما تقوى به على

(١) من محاضره له فى قاعة الشيخ محمد عبده بالأزهر ، حين كنت مديراً لها سنة ١٩٦٠ بعنوان ، تنمية الثروة اللغوية .

لبقاء و الحياة ، وتلبية مطالب الحياة المتجددة ، فلو أخذناها برفق ، وعرفنا التعامل معها بعيداً عن الغلو فى شدة و جفاف معايير الأقــدمين ، و استهانة بعض آراء المعاصرين ، و تعاملنا مع نصوصها بجهد مبذول لخدمتها بإخلاص ، و عناية متجددة وجدناها ـ كطبيعتها ـ لغة لا تضارعها لغة أخرى فى ثروتها ، و وفرة مراجعها ، و ضبط نطقها ، و ترتيب قواعدها .

ولعل كواكب الأبحاث الحديثة اللغوية يكون عامل صلاح وإصلاح للغة العربية العتيدة ، و التى هى مدعاة فخر و فخار للعرب و العروبة .

و بذلك أيضاً تتحرر اللغة من الجمود والفوضى والانحراف ، فتفيد من جهود الأولين ضرورة ، المحـافظة على اصالة العربية ، و من الآخرين ضرورة الاستجابة لمطالب الحياة ، والمرونة فى معالجة المشكلة اللغوية ، و إعادة الحياة إلى كيان العربية تبعاً لسنن تنميتها و نظمها على أسس علمية منهجية مدروسة ، و بذلك تستطيع التعبير ـ فى العصر الحاضر ـ عن الأغراض المتجددة ، و المعانى التى لا تنتهى ، و بذلك أيضاً نصل الحاضر بالماضى المجيد .

و أخيراً يقول « يوهان فك » فى كتابه (العربية) معجباً بثبات التراث العربى ، و متنبأ للعربية ومبشراً بمستقبلها ، كمقوم رئيسى للامة العربية ، فى وجودها و استمرارها و قوتها : .

لقد برهن جبروت التراث العربى الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها زحزحة الفصحى عن مقامها المسيطر . . و إذا صدقت البوادر ، و لم تخطئ الدلائل فستحتفظ أيضاً بهذا المجد العتيد من حيث هى لغة المدنية الاسلامية ما بقيت هنـاك مدنية إسلامية » اهـ (١) .

و إلى مقال تال فى هـذه الحلقة ، و الله يقول الحق و هو يهدى السبيل .

---

(١) العربية ليوهان فك ، تعريب الدكتور عبد الحليم النجار .

« تصور الأدب الاسلامى لندوة العلماء »

الأستاذ شمس تبريز خان
تعريب : الأخ سرفراز أحمد الندوى

لقد رسم الأديب الاسلامى فى الزمن الماضى بريشة قلمه انقلاباً صالحاً ، فان عرف اليوم نفسه وشخصيته و مكانته ، و استعمل الايمان و الاخلاص ، يستطيع أن يغير مجرى التاريخ ، وسوف يتمكن من أن يهيئ نهضة ثانية ويساهم فى بناء وتشكيل عالم جديد ، عن طريق ثورة فكرية صالحة ، واتجاهات أدبية وثقافية صحيحتين ، ونزعات إنسانية نزيهة ، على رغم الفوضى الفكرية ، والإنحطاط الفنى والتدهور العلمى الذى عم و انتشر فى المجتمعات باسم الأدب ، و الثقافة .

إن القرآن الكريم أكبر و أعظم آية أدبية و ثقافية فى العالم كله ، وتقسيمه للشعراء و الأدباء إلى قسمين لقول فصل وحكم نهائى ، هاهو ذا يقول القرآن : « و الشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، و أنهم يقولون مالا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً ، وانتصروا من بعد ما ظلموا (الشعراء) »

تتجلى من هذه الآية الكريمة وتتبلور النظرات الأساسية و المبادىء الجذرية لأدب صالح بناء ، ونستوحى من هذه الآية أموراً .

(١) ينبغى للشاعر أن يكون إنساناً خيراً ذا سلوك حسن ، و لا يتناقض قوله عمله فلا يكون من « الذين يقولون ما لا يفعلون » (١) فيتبعه ويقتفى أثره الضالون الفاسقون .

(٢) يستثنى القرآن الكريم من هذا الحكم الشعراء و الفنانين ذوى ضمائر يقظة ،

---

(١) و فى رواية : الشعر كلام بمنزلة الكلام لحسنه حسن الكلام وقبيحه قبيح الكلام .

الذين يتحلون بالإيمان والعمل الصالح ، و يذكرون الله قولا وعملا وسلوكا ، ويدعون إلى عبادة الله ، و يظاهرون ضد الظلم والاستبداد والقهر ، ويرفعون أصواتهم ضد الطغيان و العدوان .

(٣) إن الأديب الاسلامى - كما يراه القرآن الحكيم - ليس بفنان فحسب ، بل ينبغى أن يكون ذا يقين و ذا ضمير حى ، و إنساناً نموذجياً مثالياً يتأسى به الناس فلا هو من عبيد الخيال والوهم ومحبى الخلوات والزوايا مثل الشعراء ، بل هو مؤمن قوى الحس ، مرهف الشعور ، كثير العمل الجاد فى المجتمع ، ولا يكون منعزلا عن الأوضاع و الظروف بل يلعب دوراً ايجابياً للتأثير على الأحوال و تغيير الظروف و المجريات و الملابسات ، و يحدث جو الحق ، و الايمان و الصدق ، و يستأصل الظلم والقهر ، و يكنس الاستغلال و الانتهازية من المجتمع .

هذا ما ورد عن الشعر و الأدب و أصحابهما و أبنائهما فى القرآن ، و لندع القرآن وننظر إلى السنة و ما ورد فيها ، يقول الرسول الأمين ﷺ فى الشعر : « إنما الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح » علمنا من قول الرسول ﷺ أن المعيار الأصيل الحق للشعر و الأدب هو صدقه ، و معنويته ، و أصالته و إفادته ، و أن الحق ، و العدل و الخير ، و الصلاح ، و الاخلاص ، و الانسانية ، هو الحسن الحقيقى و الجمال الأصيل الذى يهدفه الأدب الاسلامى و ينشده .

كان الخليفة الراشد الثانى عمر رضى الله عنه ناقداً كبيراً وبصيراً فى الشعر كأبى بكر رضى الله عنه ، ذات مرة أرسل عمر رضى الله عنه كتاباً إلى واليه أبى موسى رضى الله عنه يأمره : « مر من قبلك بتعلم الشعر ، فانه يدل على معالى الأخلاق و صواب الرأى ومعرفة الأنساب » .

يروى عن عمر رضى الله عنه أنه كان يفضل زهيراً على الشعراء و يقول له « أشعر الشعراء » (١) فلنستمع إليه كيف يبين سببه : « كان لا يعاضل بين الكلام و لا يتبع حوشيه ولا يمدح الرجل إلا بما فيه » (٢) .

لقد قدم من الصحابة كل من سيدنا حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ و عبد الله بن رواحة وكعب بن زهير رضى الله عنهم نموذجاً مثالياً عالياً للادب الاسلامى بعد كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وظهرت لنا نماذج الأدب الاسلامى قليلا أو كثيراً من حين لآخر فى القرون المتأخرة ، و إذا تركنا الحلقات الوسطية تقع عيوننا على الشيخ أحمد السرهندى مجدد الألف الثانى رحمه الله ، ومآثره الثقافية العظيمة التى تعرفها الدنيا كلها باسم الأسفار الثلاثة من رسائله ، التى تبدأ بها النهضة الاسلامية فى الهند ، و التى لها آثارها البعيدة المدى فى حياتنا إلى يومنا هذا ، وكانت نتيجة أفكار مجدد الألف الثانى الثورية أن نشأت حركة إصلاحية فى أسرة الامام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى ، و قد أحدثت هذه الحركة انقلاباً فى أفكار و أعمال مسلمى قارة آسيا كلها تقريباً ، وهى التى يعجب بها عالمنا الجديد إلى الآن ، و لا تزال ذات تأثير قوى وعميق .

ثم قامت حركة السيد الامام أحمد الشهيد الاصلاحية نتيجة لتأثير تعاليم هذه الأسرة الاصلاحية ، التى صبغت آداب مسلمى الهند و ثقافاتهم بصبغة جديدة ، و منحتهم ترنيمة جديدة ونغمة حلوة ، و التى أنشأت مكتبة أدبية مستقلة مشتملة على الكتب الاصلاحية بالأردية و التى تشكلت و تجسمت فى شكل دار العلوم ديوبند ، و دار العلوم ندوة العلماء ، و قد امتدت آثارها حتى بلغت إلى « جامعة على كراه » عن طريق السير السيد أحمد رحمة الله عليه .

(١) العمدة ١/١٠ . (٢) أيضاً ١/٢٦٢ .

واقرأوا ما أعرب عنه الشيخ محمد أكرم عن السير السيد أحمد : « لقد تأثر تأثيراً كبيراً بحركة السيد أحمد البريلوى ، الوهابية الاصلاحية ، و كان قد صرح جهاراً بأنه مسلم وهابى فى وقت كان الوهابيون فيه يحسبهم الناس متمردين ثائرين .

ويكتب الشاعر الشهير محمد حالى رحمه الله : إن السيد إسماعيل الشهيد قد أصلح أفكاره و آراءه ، وحرره من قيود و أغلال التقليد تحريراً نهائياً » (١) .

لقد تأثر محمد حالى نفسه باصلاحات حركة الامام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى تأثراً كبيراً ، فحاول ترويج القيم الاسلامية وسعى فى بث المثل الدينية فى النقد والأدب الأردوى ، وبصفة خاصة عين أصولا خلقية ، وقرر مبادىء خلقية للغزل الأردوى ، ولم يكتف بذلك بل قدم نماذجها الفنية فى صورة ديوانه و فى شكل « المسدس » وكتب فى أصول الشعر مقدمة باقية خالدة لا تفنى ، وهى تظل إلى الآن « منارة عسى راهب متبتل » أو « كأنه علم فى رأسه نار » إلا أن تلقينه باتباع الغرب جعل أفكاره و آراءه الاصلاحية مشكوكة غير مقبولة .

كان من مشروعات مؤسس ندوة العلماء مولانا محمد على المونجيرى المتوفى ١٣٤٦هـ و كذلك فى مخيلة من معه تمثيل موثر بليغ ، و ترويج للادب العربى و نشره مع إصلاح وتنقيح و تعديل فى المناهج الدراسية وفق الأوضاع والظروف المتغيرة المتطورة ، فقد اختار المسئولون عن هذه الدار لانجاز هذا المشروع المنشود من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، كتب الفصحاء من العرب التى كانت أقرب من تصورات الاسلام الأدبية ، وكان مقياس النقد عندهم البلاغة القرآنية لا غيرها ، فكان فى أسلوبهم فصاحة وسلاسة ، وصدق و واقعية ، و سلامة ولطافة ، وسذاجة و عدم تكلف ، وبساطة وجراءة ، وقوة و تأثير .

(١) موج الكوثر ص ٤٧ .

لقد رزقت ندوة العلماء منذ تأسست خدمات المؤلفين الكبار المعروفين ، و أصحاب القلم النابهين النوابغ الذين تسببوا فی هذه الدار للضغط علی صلة الأدب بالدين ، فان علماءها العاملين تربوا تربية عقلية ونشأوا نشأة ذهنية و فكرية فی ظلال حركتی الامامين ولی الله الدهلوی والسيد أحمد الشهيد ، وقد منح عديد من الأدباء فی الأردية و العربية المعروفين و أصحاب القلم النابغين المتصلين بهذه المدرسة الفكرية المتطفلين علی مائدتها ، ذوق أدبی رفيع ، واتجاه سليم فی الأدب ، فغيروا أذواق الشعر واتجاهات الفن و الأدب بقيم و مثل دينية صالحة صحيحة ، و هيأوا وجمعوا كنوزاً وفيرة وخزينة عظيمة حول موضوع « الأدب الاسلامی » وهی مجسمة موجودة فی شكل كتب وأبحاث قيمة عظيمة مطبوعة صادرة من المجمع العلمی « دار المصنفين » بأعظم جراه « و المجمع العلمی الاسلامی » فی ندوة العلماء لكهنؤ .

العلامة شبلی النعمانی :

إن منبع التصور الأدبی للعلامة شبلی النعمانی أحد كبار أصحاب القلم وبناة حركة ندوة العلماء هو الاسلام ، لذا أصبحت جل نتائج فكره نماذج رائعة رائقة للادب الاسلامی ، إن شعوره الاسلامی و وعيه الدينی الناضج ، يتميز بالشمول والقوة إزاء أدبائه المعاصرين ، فقد قوی حماسه و عاطفته الأدبية وطبيعته الشعرية بامتزاجها بالأفكار الاسلامية ، ومن أجل ذلك أصبح فی أدبه تأثير وقوة وسحر .

إنه يعترف بأدباء العربية و الفارسية الذين جل أو معظم نظراتهم النقدية مبنية علی الصدق و الصحة ، قريبة من أصول الفصاحة و البلاغة القرآنية ويشيد بهم .

حاول العلامة النعمانی أن يقرر هكذا تفرد المسلمين بالأدب الموضوعی ، وقد ضغط علی أصول و مبادی النقد الشرقية إلا أنه لم يعر المتطلبات الاصلاحية و المقتضيات الدينية اعتناءاً كثيراً و اهتماماً زائداً فی فن الشعر ، و من هنا أصبح

متعصباً لفيض وفردوسى ـ الشاعرين الفارسيين الكبيرين ـ فى كتابه القيم الذى ألفه حول النقد والشعر «شعر العجم» وأحياناً يتخذ وجهة نظر الجمال . غير أن وجهات نظره الأدبية من حيث المجموع مصطبغة بالصبغة الاسلامية ، و هو يرى أنه لا بد من صلة الأدب بالأخلاق ، و قد أسفرت هـذه الصلة عن ذخيرة وافرة واسعة من شعر التصوف فى الأردوية و الفارسية .

إنه انتقد نظرة ارسطو الشعرية كما نقد المنطق والفلسفة اليونانية يقول وهو يؤيد « حكمة ايمانيـة » : « فقـد ثبتت من ذلك أمور تالية ١ـ ليست المحاكاة وحدهـا حسن الكلام ٢ـ و لا الغاية الأصلية من الكلام إمتاع السامعين ، بل تمثيل العقل و سفـــارته ٣ـ و ما نلتـذ من الكلام فهو ليس نوعاً من المحاكاة ، ٤ـ وأن المحاكاة من طبائع الانسان ، بل النطق قوة ، ويجد الانسان لذة باستعمال القوة .

ليست الميزة الانسانية الأصلية المحاكاة والتقليد بل النطق ، وحسن الكلام مبنى على صدقه ، علمنا من هذه المقدمات أن الذى نسميه بلاغة هى العقل وساعده ، و عنصر الانسانيـــة ، و ترجـــان الصدق وتاج العز و الفخر ، و هو شىء يجعل الرسول من «أولى العزم من الرسل» ويثير قوة التأثير فى إعجاز القرآن الذى يتضاءل أمامه إعجاز موسى عليه السلام ، و لم تتجاوز معجزة عصا موسى اليهود أو الأقباط إلى غيرهم ولكن إعجاز القرآن رفع الناس من الثرى إلى الثريا ومن الحضيض إلى السماء فلو كانت حقيقة البلاغة ما وصفه ارسطو فكيف ـ و العيـــاذ الله ـ يمكن معجزة الرسول (١) .

و قد أبدى العلامة شبلى أفكاره الاصلاحية البنائية فى فصل « شعر العرب و الموازنة بين الشعر العربى و الفارسى » ويبدأ كتابه المعروف بـ « شعر العجم » معترفاً و معرفاً ومنوها بانتصارات الاسلام وفضله الشامل على العالم كله فيقول :

(١) مقالات شبلى ٢ / ٣

« كان الاسلام سحابة رحمة و كرم ، نزلت على كل بقعة من بقاع الأرض فاستفادت كل أرض حسب صلاحيتها و استفاضت منها . كانت أرض إيران تمتاز بفنون لطيفة ، و الشاعرية خيرها بصفة خاصة ، فصقل الاسلام هذا الجوهر أكثر مما كان ، و أوصله إلى حد نهائى حتى لو وضع شعر إيران فى كفة لرجحت كفة إيران (١) .

الشيخ الشيروانى :

إن الأمير صدريار جنك مولانا حبيب الرحمن خان الشيروانى فى طليعة المحسنين الأولين إلى ندوة العلماء ، إنه كان أديباً ذا أسلوب و منهج بالأردوية و الفارسية و له بصيرة نفاذة لا يستهان بها فى النقد ، و شاهد عدل وخير نموذج لذلك كتابه « مقالات شيروانى » كان ذوقه الأدبى سليماً لطيفاً طبيعياً للغاية ، تتبلور فيه نزاهة الثقافة الاسلامية ونضارتها ولطافتها ، متوخياً الايجاز ، وإليكم مقتطفاً وجيزاً يتحدث عن الفن الاسلامى ، إن مفهوم « الفن الاسلامى » يتطلب تفصيلا ، فأكبر فن إسلامى هو حياة جميلة وجدت فى العالم الانسانى من مظهر الجمال الكامل لخالقها الجليل ، إن الاسلام هو الذى أقام المخلوق أمام الخالق بدون وسيطة ، وملأ حياته حسناً و جمالا وبهاءاً و زينة ، و حياة الرسول ﷺ المفدى لزاخرة جمالا و حسناً و زينة ، ثم أحلى نموذج و أشرف مثال للفن الاسلامى هو القرآن و العلوم الاسلامية الخالصة البحتة ، ثم التاريخ الاسلامى العامر بأمثلة رائعة لتأثيره فى القلوب ، و الزاخر بنماذج لائقة لحكومته على أفئدة الناس و صدورهم (٢) .

العلامة الشريف السيد عبد الحى الحسنى :

كان ينتمى إلى أسرة السيد أحمد الشهيد رحمه الله ، و كأن الاسلام كان فى طبيعته وخلقته ، وكان فى أسرته مولانا السيد محمد ظاهر رحمه الله و والده الجليل نفسه الشيخ

(١) شعر العجم ١ / ٢٠١ .

(٢) مقالات الشيروانى ص ٥٠ .

السيد محمد ظاهر رحمه الله و والده الجليل نفسه الشيخ فخر الدين خيالى شاعراً و أديباً إسلامى الفكر إسلامى النزعة ، إن تأليفه و جمعه لتاريخ الثقافة الاسلامية الموثوق به بغاية من التوازن و الجامعية فى كتابيه « الثقافة الاسلامية فى الهند » و « نزهة الخواطر » أكبر مأثرة علمية .

إنه ذكر فى تذكرته الأدبية « گل رعنا » (الزهر الرائع) وهى خير اختيار فى الأردية بعد « آب حيات » لمحمد حسين آزاد ، بل تفوقه من بعض الاعتبارات — انماذجه الرائقة الرائعة و لصلابة الرأى ، وسلامة الذوق ، والطبيعة الاسلامية — أنه جعل تعاليم الاسلام الخلقية نصب عينيه فى نقد الشعر الأردوى ، فقد استحق بهذا كله مكانة مرموقة ممتازة ، إنه يحاسب شاعرية لكهنؤ ويقول : « من سوء الحظ أن عاطفة الشعر الطبيعية التى قد توطدت و تمتنت علاقتها و صلتها بالحضارة و المدنية بحيث إذا لم يكن الشاعر ، ثاقب الفكر ، دقيق النظر فى أمة ، لم تكن تعتبر متمدنة ولا متحضرة ، لم يطهرها شعراؤنا المعاصرون من المواضيع السافلة والمعانى الخسيسة ، فقد جعلوا العشق يرادف الفسق و الفجور و الخلاعة و المجون ، وكأن أوضاعنا الخلقية قد تسفلت إلى الحضيض وبلغت إلى آخر حد من الانحطاط والتدهور ، فلم تعد قدرة التمييز بين الخير و الشر ، وفسد ذوق هؤلاء القوم وطبعه » (١) .

الشيخ عبد السلام الندوى : كان الشيخ عبد السلام يقلد و يتبع العلامة شبلى فى الاتجاهات النقدية و كان ناقداً بصيراً فى الآداب الأردية و كان له بصفة خاصة إطلاع واسع و نظر عميق فى تاريخ الغزل الأردى ، و كتابه « شعر الهند » كأنه نسخة مزيدة منقحة لكتاب « شعر العجم » للعلامة شبلى النعمانى ، و هو أيضاً يرى الالتزام بمراعاة الحدود و القيود الخلقية ، و المثل العليا ، فى الشعر و الأدب ، لكنه يزعم أن غزل القدامى من الشعراء العرب محصورة فى المفهومات الأولية ، و ذلك ما لا يليق بناقد بصير كمثله ، إنه أحاط بمحاسن الشاعر الاسلامى محمد إقبال الفنية فى كتابه « إقبال كامل » إحاطة ذات أهمية كبيرة ، ونلاحظ من هذا

(١) گل رعنا ص ٧١ .

الكتاب أن كلام الدكتور محمد إقبال حثه على التعبير عن وجهة نظره ، وبعد ذكر نظرات ابن رشيق وابن قدامة الشعرية يعرض الأصول التى نستنتجها من التصريحات الآتية :

١- ينبغى للشعر أن يكون مجموعة لمظاهر القوة المنفعلة و هى الحنين و الأنين ، و الفرح و الترح ، و الغرام و الهيام ، والشجون والشجن والجوى و الحزن و الحلم و الألم .

٢- ينبغى أن يعبر بالغزل عامة عن المشاعر و العواطف و الأحاسيس التى تكون بوجه عام خطراً على القلب ، و التى تعرض لجميع العشاق والهائمين ، والمحبين .

٣- إن وصف الجوارح و الأعضاء من وجهة نظر عشقية لحسب خارج عن كنه الغزل وحقيقته ، و من أجل ذلك فان الشعراء الذين يأتون بمثل هذه المواضيع فى غزلهم لا يعترف بهم كشاعر غزل جيد .

٤- ينبغى أن تكون ألفاظ الغزل عذبة حلوة ، رقيقة لطيفة ، رائعة رائقة ، واضحة جلية (١) .

ويقول فى موضع آخر : « لقد لاحظتم من أبيات الغزل التى أنشدناها لكم حسب أصول الفن ، أن الخلاعة و الدعارة و الفحش و المجون ، و الوقاحة و الميوعة ، و هتك الأعراض ، و إدمان الخمر ، و سوء الخلق و أمثالها من المواضيع السافلة و البعيدة عن موضوع الغزل . كما أن المعانى المعقدة الخشنة البالغة إلى ذروتها كالفلسفة ، و التصوف ، و مسائل الأخلاق ، و الأفكار السياسية أيضاً خارجة عن أطر العشق و الحب ، و إنما هى أحاديث بسيطة ساذجة متواضعة غير معقدة و لا خشنة و لا فاترة يعبر عنها بالغزل بأسلوب لطيف ، ناعم ، عذب ، جاذب ، و بأسلوب العاجز المقهور ، و من هنا أصبح إطار الشاعر المتغازل ضيقاً محدوداً (٢) .

« يتبع »

---

(١) شعر الهند ٢ / ٢٩٨ . (٢) مقالات عبد السلام ص ١٧٢ .

حسان بن ثابت الأنصاري

و شعره الجاهلي

(٥)

سعيد الأعظمي الندوي

هذا قصيده من قافية الفاء قالها حسان رضي الله عنه أيام خروج عمرو بن النعمان أخي بني بياضة الخزرجي على يهود المدينة الذين كانوا قد تحالفوا مع الأوس ضد الخزرج على قتالهم، و كان ذلك يوم بعاث، و من خبره ما رواه ابن الكلبي فقال :

« خرج عمرو بن النعمان أخو بني بياضة من الخزرج في نفر من الخزرج يطوفون في المدينة فمروا على منازل بني قريظة و النضير فأعجبهم منازلهم ، فلما رجع إلى قومه قال : يا قوم أرضيتم بمكانكم هذا ، إنكم في الحجارة و السباخ ، وقريظة والنضير في منابت النخل والتلاع ، فنهاه ناس من قومه وقالوا مهلايا عمرو ، لا تبغ على القوم فان هذا لا يصلح لخلف ليسكنن منازلهم بقومه ، و أرسل إلى اليهود أن اخرجوا من دياركم و إلا قتلنا رهنكم الذين عندنا، وكانوا أخذوا منهم أربعين غلاماً من أولاد اليهود لئلا يعينوا الأوس على الخزرج .

فلما أتاهم رسول عمرو بذلك أرادوا الخروج من مساكنهم ، فقال رجل منهم يقال له كعب بن أسد ، لا تخرجوا من دياركم وقاتلوا القوم ، فانكم إن بقيتم فانما هي ليلة واحدة يأتي كل رجل منكم امرأته فتأتيه بغلام مثل أحد هؤلاء الرهن ، فأبوا أن يخرجوا ، وأرسلوا إناغير خارجين، فانظروا الذي عاهدتمونا عليه فقوموا به ، وكتبوا إلى من كان هرب من الأوس إلى مكة و الطائف بسبب حرب كانت بين الخزرج وبينهم كان الفضل فيها للخزرج في القدوم .

فلما بلغ ذلك الخزرج عمدوا إلى الرهائن فقتلوهم ، فلما بلغ الأوس كتب اليهود، ورجعوا إلى المدينة واجتمعوا ، و من كان هناك من الأوس واليهود ، فتحالفوا على قتال الخزرج ، وسمعت الخزرج بذلك، فأتوا عبد الله بن أبي بن سلول ، وكان صاحب رايتهم و أمر بقتالهم و كانوا يتيمنون به ويطيعون ، فقالوا : يا عبد الله ، إن الأوس كان من أمرهم الذى قد علمت ، و إنا لا نقطع غيظنا إلا أن نقتلهم حتى لا يبقى منهم أحد نقدر عليه ، فقال عبد الله بن أبي بن سلول مرحباً بكم وأهلا ، إنا معكم فيما أحببتم وطوع أيديكم، ولكن هذا بغى، فهلا ، والله ما أحب ذلك ، هم قومكم وأصلكم و لكن إن أحببتم أن نخرج فنقاتلهم كما كنا نقاتلهم فاذا ولوا كففنا عنهم ، فعلنا وخرجنا إليهم .

فقال له من الخزرج فيهم عمرو بن النعمان انتفخ سحرك يا أبا الحباب، لا و الله، ولكن نقاتلهم أو نظهر عليهم ولا نترك أحداً قدرنا عليه إلا قاتلناه ، فقال عبد الله و من تابعه من الخزرج هذا بغى منكم عليهم ، والله لا تابعكم على هذا أبداً ، فلما أبى عليهم عبد الله بن أبي قالوا لعمرو بن النعمان : خذ لواءنا أنت، وقعد أبي ومعه من أطاعه من الخزرج و بنى الحارث بن الخزرج ، وخرج من بقى من الخزرج مع عمرو ابن النعمان ، و خرجت الأوس و اليهود معهم قد حالفوهم على الخزرج ، ولواء الأوس مع حضير بن سماك أحد بنى عبد الأشهل فالتقوا بيعاث، وبعاث من أموال بنى قريظة والنضير فاقتتلوا قتالا شديداً فهزمت الأوس فولوا مصعدين فى الحرة نحو نجد ، فصاح بهم رجل من الخزرج يعيرهم فقال : يا معشر الأوس ، أين الفرار إلا أن نجداً سنة أين تذهبون ! ورأس الأوس يومئذ حضير بن سماك فلما سمع حضير صوت الخزرجى وتعييره إياهم استحيا، فقعد وطعن بثعلب رمحه فى رجله ، وصاح : واعقراه ، فعطفت عليه الأوس وتراجعوا ، ولم يبق مع عمرو بن النعمان إلا اليسير ،

و قد كان ذهب أكثرهم إلى دور بنى قريظة و النضير ينتهبون ما فيها حين هزمت الأوس، فوضعت الأوس عند كرتهم السلاح من الخزرج حيث شاؤا و أقبل سهم عابر لا يدرى من رمى به، فأصاب عمرو بن النعمان، فكأنه مات بالأمس، وتفرق القوم عند ذلك وهزموا ، فظهرت الأوس و قتلوا فيهم قتلى كثيرة ، و كانت الدائرة لهم على الخزرج ، وزعموا أن صائحاً من الأوس يومئذ يقول : يا معشر الأوس، ابقوا فى إخوانكم ، لجوارهم خير من جوار الثعلب، ارتهنت قريظة والنضير الخزرج، وكفت الأوس عن النهب .

فقال فى ذلك قيس بن الخطيم :

رد الخليط الجمال فانصرفوا ماذا عليهم لو أنهم وقفوا (١) .

و هى قصيدة قالها قيس بن الخطيم بعد هذه الحرب بزمان ، إذ لم يدركها ، كما قد أشار إلى ذلك البرقوقى فى شرحه (٢)، وهى تحتوى على ١٦ بيتاً ، آخرها :

إن بنى عمنا طغوا وبغوا و لج منهم فى قومهم سرف

فرد عليه حسان بن ثابت بالقصيدة التالية ، يفخر فيها بقومه ويهجو الأوس :

ما بال عينى دموعها تكف من ذكر خود شطت بها قذف (٣)

بانت بها غربة تؤم بها أرضاً سواها والشكل مختلف (٤)

---

(١) ديوان حسان بن ثابت، تحقيق دكتور سيد حنفى حسنين ص ٣١٤ ـ ٣١٦ .

(٢) شرح ديوان حسان للبرقوقى ص ٣٣٥ / طبع دار الكتاب العربى ـ بيروت .

(٣) وكف يكف بمعنى سال يسيل : الخود : الشابة الناعمة ما لم تصر نصفا : قذف بمعنى بعيدة .

(٤) الغربة بمعنى النوى والبعد ، يقال : دارهم غربة يعنى نائية بعيدة .

ما كنت أدرى بوشك بينهم ... حتى رأيت الحدوج قد عزفوا (١)
فغادرونى و النفس غالبها ... ما شفها و الهموم تعتكف (٢)
دع ذا وعد القريض فى نفر ... يرجون مدحى ، و مدحى الشرف
إن تدع قومى للجد تلفهم ... أهل فعال ، يبدو إذا وصفوا (٣)
بلغ عنى النبيت قافية ... تذلهم ، إنهم لنا حلفوا (٤)
بالله جهداً لنقتلنكم ... قتلا عنيفاً والخيل تنكشف (٥)
أو تدع فى الأوس دعوة هرباً ... و قد بدا فى الكتيبة النصف (٦)
كنتم عبيداً لنا نخولكم ... من جاءنا و العبيد تضطعف (٧)
كيف تعاطون مجدنا سفها ... و أنتم دعوة لها وكف (٨)

(١) و فى رواية (الحداة) بدلا من الحدوج وتقذف بدل عزفوا ، الحدوج ، جمع حدج من مراكب النساء ، والحدوج أيضاً : الابل برحالها ، الوشك و الوشيك ، بمعنى السريع و القريب .

(٢) النفس غالبها ما شفها : يعنى أن نفسه يتغلب عليها ما شفها ، يقال : شفه الحزن إذا لذع قلبه و أذهب عقله و أهزل جسمه ، تعتكف ، بمعنى تقيم وتلزم .

(٣) الفعال بفتح الفاء اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ، تلفهم ، بمعنى تدركهم .

(٤) النبيت أبو حى من اليمن .

(٥) بالله جهداً ، قسم فيه مبالغة ، يقال : أقسموا بالله جهداً ، أى بالغوا فى اليمين .

(٦) النصف بفتحتين : الأنصف ، و المراد من الدعوة النداء .

(٧) نخولكم أى نجعلكم خولا لمن جاءنا ، و الخول بفتح الواو الخدم ، تضطعف بمعنى تستضعف .

(٨) تعاطون بمعنى تنالون ، دعوة بكسر الدال ، المتهم فى نسبه ، وهو أن ينتسب المرء إلى غير أبيه وعشيرته ، و فى الحديث : لا دعوة فى الاسلام .

شانكم جــدكم و أكرمنــا جد لنا فى الفعال ينتصف (١)
يحمل من كان المجد محتده كأعبد الأوس كلمـا وصفوا
هلا غضبتم لأعبـــد قتلوا يوم بعاث أظلهم ظلف (٢)
نقتلهـــم و السيوف تأخذهم أخذاً عنيفاً و أنتم كشف (٣)
وكم قتلنـا من رأس لكم فى فيلق يحتدى له التلف (٤)
و من لئيم عبد يحالفكم ليست له دعوة ولا شرف (٥)
إن سميراً عبد طغى سفها ساعده أعبد لهم نطف (٦)

وجاء فيما رواه هشام بن محمد الكلبي :

« ثم إن الخزرج أجمعوا أمرهم على القتال ، واستمدوا له واستعدت الأوس فالتقوا بالبويلة فاقتتلوا قتـالا شديداً ، فكانت الدائرة يومئذ للخزرج على الأوس » فقال حسان بن ثابت فى هذه المناسبة وهو يهجو أبا قيس الأسلت :

(١) شانكم ، بمعنى عابكم ، من شان يشين شيناً .
(٢) ظلف : شدة ، وظلف الأرض ، الحزن الغليظ منها .
(٣) كشف بضمتين ، جمع بمعنى (المنهزمون) يقال : كشف القوم ، إذا انهزموا .
(٤) الرأس بمعنى الرئيس و يقال أيضاً ريس ، بالتشديد بمعنى الرئيس ، يحتدى له التلف ، بمعنى يطلب له الهلاك .
(٥) دعوة بكسر الدال وهو المتهم فى النسب أو الاتهام فى النسب .
(٦) سمير بضم السين ، وهو من الأوس ، و كان قد قتل يوم بعاث ، النطف بالفتح ، القرط ، وغلام منطف أى ذا قرط ، ونطف ينطف نطفاً : تلطخ بعيب ، أتهم بفجور وريبة ، ونطف الشئ بكسر الطاء ، إذا فسد ، ونطف الماء بفتح الطاء إذا سال ، ونطفت القربة إذا قطرت .

الا أبلغ أبا قيس رسولا — إذا ألقى لها سمعا يبين (١)
نسيت الجسر يوم أبي عقيل — و عندك من وقائعنا يقين (٢)
فلست لحاصن إن لم نزركم — خلال الدور مشعلة طحون (٣)
يدين لها العزيز إذا رآها — و يهرب من مخافتها القطين (٤)
تشيب الناهد العذراء فيها — و يسقط من مخافتها الجنين
بعينيك القواضب حين تعلى — بها الأبطال و الهام السكون (٥)
تجود بأنفس الأبطال سهوا — و أنت بنفسك الخب الضنين (٦)
و لا وقر بسمعك حين تدعى — ضحى إذ لا تجيب و لا تعين (٧)

(١) المراد بالرسول الرسالة ، يبين من أبان يبين ، أبو قيس بن الأسلت من رؤساء الأوس .

(٢) أبو عقيل الأسلت رئيس الأوس قتل يوم الجسر ، وهو يوم من أيامهم، انهزمت فيه الأوس و انتصرت الخزرج .

(٣) الحاصن : المرأة العفيفة ، يريد أنه لا يكون ابنا لأم عفيفة حاصن كأنه يقسم بأنه إذا لم يزر أعداءه بغارة مشعلة طحون .

(٤) العزيز هو صاحب العزة السيد ، و القطين ، الخدم، يعنى يخضع أمام تلك الغارة العزيز و الذليل كلهم .

(٥) القواضب جمع قاضبة بمعنى السيف القاطع، وتعلى بها ، بمعنى ترفع عليها ، الهام جمع هامة ، السكون : المستقرة .

(٦) سهوا بمعنى سهلا، الخب : الخداع ، الضنين البخيل، يخاطب أبا قيس ، أنك تقدم الأبطال للقتال فيقتلون وتضن بنفسك من التقدم فى المعركة .

(٧) يعنى لست أنت أصم حينما تنادى فلا تسمع ولا تجيب .

ألم تترك مـــآتم معولات | لمن على سراتكم رنين (١
تشينهــــم زعمت بغير شئ | و نفسك لو علمت بهم تشين (٢
قتلتم واحـــدا منا بــألف | هــلا قد ذا الظفر المبــ
و ذلك أن الفـكم قليل | لواحـــدنا أجل أيضاً ومين (٣
فلا زلتم كما كنتم قديماً | و لا زلنا كما كـنا نكـ
يطيف بكم من النجار قوم | كأسد الغاب مسكنها العر
كأنا إذ نساميكم رجالا | جمال حين يجتلدون جون (
و قد أكرمتكم وسكنت عنكم | سراة الأوس لو نفع السكون (
حياءاً أن أشاتمكم وصونا | لعرض إنه حسب سمـ
و أكرمت النساء وقلت رهطى | و هذا حين أنطق أو أبين (

(١) المآتم جمع مأتم : مجلس النساء أو الرجال للتظاهر بالحزن أو الفر
ولكن الشاعر يريد بها هنا مجلس النساء النائحات الباكيات يرفعن أصواتهن
السادة الذين قتلوا فى المعركة .

(٢) تشينهم من شان يعنى عاب ، يعنى أنك تنسب إليهم العيب فى زعمك ،
أن نفسك هى التى تكون صغيرة معابة بازائهم

(٣) ومين بمعنى مئين جمع مئة ، يعنى أن مآت منكم قليلون لواحد منا .

(٤) يشبه قومه إزاء العدو بالجمال القوية السوداء .

(٥) سراة الأوس، نداء ، يعنى يا رؤساء الأوس، يقول: نحن أكرمناكم با
القتال عنكم .

(٦) يعنى أننا لم نتناول النساء بالحرب و الاسار والقتل ، حينما نقاتلكم أو
عداوتنا لكم .

ويقول فى نفس المناسبة ، وهو يفتخر بانتصار الخزرج على الأوس وانتقام منهم بالضرب والقتل :

منعنا على رغم القبائل ضيمنا بمرهفة كالملح مخلصة الصقل (١)
ضربناهم حتى استباحت سيوفنا حمام و راحوا موجعين من القتل
و رد سراة الأوس إذ جاء جمعهم بطعن كأفواه المخيسة الهدل (٢)
و ذل سمير عنوة جار مالك على رغمه بعد التخمط والجهل (٣)
وجاء ابن عجلان بعلج مجدع فأدبر منقوص المروءة والعقل (٤)
وصار ابن عجلان نفياً كأنه عسيف على آثار أفصلة همل (٥)

و هذه قصيدة يمدح فيها جبلة بن الأيهم ، صاحب التاج الغسانى ، الذى كا يزوره حسان فى الجاهلية وينال عنده عزة وتكرماً .

لمن الدار أوحشت بمعان بين أعلا اليرموك فالخمان
فالقريات من بلاس فداريا فسكاء فالقصور الدوانى
فقفا جاسم فأودية الصفر مغنى قنابل و هجان (٦)

---

(١) مرهفة المراد بها سيوف حادة ، بيضاء مثل الملح ، مصنوعة من حديد خالص .
(٢) بطعن كأفواه ، المخيسة من الابل المذللة ، الهدل ، المسترخية ، جمع أهدل .
(٣) هو سمير الأوسى كان قد قتل بجيراً مولى مالك بن العجلان سيد الحيين ، و فى هذا البيت يشير إلى ذلك .
(٤) العلج : الرجل الغليظ ، و الرجل من كفار العجم كذلك .
(٥) العسيف : الأجير ، الأفصلة جمع فصيل ، بمعنى ولد الناقة .
(٦) من البيت الأول إلى الثالث ، فى الجميع أسماء مواضع بأكناف دمشق كانت مقر ملوك غسان ، المغنى : المنزل الذى أقام فيه أهله ، ثم ظعنوا عنه ، قنابل جمع قنبلة ، جماعات من الخيل ، و الهجان : كرائم الابل ، و فى رواية (قبائل) بدل قنابل ، ولعل المراد بها رؤساء القبائل .

تلك دار العزيز بعد أنيس و حلول عظيمة الأركان
هبلت أمهم و قد هبلتهم يوم حلوا بحارث الجولان (١)
قد دنا الفصح ، فالولائد ينظمن سراعا أكلة المرجان (٢)
يجتنين الجادى فى نقب الريط عليها مجاسد الكتان (٣)
لم يعللن بالمغافر و الصمغ ولا نقف حنظل الشريان (٤)
ذاك مغنى من آل جفنة فى الدهر ، وحق تعاقب الأزمان (٥)
فقد أرانى هناك حق مكين عند ذى التاج مجلسى و مكانى (٦)

وقد جاء فيما رواه هشام بن محمد الكلبى ، قال : حدثنى بعض أهل العلم أ[ن] أبا قيس (الأسلت) حين وقع بين الأوس والخزرج ما وقع أسندت الأوس أمر[ها] إليه فقام فى حربهم و آثرها على كل ضيعة (٧) حتى نحل جسمه ، ومكث أشهر

(١) هبل فلان أمه إذا ثكلته ، ويقال : هبلته أمه : دعاء عليه ، وربما يستعمل فى المدح والاعجاب والاستحسان بمعنى : (ما أعلمه وما أصوب رأيه) .

(٢) الفصح عند النصارى عيد تذكار قيامة السيد المسيح ، أكلة جمع إكليل بمعنى التاج .

(٣) الجادى : الزعفران ، نقب جمع نقبة : ثوب كالازار ، المجاسد جمع مجسد بكسر الميم بمعنى القميص .

(٤) لم يعللن ، يعنى لم يشغلن ، المغافر جمع مغفور . و هو صمغ سائل من بعض الأشجار ، الشريان اسم شجر .

(٥) يعنى أن توالى الزمان حق .

(٦) شرح ديوان حسان للبرقوقى ص ٤٦٨ .

(٧) الضيعة : ما يملكه الرجل من الأرض ، والحرفة والصناعة والمعاش والكسب .

ا يقرب منزله ، ثم جاء ليلة فدق بابه على امرأته كبشة بنت ضمرة بن مالك
ن عزير بن مالك بن عوف ، ففتحت له فأهوى إليها بيده ، فدفعته ، فقال :
نا أبو قيس ، فلما تكلم قالت : و الله ما عرفتك حتى تكلمت » (١) هنالك
ال أبو قيس :

قالت و لم تقصد لقيل الخنا مهلا فقد أبلغت أسماعى

يعنى أنكرته و لم تعرف ، كما يشرح ذلك فى البيت التالى :

استنكرت لوناً به شاحباً و الحرب غول ذات أوجاع

فى قصيدة طويلة تحتوى على ٢٦ / بيتاً ، تحدث فيها عن أحوال و أهوال
لحرب و مواجهته لكل ذلك بشجاعة و إباء وقوة .

و رد حسان بن ثابت على قصيدته بقصيدة مماثلة فى الوزن و القافية .

انت لميس بحبل منك أقطاع واحتلت الغمر ترعى دار أشراع (٢)
. أصبحت فى بنى نصر مجاورة ترعى الأباطح فى عز و إمراع (٣)
كأن عينى إذ ولت حمولهم فى الفجر فيض غروب ذات أتراع (٤)

---

١) ديوان حسان بن ثابت تحقيق دكتور سيد حنفى حسنين ، طبع القاهرة ص/٢٣٥ .

٢) لميس اسم امرأة ، أقطاع بمعنى متقطع ، الغمر بالفتح و السكون : الماء الغامر الكثير ، أشراع جمع شرع ، بمعنى الدخول فى الماء الجارى والشرب منه بالكف أو بالفم ، وشرع الماشية بمعنى أوردها فى الماء ، و فى رواية البرقوقى : (نوطا ذات أشراع) .

٣) الأباطح جمع الأبطح و هو بطن المسيل فيه رمل و دقاق الحصى ، الامراع : الخصوبة .

٤) الحمول المواذج ، غروب: الدلو العظيمة ، ومجرى الدموع فى العين ، أتراع جمع ترع ، وهو السيل الذى يملأ الوادى .

هلا سألت هداك الله ما حسبي … أم الوليد ، وخير القول للواعي (١)
هل أغفر الذنب ذا الجرح العظيم ولو … مرت مجارفه مني بأوجاع (٢)
الله يعلم ما أسعى لجيهم … وما يغيب به صدري و أضلاعي (٣)
أسعى على جل قوم كان سعيهم … وسط العشيرة سعياً غير دعداع (٤)
و لا أصالح من عادوا ، و أخذلهم … و لا أغيب لهم يوما بأقذاع (٥)
وقد غدوت على الحانوت يصبحني … من عاتق مثل عين الديك شعشاع (٦)
تغدو علي و ندماني لمرفقه … تقضى اللذاذات من لهو و إسماع (٧)
إذا نشاء دعوناه فصب لنا … من فرغ متفج الحيزوم ركاع (٨)
لقد غدوت أمام القوم منتطقاً … بصارم مثل لون الملح قطاع
تحفز عني نجاد السيف سابغة … فضفاضة مثل لون النهي بالقاع (٩)

(١) أم الوليد منادى ، الواعي : الحافظ .
(٢) مجارف الدهر و مجاريفه بمعنى حوادث الدهر .
(٣) الله يعلم مقدار سعي لهم وما يكنه صدري وضلوعي لهم من الاشفاق والولاء
(٤) سعي غير دعداع ، سعي حثيث ، لم يكن فيه بطء و التواء .
(٥) اقذاع جمع قذع وهو الفحش من القول .
(٦) الحانوت المراد بها صاحب الحانوت يصبحني بمعنى يسقيني صبوحاً ، عين الديك ، يريد بها خمراً صافية كلون الزجاج ، الشعشاع : الممزوجة .
(٧) الندمان كالنديم ، اللذاذات جمع اللذاذة ، و هي اللذة .
(٨) فصب لنا فاعله ، الخمار صاحب الحانوت ، الفرغ : السعة ، المتفج بمعنى الممتلئ ، الحيزوم الخير الصدر : متين الجلد محكم الصنعة .
(٩) تحفز بمعنى تدفع ، نجاد السيف حمائله ، سابغة بمعنى درع سابغة ، فضفاضة : واسعة ، النهي : الغدير ، القاع : الوادي .

فى فتية كسيوف الهند أوجههم نحو الصريخ إذا ما ثوب الداعى (١)

و هذه قصيدة جاهلية له من قافية الميم ، وهى طويلة تضم ٣٨/ بيتاً ، ونحن نكتفى هنا بذكر أبيات منها ومطلعها :

لمن منزل عاف كأن رسومه خياعيل ريط سابرى مرسم (٢)

خلاء المبادى ماله غير ركد ثلاث كأمثال الحمائم جثم (٣)

و يتحدث عن حبيبته ليلى وثقته الوطيدة التى كانت فيها فيقول :

فان تك ليلى قد نأتك ديارها وضنت بحاجات الفؤاد المتيم

وهمت بصرم الحبل بعد وصاله و أصغت لقول الكاشح المتزعم

فما حبلها بالرث عندى و لا الذى يغيره نأى و إن لم تكلم

لعمر أبيك الخير ما ضاع سركم لدى فتجزينى بعاد و تصرمى

و ما حبها لو وكلتنى بوصلة و لو صرم الخلان بالمتصرم

و لا ضقت ذرعا بالهوى إذ ضمنته و لا كظ صدرى بالحديث المكتم

و لا كان مما كان مما تقولوا على وشوا ، غير ظان مرجم

فان كنت لما تخبرينى فسائلى ذوى العلم عنا كى تنبئ فتعلمى

---

(١) الصريخ : المستصرخ ، ثوب الداعى : إذا دعا الداعى ، التثويب : التلويح بالثوب ، ذلك لأن الرجل إذا جاء مستصرخاً لوح بثوبه ليرى ويشتهر .

(٢) عاف بمعنى دارس ، خياعيل جمع خيعل ، و قد تقلب فيقال خيلع ، و هو برد غير مخيط الفرجين ، الريط : الثوب اللين ، السابرى : الثوب الرقيق ، منسوب إلى سابور ، المرسم ، من الرسم بمعنى المعلم .

(٣) المبادى : الظواهر ، ما به غير ركد ثلاث : يعنى ليس هنـاك سوى ثلاثة أحجار الأثافى التى تشبه ثلاث حمائم .

متى تسألى عنا تنبأ بأننا ... كرام و أنا أهل عز
و أنا عرانين صقور مصالت ... يهز قناة متنها لم يوصم
لعمرك ما المعتر يأتى بلادنا ... لنمنعه بالضائع المتهض

و بعد ما يصف نفسه و قومه بأوصاف القوة و السخاء و الشجاعة وا
و التجارب فى الحروب ، يتحدث عن سيد قومه ورئيس قبيلته الحليم الج
و الكريم المفضال ، يقول :

و تلق على أبياتنا حين نجتدى ... مجالس فيها كل كهل
رفيع عماد البيت يستر عرضه ... من الذم ميمون النقيبة
جواد على العلات رحب فناؤه ... إذا سئل المعروف لم
ضروب بأجماز القداح إذا شتا ... سريع إلى داعى الهياج
أشم طويل الساعدين سميدع ... معيد قراع الدارعين مكلم

و هذه قصيدة أخرى يذكر فيها حبيبته شعثاء وحبه لها ، ثم يتحدث
محاسنها و مواضع جمالها ، ويشبه فاها بشغب بارد مزج بصهباء الخمر ، و يفيض
ذكر الخمر وبائعها وساقيها وينتقل إلى وصف الناقة بما تتميز به من أوصاف
ثم يفتخر بقومه بنى النجار ويمدح خصالهم الطيبة ؟ يقول :

ما هاج حسان رسوم المقام ... ومظعن الحى ومبنى الخيام
و النؤى قد هدم أعضاده ... تقادم العهد بواد تهام
قد أدرك الواشون ما حاولوا ... فالحبل من شعثاء رث

---

(١) عرانين جمع عرنين ، وهو قصبة الأنف المرتفعة ، و عرانين القوم : ساد
و أشرافهم ، مصالت جمع مصلت بمعنى الماضى فى الأمور .
(٢) سميدع ، السيد الكريم ، جميل الجسم ، المطاع الشجاع ، مكلم من الكلم بمعنى مجر
(٣) رسوم جمع رسم ، وهو ما كان من الآثار لاصقاً بالأرض ، ومظعن مصدر ميم
(٤) النؤى حفر تحفر حول الخيام لئلا يدخلها ماء المطر ، بواد تهام ، و هو
الأصل تهامى نسبة إلى تهامة .

جنيــــة أرقنى طيفهـــا | يذهب صبحا ويرى فى المنـ
هل هى إلا ظبيــة مطفل | مألفها السدر بنعفى برام (١
تزجى غزالا فاتراً طرفــه | مقارب الخطو ضعيف البغام (٢
كأن فاها ثغب بارد | فى رصف تحت ظلال الغمام (٣
شجت بصهبـاء لها سورة | من بيت رأس عتقت فى الحـ
عتقها الحـانوت دهراً فقـد | مر عليها فرط عام فعام (٤
نشربها صرفا، و ممزوجة | ثم نغنى فى بيوت الر
تدب فى الجسم دبيباً كما | دب دبى وسط رقاق هيام (٥
كأسا إذا ما الشيخ والى بها | خمسا تردى برداء الغلام (٦
من خمر بيسان تخيرتها | ترياقة تسرع فتر العظام (٧

(١) النعف من الأرض ما انحط من الارتفاع و ارتفع عن الانحطاط، وجا
تثنية بمعنى الجانبين، برام : اسم واد .
(٢) تزجى : تسوق، البغام : أرخم صوت للظبى .
(٣) الثغب : الغدير الذى يكون تحت جبل لا تصيبه الشمس فيبرد ماؤه، الرصف الحجارة المتراصفة .
(٤) عتقها، جعلها عتيقة قديمة . الحانوت، المراد بها الخمار .
(٥) الدبى بفتح الدال أصغر النمل، الرقاق : المستوى من الأرض، و لكنـ
أراد هنا رملا مستوياً ليناً .
(٦) والى بها خمساً، يعنى إذا شرب خمس كأسات متتالية .
(٧) بيسان اسم موضع بنواحى الشام كانت تعرف بجودة خمرها، فتر العظام
إرخاؤها بحيث تذهب الهموم .

ـعى بها أحمر ذو برنس مختلق الذفرى شديد الحزام (١)
ـروع للـدعوة مستعجل لم يثنه الشأن خفيف القيام (٢)
ع ذكرها وانم إلى جسرة جلذية ذات مراح عقام (٣)
ـقـة المشيـة زيافـة تهوى خنوفا فى فضول الزمام (٤)
ـسبهـا مجنونة تغتـلى إذا لفع الآل رؤس الأكام (٥)
ـوى بنو النجار إذ أقبلت شهباء ترى أهلها بالقتام (٦)
ـ نخـذل الجار و لا نسلم المولى و لا نخصـم يوم الخصام (٧)
ـنا الذى يحمد معروفـه و يفرج اللزبة يوم الزحام (٨)

و زاد بعض الرواة بيتاً فى الأخير وهو كالتالى :

ـ الواهب البـازل يوما إذا ما ضاق بالمعرف صدور اللئام

---

(١) أحمر ، يعنى غلاما أحمر من الأعاجم يلبس البرنس، الذفرى ، العظم الناتى خلف الأذن ، المختلق : المطلى بالخلوق، وهو نوع من الطيب، الحزام النطاق.

(٢) أروع للدعوة، يعنى نشيط عند النداء، لا يثنيه شأن عن الاسراع لأداء الخدمة.

(٣) جسرة بفتح الجيم بمعنى الضخمة الطويلة الماضية ، يريد بها الناقة ، الجلذية : القوية الشديدة الصابة ، المراح : النشاط ، عقام بمعنى العقيمة .

(٤) دفقة : بكسر الدال و تشديد القاف ، بمعنى سريعة السير ، الزيافـة بمعنى المختالة المتبخترة ، الخنوف ، التى تميل برأسها و عنقها من النشاط .

(٥) تغتلى من اغتلت الدابة إذا ارتفعت لمجاوزت حسن السير ، لفع من التلفيع بمعنى التغطية ، الآل : السراب ، الأكام جمع أكمة .

(٦) شهباء يريد بها سنة شهباء ذات جدب وجفاف ، القتام : الغبار .

(٧) لانخصم ، بالبناء على المفعول ، يعنى لا نغلب .

(٨) اللزبة : الشدة .

رسائل الاعلام

فضيلة الأستاذ محمد الرابع الحسنى الندوى
عميد كلية اللغة العربية و آدابها ندوة العلماء بلكهنو (الهند)

إن الرسائل من أبرز النماذج الكتابية التى يتجلى فيها التأثير و الامتاع ، فقد يتخذها صاحبها ذريعة لنقل تأملاته و انفعالاته النفسية ، و تكون ناجحة فى إصابة الغرض عند ما تكون طبيعية غير متكلفة ، و قد تكون موجهة من شخص إلى شخص يراعى الكاتب فيها مستوى المرسل إليه فى الفهم و الانفعال ، لما يوجه إليه من حديث النفس ، فقد تكون الرسالة من أخ إلى أخيه ، أو من صديق إلى صديقه ، أو من رجل يتمتع بارتباط عاطفى برجل آخر ، و يتنوع هذا الارتباط و يتصف بالمشاركة المتبادلة فى ظروف الحياة و آلامها و أحلامها ، و لذلك دامت الرسائل فى فترات مختلفة من التاريخ مادة نابضة من الأدب .

ويبدأ تاريخ الرسائل القوية فى اللغة العربية منذ الصدر الأول للاسلام ، فهناك مجموعة من رسائل سيدنا على بن أبي طالب - كرم الله وجهه - وهى مع كون طائفة منها مشكوكا فى نسبتها إليه ، و لكن الذى لا يشك فيه منها يبلغ أيضاً من الجمال الأدبي و التأثير النفسى إلى الدرجة العالية . ولقد تعلم من هذه الرسائل شيئاً كثيراً زعيم الكتابة الأول عبد الحميد الكاتب ، و استطاع بفنه و براعته أن يستفيد منها لعصره ، الذى خرج من العزلة البدوية العربية إلى الانفتاح و التطور الأدبيين .

و أصبحت كتابة الرسائل منذ ذلك فناً بعينه ، و توسعت وقويت بحكم حاجة الدواوين و الحكام إليها فى عصرهم المتدرج إلى حياة المدنية و التطور ، و أصبح لهذا اللون من الكتابة مجالان : مجال اجتماعى و سياسى ، يقوم بأدائه رجال فنون

موظفون لهذا الغرض ، فكانوا يستخدمون مهاراتهم الفنية فى ذلك . و بجال إخوانى فردى ، يكون العمل فيه من فرد إلى فرد ، و تقتصر قوة الرسالة الأدبيـة فيه على الانفعال النفسى لكاتبها للغرض الذى يكتب الرسالة لأجله ، و على رعايتـــه للحالة النفسية للمرسل إليه ، وفى كل الأحوال كان لا بد للكاتب أن يراعى الفصاحة فى كلامه .

و أدلى كل من أهل الأدب و العلم بدلوه فى كتابة الرسائل على مدى التاريخ الأدبى ، فاجتمعت بذلك رسائل ، و جمعت فى مجموعات ، منها ما هى اجتماعيـــة ، و أدبية ، و منها ما هى إخوانية و طبيعية ، فهناك رسائل لعبد الحميـــد الكاتب ، و رسائل عبـــد الله بن المقفع و رسائل الجاحظ ، و رسائل أبى إسحاق الصابى فى عهود الشباب الأدبى للكتابة العربية ، و هناك رسائل زعماء الصناعة الأدبية للكتابة مثل ابن العميد ، و الصاحب بن عباد ، و بديع الزمان الهمدانى ، و أبى بكر الخوارزمى ، و القاضى الفاضل ، و أبى العلاء المعرى .

وهذه الرسائل كلها بأنواعها المختلفة مادة كبيرة للمتعة الأدبية للقراء والدارسين ، و لكن مجموعات هذه الرسائل تتصف بوحدة الكاتب (١) فكل مجموعة منها لكاتب واحد ، و كل رسالة من رسائله على نمط واحد ، وطعم واحد ، إذا قرأت رسالة منها فلا تقرأ بعدها إلا شقيقتها و أختها إلى آخر المجموعة ، و هـــذا الشكل من العمل الرسائلى يخلو من التنوع الفنى ، والتنوع النفسى كذلك ، فكانت الحاجة ماسة إلى أن يكون بين أيدى القراء مجموعات للرسائل المتنوعة الأسلوب بتنوع كتابها ، و هو ممكن إذا راعينا وحدة المرسل إليه لا وحدة الكاتب ، أو تركنا الوحدة ،

(١) يستثنى من ذلك كتاب « رسائل البلغاء » جمع الأستاذ محمد كرد على (مطبعة الظاهر القاهرة ١٣٢٦هـ) ولكنه كتاب صغير فيه عدد قليل من رسائل ابن المقفع و عبد الحميـــد الكاتب و بعض الردود ، و عليها طابع أدبى خاص .

ر جمعنا الأشتات بشريطة أن يكون كتابها من أهل الأقلام البليغة ، و إلا لم تبلغ هذه الرسائل إلى درجة النفع و الامتاع .

و مما يبعث على السرور أنه تيسر تنفيذ هذه الفكرة بيد عالم و أديب كبير ، له ارتباط بمختلف أصحاب العلم و المعرفة و الأدب و الدعوة و العمل الاسلامی ، و هو فضيلة شيخنا و أستاذنا السيد أبي الحسن على الحسنى الندوى ، الذى يعترف به فی العالم الاسلامی كعالم و مفكر ، و كاتب و أديب فی اللغة العربية و الأردية سواءاً ، فقد كانت لديه بتأثير ارتباطه بشخصيات متنوعة كبيرة فی العالم الاسلامی ـ رسائل كثيرة يوجد عليهــا طابع أخوى ، و طابع أدبی ، و طابع فكرى معاً ، وطائفة كبيرة منها بأقلام أعلام الدعوة الاسلامية وقادة الصحوة الاسلامية فی العالم العربی ، فبدا له أن لا يهمل هذه الرسائل محجوزة فی مكتبته الخاصة بحيث لا يطلع عليها و لا ينتفع بها إلا أخص المتصلين به ، فرأى أن يختــار منها ما يحتوى على الافادة و الامتاع أكثر ، و ينشرها للراغبين فی مثل هذه النماذج المفيدة ، ليطلع الطلبــة على الأساليب اللائقة لكتابة الرسائل ، فتغذى ملكتهم فی إبداء الخواطر و مخاطبة الأصدقاء ، و أهل الفكر و الأدب ، كما يطلع بها أهل العلم و الدراسة على اتجاهات و آراء و أفكار للشخصيات النابهة المختلفة ، فيستنتجون منها نتائج ذات قيمة علمية و دينية .

تمثل هذه الرسائل أصنافاً مختلفة من الشخصيات النابهة فی العالم العربی الاسلامی ، و زعماء الحركات ورؤساء الجمعيات الاسلامية ، ومنها أعلام الأدب والعلم و رجال الأقلام ، و ذلك بحكم سعة اتصالاته بالشخصيات فی رحلاته المتوالية التی انتظمت أغلب الأقطار العربية ، فقد زار البلاد الحجازية لأول مرة فی عام ١٣٦٦ه، وأقام فيها لمدة ستة أشهر ، فأصبح له أصدقاء فيها من علمائها و أدبائها ، و تلتها زيارة أخرى بعدها بثلاث سنوات ، و ذلك عند ما ظهر له كتابه الشهير « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » و نال تقديراً و قبولا عجيباً بين أوساط الفكر الاسلامی ، و الدين والدعوة ، فصار أعظم معرف له فی العالم العربی ، و زار مصر والسودان

و سوريا و فلسطين ، و قضى فى كل منها من الوقت ما وسع و وطـد أواصره العلمية و الدعوية و الدينية بشخصيات هذه البلدان .

لذلك نجد فى رسائل هذه المجموعة تنوعاً لا نجده فى مجموعات الرسائل الأخرى ، و ذلك لأن صاحب هذه المجموعة نفسه يمتاز بالتنوع العلمى و الأدبى ، و يلتقى بأصحاب الرسائل من أصحاب المجالات العلمية ، و الأدبية المختلفة على تنوعهم . بكل واحـد منهم فى نوعه ، إن فضيلتـه أديب بالعربية و الأردية ، و عالم من العلماء المعروفين ، و مفكر و داعية ، و هو يتمتع أيضاً بالاتصال و العمل فى مجالات الفكر والعمل الاجتماعى ، فيخاطبه أصحاب الرسائل فى رسائلهم على الأساليب التى تخصهم.

و بذلك أصبحت المجموعة كحديقة ذات ألوان و روائح مختلفة ، لا نجد هذا النموذج فى مجموعات الرسائل الأخرى و هى ميزه تمتاز بها هذه المجموعـة ، و يزيد ذلك من قيمتها و أهميتها .

كما أنها نخبة من كثير ، لأن الرسائل التى نجدها لدى فضيلته تناهز فى عددها ثلاثمأة رسالة ، اختار منها فضيلته نحو سبعين رسالة بالاعتناء بجوانب الافاده والمتعة معاً.

و من الممكن بل من المتوقع أن تصبح هذه المجموعة من الرسائل من المراجع و الوثائق التاريخية فى يوم من الأيام ، يعرف المؤرخون عن طريقها كثيراً من القضايا الاسلامية والمشاكل التى كانت تشغل عقول كثير من المعنيين بالاسلام والمسلمين فى الفترة التاريخية التى كتبت فيها هذه الرسائل ، ويعرفوا انعكاساتها فى قلوب كتابها و ردود الفعل فى نفوسهم ، و ما هى الحلول التى كانوا يرون لها ، و كذلك يمكن أن يتعرفوا بها على عدد من الشخصيات الاسلامية وحلقات مفقودة فى تاريخ حياتهم و أعمالهم و ما تهم معرفته عن شخصيتهم من التواريخ و السنين التى فات المؤرخين و المترجمين الاطلاع عليها ، و تمتد المساحة الزمنية لذلك إلى سبعة و ثلاثين عاماً ، فاختيار نخبة من رسائل هذه المدة و نشرها للراغبين عمل مفيد قيم ، نقـدم لفضيلة شيخنا شكرنا و شكر قرائها من غيرنا و تقديرهم ، والله نسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه ، و يضع فيه النفع و القبول .

أوضاع المسلمين فى جمهورية رواند فى أفريقيا

الدكتور عمر حسن الكاسولى

الجغرافيا : يحد رواندا أوغندا و بروندى ، و زائير و تانزانيا .
معدل ارتفاعها خمسة عشر ألف متر فوق مستوى سطح البحر و لهذا فبرغم محاذاتها لخط الاستواء فان مناخها معتدل .

السكان : المجموع الكلى للسكان من ٠٠٠ ر ٢٠٠ إلى ٠٠٠ ر ٢٨٠ نسمة (مائتى ألف إلى مائتين و ثمانين الفاً) .
السكان المسلمون بين ٥ ٠/٠ إلى ٧ ٠/٠ بالمائة .
ثلاثون فى المائة من المسلمين يعيشون فى العاصمة كيجالى حيث يشكلون حوالى نصف السكان هناك .

اللغة : اللغات الرسمية هى الفرنسية و الكنيا رواندا ، كل الناس يفهمون الكنيا رواندا ، ويتكلم الفرنسية فقط قلة من الناس المثقفين و اللغة السواحلية يتكلمها أهالى الريف و خاصة المسلمون .

الوضع السياسى : لقد نالت استقلالها عام ١٩٦٢م و قد حكمت من قبل حكومة مدنية حتى عام ١٩٧٣م و فى الخامس من تموز (يوليو) قام الحكم العسكرى الحالى بالاطاحة بالحكومة المدنية بانقلاب عسكرى .

التعليم : يصرف حوالى ٢١٫٠/٠ من الدخل القومى على التعليم و فى العام الدراسى ١٩٧٧/ ١٩٧٨م كان (٦١٠) من الطلبة يدرسون فى الخارج :

(١٨٥) منهم يدرسون فى الاتحاد السوفياتى، و (١٥) فى إيطاليا، و (١٧) فى سويسرا و (٢٩) فى كندا، و (٦٠) فى فرنسا و (٢٢) فى جمهورية ألمانيا الاتحادية، و (٦٤) فى بلجيكا و (١١) فى زائير و (٣٠) فى السنغال و (٧٧) فى أماكن أخرى .

ومن الملاحظ أن الاتحاد السوفياتى يحتضن معظم الطلبة، و تأتى بعده بلجيكا الدول المستعمرة سابقاً (بكسر الميم) .

وسائل الاعلام : توجد محطة إذاعة مملوكة للدولة ولا توجد إذاعة مرئية (تلفزيون) منذ سنتين مضتا كان لجمعية مسلمى رواندا برنامج أسبوعى مدته ثلاثون دقيقة ، تدفع مقابلها دولاراً أمريكياً واحداً للدقيقة الواحدة ، و عندما ارتفعت أجرة الدقيقة إلى ثلاث دولارات فان الجمعية لم تستطع الدفع و أوقفت البرنامج ، و لهذا يجب دعم جمعية مسلمى رواندا لاستعادة البرنامج و تغطية نفقاته بمعدل (٣٠) دولار x٣٠ يوماً ـ ٩٠٠ دولاراً شهرياً أى ما يعادل (٣١٥٠) ريالا سعودياً .

الجرائد : لا يوجد جرائد منتظمة و الجرائد القليلة المتوفرة تقوم بنشرها المنظمات النصرانية ، المسلمون لهم نشرة أخبارية فقط تدعى (رسالت) وتنشر من قبل المركز الثقافى الاسلامى .

انتشار النصرانية : لم يكن هناك كاثوليكيين فى عام ١٩٠٠ فى رواندا ، و اليوم يشكلون ثلث المواطنين بينما خمسون فى المائة من سكان رواندا نصارى ، و تعمل عدة بعثات نصرانية مختلفة فى البلاد :

جمعية مسلمى رواندا : لقد تأسست عام ١٩٦٤م بقيادة الشيخ حسن بنجرى ومركزها الرئيسى فى كيجالى ، و معترف بها من قبل الحكومة و وزارة العدل ،

و معترف بها كممثل وحيد و ناطق باسم المسلمين ولدى الحكومة بكل ما يتعلق بشئون المسلمين .

و الجمعية لا تعمل بالشكل المناسب بسبب الاختلافات والنزاعات على القيادة وتتناحر مجموعتان رئيسيتان على الزعامة ، مجموعة يقودها رجل أعمال غنى اسمه عبد الرحمن سدالا و تضم الشيخ إبراهيم إسماعيل و هو خريج حديث من المدينة المنورة فى أواخر العشرينات من عمره .

المركز الثقافى الاسلامى : لقد بنى بالتعاون فيما بين الامارات العربية المتحدة و ليبيا و يقع على نياميرامبو ، و يضم المركز المرافق التالية :

ا — مكاتب إدارية .   ب — المسجد .   ج — غرف الدراسة (فصول)

د — مستوصف .   هـ — قاعة طعام .   و — قاعة اجتماعات .

ز — ملاعب .   ح — مساكن لكبار الاداريين .

الدعوة : يدفع المركز مرتبات شهرية لعشرة رواندیین ممن يقومون بالدعوة فى القرى إلا أن عملهم غير مجد حيث إنه غير مخطط و غير مراقب .

النشرات : يقوم المركز باصدار نشرة شهرية باللغة المحليــة و هى كينيا رواندا ، و توزع هذه النشرة بالمجان .

معهد الدعوة : و حديثاً افتتح المركز معهداً لتدريس الدعوة ، و الطلبة الذين أتموا خمس سنوات فى المدرسة الاسلامية فى نياميرامبو يقبلون للالتحاق بهذا المعهد .

الميزانية : تبلغ ميزانية المركز نصف مليون دولار سنوياً .

المنظمات الأخرى العاملة فى البلاد

١ — دار الافتاء : لقد تم تدريب الشيوخ الثلاثة فى هذه البلاد فى المملكة العربية السعودية وهم : عمران عثمان ، إبراهيم إسماعيل و أحمد عمر تومبو و يتقاضون

رواتبهم من دار الافتاء ، و لا يوجـد عليهم رقابة و لذلك فا
فعالين كما يجب .

٢ ـ جمعية الدعوة الاسلامية : هـذه دائرة الحـكومة الليبية المختصة
الاسلامية ، يوجد اثنا عشر داعية في رواندا ، و لكنهم غير مثمرين
وجود رقابة عليهم .

٣ ـ البعثة النصرانية للعمل في أوساط الشباب : يحاولون اختراق المجتمعات الا
بوسائل ذكية أو مغرية مثلا أسسوا في ضاحية بنيامبرامبو التي يقطنها غالبي
نادياً أطلقوا عليه اسما جذابا هو نادي رفيق .

بعض الشخصيات القيادية المسلمة :

١ ـ دكتور محمد مكين : إنه سوداني الجنسية موظف كدير للخدمات الطبي
المركز الثقافي الاسلامي ، له خبرة في الحركة الاسلامية في السودان
قدرات تنظيمية و عنوانه صندوق بريد ١٠١٧ كيجالي ـ رواندا .

٢ ـ الشيخ عمران عثمان : إنه رواندي في متوسط العمر وخريج الجامعة الا
بالمدينة المنورة ، وحاليا هو نائب رئيس جمعية مسلمي رواندا و مدير ا
الاسلامية ، إنه شخص مخلص إلا أنه يحتاج لمزيد من الارشاد في مجال
و النواحي الفكرية للدعوة الاسلامية ، إنه محبوب ومشهور في أوساط
المسلمين ، و عنوانه صندوق بريد (٩٩٧) - كيجالي ـ رواندا .

٣ ـ الحاج عبد الرحمن سدالا : إنه رجل أعمال غني و لكنه غير مثقف
الاسلام و لا ثقافة عامة ، له نفوذ بسبب ثروته و هو من أقوى ا
للرئاسة في انتخابات جمعية مسلمي رواندا القادمة ، و عنوانه صندوق
(٥٩٤) كيجالي ـ رواندا .

٤ — إبراهيم اسهميل : إنه شاب صغير السن فى أواخر العشرينيات ، وتخرج العام الماضى من الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، إنه يقوم حالياً بالتدر فى المركز الاسلامى و يحاول أن ينجح فى انتخابات لجمعيـــة مسلمى رو و عنوانه صندوق بريد (١١٧٣) ـ كيجالى ـ رواندا .

توصيـــــات

١ — كبـــلد سياحى فاتنـا لا بد أن نشجع الاخوان الجيدين فى الشرق الأو و الأقطار الاسلامية الأخرى ليقضوا إجازاتهم من شهرين إلى ثلاثة أشهر رواندا لكى يتمتعوا باجازات سياحية جذابة و لكى يقوموا بالعمل الاسلا

٢ — الشباب المسلم الذى أنهى الدراسة الابتـدائية يجب تأمين منح دراسية لهم الأقطار الاسلامية .

٣ — يوجد عدد قليل جـداً من المساجد و المدارس للسكان المسلمين ، يجب و توفير المال لبناء مساجد جديدة و التى يمكن استخدامها أيضاً كمدارس

٤ — يجب على جمعيـــة مسلمى رواندا أن توقف اقتتالها الداخلى و أن تحاول تتخلص أو تستقل عن أشراف الحكومة .

٥ — يجب أن يقوم بعض الخبراء فى التعليم بزيارة البـــلد ليحاولوا وضع منـا تستعمل لتعليم العلوم الدينية الاسلامية ، و يجب انتاج الكتب المناسبة با المحلية ، السواحلية و الكنيا رواندا .

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

التدخين انتحار بطيء

الأستاذ سعيد بن عبد الله بن سيف الحاتمي

١- إن المدخن يفقد ٨ - ١٢ سنة من عمره .

٢- إن المدخن يفقد ١٥ - ١٨ دقيقة من عمره لكل سيجارة يدخنها .

٣- إن المدخن يفقد أكثر من ٤٠٫٠٠٠ ريال عماني على الدخان طوال حياته .

٤- إن التدخين أكبر مسبب للوفيات و الأمراض التي يمكن تجنبها .

٥- إن المدخن حظه من السرطان ١٠ أضعاف وحظه من أمراض القلب ٣٠ مرة أكثر من غير المدخن .

(ا) إن نسبة الوفيات بسبب التدخين أعلى من نسبة الوفيات (الهلاك) بسبب الحروب و أحداث السيارات .

(ب) إن ٩٩ ٪ من المدخنين مصابون بالأنفسيا (مرض يؤدي إلى ضيق التنفس .

و من مساوىء التدخين أن يؤثر على الجهاز العصبي وقد يفقد المدخن توازنه العقلي و قد تراه قلقاً و غير مرتاح عند ما يبقى فترة طويلة دون التدخين و أنه يكثر من الكح و السعال و كثيراً ما يصاب بمرض شبيه بمرض النزلة الشعبية .

عند ما يدخن الفرد فانه يحرق السيكارة كلها أو جزءاً كبيراً منها تماماً و مما لا جدال فيه أن الشئ إذا تم إحراقه كلياً يصبح هذا الشئ غير نافع ويكون مضراً عند ما يأكله الشخص أو يشربه لو فكر الناس تفكيراً رزينا و لو عرفوا معنى «الدخان» لامتنعوا عن التدخين نهائياً لأن أى شئ يكون دخاناً مضر بصحة الانسان .

هل لا حظت شخصاً يشرب سيكارة و كيف يدخل الدخان فى أنفـــه أو فى مناخيره ويتراكم فيها الدخان إلى أن يسبب له صعوبة التنفس كما و يدخل الدخان فى عينيه و قد يسبب سقوط الدموع من عينيه و أنفـــه بالاضافة إلى ما يسببه من إيذاء الجالسين الذين لا يدخنون ، و يكون ذلك أكثر ضرراً فى الأماكن المكتظة بالناس مثل المكاتب و المواصلات أنظر كيف يتضايق الشخص الجالس بجانبك لأنه لا يشرب السيكارة وأنت تنفخ الدخان على وجهه جزاء مشاركته لك نفس السيارة مثلا .

لهذا السبب وأسباب أخرى نسمع اليوم أن الرجال العقلاء فى أوروبا يقومون بحملات واسعة النطاق لمكافحة هذه العادة السيئة عادة التدخين ويصرفون مبالغ هائلة لهذا الغرض، غرض التخلص من التدخين ، إنه من غرائب الدنيا ، غير أنها هى الحقيقة المرة أن السكائر أغلى فى أوروبا منها فى الشرق ، و على هذا ترى أن نسبة التدخين أعلى فيها من الشرق .

إن التدخين يلوث الجو الذى نحصل منه على الأوكسجين وليس بخاف على أحد أن الأوكسجين من ضروريات حياة الانسان و الحيوان والنبات ، قل لى بالله عليك كيف يكون موقفك لو أتى أحد وكدرلك الماء الذى تشرب منه ؟ فكيف يحق لك أن تلوث لنا الهواء الذى نستنشق منه و هو ضرورى لحياتنا بحيث يقوم بعدة أعمال فى الجسم مثل تنقية الدم عن طريق الرئتين .

يلاحظ أى مسافر إلى القارة الأوربية اليوم أن من ضمن مكافحتهم ضد التدخين حفاظاً على صحة غير المدخنين أنهم قد خصصوا عربات خاصة فى القطار لغير المدخنين وعليها لافتات مكتوب عليها بأكثر من لغة ، عبارة « ممنوع التدخين لطفا » و يلاحظ شيئاً شبيها بهذا فى الطائرات حيث خصصوا المقاعد الامامية لغير المدخنين و هناك دراسة لتطبيق هذا النظام على بقيـــة وسائل النقل مثل سيارات الأجرة

و الحافلات ، وقد اتخذوا خطوات صارمة لتطبيق هذا و يعاقب كل مخالف بغرامة لا تقل عن عشرين جنيهاً استرلينياً أو بالسجن لمدة معينة .

اتخذت هذه الخطوات لصالح الأشخاص الذين يعرفون أهمية صحتهم و يقدرونها حق تقديرها وعلى هذا الأساس تراهم يفضلون الجلوس فى غرفة بمفردهم بدل الجلوس فى مكان فيه من يتعاطون كل أنواع التبغ (فليعلموا أن التدخين عادة تسبب الجلطة) .

روى عن رسول الله ﷺ إنه قال فيما معناه : « من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا أو فليعتزل مسجدنا ، و ليقعد فى بيته » (الشيخان) ، أو كما قال : « أوجب على من أكل الثوم أو البصل عدم الاختلاط بالناس الذين يصلون صلاة الجماعة بسبب رائحة ما أكله لأن تلك الرائحة كريهة و تؤذى المسلمين بالمسجد » .

لنعمل مقارنة بسيطة بين رائحة آكل البصل و رائحة شارب الدخان ، إن الرائحة التى تخرج من شارب السكائر الكثيرة تقارب رائحة الدوريان (فاكهة غلافها الخارجى شائك جدا و حجمها فى حجم الشمام و فى داخلها حبوب كبيرة مغطاة بقشرة ناعمة بيضاء لذيذة الطعم حلوة و لها رائحة كريهة جداً ، تكثر هذه الفاكهة فى خط الاستواء وتسمى فى إندونيسيا بالدوريان) بيد أنه يمكن إزالة رائحة الثوم والبصل و الدوريان بمجرد أكل الحمضيات وخاصة البرتقال أو الخيار، كما أنها لا تعلق بثياب جلسائك أما رائحة التبغ فلا تزول بهذه السهولة ، إنها تعطى رائحة كريهة للفم والثياب مدة طويلة .

من الملاحظ أن المدخنين يسعلون كثيراً وتبقى آثار السجائر على أسنانهم وعلى الأصابع التى تمسك بالسجائر .

يسبب التدخين تجمع مادة مثل عام الدخان فى رئة المدخن و فى حلقه و فى شرايينه و مثل هذا التجمع لهذه المادة الشبيهة بالدخان له عواقب وخيمة على صحته.

قد نهى الرسول عليه الصلاة و السلام الذين يأكلون البصل من الاقتراب من المساجد أو بالأحرى من اشتراكهم فی صلوات الجماعة لئلا يؤذوا الآخرين برائحتهم الكريهة ، فماذا نقول عن المدخنين إذن ؟ ؟ .

إنه من غرائب الدهر أن ترى بعض الناس الذين ينتسبون إلى الاسلام أنهم يشربون السجائر بعد الوضوء وقبل الصلاة ، تراهم يطفئون السيجارة أمام باب المسجد و يدخلون المسجد و يصلون وراء إمام مع بقية المصلين ، هل يقومون بهذا جهلا منهم أو تعمداً ؟ .

من المسلم به أن التدخين يؤثر على الجهاز الهضمی ويسبب فقدان الشهية للاكل ، و يقلل لدى البعض الدافع الجنسی ، كما و يسبب فی بعض الأوقات الامساك ، ولا يخفى على كل ذی لب حكيم أن التدخين من الأسباب الرئيسيـــة لمرض السرطان : سرطان الرئة وسرطان المعدة وسرطان الشفة ، وقد يسبب التدخين سكتة قلبية وهو مرض خطير كما تعلمون .

سبب وفاة ملوك بريطانيا :

كتب أوليفر جيلی المراسل الطبی لساندی تايمز مقالا قيما عن التدخين فی مجلة ريدار دائجست الشهرية لشهر يناير ١٩٧٨ تحت عنوان « التدخين قاتل للملوك و رؤساء القوم » .

يقول الكاتب فی مقاله : إنه لدى دراسته لحياة أربعة من ملوك بريطانيا فی الفترة الأخيرة تبين أنهم كانوا يسرفون فی التدخين و كان هذا التدخين من الأسباب الرئيسية فی وفاتهم ، و استمر يذكر أسباب وفاة كل واحد منهم فيقول :

كان الملك إدوارد السابع هو الذی جعل التدخين مشهوراً و مقبولا و محترماً اجتماعياً ، إنه كان يشرب السيجار و سكارتين قبل الافطار و كان معدل تدخينه اثنا عشر سيجارا ضخما وعشرين سجائر عادية .

أصيب ادوارد فى الاربعينات من عمره بمرض الالتهاب الشعبى أصابة بالغة ونصحه الأطباء بالتقليل من السجائر وذهبت نصائحهم أدراج الرياح و فى الستينات خف عقله ومات وعمره ٦٨ سنة .

كان الملك جورج الخامس مدمناً فى شرب السجائر بحيث كانت تنتابه نوبات النزلة الشعبيـــة المتـــكررة و سببت أخيراً مرض الالتهاب الشعبى المزمن و مات فى ٧٠ من العمر .

تقول التقارير الطبية أن سبب مرضه المباشر هو بعدوى تسمم ميكروبى الفيروس مثل مرض الانفلونزا .

بدأ الملك جورج السادس وأخوه إدوارد الثامن شرب السجائر عندما كانا فى البحرية و كانا بين الثانى عشر والثالث عشر من العمر .

كان الملك جورج السادس يشرب ما بين أربعين وخمسين سيجارة فى اليوم وأصيب بمرض شديد فى شرايينه نتيجة التدخين مما تسبب عنه إجراء عملية جراحية لسرطان الرئة وأزيلت الرئة اليسرى التى كانت قد تلفت كثيراً ومات فى سنة ١٩٥٢م بسبب القلب الأكليكى و كان هذا بسبب التدخين .

كان أخوه دوق وندسور (إدوارد الثامن) كثير التدخين مثله و كان سبب وفاته مرض سرطان الحلق الذى نتج عن الادمان فى التدخين .

كتبت مقالات قيمة عن التدخين فى كبريات المجلات العالمية مثل التايمز اللندنية و الجارديان بأقلام أناس من أمثال الدكتور كانث بيل ، كل هذه المقـالات تقوم بحملة واسعة النطاق لمكافحة التدخين .

كربون الأكسيد الأحادى :

تقول الأرقام إنه فى بريطانيا فقط يموت ما لا يقل عن ٠٠٠ ر ٤٠ شخص

سنوياً بسبب مرض التاجى .. و أن ٠٠٠ ر ١٠ منهم يموتون بسبب إدمانهم فى التدخين .

يقول الأطباء : إنه يوجد النيكوتين وكربون أكسيد الأحادى فى التبغ يسبب النيكوتين افرازاً لاردينالين و هذا بدوره يزيد من عمل القلب و يزيد من شحم الدم ويشجع ضغط الدم فى أوعيته .. أما الكربون الأحادى يجمع فيجمع الهيموجلوبين ويخفف من توزيع الأكسجين إلى عضلات القلب .

أما بالنسبة لأولائك الذين يستعملون السيجائر أو الغليون فانهم يعرضون أنفسهم لمرض سرطان الشفة و الحنجرة والكوسوفلاغاس .

إن التدخين يؤذى الأشخاص الجالسين بالقرب من المدخن وقد نهانا الاسلام عن أيذاء الجار ويعتبر الجليس بمرتبة الجار ويأتى الايذاء بسبب الدخان الذى يدخل فى عيونهم و مناخيرهم كما و إنهم عندما يتنفسون يتنفسون الغاز و النيكوتين .

يجب على الحوامل الامتناع عن التدخين وذلك لانهن لو شربن السجائر قد قد يسبب هذا العمل قتل الجنين أو إلى الاسقاط أو إلى ولادة أطفال قد فارقوا الحياه ، و ذلك لان الجنين يمتص كربون الأكسيد الأحادى ضعف ما تمتصه الأم .

ولا يخفى على أحد أن كربون الأكسيد الأحادى واحد من الأجزاء التى تكون من دخان السيجارة و يكون ذلك نتيجة حريق غير كامل لعدم وجود كمية كافية من الأوكسجين والكل يعرف أن كربون الأكسيد الأحادى يكون سبباً فى تسمم التنفس البشرى لوجود تشابه بين هيموجلوبين الدم وزيوت الأكسيد الأحادى ، و بهذا بعد أن يؤخذ كربون الأكسيد الأحادى إلى الرئتين ينشئ الهيموجلوبين معه صلة بحيث تبقى جزئيات كربون الأكسيد الأحادى كمسافرين دائمين على جزئيات الهيموجلوبين ، و بهذه الطريقة يقلل عدد جزئيات الهيموجلوبين الموجودة لنقل الأوكسجين .

صور و أوضاع :

مأساة إنسانية تقشعر منها الجلود

واضح رشيد الندوى

كانت مدينة بوفال مسرحاً للكارثة الانسانية التى اهتزت لها أرجاء العالم كله
قلت أخبارها و تفاصيل فظائعها ، و تقارير حدوثها فى الصحف و الاذاعات ،
. أدت الكارثة إلى مقتل أكثر من ٢٥٠٠ شخص و إصابة آلاف ، و تعرض
اف آخرين للخطر ، حتى الجنين فى بطن الأم لم يأمن خطرها ، و تجددت بهذه
ارثة الانسانية ، فى الذاكرة فظائع الحرب العالمية الثانية التى ألقيت فيها القنبلة
رية فى « هيروشيما » و « ناجاساكى » التى لاتزال تسمم الجو ، وتستمر سلسلة الاصابات
الوفيات فى المنطقة .

لقد كثر الحديث عن سبب الحادثة ، و عن تعيين المسئولية عنها ، على غرار
يمة المجرمين الذين يحولون المسئولية إلى غيرهم ويحاولون أن يتنصلوا عن المسئولية ،
جأون إلى التلاوم ، فوجهت روسيا اللوم إلى أمريكا ، لأنها كانت صاحبة
متياز فى الشركة التى تصنع الغاز السام ، و فعلت الهند على غرار ما فعلته روسيا
جهت اللوم إلى الشركة الأمريكية و طالبت بالتعويضات ، و يجرى النقاش حول
ضوع ، بينما تركت جثث الموتى المبعثرة للانسان و الحيوانات على رحمة المنظمات
لوعية ، و عاد المسئولون الكبار إلى دوائر انتخاباتهم .

و لكن من وراء الستار تظهر جوانب أخرى ذات أهمية ، وثارت تساؤلات

كثيرة حول الغاز السام الذى يجرى إنتاجه فى المنطقة ، و المنـاطق الأخرى ، و أهميتها ، و مفعولها فى الحرب و السلم .

لقد أدى خروج جزء من الغاز من المصنع إلى مقتل أكثر من ٢٥٠٠ شخص حسب التقارير الرسمية ، و أكثر من خمسة آلاف حسب التقارير غير الرسميـة ، وأفادت التقارير بأن الذين قتلوا ، لاقوا حتفهم فى أقل من نصف ساعة من الاصابة بالغـاز ، حدث كل ذلك بدون قصد و إرادة و تخطيط ، فاذا استخدم هذا الغـاز بتدبير ، و بطريق معين فانه قد يدمر المنطقة بكاملها .

إن وجود مثل هذه المصانع فى بلاد نامية كالهند يدل على أن معرفة صناعة مثل هذه الغازات السامة قد عمت وشاعت و أن التكنولوجيا الحديثة تتجه الآن إلى استهداف حياة الانسان .

فقد علم أن مثل مصنع بوفال توجد مصانع فى « برودا » وأماكن أخرى فى الهند ، و أن التدابير اللازمة لوقاية تسربها ، و انفجارها مفقودة ، فهى دائماً موضع الخطر لحياة الانسان .

و أفادت التقارير بأن الغاز الذى كان قد استخدمته ألمانيا النـازية فى الحرب العالمية كان يستخدم لصناعة الغاز الذى أدى إلى مقتل هذا العدد الكبير من الناس ، و بذلك يمكن أن يقدر خطر الغاز الأصلى الذى صنع به هذا الغـاز ، وقد كان الاتحاد السوفياتى قد أعلن قبل مدة أنه يملك مادة سامـة تقضى على كل ذى حيـاة ، فى دقائق .

لقد كان العالم يخشى تساقط الغبار الذرى ، و تفشى أسلحة نووية ، و كانت التدابير تتخذ لفرض الرقابة عليها ثم نشأت مسألة القنابل الكيماوية التى بدأت تنتشر فى العالم ، و لكن حادثة تسرب الغاز السام فى بوفال تنم عن خطر أكبر من

القنابل الذرية ، و الكيماوية ، و تنذر بأن الانسانية اليوم واقفة على شفا حفرة من النار ، نتيجة لتسخير العلم للاغراض المادية

لقد ذهبت أرواح ٢٥٠٠ شخص ضحية الغاز ، نتيجة لحادثة وقعت بخطأ إنسانى . هندى أو أمريكى ، و بدأ الناس ينسون هذا الحادث فى خضم الانتخابات و نتائج الانتخابات التى تخوضها البلاد ، و ستذهب هـــذه الحـادثة كأى حادثة أخرى فى دفاتر التاريخ ، لأن الانسان فقد قيمة حياته ، و كرامته و شرفه و أهمية وجوده ، و تعود الناس أن يسمعوا أرقام الوفيات و الخسائر ، لقد سمعوا أن ملايين من الناس يموتون جوعاً فى إفريقيا . و آلافاً من الناس يموتون فى مناطق تجرى فيها الحرب ، و مآت من النـاس يموتون فى حادثة تحطم طـائرة ، و اصطدام قطار ، و لـكن لا تحرك هذه الأخبار ساكناً .

كان هدف الحضارة الجديدة رفع مستوى المعيشة للانسان و قد حقق فيه انتصاراً عظيماً ، فيعيش بعض الناس بمستوى ما كان يدور بخلد الملوك و الأباطرة فى الماضى ، لكنه أغفل جانب صيانة حياة الانسان ، و إن تحول العالم إلى الحرب الكيماوية يدل على أن الحضارة المعاصرة لا تعطى الانسان أى أهمية ، و إنما تهمها الوسائل والمنشآت والآلات بل تطورت فى الانسان طبيعة اسعاد نفسه بشقاء غيره .

لقد بلغت القسوة والجشع فى طبيعة القادة المعاصرين مبلغاً لا يتحرك ساكنهم بوقوع أى حادث و على العكس يجعلون مثل هـــذه الحوادث لشقاء الانسان وسيلة لكسب منافع مادية ، و ينتهزون الفرصة وهو أكثر خطراً من الكارثة الانسانية التى تذهب فيها أرواح الانسان .

و لا يفلح الساحر حيث أتى

سينفد الاتحاد السوفيتى كل ما كان فى كنانته وجعبته فى أفغانستان حيث تجرى

مسرحية دامية تسبب شقاء الملايين من السكان الأبرياء بأيدى القوات السوفيتية التى تدمر المناطق الآهلة بالسكان بكاملها ، و تدع آلافاً من النـاس فى العذاب الأليم بقنابل محرقة غازات سامة ، يتعرض لها الأطفال والنساء، والقرويون المسالمون .

و قد أفادت الأنباء الأخيرة أن القوات السوفيتية بدأت توثر الآن أن تحارب من الجو لأنها لا تأمن على عملياتها و جنودها هجوم المجاهدين الباسلين على الأرض ، فتكتفى بقصف معاقل المجاهدين ، واستخدام أقصى المواد الحربية والمدمرة لتحطيم صلب المقـاومـة بعد أن أصيبت بخيبـات نكراء فى الحرب الميدانيـة ، لأن المجاهدين يطورون وسائل لمواجهتها ، و القضاء عليها ولم تعد القوات السوفيتية تتحرك بسلامة و حرية فى الأراضى الأفغانية ، وقد خسرت حتى الآن عدة آلاف من خيرة جنودها و ضباطها ، بالاضافة إلى كميات هائلة من المعدات الحربيـة التى يسيطر عليها المجاهدون و يستخدمونها ضد قوات الاحتلال نفسها ، وسيتمكن المجاهدون من تطوير وسيلة لمواجهة الغارات الجوية ، و قد علم أخيراً ، أن المجاهـدين يتزودون بقذائف «سام» لاسقاط الطائرات السوفيتية ، التى تطلق القنابل المدمرة .

كان استخدام الغاز السام و تطوير أسلحة كيماوية أحدث وسيلة للحرب وقد ظهر هذا الاتجاه لدى الدول الكبرى التى تفتقر إلى الطـاقة البشرية ، و يغلبها حب الحياة ، وكره الموت ، ففكرت فى اختيار وسيلة يمكن بها تفادى خسائر فى الأرواح فى جانبها و تكبيد العدو بخسائر فادحة فى الأرواح و استبقـاء المنشآت ، والثروات و المصانع ، و الذخائر لاستغلالها و الانتفاع بها ، و قد جربت الولايات المتحدة فى فيتنام أن العزيمة و القوة الارادية فى الشعوب لا تقهر بالسلاح ، و بعد خسائر لا تقدر بقيمة ، أرغمت على الخروج من فيتنام متخاذلة ، مقهورة .

وسيدرك الاتحاد السوفيتى أيضاً عاجلا أو آجلا ـ باذن الله ـ أنه لا يستطيع أن يقهر الشعب

الأفغانى الذى يفوق شعب فيتنام فى الايمان ، و الشوق إلى الشهادة ، و روح الفداء و حب الموت ، الشعب الذى يكره الحياة بذل و مهانة و عبودية ، و تنازل عن القيم ، فأثبت معدنه ، و سجل مثالا للبطولة و الفداء ، و إن الخسائر الجسيمة التى منيت بها روسيا قد أرغمتها على التفكير فى الحرب لتفادى هذه الخسائر و تلجأ إلى الغارات الجنوبية .

لقد أكملت الحرب السوفيتية الأفغانية عامها الخامس ، ولو لم يكن قادة الاتحاد السوفيتى مجردين عن الحياء و الغيرة ، و العقل السليم لما واصلوا الحرب التى لم تكسب لهم إلا الخزى والعار ، وسلسلة من الهزائم ، و كبدتهم بخسائر جسيمة ، ولكنهم يواصلون الحرب بطريق أو آخر ، لفقدان الشعور الانسانى إلى أن يحاربوا فى عقر دارهم .

كانت هذه الخسائر الجسيمة التى تتضخم كل يوم و ارتفاع الروح المعنوية للمجاهدين ، و خيبة القوات السوفيتية فى الاستيلاء رغم مرور أكثر من أربع سنوات من الحرب كاملة و إدانة الرأى العام يكفى لكل ذى عقل أن يراجع الحساب ، و يحلل الأسباب ، ولكن الاتحاد السوفيتى يفقد هذا العنصر فيواصل الحرب و يزيد القسوة والبربرية ليحكم ولو على الأشلاء ، و يوسس بجده و لو على الأنقاض ، ويسول له عملاءه فى كابل أنه سينتصر يوماً ما ، ولكن تضحيات الشعب الأفغانى المسلم الأبى الباسل لن تذهب سدى ، مهما طال الزمن ، فانهم يكتبون بدمائهم تاريخاً جديداً للنضال ضد الظلم و الطغيان و الاحتلال الأجنبى ، و سيتوج كفاحهم بالنصر العزيز مهما طال الزمن و قسا .

لقد استخدم الألمان الغاز السام ضد الاتحاد السوفيتى ، و قهروا بلاداً كثيرة سقطت أمامهم كأوراق الخريف ، و تحمل الاتحاد السوفيتى نفسه القهر والاستبداد

النازى و اهتزت الأرض بانتصارات الألمان و استبداد النازيين ، و لكن تحررت سائر الدول التى قهرها النازيون بمدافعهم وقنابلهم ، و ذهب أبطال الحرب إلى مجاهل التاريخ ، و لم يجدوا مكاناً حتى فى المتاحف ، كذلك سقطت امبراطوريات أوربية كثيرة فى آسيا و أفريقيا ، و تحررت الشعوب المناضلة .

لقد تعلم العالم اليوم المكر والخداع و التزوير و التعذيب و التنكيل ، و تسميم الأجساد و تسميم الأذهان من النازيين ، فتمارس دول كثيرة من الدول المعاصرة أقسى الوسائل على الشعوب المستضعفة و لكن سيكون مصير هؤلاء المقلدين للنازيين مصير أستاذهم ، و ستصبح دولهم ومستعمراتهم إرثاً يوزع ، ويمحى أثرهم واسمهم ، و « إن الأرض لله يورثها من يشاء ، و العاقبة للمتقين » .

إن الحرب التى تجرى فى أفغانستان ليست نضالا قومياً ، و لا وطنياً ، و إنما هو الجهاد ضد قوى الالحاد ، و الظلم و الطغيان ، و لن تظهر آثار هذا الجهاد فى أفغانستان وحدها و إنما تظهر فى كل أرض تتصارع فيها قوى الشر و قوى الخير . وسينتصر الحق فى وجه الباطل ، و لله جنود السموات والأرض ، و هو مصرف الأمور ، فلن يكون من الغريب إذا مادت الأرض من تحت أقدام القادة السوفيت ، و خرجت بلاد من سيطرتهم و ثارت على أفكارهم المذهبية فقد خسروا الصين ، عسكرياً و سياسياً ، و الآن يخسرونها مذهبياً و فكرياً و ليس على الله بعزيز أن تحدث ثورة مماثلة فى داخل الاتحاد السوفيتى و يتجرأ أحد ممن له قوة وطول ويقول إن الماركسية بالية واللينينية تافهة ، فيمسى المواطن السوفيتى شيوعياً ، و يصبح عدواً للشيوعية ، أو يواجه الاتحاد السوفيتى تيارات و عواصف فكرية .

و لا يوجد عاز لمواجهة هذا للتحول و الانقلاب ، و لا عاصم من أمر الله إلا من رحم .

★ الاتحاد الاسلامى العالمى للنظمات الطلابية يعقد مؤتمر دولياً ★

عقد الاتحاد الاسلامى العالمى للنظمات الطلابية مؤتمره الدولى السادس تحت شعار (المسلمون اليوم) ، فى الخرطوم خلال الفترة من ٢٣ - ٢٧ من صفر ١٤٠٥هـ الموافق ١٧ - ٢١ نوفمبر ١٩٧٤م ، و قد حضرت المؤتمر المنظمات الاسلامية من إفريقيا ، و من آسيا ، و من أوربا ، و أمريكا ، و من العالم العربى : ، كما حضر العديد من المراقبين من دول أخرى .

و قد كان لانعقاد المؤتمر فى السودان معنى متميز فقد رعاه سيادة الرئيس المسلم جعفر محمد نميرى وافتتحه ، وطالبه بالمزيد من الانجازات والعمل والتعاون البناء ونبذ الخلافات .

و لقد أنجز المؤتمر قضايا عديدة مما يتصل بالمسلمين و دولهم فى مجال الدعوة الاسلامية ، كما اتخذ عشرة قرارات عن أوضاع المسلمين فى العالم كله .

ندعو الله تعالى للاتحاد الاسلامى مزيداً من التقدم و الازدهار و التوفيق .

فضيلة الأستاذ عبد الرحمن پرواز الاصلاحى فى ذمة الله

فوجئت أسرة المجلة بوفاة أحد الأساتذة والمؤلفين فى « مجمع دار المصنفين » بأعظم كره ، فى الأسبوع الثانى من شهر ربيع الأول عام ١٤٠٥هـ ، وهو فضيلة الأستاذ عبد الرحمن برواز الاصلاحى ، أحد رفاق وأعضاء هيئة التأليف والترجمة فى مجمع «دار المصنفين» وذلك إثر نوبة قلبية ألمت به لجأة من غير مرض مسبق ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأستاذ عبد الرحمن سليل أسرة علمية و دينية فقد كان والده الشيخ محمد شفيع أحد مؤسسى مدرسة الاصلاح بمديرية أعظم كره ، و قد وفق الأستاذ عبد الرحمن إلى أعمال علمية عـديدة فى مختلف المراكز الدينية ، و فى الأخير انضم إلى هيئة التأليف بدار المصنفين ، و كان مشغولا بوضع كتاب حول تراجم العلماء المفسرين فى الهند ، و له مؤلفات عديدة أخرى باللغة الأردية .

إن وفاته تعتبر خسارة للاوساط العلمية فى الهند ، ندعو الله سبحانه وتعالى أن يشغل الفراغ الذى حدث من وفاته بعوض طيب ، ويجزيه فى آخرته أحسن جزاء ، و يغفر له زلاته و يدخله فسيح جناته ، و يلهم أهله و ذويه الصبر و السلوان .

one : 72336
: 73884
REGD. NO. LW/NP 59
ALBAAS-EL-ISLAMI
NADWAT-UL-ULAMA, LUCKNOW. (INDIA)

قام بالطبع و النشر جميل أحمد الندوى فى مطبعة ندوة العلماء ـ رئيس التحرير: سعيد الأعظمى

شعارنا الرجوع إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

تصدرها ندوة العلماء، لكهنو، الهند

أخي القــارىء :

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

حرصاً على تأمين و سلامة وصول المجلة إليك نرجو :

١– كتابة العنوان بالانجليزية و العربية كلتيهما فى ورقــة خاصة ، كل حرف على حدة ، و إرساله إلينا .

٢– إرسال اشتراك بالقيمة المبينة أدناه باسم « البعث الاسلامى » مقابل عام واحد أو أكــثر :

٣– أرفق شيك الاشتراك ضمن مظروف مسجل إلى العنوان المذكور أدناه .

الاشتراكات السنوية

فى الهند : ٤٠ روبية ، ثمن النسخة : أربع روبيات .

فى العالم العربى ١٢ دولاراً بالبريد السطحى ، ٢٥ دولاراً بالبريد الجوى .

فى أوربا و أفريقيــا و أمريكا : ١٢ دولاراً بالبريد السطحى ، ٤٠ دولاراً بالبريد الجوى .

فى باكستان و بنغلاديش و دول شرق آسيــا : ١٢ دولاراً بالبريد السطحى ، ٢٥ دولاراً بالبريد الجوى

A L B A A S E L I S L A M I

N A D W A T U L U L A M A

P. O. Box No. 93 LUCKNOW (INDIA)

أنشأها
الأستاذ محمد الحسني رحمه الله عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م
لسان الندوة لسان الأمة الإسلامية
البعث الإسلامي
شهرية إسلامية جامعة
سعيد الأعظمي الندوي رئاسة التحرير واضح رشيد الندوي

العدد التاسع — المجلد التاسع والعشرون ★ جمادى الثانية ١٤٠٥هـ — فبراير و مارس ١٩٨٥م

عنصر الحب

إذا استعرضنا المجتمع الاسلامى فى القرن الأول وجدناه مشرقاً بنور من الحب والأخوة و السلام ، والتاريخ الاسلامى حافل بأمثلة رائعة من هذه الناحية يندر نظيرها فى تاريخ الأمم الأخرى ، وإذا فكرنا اليوم فى أحوال المسلمين وأمعنا النظر فى الأوساط الدينية والهيئات الاسلامية واستعرضنا هذه المشكلات ، التى تعترض الركب الاسلامى فى كل مكان رأينا أن السبب لذلك كله هو عدم العناية بالحب والاستهانة بأهميته فى الدين الاسلامى وضرورته للمجتمع الانسانى .

فليتخذ شبابنا المسلم شعاره الأول « الحب و الاخلاص » ومهمته الأولى إذاعة الحب بين الناس حتى تتبدد تلك الظلمات الكثيفة التى أحاطت بالمسلمين هذه الأيام ، فهو حجر زاوية فى بناء الاسلام ، نادى به القرآن العظيم و ندب إليه الرسول الكريم وعمل به المسلمون فى القرون الأولى .

[محمد الحسنى ـ رحمه الله]

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

العمل للاسلام و الشباب المطلوب !

لقد أصبحت التحركات الشبابية اليوم حديث كل بلد، نظراً إلى اليقظة العامة التى شملت النشاطات الانسانية و المجتمعات البشرية فى العالم كله، فبدأ الشباب يشعر بشخصيته ويدرك قيمته فى مجريات الأمور، وما يستطيع أن يؤديه من دور مهم جداً فى توجيه الأمم و الشعوب نحو مستقبل زاهر، وقد أولت جميع الطبقات الانسانية عنايتها بدور الشباب المرتقب، و أحاطته بالرعاية التى تستحقه فى الأنشطة العامة والخاصة، وخصصت له مجالات للعمل تابعة لأجنحة الشباب، فالأحزاب السياسية والجماعات الدينية كلها تعتنى بهذه الناحية وتمنح للشباب فرصاً سانحة للبروز إلى ساحة العمل، و تنظيم طاقاته على أساس المصالح العامة و الخدمات الانسانية، خاصة إذا كان المجتمع المعاصر بحاجة إلى عاملين مخلصين فى كل قطاع من الحياة فانه يستخدم لذلك وسائل التشجيع و الاغراء فى أوساط الشباب وعطف قواهم نحو الاسهام فى بناء الحياة الاجتماعية وتوجيهها إلى مجالات حيوية من الأمن والرخاء والتقدم والقوة.

يبرز الشباب اليوم كوحدة مستقلة ويتحمل مسئولية المشاركة فى إنجاز برامج عملية من كل نوع، من غير أن يخامره شئ من مخاوف الطريق ومخاطر المستقبل، إنه يريد أن يؤدى واجبه بغاية من التأكيد والقوة، ويحقق النتائج السريعة فى مجاله، ويقدم إلى أمته ثمار الجهود التى يقوم بها، و قد يحاول أن يثبت كفاءته فى نطاق العمل الذى يتولاه فيعتبر عاملا بناءاً قوياً فى وطنه و أداة فعالة فى جهاز المجتمع التنظيمى والادارى، حتى إن الاتجاه العام فى المجتمعات الانسانية، ولاسيما فى الدول

النامية بدأ يتجه نحو قيادة الشباب وجعلت الشعوب فى هذه الدول بوجه خاص تبدى ولاءها لمثل هذه القيادات ، وترحب بالدم الشاب (Young Blood) لتسيير دفة البلاد، بعد ما شاخت القيادات وعاد منها الشعب بتجارب مريرة فى معظم الأحوال ، فى تطلعاته نحو بناء المستقبل ، و التقدم فى مجالات الأمن و الرفاهية ، و فى حل المشكلات المنوعة التى تعيشها البلاد و المعاناة التى ترزح تحتها من أمد بعيد .

و لا شك أن المشكلات السياسية و القضايا الاجتماعية التى واجهت هاتيك الدول لم تمارس بالجدية المطلوبة ، فظلت من غير حل ، و استنفدت من الطاقات الفكرية والمادية ما يصعب تصوره و إحصاؤه ، والواقع أن مثل هذا الوضع العقيم فى أى بلد لا يستطيع أن يسمح النظام بالسير على مساره الطبيعى ، بل لا بد من حدوث أحوال تثير الاستياء العام ، و أحيانا تؤدى إلى ما يشبه ثورة اجتماعية وسياسية ، ذاك أن الشعب فى أى دولة لم يعد أمياً بعيداً عن الوعى السياسى والثقافى ، بل إنه بفضل التقدم العلمى و الاتساع الثقافى الذى عم الأوساط الشعبية اليوم يتمتع بالوعى العام، و إدراك مقاييس الخير والشر ، و وضع الأمور فى ميزان الاعتبار ، فلا عجب مما إذا اتجهت تطلعات الناس إلى الشباب فى حل القضايا المزمنة ، و قيادته للبلاد و الأمة ، مع ما نراه من إقبال الشباب على تحمل المسئولية و أدائها بدقة .

إن منطلق هذه الموجة الشبابية التى نلمس آثارها و نشاهد تيارها فى كل بلد و مجتمع ، يمكن أن يوجد فى ظاهرتين اثنتين :

١ــ المنهج التعليمى الذى يسود مراكز التعليم و التربية و الثقافة ، فانه يتضمن من المواد ما يثير فى طلابه روح الاهتمام بالمسائل و القضايا ـ سواء بطريق إيجابى أو سلبى ـ و يبعث فيهم الطموح و التطلع نحو التدخل فى الشئون الحيوية ، كخطوة حتمية ـ فيما يزعمون ـ إلى بناء مستقبلهم ومستقبل بلادهم ، وبالتالى مستقبل الانسانية.

٢- أما الظاهرة الثانية التى تبعث الشباب على اعتداده بنفسه و الشعور بأهميته هى إخفاق القيادات السياسية و الاجتماعية فى إنقاذ المجتمعات الانسانية من متاهات الحيرة و الشقاء ، و فى توفير أسباب الأمن و السعادة لها ، و هذه قضية معلومة لدى كل عاقل يزن الأمور بميزانها العادل ، و ينظر إليها نظرة محايدة من غير محاباة و لا مداهنة .

ولم تعد تحركات الشباب محصورة فى الأوساط السياسية و الاجتماعية العلمانية فحسب ، و لكنها توافرت فى الأوساط الدينية ، و فى مجال العمل للاسلام ، فقد خرج الشباب المسلم من الجامعات و المدارس و من كل مكان لكى يساهم فى مهمة الدعوة الاسلامية ، و خدمة الاسلام كنهج للحياة و رسالة خالدة للانسان ، وطريق واضح لسعادته ، وبنشاط موسع فى هذا المجال الخصب باستخدام كل ما تيسر له من الوسائل الحديثة و المؤهلات الثقافية و الخبرات الفنية التى يتجلى فيها الذكاء والعبقرية و العلم ، فان المنظمات الطلابية و الاتحادات العالمية للطلاب المسلمين ، و جمعيات الشباب المسلم و نشاطاته فى أوربا و أمريكا لأكبر دليل على هذا الواقع ، و ليس فى مراكز الحضارات المادية وحدها ما يوفر لنا شهادة على روح الدعوة و العمل الجاد فى شبابنا ، بل إنه يقوم اليوم بنفس الروح والطاقة فى الدول النامية فى الشرق كذلك ، و يؤدى واجبه نحو العمل فى سبيل الاسلام ، و له جمعيات و منظمات تساعده على القيام بالواجب مع ملاحظة الاستراتيجية المنشودة فى العمل الدعوى ، و مراعاة الظروف الفردية و الاجتماعية من كل نوع .

هذا الشباب المسلم الذى يقوم بأداء واجبه فى مجال العمل للاسلام هو متخرج فى مدرسة الدعوة على رجالها العلماء و الدعاة الذين تناولوهم بالتربية و سهروا على توجيهه الخلقى والدينى بشئ كثير من العناية والشعور المرهف بالمسئولية ، فهو نتيجة

الاخلاص و التضحية و الجهاد لاعلاء كلمة الاسلام ، و هكذا دأب الاسلام تربية الشباب و إعداده للعمل فى سبيل الدين والعقيدة والحق . منذ فجر التاريخ يومنا هذا ، فقد عنى داعية الاسلام الأول نبي الرحمة المبعوث من الله رب العالم بتربية و تخريج أجيال الشباب من صحابته رضى الله عنهم ، و لم تنقطع هذه السل الذهبية فى فترة من تاريخ هذا الدين وإنما ظلت مدرسته تؤدى هذه الوظيفة المقد على أيدى رجال جمعوا بين فهم الدين الصحيح و أسلوب الدعوة المنتج .

و كلما برز على ساحة الدعوة دعاة عاملون ركزوا على مهمة تربية و تو الشباب حرصاً على استمرار العمل للاسلام فى كل زمان و مكان ، و لذلك الدعوة الاسلامية لم تفقد فى أى عصر من عصورها جماعة من الشباب المتحم الذى يرى من سعادة حياته أن يحمل راية الدعوة إلى الله ولا يبخل ببذل الرخي و الغال فى إنجاز مهمته ، و قد كان التوفيق حليف البعض من الدعاة الم فبرزوا فى هذا المجال بكسب و جمع عـدد ضخم من الشباب المسلم الواعى ، ح دعوته و جهاده ، ففى الماضى القريب لا يكـاد التاريخ ينسى السيد جمال ال الأفغانى ، ذلك المصلح الثائر الذى استطاع بسحر خطابته وجاذبية دعوته وباخلا للهدف أن يجمع حوله نخبة طيبة من الشباب و يثير فيهم الحمية الدينية و الثو ضد الاستعمار ـ بصرف النظر عن التحقيق الجديد فى شخصيته و نواياه ـ ولـ مع كل ذلك لم يتمكن من منح الشباب قوة حركية فعالة مستمرة على المست العالمى ، و من جمعهم على هدف الدعوة إلى الاسلام و إعلاء كلمة الله فى ج المجتمعات الانسانية و الثورة على كل باطل و المحاربة ضد كل طاغوت .

و لـكن الله سبحانه و تعالى قيض فى الزمن الأخير الامام حسن ـ رحمه الله ـ فى مصر للقيام بهذا الواجب ، فاستطاع بتوفيق من الله و بتجم

و إخلاصه ، و تفانيه فى سبيل الدعوة إلى الاسلام أن يسترعى انتباه الناس على اختلاف مذاهبهم و نظرياتهم ، إلى دعوته ، و يشعر الشباب المسلم بقيمته فى هذا المجال ، و ضرورته فى تعميم المنهج الاسلامى للحياة بين الناس كافة ، و قد ركز على تربية و توجيه الشباب المسلم الذى التف حوله — بأمر من الله — و تناوله بالحب و العقيدة ، و أشعل فيه جمرة الايمان واليقين وغرس فى قلبه الثقة بالاسلام و خلود رسالته و صلاحيته للحياة فى كل زمان ومكان ، و الاعتقاد الكامل الراسخ بأنه «فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

و وفق إلى تخريج جيل عظيم من الشباب للقيام بعمل الدعوة و التوجيه ، و التبليغ ، ذلك هو الجيل المسلم الذى أكرمه الله بصفات الداعية وفجر فيه من ينابيع الحكمة و الموعظة الحسنة ما تكفل بنجاحه فى هذه المهمة ، ذلك هو الجيل الممتاز من الشباب الذى تميز بالفضائل وتحلى بجوهرة الايمان و الاخلاص والتجرد و الورع ، و الاقبال على الله و الاتصال به فى جميع الأحوال و الظروف ، و الاعراض عن حطام الدنيا و الحنين إلى الآخرة وما فيها من جنة ونعيم ، مع الشعور القوى بالمسئولية الملقاة عليه من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والدعوة إلى سبيل ربه بالحكمة و الموعظة الحسنة و المجادلة بالتى هى أحسن .

قد استمر تأثير هذه التربية الدعوية من السلف إلى الخلف وانتقل هذا التراث إلى الشباب المسلم المعاصر ، الذى ينهض اليوم بأعباء الدعوة و العمل للاسلام فى العالم الاسلامى و البلدان التى يسكنها المسلمون ، و فى كل بلد يتوفر له أسباب و وسائل العمل فى مجال الدعوة و البلاغ ، و لكن الشباب القائم بالعمل للاسلام اليوم يعوزه بوجه عام القيادة الدعوية ، فهو يعتمد فى معظم الأحوال على دراسته

الخاصة للاسلام وفهمه العام لطبيعة الدعوة ، و ظروف العمل و متطلبات العصر ، وهو بطبيعة الحال يفوته أحياناً مراعاة المصالح ، وملاحظة الحكمة فى عمل الدعوة ، وقد يصدر منه بوادر التسرع فى الحكم ، و قد تبدر منه الارتجالية فى مواجهة الأوضاع ، و الحماس الزائد فى الاصرار على مواقفه حيث لا ينفع ذلك مصالح الدعوة ، بل يعارض مع حكمتها و ينافى فقه الداعية .

إن شبابنا المسلم أمانة كبيرة بأيدى الدعاة والعلماء والمربين ، وهو بضاعة غالية فى معرض الحياة ، فلابد من تركيز العناية عليه ، و توجيهه إلى الأنفع الأصلح له فى مجال العمل للاسلام ، حتى يعتبر نموذجاً مثالياً فى حياته كمسلم و داعية ، وعضو كريم للمجتمع الاسلامى ، وأعتقد أن شبابنا المسلم إذا تحلى بالصفات الاسلامية الخالصة ، من الاخلاص و التجرد ، و دافع التضحية بالنفس و النفائس ، والرؤية الصحيحة السليمة لمنهج الحياة فى الاسلام ، و الاقتناع الكامل بخلوده ، و الثقة بكونه رسالة الحياة الدائمة مع تقدير المجهودات و الأعمال التى يقوم بها المسلمون و جماعاتهم فى مجال العمل للاسلام بأى نوع كان ، ومع الالتزام بالتواضع والخشية من الله ، و التحاشى من الخلافات المذهبية و الآراء الشاذة ، والابتعاد التام عن كل ما له أدنى صلة بما يسمى الرذائل فضلا عن المعاصى و المخالفات الشرعية الظاهرة .

و من هنالك نستطيع أن نظفر ـ باذن الله تعالى ـ بالشباب المطلوب ونعتمد عليه فى نشاطاته و حماسه ، ونعلق به آمالا جساماً فى سبيل الدعوة الاسلامية والعمل للاسلام فى العالم المعاصر ، الذى هو أحوج ما يكون إلى الاسلام .

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون) ؟

سعيد الأعظمى

التوجيه الإسلامي

الشخصية الإسلامية ووجوب المحافظة عليها

سماحة الشيخ السيد أبي الحسن على الحسنى الندوى

[معان التقطت من محاضرة ألقيت فى جامعة اليرموك بأربد ، سلخ رجب ١٤٠٤هـ ، و كلمة ألقيت فى كلية العلوم العربيـة فى عمان غرة شعبان ، و كلها تدور حول الشخصية الاسلامية و وجوب المحافظة عليها ، وأهمية الحضارة الاسلامية ـ التحرير] .

بعد الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله :

أما بعد ! إخوانى و أخواتى ! يسعدنى و يشرفنى أن أتحدث اليوم فى قاعة جامعة اليرموك (١) الجامعة التى اقترن اسمها باسم أكبر معركة فى تاريخ الخلافة الراشدة ، المعركة الحاسمة الفاصلة فى التاريخ ، التى نستطيع أن نقول إنها غيرت مجرى التـاريخ ، إنه يلذ لى و يشرفنى أن أتحدث فى هـذه الجامعة العزيزة المنسوبة إلى اليرموك ، الجامعات كثيرة فى العالم و بلادى التى انتمى إليها هى مليئة بالجامعات ،

---

(١) سميت جامعة أربد بجامعة اليرموك ، لقرب ميدان اليرموك من هذا البلد ، فاذا ترك الماشى أربد بجانب و واصل سيره إلى الحدود الشمالية حتى يصل إلى المنطقة الجبلية و وقف فى قرية «أم القيس» استقبلته مرتفعات الجولان ، و ما بينه وبينها إلا واد عميق يجرى فيه نهر اليرموك منعطفاً ملتوياً و على ضفافه ميدان اليرموك .

ولكن هذه الجامعة بانتسابها إلى اليرموك حبيبة إلى نفوسنا ، فلها صلة عميقة متغلغلة فى أحشاء المسلمين ، مالكة عليهم المشاعر و العواطف ، تدل على ذلك الحكاية التى أحكيها لكم فى مفتتح هذه المحاضرة .

إننى لما دعيت لالقاء المحاضرات فى كلية الشريعة التابعة لجامعة دمشق ، وذلك سنة ١٩٥٦م و الفضل فى ذلك يرجع إلى العلامة الفاضل مرشد الاخوان المسلمين فى سوريا صديقنا الجليل الدكتور مصطفى السباعى عليه رحمة الله ، فأنزلنى الدكتور مصطفى السباعى عميد الكلية فى فندق اليرموك ، و أعتقد أنه كان تقديراً من الله من غير تخير كبير ، فكتبت كتاباً إلى أحد المؤلفين الباحثين الكبار فى شبه القارة الهندية ، قد أثرى المكتبة الاسلامية الهندية بمؤلفاته و بحوثه ، و كان رئيساً للقسم الدينى فى الجامعة العثمانيـــة فى حيدر آباد (١) و كتبت فوق الرسالة « من فندق اليرموك » و صادف وصول هذا الكتاب وجوده فى المستشفى ، فقد كان يعانى من الذبحة الصدرية ، و كان رهين الفراش ، و كان هو مرضه الأخير الذى مات فيه ، فلما وصله هذا الكتاب و اطلع على عنوان الكتاب « فنـــدق اليرموك » كتب إلى يقول : « إننى كنت مريضاً تنتابنى أوجاع القلب و كنت رهين الفراش لا أستطيع أن أنهض ولكن لما جاءنى كتابكم نفخ فى روحاً جديدة ، وكدت أرقص طرباً لقراءة اسم اليرموك (٢) فقـــد حضرتنى الذكريات الجميلة الحلوة ، تلك

---

(١) هو العلامة السيد مناظر أحسن الكيلانى (م سنة ١٩٥٦) .

(٢) ميدان معركة اليرموك جزء من حوران و يشتمل القسم الغربى منه ، كان عدد المسلمين اربعين الفاً (٤٠٠٠٠) ، و بلغ عـــدد جيوش الروم إلى ما يقرب ٢٤٠ الفاً أى ستة أمثال أعداد المسلمين ، اشتد الهجوم الاسلامى فى الوقت المنـاسب وبدأ التراجع الرومى حتى لم يبق أمامهم سوى وادى ★

الذكريات المشرفة للاسلام و المسلمين دائماً حين كان الأعداء يترامون فى وادى الواقوصة و كنا نتقدم و الدنيا تتقهقر ، ثم انقلبت الدائرة علينا و وقع ما وقع ، فكدت أغلب على أمرى ، و أخالف تعليمات الأطباء و أرقص و أطرب وأبكى .

هكذا كان أثر اليرموك فى نفوس العلماء الكبار ، فى نفوس الباحثين المؤلفين فى بلاد نائية عن هذه البلاد وعن هذه البقعة المباركة آلافاً من الأميال ، و أذكر أنه كان من الأعراف الشائعة ومن العادات المنتشرة فى أسرتنا ، أنه إذا وقع هناك حادث مفجع مثل موت بعض أعضاء الأسرة — حماكم الله وبارك فى حياتكم وحياة الجميع — كان الطريق الوحيد للتسلية ، و التغلب على الأحزان الشخصية و العائلية ، قراءة الملحمة الاسلامية التى نظمها أحد أفراد أسرتنا ، و هو عم والدى رحمه الله (١) فقد نقل كتاب « فتوح الشام » للواقدى إلى الشعر الأردى نظماً ، فتضمنت هذه الملحمة خمسة و عشرين ألف بيت (٢٥٠٠٠) وكله فى حماس إسلامى كأنها نار متأججة من الحماسة الاسلامية و الشعر الاسلامى و الغيرة الاسلامية ،

★ نهر اليرموك السحيق و وادى الرقاد العميق ، و كلاهما لا يمكن عبوره ، فبدأوا يلقون بأنفسهم فيهما فراراً من القتل ، وكان هذا فى وادى (الرقاد) إلى الغرب من (الواقوصة) حتى عرفت تلك المنطقة بـ (هوة الواقوصة) و كان مجموع من قتل من الروم ما يقرب من خمسة و ثلاثين ألفاً و نجا الباقون فارين جرحى أو مهيضى الجناح بسبب وقوعهم فى الأودية وتسلقهم من جهات متعددة (ملخصاً من كتاب « ميدان معركة اليرموك » للأستاذ محمود شاكر .

(١) و هو السيد عبد الرزاق الحسنى رحمه الله .

و كنت طفلا صغيراً و كنت أتردد إلى هذه المجالس للسيدات و فيها أمى ، فأرى الدموع تنهمر من العيون و الايمان يتجلى فى وجوههن المشرقة وفى قلوبهن الرقيقة ، و كنت لا أفهم هذا المعنى لأننى ى الرابعة من سنى أو الخامسة أو السادسة ، كن يسمعن أخبار الغزاة فى معركة اليرموك وفيهم السيدة خولة بنت الأزور رضى الله تعالى عنها ، كن ينسين حزنهن وكن يشتركن فى هذه المعركة حماساً إسلامياً وإيماناً ، كن يستحضرن فداء المسلمين فى سبيل الايمان ، و فى سبيل الدين ، فكن يستقللن ما أصاب العائلة من حزن و من كآبة .

و أحلف لكم صادقاً أيها الاخوة و الأخوات ، أن لهذه الملحمة فضلا كبيراً فى صمود المسلمين الهنود فى المعارك الدعوية والمعارك الثقافية و الحضارية ، والقومية والشعبية ، إن ما ساعدهم على هذا . . . و على الرباط فى سبيل الله و الاحتفاظ بالشخصية الاسلامية ، هو مثل هذه الملاحم التى كانت تقرأ و تنشد فى مناسبات عائلية ، فكان المسلمون ولايزالون يستمدون منها الايمان العميق و العاطفة الجياشة ، يستمدون الحماس المتأجج ، يستمدون الثقة العميقة الشاملة من هـذه الملاحم التى نظمها بعض شعرائنا و حكوا فيها معارك وغزوات خاضها المسلمون وخاضها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، بصفة خاصة ، فأنا أستحضر هذه الذكريات ، وأنا واقف أتحدث إليكم أيها الاخوة و الأخوات فى هذه القاعة فى جامعة اليرموك .

أريد أن أقول لكم إذ فتوح الصحابة و بطولتهم و حماستهم لم تتجل فى الانتصار فى معركة اليرموك فقط ، و إن كانت معركة فاصلة ، كانت النسبة بعيدة بين عدد المسلمين و بين عدد أعدائهم من الرومان أو أهل الشام ، فيكاد المؤرخون يطبقون على أن عدد المسلمين كان لا يزيد على أربعين ألفاً و عدد الرومان قد بلغ مأتى ألف و أربعين ألفاً (٢٤٠٠٠٠) إنها حقاً انتصار رائع قد ظهرت فيه

بطولة سيدنا خالد بن الوليد ، و سيدنا أبي عبيدة بن الجراح و عمرو بن العاص و شرحبيل بن حسنة و يزيد بن أبي سفيان والضرار بن الأزور ، و السيدة خولة بنت الأزور و غيرهم من الصحابة رضى الله عنهم ، و لكن عبقرية الصحابة رضى الله عنهم قد تجلت بأروع شكل و فى أجلى مظهر فى المعركة المعنوية التى قامت فى ذلك الحين بين الصحابة رضى الله تعالى عنهم و بين الحضارة الرومانية و الحضارة الساسانية الايرانية ، الحضارتان اللتان قد ضربتا الرقم القياسى فى الأناقة و فى الرقة و فى الخيال ، واجه الصحابة رضى الله عنهم و هم نشأوا فى صحراء العرب القاحلة الجدبية بشكل عام ، نشأوا نشأة صحراوية فى الأخبية والخيام وعلى متون الخيل وظهور الابل ، لم يجرب هذه الحضارة الراقية إلا بعض من دخل فى بلاد الروم و بلاد فارس ، إنهم نشأوا نشأة محدودة قاصرة ، يلتفون الأرض ، ويقتاتون بلحوم الابل ويسكنون فى الخيام أو فى بيوت متواضعة بنيت باللبن ، إنها كانت محنة عظيمة أيها الاخوان ، إنهم لما خرجوا من الجزيرة ليبلغوا رسالة الله و ليخرجوا الناس على حد تعبير أحدهم وهو سيدنا ربعى بن عامر رضى الله تعالى عنه ؟ « ليخرجوا الناس من عبادة العبادة إلى عبادة الله وحده ، و من ضيق الدنيا إلى سعتها ، و من جور الأديان إلى عدل الاسلام » لما خرجوا بهذه الرسالة واجهوا حضارتين معقدتين راقيتين من أرقى الحضارات البشرية التى عرفها التاريخ ، وقد كتب لهاتين الحضارتين عدة قرون لتتقدما فى مضمار الرقى و مضمار الآداب و الشعر و الخيال و الصناعة ، و قد رقت حواشيهما و طالت ذيولهما و بلغتا درجة الخيال كأن الانسان يقرأ « حكايات ألف ليلة وليلة » كان واحد منهم إذا لبس وانتطق بمنطقة قيمتها دون مأة ألف كان يعير ، كانت تتفاداه العيون و تزدريه ، و كان إذا لبس قلنسوة قيمتها أقل من خمسين ألف أو من مأة ألف درهم بالعملة الفارسية كان

يحتقر ، و كان لا يستطيع أن يجلس فى جوار أمير من الأمراء ، و تستطيعون أن تعرفوا مدى ما وصلت إليه المدنية الفارسية أن يزدجر آخر ملوك فارس لما اضطر إلى أن يغادر بلاده فاراً بحياته ، أخذ معه ألف طاه ، و ألف مغن و ألف مرب الصقور و كان يستقل هذا ، ويقول يا ويلتاه ، يا حسرتا ! ، أحل هذه القلة من الطهاة و من المغنين و من مربى الصقور ، كيف أعيش ؟ .

واجه الصحابة رضى الله عنهم هذه الحضارة الراقية الرقيقة الخيالية و هم أبناء الصحراء ، و تستطيعون أن تستحضروا البون البعيد و المسافة الشاسعة بين تجاربهم الحضارية و مدركاتهم الذهنية ، و بين ما بلغت إليه هاتان الحضارتان الراقيتان ، بما روى انهم رأوا خبزاً رقاقاً فى بعض المناسبات و الولائم فحسبوها مناديل فأخذوها فى أيديهم فاذا هى أرغفة ، ما كانوا يعرفون أن الخبز يكون فى هذه الدرجة من الرقة و الأناقة ، و لما رأوا الكافور حسبوه ملحاً فاستعملوه فى الطعام فاذا هو شئ لم يجربوه .

إنى لا أقلل من شأن معركة اليرموك أبداً ، و أنا أعيذ سمعى و بصرى ولسانى من أن أستصغر شأن اليرموك ، ولكن المعركة الكبرى هى المعركة الحضارية ، فقد كان الصحابة رضى الله عنهم بدائيين ، و كانوا كأنهم فى طفولة من الحضارة و من المدارك العقلية ، و لكنهم استطاعوا أيها الاخوان أن يحتفظوا بشخصيتهم الاسلامية القوية إزاء هذه الحضارات ، و فى هذه المعارك الدقيقة ، و ما فقدوا شيئاً من عاداتهم الاسلامية العربية و ما ذابوا و ما انصهروا فى بوتقة المدنية القوية التى اصهرت عناصر كثيرة ، و لم يحتفظوا بشخصيتهم الاسلامية العربية فحسب بل استطاعوا أن يحتفظوا بمدنيتهم العربية ، و بحضارتهم الاسلامية ، و بقوا على ذلك سبعة قرون إلى أن جاء المغول والتتار ، وذلك فى القرن السادس الهجرى ، وكانت

هنالك المدنية الاسلامية قائمة فى بغداد فى العراق ، و فى المملكة الاسلامية الممتدة إلى خراسان و تركستان . و قد خضع التتار للاسلام بعد فترة قصيرة من الزمن للاسلام ، دعوة و عقيدة ، و الحضارة الاسلامية و آدابها و ثقافتها .

أما نحن فقد ابتلينا بالمدنية الغربية مدة ستين سنة أو سبعين سنة أى بعد ما مضت الحرب الأولى و ذلك فى سنة ١٩١٨م ، نحن ابتلينا بالحضارة الغربيه مدة نصف قرن و لكننا لم نستطع أن نحافظ على حضارتنا الاسلامية .

إن علماءنا فى الهند ظلوا يحثون أهل البلاد المسلمين على المحافظة على العادات الاسلامية الأصيلة العربية ، كما جاء ذلك فى وصية حكيم الاسلام الامام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى من رجال القرن الثالث عشر ، يقول : حافظوا على عاداتكم الاسلامية العربية ، وظلوا متمسكين بالثقافة العربية شعراً ونثراً ، و صرفاً و نحواً و بلاغة و ظلوا مرتبطين بالجزيرة العربية ، و ظلوا متمسكين بحب الرسول ﷺ ، لاتضعفوا فى ذلك ، إن سعادتنا منوطة باعتزازنا إلى الدين الاسلامى العربى واعتزازنا إلى العادات الاسلامية العربية ، و بحبنا الزائد بالمصطفى ﷺ ، يجب أن لا تنقطع هذه الصلة ليوم من الأيام عن مركز هذا الدين .

قارنوا أيها المستمعون الفارق و البون الشاسع بيننا و بين المسلمين القدامى ، إنهم واجهوا حضارة كانت أرق من الجبال و واجهوا التنظيم السياسى الادارى الدقيق ، و القضايا المعقدة فى إدارة المدن الكبيرة و فى حماية البلاد ، و فى قيادة الجيوش الجرارة ، و لكنهم بفضل الاعتزاز بالشخصية الاسلامية ، وبفضل الايمان العميق ، و بفضل ثقتهم بتعاليم الاسلام استطاعوا أن يظلوا محتفظين بشخصيتهم الاسلامية ، بل بالشخصية القيادية العالمية ، وقطعوا قروناً على مدار التاريخ الطويل ، بقوا متمسكين بالاسلام ، لا يعدلون بالاسلام ديناً ، و لا يعدلون

بالحضارة الاسلامية حضارة ، و لا يعدلون بالثقافة العربية ثقافة ، و لا يعدلون بالمجتمع الاسلامی مجتمعاً ، لم یذوبوا کالملح أبداً فی ماء الحضارات الأجنبية ، هذا درس نستطيع أن نتلقاه من معركة اليرموك ، فكانت المعركة الفكرية ، المعركة الحضارية المعنوية ، أكثر تعقداً و أكثر خطراً من معركة اليرموك .

کثیر من المؤرخین یستغربون و یشکون فی صحة الحکایة التی رواها الطبری فی تاریخه المشهور الموثوق به، إن المسلمين فی قيادة سیدنا سعد بن أبی وقاص رضی الله تعالى عنه لما بلغوا إلى نهر دجلة و أرادوا أن يعبروها ليصلوا إلى المدائن عاصمة الفرس ، وجدوا أن القناطر قد أزيلت ، وأن السفن قد أبعدت و أن دجلة ترمی بالزبد ، و العرب على فروسيتهم كانوا بعيدين عن السباحة ، لأن بلادهم ليس فيها نهر ، فكانوا يحسنون ركوب الخيل ، و لا يحسنون ركوب النهر ، فضلا عن البحر ، إنهم لما وصلوا إلى الشاطئ وقف سيدنا سعد بن أبی وقاص رضی الله تعالى عنه هنيهة و استعرض الواقع الجدی المرير ، نظر إلى سيدنا سلمان الفارسی لأنه ابن البلد وهو فارسی ، فقال ماذا ترى يا سلمان ؟ هل نعبر ونتوكل على الله ، أم نقف و ننتظر السفن أو نصل بطريق آخر ، فقال سلمان الكلمة الحكيمة الخالدة التی لا يوجد لها نظير فی تاريخ الديانات ، إنه أسلوب تفكير جديد ، و منطق فريد ، ماذا قال ؟ إنه قال : يا سعد بن أبی وقاص إن هذا الدين لجديد ، و إنی لأستغرب و أستبعد أن يغرق هذا الدين و حملة هذا الدين فی نهر ، إن لله إرادة و إن لله حكمة فی بقاء هذا الدين حتى يفتح العالم ، فكيف يغرق أهلها الذين يحملون رسالته فی هذا النهر ، هذا النهر لا يتحول عن فطرته ، و الدين يتحول عن فطرته ؟ هذا النهر شغله الاغراق ، و هذا الدين شغله إنقاذ الانسانية من أوحال السفالة و من أوحال الوحشية ، و من أوحال الوثنية و الشرك ، فكيف أصدق أن هذا النهر يتغلب على هذا الدين مع أن مصير الانسانية مرتبط بهذا الدين ، وليس مرتبطاً

بهذا النهر ، فكيف نسلم أن هذا النهر الصغير الذى يستطيع طفل صغير يعرف السباحة أن يعبره — إذا كان هنالك معبر — هذا النهر الصغير يتغلب على هذا الدين الكبير الذى جاء به محمد ﷺ ؟ ، والله لا أصدق ، إن هذا الدين لجديد ، و أمامه شغل طويل ، أمامه مسافة طويلة ، مسافات بشرية و مسافات حضارية ، مسافات دينية ، فكيف أصدق أن سفينة هذا الدين ستغرق فى هذا النهر الصغير ، لا ، ولكن أنظر فى جيشك هل انتشرت فيه الذنوب أم لم تنتشر ، أما إذا انتشرت فيه فلا أستطيع أن أقول إننا سننجح و إننا سنصل إلى البر والشاطئ الآخر بسلام ، أما إذا كان الجيش محافظاً على سلامته ، على صفائه ، وعلى جذوة إيمانه ، و على صفاء قلوبه ، وعلى صفاء صحيفة أعماله ، فإنى بثقة بأننا سنعبر هذا النهر و إن كنا لا نعرف السباحة .

هنالك أمر سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه جيشه ، بسم الله نتوكل على الله ، وعبروا النهر ، وكانوا يتكلمون فيما بينهم كأنما يمشون على البر (و هذا لفظ الطبرى) يحكى الطبرى ما قاله الفرس بالنص قالوا « ديوان آمدند ديوان آمدند » جاء العفاريت ، جاء الجن ، هذه قصة يرويها المؤرخ الطبرى ، وهو مؤرخ أمين ، و العرب عرفوا بالأمانة فى التاريخ أكثر من كل أمة .

و لكن أغرب من هذا أن المسلمين عبروا دجلة المادية ، عبروا فرات المدنية من غير أن تبتل ذيولهم فيها ، و هذا أروع و أغرب ، و نحن على البر ، لكننا فقدنا الشئ الكثير من مقومات شخصيتنا من مقومات حضارتنا ، و لو لا الخطوط العربية الجميلة على اللافتات و الألواح ، و لولا الأذان المدوى على منائر المساجد — حماها الله تعالى و صانها — لما استطاع الرجل الذى جاء بالطائره ونزل بالأسواق أن يفرق بين مدينة عربية و مدينة إفرنجية إلا بصعوبة .

فأقول لكم نحن فى معركة حضارية ، ثقافية ، معنوية ، فكرية ، فعلينا أن نصمد

أمام هذه الهجمات ، أمام التحديات المعاصرة ، التحديات المدنية ، و التحديات الفكرية ، والمسلمين بقوا سبعة قرون تقريباً ، محافظين على شخصيتهم و على مدنيتهم ، إذا دخل واحد فى بيت مسلم رأى العادات العربية ، البساطة والنظافة ، والتسهيلات للوضوء ، التسهيلات للاستحمام ، التسهيلات للاستنجاء وغير ذلك ، يأكلون بالبساطة جميعاً ، و لكننا نحن تغيرنا فى ظرف سبعين سنة فقط ، هذا درس يجب أن نتلقاه و يجب أن نقارن بين حاضرنا و ماضينا ، حاضر هذه الأمة وماضى هذه الأمة .

لا تظنوا أن الحضارة شئ طارىء ، وأن الحضارة أداة فقط ، إن الحضارة تكون نفسية خاصة هى من خصائص أصحاب هذه الحضارة و رواسب تاريخهم الطويل فاذا أخذنا حضارة برمتها و بحذافيرها ، و طبقناها علينا ، كنا عبيداً لهذه الحضارة ، و يبقى الدين منحصراً فى ساعات محدودة يقضيها الانسان فى مسجد ، ما نسبة هذا الوقت الذى نقضيه فى مسجد إلى هذه الحياة التى نعيشها فى البيوت و المنازل و فى الفنادق ؟ ، إن الفنادق التى تبنى فى بلادنا ينبغى أن يشترط معها أن تكون مطابقة للاسلام .

لا أشعر إذا دخلت فى بيت مسلم بالعناية الزائدة بالطهارة وبالشعائر الاسلامية ، و تسهيلات لكل شئ ، و لا أشعر أنى أدخل فى بيت أمير من أمراء الخلافة الأموية أو الخلافة العباسية . . . ، ولم تكن الخلافة الأموية و الخلافة العباسية فى مؤخر الركب ، إنما كانتا قائدين للعالم ، و كانوا على القمة من الحضارة . . . ولكنى لا أشعر مع الأسف الشديد أنى أعيش فى عهد الأمويين وعهد العباسيين ، و لا أقول الخلافة الراشدة ، فان الخلافة الراشدة أسمى من ذلك . و لكن على الأقل ، لا أشعر بأنى فى بغداد ، وإنى فى البصرة والكوفة ، بل أشعر بأنى فى بلد أوربى غربى .

إننا نستلهم و نستوحى من سورة الاسراء و المعراج ، و من قصة الاسراء

والمعراج ، أن هذه الامة يجب أن تكون شامة بين الامم ، أن تكون ذات شخصية ممتازة مميزة ، ذات شخصية قيادية ، نحن الأساتذة و الشعوب كلها تابعة . . . أقول لكم بصراحة إن المسلم إذا لم يعتقد أنه هو الموجه للعالم ، فانه لم يفهم الاسلام فهماً صحيحاً . . . جزى الله الشاعر الاسلامى العالمى الدكتور محمد إقبال ، كان هناك خلاف فى صحة حديث ، «لولاك لما خلقت الأفلاك » ، ولكن الدكتور محمد إقبال يثبت أن أى مسلم إذا لم يعتقد إنه ينطبق عليه هذا الحديث إنما خلقت الأفلاك له و إنما خلقت الأرض له ، فانه مقصر فى أمره ، يجب على كل مسلم أن يعرف أنه القطب الذى يدور حوله الرحى رحى المدينة ورحى البشرية ، و رحى العلوم ، هو بمكان القيادة و الزعامة ، ليس مركزنا مركز المقتبسين فقط ... لقول الحديث الشريف : « الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها » و لكن كما يقول الأمير شكيب أرسلان فى تعبيره البليغ : « من استرق شيئاً و قد استرقه فقد استحقه » فاذا كنا مقتبسين فيجب علينا أن نكون مسترقين حتى نكون مستحقين ، من استرق شيئاً أى جعله خاضعاً لنفسه وأخضعه لمقومات حياته ، أخضعه لشخصيته وكيفه من حيث أنه مسلم فليس يسارق . . . بل هو مسترق .

أصبنا نحن الأمة الاسلامية والمسلمين بمركب النقص ، إن المسيحيين يغارون على شعاراتهم ، ولكن نحن المسلمين لا نغار على شعاراتنا ، يجب أن تكون الفنادق فى البلد العربى الاسلامى خاضعة لحضارة هذه البيئة ، ولتاريخ هذه البيئة ولعقائد هذه البيئة .

يجب أن نصوغ الحضارة من جديد ، نصوغها صياغة إسلامية جديدة تختلف عن الحضارات الأخرى ، هذا يحتاج إلى الاستقلال الفكرى ، والاستقلال التخطيطى والاستقلال الشخصى ، ولكننا نحن فقدنا الاستقلال ، الاستقلال العقلى ، والاستقلال الفكرى ، والاستقلال الحضارى ، كثير من البلاد قد تحررت من الاستعمار الأوربى سياسياً و إدارياً ، ولكن ما تحررت عقلياً و ثقافياً ، و لا يزال الغرب جاثماً على رؤوسنا متغلغلا فى صدورنا ، يبيض و يفرخ ، يجب أن نتحرر منه كلياً و نكون أمة حرة بكل معانى الكلمة .

سيرة محمد ﷺ الشاملة الكاملة

و شهادة التاريخ العادلة

﴿ ٢ ﴾

بقلم الدكتور العلامة السيد سليمان الندوى

فهل تجدون شهادة أعظم من هذه الشهادة ؟ إن الموقف حرج ، و السائل ملك ذو شوكة وقوة ، يسأل رجلا ملأ الضغن صدره عن أمر الرسول فلا يقول فيه إلا الصدق و الحق . فهل تجدون رسولا كاملا أعظم من محمد ﷺ ، و أى شهادة أصدق من هذه الشهادة ؟ إن تاريخ الرسل أعجز من أن يأتى بمثلها عن غيره .

سادتى : أريد أن ألفت أنظاركم إلى أمر آخر جدير بأن تهتموا له وتعنوا به ، ذلك أن الذين آمنوا بمحمد ﷺ أولا لم يكونوا من صيادى الشواطئ ولا من الذين استعبدهم فرعون مصر ، بل كان الذين آمنوا بمحمد أولا رجالا من أمة عريقة فى الحرية ذات عقول ناضجة وفطنة ولهم حماسة وحمية ، لم تلن قناتهم لحكومة قاهرة ، و لا ذللت أنفتهم دولة قوية منذ فجر التاريخ ، و كانت لهم تجارة واسعة النطاق تصدر فيها وترد سلعهم بين بلاد و بلاد ، و كانت مملكة فارس و بلاد الشام ومصر و آسيا الصغرى مضربهم و موارد تجاراتهم ، و لاحتكاكهم بالامم المتمدنة ولقائهم الرجال من مختلف الأمم تفتقت آراؤهم واتسعت عقولهم و ازدادت تجاريبهم . يدل على ذلك ما أثر عنهم من الأحكام وما وصل إلينا فى صفحات التاريخ من الأخبار . و كان من هؤلاء من قاد الجيوش و انتصر بها فعد من أعظم القادة الفاتحين ، وكان منهم من ساس البلاد وحكم الناس فأحسن الاحسان كله فى سياسته وحكمه حتى عد من أعدل الولاة و أحكم الحكام سياسة و تدبيرا . وهل يسوغ فى

العقل أن من أوتى مثل هذا العقل الراجح و المواهب العظيمة و الرأى الحصيف يخفى عليه شئ من أمر هذا الرسول ﷺ أو ينخدع به ! هؤلاء الرجال هم الذين نقلوا عنه ما شهدوه بأنفسهم وسمعوه بآذانهم و كانوا يرون الاقتداء به سعادة لهم ، و الاهتداء بهديه شرفاً لهم فى الدنيا و ذخراً لهم فى الآخرة ، فاقتفوا آثاره ، وسلكوا سبيله و استنوا بسنته ، و هذا دليل واضح على أنه الرسول الكامل ، وأنه على الحق ، مما لا يرده ولا يجادل فيه إلا مكابر .

إن رسول الله محمداً ﷺ لم يحاول أن يخفى عن الناس أمراً من أموره ، و لا أن يكتمهم حالة من حالاته ، لذلك عرفوه كما كان فى الواقع ، وهو الآن فى أذهان عارفيه كما كان فى أعين مشاهديه . تقول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وقد عاشرته زوجة مدة تسع سنين : لا تصدقوا من يزعم أن محمدا رسول الله قد كتم مما أوحى اليه فلم يبده للناس إذ يقول الله تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، و إن لم تفعل فما بلغت رسالته (١) [المائدة] .

إن من طباع الناس ـ ولا سيما من يقوم لهم بالاصلاح والهداية والتهذيب ـ أنهم لا يحبون أن يظهر للناس من نفوسهم ما يؤاخذون به أو يعاب عليهم . و فى القرآن الحكيم عدة آيات نبه الله فيها رسوله على بعض خطأه ، فكان الرسول يتلو هذه الآيات كلها على الناس ، و يدعوهم إلى حفظها و إلى تلاوتها فى الصلاة والمساجد ، ولا تزال هذه الآيات ـ كأخواتها ـ تتلى بألسنة أتباع محمد رسول الله ﷺ ، حيثما يبلغ انتشار الدين المحمدى ويدين به كثير أو قليل من الناس تتلى هذه الآيات ، ولولا أن هذه الأمور ذكرت فى القرآن لما انتشر العلم بها هذا الانتشار ، و هكذا السيرة الطاهرة و الحياة الكاملة هى التى تتضح للجميع بمثل وضح النهار أو أشد .

---

(١) صحيح البخارى ، و تفسير هذه الآية .

كان العرب فى الجاهلية ينكرون نكاح الرجل مطلقة متبناة، وقد تزوج الرسول زينب التى كانت من قبل زوجاً لمتبناه زيد بعد أن طلقها، فوردت هذه القصة فى القرآن ببيان صريح، و إن أم المؤمنين عائشة تقول : لو كتم رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن لكتم هـذه الآية (أى قصة طلاق زيد لزوجه زينب و زواج النبى ﷺ بها) لكيلا يسبق فهمها الجهلاء و ضعاف العقول، لكن الرسول ﷺ لم يفعل ذلك. أليس هذا مما يدل على أنه ﷺ لم يكتم من أمره شيئاً ولا خفى على الناس شئ من سيرته ..

وجدير بالذكر شهادة الفاضل الانجليزى باسورث سميث إذ يقول : « ترى الشمس هاهنا بارزة بيضاء تنير أشعتها كل شئ وتصل إلى كل شئ. لا شك أن فى الوجود شخصيات لا نعلم عنها شيئاً، و لا نتبين حقيقتها أبداً، أو تبقى منها أمور مجهولة. بيد أن التاريخ الخارجى لمحمد ﷺ نعلم جميع تفاصيله من نشأته إلى شبابه، وعلاقته بالناس، و روابطه، وعاداته، ونعلم أول تفكيره، وتطوره و ارتقاءه التدريجى، ثم نزول الوحى العظيم عليه نوبة بعد نوبة. ونعلم تاريخه الداخلى بعد ظهور دعوته وإعلان رسالته و إن عندنا كتاباً (القرآن) لا مثيل له فى حقيقته و فى كونه محفوظاً مصوناً و فى عدم التزام الترتيب فى معانيه، و إنه لم يستطع أحد أن يشك فى قيامه على أساس الصدق شكا يعتد به فهو عندنا ممثل لروح عصره ومرآة لبيئته، فهو لذلك برئ من كل تصنع أو تكلف. و إنه بعدم التزام الترتيب فيه، و فى تحدثه عن الشئ وضده، معتب لنا، غير أنه عامر بالأفكار العظيمة. فترى منه نفساً ملأى بتلك الروحانية، مرتبطة بها، مقصورة عليها، ثملة بأمر الله مع الضعف الانسانى الذى لم يدع أنه برئ منه، بل أكبر دليل على عظمة محمد أنه لم يدع قط أنه برئ من ذلك (ص ١٥). ويقول جبون : « لم ينجح فى الامتحان العسير

رسول ، من الرسل الأولين من بداية أمره كما نجح محمد ﷺ حين عرض نفسه بادىء ذى بدء ـ بصفته رسولا يوحى اليه ـ على الذين عرفوا ضعفه البشرى وعرفوه أكثر مما يعرفه غيرهم ، فعرض رسالته على زوجه و عبده العنيد و ابن عمه وصديقه القديم الذى لم يتحول عنه ولم يخذله ، وهؤلاء هم الذين سبقوا الناس إلى الايمان بنبوته .

إن نصيب الأنبياء انقلب فى حق محمد و تغير عما كان عليه فيمن مضى من الرسل ، فلم يكن محمد غير محبوب إلا من الذين لم يعرفوه » . فهذه الشهادات على أن من كان أعرف الناس برسول الله و أقربهم إليه كان أشدهم إيماناً برسالته ، وأما الرسل الآخرون فكان الأجانب و الغرباء الذين لم يعرفوهم إلا قليلا هم الذين سبقوا إلى الايمان بهم ، و تأخر عن الايمان بهم و تلكأ ذووهم و أهل بيوتهم و الذين كانوا أكثر معرفة بهم . و هكذا كان المؤمنون برسالة محمد ﷺ هم أعرف الناس بحقيقته و أكثرهم اطلاعا على أخلاقه وسننه وهديه ، وقد بلى كل منهم فى سبيل هذا الايمان بلاء عظيماً و امتحن امتحاناً شديداً حتى إن خديجة زوج النبى ﷺ قضت معه ثلاث سنوات محصورة فى شعب أبى طالب تقاسى معه الجوع و الظمأ و الفاقة المنهكة ، و أبو بكر صحب النبى ﷺ يوم ضاقت به أرض مكة ، فخرج معه مرتدياً ظلام الليل خائفاً يترقب ، و العـــدو فى أثرهما يتعقب مواطئ أقدامهما ، فقـام أبو بكر بحق الصحبة ، و كان الوفى بعهد الصداقة ، أما على ، فبات على فراش الرسول الذى كان المشركون قد بيتوا الفتك به ، و عبده زيد حل من النبى الكريم محل الولد بعطفه عليه و رأفته به ، فلما جاء أبوه الذى ولد من صلبه يطلب رد ابنه عليه خيره رسول الله ﷺ بين أن يصحب أباه أو يبق تحت جناحين من عطف الرسول و رأفته ، فاختار صحبة النبى ﷺ على الرجوع مع أبيه إلى قبيلته .

يقول هيجنس فى كتابه (الاعتذار عن محمد و القرآن Applogy For Mol . and Quran) : إن اتباع عيسى (عليه السلام) ينبغى لهم أن يجعلوا على

ذكر منهم أن دعوة محمد ﷺ أحدثت فى نفوس أصحابه من الحبة ما لم يحدث مثله فى الاتباع الأولين لعيسى (عليه السلام) و من بحث عن مثل ذلك لا يرجع إلا خائباً ، فقد هرب الحواريون وانقضوا عن عيسى حين ذهب به أعداؤه ليصلبوه فخذله أصحابه وصحوا من سكرتهم الدينية وأسلموا نبيهم لأعدائه يسقونه كأس الموت. أما أصحاب محمد فالتفوا حول نبيهم المبغى عليه و دافعوا عنه مخاطرين بأنفسهم إلى أن تغلب بهم على أعدائه (أنظر الترجمة الأردوية ص ٦٦ ـ ٦٧ عن مطبوعة برلين سنة ١٨٧٣) .

وحين كر مشركو قريش يوم أحد على المسلمين فاختلت صفوفهم وتفرق جمعهم نادى الرسول ﷺ : من يفديني ؟ فخرج من الأنصار سبعة دافع كل واحد منهم عن الرسول وما زال يقاتل دونه حتى قتل ، وقد قتل لامرأة من الأنصار فى هذه الحرب ثلاثة رجال من بيتها : أبوها و أخوها و زوجها . وتتابع إليها نعى الثلاثة واحداً بعد واحد ، فكانت تسأل أولا عن الرسول ﷺ : كيف هو ؟ فيقولون لها : إنه سالم . ثم لما رأت وجهه ﷺ سرى عنها ولم تتمالك أن صاحت قائلة : « كل مصيبة بعدك جلل يا رسول الله » .

إن الذين دافعوا عنه وقتلوا دونه و فدوه بأنفسهم قد عرفوه حق المعرفة وعلموا سنته وهديه وخلقه ، ولولا أن حياة الرسول ﷺ كانت عظيمة كاملة ونفسه كانت أحب النفوس إليهم ، و أعظمها فى أعين أصحابه و أحبابه لما فدوه بأنفسهم . و من أجل ذلك كانت حياة النبي ﷺ أسوة لأصحابه ، ومحبته ذريعة لمحبة الله فقال الله عزوجل : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) . فجعل اتباع الرسول فى أخلاقه و أعماله و الاقتداء بسنته وهديه ، من علامات حبهم لله ، و من السهل أن يبذل الانسان نفسه حية لدينه لأمر يعرض له فجأة ، ولكن من العسير أن

يقتدى المرء مدة حياته كلها فى جميع أطوارها وشعبها و مناحيها بهدى شخص وسننه اقتداء كاملا لا يحيد عنه ولا يعدل إلى شئ غيره. أما أصحاب محمد رسول الله ﷺ فانهم اتبعوه فى جميع أخلاقهم و أعمالهم وسائر نواحى حياتهم وطرقها، واقتفوا أثره و امتحنوا فى ذلك امتحاناً شديداً وبلوا فيه بلاء عظيما ثم خرجوا من هذا الامتحان فائزين .

و إن الولع الشديد بالرسول والمحبة الصادقة له قد حمل الصحابة و التابعين وتابعى التابعين ، ثم المحدثين ومؤلفى السير و المؤرخين ، على أن يعنوا عناية كبرى بجمع كل ما يتعلق بالرسول ﷺ من قول وعمل، وأمر ونهى ، وحديث وخلق ، وأن يبلغوا ذلك للذين يأتون بعدهم ، فأحسنوا كل الاحسان و وفوا هذه المهمة حقها ، ليعمل بهذه الهداية كل مسلم ما استطاع ، ولولا أن حياة محمد ﷺ كانت كاملة وعظيمة فى عيون أصحابه لما اعتبروا اتباعه شرفاً لهم وكمالا و لما عدوا الاقتداء به ملاك السعادة وأصل الهناء وقوام الخير .

فالاسلام قرر أن حياة محمد هى المثل الكامل لجميع المسلمين ، و ينبغى بيان جميع نواحيها وشعبها و وجوهها للناس كافة . و قد حقق المسلمون ذلك و حرصوا على تعرف ذلك و بيانه ، فلم تخف منه خافية ، و لم تفقد و لا حلقة واحدة من سلسلة الحياة النبوية المباركة ، فجميع أحواله و شئونه مسطورة فى كتب التاريخ ، و من ذلك يستدل على أنها كانت حياة كاملة إلا إذا كانت واضحة ناصعة معلومة من كل وجوهها ونواحيها جامعة لجميع المحامد شاملة لأكرم الأخلاق و أحسن التعاليم .

لقد كانت لبلاد بابل و الهند و الصين ولمصر و الشام و اليونان و الرومان حضارات زاهرة و مدنيات عظيمة و ثقافات عالية ، و قد كانت لأهالى تلك البلاد سنن فى الأخلاق اتخذوا منها أصولا وضوابط للثقافة ، وآدابا للعاشرة : فى النهوض

والقعود والكلام والطعام و الشراب ، و اختاروا مناهج خاصة بمعيشتهم ، و وضعوا آدابا لهم فى الزى و الشارة و أوضاعاً فى الملابس ، و كان لهم هدى فى نومهم ويقظتهم و حدود فى لقاء الناس و التعامل معهم وسنوا لأنفسهم سنناً فى الزواج ، و رسموا رسوماً للتهنئة و التعزية و تكفين الموتى ودفنهم ، ولم يتركوا حالا من أحوال الانسان - من عيادة المريض ومصافحة الاخوان ولقاء الخلان و الاستحمام - إلا اتخذوا لها السنن والرسوم والآداب - فنشأت من ذلك أصول وقواعد لمدنيتهم . و بديهى أن هذه السنن و الآداب لم تتم لهم إلا فى قرون متطاولة ، ثم درست آثارها ومحيت رسومها وطمست معالمها ، فكان قيامها و اكتمالها فى زمان طويل ، و زوالها فى مدة قليلة ، أما مدنية الاسلام وثقافته فان قيامهما و اكتمالهما وظهور بهائهما فى سنوات قليلة ، ولا تزال مدنية الاسلام و ثقافته مستمرة و معمولا بها فى الدنيا منذ أربعة عشر قرنا بين أمم شتى و أقوام مختلفة يستوى فى ذلك العربى و الهندى و الشرقى و الغربى . لأن المسلمين اقتبسوا ذلك من مشكاة نبيهم ﷺ و تأسوا فيه بحياته الكريمة ، فاستنارت بهذا النور حياة الصحابة ، و انعكست أضواؤها على حياة التابعين و من جاء بعدهم ، فنشأت عن ذلك بيئة صالحة زكية ، و كان منها للعالم الاسلامى كله أسوة حسنة فى رسومه الفاشية و آدابه القويمة .

و يمكننا أن نقول بعبارة أخرى : إن الحياة المحمدية كانت مركز الدائرة فجاء الصحابة فخطوا حول نقطة المركز خطوطا تمت بها تلك الدائرة و التف المسلمون بعد ذلك من حولها . و إذا كانت المدنية الاسلامية لم تبق اليوم فى مثل كمالها الأول وجمالها الأسنى فان آثارها لا تبرح باقية تلمع ، و المسلمون يقتفون تلك الآثار إلى يومنا هذا ، وقد علمنا أن حياة محمد ﷺ كانت فى بادى الأمر قدوة لجميع الصحابة فى حياتهم فكانوا يهتدون بهديه ، و يستنون بسنته ، ثم كان لسائر المسلمين أسوة حسنة بها يتخذونها مثالا كاملا لهم ولا تنفك صورتها معروفة لهم باقية فيهم ، ولو أن قبيلة من وثنيى الهند أو أفريقية تنصرت و دخلت فى دين المسيح عليه السلام فانها تأخذ مسيحيتها من الأناجيل ، أما مدنيتها و منهاج حياتها

فى مظاهرها و أوضاعها فان تلك القبيلة تأخذه عن مدنية أوربا و ثقافتها و منهاج حياتها ، و ليس ذلك من المسيحية فى شئ ، أما الاسلام فاذا دخل فى هدايته قوم جدد لم يكونوا مسلمين من قبل ، فانهم كما يقتبسون دينهم مما كان يدعو إليه النبى ﷺ ، فانهم من هديه و من سنته أيضا يتعلمون آداب المعاشرة و منهاج الحياة الاجتماعية و طرق المعيشة ، وإن تعاليم الرسول ﷺ - من أدب وخلق ومعاشرة - هى التى تؤثر فى أخلاق المسلمين فتصاغ فى هذه البوتقة حتى تسبك بها فى أزكى قالب ، وقد قال يهودى مرة لأحد الصحابة وهو يعرض بالاسلام : إن رسولكم يعلمكم كل شئ ، حتى بعض الأمور الحقيرة ، فأجابه الصحابى وهو مغتبط : نعم ، إن رسولنا يعلمنا كل شيء ، حتى آداب الخروج إلى الخلاء .

وكذلك نحن لا نزال نقدم للناس تلك السيرة الكاملة التى هى لنا سراج وهاج فى جميع شئون الحياة البشرية ، فكأن السيرة المحمدية مرآة صافية للدنيا كلها يرى فيها كل إنسان صورته و روحه ، ظاهره باطنه ، قوله وعمله ، خلقه و أدبه ، هديه و سنته ، وفى استطاعته أن يصلح أخلاقه ويثقف عوجه بحسب ما يراه فى تلك المرآة الصافية .

لأجل ذلك لا ترى أمة مسلمة تبحث - فى خارج دينها و بمنأى عن سيرة نبيها - عن أصول و ضوابط تقوم بها اعوجاجها وتثقف أودها وتصلح زيغها ، لأنها فى غنى عما هو أجنبى عنها ، و عندها فى هدى سيرة نبيها ﷺ الميزان القويم و القسطاس المستقيم ، الذى تتبين به ما فى العالم من خير و شر و تميز به الحق من الباطل ، و فى الحق إن العالم كله لفى حاجة شديدة إلى سيرة بشر كامل تتخذ من حياته الأسوة العظمى ، و ليس فى الدنيا إنسان كامل يعرف التاريخ سيرته على التفصيل كما يعرف تفاصيل حياة محمد ﷺ خاتم النبيين ، فالناس كلهم فى أمس الحاجة إلى أن يتخذوا من السيرة المحمدية منهاج حياتهم، ففيها الأسوة الطاهرة ، وهى الحياة المثالية للناس جميعاً ، صلى الله و سلم عليه .

الدعوة الاسلامية :

استخدام الدين لهدم الدين

بقلم : الأستاذ على القاضى

عنوان غريب قد يدهش له الكثيرون !

نعم كيف يستخدم الدين لهدم الدين ؟ إن الوثيقة الشيوعية ترسم الطريق لهذا فتقول : لا بأس من استخدام الدين لهدم الدين ولا بأس من أداء الزعماء الشيوعيين بعض الفرائض الدينية الجماعية للتضليل والخداع — على ألا يطول زمن ذلك — لأن القوى الثورية يجب ألا تظهر غير ما تبطن إلا بقدر ، و يجب أن تختصر الوقت والطريق لتضرب ضربتها ـ فالثورة قبل كل شىء هدم للقديم والمواريث الدينية جميعها .

و الاعلان بأن الاشتراكيين يؤمنون بالدين الصحيح لا بالدين الزائف الذى يعتنقه الجميع لجهلهم ، شئ أساسى ، والدين الصحيح هو الاشتراكية ، و الدين الزائف هو الأفيون الذى يخــدر الشعوب لتساق و تسخر لخدمة طبقة معينة ، وإلصاق كل عيوب الدراويش و خطايا علماء الدين بالدين نفسه ، و ترويج الالحاد و إثبات أن الدين خرافة ، والخرافة تكمن فى الدين الزائف لا الدين الصحيح الذى هو الاشتراكية .

و نسميه الاسلام الذى تؤيده الاشتراكية لبلوغ مآربها و تحقيق غاياتها بالدين الصحيح و الدين الثورى و الدين المتطور و دين المستقبل ، حتى يتم تجريد الاسلام الذى جاء به محمد ﷺ ، من خصائصه و معالمه و الاحتفاظ منه بالاسم فقط لأن

العرب إلا القليل مسلمون بطبيعتهم فليكونوا الآن مسلمين اسما، اشتراكيين فعلا، حتى يذوب الاسلام لفظاً كما ذاب معنى .

و لم تكفهم هذه الصراحة فى الكشف عن خبيثة نفوسهم — بل إنهم يبينون السبب فى ذلك المنهج الذى رسموه لأنفسهم فيقولون « إننا أخذنا بتعاليم لينين ووصيته بأن يكون الحزب الاشتراكى خصما عنيدا للدين و يحارب فكرته فى المنتظر لما بعد الموت بالفردوس — لأن الاشتراكية العلمية ترى أن العدالة الاجتماعية هى الفردوس — و إذا وجد أنه من الضرورى مهادنة الدين وتأييده وجب أن تكون المهادنة لأجل، و التأييد بحذر — على أن يستخدم التأييد و المهادنة لمحو الدين .

لماذا يهتمون بالاسلام ؟ إنهم يصرحون فى وثيقتهم التى نشرت فى مجلة العلم و الدين الروسية عدد أول يناير سنة ١٩٦٤ ونقلتها عنها مجلة صوت الحق عدد المحرم سنة ١٩٧٨م فيقولون :

« الاهتمام بالاسلام مقصود منه أولا استخدام الاسلام فى تحطيم الاسلام » .

و ثانيـاً استخدام الاسلام للدخول فى شعوب العالم الاسلامى — و مع أن القوى الرجعية فى العالم الاسلامى قوى يقظة إلا أن الخطة التى اتخذناها ستضعف هذه القوى حتى تجردها من عناصر احتفاظها بمقوماتها فتذوب على مر الأيام .

و باسم تصحيح المفاهيم الاسلامية وتنقيته من الشوائب و تحت ستار الاسلام يتم القضاء عليه بأن نستبدل به الاشتراكية .

و إذا كان هذا ما رسموه لتحطيم الاسلام فانهم قـد أكملوا خطتهم فى أن يكون البديل عن الاسلام إنما هى الشيوعية الماركسية — ترى كيف يتم لهم ذلك .

إنهم إلى جانب ما سبق قد رسموا الطريق للوصول إلى ما يريدون عن طريق — الهتاف الدائم ليل نهار ، صباح مساء بالثورة — و إن الثورة هى المنقذ الأول

و الأخير الشعوب من حكامها الرجعيين، و الهتاف للاشتراكية ووصفها بأنها الجنة التى وعدت بها الجماهير الكادحة — نشر الأفكار الالحادية — بل نشر كل فكرة تضعف الشعور الدينى و العقيدة ، الدينية و زعزعة الثقة فى علماء الدين فى كل قطر إسلامى .

و قد زاد اهتمامهم بالبلاد العربية — لأنها مهبط الوحى، و العرب هم الذين حملوا لواء الدعوة إلى الله تعالى ونشر الاسلام فى جميع أنحاء العالم، والقرآن الكريم نزل باللغة العربية، من هنا كان اهتمامهم بالبلاد العربية حيث ركزوا على نشر الشيوعية فيها — فاذا ما نجحوا فى ذلك استطاعوا القضاء على الاسلام فى جميع أنحاء العالم.

و الوثيقة الشيوعية التى نشرتها مجلة العلم و الدين الروسية فى عددها الصادر فى أول يناير ١٩٦٤ تقول عن العمل فى البلاد العربية ما نصه :

« و فى المحيط العربى كله يعمل أنصارنا بجد ، و قد استطاعوا أن يثبوا إلى المناصب الرئيسة فى الوزارات و الادارات الحكومية و الشركات والمؤسسات الرسمية و غير الرسمية ، و وفقوا — حسب تعليماتنا — للسيطرة التى و إن كانت فردية — إلا أنها تعتبر من الأعمال الناجحة — كما أن لقاء الأفراد بعضهم مع بعض يمثل اللقاءات فى صورة اللقاء الجماعى — ويزداد على مر الأيام عدد أنصارنا الذين يتولون المناصب ذات الأثر الفعال فى خلق الجو الصالح ـ للتحرك الثورى ـ وبحسب تعليماتنا لهم جعلوا من الوزراء و المسؤولين ـ الذين لا يشك فى إخلاصهم للنظام الرجعى الحاكم المعادى للاشتراكية - واجهة يقفون وراءها و يعملون تحت ستارها ما يريدون فى أمن وطمأنينة ، مع اليقظة و الحذر دون أن تحوم حولهم شبهات » .

مجلة التوعية الاسلامية عدد ٢ / ١٢ / ١٤٠٣هـ .

و الذى يهم الشيوعية أن تصل إلى الهدف ـ أما الأساليب فتختلف من وقت إلى وقت و من مكان إلى مكان و من أسلوب إلى أسلوب و هكذا .

و من ذلك أنهم يستخدمون النظريات العلمية لترويج أفكارهم ، ومن ذلك نظرية دارون ، التى تتحدث عن أصل الحياة و تدعى تطور الانسان من الأدنى إلى الأعلى .

كما يستخدمون أحياناً نظرية فرويد فى الجنس التى تربط كل شىء وتفسره بالشهوة و الميل إلى الجنس الآخر .

و استخدامهم التاريخ فى تفسير الثورات وانتفاضات الشعوب ورقى الأمم ـ حتى يصلوا إلى التشكيك فى الخالق و مبادىء الاسلام وتاريخ المسلمين .

و من الأساليب التى يستخدمونها بخبث وذكاء ـ أنهم ينتظرون الفرصة المواتية ليكون التحدى صريحاً و الالحاد سافراً ، كأن يقولوا : إن الله والأديان و الاقطاع و الرأسمالية و كل القيم - التى سادت المجتمع السابق ـ ليست إلا دمى محنطة فى متاحف التاريخ .

فهم يجعلون الاقطاع و الرأسمالية فى صف واحد مع الله تعالى و الأديان ـ ثم يطلقون حكمهم العام فيقولون : إن هى إلا دمى محنطة فى متاحف التاريخ .

و بذلك تغير الماركسية من ثيابها و تلبس لكل حالة لبوسها و لكل فئة فى المجتمع ما يناسبها من التزوير و الخداع و التضليل .

و من العجيب أنهم يتحدثون عن الحرية و يتهمون كل الناس بأنهم أعداء الحرية ـ بينما هم أبعد الناس عن الحرية ، فهم يصادرونها فى كل مكان و لا يسمحون لأحد أن يتحدث إلا بما يريدون و إلا فالتهم المختلفة والاعتقال والتعذيب ومحاولة غسيل المخ بكل الطرق العلمية وغير العلمية ، على أن الذى يحدث لايقتصر على الفرد الذى

يحاربونه - بل يشاركه فى ذلك أهله و أصحابه ، و من دخل فى زمرتهم أصبح من المستحيل أن يتركهم و إلا فالويل و الثبور و عظائم الأمور ، سواء أكان فرداً أم جماعة أم دولة .

ترى الا ينطبق عليهم قول الله تعالى .

(أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ، ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم) ؟

هذا ما تريده الشيوعية .

ترى ماذا فعلنا نحن ؟

و لعلنا لم نفعل شيئاً ، و نحن عارفون حقيقة الشيوعية ، وما تكمن فى برامجها ومخططاتها من نوايا سيئة ، ومن ويل وثبور للأمة الاسلامية بأجمعها ، وما ترصده الشيوعية لهدم الاسلام باسم الاسلام ، و كيف تخطط لذلك فى دقة و حكمة .

إننا فى حاجة إلى الوقاية وفى حاجة إلى العلاج ، ولن يكون ذلك إلا بالعودة إلى الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ، و لا بد من التخطيط و العمل فى حماسة دائمة .

وصدق الله العظيم القائل :

« و أن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه و لا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تهتدون » .



مكانة المرأة المسلمة فى الاسلام

فضيلة الشيخ على عبد الرحمن الحذيفى
إمام و خطيب المسجد النبوى

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و كفى بالله شهيداً ، وبعد ، فقد تفرقت و انجلت ظلمات الجاهلية بشمس الاسلام، و زهق باطلها بعدل القرآن وحفظت الحقوق و الحرمات بتشريع الدين الاسلامى ، وأنصف المظلومون و المضطهدون ، لا سيما المرأة التى كانت ترزح تحت نير الجهل و الظلم ، و أنقذها الاسلام من هاوية ، ورفعها من ضعة ، قال تعالى : «من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبـــة و لنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » و نعمت المرأة المسلمة بتعاليم الدين الحنيف أكثر من ثلاثة عشر قرناً ، و قرت عينها بما هى فيه من الخير و الصلاح ، و الطهر و الفلاح .

و كانت المرأة المسلمة أداة إصلاح ، و موجهة خير فى حياتها ، و مربية أجيال ، وإذا قورنت بالمرأة فى غير المجتمعات الاسلامية ظهر فضلها عليها فى الدين و الدنيا فى كل عصر ، حتى نفخ أبواق الشيطان فى الشرق و الغرب ، و تصدى ناس للمكر بالمرأة المسلمة وإخراجها من حصن إسلامها لتكون فريسة لذئاب البشر، فألفت كتب ونشرت مقالات وأنشئت مؤسسات تنادى : أن اكسروا طوق الحجاب وأخرجوا المرأة من بيتها تفعل ما تشاء، فتم لمتبعى الشهوات ما يريدون حتى استدرجوا نساء المسلمين استدراجاً فكشفت المرأة عن وجهها و رأسها ثم كشفت عن ساعدها ثم كشفت عن ساقيها و فخذيها و صدرها ، و زاحمت الرجال بالمنكب ، واختلطت بهم فى الخلا والملا ، يا لله ماذا بقى من الفضيلة ، لا تسأل بعد ذلك عما حل بالمجتمع

الاسلامی من التحلل ، وعما أصيب به من النكبات ، وعما استشرى فيه من الفساد وعما جر من الخراب فى الأسر والبيوت ، وعما انحرف من الأخلاق « ظهر الفساد فى البر و البحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون » .

أتدرون ما هو المبرر لدعاة التبرج و السفور و الاختلاط ؟ ، إن السبب فى الدعوة إلى تحرير المرأة و تبرجها هو ابتغاء الشهوات كما قال تعالى : « والله يريد أن يتوب عليكم و يريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيماً » ، و إذا وازنا حال المسلمين قبل أن يصابوا بهذه المصائب و بعد أن أصيبوا بفتنة التبرج بميزان الربح و الخسارة الدنيوية ، و لا أقول بميزان الربح و الخسارة الدينى لأن الخسران الدينى ظاهر تبين لنا الغبن فى دنيانا ، وصارت الخسارة فادحة ، فان التبرج والاختلاط يشيع الزنا وما ظهر الزنا فى قرية إلا عرضت نفسها لعقوبة الله كما جاء بذلك الحديث ، و ضربها الله بالفقر و الحاجة .

أيها القارىء الكريم : إن الأصل فى المرأة أن تستقر فى بيتها كما قال الله تعالى: « و قرن فى بيوتكن و لا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » لأن ذلك أصون للمرأة ، و أمنع من الفتنة ، و أبعد لها من الشيطان فان المرأة أقرب ما تكون من ربها إذا كانت فى بيتها ، كما روى الطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : المرأة عورة و إنها إذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان و إنها أقرب إلى الله فى قعر بيتها ، و لهذا صلاتها فى بيتها خير من صلاتها فى المسجد لما روى أبو داؤد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : لا تمنعوا نساءكم المساجد ، و بيوتهن خير لهن ، و خروجها متبرجة يعرضها ويعرض الرجال للفتنة ، كما فى الصحيح أن النبى ﷺ قال : ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء ، و فى الصحيح أيضاً عن عائشة رضى الله عنها قالت ، لو علم رسول الله ما أحدث

النساء بعده لمنعهن من المسجد ، و سئلت فاطمة رضى الله عنها ما خير المرأة قالت أن لا ترى الرجال على دينهم حفظوا دنياهم و أخراهم .

فليلزم المجتمع الاسلامى أن يعمل بحكم الاسلام فى كل صغيرة و كبيرة ، ولا سيما فى هذه القضية الخطيرة ، وقضية المرأة ، فيعلم المرأة دينها ويعلمها ما تحتاج إليه فى حياتها و بيتها من غير أن تتعرض للانزلاق فى الاختلاط ، و من غير أن تسقط فى هاوية السفور (و توبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) .

فليس شئ أغلى عند المسلم من العرض فهو مقدم على النفس و المال و إن الفساق تغيظهم استقامة المستقيمين وطهر الطاهرين كما قال تعالى : « قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله و ما أنزل إلينا و ما أنزل من قبل و أن أكثركم فاسقون » و قال تعالى عن قوم لوط : (أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون » و قال بعض السلف : ودلت الآية على أن النساء كلهن زوانى .

فيا أيها المرأة المسلمة لا تخدعى بما فيه داعيات السوء من تزيين الاختلاط و السفور ، و نحن المسلمين و لله الحمد ، لسنا بحاجة إلى من يبين لنا حقوق المرأة ، فقد بين ذلك الاسلام .

فيا ولاة أمور النساء جنبوهن من هذه المزالق ، و حاربوا التبرج الذى يجر الخراب إلى البلاد ، و ياولاة أمور المسلمين جنبوا رعيتكم من معصية الله واحلوهم على كتاب الله وسنـة رسوله ﷺ ، فان لكم إن فعلتم ذلك كان من الأجر مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ، وإن فرطتم و تركتموهم فى معصية لله فانكم تسألون عنهم يوم القيامة ، و كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته .

دراسات و أبحاث :

التشريع اللغوى فى نموه و انتشاره و تنوعه

للدكتور / توفيق محمد شاهين

اللغة تعتبر من الميزات الأساسية التى اختص بها الانسان ، و اتسم بها دون سائر الكائنات ، و لأهمية هذه الميزة و روعتها أثارت انتباه العلماء منذ القدم ، و بحثوها من زوايا علمية متعددة ، على صعيد علم الاجتماع ، والنفس ، والفلاسفة ، فضلا عن اللغويين و غيرهم . . .

و تعددت زوايا البحث و الدراسة اللغوية ، لأنها ترتبط بصورة وثيقة بالانسان و بيئته ، و لأهميتها فى كونها تتيح للانسان إتمام عملية الاتصال و التعبير عما يدور بخلده و وجدانه و أغراضه ، فكانت أيسر وسيلة ـ بآلاتها و طبيعتها ـ للتعبير عن الآراء و الأحاسيس ، و نقل التراث و الخبرات ، بدرجة شاملة و كلية و طبيعية ، و لعل هذا ماحدا بالمناطقة لتسمية الانسان ، بأنه : حيوان ناطق ، و النطق إبانة عما فى الفكر ، و من ثم كان ارتقاء المجتمعات البشرية و رفاهيتها و تطورها و تآنسها .

و المدلول اللغوى — كما هو مشاهد — متأخر عن الحدث الاجتماعى : فالمولود يولد — مثلا — و قد أخذ فى العموم لفظ ولد أو مولود ، لكنه يحتاج إلى تخصيص بعدئذ يميزه عما سواه .

و من أهم خصائص الانسان : القدرة على التعبير عن الأفكار الجديدة ، و تفهم التعابير الفكرية المتجددة فى إطار لغته و محيطه . . و مقدرة الانسان

الابداعية فى هذا الجانب لا تبارى و لا تحد فى ظل القوانين اللغوية التى تحيط به و يعايشها من نتاجه أو من صنع غيره .

و مظهر المقدرة الابداعية عند الانسان فى اللغة يتميز باستعماله الطبيعى للغـة فى تجدد ، وإن كان ما ينطق عفوياً فى تعابير متجددة وإن كانت عند التحليل صورة متكورة للمألوف و المعروف و المتوارث ، و مظهرها أيضاً متحرر من كل قيد ، سوى المبادىء اللغوية التى تختص باللغة . و اللغة بذلك تعتبر أداة الفكر و التعبير الذاتى ، و أخيراً نجد من مظاهرها التماسك الذى يبدو فى كل تحليل للكلمة و الجملة و الفكرة و الموضوع ، حسب الكفاية التى يملكها المتكلم للغة بطبيعتها و إطارها .

و قد أشبع العلماء المقام كلاماً و بحثاً فى القول بنشأة اللغة و أوليتها حين أثارت انتباههم ، فقدحوا زناد فكرهم فى طرق كل الاحتمالات و التأويلات الممكنة لحل هذا اللغز المحير و المثير .

وسقنا فى مقال سابق محاولات متواضعة ، لالقاء أضواء كاشفة عن الأسرار الكامنة وراء القول بتلك الآراء و النظريات ، و وعدنا بالقـاء نظرة على التشريع اللغوى - إن صح هذا التعبير - و كيفية تكاثره أونموه و انتشاره ، ليغطى الأحداث الاجتماعية بمدلولات لغوية مرتضاة تعرف وتؤلف ، أو قل : إنها قامت على الحاجة و سد الحاجة فى حياة الانسان (البيولوجية) و الاجتماعية عبر تعامله مع محيطه .

و موضوع التشريع اللغوى ، أو من يسن اللغة لأهلها يمثل نظرة الصيرورة عبر النشوء و الارتقاء و الانتشار ، كما أن موضوع النشأة والأولية ، مثل موضوع البدء فى نقطة الانطلاق . . و الموضوعان — إذن — لا يتناقضان ، بل يتسايران غوارة فى المضمون و الاشعاع ، و فى صلب تاريخية الحياة اللغوية .

و موضوع التشريع اللغوى بحثه و خاض فيـه : الفقيـه ، و اللغوى ، و الفيلسوف ، و أصحاب الملل و النحل ، لأنه يمثل البحث فى أصل اللغة نشوءاً

و وجوداً و ارتقاءاً ، وانتشاراً لظاهرة قائمة بنفسها فى وجود آنى ، و لا يوجد مشكل فى هذا الصدد مع أن عند أصحاب الاتجاه التوقيفى و الالهامى ، إنما هو بالقول بالمواضعة :

فهل توفر على وضعها حكيم متخصص ، له قدرة على الوضع و الارتجال ، بما حبى به من حصافة و ذكاء ؟ أو هم جماعة متعاونة فى مؤسسة لها قاعدة وقمة و أعضاء يعملون فى حركة دائبة (ديناميكية) ؟ أم هم جماعة من ذوى الفطانة و السداد و الخبرة ، حتى تكون أعمالهم حكيمة و صائبة وقائمة بالغرض ، و متلائمة مع المحيط ؟ و هل للاختلافات الواضحة فى أعضاء الجهاز النطقى ، و ما يتفاعل معه معه من محيط بيئى و مناخى أثر فى التباين الواضح ، و بالتالى فى التفرد بخصائص تتفق فى الأصل و الهدف ، و تختلف فى المظهر و السمع و الدلالة ؟ . . .

فالعلامة ابن جنى يرسم صورة متخيلة لكيفية بناء اللغة و نشوئها بقوله :

(كان يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً) للابانة عند المعلومات بوضع أسماء لها تعرفها ، فيومئون — مثلا — إلى إنسان من بنى آدم و يقولون : إنسان ، و يزيدون تخصيصاً و تسمية لأعضائه ، فيقولون : رأس . و عين ، و قدم ، ومتى سمع ذلك بعدئذ عرف معناها .

و يجعل مكان هذه الأسماء ما يجعلها متعارفة فى لغات أخرى على سمتها وأعضائها ، مثل : (مرد) بمعنى رجل ، و (سر) بمعنى رأس فى الفارسية مثلا (١) .

فالمؤسسة اللغوية عن ابن جنى يقودها أكثر من حكيم عاقل ، ضماناً للجودة فى الانتاج ، و يجعل حرية للحكماء فى اختيار الألفاظ لكل واضع ، لكن يعترض عليه بأنه : أين كانت اللغة قبل اجتماع الحكماء ؟ و كيف كان حال اللاغين .

(١) الخصائص ٤٦/١ .

و الفارابى يرى أن الحاجـة متمثلة فى التخصص ، بمعنى أن المتخصص فى وضع المدلولات إزاء دوالها هو الذى يبت فى التعيين عند « الوضع الذى يستدعى فى تحققه مؤثراً مخصصاً » (١) ، موازين الوضع و التناسق بين بنود القوانين المنظمة للمجتمع الانسانى .

و الفارابى ـ إذن ـ كابن جنى يرى أن التشريع اللغوى يأتى من عل ، ومن رأس مدبر ، و هو الذى يصطلح عليها أيضاً ، إلا أن الوضع عند الفـارابى لا بد له من جماعة مدبرين ينوبون عن الجمهور كله (٢) .

و (إخوان الصفا) يذهبون مذهب الفارابى ، من اختصاص رئيس الجماعة بالتشريع اللغوى ، و عليه نشرها فى محيطه الصغير ، لتعرف بعدئذ فى العالم الكبير ، و يأنس بها الانس ، و لعل هذا يفسر جانبـاً من الأنظمة التى قامت عليهـا إخوان الصفا ، يقولون :

إن وضع السياسة اللغوية يكون (بحسب اجتهاد رئيسهم ، و ما أعمل فيـه فكرته ، و أنتجته قريحته ، و أوجبته رؤيته ، . . . فيأخذ صور هذه فيلقى عليهـا أسماء من ذاته . . . فاذا تم ذلك له و نطق به و أكمل الصناعة النطقية ، و قيدها بحروف الكتابة ، و ضم الأشكال إلى أشكالها ، والخطوط إلى أمثالها ، ثم عرفها أقرب الناس إليه ، و أكرمهم لديه ، فيصطلح عليها هو و أهل بيته ، و عشيرته ، ثم أهل مدينته ، وبعد ذلك أهل بقعته ، ثم أهل إقليمه ، ثم تنتشر فى العالم ، وينشأ عليها الصغير ، و يأنس بها الكبير من تلك الأمة) (٣) .

(١) مفتاح العلوم ص ١٦٩ .

(٢) شرح العبارة ص ٢٧ .

(٣) رسائل إخوان الصفا ج ٣ ص ١٤٣ .

فالحكيم الألمعي رئيس ، و طاعته واجبة ، و عليه إضفاء الكمال و الجمال في صنعته ، و مخالطوه نجباء و خلصاء لتحمل واجب الدعوة و بثها ، و البدء بالأقربين يتم إشاعة الفكرة في المحيط الخاص و العام في حلقات انتشارية متدرجة متكاملة ، بالغة أقصى مداها .

و هذا ما رآه الفارابي للرأس المدبر ، ليكون (هو واضع لسان تلك الأمة ، فلا يزال منذ أول ذلك يدبر أمرهم إلى أن توضع الألفاظ لكل ما يحتاجون إليه في ضرورية أمرهم) (١) .

و يحمل الفارابي هذا الحق لفصحاء الأمة و بلغائها ، و حفظة أشعارها ، و نقلة أخبارها ، و عليهم عبء تركيب الألفاظ للأمة واضحة سهلة مشهورة ، للأحداث الاجتماعية التي وقعت أم لم تقع ، مما دخلت تحت جنس أو نوع ، « فربما شعروا بأعراض فيصيرون لها أسماء » و كذلك الأشياء التي لم يكن يحتاج إليها ضرورة فلم توضع لها أسماء ، فهم مدعوون إلى تركيب أسماء لها .

(و يحمل وظيفة هؤلاء المشرعين غير محددة بزمن وثابتة ، لتستوجب المتابعة و التواصل ، لأنهم مسئولون عن رعاية اللغة وتعهدها بالمواظبة على تعديلها وتحريرها، فكأنما هم أعضاء في مؤسسة أكادمية لغوية على الوجه الأكمل) (٢) ويحمل القاعدة عبء الذيوع و الانتشار ، لأنهم المتعاملون بها .

و إذا قامت الثورات الحديثة ـ لتقول : لا بد لنقل الحكم من قمة الهرم إلى قاعدته ، لأنهم نسيج الأمة ، و المنتج يجب أن يكون منهم ، وهم المثقفون بعدئذ ـ فكذلك في موضوعنا هذا نجد من المفكريين من قال بذلك ، أي نقل التشريع إلى

---

(١) الحروف للفارابي ص ١٣٨ .

(٢) الحروف ص ١٤٣ نقلا عن آفاق عربية ص ٥٩ .

القاعدة العريضة ، و هي الجماهير اللاغية ، و المستهلكة ، فلا بد من إعطائها المشاركة فى صنع القرار، وبذلك يصبح المجتمع من صميم المؤسسة اللغوية، وصاحب الشأن فى إدارة دفتها ، كأداة يعتمل فيها عن طريق الفرد والجماعة ، و بذلك ينصهر المشرع و المشرع له فى بوتقة الاجتماع الانسانى ، و يتم له بالتالى سرعة الانتشار و الذيوع لما يقرر و يفرض ، لأنه هو مالك اللغة و المتعامل بها .

فابن حزم ـ رضى الله عنه ـ يقر الناس — كل الناس — على إحداث لغات شتى ، من خلال المجموعة الانسانية ، التى تقوم بأمر التشريع للأمر اللغوى (١).

ويرى السكاكى إمكانية الوضع بالذات ، جاعلا للانسان أمر تصرف فى أداته اللغوية بالوضع حسبما يلم به من ضرورات فى التعبير (٢) .

و حتى ابن فارس، وهو من القائلين بالتوقيف ، ويجنح إلى الاصطلاح يرى :

أنه إذا ثبت أن اللغة مواضعة فلا يكون أحد فى الاحتجاج بما يضع من اللغة بأولى من أحد (٣) .

لأنه ظن راجح و لم يعارض بما هو أرجح منه .

و القاضى عبد الجبار يقر لأى فرد أن يواضع غيره على (لغة مبتدأة) ، ويشبه عملية الكلام بعملية التنفس، بمعنى أنها لا تتوقف على إذن من المشرع إطلاقا، أى أنها حق للقاعدة الشعبية ، و منعاً للفوضى والتكاثر بلا معنى ، وربطاً للضوابط يرى أن يكون التشريع معتمداً على نوعية الروابط القائمة بين الأفراد و السلطة المشرعة لحياتهم ، دينية كانت أم وضعية (٤) وهذا منه قيد له قيمته الأدبية ، حتى لا نلتفت إلى لغة الشطار ، و السراق ، و الذين يفضلون العيش فى الظلام ، وحتى لا يكون هناك ألغاز و تعمية ، و اللغة للابانة و الافصاح عن الأغراض .

(١) الاحكام ١/٣٠ . (٢) مفتاح العلوم ص ١٦٨ .
(٣) الصاحبي ص ٦ . (٤) المغنى ١٩٣/٧ .

و يجرنا الحديث إلى قضية التكاثر و الانتشار اللغوى مع الحديث عن قضية النشوء و الارتقاء و يسميها الدكتور المسدى (نظرية النشوء و التناسل) (١)، و هى تكرس توالى نقاط الديمومة ، و روابط التعاقب فيها أكثر مما تحتكم إلى منطلق الزمن فى أصل نشأته .

و هذه النظرية تقوم على افتراض تحرك الوجود اللغوى على محور الزمن قبل اكتمال الظاهرة اللغوية ذاتها ، لأنها لا تولد بالطفرة التلقائية ، أى أنها لم توجد فى لحظة معينة بصفة متكاملة ، و إنما وجدت كوحدات فى أصل النشأة ، ثم أعقبها التوالد و التكاثر ، كالخلية التى تتكاثر ، و دراستها حينئذ كدراسة أى ظاهرة من ظواهر المجتمع الذى نعيش ، و نرى تدرج الظواهر و الأمور فيه على نحو متدرج يتكامل و يتكاثر و ينتشر .

فاخوان الصفا حملوا الرئيس المدبر ، و خلطاؤه و من يلوذ بهم من بعدهم مسئولية الاشاعة و البث ، حتى تعم الظاهرة اللغوية ، و يذهبون إلى أن منشأ اللغة هو الرمز بحروف ، هى ضرب من الأرقام الهندسية فى الحساب ، يتوصل بها إلى معرفة أسماء الأشياء و صفاتها ، و تدرج ذلك إلى كلام بسيط محدود طبقاً لقانون الحاجة و الاضطرار ، و يشبهون ذلك : بشجرة نبتت و تفرعت و تفرقت فروعها ، و كثرت أوراقها و ثمارها ، و تقسمها الأقوام فأخذ كل قوم بحسب ما اتفق لهم فى أصول مواليدهم (٢) .

و الحاجة الملحة عند الانسان هى الدافع الأول لتوالد اللغة وتكاثرها ، يقول الجاحظ : (كثر كلام الناس و اختلفت صور ألفاظهم ، و مخارج كلامهم ، و مقادير أصواتهم : فى اللين و الشدة ، و فى المد و القطع . . . إنما هو بسبب

(١) آفاق عربية ص ٥٩ . (٢) رسائل إخوان الصفا ٣/١٤١-١٥٠ .

كثرة حاجاتهم و لكثرة حاجاتهم كثرت خواطرهم و تصاريف ألفاظهم و اتسعت على قدر اتساع معرفتهم) (١) .

و الأديب اللغوى الشيخ عبد الله العلايلى ـ أمد الله فى عمره ـ يرينا صورة لهذا التدرج — كنظرة عقلانية — فيها قريب معقول ، وبالتالى فيها خيال خصيب ، عالج فى هذه الصورة الأحادية فى أصول اللغة ، و الثنائية والثلاثية ، و يخلص منها إلى أن اللغة ـ بعامة ، قد مرت فى ثلاثة أدوار ، موجزها :

الدور الأول :

أدنى المقاطع ، وهو المقطع البسيط الأحادى ، الذى هو أحد حروف الجدول الهجائى ، و التى أخذت من كل لغة ما يناسبها ، مثل (ب) فى العربية ، (BA) فى الانجليزية مثلا ، وكل صوت أو مقطع عبر عن معنى و دلالة فى الطور البدائى الفطرى للانسان ، حين اضطر إلى ذلك ، ويقول مثلا : « عو » يدل على الحيوانات الزئيرية ، و « وا » يدل على الصوت المتكرر بحركة الفكين ، و عنه نشأ الفعل « وو » فى العبرية بمعنى وصل .

و الدور الثانى :

ذو المقطعين ، أى صامتين ـ مصوتين ، أو مصوت واحد ، و ذلك ناشئ عن تطور المقاطع الأحادية إلى ثنائية ، فمعنى المثال السابق (عوا) حيوان مفترس يواصل التصويت ، و يضرب الشيخ العلايلى مثلا آخر لمعنى كلمة (سمك) فالسين بمعنى الدعامة و مطلق القوى ، و (الميم) ترمز للمياه ، و (الكاف) للكف أى مطلق التبسيط فى صفر ، فالمعنى : كف الماء القوى ، و هو تصوير صحيح عن السمك .

(١) الحيوان للجاحظ ج ٤ ص ٢١ .

و الدور الثالث :

دور طويل يمثل إنسان العصر الحجرى.و ما تلاه حتى تم نضج الانسان و اكتمل عقله ، و لطوله قسمه الشيخ العلايلى إلى حلقات خمس ، هى :

الحلقة الأولى :

من العصر الحجرى إلى البرونزى ، و فيه استعمل الانسان المقطع الواحد و المقطعين .

و الحلقة الثانية :

كثرت المفردات ، وعرفت الكتابة ، وتركيب الجمل ، وذلك فى العصر الحديدى .

و الحلقة الثالثة :

فرق فيها بين الاسم والفعل والحرف ، وعرف الاشتقاق ، وأتقن الكتابة .

و الحلقة الرابعة :

تم فيها نضجه اللغوى ، و تمكن من الاشتقاق ، و أكسب اللغة حيوية .

و الحلقة الخامسة :

اكتملت اللغات الحية ، ولم تعد بحاجة لمستزيد ، وكن فيها غناؤها وكفايتها (١) .

هذه نظرية الشيخ العلايلى ، وفيها خيال خصيب لا يبعد و لا يعدو الحقيقة كثيراً فى نظرنا .

و على هذا المنوال كان يبحث فريق من علماء اللغة ، مثل (جسبرسن) ، الذى دارت أبحاثه و دراساته حول (لغة الطفل) ، و (لغة القبائل البدائية) و (دراسة تاريخية التطور اللغوى) للوصول بذلك إلى معرفة تطور اللغة وانتشارها

(١) مقدمة لدرس لغة العرب ، الشيخ العلايلى ص ١١٠ و ما بعدها .

فضلا عن منشئها و مبتدئها (١) ، و كلها فى الواقع ظنون ، و إن كانت ظنوناً قوية ، إلا أنها لا ترجع إلى اليقين بحال ، لأن البحث فى هـذا الجانب اللغوى - كما هو معلوم - بحث غيبى ميتافزيقى ، لأنه لايعتمد على الأسلوب العلمى التجريبى حتى يكون من الأبحاث العلمية الدقيقـة ، و كانت لذلك كل النظريات تعطى جانباً يقرب من الحقيقة ، و يحيط جانباً من الحجب الضاربة على الواقع اللغوى فى منشئه وتدرجه ، لأنه ظن راجح ولم يعارض بما هو أرجح ، كما أسلفنا من قبل .

و الفيلسوف الاسلامى أبو نصر الفارابى أصل من قبل مرحلة الأدوار و المراحل التى تطلبهـا الانسان فى الابانة عن نفسه ، بحسب المادة ، و ضرورة التعايش الاجتماعى ، و التكيف الطبيعى و البيولوجى و الاستعـدادات الفطرية ، على نحو ما فصل الشيخ العلايلى حديثاً .

فالانسان - عند الفارابى موجود قبل اللغة ، والتى هى ظاهرة عارضة وطارئة على الانسان و مجتمعه ، و احتـاج الانسان إلى أن يعرف غيره ما فى ضميره ، أو مقصوده بضميره ، فاستعمل الاشارة فى الدلالة ، و فزع معهـا إلى التصويت اللغوى ، و الذى هو أساس الحروف ، ومنهـا تألفت الكلمات ، و ترقت بالتولد من البسيط إلى المركب ، حتى تكاملت الظاهرة ، و بلغت الذروة فى الكمال ، من الترقى المحسوس إلى المعقول ، حديثاً ، وخطابة ، و شعراً ، وفلسفة (٢) .

و تعددت اللغات - بعدئذ - بخاصية الانسلاخ والتعدد ، بفضل بعدى الزمان والمكان — متى ؟ و أين — كأساس تقتضى لكل معضلة وقضية ، أو رمز للزمن و المحيط .

(١) اللغة و المجتمع د ، محمود السعران ص ٤١ .

(٢) الحروف للفارابى ص ١٣٥ .

فيقر الامام ابن حزم مبدأ التكاثر انطلاقاً من :

(لغة واحدة مترادفة الأسماء على المسميات ، ثم صارت لغات كثيرة ... و يعزو هذه الظاهرة إلى مبدأ تبادل أبنية اللغة : على طول الأزمان ، و اختلاف البلدان ، و مجاورة الأمم (١) .

وأفضى هذا التكاثر إلى تعدد اللغات ، تميز وتلون نوعياً ، بحيث تفرقت المظاهر اللسانية فى أجناس النطق و أشكاله ، حتى لانكاد تسمع منطقين متفقين فى همس و جهارة ، أو حدة و رخاوة ، أو فصاحة ولكنة ، أو نظم و أسلوب ، أو غير ذلك من صفات النطق و أحواله ، كما يقرره العلامة الزمخشرى (٢) .

و من قبله قرر ابن جنى ذلك التغير الطارىء على الظاهرة اللغوية ، مثلها فى ذلك مثل الكائن الحى فيما يعتوره ، كما قال : (... وهذا و نحوه مما يدلك على تنقل الأحوال بهذه اللغة ، واعتراض الأحداث عليها ، وكثرة تغيرها وتحولها) (٣) و يعبر ابن جنى عما يسمى بقانون التناسب الطردى ، أو التناسب بين التواتر و الاستحالة فى آن واحد ، بقوله :

(و هم لما كثر استعماله أشد تغييراً) (٤) أى و من حقه حين كثر استعماله أن يثبت ، لا العكس . لكن الأمر فى هذا أصبح كقانون ، لأن التراكم الكمى للحدث اللغوى فى الزمن هو رصيدها و جوهر حياتها ، و لكن التغير هو الدليل على حيويتها و تراثها ، و قدرتها على النماء الذاتى و الديناميكية .

و من مظاهر الانتشار التداخل اللغوى . . و معنى التداخل : أن تتركب لغة ثالثة هى خليط من لغتين ، و اللغة هنا بمعنى اللهجة ، أى أن التداخل إنما يكون

---

(١) الأحكام لابن حزم ١ / ١٣١ . (٢) الكشاف للزمخشرى ٢ / ٥٠٦ .

(٣) الخصائص لابن جنى ١ / ٢١٥ . (٤) السابق ٣/٣٤ .

فى إطار اللغة الواحدة ، يقول ابن جنى : (... ثم تلاق أصحاب اللغتين ، فسمع هذا لغة هذا ، وهذا لغة هذا ، فأخذ كل واحد منهما من صاحبه ما ضمه إلى لغته ، فتركبت هناك لغة ثالثة (١) .

و تداخل اللغات قائم على سنن ، و من ثم لم يفزع منه علماء اللغة ، بل وصفوا مظاهره ، و عللوا أسبابه ، و ذكروا أمثلته .

و إنما التغيير أو المسخ هو الذى أفزع العلماء ، و من ثم نشطوا لجمع اللغة و ضبطها ، وبخاصة عند الذين تأخر بهم الزمن فأقلقهم قانون التغير الطاغى ، ويصور الحيرة العلامة ابن منظور الافريقى المصرى (٦٣٠–٧١١هـ) ، حيث يقول :

(فانى لم أقصد سوى حفظ أصول هـــذه اللغة النبوية ، وضبط فضلها ؟ إذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز ، و السنة النبوية ، ولأن العالم بغوامضها يعلم ما توافق فيه النية اللسان ، و يخالف فيه اللسان النية ، و ذلك لما رأيته قد غلب فى هذا الأوان من اختلاف الألسنة و الألوان ، حتى لقد أصبح اللحن فى الكلام يعد لحناً مردوداً ، و صار النطق بالعربية من المعايب معدوداً ، و تنافس الناس فى تصانيف الترجمانات فى اللغة الأعجمية ، و تفاصحوا فى غير اللغة العربية ، فجمعت هذا الكتاب فى زمن أهله بغير لغته يفخرون ، وصنعته كما صنع نوح الفلك و قومه منه يسخرون ، و سميته لسان العرب (٢) .

فهو متأثر (عقيدة) فى ضرورة الحفاظ على وعاء الاسلام بجمعه وضبطه و شفق من هـذا التغير الذى استشرى ، و الحيرة فى ظاهرة التنافر و التوافق بين اللسان و النية ، وعاتب على إهمال العرب و المسلمين للغة القرآن و السنة .

---

(١) الخصائص ١/٢١٥ .

(٢) مقدمة قاموس لسان العرب .

و هذا التغيير الحتمى أدركه وعى الفكر العربى ، كما يصوره الدكتور المسدى بقوله: وليس أدل على وعى الفكر العربى بحتمية التغير اللغوى من تصوير المعجميين بالحافز الذى كان يستنفرهم لوضع قواميسهم ، وخاصة من تأخر فى الزمن نسبياً منهم ، إذ انتهى إذ ذاك مشكل جمع اللغة خشية التشتت أو الاندثار بعد أن تكاملت منظومة التراث العربى على مر قرون عـدة)...وضرب المثل بابن منظور . الذى أصبحت حيرته الناموس القهـار الذى للزمن على الظاهرة اللغوية،و صوره بغاية الدقة عند إبراز ظاهرتى التوافق و التنافر بين النية و اللسان ، وهو بجمع الأشكال فى تحولات الظاهرة اللغوية (١) .

و يقرر ذلك الناموس فى صراحة القاضى عبد الجبار ، حين يقول عن سلطان هذا الناس وجبروته:(العرف أقوى من اللغة ، لأنه يرد على اللغة فيغير حكمها)(٢) .

و يسلم الزملكانى لهذا السلطان كأنه حتمية لازمة ، بقوله :

(لكل زمان أهل و عادة فى مقالهم و مجارى استعمالهم) (٣) .

و هذا ما يفسر نشوء اللهجات و انشقاقها من اللغة الأم ، ثم تتسع مسـافة الخلف و تتباعد ، و إن حملت الملامح و السمات الأساسية ، و قد يسعفها الدهر بحادث جليل فتصبح أما أو بدراً تختفى النجوم حولهـا . كما حـدث للقرشية بالنسبة للهجات الأخرى فى اللغة العربية ، و قديماً قال الشاعر :

وكم فى العرس أبهى من عروس   و لكن للعروس الدهر ساعد

وإذا فطن اللغويون سبب طغيان لهجة على أخرى ، أو خط لغة فى الذيوع

(١) آفاق عربية د. المسدى ص ٦٢ .

(٢) المغنى ٦ / ٩٨ .

(٣) البرهـان ٩٣ .

و الانتشار ، بسبب الكثرة أو الغلبة و الانبهار.. فقد أدرك مفكرونا القدماء إلى ذلك :

فابن خلدون يرى المخالطة أو الغلبة : المخالطة للكثرة في الاجتماع ، و الغلبة في المحرك الحضاري و التفوق العسكري بين الجماعات اللغوية المتغايرة :

فابن خلدون يرى أن اختلاط العرب بغيرهم في الفتح و غيره غير ملكتهم اللغوية (بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمستعربين ، و السمع أبو الملكات اللسانية) و كان التغاير (بما ألقى إليها مما يغايرها لجنوحها إليها باعتياد السمع) حتى (فسدت هذه الملكة لمضر بمخالطتهم الأعاجم ، وسبب فسادها : أن الناشيء من الجيل صار يسمع في العبارة عن المقاصد كيفيات أخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب ، فيعبر بها عن مقصوده ، لكثرة المخالطين للعرب من غيرهم ، ويسمع كيفيات العرب إيضاً ، فاختلط عليه الأمر ، و أخذ من هذه و هذه فاستحدث ملكة) (١) .

فالاختلاط أدى إلى فساد الملكات ، و السمع أبو الملكات اللسانية على نحو ما يقرره علم اللغة الحديث ، والتأثر والتأثير متبادلان ، والنتيجة هي التشقق واستحداث لهجات جديدة تنفصل أو تظل على اتصال واحد أو متين من اللهجة الأم .

و عن تأثير قانون الصراع و الغلبة و أثره على اللغة و اللهجات ، يقرر العلامة ابن خلدون بقوله :

(إعلم أن لغات أهل الأمصار إنما تكون بلسان الأمة أو الجيل الغالبين عليها أو المختلطين بها) و يسوق دليلا على ذلك بغلبة العربية على ألسنة الأمم الأخرى

(١) المقدمة ٥٥٥-٥٥٧ .

ن عزت وبذت الدولة الاسلامية على غيرها (و الدين و الملة صورة الوجود
لملك ، وكلها مواد له ، والصورة مقدمة على المادة ، والدين إنما يستفاد من الشريعة
هى بلسان العرب) ، و حين ضعف سلطان الأمة الاسلامية و تولى أمر دولتهم
ر من أقاموا دعائم دينهم (و ملك التتر و المغول بالمشرق ، و لم يكونوا على
ن الاسلام . . ذهب ذلك المرجح ، وفسدت اللغة العربية على الاطلاق) فلم يبق
ـ فى ممالك العراق و ما وراءه (أثر و لا عين ، حتى إن كتب العلوم صارت
كتب باللسان العجمى ، و كذا تدريسه فى المجالس) (١) .

فاللغة تعيش كما يعيش الكائن الحى ، بمـا هى خصيصة الانسان ، فان ارتقى
لانسان و قوى ، توفرت عناصر البقاء والحياة والقوة والنماء للغة و العكس بالعكس
يعبر عن هذا صراحة أيضاً ـ العلامة ابن حزم الأندلسى بقوله :

(إن اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها و دخول غيرهم عليهم
ى مساكنهم ، أو بنقلهم عن ديارهم و اختلاطهم بغيرهم :

فانما يقيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها ، قوة دولتها ونشاط أهلها و فراغهم .

و أما من تلفت دولتهم و غلب عليهم عدوهم ، و اشتغلوا بالخوف و الحاجة
و الذل فى خدمة أعدائهم فمضمون منهم موت الخواطر ، و ربما كان ذلك سببا
لذهاب لغتهم) (٢) .

و ما ينطبق على العربية ينطبق على غيرها ، كاللاتينية و ما تفرع عنها مثلا .
وإن الناظر فى حال الأمم الاسلامية والعربية التى وقعت تحت نير الاستعمار

(١) المقدمة ص ٣٨٠ .
(٢) الأحكام ١ / ٣١ .

الغربي أو الشرقي ، ليرى مصداق كلام وتقرير العملاقين : ابن خلدون وابن حزم، و كيف أن اللسان العربي مسخ ، و أن فرقة اللهجات ازدادت اتساعا ، و بعدت الأصول اللغوية عن اللغة الأم ، فأصبحت مشوهة ،أغرت الضالين بالقول بالتخلي عن اللغة العربية الفصحى وعزلها فيما تبقى لها في حيز ضيق وعاشت بين أهلها غريبة الملامح و السمات و الانتماء الروحي ، و حتى من أقبل عليها مسوقاً بالعاطفة الدينية من غير أبنائها . . ما إن سار قدما في تعلمها حتى وقع في حيرة وبلبلة ، حين وجدها حية في الكتب و الخط العلماني ، وميتة على لسان أهلها ، والجاهلون بأمرها حين يعايش تخاطبهم بلهجات عامية ، و يعاين جهلهم بأبسط قواعدها ، والنتيجة : أنه تعلم العربية وهي لغة قوم لا يعون عنها شيئاً ، ويستغربون أولا يفهمون التخاطب بها ولايعون التعاطف معها .

وحيا الله جهود أفراد ناضلوا و جاهــدوا في سبيلها في ظلمات العواطف التي ألمت بها و بأهلها ، فأرسوا قواعدها و حافظوا عليها ، و دافعوا عنها ، و أمدوها بجرعات الحياة ، وشدوا من عضدهـا ، فاستقامت ، و احتضنتها أقوام آنست إليهم وأنسوا لها ، أمثال : الأفغاني ، و الشيخ عبده ، و الشيخ طـاهر الجزائري ، وابن باديس ، و الرافعي ، و الكيلاني و غيرهم من أبنـــائهم في العصر الحديث ، حين اهتموا وعاونتهم المجامع اللغوية على حياة اللغة وإحيائها من منظور لساني ووطني . . وبالتالي عاونت المعاهد و الجامعات وفي مقدمتها الأزهر من منظور لساني وعقيدي ، و كان المنتوج الانساني باهراً في إحياء العربيـــة . . وحبذا لوجاء تلامذة للرواد يضربون على نفس الوتر ، و يعزفون نفس المنظومة . . إذن لتبدل حال العربية إلى الذيوع و الانتشار ، بمعاونة القمة و القاع ، و تعاون الأجهزة المختصة و القـادرة على إرساء حجر الأساس والزاوية في بناء صرح العربية . . فقد تنازع البقاء والذيوع

في ميدان الكون اليوم لغات غطت مساحات المعمورة كلها كلغات سائدة
ا العون المـــادى و الأدبى و الدفع القوى ، كالانجليزية ، و الفرنسية ،
ـــة .

عاملنا العربية كـكائن حى ، وأوليناها الرعاية والعناية اللائقتين، وعاملناها
لسانى و من منطلق إيمـــانى . . سيصير الحال غير الحـال ، و ما ذلك
ز .

ق فى الختام قول الفيلسوف الألمانى : إن وجود أمة من الأمم بوجود
التى هى شخصيتها ، و إن هذه الشخصية تتكون من عناصر ثلاثة : الدين
ب الوطن .

ـ اللغة هى رمز وجود الأمة ، إن الذى يفقد لغته ينتهى به الأمر إلى
لأن اللغة هى القوة الطبيعية الأولى لأمة ما ، فهى صدى روحها وأصالتها
شخصيتها و الحافظة لتراثها . . . و يقول : إن العبد يأخذ لغة سيده . . .
ن أمة للغتها . . هو فقـــدان وعيها ، و إنيتهـا ، و ذاتيتها . . هى العروة
تربط بين الأحياء ، وتصل بالأموات ، و يكتب بها سجل الأمم .
ن كتابه نداء إلى الأمة الألمانية) .

★★★

تصور الأدب الاسلامى لندوة العلماء

—(٢)—

الأستاذ شمس تبريز خان
تعريب: الأخ سرفراز أحمد الندوى

مولانا السيد سليمان الندوى :

كان العلامة السيد سليمان الندوى (كما يرى محمد إقبال) « من العباقرة فى العلوم الاسلامية » عارفاً و عالماً خبيراً بمقتضيات سياسية و ثقافية و أدبية للنهضة الاسلامية والصحوة الدينية ، مع جمع ومعرفة عميقة بالعلوم ، فقد أثار الجمرة لليقظة الشاملة فى قلوب الملة الاسلامية و عقولها فى شبه القارة الهندية بكتاباته و مقالاته ، و تتسم أفكاره العلمية و الأدبية بتدبر عميق و توازن لائق ، و تتميز آراؤه السياسية و الثقافية بتفكير جدى بعيد المدى و بتناسب دقيق .

لقد أنعم الله سبحانه عليه فأسبغ عليه شمولية الدراسة والمطالعة مع ارتوائه من مناهل الكتاب والسنة ، فأيقظ و أثار بذلك معانى وتمنيات لاسترداد المجد الاسلامى الماضى ، و استعادة عظمته الغابرة ، و مع ذلك فانه هيأ أسباب إحياء عديد من فروع العلوم و الفنون الاسلامية، ثم إن العقل الاسلامى و الفكر الاسلامى يعمل عمله فى جميع أعماله العلمية حتى لم تفلت من ذلك نظراته الأدبية ، و إليكم مقتبساً من كتاباته فى شمولية الاسلام و جامعيته ، يقول :

« كانت الدنيا كلهـا تفرقت و توزعت قبل ظهور الاسلام فى ثلاث أسر وإثلاث ألسنة ، وهى السامية و التورانية و الآرية ، ومن أكبر مآثر الاسلام هو تأليف هذه كلها ، فأصبحت مدنيته خلاصة مدنيات مصر و الشام والعجم ، و الروم وأن علومه وفنونه عصارة علوم الهند وبابل و الفارس و اليونان ومعامل الاسكندرية

و مدارسها ، وإن جيله هو مجموع الأمم التورانية و الآرية و السامية ، و إن لغته زاخرة بمصطلحات و ألفاظ سنسكريتية و بهلوية و قبطية ، و سريانية ، و لاتينية ، و يونانية ، فلا يفرق الاسلام بين اللون و الجنس ، و الوطن و اللغة ، فكل لغة العالم لغته ، كما أن كل قطر من أقطار الدنيا ، و كل بقعة من بقاع المعمورة وطنه .

فلما خرجت العرب من البادية تحت ظلال علم الاسلام الظافر الفاتح إلى عالم الخارج ، فكما أن ايوان ايران ، وسد الصين ، و أهرام مصر ، و صحارى إفريقيا ، و أبحار الأندلس كلها كانت عاجزة أن تمنع قوتهم السياسية ، كذلك صعب عليهم الوقاية من استيلاء اللغة العربية المعنوى و سيطرتها و سطوتها المعنوية ، فاذا بهلوية إيران و سريانية الشام ، و قبطية مصر و بربرية إفريقيا و أسبانية الأندلس كلها تغيبت لجامة من مسرح العالم .

كانت الدول وبلاطات الحكومة تحت فرسان العرب ، كما أن المدارس والمعابد و الصوامع و البيع تحت إشراف آداب العرب و علومهم ، و كانت لغة واحدة تحكم من السند إلى سواحل المحيط الأطلنطى ، و تلكم يا سادة لغة القرآن ، و ما كان تغير لهجاتهم المحلية و الوطنية و تقلباتها نتيجة لاستيلاء العرب و حكومتهم قهراً و ضغطاً ، بل كان أكبر دخل فى ذلك لسهولة و لطافة اللغة العربية نفسها ولثروة معجمها ، و وفرة لغاتها و كثرة علومها (١) .

و نعلم وجهات نظره الأدبية من مقتبس وجيز من كتابه ، يقول : كانت شاعريتنا منذ الشعراء القدامى إلى شعراء العصر الماضى تسير و تنهج على مناهج ضيقة وطرق محدودة ملها أهل المجلس و سئموها ، فلو لم تنشأ مناهج جديدة ، و حدثت طرق حديثة لفنيت الشاعرية الأردية وقضى عليها ، إن شاعرية العلامة شبلى التاريخية و مواعظ و نصائح مولانا حالى ، و حكايات مولانا إسماعيل ميرتهى الخلقية ، و فلسفة الدكتور محمد إقبال ، و شعر أكبر حسين الفكاهى ذو معانى عميقة ، هذه

(١) نقوش سليمانى : ص ١٧٦ .

كلها أبواب رائعة رائقة للتاريخ الجديد للشعر الأردوى (١) .

العلامة السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى : إن سماحة العلامة الداعية الأديب المفكر الاسلامى السيد أبا الحسن على الحسنى الندى — حفظه الله — لخليفة حق لأستاذه العلامة السيد سليمان الندوى رحمه الله ، لقد تقدمت جامعية ندوة العلماء و إسلاميتها و ازدهرت و بلغت إلى ذروتها و أوجها بفضل أفكاره النيرة الخصبة النابعة من الكتاب و السنة و بشعوره العميق بالأدب و الثقافة وبحركة الاصلاح و إقامة الدين للامام السيد أحمد الشهيد ، و بالشاعر الاسلامى محمد إقبال ، و بأمير البيان شكيب أرسلان و بالشيخ مولانا محمد إلياس و الشيخ حسن البنا ، هذه شخصيات و حركات تأثر بها تأثراً بالغاً ، و اصطبغت أفكاره بصبغتها ، إنه يقول بالتضامن الاسلامى الشامل ويؤمن به ، بل إنه يوجه إلى غير المسلمين أيضاً « رسالة الاسلام الانسانية » إنه داعية و مفكر كبير فى العالم الاسلامى ، و له نصيب بارز ودور ملموس فى الصحوة الاسلامية واليقظة الدينية ، وإن النهضة الايمانية هى نصب عينيه دائماً ، و يؤمن ويستيقن بصلاحية الاسلام و أبديته و خلوده و جدارته لكل عصر ومصر ، ويعتقد بالانسجام التام بين الدين والسياسة ، وبين الدين والأدب ، ولا يفصل أحدهما عن الآخر ، وهو يحب أن يرى الأدب مثل الحياة تحت ظلال الاسلام ، أما تصوراته الأدبية فهى قيمة هامة ، نزيهة عفيفة أرفع و أسمى ، فلا يرى أن الأدب وسيلة لحصول الثروة ولنيل السمعة ، أو أنه للتكسب ، أو أنه أداة للتفرج والتسلية أو أنه ترجمان لعواطف مؤقتة سطحية ، إنه ليس تابعاً خاضعاً للاتجاهات المحدودة ،

و هو يتمنى للادب ، الاخلاص ، و الصحة و الصدق ، و قوة البناء و التسخير ، و الحياة و النضارة ، و العاطفة و الوجدان ، و الرقة و الدقة ، والفرح و الترح ، و الأبدية و العالمية ، و يعتبر الكتاب و السنة و دررهما الفريدة ، و التراث الأدبى فى صدر الاسلام مقياساً أصيلا للادب العالى السامى الرفيع .

---

(١) نقوش سليمانى ١٧٦ .

إنه أديب الأردوية و العربية معاً ذو أسلوب و منهج خاص لذلك استعمل نظراته الأدبية أحسن استعمال فيما دبجته يراعته فى مقالاته و أبحاثه الرائعة الرائقة، و إن « لروائع إقبال » و « المصابيح القديمة » و « القراءة الراشدة » بثلاثة أجزائها من بين كتبه الأدبية سحراً و جمالا و خلابة و حياة .

و يبدى العلامة الشيخ الندوى فيما يلى نظراته الأدبية فيقول :

« ليس السر فى فضل هذه الكتابات العلمية والدينية وتأثيرها وقوتها وجمالها هو التحرر من السجع و البديع و ترسلها فحسب، بل السبب الأكبر هو أن هذه الكتابات قد كتبت عن عقيدة و عاطفة ، و عن فكرة و اقتناع و عن حماسة و عزم ، أما الكتابات الأدبية فقد كان غالبها يكتب بالاقتراح من ملك أو وزير او صديق أو لأرضا شهوة الأدب أو تحقيق رغبة المجتمع أو حبا للظهور و التفوق و هذه كلها دوافع سطحية لا تمنح الكتابة القوة و الروح و لا تسبغ عليها لباس البقاء و الخلود ، و لا تعطيها التأثير فى النفوس و القلوب ، و الفرق بينها و بين الكتابات المنبعثة من القلب و العقيدة كالفرق بين الصورة و الانسان و كالفرق بين النائحة و الثكلى .

ويذكرنى هذه قصة روينا فى الصبا وهو أن كلباً قال لغزال : مالى لا ألحقك و أنا من تعرفه فى العدو والقوة ؟ قال : لأنك تعدو لسيدك و أنا أعدو لنفسى .

و قد كان هؤلاء الكتاب المؤمنون الذين ملكتهم فكرة أو عقيدة أو يكتبون لأنفسهم ، يكتبون إجابة لنــداء ضميرهم و عقيدتهم مندفعين منبعثين فتشتعل مواهبهم ويفيض خاطرهم و يتحرق قلبهم فتنثال عليهم المعانى و تطاوعهــم الألفاظ و تؤثر كتاباتهم فى نفوس قرائها لأنها خرجت من قلب فلا تستقر إلا فى قلب

أما هؤلاء المتصنعون فانهم فى كتاباتهم الأدبية أشبه بالممثلين قد يمثلون الملوك فيتصنعون أبهة الملك و مظاهره و قد يمثلون الصعلوك فيتظاهرون بالفقر وقد يمثلون السعيد و قد يمثلون الشقى من غير أن يذوقوا لذة السعادة أو يكتووا بنار الشقاء

و قد يعزون من غير أن يشاركوا المفجوع في أحزانه و قد يهنؤن من غير أن يشاركوا السعيد في أفراحه ، بالعكس من ذلك إقرأ كتابات الغزالي في « الأحياء » و في « المنقذ من الضلال » و اقرأ خطب عبد القادر الجيلي (رضي الله عنه) ما صح منها ، و اقرأ ما كتبه القاضي بن شداد عن صلاح الدين ، واقرأ ما كتبه شيخ الاسلام ابن تيمية و تلميذه الحافظ ابن قيم الجوزية في كتبهما تر مثالا رائعاً لكتاباته الأدبية العالية ، يتدفق قوة و حياة و تأثيراً ، وذلك هو الأدب الحي الخليق بالبقاء و لا سبب لذلك إلا أنه كتب عن عقيدة و عاطفة » (١) .

ويضيف إلى ذلك: أن الأدب الذي كان أجدر بأن يرفض السير على خط واحد رسمه القدماء ، و كان أحق بأن يتحرر من الجمود و التقليد ، من أي مؤسسة علمية ومدرسة فكرية ، إن الأدب الذي رضع بلبان الجدة و الجراءة و التذوق بالجمال ، و يرتفع أساسه بالتعبير الأدبي ـ على حب الجمال في كل شيء ، وعلى الشغف بالأزهار والأوراد في كل حديقة و روضة ، وفي كل غابة كل و واحة ـ قد وقع ـ مع الأسف ـ فريسة العصبية التقليدية ، و أصبح أسيراً للعادات و الرسوم ، و قلما نجد الأدباء و النقاد يتجاوزون حدود التعريف بالأدب و الانشاء الذي رسمه المؤلف الأول أو المؤرخ للادب و يتخطون رسومه التي قررها هو ، الأمر الذي أنتج أن كل أديب يترسم خطى الأديب الذي سبقه في رحلته الأدبية ، دون أن يطمح إلى زيادة أو ابتكار ، أو تطوير في ذخائر النماذج الأدبية ، إنما يتم اختيار عدة أشخاص مثاليين للادب و الكتابة فيقلدهم كل أديب و مؤرخ تقليداً أعمى ويجتر آثارهم و أسلوبهم ·

وما أصدق قول شاعر الاسلام الدكتور محمد إقبال تعبيراً عن هذه المدرسة الأدبية البغائية فقال : إن هذه المدرسة تدور كثور الطاحون حول محور واحد قديم (٢) .

---

(١) مختارات للشيخ الندوي ص ١٥ ـ ١٦ ·

(٢) مقتطف من مقدمة للشيخ الندوي لكتاب « صدريارجنغ » (حياة الشيخ العلامة حبيب الرحمن الشرواني ص ٨) .

حسان بن ثابت الأنصارى

و شعره الجاهلى

{ ٦ }

سعيد الأعظمى الندوى

قصيدته اللامية الجاهلية :

يبدأها بذكر ديار الغساسنة من آل جفنة الذين كان يتناولهم حسان بن ثابت بالمدح ، نظراً إلى أياديهم النقية التى كانوا قد امتنوا بها عليه ، والزلفى التى كان يتمتع بها لديهم ، وهى قصيدة يفيض فيها بالمدح والثناء على آل جفنة ، ثم يعود إلى الاعتزاز بنفسه ونسبه و عشيرته ، و لهذه القصيدة مناسبة خاصة ارتجلها فيهـا أمام عمرو بن الحارث الغسانى ، الذى كان يعطف عليه ويحبه .

ويحسن بنا أن ننقل هنا ما ذكرناه فى مبدأ هذا البحث حتى تتمثل لنا تلك المناسبة الخاصة التى فتقت قريحة الشاعر ففاضت بشعر قوى ، و هى ما حكاه حسان بن ثابت نفسه قال : قدمت على عمرو بن الحارث ، فاعتاص الوصول إليه ، فقلت للحاجب بعد مدة ، إن أذنت لى عليه وإلا هجوت اليمن كلها ثم انقلبت عنكم ، فأذن لى فدخلت عليه فوجدت عنده النابغة ، و هو جالس عن يمينه ، وعلقمة بن عبدة و هو جالس عن يساره ، فقـال لى : يا ابن الفريعة قد عرفت عيصك ونسبك فى غسان ، فارجع فانى باعث إليك بصلة سنية و لا أحتـاج إلى الشعر ، فانى أخاف عليك هذين السبعين ، النابغة وعلقمة أن يفضحاك ، وفضيحتك فضيحتى ، وأنت و الله لا تحسن أن تقول :

رقاق النعال طيب حجزاتهم　　　يحيون بالريحان يوم السبـاسب

تحييهم بيض الولائد بينهم ... وأكسية الاضريج فوق المشاجب (١)
يصونون أجساداً قديماً نعيمها ... بخالصة الأردان خضر المناكب
و لا يحسبون الخير لاشر بعده ... و لا يحسبون الشر ضربة لازب
حبوت بها غسان إذ كنت لاحقاً ... بقوى و إذ أعيت على مذاهبى (٢)

فأبيت وقلت لا بد منه . فقال : ذاك إلى عميك ، فقلت لهما : بحق الملك إلا قدمتمانى عليكما ، فقالا : قد فعلنا ، فقال عمرو بن الحارث : هات يا ابن الفريعة ، فأنشأت :

أسألت رسم الدار أم لم تسأل ... بين الجوابى فالبضيع فحومل (٣)

---

(١) المشاجب جمع مشجب ، الخشب الذى يوضع عليه الثياب ، يريد أنهم ملوك ذوو نعمة ، فتخدمهم الاماء البيض الحسان. وثيابهم مصونة عن التعليق لأنها تكون موضوعة فوق المشاجب ، و قد مر شرح هذه الأبيات فى أول هذا البحث .

(٢) هذه الأبيات من قصيدة للنابغة الذبيانى كان قد قالها لعمرو بن الحارث ، المعروف بالأعرج الغسانى ، و أولها :

كلينى لهم يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطئ الكواكب

(٣) الجوابى جمع جابية هى الحوض الذى يجبى فيه الماء للابل ، و لكنه أراد بها هنا جابية الجولان ، و هى قرية هناك ، و الجولان ما بين دمشق إلى الأردن يسرة عن الطريق لمن يريد دمشق من الأردن ، البضيع ، وقيل البصيع ، قال أبو منصور محمد الأزهرى فى التهذيب : و قد رأيته ، و هو جبل قصير أسود على تل بأرض البلسة فيما بين سيل و ذات الصنمين بالشام من كورة دمشق ، وقيل سن نابتة فى البحر كالجزيرة بقرب دمشق ، وحومل كذلك موضع .

فالمرج مرج الصفرين لجاسم فديار سلمى درسا لم تحلل (١)
دمن تعاقبها الرياح دوارس و المدجنات من السماك الأعزل (٢)
دار لقوم قد أراهم مرة فوق الأعزة عزهم لم ينقل (٣)

(١) مرج الصفرين موضع بغوطة دمشق، كان به وقعة للسلمين مع الروم، وجاسم قرية على بعد ثمانية فراسخ من دمشق على يمين الطريق إلى طبرية، وجميع هذه المواضع للغساسنة، درساً جمع دارس بمعنى عفا وامحى، لم تحلل، بمعنى لم تسكن

(٢) دمن جمع دمنة بكسر الدال : آثار الدار، تعاقبها حذفت إحدى التائين، بمعنى تتوالاها، دوارس، صفة دمن، المدجنات جمع المدجنة بمعنى غيوم عطرة، الدجن، المطر الغزير، الغيم المطبق المظلم، السماك الأعزل : فى نجوم السماء كوكبان نيران يقال لأحدهما السماك الرامح لأن أمامه كوكبا صغيراً يسمى راية السماك ورمحه، وللثانى : السماك الأعزل، لأنه ليس أمامه شئ، أما السماك الأعزل إذا طلع فلا يكون فى أيامه ريح ولا برد، وهو من منازل القمر، ولكن حسان يريد : السماك وحده، وحينما قال السماك الأعزل فلضرورة القافية، و فى بعض النسخ زيد قبله البيت التالى :

أقوى وعطل منهم فكأنه بعد البلى آى الكتاب المجمل

أقوى بمعنى خلا .

(٣) عزهم لم ينقل عنهم إلى غيرهم، أو أن عزهم أصيل فيهم ولم ينقل إليهم من غيرهم، و يريد بهم الملوك الغساسنة، و يروى قبل هذا البيت فى بعض النسخ ما يأتى من البيت .

فالعين عانية تفيض دموعها لمنازل درست كأن لم تؤهل

ولم تؤهل بمعنى لم يلجأ إليها، عانية من العناء، بمعنى أن العين أصابها العناء والمشقة فتعبت بالرؤية المتتابعة .

لله در عصابة نادمتهم يوما بجلق فى الزمان الأول (١)
يمشون فى الحلل المضاعف نسجها مشى الجمال إلى الجمال البزل (٢)
الضاربون الكبش يبرق بيضه ضربا يطيح له بنان المفصل (٣)
و الخالطون فقيرهم بغنيهم و المنعمون على الضعيف المرمل (٤)
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل (٥)

(١) العصابة : الجماعة ، جلق ، اسم قديم لدمشق، وقيل موضع بالقرب منها ، ويريد من العصابة ملوك غسان .

(٢) حلل جمع حلة بالضم ، و هو كل ثوب جديد أو ثوب ساتر لجميع البدن مما يلبس ، وقيل : الرداء و القميص والعمامة ، البزل ، جمع بازل ، البعير الشاب إذا استكمل السنة الثامنة وطعن فى التاسعة ، ويعنى بذلك كمال قوتهم فى العقل و التجربة .

(٣) الكبش المراد به السيد أو رئيس القوم ، البيض جمع البيضة ، بمعنى ، الخودة بالضم ، الغطاء الحديدى الذى يلبسه المقاتل فى ساحة القتال لوقاية الرأس ، يطيح : يزول ، بنان المفصل ، أطراف الأصابع .

(٤) المرمل ، الذى نفد زاده و أصله من الرمل يعنى الفقير الذى لصق بالرمل

(٥) جفنة هو أبو ملوك آل غسان ، هو جفنة بن عمرو بن مزيقياء ، حول قبر أبيهم ، يعنى هم آمنون لا يخافون ، و مخصبون لا ينتجعون ، مارية هى بنت الأرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة ، و ابن مارية هو الحارث الأعرج ، وفى المثل: خذه ولو بقرطى مارية، إذا أمر أحد بأخذه على كل حال ، و كان فى قرطى مارية مأتا دينار و لذلك يقال لها : مارية ذات القرطين ، المفضل : صاحب الافضال .

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل (١)
يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل (٢)
يسقون درياق الرحيق و لم تكن تدعى ولائدهم لنقف الحنظل (٣)
بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول
فلبثت أزمانا طوالا فيهم ثم ادكرت كأنى لم أفعل (٤)
إما ترى رأسى تغير لونه شمطا فأصبح كالثغام المحول (٥)
و لقد يرانى موعدى كأننى فى قصر دومة أو سواء الهيكل (٦)

(١) يغشون ، يعنى يغشاهم الضيوف دائماً فأنست كلابهم بالقادمين و لا تنبح لأحد ، وهم فى سعة وخصوبة فلا يسألون عن القادمين من هم ؟

(٢) البريص و بردى كلاهما نهران فى دمشق ، وبردى يعنى ماء بردى ، يصفق يمزج ، الرحيق . الخمر البيضاء ، والسلسل ، السائغة السهلة .

(٣) الدرياق ، الترياق ، ما يستعمل لدفع السم ، يقول : وهم وليسوا كالصعاليك حتى يرسلوا بناتهم لنقف الحنظل .

(٤) يعنى أقام بين ظهرانيهم مدة طويلة فى نعمة ورضا و عزة ، فمرت أيام النعمة بسرعة كأنى لم أقم عندهم إلا قليلا .

(٥) إما بمعنى إن ، وما زائدة ، يخاطب زوجته : شمط الرأس ، إذا خالط سواد شعره بياض ، ثغام نوع من النبات يبيض إذا يبس ، ومر عليه الحول ، يشير بذلك إلى شيبه الذى حدث فى الرأس .

(٦) يقول : رغم أنى شبت ، و لكن أعدائى الذين يهددوننى يروننى فى العزة والمنعة مع أولاد جفنة فى قصر دومة الجندل ، وهو حصن دومة الجندل كان لأكيدر بن عبد الملك السكونى بين الحجاز و الشام فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقتله به ، وسواء الهيكل ، يريد وسط معبد النصارى .

و لقد شربت الخمر فى حانوتها صهباء صافية كطعم الفلفل (١)
يسعى على بكأسها متنطف فيعلنى منها ولو لم أنهل (٢)
إن التى ناولتنى فرددتها قتلت ، قتلت ، فهاتها لم تقتل (٣)
كلتاهما حلب العصير فعاطنى بزجاجة أرخاهما للمفصل (٤)
بزجاجة رقصت بما فى قعرها رقص القلوص براكب مستعجل (٥)

و الآن ينصرف إلى الفخر بالنسب الذى هو أصيل و آباؤه كرام ، ويفتخر بكلامه و لسانه الذى يستطيع أن يهجو به أعداءه الذين يتعرضون له ، ويعتز بأنه سيد القوم ، وسيد القوم عندنا يسود السادة كلهم ، ونحن نتعرض للامور المهمة التى قلما يلتفت إليها غيرنا ، ولا نزور إلا الملوك ، وإننا نحكم دائما بالعدل بين الناس .

---

(١) الصهباء ، الخمر التى تعصر من العنب الأبيض .

(٢) المتنطف ، الذى يلبس النطفة ، و هى القرط ، و فى رواية متنطق ، من النطاق ، و المراد به الساقى الذى يلبس فى أذنه القرط ، أو الخادم التى فى أذنها قرط ، يعنى يشربنى مرة ثانية و ثالثة ، و لو لم أنهل يعنى ولو لم أشرب فى المرة الأولى .

(٣) قتلت الأولى بمعنى مزجت ، و الثانية دعاء عليه ، يعنى قاتلك الله ، فهات الخمر التى لم تكن ممزوجة بالماء .

(٤) كلتاهما يعنى الممزوجة بالماء وغير الممزوجة ، فعاطنى ، يعنى أعطنى أكثرهما إرخاء للفاصل .

(٥) بزجاجة بيان للاولى ، رقصت بما فى قعرها ، ذلك لأن الخمر إذا جاشت رقصت ، القلوص : الناقة الشابة ، الطويلة القوائم ، فان الراكب المستعجل حينما يستحثها على الخبب فهى طالما ترقص ، رقص : بالفتحات ، مصدر رقص .

نسبي أصيل في الكرام و مذودی تكوى مواسمه جنوب المصطلى (١)

و لقد تقلدنا العشيرة أمرها ونسود يوم النائبات ونعتلى

و يسود سيدنا جحاجح سادة ويصيب قائلنا سواء المفصل (٢)

و نحاول الأمر المهم خطابه فيهم ، ونفصل كل أمر معضل (٣)

و تزور أبواب الملوك ركابنا ومتى نحكم في البرية نعدل (٤)

ويشير في الأخير إلى الطريقة التي تكسب المرء حمداً ويبعده عن كل ذم وهي أن يستخدم كل فتى ماله لصيانة عرضه وعرض والده من أن يمتد إليه لسان بالذم أو يد بالضرر، ويفتخر بعصير العنب الذي يتناوله من غير بخل أو تأخير في الاستمتاع من لذته .

وفتى يحب الحمد يجعل ماله من دون والده ، وإن لم يسأل (٥)

(١) المذود ، آلة الذود بمعنى الدفاع ، وهو اللسان ، تكوى بمعنى تحرق ، مواسم جمع ميسم يعني آلة الوسم التي يسم بها ، و يريد بها الهجاء ، جنوب جمع جنب ، شق الجسم .

(٢) الجحاجح جمع جحجح والجحجاح بمعنى السيد المسارع إلى المكارم ، جحاجح سادة ، للتأكيد ، سواء المفصل ، يعني أن قائلنا يصيب القول الفصل ويقوله .

(٣) الأمر المعضل ، المشكل الذي لا يهتدى فيه لوجهه ، و الأمر المهم خطابه هو الأمر المهم الذي يكون ذا خطب و شأن مهم ، خطاب بمعنى خطب .

(٤) البرية ، بمعنى الخلق جمعها برايا ، من برأ يبرأ برءاً وبروءاً كفتح يفتح : خلقه من العدم ، وبرىء يبرأ براءاً و براءة ، كعلم يعلم بمعنى تخلص وسلم من العيب أو الدين ، و إذا كان المصدر برءاً بالضم و بروءاً فمعناه شفي من المرض .

(٥) يريد : رب فتى من شأنه كذا .

باكرت لذته و ما ماطلتها ... بزجاجة من خير كرم أهدل (١)

آخر قصائده الجاهلية :

و هذه قصيدته الجاهلية الأخيرة التى نذكرها الآن ، وهى تدور حول موضوع الفخر ، يبدأها كعادته بذكر ديار حبيبته شعثاء ، يتحدث عن الوادى الذى أقامت فيه أيام الصيف ، و هو واد غزير مياه الأمطار التى تنزل فيه فى الصيف ، و بعد ما أقامت فى هذا الوادى حبيبته و من معها من أترابها ، تنادى أهل الوادى فى ليلة بالرحيل ، فارتحلوا و ارتحلت معهم النساء فى الهوادج ، لحصل ما حصل من تباعد بينه وبين حبيبته ، وصعب بعد ذلك الوصول إليها ، فلم يتمكن إلا أن يهدى إليها قصيدة فى كل عام مما ينوب عن لقائه إياها .

ثم يفتخر بنفسه وما يمن به على الجيران و الندماء من المساعدات السخية التى يقدمها لهم ، ويتحدث عن الحروب وما ظهر فيها من بطولات رائعة من أهل قبيلته ، و كذلك يعتز بالجود و الانفاق ، و إطعام الطعام فى أيام المجاعة و الجدب والجفاف ، وبذلك فانه وقبيلته يفوق كل قبيلة فى جميع خصال الخير والبر والشجاعة والسيادة و السخاء والبر و الاباء و القوة ، يقول :

ألم تسأل الربع الجديد التكلما ... بمدفع أشداخ فبرقة أظلما (٢)

---

(١) أهدل من هدل يهدل الشئ إذا أرسله إلى أسفل فاسترخى ، و يقال مشفر أهدل بمعنى مشفر مسترخ منقلب على الذقن ، يقول : إنى استمتعت من لذة الخمر المصنوعة من عصير العنب الطازج الذى يتدلى غصنه لنضجه ، من غير تأخير أو مماطلة .

(٢) الربع المنزل ، الدار ، وما حولها ، الموضع الذى يرتبع فيه الناس ، مدفع سيل عظيم إلى الوادى ، أشداخ : واد من أودية المدينة ، البرقة : كل شئ اجتمع فيه سواد وبياض فهو أبرق ، وبرقة أظلما : موضع .

أبى رسم دار الحى أن يتكلما ... وهل ينطق المعروف من كان ابكما (١)

بقاع نقيع الجزع من بطن يلبن ... تحمل منــه أهله فتهما (٢)

ديار لشعثاء الفؤاد و تربهـا ... ليالى تحتل المراض فتغلما (٣)

و إذ هى حوراء المدامع ترتعى ... بمندفع الوادى أراكا منظما (٤)

اقامت به بالصيف حتى بدالها ... نشاص إذا هبت له الريح أرزما (٥)

و قد أل من أعضاده و دناله ... من الأرض دان جوزه فتحمحما (٦)

تحن مطافيل الرباع خلاله ... إذا استن من حافاته البرق أثجما (٧)

(١) الرسم ماكان على وجه الأرض من الآثار مثل الأثافى والرماد وآثار الأوتاد .

(٢) القاع : الأرض السهلة المستوية ، الجزع : منعطف الوادى ، نقيع الجزع ، واد من المدينة على أربعة برد ، وبطن يلبن ، موضع ، تحمل : يعنى ارتحل وظعن ، تتهم إذا أتى إلى أرض تهامة .

(٣) المراض ، مراضان ، وهما واديان بأرض غطفان فى ديار بنى تميم ، تغلما فى الأصل تغلمان ، وهما جبلان .

(٤) الحور شدة بياض العين فى شدة سواد سوادها، حوراء صيغة الصفة وجمعها حور ، المدامع يعنى بها العيون ، ومندفع الوادى الذى يدفع ماءه فيجرى ، أراك : اسم شجر : المنظم المنسق فى نباته .

(٥) نشاص : السحاب المرتفع فى عرض السماء منتصباً ، أرزم الرعــد : إذا اشتد صوته .

(٦) أل ، بمعنى برق ، وآل بمعنى اجتمع ، أعضاده يعنى نواحيه، دان : قريب ، جوزه يعنى وسطه ، و تحمحم بمعنى صوت رعده .

(٧) المطافيل جمع مطفال ، الابل معها أولادها ، الرباع جمع ربع ، ما نتج فى الربيع ، استن البرق بمعنى صوت رعده ، أثجم : سال و أمطر .

و كاد بأكناف العقيق وئيده	يحط من الجماء ركنا ململماً (١)
فلما علا تربان و انهل ودقه	تداعى و ألقى بركه وتهزما (٢)
و أصبح منه كل مدفع تلعة	يكب العضاه سيله ما تصرما (٣)
تنادوا بليل فاستقلت حمولهم	و عالين أنماط الدرقل المرقما (٤)
عسجن بأعناق الظباء و أبرزت	حواشى برود القطر وشياً منمنما (٥)
فأنى تلاقيها إذا حل أهلها	بواد يمان من غفار و أسلما (٦)

(١) العقيق : واد فى المدينة ، وئيد الرعد : شدة صوته ، الجماء هضبة على ثلاثة أميال من المدينة ، ململم : المجموع بعضه إلى بعض ، و بمعنى مدملك ، يعنى ملمس .

(٢) تربان : موضع على خمسة فراسخ من المدينة ، كثير المياه ، الودق : المطر ، و ألقى بركه ، يعنى أقام بحيث لا يبرح ، تداعى السحاب بالبرق و الرعد ، إذا أرعد وبرق .

(٣) التلعة ، مسيل الماء الذى ينصب فى الوادى ، العضاه كل شجر له شوك جمع عضة يعنى يكب السيل العضاه على الأرض من غير أن يكون ذلك قد قطع .

(٤) عالين بمعنى ركبن الهوادج ، الحمول : النساء المحمولات فى الهوادج ، أنماط : نوع من الثياب المصبغة ، الدرقل نوع خاص من الثياب ، المرقم : الموشى المطبوع بالأرقام .

(٥) عسجن بمعنى مددن أعناقا كأعناق الظباء ، برود القطر ، برود حمراء من اليمن ، المنمنم ، المخطوط بالخطوط المتقاربة يعنى برودا حمراء يمنية مطبوعة بالخطوط المتقاربة .

(٦) أنى ، ظرف بمعنى الاستفهام يعنى كيف يمكن التلاقى مع الحبيبة ، وقرأ البعض تلاقيها بضم التاء بصيغة خطاب ، اذا حل أهلها بواد يمان ، حيث تسكن الحبيبة ، إذن يستحيل اللقاء معها قبل مجيئ الموسم الذى يجمع بينهما ، يصرح ذلك فى البيت التالى .

تلاق بعيد و اختلاف من النوى ... تلاقيكها ، حتى توافى موسما (١)
سأهدى لها فى كل عام قصيدة ... و أقعد مكفياً بيثرب مكرما (٢)
ألست بنعم الجار يؤلف بيته ... لذى العرف ذا مال كثير ومعدما (٣)
و ندمان صدق تمطر الخير كفه ... إذا راح فياض العشيات خضرما (٤)
وصلت به ركنى و وافق شيمتى ... ولم أك عضا فى الندامى ملوما (٥)
و أبق لنا مر الحروب ورزؤها ... سيوفا و أدراعا وجمعاً عرمرما (٦)
إذا اغبر آفاق السماء و أمحلت ... كأن عليها ثوب عصب مسهما (٧)

(١) يعنى تلاقيك إياها بعيد ، والنوى لا يزال حائلا بينك وبينها ، فلا أمل فى اللقاء معها ما لم توافِ الموسم أوهى تكون قد وافت الموسم كذلك .

(٢) يعنى اكتفى باهداء قصيدة لها كل عام ، و ذلك ما يكفينى ، و أترك السعى وراءها دون جدوى .

(٣) الباء زائدة فى بنعم الجار ونعم الجار يولف بيته خبر ليس ، ذا مال كثير و معدما ، خبر لكان المضمرة يتعلق بذى العرف كأنه قال سواء كان ذلك غنياً أو فقيراً ، يجعل بيته مألفاً لكل شخص .

(٤) و ندمان صدق ، يعنى رب نديم يشاركك فى الشراب تمطر الخير كفه ، فياض العشيات ، أى جواداً وقت العشى الذى هو وقت الشرب . الخضرم : الجواد كثير العطاء .

(٥) الشيمة : الطبيعة : الخلق و العادة ، العض بكسر العين : سيئ الخلق الذى يؤذى الناس بلسانه .

(٦) العرمرم : الجيش الكثيف .

(٧) إذا اغبر آفاق السماء و أمحلت السماء ، يعنى إذا أصابها الجفاف وانقطع المطر ، العصب : برود يمنية يعصب غزلها ، يعنى يجمع ويشد ثم يصبغ وينسج ، المسهم : المخطط .

حسبت قدور الصاد حول بيوتنا قنابل دهما فى المحلة صيما (١)
يظل لديها الواغلون كأنما يوافون بحراً من سميحة مفعما (٢)
لنا حاضر فعم - وباد كأنه شماريخ رضوى عزة وتكرما (٣)
متى ما تزنا من معد بعصبة وغسان نمنع حوضنا أن يهدما (٤)
بكل فتى عارى الأشاجع لاحه قراع الكماة يرشح المسك والدما (٥)
إذا استدبرتنا الشمس درت متوننا كأن عروق الجوف ينضحن عندما (٦)

(١) الصاد ، الصفر وهو النحاس الجيد ، قنابل جمع قنبلة بفتح القاف جماعة من الخيل أو الناس ، والقنابل بضم القاف : العظيم الرأس ، القنبل بضم القاف الرجل الغليظ الشديد ، دهم ، جمع الأدهم بمعنى الأسود ، صيم جمع صائم ، بمعنى واقفة ، قائمة ، يشير إلى القدور الضخمة التى يطبخ فيها الطعام للضيوف و الوافدين عندهم .

(٢) الواغل ، الذى يدخل على القوم فيشرب معهم من غير أن يدعى ، أما الراشن فهو الذى يدخل على القوم فى مجلس الطعام من غير أن يدعى ، وهو الطفيلى ، سميحة ، بئر فى المدينة المنورة معروفة بغزارة مائها .

(٣) رضوى جبل و شماريخه قممه ، فعم : كثير .

(٤) الواو فى و غسان للقسم ، يريد : قسما بغسان نمنع حوضنا أن يهدما : كناية عن صيانة العرض و الحقيقة .

(٥) الأشاجع جمع الأشجع ، وهو العصب الممدود فوق السلامى من بين الرسغ إلى أصول الأصابع ، و عارى الأشاجع : كنـاية عن ممارسته الحروب ، الكماة جمع الكمى ، بمعنى الشجاع ، يرشح المسك و الدما ، يشير إلى أنهم ملوك فاذا سال منهم الدم توجد فيه رائحة المسك .

(٦) العندم : دم الغزال ، يعنى إذا أصابتهم الشمس من خلفهم و عرقوا منهـا فتكون فيها رائحة المسك كذلك .

و لدنا بنى العنقاء و ابنى محرق   فأكرم بنا خالا ، و أكرم بنا ابنما

العنقاء هو ثعلبة بن عمرو مزيقياء بن ماء السماء، ومحرق هو الحارث بن عمرو مزيقياء و هو أول من عاقب بالنار ، ويشير بهما حسان إلى أصالة نسبه و عراقة أصله من طرف الأم وطرف الأب كليهما كما يصرح بذلك فى عجز البيت فى قوله فأكرم بنا خالا ، و أكرم بنا ابنما ، و ما زائدة فى (ابنما) جاء بصيغة التعجب لتأكيد المعنى .

نسود ذا المال القليل إذا بدت   مروءته فينا ، و إن كان معدما (١)

و إنا لنقرى الضيف إن جاء طارقاً   من الشحم ما أضحى صحيحاً مسلما (٢)

ألسنا نرد الكبش عن طية الهوى   ونقلب مران الوشيج محطما (٣)

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى   و أسيافنا يقطرن من نجدة دما (٤)

هذا هو البيت الذى سمعه النابغة فقال له : أنت شاعر ولكنك أقللت جفانك وأسيافك (يعنى جمعتهما جمع قلة) وزادت عليه الخنساء فقالت : لقد قلت : يلمعن بالضحى و كان حقه أن يقال بالدجى ، وقلت : الغر و كان حقه البيض ، ويقطرن و كان الأجمل يسلن أو يفضن .

---

(١) يعنى نجعله سيداً فينا و إن كان فقيراً مع شرفه و مروءته ، معدما : بمعنى فقيراً كذلك .

(٢) يقول : إننا نضيف الضيف و إن نزل فى جوف الليل ، ونطعمه من الشحم الخالص بذبح جزور فى حينه

(٣) الكبش : الرئيس ، القائد ، الطية : بمعنى النية ، مران جمع مارن ، يريد الرمح المارن اللدن ، والمارن طرف الأنف اللين ، الوشيج : الشجر الذى تتخذ منه الرماح .

(٤) الجفنات جمع قلة للجفنة ، القصعة الكبيرة ، النجدة : الشجاعة ، والشدة أيضاً .

أبى فعلنا المعروف أن ننطق الخنا ... و قائلنا بالعرف إلا
أبى جاهنا عند الملوك و دفعنا ... وملء جفان الشيز حتى
فكل معد قــد جزينا بصنعه ... فبؤسى ببؤساها و ب

و هذه أبيات ثلاثة قالها فى الجاهلية ، وفيه معان جميلة تضاهى .

وممسك بصداع الرأس من سكر ... ناديته و هو مغلوب ،
لما صحا و تراخى العيش قلت له ... إن الحياة و إن الم
فاشرب من الخمر ما واتاك مشربه ... و اعلم بأن كل عيش صا

هنا ينتهى الشعر الجاهلى لحسان بن ثابت ، وليس هذا استيعاباً ا
كله و لكنها محاولة لجمع كلامه فى مناسبة دراسية للشعر المخضرم ، و
الله ـ تعالى دراسة شعره الاسلامى فى الحلقات القادمة .



(١) الخنى الفحش فى الكلام .

(٢) الشيز : خشب أسود صلب تصنع منه الجفان ، وتهزم بمعنى تتهزم
بالشحم ، هذا البيت أيضاً متعلق بالبيت الذى قبله .

(٣) يعنى أن حيا الكأس قد أورث الصداع فأصبح مغلوبا على أمر
لى : فداك نفسى .

(٤) واتاك ، من المواتاة ، يعنى ما وافقك شربه ، فكل حياة سعيد
و أن فى قوله « بأن » مخففة للضرورة .

التدخين انتحار بطيء

-(٢)-

الأستاذ سعيد بن عبد الله بن سيف الحاتمي

النيكوتين :

إن كمية النيكوتين الذى تحويه السيجارة العادية تكون فى حدود ٢٣ ملغراما ، منها ١٧ ملغراما فى الجزء الذى يدخنه المدخن فعلا و يدخل حوالى ٣ ملغرامات فى فم المدخن و بهذا نرى أن كمية النيكوتين التى يدخلها المدخن فى فمه إذا كان يشرب معدل عشرة سجائر فى اليوم هو ٣٠ ملغراما ، وتتراوح الكمية التى تمتصها أغشية الجسم البشرى ما بين ١٠ ٪ منها حسب ظروف مختلفة :

هل المدخن مدمن أو غير مدمن فى شرب السجائر ؟ وليس بخاف على أحد أنه إذا عطيت كمية ٦٠ ملغراما إلى شخص دفعة واحدة فان هذا الشخص يموت فوراً بيد أنه يحمل الدم ١٠ ٪ من النيكوتين الممتص إلى الكليتين حيث يتخلص منها عن طريق البول دون تغيير كيماوى ، أما ٩٠ ٪ الباقى فيجب أن تمر بتغييرات كيماوية لتكون ساكنة عديمة الحركة و يحدث هذا خلال أربع و عشرين ساعة فقط .

إن النيكوتين يؤثر على عصب الغدد الليفاوية و على مراكز الاتصال بين الأعصاب ، و العضلات ، إن النيكوتين يهيج الغدد الليفاوية و قد يؤدى هذا التهيج إلى شلل التركيب الذى تزوده الدورة العصبية وعضلات التنفس وذلك بمنع التيارات العصبية وعضلات التنفس من الوصول إلى العضلات .

أما تأثير النيكوتين على العين فيكون سبباً فى اتساع حدقة العين ، بحيث لا ترى فى الضوء القوى ويكون القريب منها صغيراً فى شكله ، ويزيد النيكوتين على سرعة ضربات القلب وينتج هذا ازدياد ضغط الدم بفقدان ضبط أوعية الدم فى

الجسم البشرى وله أثر كبير على المثانة البولية ، بحيث يجعل إفراغها صعباً و يسبب النيكوتين دوراناً فى الرأس و ارتعاشات فى الجسم .

التدخين و الحمل :

تقول الدكتورة وينيا سيمبسون: إن عدم انتظام الحيض يكون عادة مرتين عند أكثر النساء المدخنات ، من النساء غير المــدخنات ، و إن انقطاع الحيض السابق لأوانه يحدث غالباً للدخنات وعدم انتظام الغدة الدرقية يتكرر سبع مرات فى النساء المدخنات أكثر منه فى النساء غير المدخنات ، و هذا يعطينا دليلا واضحاً على أن للتدخين تأثيراً على الطفل لأن المنتجات المسمية الموجوده فى دخان التبغ تصل إلى دم أنسجة الطفل الذى لم يولد بعد .

السيجارة أكثر ضرراً من الغليون والسيجار :

يقول الدكتور هارلد شراياك فى كتابه «هل لك فى سيجاره» الكتاب الحائز على جائزة باسيفيك برس : كل الدراسات حتى الآن أظهرت أن النسب المئوية فى الاصابات بسرطان الرئة هى أقل بين من يدخنون الغليون و السيجار عما هى بين مدخنى السكائر .

حتى أولئك الذين يدخنون أقل من نصف علبة يومياً ، و بناء على هذا فان سرطان الرئة بين مدخنى الغليون والسيجار أكثر فى الغالب مما هو بين غير المدخنين ، من المعلوم أن دخان الغليون و السيجار يهيج أنسجة الجهاز التنفسى كما أنه فى الواقع يحدث هيجاناً أكثر من دخان السجائر .

اختم هذا المقال بكلام جورج واشنطن كارفر الذى كان يعيش فى منطقة زراعة التبغ بقوله :

« إن التبغ ليس طعاماً ولا شراباً ، والانسان يقوم بناؤه على الطعام والشراب ، و المخدرات لا تفعل شيئاً ما لبناء الجسم وفضلا عن ذلك لو أن الله قصد أن يستعمل الأنف مدخنة لجعل فتحتيه متجهتين إلى أعلى .

فلنتذكر أيها الاخوة الأحبة قول الرسول ﷺ (كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به » .

عوداً على بدء مما يجدر الاشارة إليه قول جورج و اشنطن كارفر الذى كان يعيش فى منطقة زراعة التبن ، إنه قال : إن التبغ ليس طعاماً ولا شراباً والانسان يصير جزءاً مما يأخذه ، فالمخدرات لا تفعل شيئاً ما لبناء الجسم ، وفضلا عن ذلك ، لو أن الله قصد أن يستعمل الأنف مدخنة لجعل فتحتيه متجهتين إلى أعلى (١) .

اضرار أخرى عن التدخين :

لكى لا نطيل على القارىء الكريم ونذكر هنا باختصار بعض الأضرار المترتبة بسبب التدخين ، منها :

أ ـ القطران : (القار)

تلتصق ذرات المادة الصلبة الموجودة فى الدخان بالأغشية الرطبة التى على طريق مجارى الهواء ومنها تنشأ قشرة من القطران بسبب كثرة شرب السجائر و يقال إنه لا يقل عن نصف مجموع القطران الموجود فى التبن ، يرسب فى أنسجة المجارى الهوائية والرئتين ، يتوقف معرفة نوع القطران على طريقة تحضير التبغ ودرجة الحرارة .

ب ـ ضعف التحصيل العلمى :

أجريت عدة اختبارات و دراسات على طلبة الصفوف العليا لمعرفة مدى تأثير التدخين على التحصيل العلمى و كانت النتائج أن ١٠ ٪ من الطلبة فقدوا شيئاً من القوى العقلية و عدد آخر منهم كانوا ضعافاً فى ميادين الخيال و التميز و المقارنة ، وذلك لأن التدخين يخفض النشاط العقلى ويقلل من تلبية نداء الأعصاب .

ج ـ خفقان القلب :

إن التدخين يقلل من نشاط القلب يقول الدكتور باستيدو : إن القوة القلبية

(١) الدكتور هارلد شراياك : هل لك فى سيكارة .

تنخفض فى وقت التدخين ويصبح القلب مجهداً و فى بعض الحالات تحدث دقات سريعة وسابقة لأوانها ، و الشفاء من هذا يكون سريعاً فى البالغين صغيرى السن ، كما أن استمرار استعمال التبغ يسبب انحطاطاً مزمناً فى القوة القلبية و سرعة النبض الزائدة وخفقان القلب .

٤- سرعة تمثيل الغذاء وسكر الدم :

يقول الدكتور هارلد سراياك فى كتابه « هل لك فى سيكارة » ؟ :

من بين التأثيرات الفورية لدخان السيكارة ، إزدياد سرعة تمثيل الطعام فى الجسم ، و هذا يشير إلى السرعة التى بها تستهلك أنسجة الجسم الطعام وتحدث طاقة وسرعة تمثيل الطعام ، هذه هى ذاتياً السرعة التى عليها يعيش الانسان وعند تمثيل الطعام بسرعة عالية يشعل الجسم وقوداً وتنتج طاقة و حرارة بسرعة أكثر مما لو كان تمثيل الطعام يجرى بسرعة منخفضة وسرعة تمثيل الطعام تديرها غادة غدد الجسم الصماء .

إن سكر الدم هو مصدر الطاقة الرئيسى لأنسجة الجسم والأطعمة المنتجة للطاقة يتحول إليه داخل الجسم ثم يحمله الدم إلى كل أجزاء الجسم حيث يمتزج بالأوكسجين فيولد طاقة وحرارة ، لذلك صار من المعقول إذاً أن يكون الجسم مستعداً للاستجابة حينما تزداد سرعة التمثيل بواسطة إطلاق كمية أكثر من سكر المخزون فى الكبد ، وهكذا ، استجابة لتدخين السيكارة يزداد مقدار سكر الدم الذى ينتشر فى كل أنحاء الجسم .

و إلى هذا الحد يجب أن يكون واضحاً بأن تلبية الجسم الفورية للتدخين تضعه فى حالة طوارىء فيحرق وقوداً بسرعة حيث لديه وقود ميسور للاحراق ثم يقوم القلب بعمل شاق و سريع ليحتفظ بضغط أعلى للدم فى أنحاء الجسم كله ، و الآن نستطيع أن نرى : لماذا القلب و الأوعية الدموية تميل إلى الفناء فى المدخن أسرع منها فى غير المدخن .

تحديات التبشير و التنصير فى اندونيسيا

دكتور على عبد الله على العربى

التبشير و مخططات التنصير فى إندونيسيا :

قضية التبشير فى إندونيسيا قضية مزمنة معروفة لدى الجميع ، و لكن قضية تصاعد نشاط التنصير ومحاولاته من قضايا الساعة فى إندونيسيا ، تقض مضاجع المهتمين بأمور المسلمين و إن أراد بعض الناس فى إندونيسيا أن ينفوا ذلك نفيا باتاً ، إنهم يقولون : إن مروجى أنباء التنصير فى إندونيسيا متسولون يريدون الحصول على التبرعات من الغيورين على الاسلام من مسلمى العالم بترويج تلك الأنباء ، وهذا غريب جداً ، إذ أن أنباء تفاقم جهود التنصير منشورة فى تقارير هيئات التبشير المرفوعة إلى مؤسساتهم المركزية فى أوربا و أمريكا و تنشرها صحفهم السيارة .

حقا إن منجزاتهم فى التنصير بين أوساط المسلمين لا تتكافأ مع ما يبذلون من جهود و تكاليف ، و ذلك بسبب وجود جهود المقاومة و الذب عن الاسلام فى إندونيسيا من المسلمين والمنظمات الاسلامية فيها ودعم مسلمى العالم لتلك الجهود.

و لن يكون بوسع أحد إنكار أمثال رفاعى برهان الدين قسيس الادفنتس و يوسف رونى و هبران أمرى ، ممن تنصروا و أصبحوا من أشرس المبشرين على المسلمين ، إذ يقتبسون من بعض مفاهيم الاسلام و تعاليمه ـ بحكم انتمائهم للاسلام سابقاً ـ و تحريفها لتمويه أباطيلهم و ضلالات تعاليمهم على المسلمين .

و نموذجا لبعض ما يقوم به القوم من مؤامرات أترجم فيما يلى الرسائل المتبادلة بين أمين عام مؤسسة الكتاب المقدس باندونيسيا و القس أ . هندريكس ، رئيس منطقة العاصمة جاكرتا لكنيسة الادفنتس السبتيين :

شعار المؤسسة ـ مؤسسة الكتاب المقدس باندونيسيا

برقياً : الكتاب ص ب ٢٥٥/ جاكرتا جالان واياساالبا ١٢

هاتف : ٨٨٢٨٩٠ جاكرتا ، اندونيسيا

المرجع رقم : ٥٩٠/ سكر / ٥١١ جاكرتا فى ٣ يونيه سنة ١٩٨٢

الملف : ٦ ، ٣

السيد المحترم القس أ. هندريكس

رئيس منطقة العاصمة لكنيسة الأدفنتس السبتيين

جالان سالمبارايا رقم ٤٧ ، جاكرتا

بعد التحية !

بالاشارة إلى خطابنا بتاريخ ٢٨ مايو سنة ١٩٨٢ ، نرجو التفضل بالمساعدة بالسماح القس رفاعى برهان الدين لحضور تشاور مؤسسات الكتاب المقدس لمنطقة آسيا والباسفيك الذى سينعقد فى بانكوك فى الفترة من ٢١/ إلى ٢٥/ يونية سنة ١٩٨٢.

و كما هو معلوم فان هذا التشاور يعقد خصيصاً لدراسة خدمات مؤسسة الكتاب الموجهة إلى المسلمين ضمن قطاع تبليغ الكتاب المقدس بالطريقة المثلى و المفيدة ، وإننا نرجو بالحاح ، خبرات القس رفاعى برهان الدين ستساعد كثيراً فى هذا المضمار.

و إزاء عونكم و مساعدتكم فى هذا الصدد أتقدم بالشكر الجزيل .

مؤسسة الكتاب المقدس فى إندونيسيا

الأمين العام

التوقيع

القس و . ي روماهي

صورة : للقس رفاعى برهان الدين

و فيما يلى جواب قس كنيسة الادفنتس السبتيين :

« مسيحيو الادفنتس السبتيين

منطقة العاصمة جاكرتا و ماحولها

جالان سالمبارايا رقم ٤٧ ، هاتف : ٨١٣٩٧٧

جاكرتا المركزية جاكرتا فى ١٨/ يونيو سنة ١٩٨٢

السيد المحترم

القس و . ى . رومامى

أمين عام

مؤسسة الكتاب المقدس باندونيسيا

ص ب ٢٥٥ ـ جاكرتا

بعد التحية

أرد بهذا أن أشكركم إزاء الكتاب المرسل إلينا حول طلب استعـــداد القس رفاعى برهان الدين لحضور تشاور مؤسسات الكتاب المقدس فى بانكوك .

و بعد أن قدمنا المقترح إلى اجتماع كنيسة الادفنتس السبتيين لمنطقة جاكرتا والمركز فقد قررنا السماح للقس رفاعى لحضور التشاور المذكور .

عسى أن يثمر تشاور مؤسسات الكتاب المقدس لمنطقة آسيا و الباسفيك فى بانكوك عن قرارات تساعد إخواننا المسلمين لمعرفة وتقبل الرب يسوع رباً مخلصاً لهم

و عسى الله أن يبارك فيكم ذلك هو دعاؤنا

تحياتنا

القس : هندريكس رئيس مسيحيى

صورة للقس رفاعى برهان الدين الادفنتس السبتيين لجاكرتا وما حولها

و هكذا يتضح و يبدو جلياً أن محـاولات التنصير و جعل المسلمين يتقبلون الكتـاب و يرتضون بالمسيح رباً مخلصاً لهم ، تمضى قدماً و باستمرار ، لا تقتصر على مسلمى إندونيسيا وحدهم و لكن مسلمى مناطق آسيا و الباسفيك بأسرها .

اذن لمصلحة من ولم يصر بعض الناس على إنكار وجود التنصير فى اندونيسيا، لمصلحة من يقومون بتخدير الأعصاب، وماذا يفيد الاسلام والمسلمون من وراء ذلك.

الجنرال المتقاعد سيما توبانغ ، قطب مجلس الكنـائس الاندونيسى و مجلس الكنائس العالمى عرض فى سنـة ١٩٧٨م فكرته فى ضرورة تقلد النصارى للمناصب المهمه فى أجهزة الادارات الحكومية باندونيسيا ، و قد تحققت هذه الفكرة فى كثير من المناصب الحكومية و يبدو ذلك فى منطقة مانادو فى محافظة سونويسى الشماليـة إذ أصبحت كافة مناصب الدرجة الثانية و الأولى هناك يتولاها النصارى .

وما يقال عن التخطيط بالنسبة للمناصب الادارية يمكن أن يقال أيضاً عن القوات المسلحة .

و يقوم النصارى بتحقيق مخططاتهم هذه بطرق عدة ، من بينها ابتعاث شبابهم لمواصلة دراساتهم الجامعية ، فى أوربا و أميركا بمنح دراسية متكاملة شاملة ، تقـدم إليهم من الهيئات المحلية أو الخارجية ، فلا يعودون إلى إندونيسيا إلا و قد حازوا على أعلى الدرجات الجامعية فى مختلف التخصصات العلمية و الفنية .

ثم إن مـدير عام ديوان الموظفين فى اندونيسيا جنرال نصرانى اسمه الجنرال ما نيهوروك ، كما كان يريد جهاز الرقابة و السيطرة على الموظفين الدكتور يوهانس بابتيستا سومارلين ، فهل يستحيل على القوم تنفيذ مخططاتهم تلك ؟

إدارة التهجير الداخلى و محاولة تطعيم جهازها بالنصارى :

التهجير الداخلى واحد من بين مشروعات التنمية والانماء المهمة جداً ، ويهدف أولا : إلى التخفيف من الكثافـة السكانية فى جاوا المكتظة جداً بالسكان ، مما أدى إلى شح شديد فى مستويات الانتاج و فرص العمل للسكان .

ثانيا : إيجاد مجالات الكسب والانتاج بالنسبة للمهجرين فى مستوطناتهم المستجدة خارج جزيرة جاوا وهى غالبا ذات تربة خصبة معطاءة ، و إنما ينقصها جدا اليد العاملة .

و سياسة التهجير الداخلى هذه اصطنعت منذ أيام الاستعمار الهولندى ، إذ كان تعداد إندونيسيا ما زال نصف تعدادها الحالى أو أقل، واستمرت هذه السياسة بعد استقلال إندونيسيا و قيام حكومتها المستقلة ، خاصة لشدة تصاعد الزيادة السكانية فى جزيرة جاوا، و وجد النصارى فى تنفيذ هذه السياسة فرصة ثمينة جداً، فالمهجرون عادة من الفقراء المملقين ومن الأميين وينقلون إلى مناطق الغابات العذراء النائية عن مراكز التجمع والمدن ، وقد تعثرت خطى الحكومة فى تنفيذ سياسة التهجير بسبب النقص الشديد فى ميزانية الدولة ، فتقدمت الهيئات الكنيسية وأشدها الكنيسية الكاثوليكية التى أبدت استعدادها للقيام بمهام التهجير ، شرط أن تعد الحكومة المنطقة التى سيهجر إليها السكان .

وهذا سيتيح الفرص الكبرى للانفراد بهؤلاء المهجرين لتصنع معهم ما تشاء وتهوى .

و أيام الاستعمار الهولندى تصدت الكنيسة الكاثوليكية لتقديم خدماتها لهؤلاء المهجرين فى محافظة لامبونغ التى أصبحت الآن واحداً من أوكار التنصير والتبشير ، و لو لا قيام منظمة المحمدية بالتصدى لمواجهة هؤلاء و إيجاد البدائل و الخيارات الاسلامية أمام هؤلاء البائسين لأصبحوا فريسة سائغة للتنصير ، فكانت المحمدية تنشئ مسجدا أمام كل كنيسة فى مستوطنات المهجرين ومدرسة إسلامية أمام مدارس التبشير و مدارس الأحد و مستوصفاً بل ربما مستشفى إزاء كل مستشفى تبشيرى .

تصاعد وسائل مواصلات التنصير :

و تمكنت هيئات التنصير أن تمتلك البواخر والطائرات لمواصلاتهم فى المناطق المختلفة من إندونيسيا ، و آخر ما تم لها من ذلك تسليم و استلام مؤسسة « زمالة طيران الارساليات » التى أسسها طيارو أميركا بعد تسريحهم بانتهاء الحرب العالمية الثانية . و تملك هذه المؤسسة ٢٥ طائرة طراز التشيسنا و عدة مطارات منها سبعة مطارات فى المناطق الداخلية من إيريان الغربية كما تملك أيضاً عدة طائرات هيليكوبتر

و أصبحت هناك هيئة زمالة طيران إرساليات وطنية .

وهناك فى كاليمنتان الغربية طيران خاص بهذه المنطقة يملك حوالى ٤٨ مطاراً يصل المناطق الداخلية التى لا يمكن الوصول إليها بسبب كثرة الأنهار الكبيرة والمستنقعات بالمدن والعواصم.

وجدير بالذكر أن الدعاة المتفرغين للعمل بتلك المناطق الداخلية يتنقلون بالقوارب ولم يتمكن المجلس الأعلى الاندونيسى للدعوة الاسلامية من تزويدهم بوسائل مواصلات تسهل لهم التنقل بين مختلف المناطق التى يشرفون عليها ، ولكنهم فدائيون حقا يعملون بصمت مقابل مكافآت لا تتجاوز ٢٠ دولاراً فى الشهر .

و من الجدير بالذكور أن حكومات الادارة المحلية بالمنطقة تستعين بخدمات خطوط طيران التبشير فى نقل موظفيها و رسائلها و نحو ذلك من المهام .

نسينا أن نقول إن زمالة طيران الارساليات الاندونيسيـة أنشئت فى فبراير سنة ١٩٨٤م ، من بين رؤسائها الجنرال الاندونيسى (المتقاعد) ليولوبوليسا، الذى كان سفيراً لاندونيسيا فى الفليبين قبل تقاعده .

وحدات الاقراض (اليونيون كريديه) وتمارس نشاطاتها فى المناطق الفقيرة و قد تزايد نشاطها أخيراً خاصة خلال أزمة الركود الاقتصادى و هذه الوحدات تتبع مؤسسات التنصير .

تيارات أصحاب المعتقدات فى الرب المتفرد :

و هذه فئات و شراذم لا تريد و لا تقبل الانتماء إلى أى دين من الأديان السماوية أو غير السماوية و لكنها أيضاً تخشى أن يقال عنها إنها ملحدة ، و كانت سابقاً تمثل جماعات من الجاويين أبت أن تعتنق الاسلام دينا و كانت تتمسك ببعض المفاهيم المترسبة عن الهندوكية أو البوذية و كانت تسمى جماعة الكيباتينان أى الباطنية وهم أوزاع شتى ، لا تجمعهم سوى نكران الأديان ، و كانت أيام العهد القديم من الجماعات المحظورة ولكنها بعد قيام العهد الجديد أصبحت معترفا بها كهيئات بل كادت أن تنتزع لنفسها الاعتراف بكونها على مستوى واحد مع الأديان و أصبح لها الآن

.كن فى التليفزيون الاندونيسى أسوة بالاركان المخصصة للاديان كالاسلام و المسيحية
و الهندوكية و البوذية ، تذيع منها تعاليمها و خزعبلاتها .

هذه الجماعات تقول إن من الافتئات الصريح أن يقال إن المسلمين فى إندونيسيا تبلغ نسبتهم ٩٥ ٪ من السكان ، إذ أن كثيراً من الجاويين يجبرون على الاعتراف بأنهم مسلمون عندما يريدون عقد الزواج ، إذ أن المأذون الشرعى لا يعقد الزواج إلا بعد أن يعترف الزوج بأنه يدين بالاسلام و بعد أن ينطق بالشهادتين ، و الرجل مضطر إلى ذلك حتى يتزوج .

و قد حاولت هذه الجماعة أن يعترف لها بطريقة زواجها الخاص بها و أن تعد لها مقابر خاصة بها و قد أهاب الرئيس سوهارتو بارشاد هذه الجماعات لكى تنضوى كل منها إلى الديانة التى انفصلت عنها .

ثالثاً - تعليم أخلاقيات البانتشاسيلا :

تعليم أخلاقيات البانتشاسيلا مادة جديدة فى المنهج التعليمى الاندونيسى ، قرره وزير التربية والثقافة كبديل من مادة التربية الوطنية (أو ما يعرف بمادة سيفيكس بالانجليزية) ويريد بذلك أن يوحى إلى السذج و البساط أن فى البانتشاسيلا أيضاً مصادر للاخلاقيات كما فى الأديان الأخرى .

و قد قررت الوزارة اثنى عشر كتابا لمادة أخلاقيات البانتشاسيلا هذه ، ستة منها للمرحلة الابتدائية و ثلاثة للمرحلة الثانوية .

وقد حشوا فى هذه الكتب كل ما من شأنه زعزعة التعاليم الدينية وبلبلة العقيدة، وكل ما يروج مفاهيم المساواة التامة بين مختلف الأديان والمعتقدات فى الرب المتفرد.

من ذلك فقرة الحوار التى وردت فى أحد أجزاء الكتاب بين طفل وأبيه وهو يسأله :
أبتاه، ترى ماديانة العم سوديرو ، فلم يره أحد يدخل مسجداً أو كنيسة أو معبداً فيجيبه الأب :

إن العم سوديرو، من أصحاب المعتقدات فهو لا يدين بأى دين من هذه الأديان و لكنه رجل صالح يحب فعل الخير و مساعدة الغير !

أى أن من لا يدين بأحد الأديان لا يتنافى مع احتمال الصلاح و الطيبة .

وقد ثارت ثائرة رجال التربية من المسلمين و احتجوا على إقرار تلك الكتب و ما تنطوى عليـــه من خطر على العقيدة ، و لكن وزير التربية آنذاك ، داؤد يوسف ، لم يأبه بكل تلك الاحتجاجات .

ولكن بعد قيام الوزارة الحالية قرر وزير التربية الجديد نوقروهو نوتوسوسانتو سحب تلك الكتب و قد بلغت نسخها أكثر من ٨ ملايين نسخـــة و إرسالها إلى مصنع الورق لاعادتها عجينا للكرتون .

رابعاً : فرض مبادىء البانتشاسيلا أساساً وحيداً على الشعب الاندونيسى و منظماته السياسية و الاجتماعية ، و بذلك أصبحت الأحزاب و عددها ثلاثة، حزباً واحداً و إن لم تندمج فى بعضها .

و قد فرض على المنظمات الاسلامية مثل منظمة الطلبة الجامعيين الاندونيسيين المسلمين و منظمة المحمدية وغيرها أن تعدل لوائحها الأساسية وتقرر فيها البانتشاسيلا أساساً وحيداً لها بدلا من الاسلام الذى ظل أساساً لها منذ أن أنشئت وعلة إنشائها.

و قد أعلنت منظمة الطلبة الجامعيين المسلمين فى مؤتمرها العام المنعقد بمدينـــة ميدان سنة ١٩٨٢ أنها ستبقى على أساسها الاسلامى حتى يصـــدر تشريع دستورى يقضى بغير ذلك و عند ذاك سيكون لكل حادث حديث ، أما منظمة المحمدية فقد اعلنت على لسان رئيسها الحاج عبد الملك أحمد أنها لن تستطيع استبدال البانتشاسيلا بالاسلام فقد تأسست المنظمة منذ ٧٥ عاماً على أساس الاسلام ومن أجل الاسلام فكيف تتخلى عنه ، إنها إن فعلت ذلك فاما أن تنافق وتتظاهر بالبانتشاسيلا بينما هى قائمة باقية على الاسلام و ليس النفاق من خلق المسلم و إما أنها تتخلى فعلا عن أساسها الاسلامى فتصبح غير إسلامية و بذلك خانت مبدأها .

أما وعاء التشاور بين مختلف الأديان باندونيسيا و قد أنشئ بتوجيه من الحكومة ويضم كلا من مجلس علماء إندونيسيا المسلمين والمجلس الأعلى لرعاة الكنائس الكاثوليكية باندونيسيا و مجلس الكنائس باندونيسيا و مجلس باريسادا هندو دارما للهنادكة ومجلس البوذيين، فقد قرر وأقر أن كل زعيم دينى مطالب ببناء العقيدة الدينية فى نفوس أتباعها و يعمل فى نفس الوقت ليكونوا مواطنين صالحين .

خامسا : منع طالبات المراحل المتوسطة و الثانوية من ارتداء الخمار فوق الزى المدرسى ، و هكذا فأية طالبة ترتدى الخمار و تحتشم فى أزيائها تخير بين التمسك بزيها المحتشم أو تختار لنفسها مدرسة أخرى أو تطرح خمارها لتظل مقبولة فى مدرستها ، وقد نفذ ذلك بالفعل فى بعض المدارس واستعان نظار تلك المدارس بجنود الحكومة و استخدمت كعوب البنادق ضد التلميذات الملتزمات الضعيفات و استدعى ارسال بعضهن إلى المستشفى لأصابتها إصابة بالغة من تلك الكعوب .

و قد قامت ردود فعل قوية فى أوساط الطلبة و المربين و لكن الصحافة لم تجرؤ على نشر هذه الأنباء الخاصة بردود الفعل التى قامت ضد الاجراءات المعادية لزى التلميذات المحتشمة علما بأن هؤلاء التلميذات المحتشمات لم يبد منهن أى سلوك أو موقف استفزازى إزاء هيئة التدريس بالمدرسة و لاتجاه زميلاتهن الأخريات ، و الأغرب من ذلك موقف العداء و الكره لهذا الاحتشام من قبل هيئة التدريس بينما تتغاضى عن ذوى السلوك المخل بالآداب أو المتورطين فى المخدرات من التلامذة و الطلبة .

و من الملاحظ أيضاً أن حصص الدين فى مدارس الحكومة قد نقصت إلى النصف ، مما كان مقرراً سابقاً ، علماً بأن المقرر سابقاً لا يكفى .

سادساً : سيطرة الصينيين على أزمة الاقتصاد فى اندونيسيا بعد قيام العهد الجديد و نالوا فيه حظوة لم يحظوا بها من قبل حتى فى أيام الاستعمار الهولندى الذى كان يستعين بهم لتنفيذ مخططات امبرياليته و استعماره ، و لا فى أيام سوكارنو حليف

الصين الشعبية ، لقد سيطروا الآن على قطاعات ضخمة فى الاقتصاد وقضوا على رجال الأعمال الاندونيسيين و استحوذوا على مؤسساتهم .

وكنموذج لهؤلاء الصينيين الذين قفزوا فى العهد الجديد نذكر اسم ليم سيوليونغ وكان واحداً من مهاجرى الصينيين من كانتون وحتى سنة ١٩٦٥ لم يكن سوى متسبب فى حانوت بمدينة قدس ، و كانت له علاقات ببعض المتنفذين من السكرتاريا ، هذا الرجل أصبح الآن بعد بضع عشرة سنة من قيام العهد الجديد واحداً من بين بضعة أفراد فى العالم مالكا لمليارات الدولارات و أصبحت له مطاحن القمح و احتكارة تجارة القرنفل و يملك شركات و بنوكا داخل إندونيسيا و خارجها ، و هذا واحد من بين مئات الصينيين الذين طفوا على السطوح بعد قيام العهد الجديد .

مواجهة التحديات :

١- قرر المجلس الأعلى الاندونيسى للدعوة الاسلامية تفريغ طائفة من الدعاة المؤهلين ميدانيا و عينهم فى الثغور و مناطق الوهن الاسلامية التى تعانى من الجهل و الفقر و المرض و التخلف و هى مستوطنات المهجرين و مواطن البدائيين ، و أصبح للمجلس فى هذه المناطق ٢٩١ داعية يقيمون فيها و يعيشون وسط سكانها يرشدون ويوجهون ، إلى جانب دعاة آخرين من مركز « قبلة » ومن رابطة العالم الاسلامى .

٢- معالجة المعاهد والمدارس الاسلامية الأهلية و تصعيد مستوياتها التعليمية باصلاح مناهجها وتأهيل معلميها والتنسيق فيما بينها ، وأنشأ المجلس لذلك اتحاد المعاهد الاسلامية فى كل من محافظة جاوا الشرقية و جاوا الوسطى و يوقيا كرتا و جاوا الغربيـة و سومطرا الغربية .

٣- رفع مستوى الدعاة و المبلغين بعقد دورات تدريبية دورية لهم ، يتلقون فيها العلوم و مختلف الفنون و ذات العلاقة بتقنية الدعوة .

٤- و يتولى المجلس أيضاً إصدار ونشر الكتب الاسلامية والمجلات ، من ذلك .

[ا] نشرة خطب الجمعة وهى أسبوعية و تصدر ٠٠٠ ر ٢٥٠ نسخة من خطبة الجمعة المختارة ليطلع عليها أفراد العائلات .

[ب] مجلة « صوت المساجد » (شهرية) و تقدم مختلف علوم الشريعة وأنباء العالم و مختلف شعب العلوم و الفنون الأخرى .

[ح] مجلة « ميديا دعوة » أى « وسائط الدعوة » (شهرية) و تنشر بحوثاً و مقالات دسمة تزود الداعية و القارىء بعامة بما يغذى الثقافة و الفكر .

[د] مجلة (صحابات) الاسلامية للاطفال ، و ربما كانت هى الوحيدة من مجلات الأطفال ذات الاتجاه الاسلامى .

[ﻫ] إنشاء المساجد الخاصة بأحرام الجامعات الحكومية و الأهلية بعامة ، و هذه المساجد تقوم بدور هام لبناء طلبة الجامعات إسلامياً و تؤدى دور المراكز الطلابية بخاصة ، من ذلك مسجد صلاح الدين و مركز ديبو نيقورو إلى جانب مسجد سلمان الفارسى بحرم جامعة باندونج للتكنولوجيا .

(٥) إقامة المستشفيات و المستوصفات ومنشآت الخدمات الصحية الأخرى فى المناطق الداخلية ، تأمينا للخدمات الصحية للشعب و وقاية له من مؤسسات التنصير العاملة فى قطاع الخدمات الصحية ، من ذلك مستشفى ابن سينا الاسلامى المتكامل فى بوكت تنق ، وفروعه التى تؤدى دور المستوصفات ومستشفيات الولادة ، ومستوصف الشفاء فى جامبى و لامبونغ .

كل هذه المنشآت أقامها المجلس بمساعدة ومعونات الغيورين على مستقبل الاسلام و العمل الاسلامى فى إندونيسيا ، و أقطار الشرق العربى .

و إلى جانب ذلك يقوم المجلس الأعلى الاندونيسى للدعوة الاسلامى بأعمال التنسيق فيما بين مختلف الجمعيات والجماعات الاسلامية العاملة وتزكية الهيئات الاسلامية التى تتقدم بطلب المساعدات من الخارج وتحققت لها ما تتطلع وترجوه من المساعدات .

مسئوليـــة الـكتــابة

واضح رشيد الندوى

هيأت وسائل الاعلام المتوفرة اليوم ، و تسهيلات الطباعة و النشر ، وانتشار دور التوزيع المدعمة بالوسائل المادية ، فرصة للكتابة ، لكل من يحمل القلم و يقدر على التعبير ، كما هيأت الحياة الشاغبة و تكاليفها الباهظة التى تجبر الانسان على العمل الشاق ، أكثر من طاقته ، و زادت همومه و آلامـــه ، بارتفاع مستوى الحيـاة إقبالا على مواد القراءة من كل نوع بصرف الاهتمام عن مسائل الحياة المضنية ، وشغل الذهن عن مشاكل الكفاح للحياة ، فتتسرب مواد القراءة من كل ما رطب و يابس و جد و فكاهة ، و دين ودنيا ، و علم و عاطفـــة ، و شعور و إحساس ، و لا مبالاة ، و إهمال للمسئوليات ، إلى كل منزل ، و تصبح فى متناول يد كل شخص .

و للشغف بالقراءة ، و توفير فرص للكتابة ، نشأت مكتبات ذات شخصيـــة مميزة ، و مكتبات كمجمعات تجمع ما هو للدين ، وما هو للدنيا ، و ما يبنى الفكر وما يهدمه ، و ما يبنى القيم والأخلاق ، وما يبعث الانسان على التهور ، والارهاب و السعادة على حساب شقاء غيره من الانسان ، كما قامت مكتبات على الشوارع ، وأرصفة محطات القطار ، و مواقف الأوتوبيسات ، و حقائب الباعة المتجولين الذين يحملون الكتب الشهرية ، و المجلات و الدوريات ، و الروايات المثيرة التى تخدر و تسمم الأذهان و تثير الغرائز و تصدم الذهن بأفكار و آراء .

و قد عمت عادة القراءة من كل نوع بحيث إن بعض النفوس لا تستعد للنوم إلا بعد قراءة شئ مثير أوما يسلى الذهن ، و بلغ التطرف فى هذا الأمر إلى أن

بعض الناس يحملون بعض الكتب المثيرة إلى الحمام ، أما القراءة فى السفر ، فى الأوتوبيس و الترام و القطار و الطائرة فهى مهيأة ، و شائعة ، و هى أهم وسيلة لقضاء الوقت ، بل وسيلة للاستجمام الذهنى .

و بازدياد الشغف بالقراءة تحتاج دور الطباعة و النشر التى يكسب منافع مادية هائلة بهذا المصدر للرخاء إلى كتاب طامحين وطامعين وأحياناً تجبر الكتاب الذين نالوا الشهرة و البراعة بكتاباتهم على الكتابة على مواضيع مثيرة تجذب القلوب ، و تهتم بالكتب التى تنفق فى السوق أكثر مما تهتم بالكتب القيمة التى تفيد علمياً أو فكرياً أو دينياً ، لأن الكتاب لديها بضاعة ، و سلعة ، ومقصودها الأول للكسب المادى ، فينحرف كثير من الكتاب المفكرين إلى اختيار موضوعات تجذب المشترى .

فالكتاب اليوم أو الصحيفة ، أهم مصدر لكسب الرخاء المادى ، و لم يعد وسيلة للاعلام أو التعليم ، أو التربية ، فاذا أجرى إحصاء لمعرفة نوايا الكتاب الحقيقية ، هل هى فكرية و علمية ، أم هى مادية و تجارية ، لأدرجت أسماء كثير من كتابنا اليوم فى قائمة المتكسبين و المحترفين .

و يظهر ذلك بوضوح بالمقارنة بين مقالات ، و تعليقات فى الصحف و بين اتجاهات و مواقف فى الكتب ، فانها تتأرجح وتتمايل حسب الظروف و الفرص ، كالزعماء السياسيين اليوم الذين يغيرون أحزابهم وولاءاتهم و آرائهم و نظرياتهم حسب الامكانيات ، و الدوافع المادية و النفسية ، أما المبادىء و الأصول فهى الضحية الكبرى فى هذا العصر

كان المثقفون فى الماضى يضحون بحياتهم من أجل مبادئهم و أصولهم الفكرية و قد أحرق كثير من القادة و الزعماء ، و أتباعهم من عامة الناس أحياء ، و واجه كثير منهم الشنق ، و كان التذبذب و التأرجح فى الأفكار عاراً كبيراً ولم يكن هناك أى ارتباط فى الماضى بين الفكر والذهن ، و بين البطن و الشهوة ، فكان

المفكر و القائد خارجا عن سلطان الهوى ، و البطن ، لا يغريه مال ، و لا يشنبه بطش و لا سطوة ،

و لكن المادة طغت على كل مجال من مجالات الحياة اليوم و أصبحت المصلحة السياسية و الفردية منطلق كل عمل و قول ، كما طغت الأنانيات على قول الحق ، ولذلك رغم توفر هذه الوسائل للاعلام يزداد حجم الجهالة الفكرية ، وتتسع المتاهات الذهنية ، و حيرة الانسان ، وتزداد دهشة الانسان إذا وجد كاتباً واحداً ينقلب ظهراً لبطن ، و يحاول أن يجعل حقائق أباطيل ، و الأباطيل حقائق ، و لا يستقر بحال من الأحوال ، وكم يحار الانسان اذا وجد كل شخص متهما بخيانة وتلفيق ، كما يجد فى الانتخابات العامة لأن كل من يخوض الانتخاب يكشف عن سوءاته من قبل منافسه الآخر ، فيصبح كل منافس متهما ، ولا يصل الناخب إلى نتيجة إلا أن يقول: كلكم خونة.

أصبحت الكتابة اليوم مهنة ، بينما كانت وظيفة ذات مسئولية و تجردت عن كل مبدأ ، وعن كل قيمة ، و لذلك صارت وسيلة للشرود الفكرى و الميوعة الذهنية ، و ثورة عقلية ، و هو اتجاه خطير للانسانية اليوم ، لأن الكتاب أوالصحيفة لا تقل فى التأثير عن السلاح الفتاك لأنها تصنع الذهن ، و الذهن هو الذى يوجه الانسان فى استخدام السلاح فاذا لم تكن لها مبادىء و أهداف نبيلة و توجيه سليم لقادت الانسان اليوم إلى تناحر ، و تضارب ، و تكالب كما تظهر آثاره .

و قد كانت مسألة الكتابة و الخطابة ، أكثر خطورة للمسلم الذى يؤمن بالآخرة والحساب ، يوم تتكلم الأيدى و تشهد الأرجل و تنطق الألسن ، فيثاب المسلم أو يعاقب على كل كلمة تفوه بها ، أو كتبتها ريشة قلمه ، فليكتب من يكتب و ليتكلم من يتكلم بشعور من مسئولية فان ما يتقاضاه من نقود ، مهما تكاثرت لا تعصمه من أمر الله .

لقدأنشأ كثير من الكتاب ثروات هائلة بكتاباتهم حسب الذوق العام وإثارة النفوس و جعلوا أفكارهم سلعة تباع ، وهم يتكاثرون بها ، و لكن لا تفوتهم حقيقة

بأن ما يكسبون تسجل و تقيد ، و جهاز هذا التسجيل أدق من المخابرات الدنيوية التى يخشونها ، جهاز لايغادر صغيرة و لا كبيرة إلا أحصاها و جعلها حاضراً .

منظمة الدول الاسلامية و دورها المرتقب

كان انتخاب السيد شريف الدين بيرزاده كالأمين العام الجديد لمنظمة الدول الاسلامية خلفاً للسيد حبيب الشطى الذى انتهت مدته ، انتصاراً لتصور الوحدة الاسلامية و موشراً إلى غلبة روح الاخاء والتضامن فى الأسرة الاسلامية نظراً إلى إنجاز عملية الانتخاب بسهولة وانسجام بدون بروز خلافات أو شحناء أو غضبة قومية أو نظرية ، رغم وجود دول ذات ولاءات و اتجاهات سياسية و اقتصادية ونظرية مختلفة ، و وجود خلافات إقليمية وعنصرية بين عدد من الدول ، غرسها الاستعمار و تنميها الدول الكبرى ، فقد تغلب وزراء خارجية الدول الاسلامية على جميع هذه العقبات ، و احتفظوا بالمصلحة الاسلامية ، و أبدوا أنهم فى داخل هذه المنظمة لا يرتبطون إلا بالاخاء الاسلامى ، وأن الاعتبار فى هذه المنظمة هو الكفاءة والجدارة لا القوة و الثروة و العنصر ، و هو عنصر مبشر بخير فى حد ذاته .

و لا شك فى أن هذا الجو الذى يسوده الانسجام و روح التضامن و النظر إلى المسائل برؤية الاخاء الاسلامى يرجع فضله إلى حد كبير إلى مجهودات الأمين العام السابق السيد حبيب الشطى ، فقد قضى مدة أمانته كلها فى الكفاح الشديد لأن المنظمة واجهت عدة هزات كادت تفكك هذا الكيان ، و تهدد استمرار المنظمة وبصفة خاصة كانت السنوات الأخيرة ، فترة إمتحان للنظمة ، حيث مرت الحرب العراقية الايرانية بمراحل حاسمة و انقسم العالم الاسلامى إلى معسكرين ، و نشبت صراعات إقليمية مسلحة تهدد أمن عدة دول إسلامية وتدخل الدول الكبرى فى الوطن الاسلامى ، كما حدث فى الأزمة السياسية فى تشاد ، و تأزم العلاقات بين السودان و ليبيا ، و المغرب ، و الجزائر ، و العراق و سوريا و الأردن و دور ليبيا فى

قيادة العقيد معمر القذافى الانفعالية و إجراءات قادة آخرين التعسفية ، و محاولاتهم لتحويل مجرى الأمور حسب رغبتهم فى عدد من الدول ، و العلاقات بين مصر ، و بقية العالم العربى ، و الصراع السياسى فى نيجريا و الصومال ، والمشكلة الأفغانية التى انقسم العالم الاسلامى فى معالجتها ، بجراء ارتباط عدد من الدول الاسلامية بأحد المعسكرين ، و فى مقدمة هذه المشاكل ، مشكلة اللاجئين الفلسطينيين التى كانت هى الأخرى الموزعة لقوى المنظمة الاسلامية ، فقد تحول الصراع القيادى فى حركة تحرير فلسطين إلى صراع بين الدول الاسلامية ، لتأييد دول معينة لعناصر معينة.

و كان تدهور العلاقات بين إيران و عدد من الدول المجاورة ، و بين ليبيا و عدة دول آسيوية و إفريقيـــة و خطر التدخل العسكرى و سلسلة الانفجـارات والاغتيالات التى جرت بنطاق واسع ، فذهب ضحيتها عدد من الشخصيات الكبرى ، و اختطاف الطائرات ، و محاولات انقلاب فاشلة ، أدى كل ذلك إلى توريـــط المنظمة فى مشاكل عائلية تعوق سيرها كنظمة موحدة ، وبرزت هذه المسائل فى كثير من جلسات المؤتمر ، و قاطعت عدة دول معنية جلسات عديدة على أساس خلافاتها مع الدول الأخرى ، و لكن المنظمة سارت فى مسيرها بارتباك ، و تغلبت عـلى عدة مشاكل واتخذت قرارات بناءة ، فى ميادين التعاون الاقتصادى ، وإنشاء جهـاز كمحكمة العدل الاسلامية لحل الصراعات الداخليـة وهو أمر يبعث على التفاؤل ، وإذا أظهرت قيادة المنظمة مزيداً من الحكمـــة السياسية و عملت بروح الاخاء و التسامح فان هذه الخلافات ستسوى يوماً ، ويأتى يوم تصبح فيه هذه المنظمة منبراً مؤثراً لحل الخصومات بين الدول الاسلامية الشقيقة ، وإن مجرد وجود مثل هذه المنظمة التى تجمع الاخوة المتحاربين ، و تتيح لهم فرصة التعبير عن وجهات نظرهم ، و تسنح لهم فرصة اللقاء لمكسب عظيم ، فانها الرابطة الوحيدة ، وإن اقتصرت على التشاور ، فانها منطلق إلى قوة عالمية جديدة ذات نوع جديد .

إن هناك عدة منظمات إقليمية و سياسية و عسكرية فى العالم كمنظمة دول الكومنولث ، و منظمة الوحدة الافريقية ، و الأوربية ، و الأطلنطية ، و حلف وارسو ، و أحلاف و منظمات أخرى ، لكنها تتبع المصالح المادية و النظريات الضيقة التى توزع العالم و تدعو إلى الانقسام و التباغض و الأثرة و تقوم على أساس الحصول على الغلبة السياسية و الاقتصادية و لكن المنظمة الاسلامية منظمة أساسها الاخاء و التضامن على درب الحق و العدالة ، و خدمة الانسانية ، والعقيدة العالمية الخالدة التى تدعو المتمسكين بها إلى أن ينظروا إلى الانسان مهما كان جنسه و لونه ، و عنصره ، وعقيدته ، عبداً من عباد الله ، و أن من حق كل إنسان أن يعيش على هذه المعمورة بشرف و كرامة ، و أن يعيش كسيد على الأرض يدبر فى خلق الله ، يقوم بواجباته و حقوقه فى تعمير هذه الأرض و لا يفسد فيها و لا يهلك الحرث و النسل ، مسترشداً بما قاله الرسول الأعظم ، رسول الانسانية « كلكم من آدم و آدم من تراب ، لافضل لعربى على عجمى و لا لعجمى على عربى إلا بالتقوى ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » و ما قاله الخليفة الراشد سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه « متى استعبدتم الناس وقد خلقتهم أمهاتهم أحراراً » عند ما تظلم أحد رعاياه من المسيحيين ضد حاكم مصر .

إن الاسلام لا يميز بين إنسان و إنسان على أساس التراب و لا على أساس الجنس و اللون ، و النظريات ، و إنما ينظر إلى الحق و العدالة ، و نظرته إلى كل مجال من مجالات الحياة نظرة عالمية ، نظرة التعمير و البناء والعدل ، فقد أعلن القرآن الكريم بصراحة ، « و لا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا ، هو أقرب للتقوى » .

إن مثل هذا التصور العالمى الانسانى البناء ، يجب أن ينشأ و يتعزز ، و يعم

و يسود ، و هو حل للشاكل العالمية التى تهدد العالم اليوم بالفناء ، و وزعت العالم و قسمته إلى معسكرات تسودها الشحناء و الكراهية و العداوة ، فلا يثق إنسان بانسان و لا يشعر بهدوء فى حياته و لا يأمن جاره .

و لكن لا يتم بناء هذا التصور عالمياً إلا إذا ساد هـذا التصور فى الأسرة الاسلامية التى تمثلها المنظمـة الاسلامية ، و تحل المشاكل الداخلية داخل الأسرة الاسلامية ، بجهود هذه المنظمة و قيادتها الرشيدة ثم تتقدم هذه المنظمة لحل المشاكل القائمة فى الأصعدة الأخرى ، و تحل مشاكلها بوساطتهـا ، و تصبح هذه الأسرة الاسلامية أمة وسطاً شهداء على الناس ، فى الواقع .

إنه حلم ، و ما أحلى هذا الحلم ، و لكن الوعى الاسلامى و الجهود المخلصة من زعماء المنظمة تستطيع أن تحقق هذا الحلم ، و عند ما يتولى السيد شريف الدين بيرزاده هذا المنصب المهم يتحمل مسئولية بناء المنظمة على أساس إسلامية حقيقية ، و تحويل المنظمة إلى قوة عالمية فعالة تحتل مكانتها فى العالم ، بعد أن فشلت الأمم المتحدة والمنظمات الأخرى فى حل المشاكل الانسانية ، لأنها قامت على أسس ضيقة و لا يشك أحد فى صلاحيات السيد شريف الدين كخبير قانونى كبير و تجربتـه فى هذا المجال ، و لكن منصبه الجديد يحتاج إلى عاطفة إسلامية والاخلاص و التركيز أكثر من الخبرة القانونية ، و نرجو أنه سيثبت كفاءته ، وما ذلك على الله بعزيز ، و ذلك وعد الله ، و لينصرن الله من ينصره .

(بقية المنشور على ص : ٩٦)

نرجو أن تنفقوا على هذا المعهد الأفريقى لانماء القيم والهوية الاسلامية وغيره من المدارس التى تعنى بأمر الدعوة الاسلامية إذ أنكم لا تستطيعون القيام بالعمل الاسلامى و الدعوة إليه فى داخل غابات أفريقيا لسبب أو آخر ، و لكن بإمكانكم تقديم جميع تسهيلات ممكنة لمن يقومون بهذه المهمة عنكم ،أعتقد أن هذا النداء واضح جداً لا تعقيد فيه .   (محمد الرابع سراقة جارا ـ مدير المعهد)

المعهد الأفريقى لانماء القيم و الهوية الاسلامية

تابع عن كثب فى هذا المعهد جميع ما تقوم أجهزة الحركات التبشيرية الصليبية الكنسية فى القارة الافريقية من أنشطة ثقافية وبناء مستشفيات ونشر دوريات متنوعة أسبوعية ونصف سنوية ، و عقد مؤتمرات فى موضوعات مختلفة و فى دول أفريقية وعالمية ، ثم أموال طائلة تنفقها بسخاء و كأنها لاتعرف شيئاً عن متعة المال ، وقد قامت مؤخراً النسوة المسيحيـــة الدولية المشتركة بعقد مؤتمر بأكرا عاصمة غانا دام ثلاثة أيام وحظى بتأييد تام وتشجيع قوى من قبل حكومة غانا

هذا وتعتبر الكنائس العالمية دولة غانا معقلا استراتيجياً ذات خصائص معتبرة ومركز إنطلاقة المسيحية لبث إشعاعاتها التنصيرية الصليبية على آفاق وأجواء إفريقيا ، وقد ترأست المؤتمر دكتورة مارغريت أدا هوسا ، و هى رئيسة النسوة المسيحية الدولية المشتركة ، و قد اشترك فى هذا المؤتمر كل من مندوبى توغو ، وليبيريا ، وزئير ، و سوويتو (جنوب أفريقيا) وكينيا ، و السودان ، و نيجيريا و ألمـانيا الغربية ، و الولايات المتحدة الأمريكية ، وكندا . هذا و قد أصبح الاهتمام واضحاً وملموسا بالقارة الأفريقية ، وغانا هى قاعدة الانطلاق .

و أما المسلمون فهم فى سبات عميق و فى جهل مطبق عن خطر الغزو الصليبى الهادىء الذى يقتحم إفريقيا من كل جانب ، وقد أوردت جريدة رابطة العالم الاسلامى مقالا يؤكد أحزان وهموم المسلمين ومعاناتهم عن عمليات كنسية تصيرية فى أفريقيا و ذلك فى العدد ٨٣٥ تاريخ الاثنين ٨ شوال ١٤٠٣هـ الموافق ١٨ يوليو ١٩٨٣م السنة الثامنة عشرة ، أوردت مقالا مفصلا عن النشاط الصليبى فى القارة الأفريقية ويشهد واقع أفريقيا صحة هذا المقال الحساس ، نورد لكم هنا ما جاء فى الصفحة الأولى

من الجريدة تقول : تشير الأرقام المذهلة إلى أن ١١٩٠٠٠ صليبي يصرف عليهم بليونا دولار سنوياً إضافة إلى ١٨٠٠ مليون نسخة من الأنجيل و نشرة مطبوعة تسخرها الحركات التبشيرية الكنسية المدعومة من الدول الغربية لتغيير قارة أفريقيا ، وتخوض الجهات الكنسية الآن حرباً خفيـــة ضد الاسلام فى القارة السمراء رصدت لها كل هذه الامكانات البشرية و المادية والتقنية ، راجع إن شئت المقال مفصلا فى صفحة ٩/٨ من الجريدة المشار إليها أعلاه

هذه حقائق ثابتة لكل من يعرف إفريقيا ، وقد تبنت الصليبية العالمية القارة الأفريقية أرضا مملوكة للكنائس العالمية وتسعى جادة للاحتفاظ بهذه الحقبة ، وتجمع لذلك جميع ما فى حوزتها من طاقات وخبرات ممكنة ، والمسلمون فى صمت تام كأنما أنزل عليهم الوحي يأمرهم به ، و الكلمة الشائعة على ألسنتهم هى أن الاسلام ينتشر من تلقاء نفسه دونما حاجة إلى داع يجهد نفسه للدعوة إليه ، ولا سيما فى إفريقيـا حيث الناس فى غاية البساطة ، ويسندون دليلهم إلى قوله تعالى إنا نحن نزلنـا الذكر وإنا له لحـافظون ، فقد أساء كثير من الناس فهم هذه الآية الـكـريمة ولو كان تفسير الآية كما يقولون فما الداعي إلى قيام الرسول ﷺ بالدعوة وما الداعي إلى الغزوات التى خاضها الرسول وصحابته صلوات الله عليهم ؟ و ما الداعي إلى استشهاد المومنين فى هذه المعارك التى أدى بحياة الصحابة الطاهرة الغالية ما الداعي إلى كل ذلك ؟

و فى إفريقيا مدارس إسلامية وعربية كثيرة فى حاجة شديدة إلى مساعداتكم ، أنفقوا عليها تؤجروا ، فالصليبية العالمية تركـز اهتمامها وثقلها المادى ، و التقنية على أفريقيا لتحويلها قارة مسيحية صليبية وهى تعمل متحدة مع اختلاف مذاهبها الشديد ، أدعوكم أيها المسلمون أن لا تقبلوا هذا التحدى ، فالامكانيات المادية والفكرية متوفرة لدى المسلمين لا بد من استخدامهـا فى صـالح الاسلام و المسلمين ، فانه صراع فى إثبات الذات والبقاء للاصلاح ، و الاسلام هو الأصلح لا ريب فيه .

(البقية على ص : ٩٤)

نبـــذة عن

مكتبة الكتاب و السنة الطالعة و مدارسها لتحفيظ القرآن و السنة
فى دولة الامارات العربية المتحدة

تأسيسها ، تعريفها ، نشاطاتها :

الأهداف : أسست مكتبة الكتاب والسنة الطالعة لأجل خدمة الدعوة الاسلامية بين أبناء الجاليات الاسلامية من غير العرب الذين وفدوا إلى هذه الدولد للميشـة و الهجرة ، فان هؤلاء الاخوة كانوا بأشد الحاجة إلى من يقوم بتعليمهم و إرشادهم إلى أمور دينهم لأن جميع خطباء المساجد و المرشدين فى الدولة يخطبون ويرشدون باللغة العربية و هولآء الاخوة لا يستفيدون منهم حق الاستفادة .

إضافة إلى ذلك كنا نشعر فى الحقيقة بأن ضعف العقيدة و البدع و الخرافات منتشرة فيهم و أنهم بأمس الحاجة إلى من يقوم باصلاحهم فى عقائدهم و أقوالهم و أعمالهم و أخلاقهم وعاداتهم و عباداتهم فى ضوء الكتاب والسنة ، لذا فكرنا فى تأسيس هذه المكتبة بعد تأييد و موافقة العالم الجليل الشيخ عبد الله بن على المحمود رحمه الله ، رئيس مركز الدعوة الاسلامية بالشارقة حينذاك ، وكذلك فضيلة الشيخ عمر محمد المدفع مدير الشئون الاسلامية بوزارة الشئون الاسلامية و الأوقاف بدولة الامارات العربية المتحدة .

١- تأسيس المكتبة المركزية بالشارقة :

واستأجرنا محلا للمكتبة بجوار مسجد القاضى فى وسط مدينة الشارقة لتوسطها بين الامارات ، وبدأت المكتبة عملها من ذلك اليوم و تستقبل المكتبة روادها من بعد صلاة العصر إلى أذان العشاء .

و هذه المكتبة تعتبر شعلة النور الأولى للجاليات الاسلاميـــة غير العربية فى البلاد العربية و الخليج العربى لم يسبق لها مثيل ، فلله الحمد ، وفروع هذه المكتبـة كما يلى :

٢- مكتبة الكتاب و السنة الطالعة بالفجيرة :

٣- مكتبة الكتاب و السنة الطالعة بدبى .

٤- مكتبة الكتاب و السنة الطالقة بأبوظبي :

٥- مكتبة الكتاب و السنة للطالعة برأس الخيمة :

٦- مكتبة الكتاب و السنة للطالعة بخورفكان .

٧- مكتبة الكتاب و السنة للطالعة بكلبا .

مركز المكتبات و المجلس التنظيمي المركزي :

و في يوم الاثنين ٢٢/ ديسمبر ١٩٨٣م انعقد اجتماع في مكتبة دبي واشترك فيه مسئولو مكتبة الشارقة والفجيرة و دبي (علما أنه حينذاك كانت لم تفتح المكتبات في أبو ظبي و رأس الخيمة وخورفكان و كلبا) و وافق الجميع أن يكون مركز المكتبات في الشارقة و في ضمن ذلك تقرر قسم التبليغ لتنظيم الدورات والجولات التبليغية على مستوى الامارات كلها في مدنها و قراها ، و كذلك وافق المسئولون على أن يكون الأعضاء للجلس التنظيمي على النحو التالي :

الرئيس المركزي : الحافظ مقبول أحمد .

الأمين العام المركزي : محمد منير قمر سيالكوتي .

مسئول قسم التبليغ المركزي : الشيخ محمد إقبال المدني (عضو مركز الدعوة و الارشاد بدبي)

أمين الصندوق المركزي : الأخ أفسر حبيب .

خدمة الدعوة الاسلامية :

١- تفتح المكتبات أبوابها لروادها من بعد صلاة العصر إلى أذان المغرب ومن بعد صلاة المغرب إلى أذان العشاء للطالعة و استعارة الكتب لمن يريد م كتابة اسمه وعنوانه .

٢- و في ليلة الجمعة من كل أسبوع يجتمع الناس في المكتبات بعد صلاة العشاء و يلقي أحد المشايخ و العلماء الأفاضل محاضرة دينية ذات أهمية ، وبعدها تكون فترة التساؤل من الحاضرين في المسائل الهامة الدائرة بينهم يوميا فيجيب المحاضر بوضاحة مبينا أدلتها من الكتاب و السنة .

٣- و كذلك تكون الدروس و المحاضرات فى مساجد الدولة حسب الجدول الشهرى مع الأجوبة لمن عنده سؤال من الحاضرين .

٤- و فى كل شهر مرة يخرج بعض دعاة المكتبــة فى يوم الجمعة إلى أى بلد أو قرية و يقومون فى تلك البلدة أو القرية بالقاء المحاضرة بعد صلاة الجمعة و العصر و المغرب ثم يرجعون إلى مقرهم .

٥- وفى كل ثلاثة أشهر يقام اجتماع تنظيمى وتبليغى فى مختلف الامارات ويرتب فى الاجتماع الجدول التبليغى للأشهر القادمة .

٦- وبعد كل ستة أشهر يجتمع أعضاء المكتبات بعد صلاة الظهر إلى المغرب للبحث فى الأمور التنظيمية، وبعد صلاة المغرب والعشاء تلقى المحاضرات فى المساجد.

مدارس تحفيظ القرآن و السنة :

قال الله تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون » و قال رسول الله ﷺ : خيركم من تعلم القرآن و علمه » فنظراً إلى هذا النور و الضياء الذى خرج من القرآن و السنة قد شمرنا عن ساعد الجد ـ على الرغم من قلة الوسائل المادية وما تسببه من عقبات ـ و فتحنا مكتبات الكتاب و السنة للطالعة و مدارس تحفيظ القرآن و السنة لتعليم الصغار و الكبار و لا يزال عددهم يتزايد يوما بعد يوم ومن أهم مميزات مدارسنا أنها لا تأخذ أجراً ولو رمزيا على التعليم والتحفيظ.

و فيما يلى أسماء هذه المدارس :

١- مدرسة تحفيظ القرآن و السنة (المركزية) بالشارقة :

٢- مدرسة تحفيظ القرآن و السنة بالفجيرة .

٣- مدرسة تحفيظ القرآن و السنة بدبى .

٤- مدرسة تحفيظ القرآن و السنة بأبوظبى .

٥- مدرسة تحفيظ القرآن و السنة برأس الخيمة .

٦- مدرسة تحفيظ القرآن و السنة بخور فكان .

٧- مدرسة تحفيظ القرآن و السنة بكلبا :

حضرة الأخ القارىء لمجلة البحث الاسلامى المحترم

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

نرجو من الله العلى القدير أن تكونوا بخير وصحة وعافية وراحة بال وبعد .

انطلاقا من واقع حياة المسلمين اليوم و ما أفرزته الأسرة المسلمة من ثمرات نكدة بتأثير التيارات المعادية المعاصرة ، وانطلاقا من ضرورة القيام بالواجب الشرعى رأينا أن نعمل على إصدار سلسلة كتيبات تحت اسم « مكتبة البيت » وذلك لاستكمال وترميم وتوجيه بل إعادة بناء البيت فى إطار أهدافه الاسلامية ، ولذلك كله بادرنا إلى الاستعانة بجهود العلماء والمربين من أهل الاختصاص ، لنجد فيهم المساعد المساعف .

هذا وقد توخينا أن تكون سلسلتنا هذه « مكتبة البيت » كتابا شهريا مبسطا خلوا من كل تعقيد أو إطالة وسنراعى إن شاء الله جودة الاخراج ورخص السعر لأنه موجه إلى كل بيت ، لذا نرجو ونؤكد أن يكون بأسلوب سهل واضح الدلالة ومحدودها ، مراعيا نفسيه الطالب فى مدرسته والعامل فى معمله والموظف فى دائرته والفلاح فى حقله والمرأة فى بيتها . وقصدنا فى ذلك تعميم الثقافة الاسلامية و المعارف العامة ونشرها فى كل المستويات وخاصة المتوسطة .

وإن لديكم من الموضوعات ما يتناسب وأهداف سلستنا لحبذا لو أطلعتمونا عليه ، راجين أن يكون عدد صفحات الكتاب بين ٦٠ و ١٠٠ صفحة بقياس وسط متصفا بمايلى :

١ — إسلامى الفكرة والغاية .

٢ — جاذبا للاهتمام بحيث يكون الموضوع من جملة اهتمامات الأسرة فى عقيدتها ومعارفها العامة وشؤونها الخاصة فى البيت والمجتمع .

٣— يجيب على أسئلة ملحة أو يعالج مشكلات قائمة أو يحلل واقعا أو يعطى تصورا واقعيا .

٤— يخلو من الاستطراد والخلافات ويركز على جوهر الموضوع .

و السلام عليكم ورحمة الله و بركاته .

تتم المراسلة بيننا على العنوان التالى :

طارق على ـ شركة الشعاع ـ الصفاة ص ب ٢٠٩٥٤ — الكويت

سماحة العلامة الشيخ أبو الحسن على الحسنى الندوى يعود من الربوع المقدسة

وصل — فى سلامة الله تعالى — سماحة العلامة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى فى ليلة التاسع و العشرين من شهر ربيع الثانى ١٤٠٥هـ إلى لكهنؤ ، عائداً من الربوع المقدسة التى قضى فيها أربعة أسابيع ، حضر خلالها دورة المجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة، و تابع بعض الجلسات للمجلس الأعلى العالمى للمساجد ، التابع للرابطة .

و ألقى فى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة محاضرة على دعوة من معالى الدكتور عبد الله صالح العبيد ، حول العنوان « فريضة الداعية الاسلامى ، وكيف يؤثر بها فى الجيل المثقف المعاصر » لقيت قبولا عاماً بين الأساتذة وطلاب الجامعة على أوسع نطاق .

كما زار مدينة الرياض على دعوة من معالى الدكتور عبد الله عبد المحسن التركى مدير جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

و كان مرافق سماحته فى هذه الرحلة الأخ جعفر الحسنى نجل الأستاذ واضح رشيد الندوى .

72336
73864

REGD. NO. LW/NI

ALBAAS-EL-ISLAMI

NADWAT-UL-ULAMA, LUCKNOW. (INDAI)

صدر حديثاً :

رسائل الأعلام

مجموع رسائل لكبار العلماء ، وقادة الفكر و الزعماء ،
و المؤلفين و الأدباء ، و الكتاب الاسلاميين الأصدقاء ،
و بعض الملوك و الأمراء و الوزراء في العالم العربي ،
سبعون رسالة لخمسين كاتباً مرموقاً
كتبت و وجهت إلى سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي
أمين ندوة العلماء العام ، و رئيس المجمع الاسلامي العلمي في لكهنؤ (الهند)
في فترة بين

١٣٦٧هـ ——— ١٤٠٤هـ

إخراج و تقديم
فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي
عميد كلية اللغة العربية و آدابها ، جامعة ندوة العلماء
لكهنؤ ، الهند

يطلب الكتاب : من مكتبة دار العلوم لندوة العلماء ص . ب ٩٣
لكهنؤ (الهند)

قام بالطبع و النشر جيل أحمد الندوي في مطبعة ندوة العلماء ـ رئيس التحرير : سعيد الأعظمي

إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

تصدرها: ندوة العلماء، لكهنو، الهند

أخى القارىء :

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

حرصاً على تأمين و سلامة وصول المجلة إليك نرجو :

١– كتابة العنوان بالانجليزية و العربية كلتيهما فى ورقة خاصة ، كل حرف على حدة ، و إرساله إلينا .

٢– إرسال اشتراك بالقيمة المبينة أدناه باسم « البعث الاسلامى » مقابل عام واحد او أكثر :

٣– أرفق شيك الاشتراك ضمن مظروف مسجل إلى العنوان المذكور أدناه .

الاشتراكات السنوية

فى الهند : ٤٠ روبية ، ثمن النسخة : أربع روبيات .

فى العالم العربى ١٢ دولاراً بالبريد السطحى ، ٢٥ دولاراً بالبريد الجوى .

فى أوربا و أفريقيا و أمريكا : ١٢ دولاراً بالبريد السطحى ، ٤٠ دولاراً بالبريد الجوى .

فى باكستان و بنغلاديش و دول شرق آسيا : ١٢ دولاراً بالبريد السطحى ، ٢٥ دولاراً بالبريد الجوى .

A L B A A S E L I S L A M I

N A D W A T U L U L A M A

P. O. Box No. 93 – LUCKNOW (INDIA)

العـــدد القـــادم

وسيكون العدد الأول للمجلد الثلاثين سيصدر – باذن الله – فى غرة رمضان ١٤٠٥هـ (يونيو ١٩٨٥م) فنرجو القراء أن لا يترقبوا المجلة فى شهر شعبان ١٤٠٥هـ (مايو ١٩٨٥م) « التحرير »

أنشأها الأستاذ محمد الحسني
في عام ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م

البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي
واضح رشيد الندوي

العدد العاشر — المجلد التاسع و العشرون ★ رجب ١٤٠٥هـ — مارس و ابريل ١٩٨٥م

عنصر الحب

إذا استعرضنا المجتمع الاسلامى فى القرن الاول وجدناه مشرقاً بنور من الحب والاخوة و السلام ، والتاريخ الاسلامى حافل بأمثلة رائعة من هذه الناحية يندر نظيرها فى تاريخ الامم الاخرى ، وإذا فكرنا اليوم فى أحوال المسلمين وأمعنا النظر فى الاوساط الدينية والهيئات الاسلامية واستعرضنا هذه المشكلات ، التى تعترض الركب الاسلامى فى كل مكان رأينا أن السبب لذلك كله هو عدم العناية بالحب والاستهانة بأهميته فى الدين الاسلامى وضرورته للمجتمع الانسانى .

فليتخذ شبابنا المسلم شعاره الاول « الحب و الاخلاص » ومهمته الاولى إذاعة الحب بين الناس حتى تتبدد تلك الظلمات الكثيفة التى أحاطت بالمسلمين هذه الأيام ، فهو حجر زاوية فى بناء الاسلام ، نادى به القرآن العظيم وندب إليه الرسول الكريم وعمل به المسلمون فى القرون الاولى .

[محمد الحسنى ـ رحمه الله]

البعث الإسلامي ندوة العلماء ص ب ٩٣ لكهنؤ (الهند)
ALBAAS-EL-ISLAMI Nadwat-ul-Ulama LUCKNOW (India)

في هذا العدد

الافتتاحية :

مشكلتنا الواقعية و أبعادها الحقيقية ؛

قائمة المشكلات و القضايا التى نجتازها نحن كمسلمين طويلة ، يعي وضعها أكثر الباحثين فيها و المعنيين بها ، فمع كل صبح مشكلة طريفة وقضية جديدة تطالعنا بأحجامها و ألوانها المتعددة على جميع المستويات الفردية و الجماعية و على الصعيد القومى والشعبى ، بالأمس كنا مع القوى الاستعمارية والصليبية فى عقر دورنا وداخل مجتمعاتنا وبيوتنا ، نعيش كما تريد لنا من العيش ، ونتنفس كما تسمح لنا بذلك ، لأنها كانت سيدة مطاعة فينا وكنا نحن عبيدها وخولها ، وظللنا فى هذه الحالة التعسة قروناً وأجيالا صابرين محتسبين ، حتى قدر الله لنا التحرر من هذه العبودية التى فرضت علينا ، وذهب الاستعمار من دولنا و بلداننا ، وترك لنا ميزة الأمر والنهى ، وفوض إلينا سيادة القانون ، وخلع علينا جائزة الاستقلال .

ولكنه خلف لنا من المشكلات والقضايا المعقدة ما عكر علينا صفو الاستقلال والحرية ، وألزم علينا من التقييدات والالتزامات ما حرمنا من جميع النعم والملذات ، وترك فى أوطاننا أصابع المؤامرات وشبكة الخلافات و العداوات ، ترك فينا ما يعتبر أشكل المشكلات و أعقد القضايا ، وهى قضية فلسطين فى مقدمة القضايا كلها ، وكم شغلت أذهاننا و أفكارنا ، وذهب ضحيتها أرواحنا وأموالنا ، ومؤهلاتنا و كفاءاتنا ، من غير أن تقدم فيها أو تؤخر ، بل كلما تكاثرت اهتماماتنا وتضاعفت مجهوداتنا نحو حل المشكلة وفصم العقدة تزايدت مشكلة فلسطين تعقداً واتسعت الفجوة بينها وبين توافر أى حل لها ، نظراً إلى التحركات اليهودية العالمية و الصهيونية الحاقدة التى تبنت القضية وربطت بها مستقبل اليهودية العالمية ، وساندتها فى كسب المعركة الفلسطينية

و الاحتلال فى المقدسات الاسلامية والقدس ومسجدها الأقصى ، جميع دول الغرب و المعسكرات الغربية و الشرقية بأسرها .

ولقد كان للماسونية نصيب الأسد فى تعقيد هذه القضية وتحويلها إلى سرطان يقلق جسم المجتمع الاسلامى كله ، وقد اتخذت فلسطين قاعدة انطلاق نحو العالم الاسلامى بأكمله والسيطرة عليه من أقصاه إلى أقصاه ، تحقيقاً لحلم إقامة دولة يهودية عالمية فى هذا الجزء الحساس للعالم ، وتهويد المسلمين أو تنصيرهم مع القضاء على الاسلام فى مراكزه ومنطلق أضوائه ، ونشر الالحاد والاباحية فيها بكل طريق وأسلوب ممكن ، والذى يظن أن الماسونية قد توقفت عن نشاطها فهو فى خطأ ، إذ أنها لا تزال نشيطة تعمل فى الخفاء و من وراء الستار عن طريق أعضائها وبروتكلاتها ، وهى فى الحقيقة من أخطر النشاطات التى تتولى خلق اليأس و الترهل فى المسلمين و إيجاد جو من الغفلة والتشاؤم نحو دين الاسلام و تأكيد أنه فقد قوته وغناءه فى العصر الحديث .

إن إلغاء الخلافة العثمانية فى عام ١٩١٨ إنما كانت كارثة شملت جميع أقطار المسلمين ، وكان ذلك فى الواقع مصدر الكوارث و الويلات التى شقيت بها الدول المسلمة ، وامتدت منذ ذلك الوقت رقعة الشقاء وتشجعت القوى المعادية كلها لضرب المسلمين والغارة على مناطق نفوذهم ، ووجد من بين المسلمين من عاون أعداء المسلمين فى تثبيت دعائم السيطرة على بلدان المسلمين ونفى الاسلام منها ، كما يعرف ذلك المطلعون على تاريخ إلغاء الخلافة العثمانية .

نتيجة لهذه الأحداث و الوقائع و الظروف أصبح العالم الاسلامى مركز كل مشكلة وكل قضية ، وبدأ يزخر أخيراً بألوان وألوان منها حيث يصعب حصرها ، والوصول إلى أبعادها ، ورغم أن دول العالم الاسلامى معنية بهذه الظروف القاسية ومقبلة على حلها و استبدالها بما فيه خير وصلاح للجميع ، بشئ كثير من الجدية

و الاهتمام ، و لكنها تتعقد يوما بيوم ، وتتسع أرجاؤهـا فى كل ناحية ، وتستجد قضية كل يوم ، أو تصبح من الالتواء والغموض والشدة بحيث لا رجاء فى التخلص منها بأى طريقة وحيلة ، بل إنها تزداد خطورة وتحدياً كل حين .

و أمامنا الآن عدة قضايا ، كل واحدة منها تبلغ من الأهمية و الشدة أبلـغ مبلغ و أرفع قمة .

وتأتى فى رأس القائمة فلسطين المحتلة التى انضمت إليها قضية لبنان ، وأصبحت قضية مزدوجة و معقدة فى غاية من التعقد و الخطورة ، و كم تشغل الآن فكر المسلمين و فرصهم الغالية ، و تهدر من دمائهم و أموالهم و طاقاتهم ، و آمالهم ، و تضيق الخناق على الدول المجاورة ، وكلما بدت علائم الحل أو نصف الحل لقضية لبنان فاذا بها تعود إلى الالتواء و الغموض بأكثر مما كانت عليه قبل ، وهل يخفى على من يتابع قضايا المسلمين بجدية و تعمق أن هموم العالم الاسـلامى قد تركزت على فلسطين و مشكلاتها و أحداثها أكثر من أى قضية أخرى ، و قد استهلكت من القوى و الطاقات من كل نوع و على كل مستوى ما لا قبل له به فى أى حين من الدهر .

اللهم إلا قضية الحرب القائمـة فى الخليج بين إيران و العراق منذ نحو خمس سنوات ، فانها استنفدت من الطاقات ، و قضت على الامكانيـات و كبدت من الخسائر المالية و النفسية ما الله به عليم ، مع إقامة الحواجز و السدود فى وجوه التطلعات و الامكانيات الاقتصادية و الثقافيـة ، و وضع العراقيل العظيمـة فى سبيل البناء و التعمير و التقدم والرقى ، لا فى البلدين المتحاربين فقط ، بل فى جميع بلدان الخليج والجزيرة العربية ، التى منيت بهذه الحرب المشئومة المفروضة عليها من قبل المعسكرات العالمية ، و لا غرض من فرض هذه الحرب الطويلة إلا إضعاف العالم الاسلامى إلى أقصى حد ممكن و القضاء عليه نهائياً بفرض الفقر و الجهل و التخلف

عليه ، و تجفيف منابع الخيرات من آبار البترول بهذه الطريقة مع امتصاص ثرواته بصفقات الأسلحة التى تتم حسب رغباتها و شروطها .

و لا شك فان الدول الغربية و الولايات المتحدة مكبة على امتصاص طاقات المسلمين و إمكانياتهم بواسطة هذه الحرب ، ولذلك فان جميع المحاولات والمجهودات التى بذلت وتبذل فى إنهاء الحرب القائمة المستمرة بين البلدين و عقد الهدنة بينهما تفشل بحيث يثبط ذلك الهمم ، ويبعث اليأس فى النفوس من نهاية هذه الحالة السيئة ، و لقد توسطت جهات كثيرة لهذا الغرض ، ولكن دون جدوى ، و أعجب ما فى الأمر أن البلدين المتحاربين كليهما يكرهان الاستمرار والتورط فى الحرب ، ولكنهما لا يستطيعان أن ينفذا هذه الرغبة فى العودة إلى حالة الأمن و الاستقرار وتوديع الحرب إلى حيث لا عودة منه مرة أخرى ، ذلك أن إحـــداث أحوال الحرب و إثارة العداوات و الشقاق ، و تأصيل جذور التفرقة و الكراهية بين المسلمين حلقة مهمة جداً من حلقات إضعاف المسلمين و بعثرة قواهم و طاقاتهم ، وتشتيت شملهم ، وقد أجمع جميع رؤس المخططات والمؤامرات ضد المسلمين فى الغرب والشرق على أن الوحدة الاسلامية التى يدعو إليها الدين الاسلامى أتباعه المسلمين إنما هى حبل الله المتين الذى إذا اعتصم به المسلم فانه لن يشقى ولن يخور ، ولا يواجهه خوف ولا خطر ما دام معتصماً به فى ثقة و إيمان و تقدير و اعتزاز و اعتداد بالنفس و إباء للضيم « و اعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً » .

و تأتى الفلسفة الشيوعية بجميع أوضارها و متاعبها و جميع مكايدها و حيلها إلى دول المسلمين وأقطارهم وتحاول أن تراودهم بسياستها الرخيصـــة ، فى القضايا العربية و خاصة فى قضية إسرائيل ، ولكنها سرعان ما تبرز بملامحها الأصيلة بالغزو السوفياتى الغاشـــم على أفغانستان ، وضرب المسلمين الأفغان فى بيوتهم و مساكنهم

بالحديد والنار، ولقد مضت على هذه الاعتداءات أكثر من خمس سنوات والمجاهدون قائمون بالواجب فى إخلاص و تجرد و بسالة منقطعة النظير ، و قد تعقدت المشكلة ولا تزال بالعدوان المستمر الذى يقصم ظهر الاتحاد السوفياتى و لكنه العناد والحقد و الغيظ الذى لا نهاية له ، و لا شك فان القضية الأفغانية لم تعد محدودة التأثير بل إنها أثرت على جميع دوائر ومؤسسات ودول المسلمين ، و شغلت اهتمامات العالم الاسلامى بأسره ، ويعتبرها المسلمون قضيتهم و يساندونها بكل ما يمكنهم من مساندة ، و قد حاول العدو أن يحولها إلى فتنة تثير نار الحقد و العداء و الفرقة فيما بين المجاهدين أنفسهم باذاعة بعض التدابير و الاستراتيجيات التى يتخذها المعنيون بشأن هذا الجهاد ، و كلما طالت فترة العدوان السوفياتى تفاقم الخطر الدائم الذى ينذر بمستقبل خطير ، أعاذنا الله منه .

هذه بعض الاشارات إلى ما نعانيه ـ نحن المسلمين ـ فى دولنا وأقطارنا ومجتمعاتنا وبيوتنا على جميع المستويات ، من مشكلات معقدة وقضايا ذات شأن ، غير أن المشكلات الداخلية و القضايا الفردية والخاصة كثيرة ، و هى تكفى لتوجيه أسباب الخذلان و تجويف الكيان بأقصر وقت ، ولعل هذه المسائل و القضايا الداخلية منها و الخارجية ، و المحلية منها و العالمية ، كلها نتاج مشكلة واحدة ، هى مشكلة المشكلات ، و قضية القضايا ، ولكنها هى التى لا تشغل بالنا ولا تتمع باهتمامنا ، وهى التى تعيش مهجورة مهملة ، لاتجد من يرثى لها ويرق قلبه من أجلها .

إنها قضية النعمة الحقيقية التى خلعها علينا ربنا و أكرمنا بها يوم خلقنا مسلمين و رضى لنا الاسلام ديناً ومنهجاً للحياة شاملا ، يوم حملنا أمانة الله التى عرضها على السماوات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، حملناها على على عواتقنا بما اختارنا الله سبحانه لهذه المسئولية و أعزنا بالخلافة (اليوم أكملت لكم دينكم ، و أتممت عليكم نعمتى ، و رضيت لكم الاسلام ديناً) .

و يوم كنا نعرف قيمة هذه النعمة العظيمة ، و المنصب الذى أعزنا الله ب
ويوم كنا مسلمين بمعنى الكلمة ، خضعت أمم العالم و شعوبه أمام مسلم عادى لم يكن
يملك من الشهرة والأبهة والشوكة شيئاً ، ولقد نجح أعداء المسلمين ـ وما أكثرهم
فى بث اليأس عن مستقبل الاسلام ، و تأكيد أن العالم الحديث بعلومه وحضارات
لايكاد يستفيد ويجنى ثماره المطلوبة من تعاليم الاسلام و شرائعه و خاصة ف
المجالات الاجتماعية التى اتسعت إلى أبعد الحدود و الآفاق الانسانية .

إن مشكلتنا الواقعية التى يجب أن نعيرها أهمية كبرى هى ما يختص بتنفيـ
الاسلام كاملا فى الحياة وتطبيق شريعته على المجتمع ، مع الثقة الكاملة بأنه دي
الله الذى لا ينفد مدده ، ولا ينضب معينه فى أى زمان و مكان ، وهو شريعـ
الله الخالدة الكاملة الشاملة ، تحوى جميع مطالب الحياة المادية والروحية بحيث إنه
تغنى عن كل مدد خارجى أو علاج داخلى ، وليس فيها ما يمنع الانسان عن التقـد
و الرقى فى مجالات الحياة ، ولا ما يحرم عليه الانتفاع بالآلات الحديثة والتسهيلا
المادية ، و المخترعات الصناعية .

هذه هى المشكلـة الكبيرة التى تهمنا و تقلق بالنا فيجب أن ندرك أبعـ
المشكلة الحقيقية ، و نتلمس فى ضوئها الحل الكافى لها ، حتى نتمكن من توجيه ظلا
الاسلام الوارفة إلى المجتمعات الانسانية ، و تغطية الحياة بتعاليمه الواضحة الشاملة
فان المجتمعات البشرية عامة تبحث اليوم عن ملجأ تأوى إليه من شقاء الحضارات المعاصر
و تتخلص عن المآسى والآلام القاسية التى تعيشها .

فتى سننادى فى ثقة و إيمان : (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيـ
و بينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربا
من دون الله)

أليس الصبح بقريب ! ؟ سعيد الأعظمى

التوجيه الإسلامي

من معانى الاسراء و المعراج

سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

[معان اقتطفت من كلمة ألقيت فى مسجد سيدنا عمر بن الخطاب بالزرقاء فى عمان فى ليلة الاسراء و المعراج (٢٧ من رجب ١٤٠٤هـ) و محاضرة ألقيت فى جامعة اليرموك بالأربد فى ٢٩ من رجب ١٤٠٤هـ ، و فى كلية العلوم العربية فى عمان غرة شعبان ، وكلها يدور حول الاسراء و المعراج و المسجد الأقصى المبارك] .

بعد الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله :

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير » (١) .

أيها الاخوة الكرام ! إن هذه الآية هى خير ما يفتتح بها هذا الاحتفال فى ليلة الاسراء والمعراج ، ونحن على غلوة سهم - على التعبير القديم - من المسجد الأقصى الذى أسرى بالرسول ﷺ إليه ، ومنه إلى السماء ، إن هذا الاسراء من مكة إلى القدس ومنه إلى السماء دل على معان عميقة بعيدة الأثر ، طويلة المدى فى تاريخ النبوات و الديانات و فى المسيرة الانسانية .

فدل أولا على أن شخصية الرسول تلتقى فيها الأرض بالسماء ، والجزيرة العربية بأرض النبوات الأولى ، الأرض التى بارك الله حولها ، ويلتقى زمن النبوات الأولى بعهد النبوة الأخيرة ، فأى التقاء أكبر و أوسع و أجمل من هذا الالتقاء ، فالبشرية تلتقى بمصدر النبوات و الهدايات السماوية ، و الأرض تلتقى بالسموات العلى ، إنه

---

(١) سورة الاسراء آية ١ .

إذا انقطعت صلة الأرض بالسماء كانت هنالك متاهات وضلالات، ومخافات وسفالات، فوصل الله الأرض بالسماء بنبوة محمد ﷺ و الاسراء به ، فهذه الأمـــة أمينة لهذا الالتقاء الأرضى و السماوى ، و الزمنى و المكانى ، القاضى على الحدود الجغرافية ، المكانية ، و الفوارق الزمنية و الاعتبارات العنصرية والجنسية ، ويجب أن يتجلى هذا الالتقاء الكريم الفريد فى كل مناهج حياتها ، فى حضارتها و اجتماعها ، و فى علمها و تفكيرها و فى فلسفاتها و أدبها ، و فى خيالها و جمالها .

و فوق ذلك أن سورة الاسراء إعلان بأن بنى إسرائيل قد فقدوا الجدارة و الصلاحية للهداية الربانية ، وتقلد الزعامة الدينية ، وقيادة البشرية ، لما أصابهم من أمراض خلقية ، وانحرافات عقائدية ، دينية روحية ، باطنة وظاهرة ، فهذه السورة فصل وفارق بين عهد وعهد ، وبين زمن و زمن ، لذلك سميت سورة بنى إسرائيل كذلك ، إن بنى إسرائيل قد فقدوا ـ على الزمان ـ الصلة الوثيقة العميقة بالانسانية ، ومصيرها و وضعها ، ومشكلاتها و حلولها ، والتفكير الانسانى الرحيم الرقيق ، بالعكس عكفوا على السلالة يقدسونها وينظرون إلى كل قضايا الانسانية من زاويتها ، ويزنونها بموازين تعود على السلالة بالنفع والقوة ، والله رب العالمين ، ليس رب بنى إسرائيل فقط ، فعزلوا عن المنصب الذى قلدوه قروناً عديدة واختيرت له الأمة التى بعثها الله سبحانه وتعالى مع النبى الموعود الأخير محمد بن عبد الله بن المطلب الهاشمى القرشى العربى ﷺ ، الأمة التى عهد إليها نشر عقيدة التوحيد الصافية، والأخوة الانسانية، والمساواة البشرية ، فأعلن القرآن فى لفظ صريح واضح : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » (١) و نادى رسول الله ﷺ فى الحج الأكبر : « إن ربكم واحد و إن أباكم واحد لا فضل

(١) سورة الحجرات ـ ١٣ .

لعربى على عجمى و لا لعجمى على عربى ، ولا لأبيض على أسود و لا لأسود على أبيض ، إلا بالتقوى » (١) .

و لما كان ذلك تحولا كبيراً من أعظم التحولات فى تاريخ الديانات ، و فى مصاير الأمم ، و فى تاريخ الوقائع البشرية ، كان هـذا الحدث العظيم جديراً بأن يطلب الله النبى الكريم إلى السماوات العلى ويسلمه منصب القيادة بطريق مباشر ويشرفه بالقرب و التكريم الذى لم يتلق به أحداً من قبله .

إخوانى ! إن اليهود لا مستقبل لهم إذا كان الله حكيماً رحيماً ، و إذا كان الله رب الأجيال البشرية كلها ورب العالمين ، لا رب خراف بنى إسرائيل الضائعة ، فلا مستقبل لليهود أبداً و لو فتحوا العالم كله ـ لا قدر الله ـ لأن اليهود أمة تقوم على تقديس العنصر والسلالة ، أمة تقوم على الحقد للبشرية والتاريخ كله ، أمة تقوم على الأحلام و الأمانى السلالية و الشعبية فقط ، و لا شأن للانسانية بهذه الأمانى والأحلام ، إن حاجة الانسانية أمة تقود البشرية كلها وتربط مصيرها بمصير البشرية ، لأن الله سبحانه و تعالى لم يخلق الجيل البشرى ليكون عبداً لسلالة خاصة ، هذا ما لا يسوغه ويسيغه عقل بشرى ، فكيف بالله تبارك وتعالى ، إن اليهود ليست لهم أصول ولا جذور فى الأرض ، إنما هو شئ طافىء على سطح الماء .

إن الاسراء أيها الاخوان لم يكن ليكون عيداً فى الأمة يحتفل به كل عام ، إن الاسلام ليس دين الأعياد كما هو الشأن فى ديانات أخرى ، فانها تقوم على الأعياد و المهرجانات ، و الأيام التى تحتفل بها ، و إذا أخذ كل عيد تحتفل به طائفة من طوائفها ، كانت أيام السنة كلها أعياداً و مواسم ، والأعياد هى التى تربط المجتمعات فى هذه البلاد بالديانات ، فلولا هذه الأعياد والمهرجانات لضاعت الديانات ونسيت ،

(١) ابن النجار عن أبى سعيد بزيادة بعض الكلمات (الجامع الكبير للسيوطى) .

فانهم يجتمعون فى هذه الأعياد ويذكرون ما عندهم من عادات، وطقوس وعبادات، فيقيمونها، و بذلك ينتظم شملهم.

إن الاسراء لا شك خاص بالرسول ﷺ، ولكنه سمو للانسانية عن طريق محمد ﷺ، إن الله تبارك و تعالى قد ضرب مثالا ـ و إن كان هذا المثال مختصاً بالرسول الأعظم ﷺ ـ ولكنه نبى بشر، فيشير إلى أن هنالك يبلغ البشر و إن كان مرة واحدة، ولكنه هو البشر الذى وصل، ولم يبلغه غير البشر، هذا يثير فينا السمو، ويثير فينا الثقة بالانسانية و كرامتها.

والشئ الثانى أن هذا الدين مرتبط بالسماء، مرتبط بارادة الله تبارك وتعالى، ليس مرتبطاً بالتجارب البشرية، ليس مرتبطاً بالعقل البشرى، ليس مرتبطاً بالمجهود البشرى، بل مصدر هذا الدين هو السماء.

و المعنى الثالث أن سورة الاسراء تثبت أن هذه الرسالة عالمية إنسانية، فاذا كانت غير هذا و دون هذا، لما طلب محمد ﷺ من جزيرة العرب ـ و هو نائم فى مكة ـ إلى القدس، ثم إلى السماوات العلى، إن اتصاله أولا بالأرض المقدس بفلسطين، التى هى بعيدة عن جزيرة العرب، ثم اتصاله بالسماء، يدل على أن هذه الرسالة عالمية إنسانية آفاقية ليست محصورة فى جزيرة العرب، و إلا أى حاجة دعت إلى أن يطلب الله رسوله إلى القدس أولا ليصلى هناك بالأنبياء عليهم السلام، ثم يطلبه إلى السماوات؟، فلنعرف أن مركزنا أكبر مما نحن فيه، و إن مسئوليتنا أضخم مما نضطلع بها، إن هذا البلد هو أصغر منا، و إن البلاد مهما اتسعت، بل إن الأرض كلها، أصغر من شخصيتنا، نحن أمة الرسالة، نحن أمة الهداية، نحن أمة العالم و أمة الانسانية، لسنا عرباً ولا عجماً، لسنا أردنيين و سوريين، وفلسطينيين و هنوداً و باكستانيين فحسب، نحن أمة نبى الاسراء و المعراج، الذى انعدمت فيه الأبعاد والمسافات، والحواجز الجغرافية والاعتبارات السياسية، والفوارق الجنسية.

هذه كلها معان و حقائق نستطيع أن نتلقاها ونتعلمها من ثنايا سورة الاسراء التى ضمنها الله القرآن الكريم الذى يدوم ويثبت إلى أن يرث الله الأرض و من عليها .

أهنئكم أيها الاخوان على ليلة الاسراء و المعراج ، و أنتم على مقربة من مكان الاسراء و المعراج ، ولقرب الزمان و المكان أثر ومعنى ليس فى البعد ، فكيف إذا التقى قرب المكان بطول الزمان ؟ لقد أدركت ليلة الاسراء و المعراج بعد ما عقلت أكثر من خمسين مرة ، و لكنها هى المرة الأولى التى تصادفنى فيها أو أصادفها ، علـى قرب من مكان الاسراء و المعراج ، فأثار ذلك فى نفسى معانى و أحاسيس جديدة لم يكن لى عهد بها ، وفتحت لى نوافذ جديدة لتفهم معانى الاسراء والمعراج، و التأمل فى سورة بنى إسرائيل ، و الحنين إلى المسجد الأقصى و الصلاة فيـه ، و الشوق إلى أن أراه فى مكانه الطبيعى التاريخى العالمى ، و فى أيدى الوارثين للرسالة الأخيرة ، المؤمنين بجميع الأنبياء ، الغيارى على رسالاتهم و أماناتهم ، المحبين للانسانية كلها ، المجاهدين فى سبيل إسعادها و النهوض بها ، وحق لى أن أتمثل ببيتى الشاعر العربى القديم متمثلا للمسجد الأقصى المبارك ، وأنا على مقربة منه فى عمان :

و لما نزلنا منزلا طله الندى   أنيقاً و بستاناً من النور حاليا
أجد لنا طيب المكان وحسنه   منى فتمنينا فكنت الأمانيا

إن القضية فى إنقاذ فلسطين ، قضية العقيدة وقضية الأخلاق ، قضية العزم الصادق ، فاذا صحت العزائم وصدقت القلوب ، زال اليهود كما يتقشع الضباب ، نحن فى حاجة إلى تربية جديدة ، تربية إسلامية ، إلى عقيدة كأنها عقيدة جديدة ، لسنا فى حاجة إلى دين جديد ـ حاشا لله ـ لكننا فى حاجة إلى إيمان جديد ، إذا كانت الأحوال غير عادية احتاج الانسان فيها إلى إيمان غير عادى ، إلى إيمان قوى عميق ، إلى إيمان حى دافق ، إلى إيمان إذا لم يكن إيمان الصحابة رضى الله تعالى عنهم فليكن إيمان صلاح الدين الأيوبى ، وكثير من الجنود التى قاتلت تحت رايته ، يقول القاضى بهاء الدين المعروف بابن شداد عن صاحبه صلاح الدين الأيوبى :

« إنه تاب عن المحرمات وترك الملذات ، و رأى أن الله سبحانه وتعالى خلقه لأمر عظيم لا يتفق معه اللهو والترف ، وكان رحمه الله عنده من القدس أمر عظيم لا تحمله الجبال ، و كان كالقاعدة ولدها (١) » .

هنالك تبرز من أطمارکم وأجسادكم شخصيات جديدة تقفز من الداخل وتفاجئ العالم . و قد وقع ذلك مراراً فى التاريخ الاسلامى ، فاذا أظلمت الآفاق ، و إذا غارت النجوم ، طلع نجم جديد على أفق العالم الاسلامى ، هكذا كان وهكذا سيكون إن شاء الله .

قد قلت بالأمس إذا كان هنالك استفتاء عام فى العالم الاسلامى ، استفتاء حر عن الرجل المطلوب المحتاج إليه اليوم فى العالم الاسلامى ، كان الجواب الوحيد صلاح الدين الأيوبى ، فيجب أن تتشوف نفوسكم لهذا المنصب الرفيع ، وقد جاء فى حديث خيبر أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « ليأخذن الراية غدا رجل يحبه الله و رسوله ، يفتح عليه » ، فتطاول له كبار الصحابة رضى الله عنهم ، ومنهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه، كل منهم يرجو أن يكون صاحب ذلك و دعا علياً كرم الله وجهه فكان على يده الفتح (٢) » و الله سبحانه وتعالى يقول : « كلا نمد هؤلاء و هؤلاء من عطاء ربك و ما كان عطاء ربك محظوراً (٣) » .

ولا بد لذلك أن نشق نفوسنا على التقشف وتحمل المشاق و على الشدة والجلادة والغيرة الايمانية ، وإيثار الآخرة على العاجلة ، والاستهانة بالحياة الدنيا و زخارفها .

و أختم حديثى ببيتين للزركلى ، مخاطباً للامة العربية الاسلامية :

هاتى صلاح الدين ثانيـــة فينـــا
و جددى حطين أو شبه حطينا

(١) النوادر السلطانية ص/١٥٥ ، وليرجع إلى ص / ١٦-٢١٣ .
(٢) الرواية فى صحيح البخارى وصحيح مسلم فى باب غزوة خيبر .
(٣) سورة الاسراء ـ ٢٠ .

الارادة ، عند الشيخ ابن تيمية

الأستاذ فهمى قطب الدين نجار
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية (الرياض)

الارادة عند الشيخ ابن تيمية ، هى أساس العمل و إعمار الدنيا ، و إحقاق الحق ، و الجهاد فى سبيل الله ، و فى غيابها أو انحرافها عن طريقها القويم تفسد الحياة و يفتقد العمل الصالح و تنحل الأخلاق ، و يعز الباطل و تذل الأمة .

و كان رحمه الله ، فى حياته ، كلها مثال الارادة المتحركة الخيرة ، رافعاً لواء الحق ، مجاهداً فى سبيل الله ، الباطل و الظلم أينما كان ، باللسان و السنان وقد تحمل فى سبيل ذلك السجن و العذاب ، حتى وفاته ـ رحمه الله ـ فى السجن .

و كأنه رحمه الله ، بارادته القوية ، المتحركة دائماً نحو العمل الجاد المستقيم ، كأنه يضرب المثل الحى لأمتـه الاسلامية التى يجب أن لا تعيش فى ذل و خنوع مستكينة للباطل و الهوان . وتبقى عزيزة الجانب ، مهما كبرت قوة الأعداء ، و كأنه ينادى مسلم اليوم ، الذى أصبح ضعيف الارادة ، قوالا أكثر منه فعالا خاضعاً لأعدائه ينتظر سكين الجزار فى خوف ، ينادى مسلم اليوم أن استيقظ من سباتك فقد طال نومك ، و انفض عنك غبار الذل و الهوان ، وأعد مجد أمتك ، وارفع علم الجهاد عالياً خفاقاً « و لينصرن الله من ينصره » .

و عزز رحمه ، الجانب العملى من الارادة المتحركة الحية ، بفكر نظرى عميق للارادة ، وحتى يتضح لنا مفهوم الارادة عند ابن تيمية لا بد من دراستها على أنها حركة ، و علاقة هذه الحركة بالنفس الانسانية و قيمة العمل فى الارادة ، وهل هو

الغاية النهائية للارادة ؟ أم هو مرحلة من مراحل الحركة الارادية ؟ هذا ما سنعرفه باذن الله أثناء تحليلنا للارادة عنده، رحمه الله .

الحركة و الارادة :

يقسم ابن تيمية الحركة إلى ثلاثة أنواع :

[ا] الحركة القسرية الكرهية و هى التى مبدؤها من غير المتحرك .

[ب] الحركة الطبيعية . و هى مبدؤها من المتحرك و لكن بدون شعور منه .

[ج] الحركة الارادية : و هى مبدؤها من المتحرك و على شعور منه .

ويتضح هذا فى قوله : « الحركة إما أن يكون مبدؤها من المتحرك وإما من غيره . فما كان مبدؤها من المتحرك فهى القسرية الكرهية ، و ما كان مبدؤها من المتحرك ، فان كان على شعور منه فهى الارادة ، و إلا فهى طبيعية » (١) والذى يهمنا فى هذا البحث الحركة الارادية ، التى مبدؤها من المتحرك ذاته و بشعوره و اختياره ، و هى الحركة الصادرة عن الانسان .

فهذه الحركة يمكن أن تتجه إلى الخير أو إلى الشر ، فالحركة الارادية المتجهة إلى الخير تسعى لخير صاحبها فى الحياة الدنيا و الآخرة ، و « يكون الله هو المراد المقصود بالقصد الأول » (٢) .

وأما المتجهة نحو الشر فانها « ضارة لصاحبها مفسدة له غير نافعة ولا مصلحة » (٣) .

وهكذا نجد ابن تيمية سبق علماء النفس المحدثون يقرون من أن سلوك الانسان سلوك غائى .

النفس و الارادة .

النفس عند ابن تيمية هى مركز الارادة و الشعور ، و حقيقتها لا توجد إلا بوجود الارادة يقول : « و لا يتصور أن تكون النفس إلا شاعرة مريدة » (٤)

و يقول : « و لا يتصور أن تكون نفس الانسان غير مريدة » فالارادة متلازمة مع وجود النفس الانسانية » و لكن السؤال الذى يطرح ، هل الارادة مكتسبة فى النفس الانسانية ، أى وجدت بعدها ؟ أم أنها موجودة بالفطرة ، أى وجدت معها ؟

فيجيب ابن تيمية ، بأن الارادة فطرية فى النفس ، إذ فطر الله النفس مريدة ، يقول رحمه الله : « و لا يتصور أن النفس لها مطلوب مراد بضرورة فطرتها ، و كونها مريدة من لوازم ذاتها » (٦)

فالارادة كامنة فى النفس الانسانية ، فهى كالطاقة المختزنة ، يمكن أن تتحول هذه الطاقة إلى حركة و عمل و سلوك ، وتحولها يحتاج إلى منبه خارجى ، وهكذا نجد ابن تيمية يتكلم عن المنبه الخارجى للسلوك قبل أن يتكلم عنه علماء النفس الحديثون بقرون عديدة .

فالتنبيه والتذكير عند ابن تيمية وظيفة تأتى من خارج النفس ، فيحرك ما فى داخلها نحو العمل والحركة ، أو هو يزيل ما يعيق الارادة من أن تتحول إلى عمل ، والعوائق كثيرة فى الحياة مثل : الأهواء ، والغرائز المسيطرة على الانسان ، فان تحررت النفس الانسانية عن عبودية الأهواء ، و الغرائز ، انطلق الانسان نحو العمل الخير المفيد له فى الدنيا و الآخرة .

و هكذا نجد أن المنبه أو المذكر يطلق ما فى الفطرة ولا يضيف شيئاً إليها ، يقول ابن تيمية : « فكذلك الأسباب الخارجية لا يتوقف عليها وجود ما فى الفطرة من الشعور بالخالق ومحبته ، و إن كان ذلك مذكراً و محركاً ، أو مزيلا للعارض المانع ، لكن المقصود أنه لا يحتاج حصول ذلك فى الفطرة إليه مطلقاً » (٧) .

و مبدأ الحركة الارادية مركوزة فى النفس الانسانية : « إذاً الأفعال الارادية لا يكون سببها إلا من نفس الحى المريد الفاعل ، و لا يشترك فى إرادته إلا مجرد

الشعور بالمراد، فما فى النفوس من قوة المحبة له (اى لله) إذا شعرت به ، يقتضى حبه إذا لم يحصل معارض » (٨) .

و يضرب لنا ابن تيمية مثلا حسياً من الدوافع الحيوية الفطرية للانسان ، على فطرية الارادة الخيرة فى الانسان مثل الايمان بالله و محبته و الاخلاص له فيقول : « وهذا موجود فى محبة الأطعمة والأشربة والنكاح ومحبة العلم و غير ذلك ، و قد ثبت أن فى النفس قوة المحبة لله و الذل له ، و إخلاص الدين له ، و أن فيها قوة الشعور به ، لزم قطعاً وجود المحبة فيها ، و علم أن المعرفة و المحبة لا يشترط فيهما وجود شخص منفصل يكلمها بكلام ، و إن كان وجود هذا قد يذكر ويحرك ، كما لو خوطب الجائع بوصف الطعام أو خوطب المغتلم بوصف النساء فان هذا مما يذكر و يحرك، لكن لا يوجب ذلك فى وجود الشهوة للطعام و وجود الأكل » (٩).

الارادة و العمل :

و إن انتقال الارادة إلى حركة و عمل هو أخطر ما فى موضوع الارادة ، اذ أنها إذا بقيت حبيسة فى النفس ، لا يستفاد منها فى مجال العمل المستمر فى الحياة، و الانسان صاحب الارادة ، يبقى عاجزاً عن تنفيذ أى عمل ، و بهذا العجز تتعطل الحياة و يتوقف إعمار الدنيا ، و ينخفض علم الجهاد ، فتذل الأمـة و تسقط فى مهاوى العبودية للآخرين ، فالعمل هو الثمرة المرجوة للارادة الانسانيـة ، و هو المرافق للايمان بالله ، و المصدق له ، و بدونه ينثلم إيمان المؤمن ، لذلك حض الله عز و جل على العمل و قرنه بالايمان فى حوالى ستين موضعاً من القرآن الكريم .

قال تعالى : « إن الذين آمنوا و عملوا الصالحات ، كانت لهم جنات الفردوس نزلا «الكهف» و العمل هو مجال الابتلاء و الاختيار فى الحياة الدنيا .

« ليبلوكم أيكم أحسن عملا » الملك »

فالعمل آخر مراحل حركة الارادة الحرة الاختيارية للانسان، وهو ضرورى لحياته ، و لكى يعيش ، و يعمر الأرض ، و يحقق خلافة الله فيها ، و إن حسن العمل و قبحه تابع لحسن الارادة أو قبحها ، فالارادة الخيرة تثمر عملا خيراً

و الارادة الفاسدة القبيحة تثمر عملا فاسداً قبيحاً .

يقول ابن تيمية رحمه الله : « فان الانسان حساس متحرك بالارادة ، ولهذ قال ﷺ « أصدق الأسماء الحارث و همام و أحبها إلى الله عبد الله وعبد الرحمن و أقبحها حرب و مرة » (١٠) فان الانسان لا بد له من حرث و هو العمل و الحركة الارادية ولا بد له من أن يهم بالأمور ، منها ما يهم به ويفعله ، و منه ما يهم به و لا يفعله ، فان كان المراد موافقاً لمصلحته كانت الارادة حسنة محمودة و إن كان مخالفاً لمصلحته كانت الارادة سيئة ومذمومة كمن يريد ما يضر عقله ونفسه و بدنه » (١١) .

و حتى يكون العمل مثمراً ، ومفيداً لا بد و أن يسبقه عند الانسان العامل تصور دقيق لما يريده ، ثم يتحرك لتنفيذ الصورة المطلوبة . . يقول ابن تيميمة : « العاقل الفاعل فعلا باختياره يتصور ما يريد أن يفعله فى نفسه ثم يوجده فى الخارج ، فتلك الصورة الموجودة بفعله ليست هى الصورة المعقولة بذهنه ، كمن أراد أن يضع شكلا مثلثاً أو مربعاً أو يصنف خطبة أو يبنى داراً أو يغرس شجراً أو يسافر إلى مدينة فانه يتصور ما يريده ابتداء فتكون له صورة عقلية فى نفسه قبل صورته التى يوجدها فى الخارج » (١٢) .

و هكذا نخلص إلى مراحل العمل عند ابن تيميه وفق ما يلى :

النفس — الارادة — التصور — الهمة — العمل

فالعمل آخر مراحل الارادة ، و لا بد من جميع هذه المراحل للحركة الارادية و بفقدان أى عنصر من هذه المراحل ، يكون العمل ناقصاً أو معدوماً ، فالنفس هى مركز الارادة و منها تنطلق و تتحرك ، ثم يتصور الانسان ما يريد عمله و يرسم له صورة ذهنية فى عقله ، و يخطط لتنفيــذه ، و حتى هذه المرحلة يكون العمل لا زال فى المرحلة الداخلية للانسان ، و لن ينتقل إلى الخارج ، وإلى حيز التنفيذ إلا بالهمة و التى يمكن أن نعرفها ، بالنشاط أو الحماس النفسى

المحرك نحو العمل . و إن عجز الانسان و عجز المجتمعات عن تنفيذ إراداتها ناتج عن ضعف همتها ، وحماسها فى التحرك نحو العمل الصالح الخير . فقد يتصور الانسان أو تتصور المجتمعات و الأمم ما تريد عمله من تحرير لنفسها من العبودية ، أو من تحرير أرضها و مقدساتها عن أيادى الآخرين و لكنها تنكص على نفسها ، وتسترخى من جديد ، لانعدام حميتها و حماسها ، ومرجع ذلك إما إلى الخوف و الجبن من الأعداء أو حبها للدنيا و كراهية الموت .

و هنا يكمن دور الدعاة والمصلحين ، و المجددين للدين ، و خاصة نحن نعيش صحوة إسلامية مباركة ، و هذا الدور يتمثل ببعث الهمة و الجهاد فى تصور الأفراد و المجتمعات ، و طرد الخوف عن قلوبهم ببعث الايمان فى هذه القلوب ، لينتقلوا من مرحلة الأحلام و الأقوال فقط إلى مرحلة العمل الصحيح و المثمر ، وبه تعز الأمم و تتحرر العقول من الأوهام ، و تسترد الكرامات و المقدسات .

اللهم اجعل عملنا خالصاً لوجهك الكريم ، و مستقيماً على السنة المطهرة إنك سميع مجيب ، والحمد لله رب العالمين .

هوامش :

(١) و (٢) و (٣) كتاب درء تعارض العقل و النقل لابن تيمية :
ج ٩ ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤ ، ط ، جامعة الامام .

(٤) و (٥) و (٦) المصدر السابق : ج ٨ ص ٤٦٥ .

(٧) و (٨) و (٩) المصدر السابق : ج ٨ ص ٤٤٩ ـ ٤٥٠ .

(١٠) المسند ، ط الحلبى ج ٤ ص ٣٤٥ .

(١١) درء تعارض العقل و النقل ، ج ٨ ص ٤٥٧ ، والسياسة الشرعية ص ١٣٢ .

(١٢) درء تعارض العقل و النقل ، ج ١٠ ص ٥١ .

المبادىء السياسية فى السنة النبوية

بقلم : الدكتور عبد اللطيف
أستاذ الفلسفة ، بقسطنط

من الصعب أن نجمع كل المبادىء السياسية الورادة فى السنة النبو و الفعلية فى بضع صفحات ، و أن نصور الانقلاب الذى أحدثه فى البن للجتمع الجاهلى ، و لكننا سنحاول أن نركز على أبرزها و أهمها ، و كل التوجيهات النبوية هامة و بارزة .

لقد ركز الرسول ﷺ ، فى مكة على ترسيخ العقيدة فى قلوب المسلمين كان مع ذلك يرسخ فى قلوبهم المبادىء العامة لهذا الدين ، كالتوحيد و العد عن الشرك والجور ، و كان يعلن أمام الجميع بأن الناس سواسية أمام ا المشط ، لا يمتاز بعضهم على بعض إلا بالبر والتقوى ، ولا تخلو هذه المب من مظهر سياسى كما نرى ، و لا تخلو كذلك قلب تصورات المجتمع الج على عقب ، و يصور لنا ذلك جعفر بن أبى طالب أصدق تصوير : (أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، و نأكل الميتة ، و نأتى الفراحش ، و نقطع ونسيء الجوار ، و يأكل القوى منا الضيف ، فكنا على ذلك ، حتى بع رسولا منا ، نعرف نسبه ، و صدقه ، و أمانته ، و عفافه ، فدعانا إلى و نعبده ، و نخلع ما كنا نعبد نحن و آباؤنا من دونه ، من الحجارة و و أمرنا بصدق الحديث ، و أداء الأمانة ، و صلة الرحم ، و نهانا عن فصدقناه ، و آمنا به ، و اتبعناه ، على ما جاء به من الله ، وفى هذه الم

كان الاعداد لنشوء الدولة الاسلامية بما تم من بيعة عند العقبة مرتين على التوالى .

غير أن نشاط الرسول ﷺ ، السياسى ، بدأ بهجرته إلى المدينـة المنورة ، و بنائه للمسجد ، ومؤاخاته بين المهاجرين والأنصار ، وكتابته للدستور ، ثم اتضحت هذه التوجيهات شيئاً فشيئاً بتغلبه على القبائل العربية ، و بدء انتشار الدين فى كافـة أرجاء العالم ، لقد كان الرسول ﷺ ، يأمر و ينهى ، و يولى و يعزل ، و يوجه و يصالح ، و يعقـد الهدنة ، ، و يشن الغزوات ، و يبعث بالرسائل إلى الملوك ، و يشاور و يبايع و يعدل .

و كان المسلمون يطيعون الرسول ﷺ . و يتحدون و يجاهدون و يبتعدون عن التصرفات الجاهلية ، و يبايعون و لا يخلون بالمشورة و الصحبة ، و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر .

و هكذا قام مكان البنى السياسية الجاهلية المتهرئة ، نظام سياسى إسلامى قوى الأركان و متين البنيان

و ظهر هذا النظام السياسى الاسلامى فى شكل :

١ـ توجيهات قرآنية .

٢ـ توجيهات نبوية شفوية .

٣ـ سنة فعلية سنها الرسول ﷺ .

و يتمحور هذا النظام السياسى حول محورين رئيسيين هما :

الرد على النظم السياسية الجاهلية .

إرساء قواعد النظام الجديد المتميز عما سبقه من النظم .

و هو نظام فريد من نوعه مبنى على :

★ الأخلاق : ★ و التوحيد :

★ و المساواة بين بنى آدم على اختلافهم :

★ و لا تتغير مبادئه العامة بتغير الأزمنة و الظروف و المصالح .

و قد أثبت هذا النظام فعاليته فى قلب البنى السياسية بالمجتمع الجاهلى ، وتفوقه على نظمه السياسية البالية ، و تمكن من بسط نفوذه على كافة أرجاء المعمورة ، وهو فى وقتنا الحالى يبرهن على قدرته على أن يخلص العالم من شرور العلمانية، والماكيافيلية و الثيوقراطية ، و الفاشية ، و البراجماتيــة ، و على أن ينقذ البشرية من براثن الظلم ، و التمييز العنصرى ، و الحروب الفتاكة المدمرة ، و الطبقية الطاغية ، وهو فوق ذلك كله .

يبرهن على قدرته على توحيد الأجناس ، والمؤاخاة بينها فى عالم تسوده الحرية و العدالة و السلام .

لذلك فنحن نهيب بأبناء العالم الاسلامى ، و بالانسانية قاطبــة ، بأن يرجعوا إلى توجيهات الاسلام فى المجال السياسى ، ففيها الخلاص مما تتخبط فيه البشرية من مشاكل سياسية تبدو عسيرة الحل .

الرسول ﷺ فى القرآن الكريم :

يتحدث القرآن الكريم عن رسول الله ﷺ ، و عن صفاته ، وعن وجوب طاعته ، لأن طاعته من طاعة الله ، و عن أخلاقه و عن رحمته بالمؤمنين ، و عن تواضعه ، ويمن على المؤمنين أن بعث فيهم رسولا من أنفسهم ، يقول المولى سبحانه و تعالى : « لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة ، و إن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » (سورة آل عمران : ١٦٤) .

و يجعل المولى سبحـانه و تعالى طاعة الرسول من طاعة الله فيقول : « من يطع الرسول فقد أطاع الله ، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا » (النساء ٨٠)

و يجعل تحكيمه بين المسلمين فى الاشتجار أمراً لا يرد و لا يقبل بأية حال الشك فى عدله ، قال تعالى : « فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت و يسلموا تسليما » (النساء ٦٤) .

وينص القرآن على أن من بايع رسول الله ﷺ قد بايع الله فيقول : « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينـــة عليهم و أثابهم فتحاً قريباً » (الفتح : ١٨) .

و قال : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فانما ينكث على نفسه ، و من أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً » (الفتح ١٠) .

ويؤكد القرآن على ثواب من يطيع الله و الرسول فيقول : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً» (النساء٦٩ـ٧٠) .

و يؤكد القرآن على ضرورة إذعان المسلمين للاحكام الصادرة عن رسول الله ﷺ : « و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » (الأحزاب ٣٦).

و من الله على رسوله الكريم ﷺ ، فى قوله : « و لو لا فضل الله عليك و رحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك ، و ما يضلون إلا أنفسهم و ما يضرونك من شئ ، و أنزل الله عليك الكتاب و الحكمة و علمك ما لم تكن تعلم ، و كان فضل الله عليك عظيما » (النساء ١١٣) .

ويقول فى سورة أخرى : « و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب و لا الايمان و لكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا و إنك لتهدى إلى صراط مستقيم » (الشورى : ٥) .

فالسنة تبين ما ورد فى القرآن : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم و لعلهم يتفكرون » (النحل : ٤٤) « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا و اتقوا الله إن الله شديد العقاب » (الحشر : ٧) وقال تعالى : « و إن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين » (النور ٥) وقال : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » (التوبة : ١٢٨) ، و قال : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين » (آل عمران : ١٥٩) .

و هكذا يحدثنا القرآن عن رسول الله وسنة رسول الله وما تحتوى عليه من توضيح لأحكام القرآن ، ومن عدل و رحمة ، ولاغرو أن تكون المبادىء السياسية الواردة فى السنة توضيحاً للتوجيهات السياسية الواردة فى القرآن الكريم .

من توجيهات القرآن فى السياسة إلى توجيهات السنة النبوية :

لقد سبق لنا أن بينا فى أحد بحوثنا أهم التوجيهات السياسية الواردة فى القرآن ، منها ما يتعلق بأداء أولى الأمر للامانة ، و وجوب طاعتهم فى المعروف ، وتحكيم القرآن والسنة فى كل اشتجار يحدث بين الحكام والرعية، ومنها ما يتعلق ببيعة المسلمين للرسول ﷺ ، ومنها ما يتعلق بالشورى ، ومنها ما يتعلق بحاكمية الله .

وقد نص القرآن على الهدف من قيام الدولة ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، و على وحدة الأمة الاسلامية ، ومقت الاستبداد و الجبروت والظلم ، وبجد العدل ، و وضح المقاييس التى يجب أن تتوفر فى الحكام ، كالبسطة فى العلم و الجسم ، و سنذكر على سبيل المثال بعض الآيات المتعلقة بنظام الحكم الاسلامى ، يقول تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، و إذا حكمتم بين

الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نعما يعظكم به ، إن الله كان سميعاً بصيراً ، يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله و الرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا » (النساء : ٥٨ ـ ٥٩) وقال تعالى : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات و أنزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز » (الحديد ٢٥) ، و قال تعالى : « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم و استغفر لهم وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين » (آل عمران ، ١٥٩) .

و قال تعالى : « إن الذين يبايعونك تحت الشجرة إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم » (الفتح : ١٠) .

و الآيات الواردة فى المجال السياسى كثيرة ، قد أفردنا لها بحثاً بأكمله ، وها نحن الآن نتصفح سنة رسول الله ﷺ لنرى فيها ما هى أهم التوجيهات التى يقدمها النبى ﷺ ، وستتمحور هذه التوجيهات حول ما ورد فى القرآن من آيات فتفسرها ، أو توضحها ، أو تطبقها ، أو تفصلها .

و على هذا ، فاننا عندما نتحدث عن توجيهات السنة السياسية فانما نتحدث عن توجيهات القرآن السياسية ، و قد أصبحت مجسدة فى الواقع من طرف الرسول ﷺ فى شكل سلوك سياسى ، أو فى شكل أوامر ونواه .

الرد على بعض المزاعم حول السياسة النبوية :

إن السياسة النبوية كما سنرى ، هى سياسة عادلة تمكنت من أن تحكم مجتمعاً كانت تسوده لروح القبلية ، بمقتضيات الأخلاق و المثل العليا ، وقد كان هذا النظام

السياسى موحى إلى الرسول ﷺ مثله مثل كل ما يتعلق بالعبادات و المعاملات غير أن بعض الباحثين الذين يجهلون أبسط مقتضيات الموضوعية، راحوا يزعمون أن لا علاقة للرسول ﷺ بالحياة السياسية ، يقول على عبد الرزاق : (هيهات هيهات لم يكن ثمة حكومة و لا دولة و لا شئ من نزعات السياسة ، و لا أغراض الملوك والأمراء ، لعلك الآن قد اهتديت إلى ما كنت تسأل عنه قبلا من خلو العصر النبوى من مظاهر الحكم وأغراض الدولة وعرفت كيف لم يكن هناك ترتيب حكومى ،ولم يكن ثمة ولاة و لاقضاة ولا دولة الخ ... ولعل ظلام تلك الحيرة التى صادفتك قد استحال نوراً ... وصارت النار عليك برداً وسلاماً) (١) .

و الواقع أن الرسول ﷺ بدأ نشاطه السياسى منذ هاجر إلى المدينة :

- فقد بنى المسجد ليكون مركز حكومته الجديدة .
- آخى بين المهاجرين و الأنصار ليقضى على الفوارق التى قد تفرق بين أبناء المجتمع الاسلامى الواحد .
- كتب وثيقة تعد بحق دستورا ، و بهذا الصدد يقول « مونتغمرى وات : (فى المصدر الرئيسى القديم لسيرة محمد (٢) (بمعزل عن القرآن) هناك وثيقة يصح أن تسمى « دستور المدينة » (٣) .
- وادع اليهود ، وعاهدهم و أقرهم على دينهم و أموالهم .
- قاد الغزوات .

---

(١) على عبد الرزاق « الاسلام و أصول الحكم » بحث فى الخلافة و الحكومة فى الاسلام ونقد وتعليق الدكتور محمد حق ، من منشورات مكتبة الحياة بيروت ١٩٧٨ ، ص ، ١٥٦ .

(٢) هذا المصدر هو سيرة ابن هشام .

(٣) مونتغمرى وات ... الفكر السياسى الاسلامى ، ترجمة صبحى حميد ، دار الحداثة بيروت ١٩٧١ ، ص ، ١١ .

ـ كان يقسم الغنائم بين المسلمين .
ـ أجزم المعاهدات وعقد الأحلاف .
ـ أرسل الرسائل إلى الملوك .
ـ ولى الولاة و القضاة .
ـ شاور المسلمين .

وجه المسلمين بتوجيهات سياسية كثيرة ، فماذا يكون هذا كله إن لم يكن بناء دولة ؟ إن فصل الدين عن الدولة فى الاسلام خطير جدا ، و لا يقبله أى إنسان ينظر إلى الأمور نظرة موضوعية ، أما أن الرسول ﷺ لم يكن ملكا فنعم ، ولكنه كان رئيس دولة بالمعنى الاسلامى ، وذلك لأن الأخلاق الاسلامية تتنافى مع جبروت الملوك وتكبرهم و استبدادهم كما سنرى فيما بعد .

و مونتغمرى وات هو الآخر يدعى أن : (الدولة الاسلامية ترتكز على المفاهيم السياسية السابقة للاسلام وتضربها مثلا) (١)

و أن : (الدولة والجماعة الاسلامية ترتكز على أفكار سابقة للاسلام ، مستمدة فى أساسها من البدو الأعراب) (٢) و أن : (الحكم الاسلامى لم يجر سوى تعديل طفيف على الأسلوب القديم) (٣) و هذه المزاعم كما نرى تفتقد إلى حجج قوية تدعمها خصوصاً و أن :

الرسول ﷺ لم يكن رجلا إقليمياً ولا زعيماً وطنياً ، و قد عرض عليه هذا المنصب ، قبل أن يتجشم مشقات الحمل الذى تمثله الرسالة ، من طرق العرب إذ قالوا له : (إن كنت إنما بك الرئاسة عقدنا ألويتنا لك فكنت رأسا ما بقيت) (٤) و رد كل العروض المغرية للمجتمع الجاهلى دون تردد .

الرسول ﷺ يقول : (ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على

---

(١) ن . م . ص ٢٤ و ٢٥ . (٢) ن . م . ص ٣٣ . (٣) ن . م . ص ، ٣٧ .

(٤) أبو الحسن على الحسنى الندوى ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين دار الكتاب العربى ، بيروت ، ط ٦ ـ ١٩٦٥ ، ص ، ٨١ عن البداية والنهاية لابن كثير الدمشقى .

عصبية وليس منا من مات على عصبية) (١) ، ويقول : (دعوها إنها منتنة) (٢) .

المبادىء الاسلامية تتنافى مع التميز العنصرى وتسوى بين الناس ، وتدعو إلى التشاور و الأخوة و الوحدة و السلام .

لقد عرف المسلمون فى عهد الرسول ﷺ أحكام الاعلان و التبليغ ، والنبذ و المعاهدة ، والصلح و الذمة ، والهدنة و الموادعة ، والسفارة والوساطة ، وعرفوا لكل حكم من الأحكام واجباته على المسلم فى حالتى إبرامه ونقضه ، وعرفوا واجبات الامام و الرعية مفصلة مرددة ، كأنها صيغ العقود التى يتحرى فيها الموثقون غاية التوكيد و التقييد ، منعاً للاغلال و الأسلال ، كما جاء فى أول عهد بين الاسلام و المشركين (٣) .

و هذه الأمور وحدها تكفى لدحض ما ذهب إليه « وات » إلا أننا سنفصل المبادىء السياسية الاسلامية التى قلبت البنى السياسية للمجتمع الجاهلى رأساً على عقب و التى سنجد فيها مزيداً من التفنيد لوجهة نظر (وات) المجحفة .

ونفس هذه المزاعم التى رددها (وات) يرددها (لويس غاردية) الذى يشبه تحكيم الرسول بين المؤمنين بتحكيم شيخ القبيلة بين أفراد قبيلته ، ويشبه الشورى فى المجتمع الاسلامى بالشورى التى كانت موجودة بين أفراد القبيلة ، و لا تختلف عنها إلا من حيث الاتساع .

و الواقع أن تحكيم الرسول ﷺ هو تحكيم يستند إلى الوحى ، و إلى العدالة الالهية التى تفوق دون أدنى شك حكمة شيوخ القبائل ، والشورى الاسلامية التى تدور فى إطار نصوص القرآن و السنة تتعدى الشورى القبلية التى كانت مقصورة على الأعيان و زعماء العصبيات .

(يتبع)

(١) رواه أبو داود . (٢) رواه البخارى .

(٣) عباس محمود العقاد ـ حقائق الاسلام و أباطيل خصومه ، المكتبة العصرية ، بيروت صيدا ص ٢٤٨ .

نحو وعى صحى أفضل

الدكتور غريب جمعة

الذى ينظر إلى عالمنا الاسلامى شرقاً و غرباً يرى بشائر صحوة إسلامية تتمثل فى المطالبة بتطبيق منهج الله فى مختلف مجالات الحياة ، ولئن كانت هذه الصحوة أشبه بيقظة النائم الذى لا يزال فى فراشه !!! فاننا نسأل الله أن تبلغ غايتها حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله .

وكم نود أن تكون صحوة المسلمين مقرونة بوعى صحى شامل وأن يكون مع النهضة الاسلامية نهضة صحية عامة تشمل صحة النفس و صحة الجسم ! ، و أساس صحة النفس هو سلامة العقيدة مهما حاول المغالطون أن يحولوا بين الانسان وبين الايمان بخالقه .

و قد يعجب البعض إذا تمنينا وعياً و نهضة بصحة الجسم بيد أن ذلك العجب سوف يزول بعد الفراغ من قراءة هذا المقال المتواضع . ذلك أن نعمة الصحة من أجل نعم الله على عباده ، ولا يعرف حلاوتها إلا من ذاق مرارة الأوجاع والأسقام أما عن أثرها على نشاط الأفراد و المجتمعات فحدث و لا حرج .

بل لقد كانت جسامة البدن إحدى مؤهلات « طالوت » لزعامة و قيادة الملأ من بنى إسرائيل ، حينما أخبرهم نبيهم أن الله قد اختاره ملكا عليهم ، فقالوا بلسان التعصب الوراثى و الفكر المادى ـ شأنهم دائماً ـ كيف يكون ملكاً علينا و نحن (تأمل كلمة نحن) أولى بالملك منه و ليس لديه مال كثير ؟ ! .

يقول الحق تبارك و تعالى :

«وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك

علينا و نحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم » (البقرة الآية : ٢٤٧).

كما كانت قوة البدن إحدى مؤهلات موسى عليه السلام، لاختياره أجيراً عند الرجل الصالح الذى زوجه إحدى ابنتيه يقول عز و جل :

« قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين » . (القصص الآية : ٢٦) .

من أجل ذلك كانت عناية الاسلام بالصحة و العافية و بأسباب المحافظ عليهما و الوقاية من الأمراض و الأوبئة و الاهتمام بالنظافة .

و إليك أيها القارىء الكريم باقة من توجيهات الاسلام فى ذلك المجال، لترى سبقه الذى لا يدانيه سبق ، و عظمته التى لا تبلغها عظمة ! . وعسى أن تكون هذه التوجيهات هادياً إلى مزيد من الرعاية الصحية ، وباعثاً على المزيد من النظافة؟ حتى لا يظن أناس أن تراكم الأوساخ على البدن عبادة !!! وأن الضعف والتهاوت زهادة !!! و أن قبح المظهر قربى إلى الله ! و أن تعذيب البدن بالاجهاد باب إلى محبة الله ! . . إلى آخر هذه المفاهيم السقيمة و البعيدة عن روح الاسلام .

أولا مدح الصحة و العافية :

يقول رسول الله ﷺ : « المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف ، و فى كل خير . . إحرص على ما ينفعك ، و استعن بالله و لا تعجز » .

«رواه أحمد ومسلم وابن ماجة عن أبى هريرة رضى الله عنه» ويقول أيضاً.

« يا أيها الناس إن الناس لم يعطوا ، فى هذه الدنيا ، خيراً من اليقين والمعافاة ! فسلوهما الله عز و جل » (أخرجه الامام أحمد فى مسنده باسناد جيد) .

على أن العافية التى يمتدحها رسول الله ﷺ و يوصى بسؤالها الله عز و جل

ليست هى العافية التى تحيل أصحابها إلى قطيع من الثيران البشرية، يصارع بعضه بعضاً ليصرعه ، أو يسدد اللكمات إلى وجهه فى قوة و عنف !

نعم : لتكن رياضة ، ولكن فى ظل الاسلام و التحلى بالخلق الكريم، ولتكن عافية ، و لكن مع استخدامها فى طاعة الله و نفع المجتمع .

ثانياً : فى مجال الصحة البدنية و النظافة الشخصية :

(١) يقول الحق تبارك و تعالى :

«وكلوا و اشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين» (الأعراف الآية ٣١).

وتوجهنا هذه الآية الكريمة إلى الاعتدال فى المأكل والمشرب ، حتى لا نصاب بمضاعفاتهما الكثيرة ، وليس هنا مجال تفصيلها، وقديماً قال الحارث بن كلدة الطبيب العربى المشهور : (المعدة بيت الداء و الحمية رأس الدواء) ، و ليس ذلك القول حديثاً نبوياً كما يجرى على ألسنة الكثيرين .

و قد نفر رسول الله ﷺ من الجشاء أو (التكرع) بقوله :

« كف عنا جشاءك فان أكثركم شبعاً فى الدنيا أطولكم جوعاً يوم القيامة ».

(رواه الترمذى) .

و لا يعتبر الجشاء ظاهرة صحية ، لأنه ينتج عن دخول هواء إلى المعـــدة ، أو عن تراكم غازات بها نتيجة لعسر الهضم .

و من العجب أن تبدأ رأس العبادات فى الاسلام و هى الصلاة بالوضوء ، حيث يقول الحق تبارك و تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق و امسحوا برؤسكم و أرجلكم إلى الكعبين » (المائدة الآية ٦) .

و إذا كان الوضوء يعتبر فترة انتقال بين شواغل الدنيا و بين الاشتغال بالله

عز و جل وحـــده ؛ حينما يقف الانسان بين يديه للصلاة حتى يتحقق له الخشوع المطلوب ، فان له فوائد طبية كثيرة كنظافة الفم بالمضمضة المتكررة التى تؤدى إلى الوقاية من أمراض اللثة و الأسنان ، والاستنشاق الذى يعتبر من أهم أسباب الوقاية من الاصابة بالزكام خصوصاً إذا كان الماء بارداً .

أما غسل الوجه و اليدين و مسح الأذنين ، فهو من أهم أسباب وقايتها من الأمراض الجلدية حيث إن كثيراً من الميكروبات وطفيليات بعض الديدان والفطريات يصيب الانسان عن طريق التسلخات الموجودة بالجلد الناتجة عن « الهرش » بسبب عدم النظافة . . ولم نجد ديناً أو مذهباً يبدأ عبادته بطهارة ـ اللهم إلا الاسلام ! .

و إذا كانت الصلاة لا تصح إلا بوضوء ، فانها أيضاً لا تصح إلا فى ثوب و مكان طاهرين ؟ لذلك كان رسول الله ﷺ يستاء إذا رأى مسلماً لا ينظف ثوبه و يقول لأصحابه :

« أما يجد هذا ما يغسل به ثوبه » (رواه أبو داود) .

فعلى الذين يذهبون إلى المساجـــد لحضور الجمع و الجماعات الا ينسوا ذلك التوجيه النبوى الكريم ، و لا توجيه القرآن و هو : « يا أيها الذين آمنوا خذوا زينتكم عند كل مسجد » (الأعراف الآية ٣١) .

و لم يكتف الاسلام بالوضوء و نظافة الثوب والمكان فقط ، بل لقد اختص رسول الله ﷺ بعض أجزاء الجسم بتوجيهات خاصة كما يلى :

(٢) خمس من الفطرة :

يوصى الاسلام أبناءه بخمسة أمور يميل إليها الذوق السليم وهى: تقليم الأظافر التى تعتبر مخابىء للميكروبات مهما بالغ الانسان فى نظافتها ، لأنه لا يرى شيئاً بعينه المجردة ، و لو كان فى إطالتهـــا خير لنصح الرسول ﷺ بذلك ، فهل يفهم ذلك

السيدات اللاتى تسبق أظافرهن أيديهن إلى الطعام بصورة تثير التقزز وتفقد الانسان شهيته للطعام ؟ ! .

و الختان الذى يؤدى إهماله فى الذكور إلى الأضرار الآتية :

١- التهاب الأعضاء التناسلية . ٢- التصاق القلفة و تقطع البول . ٣- سرطان الأعضاء التناسلية الذى ينتقل إلى الزوجة .

و حلق العانة الذى يؤدى إهماله ، و كذلك نتف الابط إلى الاصابة بنوع معين من « القمل » يسمى قمل العانة ، و قد ينتقل باللمس المباشر أو من المراحيض الملوثة و يحدث لدغه حكة شديدة تزداد بالهرش ، و حلق الشعر يؤدى إلى إزالته فوراً دون علاج ، و معروف أن القمل ينقل ميكروبات بعض الأمراض و على رأسها « التيفوس » .

يقول رسول الله ﷺ :

« خمس من الفطرة : الاستحداد (حلق العانة) و الختان وقص الشارب و نتف الابط ، و تقليم الأظافر » (أخرجه أحمد والبخارى ومسلم والترمذى) .

(٣) غسل اليدين قبل و بعد تناول الطعام :

يقول الرسول ﷺ :

« بركة الطعام : الوضوء قبله و بعده » (رواه أحمد و الترمذى) .

ولا شك أن غسل اليدين قبل الطعام يمنع كثيراً من الميكروبات من الوصول إلى القناة الهضمية ، مثل ميكروبات التيفود ، كما أن غسلها بعده من ضروريات النظافة ، كما أمر الرسول أن يكون تناول الطعام باليد اليمنى ، إذ أن اليسرى قد تكون ملوثة بالميكروبات أو ببويضات بعض الطفيليات نتيجة ملامستها للشرج وقت الاستنجاء .

يقول الرسول ﷺ « يا غلام : سم الله وكل بيمينك » (رواه البخارى ومسلم) .

(٤) غسل اليدين بعد اليقظة من النوم :

لا شك أن النائم لا يدرى ما حوله ، و لا يتحكم فى حركة يديه ، و قد يضعها على مرض فى بشرته أو يمس بها عورته ! .

لذلك كان من السنة أن يغسلها حينما يستيقظ من نومه .

و يقول الرسول ﷺ : « إذا استيقظ أحدكم من نومـه فلا يغمس يده فى الاناء حتى يغسلها ثلاثاً ، فانه لا يدرى : أين باتت يده ؟ ! » (رواه البخارى ومسلم) .

(٥) غسل اليدين بعد قضاء الحاجة :

يقول رسول الله ﷺ : « من مس ذكره ، فليتوضأ » (أخرجه الترمذى عن بسرة بنت صفوان رضى الله عنها) .

(٦) نظافة الفم و الأسنان :

من المعروف أن إهمال نظافة الفم والأسنان يؤدى إلى تخمر فضلات الطعام و تكاثر الميكروبات ، فتنبعث منه رائحة كريهة تؤدى المخالطين للانسـان ، خصوصاً إذا كان فى مسجد ، كما أنها تؤدى إلى التهاب اللثة واللوزتين ، لذلك يوصى الرسول الكريم باستعمال السواك بصفة عامة .

و قد ثبت طبياً أنه يقوى اللثة و يطيب رائحة الفم .

يقول الرسول ﷺ :

« السواك مطهرة للفم ، مرضاة للرب » .

« أخرجه النسائى و ابن حبان فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها » ثم يحدد مناسبات خاصة لاستعماله مثل القيام للصلاة ، و الاستيقاظ من النوم ، حيث يقوله عليه الصلاة و السلام :

« لو لا أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » (رواه أحمد فى مسنده و الدارمى فى سننه) .

و عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ، قال :

«كان النبى ﷺ إذا قام من الليل ، يشوص فاه بالسواك» (أخرجه البخارى ومسلم) .

و فى رواية عنه : « كنا نؤمر بالسواك إذا قمنا من الليل : نشوص أفواهنا بالسواك » . (أخرجه النسائى)

(٧) نظافة الشعر :

انتشرت فى هذه الأيام ظاهرة إطالة الشعور بصورة منفرة بين الشباب المسلم كما يفعل « الخنافس » ظناً منهم أن ذلك من مظاهر المدنية ! و ما علموا أن ذلك من مظاهر التأخر و البدائية ، لأن إنسان الكهوف كان أطول منهم شعراً وأكثر منهم تحللا و تفلتاً من القيم و القيود ، و مع ذلك فهو بدائى قذر ! . . و قد يغيب عن أذهان الكثيرين منهم أن « الخنفسة » فكرة يهودية نشأت حينما عرض على شاشات السينما فى أمريكا فيلم « اليهودى التائه » وظهر فيه الممثلون اليهود ومن شابههم فى أهدافهم بشعورهم الطويلة وغير ذلك من مظاهر الخنفسة الشاذة التى قلدها الشباب هناك دون وعى ! . . ثم سرت العدوى إلى عالمنا الاسلامى ! . . فهل يقبل شبابنا المسلم أن يتشبه باليهود ؟ !

والمعروف أن إطالة الشعر أكثر من اللازم تودى إلى عدم الاهتمام بنظافته كما ينبغى ، فتتجمع القاذورات نتيجة إفراز العرق والمواد الدهنية التى تعوك وظائف الجلد فتضعف بصيلات الشعر ويتساقط ..وتلتهب فروة الرأس نتيجة الهرش المتكرر .

أما نظافة الشعر فانها تودى إلى تفتح مسام فروة الرأس و تنشيط الدورة الدموية فيها ، فيتغذى الشعر ويقوى ولا يتساقط .

و ما أحسن توجيه الرسول الكريم ﷺ ، الا و هو :

« من كان له شعر فليكرمه » (رواه أبو داؤد) .

أى يتعهده بنظافته و تمشيطه و دهانه .

وعن عطاء بن يسار رحمه الله قال : كان رسول الله ﷺ فى المسجد ، فدخل عليه رجل ثائر الرأس و اللحية .

فأشار إليه رسول الله ﷺ أن : أخرج . . كأنه يعني إصلاح شعر رأسه و لحيته ، ففعل ثم رجع فقال ﷺ :

« أليس هذا خيراً من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان ؟ ! » .

(رواه مالك)

فهل يقبل أبناء المسلمين أن يكونوا أشباه شياطين ؟ !

(٨) نظافة السبيلين :

لا شك أن المواد المخرجة من السبيلين كالبول و البراز من أقذر و أخطر المواد ، ولذلك كانت نظافتهما أمراً حتمياً ، على أن لا يكون ذلك بتكرار استعمال الورق الخفيف، لأنه قد يؤدي إلى التهابات موضعية ، ولا باستعمال الروث أو العظام، و إنما يكون بالاستجمار و الاستنجاء ، و الاستجمار يكون بثلاثة أحجار ، يقول الرسول ﷺ :

« إذا ذهب أحدكم إلى الغائط فليذهب ومعه ثلاثة أحجار يستطيب بهن فإنها تجزيء عنه » (أخرجه أبو داؤد و النسائي) .

و قد يقول قائل : كيف يؤدي استعمال الورق إلى التهابات ، و لا يؤدي استعمال الأحجار إلى ذلك » وأحب أن أقول: إن الالتهابات التي تنتج عن الورق قد يكون سببها المعاملة الكيميائية التي يعامل بها الورق ، أما الأحجار فإنها تتعدد وتتلون ؟ فمنها الأملس و منها كذا . . إلخ .

و هذا الكلام للناس جميعاً ، سواء منهم من يسكن المدينة و من يسكن البادية أو القرى ، و على ذلك فلكل وسيلته الميسرة له .

أما الاستنجاء وهو الغسل بالماء فهو أكمل للنظافة ، ولا بد من غسل اليد التي استعملت في الاستنجاء كما أشرنا سابقاً .

عن معاذة بنت عبد الله العدوية : أن عائشة رضي الله عنها قالت :

(مرن أزواجكن أن يستطيبوا بالماء فإني أستحييهم منه، فإن رسول الله ﷺ كان يفعله) (أخرجه الترمذي و النسائي)

حاجة العصر ، و مسؤلية الأمة

سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

[محاضرة ألقيت في قاعة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ليلة الاثنين في ٢٣/ من ربيع الآخر سنة ١٤٠٥هـ ، و قد غصت القاعة على سعتها بالمستمعين من طلبة الجامعة وأساتذتها ومن حضر هذا الاحتفال العظيم من المدينة المنورة من العلماء و المثقفين.

نقلت المحاضرة من الشريط و تصفحها صاحب المحاضرة و تناولها بشيء من التنقيح و التهذيب و زيادة يسيرة ، وعرض النصوص الواردة في الكلمة المرتجلة بلفظها معتمداً على المراجع الحديثية و التاريخية .

و كان العنوان : حاجة العصر ، و فريضة الداعي المسلم ، و كيف يحسن القيام بها ؟ ، و جعل العنوان كما يظهر ، لتشعر الأمة الاسلامية كلها بمسئوليتها أمام الواقع العالمي الحاضر] .

بعد الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله ﷺ :

أيها السادة ! إخواني الأعزاء و الجيل الاسلامي المرتقب من شباب الجامعة ، يطيب لي و يحلو أن أتحدث إليكم حديث أخ لاخوته و لزملائه في مجال واحد من العقيدة و الفكرة ، و الدعوة الاسلامية ، ويزيدني سروراً و شرفاً أن يكون حديثي هذا في هذه الأمسية المباركة ، و في ظلال مهد الدعوة الاسلامية ، و الانطلاق الاسلامي الأول ، إنني أحمد الله سبحانه و تعالى على هذه الفرصة السانحة الثمينة ، و أشكر المسؤلين الذين نظموا هذا الاحتفال الأخوي الكريم لأتحدث فيه .

إخوانى ! تسمعون بالمجاعة التى تجتاح الآن وتكتسح مساحة واسعة من إفريقيا ، تكتسح إيثوبيا ، و نيجيريا ، و موريتانيا ، و قطعة ، من السودان ، تسمعون بهذه المجاعة التى يذهب ضحيتها ملايين من البشر ، و قد أصبح الموضوع الشغل الشاغل للصحافة العالمية ، والمقيم المقعد للمجتمع الانسانى المعاصر ، وقد هز الشعور الانسانى و استفز العاطفة الانسانية النبيلة ، و لها كل حق فى ذلك ، و إننا نسمع صداها فى كل بقعة من بقاع العالم

قد تستغربون أن يكون مدخل حديثى اليوم الذى هو خاص بموضوع « حاجة العصر وفريضة الداعى المسلم وكيف يحسن القيام بها ويؤثر فى الجيل المسلم الجديد» ؟ ما صلة هذه المجاعة المشئومة و النكبة العالمية بهذا الموضوع الوقور الهادف ، إنى لا أريد أن أكدر صفو أوقاتكم وأن أزعجكم بالحديث عن هذه المجاعة ولكننى أريد أن ألفت نظركم إلى مجاعة أخرى ، إلى مجاعة هى أكثر خطراً و أكبر ضرراً وأعمق أثراً ، آلافاً من المرات ، من هذه المجاعة الغذائية ، هل تصدقوننى إذا قلت لكم : إن هنالك مجاعة تكتسح العالم بأسره ، و تغزو الشعوب ، و تغزو المجتمع المعاصر من زمان ، و لا ينتبه لها أحد و لا يشمئز منه الضمير الانسانى و لا يستيقظ له الوعى البشرى ولا ينتبه لها المعنيون بقضايا البشرية ، المعنيون بحاضر الانسانية ومستقبلها .

ما هى تلك المجاعة أيها الاخوان ؟ ! إننى أريد أن أثير فيكم التساؤل ، فان التساؤل هو منطلق الفكر الصحيح ، و كان ذلك من آداب الرسول ﷺ و سننه فى التعليم و التربية ، فقال لأصحابه رضى الله عنهم :

« إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وإنها مثل المسلم ، حدثونى ما هى ؟ قال عبد الله بن عمر : فوقع الناس فى شجر البوادى و وقع فى نفسى أنها هى النخلة فاستحييت ، ثم قالوا : حدثنا يا رسول الله ما هى ؟ قال هى النخلة ! (١) .

(١) رواه البخارى فى صحيحه فى كتاب العلم .

و كذلك عن أبى بكر رضى الله عنه ، قال خطبنا النبى ﷺ يوم النحر ، فقال أتدرون أى يوم هذا ؟ ، قلنا الله ورسوله أعلم ! فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، فقال أليس يوم النحر ، قلنا بلى ، إلى آخر الحديث (٢) ما هى تلك المجاعة ، وأى داع كان للحديث عند هذه المجاعة التى هى معلومة للجميع ؟ .

إخوانى ! هذه المجاعة التى قلت إنها أكبر خطراً و أكثر ضرراً و أعمق أثراً من هذه المجاعة الغذائية التى تكتسح مساحة كبيرة من إفريقيا المسلمة وغير المسلمة ، هى مجاعة الايمان ، هى مجاعة الهداية، هى مجاعة الاخلاص و الضمير ، هذه المجاعة العالمية التى تجتاح البشرية الآن ، و لكن لا ينتبه لها أحد و لا تقوم لها القيامة كما قامت القيامة ـ إن صح التعبير ـ للمجاعة الأولى ، فكثر الحديث عنها فى الصحف و فى النوادى و فى التعليقات ، و تواترت الشحنات الغذائية ، و النجدات الطبية و المالية إلى هذه المناطق المنكوبة ، إن المجاعة الايمانية التى تغزو الآن المجتمعات البشرية المعاصرة و الأمم ، شرقية فيها و غربية ، و شمالية فيها و جنوبية ، قد بسطت أجنحتها من زمان ، ويذهب ضحيتها كل يوم ملايين من البشر ، يموتون فى أرقى بلاد العالم ، حضارة و ثقافة ، وأغناها جامعات و مجامع علمية ، يذهب ضحيتها فى هذه المناطق المتحضرة الراقية كبار العقلاء وأصحاب الاختصاص فى العلوم والفنون ، و المعنيون بقضايا إنسانية ، و هم الذين يديرون دفة الأمور و يجدفون سفينة الحياة الذين سيطروا على الشعوب والبلاد ، وفرضوا إرادتهم و مخططاتهم على هذه السفينة البشرية ، إنهم يعيشون فى عمى وظلام ، فى جهالة عمياء، بل فى جاهلية جهلاء ، كما كان الناس يعيشون قبل الاسلام ، و لكن لا عين تدمع ، و لا قلب يتألم .

---

(٢) رواه البخارى فى صحيحه .

قد كانت مجاعة أشد من هذه المجاعة قبل البعثة النبوية و بعدها ، إلى فترة زمنية قصيرة ، و قد صورها القرآن بإعجازه فقال : « ظهر الفساد في البر و البحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون » (١) كان الظلام مطبقاً على البشرية كلها ، كان الناس يعيشون عيش الدواب عيش البقر بل عيش الحمير و عيش القرود (اسمحوا لي) و أحسنهم حالاً من كان يعيش عيش الطيور ، و لكن طيور في أقفاص ذهبية و في سعة من حب و ماء ، يقول القرآن : « إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل » .

هنالك بعث الله محمداً ﷺ رحمة للانسانية كلها ، لا رحمة للعرب الذين تخلفوا عن ركب الحياة ، و الذين انعزلوا عن العالم وعن مصاير الأمم ، وعن كل ما يؤثر في مسيرة الحياة ، بعث الله محمداً ﷺ . وبعث معه أمة بأسرها فكانت بعثة مقرونة لم تكن بعثة موحدة ، يبعث نبي و يدعو إلى الله ويفارق الحياة ولا يخلف من يخلفه في دعوته ، إن الله سبحانه و تعالى لما قرر و قدر أن تكون هذه البعثة هي البعثة الأخيرة الخالدة ، والبعثة العالمية ، بعث معه أمة بأسرها ، وقد يستغرب بعض الاخوان هل كان نهوض المسلمين، يحملون أعباء الدعوة ويحملون الرسالة الاسلامية ويخرجون من جزيرتهم يدعون إلى الله « بعثة » ؟ ، و لكن القرآن يؤثر هذا التعبير فيقول: « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله » لم تكن هذه الأمة حشائش طفيلية ، و لا نابتة من النوابت و لا أشجاراً في الغابة تنبت بنفسها وتنمو وتموت، لا ، إنما كان إخراجاً من الله فيقول: « كنتم خير أمة أخرجت للناس » إن هذه الأمة ما خرجت إنما أخرجت ، و شتان بين الخروج و بين الاخراج ، و قد آثر الرسول ﷺ هذا التعبير فقال لجماعة من

(١) سورة الروم ، الآية ٤١ .

الصحابة رضى الله عنهم ، كان يبعثهم إلى اليمن و يعلمهم فيقول : « إنما بعثتم ميسرين و لم تبعثوا معسرين » .

خرجت كتائب الايمان من مدينة الرسول ـ من هذه المدينة التى يكرمنا الله تبارك و تعالى و له الحمد و الشكر بالالتقاء فى رحابها ـ من هنا خرجت كتائب الايمان وانطلق جيش الانقاذ وجيش الاسعاف ، ليس جيش الاسعاف الطبى ، و لا جيش الاسعاف الغذائى ، جيش الاسعاف الايمانى ، فكانت مفاجأة من أكبر المفاجئات التاريخية التى سجلها التاريخ ، خرج العرب بثيابهم المرقعة وبنعالهم المخصوفة ، وبخزمهم المتقطع ، و بسيوفهم البالية الأجفان ، من غير مدد يصل إليهم ، ومن غير تموين منظم ، خرجوا متوكلين على الله ، فكان منهم جيش توجه إلى إيران الامبراطورية الساسانية الكيانيـــة التى دامت قرونا عديدة ، و توزعت العالم المتمدن المعمور مع قرينتها ، وبالأصح مع منافستها الامبراطورية الرومانية البيزنطية ، فأرسل قائد القواد لجيش إيران « رستم » الذى كان يلى الامبراطور كسرى فى المنزلة والنفوذ والأهمية إلى سيدنا سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قائد الجيش الاسلامى ، و طلب منه أن يرسل إليه من يستطيع أن يعرف منه الهدف من هذا الغزو العربى ، و ما كان يتصور أكثر من أن هؤلاء الرحالين العرب الفقراء الصعاليك ، إنما أخرجهم الجوع ، و لهم الحق أن يخرجوا ، فقد دفعهم الجوع وما كانوا فيه من ضيق العيش وقلة الموارد ، إلى هذه المملكة الفارسية التى يسمعون عن ثروتها و نعيمها و بذخها و ترفها ، هذا الذى كان يصل إليه ذكاء « رستم » فالأمر بسيط ، نزودهم بالميرة و المواد الغذائيـــة ، ونقول لهم ارجعوا إلى بلادكم و سيصلكم المدد والتموين ، ونتعهدكم بالطعام والكسوة ، هذا الذى كان يتصوره رستم .

واختار سعد بن أبى وقاص رجلا من المسلمين ، ولم يدقق فى الاختيار ، وهذا

كان شأن المسلمين ، يسعى بذمتهم أدناهم ، أصبحوا على مستوى عال من الاعتزاز بالدين والاعتماد على الشخصية الاسلامية وفهم الدين الفهم الصحيح ، و كانوا بعيدين عما يعبر عنه فى علم النفس الحديث بمركب النقص ، و بالعكس إذا طلب ذلك من حكومة منظمة تختار أقدر رجل على التفاهم ، رجلا « دبلوماسيا » ماهراً قادراً على الاجابة على الأسئلة التى ستقدم إليه ، لكنه لم يتريث ولم يستشر طويلا ، إنما طلب أحد الأعراب المسلمين اسمه ربعى بن عامر رضى الله عنه ، قال له اذهب إلى رستم وتكلم معه ، ذهب ربعى إلى رستم ، وقد زين رستم مجلسه بأكثر ما يمكن أن يزينه ملك من الملوك حتى يرهب هذا الرجل ويغلب على أمره ، و يقف مشدوهاً حائراً ، تقدم سيدنا ربعى بن عامر فى ثقة و اعتزاز ، عنـــده معنوية من أقوى المعنويات ، قال له رستم : ما الذى جاء بكم ؟ تصوروا يا إخوانى ! إذا وجه هذا السؤال إلى أى أستاذ جامعى ـ و لا مؤاخذة ـ و إلى أى ممثل دولة يحتاج إلى تهيئة الكلام سابقاً ، و تحريره و تدقيقه حاضراً ، و لكنه قال من غير تردد ، « الله ابتعثنا » إنها الضربة الأولى الموجعة ، ليس الأمر يا قائد قواد جيش إيران ، أمر المجىء بالارادة و الخيرة ، لو كان شئ يجئ بنا لكنا قد جئنا قبل هذا بزمان ، فالوضع الاقتصادى فى الجزيرة هو الوضع من قرون ، و حاجاتنا إلى الطعام و الكسوة ولين العيش ، هى الحاجات الدائمة ، و كنا نعرف عن طريق الجوار والقوافل التجارية والجوابين ، ما تنعم به فارس من الخيرات و الثروات ، و لكن ما أراد الله ذلك ، وما كانت عندنا رسالة ، إنما هو الابتعاث ، « الله ابتعثنا » وهنا تلتقى القوة الايمانية مع القدرة البيانية ، وإذا التقت القوة الايمانية مع القدرة البيانية ، فهنالك التيار الكهربائى الذى يسرى فى العقول و الأجسام ، كلمات دقيقة عميقة كأنها قد فكر فيها طويلا و تناولها المحررون المنقحون بالتنقيح والتحرير ، وهنا الايمان يتكلم ، ليست العربية الفصحى هى التى كانت تتكلم ، و هى الحكمة الايمانية التى انتقلت إليهم من مجالس الرسول ﷺ

و من تربيته ، و يدل هذا على أنهم كانوا مؤمنين بأنهم مبتعثون ، و قد كان ربعى بن عامر دقيقاً فى اختياره لكلمة الابتعاث ، لم يقل بعثنا ، لأن رستم و جلساءه لا يستطيعون أن يفهموا البعثة فى معناها الصحيح، لأنهم كانوا يجهلون الفرق بين النبوة و الدعوة، فلم يختر كلمة بعثنا لأن هذا قد توهمهم ، و لما كان سيدنا ربعى بن عامر صاحب عقيدة واضحة راسخة فى التوحيد يعرف أن الهداية من الله والقلوب بيد الله ، قال : « الله ابتعثنا لنخرج من شاء » لم يقل لنخرج من شئنا ، لو كان الأمر بأيدينا لكنا أخرجنا قومنا من قبل ، ولكنها إرادة الله وقدرته ، فكروا يا إخوانى ! وفيكم العلماء و الأساتذة الكبار ، و فيكم الأذكياء ، و فيكم المثقفون ، كلمات كلها مرتجلة ، كلمات حاضرة بديهية ، و لكن إذا أراد الانسان أن يغير كلمة بكلمة لا يستطيع ، كأنها إلهام من الله « الله ابتعثنا لنخرج من شاء » الله أكبر ، من يقول هذا ، هل كان يستطيع أن يقول ذلك يهودى ، هل كان يستطيع أن يقول ذلك مسيحى ، مجوسى ، هندوسى ؟ أبداً ! « من شاء » ليس هذا إلينا ، ليس هذا فى إمكاننا ، وكانوا يقولون عند الملوك و الأمراء و القواد الذين كانوا يستنطقونهم « كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، و نأكل الميتة ، و نأتى الفواحش ، و نقطع الأرحام ، و نسيىء الجوار ، و يأكل القوى منا الضعيف » (١) .

فاذا كان الأمر بأيدينا لكنا خرجنا من هذه الجهالات و السفالات ، و هذا المستنقع الذى كنا نتردى فيه منذ قرون ، ولكن لما أراد الله أن يبعث رسوله فينا وتشرق شمس الاسلام وتأتى الدعوة الاسلامية ، تغير كل شئ ، خرجنا نحمل هذه الدعوة ، ولا يزال الأمر بيد الله تعالى .

إنه قال : « الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده »

---

(١) من كلام جعفر بن أبى طالب ابن عم الرسول ﷺ فى مجلس النجاشى ملك الحبشة (سيرة ابن هشام ، ق / ١ ، ص / ٣٣٤ .

ما أوسع هذه الكلمة و ما أجمعها و ما أبلغها ؟ ، يتكلم العربي المسلم الأعرابي أمام رجل قد استعبد الناس ، و أمام أمة قد استعبدت الأمم ، وأمام طبقة ارستقراطية قد استعبدت الطبقات كلها ، فلا أبلغ من قوله : «لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده» هنالك أنواع من الاستعباد ، واستعباد الانسان للانسان أقبح من الاستعباد للحيوان ، وعبادة الانسان للانسان ، أكثر من عبادة الانسان للاوثان .

ثم قال : «و من ضيق الدنيا إلى سعتها» إخواني وسادتي ! لو قال من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة لم استغرب ، لأن هذا معلوم كانوا مؤمنين أن هناك حياة أوسع وأطيب من هذه الحياة ، والدنيا ضيقة والآخرة واسعة ، يقول الله تعالى : «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات و الأرض» ، و في الحديث : «لموضع سوط أحدكم في الجنة أوسع من الدنيا وما فيها» ، فاذا كان سيدنا ربعي بن عامر قال من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ، لم يكن مستغرباً ، بل كان متوقعاً ومفروضاً ، و لكن قال من ضيق الدنيا إلى سعتها ، نحن العرب البدو الذين نعيش في الخيام و الذين نأكل لحوم الابل ، ونعيش على التمر ، إنما جئنا لنخرجكم أيها الفرس المنعمون من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا ، فأي ضيق يا ترى كان فيه الفرس ، وأي سعة كان فيها العرب ؟ هل كان العرب في سعة ، وهل كان الفرس في ضيق ؟ ، لولا أن التاريخ الأمين حدثنا بذلك ، لما صدقنا أن بدوياً اجترأ أن يقول ذلك لقائد قوات فارس العظيمة و وزير الدفاع في امبراطورية كسرى ، إنها معجزة من معجزات الهداية الالهية ، و الرسالات السماوية ، والصحبة النبوية ، كان المتوقع المعقول أن هؤلاء العرب إذا دخلوا في حدود فارس التي كانت من أرقى البلاد ، و في المدائن عاصمة الامبراطورية الايرانية يسيل لعابهم على الأطعمة المترفهة الفارسية ، و أن تتحلب أفواههم على هذه النعم التي كان الفرس يتمتعون بها ، إن العرب الذين كانوا

يحسبون الكافور ملحاً ، ولما جربوا أولا الخبز الرقاق حسبوها مناديل فجعلوا يمسحون بها أيديهم (١) ، إن أمة كانت تحسب الرقاق مناديل ، وكانت تحسب الكافور ملحاً ، كان لها الحق أن تقول لرستم ، جئنا لنخرجك يا رستم من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا ، فاذا سأل رستم ألا تستحى أيها العربى البدوى أن تقول إنك تخرجنا من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا ، هل أنت فى سعة و نحن فى ضيق ؟ ، ألا ترى إلى مجلسنا كيف زين بالزرابى المبثوثة ، والنمارق الغالية ، واليواقيت والجواهر التى تعشى لها العيون ، هل نحن فى ضيق وأنتم فى سعة ، ولكن الثقة التى وهبها الاسلام ، الثقة التى نفقدها أيها الاخوان ! يذهب منا شاب ـ و سامحونى ـ قد نشأ هنا ، أو فى قطر إسلامى متحضر فى المدينة الراقية ، و الحياة الرخية ، يدخل فى بلد أوربى فيأخذه العجب ، وتبهره الحضارة ، ويستهين بأمته و بلاده ، ولكن هؤلاء الأعراب الذين دخلوا فى حدود إيران لم يسل لعابهم أبداً ، ولم يأخذهم سحر الحضارة التى رقت حواشيها ، إنكم إذا قرأتم أخبار « فرش بهار » (بساط الربيع) فى تاريخ الطبرى وتفاصيله تصورتموه حكاية من حكايات الجن ، كانوا يبسطونه فى أيام الخريف ليستحضروا ذكريات الربيع ويستنشقوا أريج الربيع ، إلى هنا بلغت مدنية الفرس .

وتصوروا إخوانى ! أن كسرى يزدجرد آخر ملوك فرس لما خرج من المدائن وقد أيقن أن ملكه زائل ، أخذ معه ألف طاه (طباخ) وألف مغن وألف مرب للصقور ، و كان يرثى لنفسه و يقول : يا حسرتاه ما أخذت شيئاً كيف أعيش فى هذه القلة القليلة من الخدم و الحشم (٢) ، إلى هنا بلغت المدنية الفارسية المزورة

(١) راجع تاريخ الطبرى ، و البداية و النهاية .

(٢) ليراجع كتاب « إيران فى عهد الساسان » لمؤلفه الأوربى صاحب الاختصاص فى تاريخ إيران (Arthor Christeiyseiy) الدنماركى ، و تاريخ إيران بالعربية لشاهين مكاريوس طبع القاهرة .

المصطنعة التى قامت على دماء الفقراء و على عرق الفلاحين .

إن هؤلاء الصحابة رضى الله عنهم الفقراء فى هذا الجيش الاسلامى لم يسل لعابهم على هذه المدنية بل بالعكس ملأ جوانحهم الرثاء و الرحمة لهؤلاء المنعمين المتكوبين ، المترفين المعــذبين ، الأشقياء البائسين ، الذين كانوا يسمونهم ملوكا و أمراء ، ملأ قلوبهم الرثاء و الرحمة و ما تركت مكانا فى جوانحهم للغبطة و الحسد ، يقول سيدنا ربعى بن عامر : أنا أرثى لك يا رستم و أرثى لأمتك و أرثى لبلادك ، و أرثى لمن حولك ، إنكم فى ضيق و نحن فى سعة ، أنتم كالبلبل الغريد ، وكالعصفور المدلل فى قفص ذهبى ، فالطائر المدلل مهما كان مدللا ، إذا كان فى قفص فهو أسير محبوس و كذلك انتم فى رق و أسر ، أنتم عبيد خدمكم ، أنتم عبد عاداتكم ، أنتم عبيد حضارتكم «أتعبدون ما تنحتون » أنتم تعبدون ماتنحتونه ، تقولون هذا هو المستوى الرفيع . هــذا هو المستوى الصحيح لرجل كريم شريف ثم تعبدونه ، تربطون بها نفوسكم و تربطون طاقاتكم و تربطون شرف إنسانيتكم بهذا المستوى الذى تضعونه أنتم و تعينونه .

و يكفى له مثال واحد : إن يزدجرد لما غادر بلاده و عرف أنه لا يرجع إلى بلاده ، وأن الحكم للعرب المسلمين باذن الله تعالى ، لجأ إلى كوخ عجوز فقيرة ، فأصابه العطش فطلب المــاء ، فجاءت العجوز المسكينة بالمــاء فى كوب من خشب ، فقال : أشرب من هذا ؟ ، و الله لومت عطشاً ما استطعت أن أشرب من هــذا ، و قدم إليه طعام فى هذه الجولة الاضطرارية ، فقال لا أستطيع أن أسيغ لقمــة إلا إذا سمعت الغنــاء و الموسيقى (١) فكان المــلوك و الأمراء إذا جلسوا على الموائد . غنى المغنون أولا ، بعد ذلك يطيب لهم الطعام . و أى عبودية أكثر من

(١) تاريخ إيران لشاهين مكاريوس .

هذا ، و أدق و أعمق و أقوى ؟ الانسان يموت عطشاً و لا يشرب من كأس من خشب ؟ هكـــذا استعبدتهم عاداتهم ، استعبدتهم شهواتهم ، استعبدتهم أعرافهم ، استعبدتهم تقاليـدهم ، و استعبدتهم المعايير المصطنعة ، و لكن العرب كانوا أحراراً بكل معنى الكلمة .

يقول ربعى بن عامر: أنت يا رستم تتصور أننـا أخرجنا الضيق لنشاركم فى السعة لا ! لا ! القياس خاطئ ، أنتم تعتقدون أننا خرجنا رثاءاً لأنفسنا و رحمة بنا لأننا قد ضاقت صدورنا من هذا العجز المالى ، ومن ضيق الموارد ، لا إنما أخرجنا الرثاء لكم، نحن نعطف عليكم لأنكم عبيد ، و عبيد عشر مرات ، و عبيـد مأة مرة ، ولمئات من الأشياء ، ما هى العبودية ؟ إذا كانت العبادة لوثن واحد ، فهنالك عبادة مأة وثن ، و لكن الله سبحانه و تعالى قد حرر العرب المسلمين من هـذه العبادات كلها ، من عبادة الأوثان أولا وهى أقبح العبادات ، ثم من عبادة العادات ، وعبادة البطون و المعدات ، و عبادة الشهوات وعبادة المطامع و الأنانية البعيدة ، أخرجهم و أنقذهم من كل هذه العبادات ، أما أنتم أيها الفرس ! فما عرفتم لذة الحرية وما جربتم الحياة الحرة اللذيذة العزيزة ، نحن العرب جئنا لننقذكم لا لننقذ نفوسنا ، قد رقت قلوبنا ، و دمعت عيوننا ، و ذابت مهجنا لكم لا لنا .

هنا يا إخوانى ! قـــد استدار الزمان كهيئة ، الآن جماعة إيمانية تحتاج العالم و لا جيش إنقاذ ، و لا جيش إسعاف ، و لا إغاثة اللاجئين ، و فيكم الغوث ، فيكم النجدة و فيكم الاسعاف ، يا أبناء العرب والمسلمين ! أنقذوا العالم كله من براثن الجاهلية ، من براثن الوثنية ، من براثن عبادة الشهوات و النفوس « و من أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً ، وقال إننى من المسلمين » هنالك منظمات علمية و منظمات أدبية ، ومنظمات ميكانيكية ، وفنية ، و تكنالوجية ، و سياسية ، ولكن

أين جيش الانقاذ ، أين الدعاة المخلصون الربانيون ، أين الذين يرثون للحالة الراهنة وللوضع الشائن ، الذى يعيشه العالم كله من أوربا وأمريكا و روساء الصين واليابان و الهند ، إن أهل هذه الأقطار جديرون بالرثاء ، جديرون بالرحمة ، ليسوا جديرين بالغبطة ، هؤلاء يعيشون فى عذاب من التنافس والتكاثر ، سلطه الله عليهم ، هم فى خوف من الموت ، فى خوف من الفقر ، فى خوف من الحرب ، وصدق الله العظيم « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء » أخبرنى الثقات الخبراء أن أكثر دواء استهلاكا ، هى الأدوية المنومة ، لأن هؤلاء لا يهـدأ لهم بال ، و لا يقر لهم قرار ، فيتعاطون الأدوية المنومة حتى يتناسوا همومهم ، كل واحد يلهث كالكلب الذى إذا ضربته يلهث وإذا تركته يلهث ، من يخرجهم من الظلمات إلى النور ، و من الشقاء إلى السعادة ، السعادة الأبدية ، ومن الانزعاج ، و من الهم الذى قد ملك عليهم نفوسهم وضمائرهم ووعيهم وتفكيرهم إلى هدوء البال ، وإلى الرضاء والطمأنينة ، إلى الرضاء بالله تعالى؟ .

هذه حاجة العصر ، و هـذه فريضة الداعى المسلم ، أن يخرج مرة ثانية من هذه الجزيرة و من جميع البلاد الاسلامية ، و يحمل رسالة الاسلام ، و رسالة السلام ، السلام بكل معانى الكلمة ، السلام العالمى ، السلام العقلى ، السلام النفسى ، السلام الباطنى و الظاهرى ، يحمل رسالة الاسلام الكاملة ، و يحمل رسالة السلام الشاملة ، و يملك من البيان و من قدرة التفهيم ما كان يملكه ذلك البدوى ، لذلك نحتاج إلى أدب إسلامى جديد لذلك نحتاج إلى القدرة على التفهيم البليغ نحتاج إلى الاعتزاز بالنفس ، و بالشخصية الاسلامية ، و برسالة أكرمنا الله بها .

هذه هى قضية العصر الشاغلة ، هـذه قضية الساعـة أيها الاخوان ! كل القضايا الانسانية التى تجسم و تجسد ، و تفخم ، و يبالغ فيها ، هى قضايا خيالية ،

او قضايا جانبية ، القضية الرئيسية الآن التى تشغل عقل المفكرين المخلصين ، هو مصير الانسانية و الوضع الحاضر ، هنالك يجئ دور المسلمين ، دور الدعاة المسلمين إن أن يحملوا رسالة الاسلام مرة ثانية إلى أوربا و أميريكا ولروسيا و أقطار الشرق البعيد ، و يقول لهم أنتم فى شقاء ، أنتم فى جحيم ، أنتم أوجدتموه واخترعتموه ، نريد أن نخرجكم من جحيم المنافسة المادية ، جحيم المنافسة السياسية ، جحيم العبث بمصاير الأمم ، العبث بالحظوظ الانسانية ، و العبث بالكرامة الانسانية ، إلى هنا يجب أن يبلغ مستوى عقولنا و تفكيرنا ، أمامكم مضمار واسع المدى ، أمامكم مجال كبير ، و أمامكم معركة حامية ، أمامكم مصير حاسم ، يجب أن تهيئوا نفوسكم و تعدوها للدخول فى هذا المضمار ، هذا هو المضمار الأممى العالمى وأنتم فرسان هذا المضمار ، و يقول الشاعر العربى :

كل امرء يسعى إلى يو م الهياج بما استعدا

أدعو الله تبارك و تعالى أن يوفقنا جميعاً ، و أن يقدر لنا نصيباً من هذا الشرف العظيم الذى أكرم به آباءنا المؤمنين الغر الميامين ، و أن يكتب لنا نصيباً فى هذه السعادة .

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته .

ما وراء النظريات فى البحث عن نشأة اللغة

الدكتور : توفيق محمد شاهين

البحث فى أصل نشأة اللغة بحث غيبى ميتـافيزيقى ، و من ثم كانت الآراء حول هذا الموضوع ظنية قوامها الحدس و التخمين ، لأنها لا تعتمد على الأسلوب العلمى التجريبى و المنهجى .

والبحث فى اللغة و أصولها التاريخية يعود إلى البحث فيما قبل التاريخ، وبالتالى فان مؤدى النتائج ظنى و متضارب .

ولذلك مال كثير من العلماء إلى هجر هذا البحث و تجاهله ، وقد منعت الجمعية الفرنسية إلقاء محاضرات فى هذا الموضوع بقانون سنته لذلك، لأنه لا يدخل فى نطاق علم اللغة ولا طائل فى البحث من ورائه .

و يؤيد ذلك العالم اللغوى (لايبنتز) لأن : (اللغات بمثابة كتاب ، علينا أن نحسن القراءة فيه ، ولكى نحسن هذه القراءة ينبغى أن نقرأ أولا لنفهم ثانية، لا أن نفهم أولا لنقرأ ثانية ... أن نقرأ ونحن نفهم يحجب عنا الواقع الايجابى ، إذ لا نقرأ إلا ما نريد أن نفهمه ، و هذا تحوير للحقيقة اللغوية .

علينا أن نقرأ فى كتاب اللغات و أذهاننا خالية من كل فكرة سابقة ، علينا أن نكون كصحيفة بيضاء يدون فيها ما يجب تدوينه .

و قال ابن السبكى فى (رفع الحاجب) : والصحيح عندى أنه لا فائدة لهذه المسألة ، وهو ما صححه ابن الأنبارى وغيره) .

و بالجملة : فما قيل عن أصل اللغة ، إن لم يقم دليل على بطلانه ، فانه لم يقم دليل على صحته .

تلك وجهة نظر فى المنع ، أيدها كثير من المشتغلين بعلوم اللغة (١) .

ولا أميل إلى وجهة النظر هذه ، كما ذكرت فى كتابى المطبوع سنه ١٩٨٠م ، ويؤيدنى بعض المعاصرين، مثل أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهرى (٢) عفا الله عنه .

و أقول فى إيجاز لبيان وجهة النظر فى أهمية بحث هذا الموضوع :

ا- إن النفس مجبولة على الاستفهام عن علل الأشياء ونشوئها .

ب- والبحث فى اللغة و أوليتها وتدرجها ييسر اللغة ، وينميها بالاجتهاد فيها ، إذا كانت من وضع البشر .

ج- و قد بحثها أئمة اللغة من قبل ، لأهمية الموضوع فوجب بحث الموضوع فى عصر العلم

د- حول الموضوع (اللغة) حقائق فى خلق آدم، وذكر الملائكة، وعصيان إبليس. وخلق السماوات والأرض .:. ومحصلات البرهان الضرورى من السمع والتجربة و المقايسة قد تكشف عن الموضوع بالظنية الراجحة إن لم تكن بالقطعية اليقينية ، والظنيات الراجحة تصبح فى قوة القطعيات أحياناً، والمشاحة إذن فى الراجح والأرجح .

هـ- ونحن نبحث عن جميع أصول العلوم ، فلم لا نبحث عن أصول العلوم اللغة ؟

فالبحث فى أصول اللغة بعامة ليس من الفضول ، و إنما هو من الأصول ، فلا يجب إغفاله ، ولا الغض منه ، ولا ابتسار الموضوع برمته .

وبحثنا فيه جديد ، لمحاولة طرح أبعاد وآراء لم يلم بها كثير من الباحثين ، والأهم من ذلك : محاولة استكناه معرفة السر فى النظريات ، كما لونها أصحابها ، بما اعتنقوه من معتقدات أثرت فى تفكيرهم ، ومحاولتهم رؤية كل شئ من خلال مناظيرهم .

---

(١) راجع المزهر ٢٦/١ ، وفلسفة اللغة ، د . كمال الحاج ص ٢٨ ، وعلم اللغة د. وافى ٥/١ .

(٢) اللغة العربية بين القاعدة و المثال ، ص ٤٩ ، وكتابنا (علم اللغة العام) ط : مكتبة وهبة بالقاهرة .

• • •

تجاذب هذا الموضوع قديماً وحديثاً : الفلاسفة ، والمفكرون ، ورجال الدين ، والباحثون عن الانسان وتاريخه بعامة ، وثار فيه جدل فى الفكر العربى والاسلامى .

وظهر فى نهاية المطاف أن اللغة هى (أحد مفاعلات الوجود الانسانى : إذ هى طرف المعادلة النوعية لثبوت خصوصية الانسان ، و لما كان الانسان حصيلة تعادلية بين طرفى وجود المادة زماناً ومكاناً : فان معادلة التفاعل تنصهر فيها عناصر الانسان و اللغة و الزمان و المكان فينتج حتما التغير و الاستحالة) (١) .

فالعناصر المدروسة هنا لن تعدو الانسان كتكلم ، و اللغة كدلول لغوى يتلو ويعطى الحدث الاجتماعى السابق عليها، ويدور ذلك فى طرفى السؤالين : متى، وكيف .

و ما دام الانسان متغيراً ، و الأحداث متجددة ، فان اللغة تتغير ، وتنتشر وتعيش وتموت وتنكمش و تزدهر بقوانين أمكن معرفتها وحصرها فى نطاقها .

وتميز التفكير فى اللغة بالتحليل لطبيعتها ، و ملاحظة تدرج النطق بها ، ورصد خط مسارها ، مع وصف الظواهر . . تميز كل ذلك بأن دار البحث فى قضيتين أساسيتين : هما التوقيف عند النصيين، والاصطلاح والمواضعة عند العقلانيين، بدون أن يحظى البحث فى النهاية بتقرير حاسم ، و إن حظى بملاحظات و مرجحات ترضى .

و كان اختلاف وجهات النظر عند طرح الموضوع ، لأنه ما انفرد بالبحث وحده ، و بالتالى لم ينفرد بصفة شمولية ، فضلا عما اعتور البحث من مسلمات أو معتقدات مسبقة ، مال إليها كل باحث ، فرجحها أو وقف عندها لا يريم . ، و أدى كل ذلك إلى الشتات وعـدم الترابط ، للنحى العقدى أو العقل السابق . . وحين اختلفت وجهة النظر عند البدء كان الصراع جدليا، بسبب اختلاف منهج البحث، وكذلك بسبب مشكلة البحث فى أولية اللغة ارتبطت بمشكلة أخرى هى : بدء الخلق

---

(١) د . عبد السلام المسدى ، فى مقالة قيمة ، فى مجلة « آفاق عربية » العراقية ص ٥٤ ، سنة ٦ ، عدد/٢ .

البشرى ، و إن كان الاسلام سباقاً فى هذا الصدد بالبت فى خلق الانسان من طين و ماء و تراب ، ونفخ فيه الخالق سبحانه من روحه فكان بشراً سوياً ، و جاءت البشرية على إثره توليدياً لا تطورياً .

و يلاحظ أن القول بالتطور قوى النزعة العقلية عند القائلين بها ، وانجر ذلك إلى التطور المطلق لأولية اللغة عند القائلين بذلك .

والغريب أن صاحب رأى التطور فى الانسان لم يجزم به كنظرية ثابتة، ولكنها، ثبتها مفتونون ، كانوا ملكيين أكثر من الملك، فجعلوا النظرية قولا يقينياً ومقطوعاً به .

فالتفكير الاسلامى حل مشكلة خلق الانسان فى صورة بسيطة وطبيعية وحاسمة ، وطبيعيتها توائم وتواكب ما قاله العلم الطبيعى اليوم فى أرقى مراحله : من أن الانسان يعود إلى طبيعته الأولى بالتحليل و العكسية ، فحين تخرج الروح ، يختلط الطين بالماء فى الجسم وحين يتبخر الماء لا يبق غير التراب ، و إذا قرأنا آيات الخلق فى القرآن الكريم نجد قوله تعالى :

« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين » (١) .

فالمسألة محلولة إسلامياً ، و التطور جنينى وخلقى ، و الأمر بعدئذ توليدى .

والتشتت الذى ساد مشكلة اللغة أو أوليتها يرجع مردود ثقافى مسبق أو اعتقاد معين ، أو الميل إلى النص أو العقل ...

على أن التشتت الذى ساد التفكير اللغوى لدى جماعة المسلمين ، كان نصاً ـ كما هو عند غيرهم من الديانات الأخرى ـ و كان أيضاً منشؤه التفسير اللغوى للالفاظ علاوة على ما سبق : فالقرآن الكريم يقول : « وعلم آدم الأسماء كلها » (٢)

(١) المؤمنون : ١٢-١٤ .   (٢) البقرة : ٣١ .

و مرجع التشتت هنا تأويلى تفسيرى ، يرجع للشارح ، لا إشكال من طبيعة الدين ولا من جوهره التقى السوى .

وقد جنح الذين قالوا بالتوقيف إلى القول بالاصطلاح صراحة أو ضمنا، وبالطبع نشأ من القولين قول ثالث خلط بينهما ، وجاءت فروع أخرى لها وجهة نظر قوية أحياناً ، ولا تقوى على الظهور أحياناً (١) .

و موضوع نشأة اللغة أشبع كلاماً وبحثاً ، وما زال المجال مفتوحاً للباحثين على أن يأتوا بجديد ومفيد [وهنا سنلمس طرفاً من أصالة الفكر العربى والاسلامى ، و المنهجية عند الباحثين منهم و وجهة النظر الشمولية ، أو الجامحة ، أو الابتسارية فى طرح الموضوع برمته بدون تمحيص وتفتيش ، والطرح هذا لا يليق .

و نظرية التوقيف و الالهام قديمة ، قال بها الفيلسوف اليونانى (هيرا قليط ٤٨٠ ق م ، و زميله هيرا كليت ٤٨٠ ق م .

و أفلاطون يراها ظاهرة طبيعية ، و حروفها و أصواتها جزء من معناها .

بينما يراها أرسطو : ظاهرة اجتماعية ورموزاً اصطلاحية ، لا علاقة لها بالمعانى ، و الاشارات التى وردت فى الكتب المقدسة تؤيد وجهة نظر هؤلاء :

فقد جاء فى سفر التكوين ، فى الاصحاح الثانى، فقرة ١٩ : (إن الله خلق كل شئ ، ثم عرضها على آدم ، ليسميها ، فسماها آدم ...) فهنا وضع من آدم ، بالهام من الخالق ، و ابن فارس (٣٩٥) فى (الصاحبى) أيد النظرية ، بدليل قوله تعالى :

---

(١) من هذه النظريات : محاكاة أصوات الطبيعة أو [ـ البو ـ دو] والأصوات التعجبية العاطفية أو محاكاة الأصوات لمعانيها كما تدل الحروف على ذلك ، أو نظرية الاستجابة الصوتية للحركات العضلية ، أو الاشارة الصوتيـة ، أو نظرية دراسة اللغات القديمة ، أو نشأة اللغة عند الطفل . . و كل هذه النظريات نقدت ، ورد بعضها ، لأدلة قامت تفندها .

« وعلم آدم الأسماء كلها » (١) ، و كافح فى سبيل تأييدها ، مع أنه حين البرهنة سيجنح إلى التوقيف .

و أبو على الفارسى (٣٧٧هـ) يؤيد النظرية (و اعتقاداً) يميل معه تلميذه ابن جنى (٣٩٥هـ) إلى هذا الرأى أحياناً ، لأنه من مؤيدى فكرة الاصطلاح ، فهو يرى الاصطلاح بعقله ، ويرى بقلبه (التوقيف) اعتقادا (٢) .

و وجدت نظرية التوقيف حتى العصر الحديث أنصاراً .

فالفيلسوف الفرنسى (دوبا نالد) والأب (فرانسو الامى) من المؤيدين (٣) .

و يؤيدها حتى الآن فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، ويرى أن نشأة اللغة و أوليتها تعتبر من وجهة النظر الاسلامية محلولة ، بقوله تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها » (٤) .

ويستشهد بقوله تعالى : « ويكلم الناس فى المهد وكهلا » حين كلم عيسى القوم فى المهد بدون سابق تعليم أو اصطلاح . ويعجب أستاذنا الشيخ ، لأن الانجيل لم يشر إلى تلك الحادثة الفذة ، تمجيداً لعيسى عليه السلام :

ويرى أن الأسماء جاءت لمسمياتها ، لأنها ألفاظ تعين مسمياتها ، وقدى هدى الله تعالى آدم عليه السلام الأسماء ، لأنه ليس باستطاعة آدم التعبير عن معطيات الأسماء بدون تعليم من الله ، و هذا التعليم أزاح عنا عبئا كبيراً من صعوبة التفاهم ، ولو لا ذلك لما استطاع آدم ولما استطعنا أن نتفاهم على شئ إلا إذا و اجهنا الشئ وأشرنا إليه ... وينتهى إلى القول بأن هذه الأسماء علمها الله الانسان الذى يتفاهم بها ، و الانسان أصله من آدم) (٥) .

---

(١) الصاحبى ص ٥ .   (٢) الخصائص ١/٤٥ .

(٣) نشأة اللغة عند الانسان والطفل ، د/ واف ص ٢٥ .   (٤) البقرة - ٣١ .

(٥) خواطر حول القرآن الكريم ، جريدة اللواء الاسلامى ، القاهرية ، السنة الثالثة ، عددى ١٤٢ ، ١٤٣ .

أى أن الانسان أصله توليدى لا تطورى، والتعليم اللغوى كان بالهام من الخالق سبحانه : ويقول ابن عباس : علم الله آدم اسم كل شئ حتى القصعة والمغرفة (١) .

وقد توجه النقد لهذه النظرية بتركيبو و موضوعية ، من ناحية اللفظ والمعنى : فالألفاظ فى (علم) و (الأسماء) ، تحتمل : ألهم ، أو أقدر على وضع الألفاظ و الاصطلاحات عليها ، و أين (الأفعال و الحروف) ؟ وهى جزء من الكلام، وهل الاضافة على تقدير مسميات الأسماء ؟ أو غير ذلك ؟

وما معنى أن يتعلم آدم كل اللغات ؟ ولماذا ؟ وهل مثلت له كل المسميات ؟ و أنى لبشر الاحاطة بكل اللغات ؟ .

مآخذ كثيرة وضعت القائلين بهذه النظرية فى حيرة أو صمت، وجعلتهم يميلون أحياناً إلى القول بالوضع المشوب بالتوقيف ، وجعلت علامات استفهام كثيرة تعتور أدلة القائلين بالوحى و الالهام و التوقيف .

وكل ذلك جعل كثيراً من مفكرى المسلمين يترددون بين القول بالتوقيف و الاصلاح ، أو يرددون القولين بدون القطع برأى :

فالامام الرازى يستعرض الآراء كلها حين تفسير قوله تعالى : «وعلم آدم الأسماء كلها » . . فى عمق وشمولية ، ثم لا يجزم بالقطع حول رأى واحد ، يقول :

(... لما ضعفت هذه الدلائل جوزنا أن تكون كل اللغات توقيفية، و أن تكون كلها اصطلاحية ، و أن يكون بعضها توقيفياً ، وبعضها اصطلاحياً) (٢) .

فمع استعراض الظواهر و القضايا لم يستطع الامام فخر الدين الرازى البت و القطع برأى ، نظراً للتشتت المنهجى ، و من ثم قال بكل الاحتمالات الممكنة .

ويتضح تلوين الآراء تبعاً للنهج المتبع ، حين تتبع الآراء التالية :

يرى الزمخشرى ـ رحمه الله ـ فى قوله تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها » ،

---

(١) صفوة التفاسير ٤٨/١ . (٢) مفاتيح الغيب ، تفسير الرازى ٢٣/١ .

أن الله علم آدم مسميات الأسماء ، وحذف المضاف إليه لكونه معلوماً مدلولا عليه بذكر الأسماء ، لأن الاسم لا بد له من مسمى ... و كان المحذوف المضاف إليه لا المضاف ، لأن التعليم وجب تعليقه بالأسماء لا بالمسميات ، و قد علق الانباء بالأسماء فى (أنبئهم بأسمائهم) ، فوجب تعليق التعليم بها (١) .

ولكن صاحب كتاب (الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال) يرد على الزمخشرى بقوله : (و هو - أى الزمخشرى - يفر من اعتقاد أن الاسم هو المسمى ، لأن ذلك معتقد أهل السنة ، فيعمل الحيلة فى إبعاده عن مقتضى الآية بقوله : « أنبئهم بأسمائهم » ويتغافل عن قوله تعالى : « ثم عرضهم على الملائكة » ، فان الضمير فيه عائد إلى المسميات اتفاقاً ، ولم يجر إلا ذكر الأسماء ، فدل على أنها المسميات .

و يعرض أيضاً عن حكمة التعليم و أن تعليقه بنفس الألفاظ ، لا كبير غرض فيه ، بل الغرض المهم تعليقه لذوات المسميات و اطلاعه على حقائقها ، و ما أودع الله تعالى فيها من خواص و أسرار ، و على تسميتها أيضاً ...) (٢) .

فهو يرى : أنه لا نكير فى الاضافة التى فر منها الزمخشرى ، لأن الأسماء بمعنى المسميات ، و الحقائق أعم من هؤلاء المشار إليهم ، و المضاف إليهم ، فصحت الاضافة لما بين الأعم و الأخص من التغاير .

و ابن القيم - رحمه الله - وهو سنى لا معتزلى ، يسير فى فلك الزمخشرى ، حين يقول :

(الاسم فى أصل الوضع ليس هو المسمى . فكذلك الاسم غير المسمى ، و قد صرح بذلك سيبويه ، و أخطأ من نسب إليه غير هذا ، وادعى أن مذهبه اتحادهما) (٣) .

---

(١) الكشاف ١/٢٧٢ . (٢) الكشاف ١/٢٧٢ .

(٣) بدائع الفوائد ١/١٦ .

و إذا كانت المسألة خلافية ، فلا داعى للانكار من صاحب (الانصاف) على صاحب الكشاف .

و من المفسرين من اعتزل الخلاف فى الاضافة والمحذوف ، واكتفى بقوله فى قوله تعالى : «وعلم آدم الأسماء كلها» ، أى أنه سبحانه علمه أسماء المسميات كلها (١) .

وسنرى عند العقلانيين أن طريقة طرح المشكل هى جوهر الاستعصاء ، و أن القضية تعود أولا و أخيراً عند فرز الآراء إلى موقع الفاحص لها أكثر مما تعود إلى المضمون الاشكالى لها :

و الامام الغزالى ـ رحمه الله ـ يعطى المسألة احتمالات مطروحة ، فيمس أبعاداً كثيرة ، ويذكر صوراً يحملها القول و المنطق ، بناء على مذهبه ، يقول حالة كونه مورداً كل الفروض الممكنة :

١ـ أن آدم ـ عليه السلام ـ ربما ألهم الحاجة إلى الوضع ، فوضع اللغة بتدبيره وفكره .

٢ـ أو أن الأسماء ربما كانت موضوعة باصطلاح بين الملائكة سابق لآدم .

٣ـ أو أن المراد بالأسماء : أسماء السماوات و الأرض ، وما فى الجنة والنار ، دون الأسامى التى حدثت مسمياتها بعد آدم ، ويقوى هذا الاحتمال عموم صيغة اللفظة فى « وعلم آدم الأسماء » .

٤ـ أنه ربما علمه ثم نسيه ثم اصطلح بعده أولاده على هذه اللغات المعهودة الآن ، و الغالب أن أكثرها حادثة بعده) (٢) .

فالمشكل منحصر فى أصل النشأة ، و لكن الحرج فى تأويل الآية على رأى قاطع فى طريقة البسط المنهجى الواضح ، و المبنى على أسس قويمة وسليمة . . جعل التأويلات محتملة ، و الاختلاف قائمة و واردة .

---

(١) صفوة التفاسير ١/٤٨ .　　(٢) المستصفى ١/١٤٥ .

ويرى الامام الغزالي أيضاً ـ أمارة على اهتدائه إلى الوعي الحقيق لجوهر المشكل ـ أن البحث الزماني في أصل نشأة اللغة ليس إلا مشكلا زائفاً ، بسبب :

أن النظر في مبدأ اللغات إما أن يقع في الجواز أو في الوقوع :

فالجواز العقلي شامل للمذاهب الثلاثة ، و الكل في حيز الامكان .

والواقع من هذه الأقسام لا مطمع في معرفته يقيناً إلا ببرهان عقلي ، أو بتواتر خبر ، أو سمع قاطع ، ولا مجال لبرهان العقل في هذا ، ولم ينقل فيه تواتر ولا فيه سمع قاطع ، فلا يبقى إلا رجم بالظن في أمر لا يرتبط به تعبد عملي ، و لا ترهق إلى اعتقاده حاجة ، فالخوض فيه ـ إذن ـ فضول لا أصل له) (١) .

و من ثم فلا خوف على اعتقاد الانسان إذا لقي الله تعالى و هو يؤمن بالاصطلاح أو التوقيف ، ما دام اليقين متعذراً في مسألة نعيشها بحلوها ومرها وخطرها ، ولا يضرنا بحث زمان ابتدائها ، و قديماً قال عمر ـ رضي الله عنه ـ : ما ضر ابن الخطاب الا يعلم أباً ، في قوله تعالى : « و فاكهة و أباً » (٢) .

والامام الطبري يذكر الآراء، منقولها ومعقولها، ويحاول ترجيح الصواب ، وما قرب من المعقول، دون إغفال المأثور من التأويل .. فيذكر هذا ويرجح ذاك (٣)

و ابن جني يجوز الأمرين ، ويميل إلى المواضعة ، يقول :

(فقد تقدم في أول الكتاب القول على اللغة : أتواضع هي أم إلهام . وحكينا وجوزنا الأمرين فيها جميعاً) (٤) .

ويحكي في موضع آخر ما يرجحه هو و ما يرجحه غيره بقوله :

(أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هي تواضع و اصطلاح ، لا وحي و توقيف) (٥) .

---

(١) المستصفى ١/٤٥ . (٢) عبس ، ٣١ . (٣) جامع البيان ١/٢١٦ .

(٤) الخصائص ٢/٢٨ . (٥) الخصائص ١/٤٠ .

فابن جنى ليس بمعتزلى ، وقد جوز الأمرين ، ولكنه مال إلى الاصطلاح ، ولكن علينا أن نراه فى موقف آخر :

فى هذا الموقف نراه يدفع (معتزلياً) إلى مضايق الاحتجاج ، ليعترف بامكانية القول بالتوقيف و الالهام . . ويضعهم بحسن الصنعة فى الاحتجاج إلى مالا يستطيعون فيه الهرب ، يقول :

(... إلا انى سألت يوماً بعض أهل (الاعتزال) ، فقلت :

ما تنكر أن تصح المواضعة من الله تعالى ، و إن لم تكن ذا جارحة : بأن يحدث فى جسم من الأجسام : خشبة أو غيرها ، إقبالا على شخص من الأشخاص ، و تحريكها نحوه ، ويسمع فى نفس تحريك الخشبة نحو ذلك الشخص صوتاً يضعه اسماً له ، ويعيد حركة تلك الخشبة نحو ذلك الشخص دفعات ؟

مع أنه ـ عزا سمه ـ قادر على أن يقنع فى تعريفه ذلك بالمرة الواحدة ، فتقوم الخشبة فى هذا الايماء و هذه الاشارة مقام جارحة ابن آدم فى الاشارة بها فى المواضعة .

و كما أن الانسان أيضاً قد يجوز إذا أراد المواضعة أن يشير بخشبة نحو تلك المواد المتواضع عليها ، فيقيمها فى ذلك مقام يده لو أراد الايماء بها نحوه ؟

فلم يجب (المعتزلى) عن هذا بأكثر من الاعتراف بوجوبه . و لم يخرج من جهته شئ أصلا فأحكيه عنه ، و هو عندى و على ما نراه الآن لازم لمن قال بامتناع مواضعة القديم لغة مرتجلة ، غير ناقلة لساناً إلى لسان) (١) .

فابن جنى هنا مضايق لمعتزلى، وسبق أن حكينا أنه يميل إلى أهل النظر فى أن اللغة منشؤها الاصطلاح لا الوحى و الالهام .

---

(١) الخصائص ١/٤٥ .

فهو متعاطف مع النظرية الأكثر شيوعاً وقبولا ، وهي المواضعة والاصطلاح ، ويرى أن اللغة موجودة قائمة بالذات متكاملة ، و الحديث عن نفس القضية من حيث العودة فى الزمن إلى منطلق الخلق و الوجود ، ويفرق بين الأمرين بمصطلحين رشيقين ، وهما : مقياس « الاعتقاد » ومقياس « الزمان » ، على حد تعبير الدكتور عبد السلام المسدى ، فى مقاله القين (١) .

و الأمر دائر فى إطار الحذر و إيراد كل الفروض الممكنة حذراً من البت فى أمر متيقن ، فدار التكهن بتفسيره عقلياً و اعتقادياً .

وسيف الدين الآمدى يرى اللغة أمراً غير عقلى . وتنقل أموراً عقلية ، يقول :

(... ثم إن هذه العبارات و التقديرات غير حقيقية ، أى ليست أموراً عقلية (بل اصطلاحية) مختلفة باختلاف الأعصار و الأمم .

و لهذا لو وقع التواضع من أهل الاصطلاح على أن يكون التفاهم بنقرات وزمرات ... لقد كان ذلك جائزاً ، و مدلول هذه العبارات و التقديرات حقيق ، لا يختلف باختلاف الأعصار ، ولا باختلاف الاصطلاحات ، بل المدلول واحد و إن تغيرت تلك الدلالات ، وتلك المدلولات هى التى يعبر عنها بالنطق النفسانى و الكلام الحقيقى وما سواه فليس بحقيق) .

فالدلالات عند الآمدى رموز اصطلاحية ، وتصبح عرفاً متى تعورف عليها ، و من ثم فالتواضع مستمر لتغطيـــة حدث اجتماعى حقيق بمدلول لغوى غير حقيق فى ذاته .

و الامام ابن حزم ـ رضى الله عنه ـ فى ذكائه ، اهتدى إلى جوهر المشكل المبسوط بربطه جدلياً بأصل نشأة الانسان ذاته ـ كما يقول الدكتور عبد السلام المسدى عن ابن حزم انطلاقاً من تأكيد أن النوع الانسانى لا يوجد إلا وهو متكلم

---

(١) مجلة آفاق عربية (العراقية) السنة السادسة عدد ٢/ ص٥٧ .

ويخلص إلى تقرير أن مبتدأ اللسان — هو مطابق مع مبتدأ نشأة الوجود البشرى إطلاقاً ، و يزداد تقريره جزماً عندما يردف أن القضية تنعكس مثلما هى تطرد :

إذ أنه كما لا سبيل إلى وجود الانسان بلا كلام ، فكذلك لا سبيل إلى وجود كلام بلا إنسان (١) يقول ابن حزم :

(الكلام حروف مؤلفة ، والتأليف فعل فاعل ضرورة لا بد له من ذلك) ، على أن هذا التحرك الجدلى يقضى هو الآخر إلى تحديد مبدأ النشأة فى الوجود ، لأن (كل فعل له زمان ابتدىء فيه ، لأنه الفعل حركة تعدها المدد ، فصح أن لهذا التأليف أولا ، و الانسان لا يوجد دونه ، و ما لم يوجد قبل ماله أول ، فله أول ضرورة) (٢)

فابن حزم و إن ربط جوهر المشكل جدلياً بأصل نشأة الانسان ذاته ، أو ربط منشأ اللغات بمنشأ فاعل اللغات و هو الانسان . إلا أننا نلحظ أنه زاد رأيه تحقيقاً وتدقيقاً بتمييز الفارق بين مقتضى الطبيعة فى وجودها المتواصل ، ومقتضى الخلق الطارىء عليها (و استخلص جدلا أن الكلام حدوث طارىء على الطبيعة ، مثلما أن الانسان فى ذاته عارض من أعراض الوجود الكونى) (٣) يقول ابن حزم :

(فصح ضرورة ـ صحة حسنة مشاهدة ـ أنه لا بد فى اللغات من معلم ، ولا بد فى الصناعات من معلم ، ليس من المعلمين الذين فى طبعهم تعلم ذلك دون تعليم ، إذ لو كان ابتداء ذلك موجوداً فى الطبيعة لوجد ذلك فى كل عصر و فى كل مكان ، لأن الطبيعة واحدة فى جميع النوع ، وكذلك نجدهم يستوون كلهم فيما توجبه الطبيعة لهم ، إلا أن يعرض عارض حائل فى بعض النوع) (٤) .

تلك نظرة سريعة عما وراء النظريات فى القول بنشأة اللغة ، ويتعلق به ما يمكن أن نسميه بالتشريع اللغوى فى نشوئه ونموه و انتشاره ، وسنتناول ذلك فى حديث آت إن شاء الله . .

---

(١) آفاق عربية ص ٥٥ .　　(٢) الاحكام ١/٢٩ .
(٣) آفاق عربية ص ٥٥ .　　(٤) الرسائل لابن حزم ١/٥٠ .

و من المفيد أن نذكر تعليق الدكتور المسدى على ما سبق من آراء ونظريات ، فى تعليقه غنية ، يقول (١) :

هكذا نتبين كيف أن قضية ما وراء اللغة إنما تستند إلى إشكال منهجى تأويلى، دون أن تكشف افتراقاً مبدئياً ، أو اضطراباً فكرياً : بحيث إنها لو عولجت فى مختلف أطوارها بما يحمل الناظر مطمئنا إلى توحد المحركات النظرية (الماقبلية) ، بعيداً عن افتراض كل تمزق فكرى ، أو تقطع أصولى (أبستيمولوجى) .

ولقد كانت كل الآراء المختلفة تصدر عن محرك توليدى ، هو (فكرة المواضعة) فى الحدث اللغوى مطلقاً .

و إذا كانت هذه النظرية قد تغلغلت فى مسام التراث العربى ، فقبعت وراء أرضية الموروث اللغوى فيه، ولم تبرز بالفعل إلى سطح الأبنية العلوية فى تاريخ العلم النظرى ، فانما ذلك يعزى إلى ضغوط خارجية ، هى : اضطرارات التقية و الاحتماء فى مفترق انقسامات المذاهب بين ملل ونحل .

ولما كان لأهل الاعتزال نصيب الصدارة فى بلورة هذه النظرية و تأسيسها . . فقد انسحبت الريب الحائمة بالمعتزلة على النظرية نفسها : فأصبح القول الصريح بإملاآت النزعة العقلانية من رصيد المحظورات ، يتقيه المتعاطف و المشاكس على حد سواء .

وبقى أن نشير إلى أن ما تحمله ألفاظ اللغة العربية أحياناً من معان تقرب أو تبعد أو تضاد بعضها لها دخل كبير فى اختلاف التفسير والتأويل ، وتلون المعنى المستنبط ، وقد يغرى هذا التلون بعض الملل والنحل بالشد و الجذب ، و الميل إلى اختيار لون معين يخدم الفكرة وبيان وجهة النظر الخاصة أو العامة . . و هذه النقطة مرجعها إلى اللغويين و استعمال العرب الأقحاح . . و أنى للزمان بعد رحيلهم بتحديد المفاهيم ، و الوقوف على اللفظ و استعمالاته كما استعملوه . .

و الله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

(١) آفاق عربية ص ٥٧ .

كتاب الجامع لعبد الرزاق الصنعانى

بقلم المحدث الكبير الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى

إنا نجد فى القرن الثانى أئمة فقهاء من أكابر المحدثين يعنون أشد العناية بتأليف الجامع فى الحديث ، فمنهم من أفرده بالتأليف كسفيان الثورى الكوفى ، ومعمر بن راشد البصرى ثم اليمانى ، و عبد الله بن وهب المصرى ، و منهم من ألف كتاب الجامع وجعله خاتمة تصنيف له ، كالامام مالك المدنى ، والامام عبد الرزاق الصنعانى و الذى يبدو لنا من ناحية تقدم بعضهم على بعض سناً ، أن الذى سن هذه السنة هو السفيـان الثورى ، و لا ندرى إذا كان سبقه أحد من أئمة هذا الشأن بتأليف الجامع ، لكن ادعى ابن العربى المالكى فى كتابه القبس أن كتاب الجامع كتاب اخترعه مالك فى التصنيف لفائدتين :

إحداهما أنه خارج عن رسم التكليف المتعلق بالأحكام التى صنفها أبواباً ورتبها أنواعاً ، الثانية أنه لما لحظ الشريعة وأنواعها ، ورآها منقسمة إلى أمر ونهى و إلى عبادة ومعاملة ، و إلى جنايات وعادات ، نظمها أسلاكا ، وربط كل نوع بجنسه وشذت عنه من الشريعة معان منفردة ، لم يتفق نظمها فى سلك واحد لأنها متغاير المعانى . ولا أمكن أن يجعل لكل واحد منها باباً لصغرها ، ولا هو أراد أن يطيل القول فيما يمكن إطالة القول فيها ، فجملها أشتاتا ، وسمى نظامها كتاب الجامع ، فطرق المؤلفين ما لم يكونوا قبل به عالمين (الزرقانى على الموطأ) .

و الذى أراه أنه لا يدعى ذلك فى الجامع مطلقاً ، و إنما يدعيه فى الجامع الذى يشتمل عليه تصنيف آخر ، ويكون هذا كفصل من فصوله ، كالجامع الذى فى آخر المصنف لعبد الرزاق ، أو كالذى وضعه محمد بن الحسن الشيبانى فى موطئه .

و كانت هذه الجوامع تنسب إلى مؤلفيها ، ويعرف أن هذا الجامع لفلان ، وذاك لفلان، برواية المحدثين الرواة إياها بأسانيدهم المتصلة إلى مؤلفيها ، وبنص من رواه عن المؤلف مباشرة ، على أن هذا كتاب الجامع لفلان . كما نعرف أن كتاب الجامع الذى فى آخر الموطأ لمالك ، من تأليفه نعرفه براوية يحيى بن يحيى عنه كتاب الجامع فى ضمن الموطأ ، و هذا بين معلوم قطعاً لدى كل من له إلمام بهذا الشأن ، و لهذا لما وجدنا نسخ المصنف لعبد الرزاق متظاهرة على احتوائها كتاب الجامع ورواية الدبرى إياه عن عبد الرزاق كرواية ما عداه من الكتب التى يحويه المصنف، ككتاب الفرائض ، وكتاب الأيمان و النذور ، وكتاب اللقطة ، وكتاب الأشربة ، و كتاب العقول و غيرها ، علمنا أن هذا الجامع لعبد الرزاق و أنه جزء من أجزاء المصنف ، فطبعناه كما وجدنا، ونحن متأكدون من أنه لعبد الرزاق لا لغيره كائنا من كان ، أما يرى أن راوى المصنف عن عبد الرزاق : أبا يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عباد يقول عقب عنوان كتاب الجامع : (أخبرنا عبد الرزاق بن همام قال : أخبرنا معمر) (١) كما يقول عقب عنوان كتاب الأشربة الذى قبل كتاب الجامع فى نسخة والد السيد حميد الله : (أبو يعقوب (إسحاق بن إبراهيم) قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر) (٢) و يقول حين يستهل كتاب الفرائض : (حدثنا يعقوب قال : قرأنا على عبد الرزاق عن ابن جريج) (٣) و يقول فى أول كتاب الأيمان و النذور : (حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن) (٤) .

فكيف يمكن أن نقول : إن كتاب الجامع الذى بين دفتى المصنف لعبد الرزاق إنما هو لمعمر بن راشد ، و الكتب التى قبله بين دفتيه هو لعبد الرزاق .

---

(١) ص : ١٣٦ . (٢) ص : ١٢٩ .
(٣) ص : ١١٤ ، (٤) ص : ١٠٥ .

لكن من العجائب أن هناك من يدعى أن كتاب الجامع الذى ختم به المصنف لعبد الرزاق، هو الجامع لمعمر بن راشد، و لم يفطن له محقق الكتاب فألحقه فى آخر المصنف.

نعم هذا من العجائب، وأعجب منه أن المحقق الذى يأخذ على هذا هو الذى سلك هذا المسلك قبلى، فألحقه بالمصنف فى نسخة والده التى يخطها له بيده، وقد عثرت على تلك النسخة حين كنت أحقق المصنف لعبد الرزاق و انتفعت بها.

يقول والده رحمه الله فى آخر تلك النسخة: (الحمد لله سبحانه قد تم كتابة هذه النسخة الشريفة على يد الراجى إلى الله أبى محمد خليل الله بن محمد صبغة الله قاضى الملك إمام العلماء، وفى آخر هذا بعض الصحف على يد ابنى و قرة عينى محمد حميد الله (إلى) و ذلك فى إحدى عشرة خلون من شهر المبارك ربيع الأول سنة ثمان و أربعين بعد الألف و ثلاثمائة من هجرة النبى الأمين ﷺ، فى بلدة حيدر آباد).

وأزيدك أن شيخ مشايخنا الشيخ سعيد سنبل مؤلف رسالة الأوائل جعل هذا الجامع جزءاً من المصنف، فانه يقول فى تلك الرسالة (وبالسند المتقدم إلى الامام الحجة عبد الرزاق الصنعانى أخبرنا معمر عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال: كان شعر رسول الله ﷺ إلى أنصاف أذنيه، وهو آخر مصنفه) و كل من اطلع على المصنف يدرى أن هذا الحديث هو آخر أحاديث كتاب الجامع، وقد جعله الشيخ سعيد آخر حديث من المصنف، و لا يصح هذا إلا إذا كان كتاب الجامع جزءاً من المصنف، ولما كان المصنف لعبد الرزاق كان الجامع له كغيره من الكتب التى يحويها المصنف، و رسالة الأوائل هذه قد تداولها المشايخ من المحدثين بالاجازة و الاستجازة منذ أواخر عهد الامام ولى الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى، و لم ينكر على هذا أحد منهم، بل سايره و تابعه شيخ مشايخنا الامام عبد العزيز بن

الشيخ ولى الله الدهلوى ، حيث يقول فى كتابه بستان المحدثين فى ترجمة المصنف لعبد الرزاق : «إن من الطريف أن عبد الرزاق ختم مصنفه بذكر شمائل النبى ﷺ و أتمه بذكر شعر رسول الله ﷺ » يقول : (عبد الرزاق حدثنا معمر عن ثابت عن أنس قال : كان شعر رسول الله ﷺ إلى أنصاف أذنيه) فالشيخ عبد العزيز أيضاً يرى أن كتاب الجامع الذى فى آخر المصنف هو لعبد الرزاق .

و من أجلى البراهين على أن هذا الجامع هو لعبد الرزاق ، أن عبد الرزاق تارة كان يحدث به فى ضمن المصنف و قد سمعه عليه فى ضمنه أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الدبرى ، وتارة كان يحدث به وحده مفرداً ، وقد سمعه عليه مفرداً الحافظ الحجة أحمد بن منصور الرمادى ، وتداول هذا المفرد الحفاظ و الرواة من المحدثين بالرواية بالاجازة و بقراءته على الشيوخ و الاستجازة ، و قد عثرت على نسخة من الجزء الأول منه، و على بعض الجزء الأول من نسخة أخرى ، و إحداهما أقدم من الأخرى، فالأقدم، وهو الجزء الأول منه بتمامه بخط الامام الحافظ المفيد أبى الفتح نصر بن أبى الفرج الحصرى، المتوفى سنة ٦١٩، وقد كتب على ظاهر الورقة الأولى :

(الجزء الأول من كتاب الجامع عن عبد الرزاق بن همام أبى بكر الصنعانى) .

رواية أبى بكر أحمد بن منصور بن سيار الرمادى عنه .

رواية أبى على إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن صالح الصفار عنه .

رواية أبى الحسين على بن محمد بن عبد الله بن بشران ... عن الصفار .

رواية أبى المعمر عبد الله بن سعد ... يعرف بخزيفة عن أبى طلحة سماع منه لصاحبه نصر بن أبى الفرج .

وكتب فى آخره :

« الجزء الأول يتلوه فى الثانى إن شاء الله : باب حب المال ، ـ والحمد لله

حق حمده وصلاته على سيدنا محمد و آله وسلم ـ فى النسخة المنقول منه ذكر سماع جماعة بخط الحافظ أبى المحاسن القرشى ، وقد نقله من خط أبى المعمر الأنصارى منهم عبد الوهاب بن الصابونى ، و عبد الواحد بن الحسين بن عبد الواحد البارزى وخزيفة .... الوزان وغيرهم بقراءة ثابت الكيلى فى رجب سنة اثنتين وتسعين و أربعمائة على الشيخ .... حسين بن طلحة النعالى ، وكتب نصر بن أبى الفرج الحصرى » .

و اتبعه نصر بكتابة ما نصه « ..... وسمع الأول من جامع عبد الرزاق على ابن طلحة ...... جماعة منهم شهدة بنت أبى نصر الأبرى ومفوذ بن الحسين و محمد وعبد الرحمن ابنا الطا ... بن الفضل بن طاهر فى جمادى الآخرى من سنة تسعين ، نقلته من خط ابن الأخضر » .

و فى هذا الاستعراض ما يقنع كل منصف بأن كتاب الجامع الذى فى آخر المصنف لعبد الرزاق الذى استهلاله بباب وجوب الاستيذان ، هو تاليف الامام عبد الرزاق .

(١) لأن الامام نصر بن أبى الفرج الذى أجمع على ثقته وضبطه و إتقانه وكثرة سماعه ابن نقطة ، وابن النجار ، وابن الدبيثى ، والذهبى ، ينسخه بخطه ، ويسميه بكتاب الجامع عن عبد الرزاق و بجامع عبد الرزاق ، ويذكر سماعه من خزيفة معتقداً بأنه جامع عبد الرزاق .

(٢) ويشير هذا الامام إلى أنه نقل الجزء الأول من جامع عبد الرزاق من نسخة مكتوب عليها بخط الامام الحافظ أبى المحاسن القرشى محدث بغداد (١) ـ :

« إن هذا الجزء من جامع عبد الرزاق ، سمعه جماعة ، منهم : عبد الوهاب

---

(١) حافظ ، عالم ، ثقة ، عنى بطلب الحديث وسماعه و كتابته (ابن الدبيثى) .
و كان ثقة صحيح النقل (ابن الحصرى) الامام الحافظ ... محدث بغداد (الذهبى) .

ابن الصابونى (المتوفى سنة ٥٥٦) ، (١) و عبد الواحد بن الحسين بن عبد الواحد البارزى (المتوفى ٥٦٢) (٢) و خزيفة الوزان (المتوفى سنة ٥٦٢) (٣) على الشيخ حسين بن طلحة ، وكان سماعهم بقراءة الحافظ الثقة ثابت الكيلي (المتوفى سنة ٥٢٨) (٤) و كان هذا السماع و القراءة فى سنة ٤٩٢ (٥) » .

ثم نقل نصر من خط ابن الأخضر (و هو الامام الحافظ المسند محدث العراق) (٦) الثقة المامون :

« إن الأول من جامع عبد الرزاق سمعه على ابن طلحة جماعة ، منهم : مسندة العراق فخر النساء شهدة بنت أبى نصر ، الكاتبة المشهورة ، فى جمادى الآخرة من سنة تسعين (و أربعمائة) »

---

(١) كان ممن كتب وحصل ، سمع الحديث الكثير ـ وحصل الأصول و كان تقياً صدوقاً ، (ابن النجار) .

(٢) حدث بالكثير ، و كان شيخاً صالحاً متديناً ، (ابن النجار) .

(٣) سنعود إلى ذكره .

(٤) و كان عنى بالحديث وسمع الكثير وكتب الكثير و كان رفيقاً للسلفى ثقة عنده (شذرات ٤/٩٣) .

(٥) سمع على الشيخ حسين بن طلحة النعالى .

(٦) شيخ ابن الدبيثى ، و ابن النجار ، والضياء المقدسى ، و البرزالى وآخرين ، قال ابن الدبيثى : لم أر فى شيوخنا أوفر شيوخاً و لا أغزر سماعاً منه ، و قال ابن نقطة :

«كان شيخنا ثقة ثبتاً مأموناً كثير السماع واسع الرواية صحيح الأصول »

و قال القزوينى : ما رأيت فى شيوخنا ...... مثله فى كثرة مسموعاته ومعرفته لمشايخه وحسن أصوله وحفظه و إتقانه ، (تذكرة) توفى سنة ٦١١ .

ففى هذا دلالة واضحة على أن نصر بن أبى الفرج الامام ، و الحافظ أبا المحاسن القرشى ، و الحافظ ثابتاً الكيلى ، و الامام ابن الأخضر ، ومسندة العراق شهدة ، و غيرهم ، ممن سمع هذا الجزء على ابن طلحة يعتقدون أنه أول جامع عبد الرزاق ، لا جامع معمر .

(٣) و كذلك يعتقده الحافظ عمر بن الحاجب المتوفى سنة ٦٣٠ ، الأول من جامع عبد الرزاق ، فانه اقتنى هذه النسخة التى بخط نصر ، وجعلها وقفاً موبداً فى خزانته ، وكتب فى أسفل الورقة الأولى بخطه :

« شاهدت بخط الامام الحافظ تقى الدين بن الأنماطى ـ رحمه الله ـ ومنه نقلت ما صورته : سمع الجزء الأول من جامع عبد الرزاق وآخره إلى باب حب المال ، إلى الشيخة الصالحة شهدة بنت أبى الفرج الابرى بسماعها من أبى عبد الله الحسين بن طلحة عن أبى الحسين بن بشران عن أبى إسماعيل الصفار عن أبى بكر الرمادى عن عبد الرزاق - بقراءة أبى عبد الله محمد بن المحسن بن أبى المضاء ـ أبو الفتح نصر بن أبى الفرج ابن الحصرى و أبو الفضائل هبة الله بن سلامة بن مسلم المصرى ، وابنه أبو الحسن على وفتاه فرج الحلبى (كذا) وجماعة ، وذلك فى جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة » .

وأحال الأنماطى فى آخر نقله على ما شاهده من خط أبى المواهب بن صصرى ، نقله مما شاهده عمر بن محمد الأمينى .

٤ــ و هذا يعنى أن الامام الحافظ أبا المواهب بن صصرى المتوفى سنة ٥٨٦ (١)

---

(١) محدث دمشق ومفيدها ، عنى بهذا الشأن وكتب العالى والنازل وكان مليح الخط.

و الحافظ البارع مفيد الشام تقى الدين ابن الانماطى المتوفى سنة ٦١٩ (١) ، ومسند الديار المصرية العلامة على بن هبة الله المصرى المتوفى سنة ٦٤٩ (٢) و أباه أبا الفضائل هبة الله ، كلهم يرون أن هذا الجزء هو الأول من جامع عبد الرزاق ، لا من جامع معمر ، وقد قدمت أن هذا الجزء هو نفس الجزء الأول من الجامع الذى فى آخر المصنف لعبد الرزاق .

٥- ثم إن فى آخر نسخة الامام نصر بن أبى الفرج سماعاً بخط الامام الحافظ عبد الغنى المقدسى محدث الاسلام المتوفى سنة ٦٠٠ ، يسمى فيه هذا الجزء بالجزء الأول من جامع أبى بكر عبد الرزاق ويقرأه على الشيخة شهدة ، يقول:

(سمع هذا الجزء على الشيخة العالمة شهدة . . . و هو جزء أول من جامع أبى بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعانى بحق سماعها من . . . . التعالى عن أبى الحسن بن بشران عن إسماعيل الصفار عن . . . الرمادى عنه ، أبو الفتح . . . و ابنه . . . و عبد الغنى بن عبد الواحد . . . بقراءته ، و كتب السماع) .

فهذا الامام الذى وصفه الذهبى بمحدث الاسلام يراه الجامع لعبد الرزاق ، لا جامع معمر .

و قد قرأ هذا الجزء فى هذه النسخة على الشيخة شهدة . . . الحافظ الامام عبد القادر الرهاوى (٣) أيضاً و كتب السماع بخطه فى سنة ٥٦٦ ، ولم ينكر على تسميته الجزء الأول من جامع عبد الرزاق .

---

(١) قال ابن النجار : كانت له عناية وافرة وحرص تام وجد و اجتهاد مع معرفة كاملة و حفظ و حذق و نقد ، و قال ابن الحاجب : كان إماماً ثقة حافظاً حصل ما لم يحصله غيره .

(٢) انتهت إليه مشيخة العلم بالديار المصرية .

(٣) الحافظ الذى ختم به الحديث (تذكرة) توفى سنة ٦١٢ .

و يبدو لنا أن الحافظ الامام نصر بن أبى الفرج كانت له عناية وافرة برواية هذا الجزء من جامع عبد الرزاق فنراه يتجشم نسخه بيمينه ، ثم نراه يولى قراءته مرة بعد مرة ، فقرأه على الثقة الصالح خزيفة بن سعد فى سنة ٥٥٨ ـ ثم قرأه على عبد الواحد البارزى فى سنة ٥٥٩ ، ثم نراه يسمعه على شهدة بقراءة غيره سنة ٥٧١ .

و نراه يسمع بنسخته المحدثين حتى يكتبوا عليها سماعاتهم ، فسمع بها لمحمد ابن أبى بكر بن أحمد البصرى ، وسمع بها لأحمد بن أبى بكر بن أبى السعادات المعروف بابن البندنيجى ، و سمع بها للحافظ عبد الغنى المقدسى الامام ـ و سمع بها للحافظ عبد القادر الرهاوى .

وما زال هذا الجزء عنده يقرأ فيه و يعيره لغيره حتى انتقل فى وقت ما إلى خزانة كتب الحافظ عمرو بن الحاجب الأمينى ، فوقفه وقفاً مؤبداً ، ثم نرى الحافظ أحمد بن محمود الجوهرى المتوفى سنة ٦٤٣ ، يذهب به إلى مصر ، ويقرأ فيه عند الامام العالم على بن هبة الله المعروف بابن الجميزى بمنزله ، فى سنة ٦٢٤ ، فيسمعه بقراءته المحدث الرحال على بن بلبان المقدسى المتوفى ٦٨٤ ، و يكتب فيه ابن الجوهرى السماع بقلمه فيقول : قرأت جميع هذا الجزء الأول من جامع عبد الرزاق . . . على الشيخ الفقيه . . . المعروف بابن الجميزى (إلى قوله) و كتب أحمد بن محمود بن أحمد بن نبهان الجوهرى إلخ .

ثم إن ابن الجوهرى الحافظ يزداد شغفه بجامع عبد الرزاق فيحصل الجزء الثانى و الثالث و الرابع منه فينسخها و يضيفها إلى الجزء الأول ، ثم يحضر مجلس مسندة الشام كريمة بنت عبد الوهاب ببستانها بالميطور فيقرأ عليها الأجزاء الأربعة فى نسخته ويكتب السماع بخطه على الورقة الأخيرة من نسخة نصر بن أبى الفرج ونصه باختصار : قرأت جميع هذا الجزء الأول وما بعده من الأجزاء الأربعة وهو جميع كتاب الجامع لعبد الرزاق بن همام على الحرة الأصيلة أم الفضل كريمة ابنة عبد الوهاب ـ ثم ذكر إجازتها من مشايخها و سرد أسماء من سمع بقراءته ـ ثم كتب : وصح

و كتب أحمد بن محمود بن إبراهيم بن نبهان بن الجوهرى . . . سنة أربعين و ست مائة بالمبطور بظاهر دمشق و كانت القراءة من نسختى .

انتهى ما كنا نريد أن نتحدث عن هذه النسخة ، و لنرجع الآن إلى النسخة الأخرى ، فنقول : هى نسخة جميلة الخط جداً لصاحبها تقى الدين القلقشندى من أنجب تلامذة الحافظ بن حجر ، و النسخة أراها بخطه ، مكتوب على ظاهر ورقته الأولى الجزء الأول من كتاب الجامع تأليف الامام عبد الرزاق بن همام الصنعانى) .

رواية أبى بكر أحمد بن منصور الرمادى عنه

رواية إسماعيل .... الصفار عنه

رواية .... ابن بشران المعدل عنه

رواية أبى عبد الله .... النعالى عنه

رواية شهدة بنت أحمد .... الكاتبة عنه

رواية ... على ...... ابن بنت الجميزى عنه

رواية يحيى بن يوسف المصرى عنه

رواية .... السويداوى عنه

رواية الحافظ ...... ابن حجر العسقلانى عنه

رواية ... عبد الرحمن ... القلقشندى عنه

و كتب فى أسفل تلك الصفحة التى فيها اسم الكتاب ، صاحب النسخة التقى القلقشندى ، ما صورته سمعه على الشيخ الامام ... ابن حجر العسقلانى بسنده بقراءة المحدث الأوحد قطب الدين الخيفرى . . . الامام العلامة على بن أحمد القلقشندى و ولداه . . . و أخوه ـ لأبيه أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد . . وذا خطه . . و آخرون كتبوا على الأصل ، وصح ذلك ليلة الجمعة السابع عشر من شعبان المكرم من سنة ٨٤٣ . . . و أجاز (باختصار) .

حسان بن ثابت الأنصارى

و شعره الإسلامى

{ ١ }

سعيد الأعظمى

شاعر إسلامى فذ :

لم يوجد من شعراء العرب فى الاسلام من جند مواهبه الشعرية فى الدفاع عن الاسلام و الدعوة إليه بكل فن من فنون الكلام، مثل حسان بن ثابت رضى الله عنه، فانه هو الذى وضع طاقاته الكلامية ومؤهلاته الفنية كلها فى خدمة النبى ﷺ ونصرته والذود عنه، ومدحه، و الاعتزاز بالاسلام والفخر بانتمائه إليه، ولذلك نرى أن شعره الاسلامى فى فترة عشر سنوات فقط تجاوز الرقم القياسى و أصبح أضعاف شعره الذى قرضه فى الجاهلية التى طالت فترتها وامتدت إلى ستين سنة من عمره، ولا تقل حياته الشعرية فيها عن أربعين سنة.

شعره الاسلامى حافل بالروح و التأثير :

ولكن شعره الذى قرضه فى حياة النبى ﷺ فى المناسبات الدينية الخالصة، يمثل شعره الاسلامى ويعتبر بحق شعراً قوياً حافلا بالروح والتأثير وقد استعمل فيه الفنون الكلامية كلها من الفخر والهجاء والمدح والرثاء والغزل والوصف والحكمة والرد على المناوئين وتعييرهم، والانتصار للرسول ﷺ والدفاع عن الدعوة الاسلامية والاسلام مما جعل شعره الاسلامى مجموعة حية تمثل تاريخ الاسلام ونموه فى أيام انتصار الاسلام الأولى التى بدأت منذ الهجرة إلى المدينة المنورة.

حسان بن ثابت فاق فى شعره الاسلامى جميع الشعراء المخضرمين كيفاً وكماً، و أتى فيه من المعانى الشعرية المبتكرة بشئ عجيب يدهش العقول، ولذلك نرى أن «الناس» أثاروا غبار الشك حول قصائده الاسلامية وشعره الذى قاله فى الأغراض

الاسلامية ، و ذلك توخياً منهم أن يحطوا قيمة شعره الاسلامى ، ويضعفوا مكانته السامقة الذرى فى الشعر الاسلامى خاصة ،ولكن هؤلاء النقاد الذين أنكروا فى كثير أبياته الاسلامية صحة نسبتها إليه ، لم يروا أى بأس فى شعره الجاهلى ، و أقروه بشئ كثير من رحابة الصدر ، وعظموه ورفعوا منزلته الفنية .

نحن لا ننكر أن مناوئيه ممن حاولوا أن يدسوا فى شعره الاسلامى ما لم يكن من كلامه أو ينسبوا إليه ما لم يقله مما يعيب شعره وينقص قيمته ، لم يتوخوا من وراء ذلك إلا أن يثبتوا أن الاسلام لا يشجع الشعر و الشعراء ، بل إنه يخمد القرائح ويبلد الشعور ويثبط الهمم ، ويأتى على الملكات الشعرية والأدبية ، ويستنكر القريض ، وهم يقولون : إن القرآن قد أنكر الشعر و الشعراء ورفضهما .

مكانة حسان لدى النبي ﷺ :

و لا حاجة إلى إعادة ما قد تحدثنا عنه حول الشعر فى الاسلام وكيف أن الاسلام شجعه ونزهه من المعانى المنكرة والصور القبيحة ، وزينه بالمعانى و الأفكار الجميلة اللطيفة ، و قد نال حسان بن ثابت لدى النبي من المكانة العظيمة ما لا يخفى على النقاد ومؤرخى الآداب العربية .

ونتيجة لمدى الثقة التى نالها حسان من النبى ﷺ كان أثيراً مكرماً فى عين النبى ﷺ .

و كان يستنشده فى المناسبات ، ويصغى إلى كلامه ، و أحياناً كان يأمره بانشاد قصيدة جاهلية ، كما قد روى ابن عساكر عن محمد بن مسلمة الأنصارى ، قال « كنا يوماً عند النبى ﷺ فقال لحسان بن ثابت أنشدنى قصيدة من شعر الجاهلية ، فان الله تعالى قد وضع عنا آثامها فى شعرها و روايته ، فأنشد قصيدة للاعشى هجا بها علقمة بن علاثة :

علقـــم ما أنت إلى عامر الناقض الأوتار و الواتر

فقال النبي ﷺ : يا حسان لا تعد تنشدنى هذه القصيدة بعد مجلسك هذا، فقال: يا رسول الله تنهانى عن رجل مشرك مقيم عند قيصر، فقال ﷺ : يا حسان أشكر الناس للناس أشكرهم لله تعالى، وإن قيصر سأل أبا سفيان بن حرب عنى فتناول منى (وفى خبر آخر : فشعث منى) وإنه سأل هذا عنى فأحسن القول فشكره رسول الله ﷺ على ذلك، وروى من وجـــه آخر أن حسان قال : يا رسول الله من نالتك يده، وجب علينا شكره » (١) .

حسان يمدح المطعم بن عدى :

و قد كان المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف له دور كبير فى نقض الصحيفة التى تكاتبت فيها قريش على بنى هاشم و بنى المطلب، وهو الذى أعلن براءته إلى الله مما كتب فيها فقام إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا « باسمك اللهم » فقال حسان بن ثابت يبكى المطعم بن عدى حين مات ويذكر قيامه فى نقض الصحيفة (٢) .

أعين الا ابكى سيد الناس واسفحى بدمع فان أنزفته فاسكبي الدما (٣)
وبكى عظيم المشعرين و ربهـا على الناس، معروف له ما تكلما
فلو كان مجد يخلد اليوم واحداً من الناس أبقى مجده اليوم مطعما
أجرت رسول الله منهم فأصبحوا عبادك ما لبى ملب و أحرما
فلو سئلت عنه معد بأسرها وقحطان أو باقى بقية جرهما

(١) الامام عبد القاهر الجرجانى فى دلائل الاعجاز ص ١٦/ .
(٢) راجع سيرة ابن هشام ج ٢/ص ١٥ .
(٣) أنزفته : أنفدته .

لقالوا : هو الموفى بخفرة جاره وذمته يوماً إذا ما تذمما (١)
فما تطلع الشمس المنيرة ، فوقهم على مثله ، منهم أعز و أكرما
إباء إذا يأبى ، و أكرم شيمة وأنوم عن جار ، إذا الليل أظلما (٢)

قال ابن هشام فى سيرته :

« و أما قوله « أجرت رسول الله منهم » فان رسول الله ﷺ لما انصرف من أهل الطائف ، و لم يجيبوه إلى ما دعاهم إليه من تصديقه ونصرته ، صار إلى حراء ، ثم بعث إلى الأخنس بن شريق ليجيره ، فقال : أنا حليف ، و الحليف لا يجير فبعث إلى سهيل بن عمرو ، فقال : إن بنى عامر لا تجير على بنى كعب ، فبعث إلى المطعم بن عدى فأجابه إلى ذلك ، ثم تسلح المطعم و أهل بيته و خرجوا حتى أتوا المسجد ثم بعث إلى رسول الله ﷺ ، أن ادخل ، فدخل رسول الله ﷺ فطاف بالبيت وصلى عنده ، ثم انصرف إلى منزله ، فذلك الذى يعنى حسان ابن ثابت » (٣) .

و قال حسان بن ثابت أيضاً يمدح هشام بن عمرو (٤) لقيامه فى الصحيفة :

هل يوفين بنو أمية ذمة عقداً كما أوفى جوار هشام
من معشر لا يغدرون بجارهم للحارث بن حبيب (٥) بن سخام

---

(١) الخفرة : العهد ، تذمم : طلب الذمة وهى العهد .

(٢) أنوم عن جار : يريد أنه لا يوذى جاره.
ديوان حسان ، طبع دار صادر ، بيروت .

(٣) سيرة ابن هشام ج ٢ / ص ٢٠ ـ ٢١ .

(٤) أسلم هشام بن عمرو ، و كان من المؤلفة قلوبهم .

(٥) هو تصغير حبيب بالتخفيف و لكن شدده للضرورة .

و إذا بنو حسل أجاروا ذمة — أوفوا و أدوا جارهم بسلام (١)

حسان مع أبي أزيهر الدوسي :

كان أزيهر الدوسي رجلا شريفاً فى قومه فعدا هشام بن الوليد بن المغيرة عليه فقتله بعقر (٢) الوليد الذى كان عنده ، تنفيذاً لوصية أبيه إياه ، و كان أبو أزيهر قد زوج الوليد بنتا ثم أمسكها عنه فلم يدخلها عليه حتى مات ، ولذلك كان الوليد قد أوصى ابنه هشاماً بأخذ العقر من أبي أزيهر الدوسي وذلك بعد ما هاجر رسول الله عليه وسلم إلى المدينة ، وكان قد مضى بدر ، وكانت عاتكة بنت أبي أزيهر الدوسي عند أبي سفيان بن حرب فكان صهراً له ، هنالك انبعث حسان ابن ثابت يحرض فى دم أبي أزيهر ويعير أبا سفيان خفرته ويجبنه :

و يقول :

غدا أهل حضنى ذى المجاز بسحرة — وجار ابن حرب بالمحصب ما يغدو (٣)
كساك هشام بن الوليد ثيابه — فأبل و أخلف مثلها جدداً بعد (٤)
قضى وطراً منه فأصبح غادياً — وأصبح رخواً ما تخب وما تعدو (٥)
فلو أن أشياخاً ببدر شهوده — لبل متون الخيل معتبط ورد (٦)
فما منع العير الضروط ذماره — وما منعت مخزاة والدها هند (٧)

(١) المصدر السابق .

(٢) العقر (بالضم) دية الفرج المغصوب .

(٣) ذوالمجاز موضع بمنى ، وحضناه ، جانباه ، المحصب : موضع رمى الجمار بمنى .

(٤) اراد بالثياب ، العار الذى لزمه بقتل صهره .

(٥) الوطر : الأرب والحاجة ، الخبب ضرب من العدو .

(٦) بل متون الخيل بالدم ، المعتبط : الدم الطرى ، الورد : الأحمر .

(٧) أراد بالعير الضروط أباسفيان ، الذمار ما يلزم حفظه وحمايته ، المخزاة العار .

و جاء فى سيرة ابن هشام برواية ابن اسحاق :

لم يكن فى بنى عبد الأشهل منافق ولا منافقة يعلم ، إلا أن الضحاك ابن ثابت أحد بنى كعب رهط سعد بن زيد قد كان يتهم بالنفاق و حب يهود فقال حسان :

من مبلغ الضحاك أن عروقه ... أعيت على الاسلام أن تتمجدا
أتحب يهدان الحجاز و دينهم ... كبد الحمار ولا تحب محمدا (١)
و إذا نشا لك ناشئ ذو غرة ... فه الفؤاد أمرته فتهودا (٢)
لو كنت منا لم تخالف ديننا ... وتبعت دين عتيك حين تشهدا (٣)
دينا لعمرك ما يوافق ديننا ... ما استن آل بالبدى و خودا (٤)

(١) يهدان بمعنى اليهود ، كبد الحمار ، منصوب بفعل محذوف ، وهو : أعنى .

(٢) يعنى إذا ولد لك مولود ذوغرة غير مجرب للامور ، فه الفؤاد : عاجز القلب ، من الفهاهة ، وهى العى و العجز عن الكلام .

(٣) لعل المراد من عتيك ، عاتك ، يعنى كريماً و يكون ذلك وصفا لسيدنا الرسول ﷺ ، خصوصاً وقد قال ﷺ يوم حنين : أنا ابن العواتك من سليم » و العواتك جمع العاتكة ، وهن ثلاث ، عاتكة بنت هلال ، وعاتكة بنت مرة بن هلال و عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال ، و كلهن من جدات النبي ﷺ .

(٤) ما استن آل ، يعنى ما دام السراب جارياً فى وادى البدى ، وهو واد لبنى عامر بن صعصعة ، و خود السراب بتشديد الواو ، اهتز كأنه يضطرب ، يقول : إن دين اليهودية لا يوافق ديننا ما دام السراب جارياً فى البدى ومضطرباً فيه ، (أنظر السيرة لابن هشام ج ٢ / و ديوان حسان) قافية الدال .

شعره فى الغزوات الاسلامية :

لقد كان له أكبر نصيب من الشعر فى الغزوات الاسلامية ، ساعدته فى ذلك قريحته الشعرية الوقادة ، و شعوره بعجزه عن مواجهة العدو بالسلاح فى ميدان القتال ، فأبدله الله سبحانه و تعالى ذلك بالشعر الحى الأغر ، ذى التأثير والقوة ، الذى كان يفوق السلاح ، و يوجع الأعداء ، و ينال منهم كل منال ، و كان أشد عليهم من السيف و السنان ، و أقذع عليهم من الضرب و الفتك .

و هذه قصيدة قالها يوم بدر ، لما أمر رسول الله ﷺ بقتلى المشركين أن يطرحوا فى القليب ، و حيث طرحوا فى القليب وقف عليهم رسول الله ﷺ فقال : « يا أهل القليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ، فانى قد وجدت ما وعدنى ربى حقا » وقد أثار الموقف معانى شعرية جميلة فى نفس حسان فقال :

عرفت ديار زينب بالكثيب ... كخط الوحى فى الورق القشيب (١)
تعاورها الرياح و كل جون ... من الوسمى منهمر سكوب (٢)
فأمسى رسمها خلقا و أمست ... يبابا بعد ساكنها الحبيب (٣)
فدع عنك التذكر كل يوم ... ورد حزازة الصدر الكئيب (٤)
وخبر بالذى لا عيب فيه ... بصدق غير اخبار الكذوب

---

(١) الكثيب : القطعة المحدودبة من الرمل ، الوحى : الكتابة و المكتوب ، القشيب ، الجديد ، شبه آثار الديار بالسطور المكتوبة .

(٢) تعاورها بحذف إحدى التائين : بمعنى تتداولها ، الجون : السحاب الأسود ، الوسمى : مطر أول الربيع ، منهمر بمعنى سائل .

(٣) خلقا يعنى باليا ، اليباب ، الخراب الذى ليس فيه أحد .

(٤) الحزازة ما أوجع فى القلب وحزه من غيظ ، من حز يحز ، بمعنى قطع .

بما صنع المليك غداة بدر لنا فى المشركين من النصيب (١)
غداة كأن جمعهم حراء بدت أركانه جنح الغيوب (٢)
فوافيناهم منا بجمع كأسد الغاب، مردان و شيب (٣)
أمام محمد قد آزروه على الأعداء فى لفح الحروب (٤)
بأيديهم صوارم مرهفات و كل مجرب خاظى الكعوب (٥)
بنو الأوس الغطارف آزروها بنو النجار فى الدين الصليب (٦)
فغادرنا أباجهل صريعاً وعتبة قد تركنا بالجبوب (٧)

---

(١) يشير إلى الفتح و الانتصار الذى أكرم الله به المسلمين فى غزوة بدر .

(٢) يشبه تجمع المشركين فيها بجبل حراء ، الغيوب جمع الغيب ، ما اطمأن من الأرض ، وجنح بمعنى الناحية ، وفى رواية جنح الغروب ، يعنى وقت غروب الشمس .

(٣) شبه جمع المسلمين بأسود الغابة . مردان جمع أمرد وهو الشباب الذى طرشاربه ولم تنبت لحيته ،وشيب جمع أشيب، بمعنى الشيخ .

(٤) آزروه بمعنى عاونوه شدوا أزره ، لفح الحروب يعنى شدة الحرب .

(٥) صوارم جمع صارمة بمعنى السيوف القواطع ، مرهفات بمعنى مشحذات ، مجرب يريد به الرمح الذى تمرس بالحروب ، خاظى الكعوب ، يعنى مكتنز الكعوب ، وهو من خظا يخظو ، اللحم إذا اكتنز .

(٦) الغطارف جمع غطريف ، السيد ، الصليب من الصلابة بمعنى الشديد والمتين ، آزرتها ، من الموازرة ، ويقال وازرتها ، بمعنى عاونتها .

(٧) الجبوب ، الأرض الغليظة.

و شيبة قد تركنا فى رجال ذوى حسب إذا نسبوا نسيب (١)
يناديهم رسول الله لما قذفناهم كباكب فى القليب (٢)
ألم تجدوا حديثى كان حقاً و أمر الله يأخذ بالقلوب
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا : صدقت ، و كنت ذا رأى مصيب

و قال حسان يفخر بقومه الأنصار ويشير إلى ما كان من تغرير ابليس بقريش يوم بدر :

قومى الذين هم آووا نبيهم و صدقوه و أهل الأرض كفار
إلا خصائص أقوام هم سلف للصالحين مع الأنصار أنصار
مستبشرين بقسم الله قولهم لما أتاهم كريم الأصل مختار
أهلا وسهلا ففى أمن وفى سعة نعم النبى و نعم القسم و الجار
فأنزلوه بدار لا يخاف بها من كان جارهم داراً هى الدار
و قاسموه بها الأموال إذ قدموا مهاجرين ، و قسم الجاحد النار
سرنا و ساروا إلى بدر لحينهم لو يعلمون يقين العلم ما ساروا (٣)

---

(١) يشير إلى قتلى المشركين الذين كانوا من علية القوم و رجالات قريش ذوى الأنساب العالية كعتبة و شيبة ابنى ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأبى البخترى ابن هشام و أمية بن خلف وحنظلة بن أبى سفيان و أبى جهل بن هشام ، و كان عدد القتلى نحو السبعين مقتولا ، و كذلك الأسرى ، و كلهم من وجهاء القوم .

(٢) كباكب جمع كبكبة ، والكبكبة ، جماعة من الناس ، القليب : البئر القديمة ، يذكر و يونث .

(٣) الحين بفتح الحاء الموت أو الهلاك ، يعنى أن مشركى مكة توجهوا إلى بدر لقتال المسلمين ، حينما دلاهم ابليس بغرور ، ولو أنهم علموا ما كان من مصيرهم لما انخدعوا .

دلاهم بغرور ثم أسلمهم — إن الخبيث لمن والاه غرار (١)
و قال : إنی لکم جار فأوردهم — شر الموارد فیه الخزی و العار
ثم التقینا فولوا عن سراتهم — من منجدین، ومنهم فرقة غاروا (٢)

أبیات أخری فی یوم بدر :

یذکر فیها سراة القوم الذین قتلوا من المشرکین، ویتأسف علی سوء مصیرهم، لأنهم کفروا بالله وآذوا رسوله ﷺ، وأتوا من مکة لیقاتلوه فقوتلوا حتی قتلوا شر قتلة :

ألا لیت شعری هل أتی أهل مکة — إبارتنا الکفار فی ساعة العسر (٣)
قتلنا سراة القوم عند مجالنا — فلم یرجعوا إلا بقاصمة الظهر (٤)
قتلنا أبا جهل و عتبة قبله — و شیبة یکبو للیدین و للنحر
قتلنا سویداً ثم عتبة بعده — و طعمة أیضاً عند ثائرة القتر (٥)
فکم قد قتلنا من کریم مرزء — له حسب فی قومه نابه الذکر
ترکناهم للعاویات ینبنهم — و یصلون ناراً بعد حامیة القعر (٦)

(١) یرید به إبلیس اللعین الذی یخدع کل من والاه .
(٢) سراة جمع سری بمعنی الخیار والوجهاء، منجدین یعنی مرتفعین إلی النجد من الأرض ، غاروا بمعنی ذهبوا إلی الغور من الأرض متفرقین ومتشتتین .
(٣) إبارة مصدر أبار یبیر بمعنی الاهلاك .
(٤) قاصمة الظهر : الداهیة التی تقصم الظهور ، یقال قصم الشئ ، إذا کسره فأبانه ، و إذا کسره و لم یبنه فصم ، بالفاء .
(٥) القتر : الغبار ، و ثائرة القتر ، ما ثار منه و ارتفع .
(٦) العاویات ما یعوی من الذئاب والسباع ، ینبنهم من ناب ینوب : إذا جاء مرة بعد أخری ، و فی روایة : ینشنهم .

لعمرك ما حامت فوارس مالك و أشياعهم يوم التقينا على بدر (١)

وقال لحكيم بن حزام بن خويلد فى بدر: ويمدح كتائب قومه الذين حضروا فى بدر :

نجى حكيما يوم بدر ركضه كنجاء مهر من بنات الأعوج (٢)
ألقى السلاحَ و فر عنها مهملا كالمبرزى يزل فوق المنسج (٣)
لما رأى بدراً تسيل جلاهها بكتائب ملأوس أو ملخزرج (٤)
صبر يساقون الكماة حتوفها يمشون مهيعة الطريق المنهج (٥)
كم فيهم من ماجد ذى سورة بطل بمكرهة المكان المحرج (٦)
و مسود يعطى الجزيل بكفه حمال أثقال الديات متوج (٧)

(١) حامت من الحماية بمعنى امتنعت، ويروى خامت بالخاء المعجمة بمعنى جبنت.

(٢) النجاء : السرعة ، مهر : ولد الفرس ، الأعوج: فرس كان لبنى هلال بن عامر بن صعصعة ، لم يكن فى العرب أشهر و لا أكثر نسلا منه .

(٣) فر عنها : أى عن بدر ، المبرزى ، الجيد الرمى بالسهام ، و الحازم من الرجال، مهملا: مثل الابل السائبة، منسج الفرس ما شخص منه من فروع الكتفين إلى أصل العنق و هو للفرس بمنزلة الكاهل للانسان .

(٤) جلاه جمع جلهة : و هى جانب الوادى ، يعنى لما رأى جوانب بدر تسيل بكتائب من الأوس و الخزرج .

(٥) مهيعة الطريق و منهجه بمعنى الواضح منه ، يساقون بمعنى يسقون .

(٦) بمكرهة المكان ، يعنى بالمكان المكره الشاق الحرج .

(٧) يعنى كم فيهم من مسود (السيد) يحملون الديات ، و حمل الديات من شيم السادة ، المتوج ، الذى توج بالسيادة .

أو كل أروع ماجد ذی مرة　　أو كل مسترخی النجاد مدجج (١)
و بها ابن حمراء العجان حويرث　　يغلی الدماغ به كغلی الزبرج (٢)

وروی ابن هشام البيت التالی أيضاً بعد البيت « ومسود يعطی الجزيل الخ »

زين الندی معاود يوم الوغی　　ضرب الكماة بكل أبيض سلجج (٣)

و قال فی يوم بدر يعتز بالمسلمين ، و يهجو المشركين :

فما نخشی بحول الله قوماً　　و إن كثروا و أجمعت الزحوف
إذا ما ألبوا جمعاً علينا　　كفانا حدهم رب رؤوف
سمونا يوم بدر بالعوالی　　سراعاً ما تضعضعنا الحتوف (٤)
فلم تر عصبة فی الناس أنكی　　لمن عادوا إذا لقحت كشوف (٥)
و لكنا توكلنا و قلنا　　مآثرنا و معقلنا السيوف
لقيناهم بها لما سمونا　　و نحن عصابة و هم ألوف

و قال و هو يهجو بنی جمح و من أصيب منهم يوم بدر :

جمحت بنو جمح لشقوة جدهم　　إن الذليل موكل بذليل

---

(١) أروع : الرجل الكريم ذو الجسم و الجهارة و الفضل و السؤدد ، أو الجميل الذی يروعك حسنه ، ذی مرة : بكسر الميم بمعنی ذی قوة . استرخاء النجاد ، كناية عن الشجاعة ، المدجج ، الفارس الذی دخل فی سلاحه .

(٢) ابن حمراء العجان : العجمی ، الزبرج : الذهب .

(٣) الندی : المجلس ، معاود : يعود مرات و كرات ، أبيض : سيف لامع ، السلجج : الماضی الذی يقطع الضريبة بسهولة .

(٤) العوالی : يريد بها الرماح ، ما تضعضعنا الحتوف ، يعنی ما يذلنا ولا يضعفنا الموت .

(٥) الكشوف بفتح الكاف : الناقة التی يضربها الفحل فی الوقت الذی لا تشتهی فيه الضراب ، ولقحت بمعنی حملت ، يريد بها اشتداد الحرب بعد سكونها .

قتلت بنو جمع ببدر عنوة ... و تخاذلوا سعياً بكل سبيل (١)

جحدوا الكتاب وكذبوا بمحمد ... و الله يظهر دين كل رسول

لعن الإله أبا خزيمة و ابنه ... و الخالدين و صاعد بن عقيل (٢)

و يروى البيت التالى كذلك مع هذه الأبيات :

تركوا الحجون و من يقاتل منهم ... و تخاذلوا لؤماً فشر قبيل (٣)

لما قتل أعيان المشركين فى بدر و علم بذلك كعب بن الأشرف اليهودى قال: أحق هذا ؟ أترون أن محمداً (ﷺ) قتل هؤلاء الذين كانوا أشراف العرب و ملوك الناس ، و الله لئن كان محمد أصاب هولاء القوم ، لبطن الأرض خير من ظهرها ، ولكنه لما تيقن الخبر خرج حتى قدم مكة وجعل يحرض على رسول الله ﷺ و ينشد الشعر ، و يبكى أصحاب القليب من قريش ممن أصيبوا ببدر فى أبيات ، أولها :

طحنت رحى بدر لمهلك أهله ... و لمثل بدر تستهل و تدمع

فرد عليه حسان قائلا :

أبكى لكعب ثم عل بعبرة ... منه و عاش مجدعا لا يسمع (٤)

---

(١) عنوة : قهراً و غلبة ، و قد تكون بمعنى الطاعة فى لغة هذيل .

(٢) أبو خزيمة : عمير بن وهب الجمحى ، وابنه وهب بن عمير أسر يوم بدر ، و الخالدان : خالد بن هشام بن المغيرة المخزومى ، و خالد بن الأعلم العقيل حليف بنى مخزوم .

(٣) انظر شرح ديوان حسان ، تحقيق دكتور سيد حنفى حسنين ، طبع القاهرة .

(٤) عل من العلل ، وهو الشرب بعد الشرب ، يريد البكاء بعد البكاء ، مجدعاً : ذليلا ، مقطوع الخير .

و لقد رأيت ببطن بدر منهم قتلى تسح لها العيون وتدمع
فابكى فقد ابكيت عبداً راضعاً شبه الكليب إلى الكليبة يتبع
و لقد شفى الرحمن منا سيداً و أهان قوماً قاتلوه و صرعوا
ونجا و أفلت منهم من قلبه شعف يظل لخوفه يتصدع (١)

ولما قتل كعب بن الأشرف بأمر من رسول الله ﷺ وقتل سلام ابن الحقيق، قال حسان بن ثابت الأبيات الآتية فى هذه المناسبة :

لله در عصابة لاقيتهم يا بن الحقيق وأنت يا بن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف إليكم مرحاً كأسد فى عرين مغرف (٢)
حتى أتوكم فى محل بلادكم فسقوكم حتفاً ببيض ذفف (٣)
مستنصرين لنصردين نبيهم مستصغرين لكل أمر مجحف

« يتبع »

(بقية المنشور على ص ١٠٠)

ثم الاقتراحات والتوصيات ، ثم استقالة اللجنة و إجراء انتخابات جديدة .
فى المساء : كانت محاضرة بعنوان « الولاء » .
ثم فيلم عن « التوجه لتطبيق الشريعة الاسلامية فى السودان »
٢٨ / ١٢ / ٨٤
قام الاخوة برحلة برسلا بالباصات وكانت ترفيهية تخللتها مسابقة ثقافية وسمر ختامى.
وقد غادر الاخوة إلى مناطقهم فى اليوم التالى مودعين بمثل ما استقبلوا به من حفاوة ، معاهدين الله على العمل للسير قدماً .

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٣/ص ٥٦ .
(٢) العرين المغرف : موضع الأسد الذى فيه الأشجار الملتفة .
(٣) البيض : السيوف اللامعة ، ذفف : سريعة القتل .

صفحة من تاريخ تركستان الغربية

الدكتور عبد الله الطرازى

إن تركستان الغربية تضم فى ربوعها و أرجائها ثلاث إمارات تاريخية إسلامية الا و هى إمارة فرغانة و إمارة بخارا ، و إمارة خيوة ، و عدد المسلمين الآن فى تركستان الغربية يزيد على خمسين مليوناً ، و بهذا تكون تركستان أكثرية المسلمين للبلاد الاسلامية التى تقع تحت الاستعمار الروسى .

كانت تركستان بإماراتها الثلاث مستقلة بحيث تتمتع كل إمارة منها بحريتها و استقلالها و تعيش هادئة مطمئنة إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى حيث استولى الروس على إماراتها فى الربع الأخير من ذلك القرن ، و إذا نظرنا إلى تاريخ هذه البلاد الاسلامية فانه يفيد أن الروس استولوا على إمارة فرغانة سنة ١٨٧٦م و ذلك فى عهد الأمير خدايار خان كما استولى الروس على إمارة بخارا سنة ١٨٥٠م ابتداء من عهد الأمير السيد مظفر خان حيث جعلها تحت الانتداب و الحماية واستولوا على إمارة خيوة سنة ١٨٧٣م .

و قد دامت تركستان بإماراتها الثلاث تحت حكم روس تزار و اندابه لبخارا إلى أن سقط الملك نيقولاى عن عرشه ، وذلك بعد الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٧م ثم قامت حكومة كورينسكى وحان الوقت للحصول على الاستقلال لكل شعب ولكل بلاد ، فقامت الحركة الوطنية لتحرير تركستان و أعلن التركستانيون خطة حريتهم

و استقلال بلادهم ولكن خابت الحركة الوطنيـة و الجهود الشعبية لأسباب أهمها الاختلاف بين كبار الزعماء ولا سيما بسبب تدخل الروس الأبيض أنصار نيقولاى فى شؤونهم وتسلله بينهم تسلل الذئب بين الغنم ، وفى سنة ١٩١٨ اجتمع المندوبون فى مؤتمر شعبى عام فى بلدة ياسة و انتخبوا وكلاء الشعب التركستانى للاشتراك فى مجلس تقرير مصير الحكومات فى روسيا الذى كان ينعقد فى موسكو ولكن الروس الشيوعى فاجاهم بالاستيلاء على تركستان ، فقد تسلط على بلاد فرغانة طاشكند سنة ١٩١٨م و تسلط على بلاد خيوة سنة ١٩٢٠م .

قلنا فيما سبق : إن الروس استولوا على إمارة بخارا ، وجعلوها تحت الانتداب وامتد الانتداب إلى آخر عهد الأمير السيد محمد عالم خان بن الأمير السيد عبد الأحد خان ، حتى تسلط الروس الشيوعى على بلاد بخارا سنة ١٩٢١م حيث قضى على دولة إسلامية كبيرة فى آسيا ، التى أسسها الأمير شاه عبد الرحيم خان سنة ١١١٦ الهجرية ، و دامت فى خدمة الاسلام والمسلمين إلى سنة ١٣٣٩م الهجرية ثم التجأ الأمير السيد محمد عالم خان و أسرته إلى أفغانستان و توفى الأمير فيها سنة ١٩٤٤م .

إن المظالم القاسية التى تسود تركستان ليست كما سمع الناس أو يسمعون ، كما أنها ليست كما رأوا أو يرون على صفحات التاريخ و فى حوادث الدنيا الجديدة فى سائر أنحاء الأرض و أقطارها مهما كبرت خطورة ، و إن الحكم الشيوعى الذى يسود الآن على المسلمين هناك منذ ست و ستين سنة لا يشبه أى حكم و لا يقاس على أى وضع ، فان الحكم هناك فى منتهى القسوة و الفوضى .

إن الحكم هناك حكم قضى على الحركة الفردية والحرية الاجتماعية ، حكم قضى على حرية الرأى و التفكير ، حكم قضى على حرية الصحافة والنشر ، حكم قضى على

حرية التكوين و الاجتماع ، حكم قضى على حرية التعلم و الثقافة ، حكم قضى على حرية الأديان ، حكم قضي على المسلمين الأبرياء بالقتل والنفى و التشريد ، حكم قضى عليهم بالحبس و التعذيب و التجريد .

و بالاجمال فان الحكم هناك قضى على حرية الحياة فى جميع حقوقها و شؤونها تلك الحرية الطبيعية التى ينشدها كل إنسان من كبير وصغير بطبيعته التى خلق عليها.

إن الحكم الشيوعى هناك حكم قضى على كل هذه الحريات ، فلا حرية لأحد إلا لمن اعتنق الشيوعية كما أنه لا حرية لجماعة إلا للحزب الشيوعى الذى لا حزب سواه هناك .

إن الشعب التركستانى قد قاوم الاستعمار الروسى فيما مضى ، قاوم الاستعمار الشيوعى بكل قوة و بكل صبر و ثبات ، فقد قامت حركة وطنية ضد الاستعمار الشيوعى فى نواحى فرغانة و سمرقند ، ودامت من سنة ١٩١٨م إلى سنة ١٩٢٦م ، و لكنها فشلت و لا سيما بجهالة بعض رجال العصابات ، وقتل محمد أمين بك قائد الحركة الوطنية ، و كذلك دامت حركة وطنيـــة فى نواحى بخارا تحت قيادة السيد أكرم خان عم الأمير السيد محمد عالم خان آخر أمراء بخارا وانضم إلى قيادته أمثال أجمل بك وبهران بك من أبطال سمرقند ، وذلك ابتداء من سنة ١٩٢١م، كما دامت حركة وطنية تحت قيادة إبراهيم بك زعيم قبيلة لقى إلى سبع سنوات ، و التحق بها أنور باشا البطل التركى وكيلا عاماً من قبل السيد محمد عالم خان بصفته القائد العام ، و شهادة أنور باشا بتاريخ الخامس من أغسطس سنة ١٩٢٢م فى غزوة بلجوان كانت من أكبر أسباب فشل هذه الحركة الوطنية ، ثم قامت حركة وطنيـــة أخرى أثناء الحرب العالمية الثانية و اتخذت التدابير اللازمة للجهاد ضـــد الاستعمار ، و لكن

تغيرات الأخيرة فى الجبهة الغربية بين الروس و الألمان خيبت الآمال ، و كانت ذه الحركة آخر حركات وطنية لتحرير تركستان وبخارا من براثن الشيوعية والحصول لى استقلالهما المأمول .

و من المعروف أن بلاد تركستان و بخارا و سمرقند ، من البلاد الاسلامية لتى كان لها تاريخ عظيم فى خدمة الاسلام والتى كان لها استقلالها وحريتها ، وشئونها مفاخرها ، ثم تناوبتها أيدى الغاصبين ، فقضت على كل ناحية من نواحى حياتها ، لا تزال تلك البلاد تئن تحت الاستعمار منذ سنين طويلة ، و يذوق شعبها أنواع لتعذيب و التشريد ، فهو يعامل فى داخل وطنه كالعبيد ، وأصبح فى نظر كثير من لمسلمين فى الخارج نسياً منسياً ، و قد قتل منه عدة ملايين خلال ستين سنة من عهد الاستعمار و رمى منه الآلاف إلى مهالك النفى وألقى منه المئات فى السجون القاسية « وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد » وقذف منه نحو مليونين إلى نيران الحرب العالمية الأخيرة ، التى لاناقة له فيها ولا جمل ، كما أن عدداً غير قليل أخرجوا من ديارهم بغير حق ، إلا أن يقولوا ربنا الله ، وقد تفرقوا كمهاجرين فى بلاد الشرق الأوسط و فى بعض بلاد أوربا ، و أما الأكثرية من الشعب فلا يزالون مستضعفين فى ديارهم ، ومحرومين من حقوقهم الدينية والاجتماعية والسياسية ، يعيشون كالغرباء الفقراء فى بلادهم العزيزة .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ؟



رجـــل أوربا المريض

واضح رشيد النـدوى

كان هذا التعبير يستخدم فى آخر عهد الخلافة العثمانية ضـد السلطان العثمانى الذى اشتركت القوى الغربية كلها فى الاطاحة بنظامه ، وكانت وراء استخدام هذا التعبير دوافع لها صلة بالوضع الراهن فى ذلك الوقت ، وأطماع الدول الأوربية ، وطبيعة القادة الأتراك الذين تولوا زمام الأمور و صلاحيتهم لحل الأزمات ، وهو حديث الماضى ، وقد عولج ، ونوقش ذلك الموضوع ، ولكن هذا التعبير يصدق كلياً على قيادة الاتحاد السوفيتى ، والنظام القائم فى ذلك البلد اليوم الذى حل محل الامبراطوريات نوية ، فان القيادة فى ذلك البلد منذ عدة سنوات أصبحت قيادة السرير الأبيض ، وفى بعض الأحيان تتعـــدى إلى قيادة التابوت ، و لقيادة المرضى أمثلة فى التاريخ ، و لـكن قيادة الموتى ليس لها نظير فى التاريخ .

فى حالة الاتحاد السوفيتى تكثر حوادث قيادة الموتى ، أو قيادة النعش أو التابوت ، فاذا لقى زعيم من زعمائه حتف أنفه على فراشه الذى تصوره الوسائل السوفيـــة للاعلام بكرسى الحكم ، لا يصـــدر إعلان بموته إلا بعـــد مدة تسوى خلالها مسائل القيادة البديلة ، و فى هذه الفترة تصدر اعلانات باسمه .

ينتخب عادة لتولى القيادة فى الاتحاد السوفيتى رجل غير مستقيم الصحة طاعن فى السن ، وفى غالب الأحيان فوق السبعين و منذ توليه مهام الحكم والسياسة تعتريه الأمراض التى توصف أحياناً باصابته بالبرد ، والحمى ، والنقاهة أو الاجازة ، ويختفى هذا الزعيم الذى يتولى مسئولية تدمير العالم و بنائه ، وتقرير مصيره . ويتحمل عبء نصف الأرض المعمورة ويتطلع إلى الصعود إلى الفضاء وإقامة حكمه عليه ، يختفى أحياناً

من المناسبات القومية و اللقاءات بوصفه مريضاً ، و هو أمر عادى فى السياسة السوفيتية و لا تخفيه وكالات الأنباء السوفيتية .

كان ذلك مصير برزنيف واندربوف ، و المارشال استينوف و الآن تشرنتكو يحكم من السرير الأبيض ، و قد اختلف الصحفيون حول طبيعة مرضه ، فهو مصاب بالزكام وبسبب الزكام لم يحضر العرض العسكرى فى المناسبة القومية ، و لم يجتمع بكثير من زعماء العالم الذين زاروا الاتحاد السوفيتى ، ثم ظهر فجأة عندما اشتدت أزمة بسبب الخلافات حول شخصية وزير الدفاع ، الذى كان مصابا بالزكام ثم اختفى لمرضه، ثم أعلن أنه مات و يقال إن شرنتكو أصيب بنوبة أخرى ولا يزال يظهر و يختفى .

و قد بدأت التكهنات عن خلف له ، لأن صحته لا تسمح له بالتركيز على المسائل القومية ، لكنه يشغل كرسى الحكم و هو على السرير ، ايجد مكانه فى متحف الأبطال السوفيت و لعل المرض الذى يصاب به الزعماء السوفيت هو النزلة الدماغية التى تتطور إلى الشلل الذهنى أو الفالج .

كان تشرنتكو قد شوهد متأرجحاً متلعثماً و هو يلقى الخطاب الأول بعد توليه الحكم و ارتجف صوته ، لأنه لم يحتمل الضغط وتعثر فى الصعود إلى المنصة ومنذ توليه الحكم شوهدت فى السياسة السوفياتية تقلبات كثيرة ، كتقلبات صحته .

و هكذا استمر حكم الرجل المريض فى الاتحاد السوفيتى ، وينتقل الحكم من مريض إلى مريض و لو فوجئ العالم بغياب هذا الزعيم الذى يصاب بغيبوبة متناوبة ، لحل محله مريض آخر لأن الشرط الرئيسى للقيادة فى الاتحاد السوفيتى حسب التجربة أن يكون الرئيس الأعلى فى عمر اليائسين ، لأن الموت هو الوسيلة الوحيدة لتغيير الحكم فى الاتحاد السوفيتى .

كان مرض الأتراك خياليا ، و قد أقامت أوربا الدنيا وأقعدتها ، ولكن مرض زعماء الاتحاد السوفيتى حقيق ، و هو مرض يؤدى إلى الموت دائماً ولكن

لا يتجرأ حتى عالمي ليقول إنه رجل أوربا المريض و لو استمرت هذه القيادات المريضة لتعرض العالم لنوبات تهزكيانه .

كان حكماء الزمن القديم يمنعون من استشارة مريض ، و لكن حكماء هذا العصر يعتبرون المريض أصلح للقيادة و الحكم لأن السياسة المعاصرة ليس لها قيم ، و لا قواعد و لا مبادىء وإنما هي سياسة عائمة متأرجحة ، والمريض أصلح لمثل هذه السياسة ، ليكون كلامه و تصرفه قابلا للتأويل و التعديل و قد حذت حذو الاتحاد السوفيتي عدة بلدان فأسندت أمرها إلى مرضى تنتابهم غيبوبة .

المغتربون و العمل الاسلامى

الانطلاق إلى الاسلام ، حقيقة على مستوى الشعوب ، ويشهد هذا الانطلاق فى كل بلد من البلدان التى يسكنها المسلمون فى عدد وفير فى صورة نشاطات و حركات تهدف إلى العيش كمسلمين ، وثمة مظاهر تشير إلى ازدياد الرغبة فى إظهار الشخصية الاسلامية ، بينما يتصعد الأتجاه إلى الاسلام فى غير المسلمين نتيجة لجهود الدعاة و المفكرين الذين يقومون بشرح الفكرة الاسلامية و عرض رسالة الاسلام والكشف عن زيف الحضارة التى يشق الانسان فيها اليوم لغلبة المادية الطاغية ، وتتبدد السحب التى كان الكتاب الغربيون قد أثاروها لتضليل الرأى العام و تشويه صورة الاسلام و المسلمين .

و لكن هذا الانطلاق إلى الاسلام و الرغبة فى إبراز الشخصية الاسلامية قوى فى البيئات غير الاسلامية حيث نشأت فى المسلمين صلابة ومناعة ذاتية لمعرفتهم بأدواء الحياة المعاصرة وكنتيجة طبيعية للمعاملة التى يلاقيها المسلمون و بصفة خاصة المثقفون منهم ، وتجاربهم المريرة منها التمييز ضدهم فى البيئات غير الاسلامية فيصادفون اعتداء على مصالحهم و غمطاً لحقوقهم لمجرد أسمائهم الاسلامية بجراء الدعاية المكثفة

ضدهم كامنة، والتى لم تنقطع رغم تغير الزمن وتقدم المعرفة، وبهذا التمييز والسلوك الحاقد نشأ فيهم رد فعل و تعزز فيهم الانتماء إلى الاسلام، و الحرص على حماية مصالحه .

نشأت نخوة ، و أنفة ، و حفيظة فى الشباب المسلمين وشعور ووعى بكونهم من أمة تختلف عن تلك الأمم التى يعيشون بينها ، ونشأ فيهم البحث عن حضارتها و مقوماتها العقيدية و الخلقية و الفكرية .

كان جيل الشباب المسلم الذى كان يتوجه إلى أوربا للدراسة أو العيش يندمج فى البيئة الغربية مغموراً ، ثم يعود حاقداً على المجتمع الشرقى ، ولكن التجربة الطويلة للحياة الغربية و انتشار الدعوة الاسلامية غيرت هذا الاتجاه

إن هذا الشعور الذى يولد فى الشباب المسلم طبيعى، فاذا شاهد كريم مظاهرة لؤم، وشجاع مظاهرة جبن ، وحر مظاهرة عبودية وخيانة ، فانه مهما يكن ذا رحابة صدر ،وسعة أفق،وروح مخاطرة، يشعر بكظاظة واشمئزاز وتثور فيه ذاتيته، وإذا لقى أحد إهانة ، وتعرض لمحاولة تزوير و تشويه و دجل ، ثارت فيه أنانيته وعناده ولا يتحمل ذلك إلا من كان جاهلا عن ماضيه وهويته ، و لكنه إذا أدرك أنه سيد سلب شرفه و كرامته ، انتفضت فيه انتفاضة ، و إذا ثارت الغيرة تغيرت الظروف مهما كانت قاسية، و لذلك كان جل اهتمام الغرب أن لا يعرف الجيل المثقف ماضيه المشرق ، فكان شغله فيه مزدوجاً ، تسويد الماضى و تشويهه ، ووضع نظارة سوداء على عيون المبصرين.

كان أصحاب الحضارة المعاصرة لقنوا المسلمين بأن الدين عقبة فى سبيل التقدم وأن التقدم الذى تحقق فى الغرب يرجع إلى اختيار العلمانية وكان الذين تربوا فى أحضان علماء الغرب ، صدقوا نوايا أساتذتهم ، لكن الذين عاشوا مدة طويلة فى البيئة

الغربية جربوا الازدواجية فى موقف علماء الغرب و ساسته فأدركوا أن الغرب لقن المسلمين العلمانية و الثورة على الدين لكنه تمسك هو نفسه بدينه، و ثقافته، وعدائه لغير دينه، و لغير ثقافته، و أن حقده للقوميات و الأديان و العقائد و الثقافات واللغات الأخرى لم يتخفف مهما تقدم فى الحضارة، ومهما تعززت علاقته مع العناصر غير البيضاء، ولم يتخفف حرص الغرب على نشر النصرانية، و لا تتردد كبرى الصحف الغربية المتقدمة فى نشر تقارير صحفية مطولة عن نشاطات جمعيات التنصير فى العالم وما تتلقى من معونات من الدول الغربية الراقيـــة و هجومها على الدعاة إلى الاسلام واتهام حركاتهم بالتزمت و الرجعية و الارهاب، ولا تحتشم فى المطالبـــة بحقوق للمسيحيين و هم أقلية فى البلدان الاسلاميـة، و تكافح جهود تطبيق الشريعـــة الاسلامية. وفى الوقت نفسه تشجع الحكومات المسيحيـة التى تقوم بقمع الأقليات الاسلامية، وتتهم هؤلاء المطالبين بحقوقهم بالارهـــابيين، وتستبيح استعمال أقصى قوة ضدهم.

لقد أبرزت الصحافة الغربية احتجاج النصرانيين فى مصر، والسودان، وبلدان إسلامية أخرى على المطالبة بتطبيق الشريعة التى تطالب بها الأغلبية الاسلامية، وتصر على فرض القانون المدنى الغربى الذى لا يتلاءم مع روح الحياة الاسلاميـــة، و لا يشاهد هذا التمييز فى المجال السياسى و الاعلامى فحسب، بل إن له جذوراً ممتدة، لا تنجو منها مجالات الاسعاف، فقد أصبحت نشاطات الصليب الأحمر الدولى مقصورة على المنـاطق النصرانية و هى خاضعة لنفوذ المبشرين، فاذا قدمت معونة قدمتها تحت مظلة تنصيرية، وهو أمر لا يخفى على أحد، وظهر هذا التمييز بأبشع مظاهرها فى فلسطين، ولبنان، و البلاد التى تعرضت للمآسى أو الكوارث.

وظهر بأبشع مظهر فى معالجة المجاعة أخيراً فى البلاد الافريقية حيث تعرض

المسلمون والنصرانيون لها ، فلاقى النصرانيون معاملة العطف و الرحمة ، أما المسلمون فلم يكونوا موضع اهتمام لهذه الحركات الاسعافية .

و قد أفادت تقارير واردة من الصومال ، واثيوبيا ، وكينيا ، ودول أفريقية فى منطقة المجاعة أن مواد الاسعاف تحول إلى النصرانيين ويحرمها المسلمون .

و من أمثلة التميز أيضاً أن المجاعة التى انتشرت عامة فى المناطق التى تخضع للنصرانية والاشتراكية ولقى ملايين من الناس مصيرهم المحتوم لم تحمل الدول الأوربية على نقد النظم السائدة فيها كما تفعل بالنسبة للسلمين ، فكلما حدثت مأساة فى البلاد الاسلامية استغلت الصحـافة الغربية هذه المأساة للدعاية ضد الاسلام و المسلمين ، وأبرزت مواضع الشقاء والمعاناة ، كما تفعل هذه الصحافة فى معالجتها للظروف السياسية فى البلاد الاسلامية ، وتحمل الاسلام مسئولية هذا الشقاء .

إن العصبية الغربية لثقافتها ودينها ، ونظامها السياسى عصبية تاريخية مستمرة ، وقد أدركت عقول إسلامية ناشئة بهذه العصبية ، التى تجلت فى الأقلام و الحركات والمنظمات ، ولا يستطيع أن يجهلها أحد إلا متجاهل ، ومما يستغرب أن هذا الشعور الذى يعم و يسود ويثير رد فعل فى الشبـاب المسلم المثقف لم يصل حتى الآن إلى الدوائر العليا فى البلاد الاسلامية التى لا تزال تثق بالدول الغربية ، وتعتمد عليها ، وتؤمن بحيادها و موضوعيتهـا فى المصالح العالمية ، و إنهـا لا تزال تتمسك بموقف الحياد إلى الاسلام دون الأغلبية ، بل فى كثير من المناطق تسلك مسلك المعارض و المناوىء للتيار الاسلامى ، فيلاقى العمل الاسلامى رواجاً فى أقطار غير إسلامية ، لكنه لا يزال تحت رقابة ، ويواجه موقف حذر من إخوانه فى الحكم ، فهو قوى فى دار الغربة وضعيف فى عقر داره .

المؤتمر السنوى الثانى

لاتحاد الطلبة المسلمين فى الهند فى الفترة ما بين ٢٥ ـ ٢٨ ديسمبر

عقد اتحاد الطلبة المسلمين فى الهند مؤتمره السنوى الثانى فى مدينة « عليكره » تحت شعار : « قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا و من اتبعنى و سبحان الله و ما أنا من المشركين » .

توجهت جموع الشباب المسلمين من مدن القـارة الهندية مثل حيدرآباد ـ بوبهال ـ كشمير ـ اندور ـ و مناطق أخرى يوم ٢٤ ديسمبر .

و كما شارك ضيوف الاتحاد من الكويت وباكستان وممثلا للجاهدين الأفغان.

افتتح المؤتمر يوم ٢٥/ ديسمبر بقاعة الهندسة بجامعة عليكره الاسلامية و قد شارك بافتتاح المؤتمر الروابط و الحركات الطلابية الاسلامية فى الهند و الاخوة الضيوف .

افتتح المعرض بعد الافتتاحة « بجامعـــة أردو » و قد احتوى المعرض على صور للأساة الأفغانية والقضية الفلسطينية كجزء من التحديات التى تواجه الأمة المسلمة فى العصر الحاضر .

بيعت بعض الملصقات والمطبوعات التى سام الأخوة فى إعدادها قبل المؤتمر .

فى المساء كانت محـاضرة عن « قضية الجهاد فى أفغـانستان » ثم فيلم فيديو عن الجهاد الأفغانى .

٢٦ / ١٢ / ٨٤

الدورة الرياضية حيث قسمت المناطق إلى خمسين فرقة و جرت منافسة على ملاعب الجامعة لكرة القدم ثم وزعت الجوائز على الفريقين الأول و الثانى .

فى المساء : كانت محاضرة عن « القضية الفلسطينية وآخر تطوراتها » .

ثم فيلم عن « عمر المختار » .

٢٧ / ١٢ / ٨٤

عقدت جلسة الأعضاء العاملين و تم بها مناقشة التقارير الأدبية والمالية للاتحاد

(البقية على ص : ٨٩)

ne : 72336
73864
REGD. NO. LW/NI
ALBAAS-EL-ISLAMI
NADWAT-UL-ULAMA, LUCKNOW. (INDAI)

صدر حديثاً :

رسائل الأعلام

مجموع رسائل لكبار العلماء، وقادة الفكر و الزعماء،
و المؤلفين و الأدباء، و الكتاب الاسلاميين الأصدقاء.
و بعض الملوك و الأمراء و الوزراء فى العالم العربى.
سبعون رسالة لخمسين كاتباً مرموقاً

كتبت و وجهت إلى سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى
أمين ندوة العلماء العام، رئيس المجمع الاسلامى العلمى فى لكهنؤ (الهند)
فى فترة بين
١٣٦٧هـ ——— ١٤٠٤هـ

إخراج و تقديم
فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الرابع الحسنى الندوى
عميد كلية اللغة العربية و آدابها، جامعة ندوة العلماء
لكهنؤ، الهند

يطلب الكتاب: من مكتبة دار العلوم لندوة العلماء ص. ب ٩٣
لكهنؤ (الهند)

قام بالطبع و النشر جميل أحمد الندوى فى مطبعة ندوة العلماء ـ رئيس التحرير: سعيد الأعظمى

إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

تصدرها: ندوة العلماء، لكهنؤ، الهند

أخى القــارىء :

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

حرصاً على تأمين و سلامة وصول المجلة إليك نرجو :

١– كتابة العنوان بالانجليزية و العربية كلتيهما فى ورقــة خاصة ، كل حرف على حدة ، و إرساله إلينا .

٢– إرسال اشتراك بالقيمة المبينة أدناه باسم « البعث الاسلامى » مقابل عام واحد او أكثر :

٣– أرفق شيك الاشتراك ضمن مظروف مسجل إلى العنوان المذكور أدناه .

الاشتراكات السنوية

فى الهند : ٤٠ روبية ، ثمن النسخة : أربع روبيات .

فى العالم العربى ١٢ دولاراً بالبريد السطحى ، ٢٥ دولاراً بالبريد الجوى .

فى أوربا و أفريقيــا و أمريكا : ١٢ دولاراً بالبريد السطحى ، ٤٠ دولاراً بالبريد الجوى .

فى باكستان و بنغلاديش و دول شرق آسيــا : ١٢ دولاراً بالبريد السطحى ، ٢٥ دولاراً بالبريد الجوى .

A L B A A S E L I S L A M I
N A D W A T U L U L A M A
P. O. Box No. 93 LUCKNOW (INDIA)

أنشأها
سماحة الشيخ المغفور له الأستاذ محمد الحسني ... عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م

البعث الإسلامي

شهرية إسلامية جامعة

سعيد الأعظمي الندوي — رئاسة التحرير — واضح رشيد الندوي

العدد السابع — المجلد التاسع والعشرون ★ ربيع الثاني ١٤٠٥هـ — يناير ١٩٨٥م

عنصر الحب

إذا استعرضنا المجتمع الاسلامي في القرن الأول وجدناه مشرقاً بنور من الحب والأخوة والسلام، والتاريخ الاسلامي حافل بأمثلة رائعة من هذه الناحية يندر نظيرها في تاريخ الأمم الأخرى، وإذا فكرنا اليوم في أحوال المسلمين وأمعنا النظر في الأوساط الدينية والهيئات الاسلامية واستعرضنا هذه المشكلات، التي تعترض الركب الاسلامي في كل مكان رأينا أن السبب لذلك كله هو عدم العناية بالحب والاستهانة بأهميته في الدين الاسلامي وضرورته للمجتمع الانساني.

فليتخذ شبابنا المسلم شعاره الأول، الحب والاخلاص، ومهمته الأولى إذاعة الحب بين الناس حتى تتبدد تلك الظلمات الكثيفة التي أحاطت بالمسلمين هذه الأيام، فهو حجر زاوية في بناء الاسلام، نادى به القرآن العظيم وندب إليه الرسول الكريم وعمل به المسلمون في القرون الأولى.

[محمد الحسني – رحمه الله]

في هذا العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

المسلمون وقضية السلوك

ليس هذا الكلام منطلقه واقع خاص بمجتمع أو بلد أو شعب ينتمي إلى المسلمين ، إنما هو واقع يعم المستويات والمجتمعات كلها في أغلب الأحوال ، وله صلة بالمسلمين حيثما كانوا و في أي مستوى عاشوا ، كما أن قضية السلوك الاسلامي ليست محدودة في طبقة أو طبقات ولكنها قضية عامة بين كل طبقة ومجموعة من كل نوع ، فالمسلمون في بيئات وبلدان العالم كله يتوزعون على حسب الحياة الاجتماعية ومتطلباتها بين فئات العمال و الصناع و التجار و المهنيين و الحكام والمربين و القادة و المثقفين ، وبكل واحدة من هذه الفئات والطبقات تتصل هذه القضية بعمق و أصالة و جدية تامة ،

الحديث ينبغي أن لا يتجاوز مجتمع المسلمين العام و الخاص إلى غيره ، ذاك أن للسلوك أهمية كبرى يوليها الاسلام و يتفرغ لترسيخ جذوره في أعماق النفس من خلال تعاليمه وتوجيهاته ، وقد ركز عليها المسلمون السابقون فضربوا أروع الأمثال لهذا السلوك العظيم وأثروا بذلك الحياة الاسلامية وتاريخها المجيد عبر العصور الماضية ، و إن طلاب التاريخ الاسلامي لا يكادون يجهلون هذه الحقيقة التي تنطق بألف لسان أن السلوك في الاسلام له دوره العظيم الذي صنع من عجائب و معجزات الانسان ما لا ينساه التاريخ الانساني ، ولا ينكر فضله في بناء الحياة السعيدة ومستقبل الانسان.

بل الحق أن هذا السلوك كان من أكبر العوامل في انتشار رسالة الاسلام ودعوته شرقاً وغرباً ، فسلوك المسلمين مع الأعداء والمخاصمين ومع الأصدقاء والمحبين ، ومع الصغير و الكبير ، ومع الخدم والعمال ، وسلوكهم في حياتهم الخاصة والعامة ، و في الشئون الحيوية من غير لين في موضع الشدة ، و من غير شدة في مكان اللين و الحكمة ، له دور رئيسي كبير في تحبيب الدين الاسلامي إلى النفوس و الاعجاب

بأهله و أتباعه ممن تمسكوا بالمكارم الخلقية وعضوا عليها بالنواجذ، وبالنظر إلى نتائج السلوك النبيلة وثماره الجنية نستطيع أن نقدر مدى نجاح النبي ﷺ فى مهمته التى بعث من أجلها، وصدق قوله الذى جرى به لسان النبوة كبيان علة لبعثته ومجيئه إلى الناس بدعوته الخالدة النامية الباقية إلى يوم الدين، وذلك هو قوله ﷺ « إنما بعث لأتمم مكارم الأخلاق » وشهادة الله تعالى فى تمثيله أعظم نموذج للخلق والسلوك (وإنك لعلى خلق عظيم) و قوله تبارك و تعالى (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر و ذكر الله كثيراً) .

ولقد سار على هذا الدرب السلوكى العظيم و الطريق الخلق القويم من استنار قلبه بنور الاسلام وتفتحت بصيرته على ما فى هذا المنهج النبوى الكريم من سعادة الدين الدنيا، وما فيه من تربية نقية على خلال الحب والايثار والتضحية والفتوة، وقد شهد التاريخ وسجل نماذج نادرة لهذا الجانب الرائع و الطبيعى فى المجتمع الاسلامى الأول وفيما بعده إلى ما شاء الله، وبتأثير ذلك النموذج السلوكى استطاع المسلمون أن يسيروا على نقطة واحدة وفق ما يوحى إليهم شرعهم و يأمرهم به دينهم من توحيد الوجهة والكلمة، و من التعاون والثقة، والتعاطف والتعاضد، و إسدال الستار على عيوب أو مواضع ضعف اطلعوا عليها فى فرد أو جماعة من الأمة الاسلامية مع معالجة ذلك بالتدبير و الحكمة، وبشئ كثير من السرية و الخفاء، و بذلك مثلوا الوحدة المأمور بها فى كتاب الله تعالى (و اعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) وتمسكوا بالأدب الاسلامى وبالأساس الأول للاجتماعية العملاقة التى مثلها الرسول عليه الصلاة و السلام فى قوله البليغ « مثل المؤمنين فى توادهم و تراحمهم و تعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى (متفق عليه) و قال (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) .

على هذا الأساس قامت حياة المسلم فى جميع أحواله و ظروفه ، فاذا كان والياً أو حاكما طلب من جماعته تقويم اعوجاج أو إصلاح فساد أو تصويب خطأ إذا رأوا فيه ، و إذا كان رعية أدى حقوقه التى تعود عليه من قبل أولياء الأمور ومن أعضاء المجتمع والأسرة، ولم ينس ما عليه من حق الله تعالى فى سره وعلانيته فى أى حال ، وإذا كان من عامة الناس عرف مكانته فى النفس والمجتمع ، ومركزه فى الحياة على كل مستوى ، و كان عضواً مهما له سهمه فى نشر الخير و الفضيلة والعدالة دون أن يستهان به ، و كلما تسربت إلى المجتمع ميكروبات من فساد أو شر ، أو تهددته ظاهرة هدم خلقية ، فتش كل فرد عن أسباب تلك الظاهرة فى نفسه ، وظن أنه هو المسئول عما حدث من تغيير أو اتجاه سيئ فى الحياة الاجتماعية، وأسرع إلى إزالة ذلك السبب عن نفسه بكل طريق ممكن ، كذلك إذا رأى أحد فى شخص ما يخالف النزاهة الخلقية ويعارض منصبه الشرعي بادر إلى تأويله ،وفسره بما يوفر له فيه مبرراً شرعياً ، قبل أن يسئ به الظن أو يحكم عليه برأى .

و نتيجة لهذه العفة و النزاهة و الشعور بالمسئولية ، عاش المسلمون حياة إسلامية متراصة الأجزاء محكمة البنيان ، تمثل وحدة لا انفصام لها ، وأخوة صادقة لا رياء فيها ، يحب كل مسلم لأخيه ما يحبه لنفسه، عملا بقوله عليه الصلاة والسلام: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) فكان المسلم إذ ذاك يشعر بمسئوليته نحو نفسه و نحو أخيه و نحو ربه و نحو هذا الكون و ما خلق الله فيه من علاقات و شئون و صلات ، إن هذا الشعور الصادق كان لا يتركه لحظة دون أن يعده لأداء المسئوليات فى دقة وأمانة تامتين، ولا يهمله ضميره الحى مثل الميت بل كان يتناوله بالوخز لدى كل مناسبة مثيرة حتى إذا سمع بشيئ ينال من كرامة المسلم أو بحادث يحل بفرد أو جماعة لم يقر له قرار ، و ظل يعمل جهده لا عادة الوضع و إقرار الاخوة و الأمن و الهدوء والطمأنينة ، نظراً إلى أنه من واجبه الدينى الذى لا يعفى عنه ما لم يؤده على وجهه السليم .

و هكذا عاش المسلمون فى فجر التاريخ و فيما بعده بين فترات سعيدة .

أما السلوك الذى عرفنا به واشتهرنا بذلك بين شعوب العالم الحديث وأممه فقد انعكس فى أغلب الأحوال ولدى معظم المجتمعات المسلمة مما كان عليه بالأمس، وانحدرنا إلى حضيض خلق قد يصعب حتى أن نتصور قعره السحيق ، ذاك أن المستوى الذى وصل إليه الناس اليوم هو ما يسمى بـ « التهديد بالفضيحة » لأدنى مناسبة أو أقل سبب ، هنالك تتحول العلاقات الودية و الصداقات إلى مشاحنة تتوغر فيها الصدور بالدوافع القاسية التى لا ترضى بأقل من هدم الكيان و تشويه السمعة ، ذلك الذى يرادف وأد المرء بجميع ما اشتهر به من أعمال جليلة وتاريخ مشرق، و أنزواءه إلى زاوية الخمول والذبول بحيث لا يكاد يرفع رأساً إلى عمل أو فضيلة إذا كان غيوراً .

نجرب الآن هذا النوع من السلوك الشاذ بوجه عام ، فان هناك صداقة وطيدة بين رجلين ، و علاقات ودية بين زعيمين ، و لكنها لا تقوم على أساس متين من العقيدة و الدين ، فسرعان ما تتحول إلى عداوة بالغة حدها الأخير فى الشدة والقسوة ، و يعامل كل واحد منهما الآخر بتبادل التهديدات وإلصاق التهم والتشهير بالفضائح ، هذه الظاهرة السلوكية الخطيرة كانت محدودة فى السابق بين المعسكرات و الدول ، و المجموعات وأفراد المجتمعات المتحضرة المادية الخالصة التى تقوم على أساس الأرباح والمنافع المادية العاجلة ، ولكنها اليوم لم تعد محدودة المناطق، وإنما سرت عدواها إلى مجتمعاتنا و حياتنا ، مما نشاهد آثارها فى طبقات الجماهير و الخاصة التى لا ترى أى بأس فى ممارسة هذه العملية التى جاءت إلينا من قبل الأعداء و رحبنا بها كعلامة الحضارة الراقية ، أو أثر من آثار الشعوب المتمدنة .

لقد نجح عدونا فى كثير من المكايد السياسية و الاجتماعية التى جاء بها إلينا كفن و أدب تحنو عليه النفوس و ترغب فيه الطبائع ، و قد ساغ لنا أن نسير عليه و نقبله من غير تحرج أو تردد ، وإن كنا قد جنينا ثماره المرة فى كل جهة ، ولكن انتشار هذه الظاهرة السلوكية التى تبعث المرء على التسرع والانتقام واستعمال

سلاح التهديد بالفضائح المزعومة بين المسلمين أفراداً وجماعات ربما يفوق جميع النجاحات و عمليات التفتيت و تحطيم التضامن و الثقة و الانسجام و الوحدة ، فاذا كان الغزو الفكرى سلاحاً استخدمته الجماعات الصليبية من المستشرقين و المبشرين، فان سلاح « التهديد بالفضائح » أشهره الهدامو و المقنعون على رؤس أصحاب الحركات و الدعوات البناءة ، و زعماء الجماعات الدينية وقادة الفكر و الاصلاح ، و الدول والحكومات ، عن طريق عملائهم ومن يسيرون على شاكلتهم من المشاغبين والمنحرفين.

و اتسع نطاق هـذه الظاهرة بشكل مرعب حيث إنها تسربت إلى الطبقات العامة وبدأت تتحول من طبيعتها المحدودة السرية إلى عملية ابتزاز عامة ، ومن طبقات عالية ممتازة إلى مجتمعات جماهيرية لا تؤثر فى مهام الحياة و لا تسمن و لا تغنى من جوع ، فلا نلبث أن نرى و نسمع بمثل هـذه الحكايات التى يرويها العامة فى كل مكان ، و أن الانسان الأمين الوفى ينتقل بأدنى مناسبة ، إلى رجل خائن مجرم ، و ذلك حينما لم يوافق زميله على جميع ما عرض عليه من أمور و أفكار ، و صمد على موقفه من الصدق و العفـاف و الأمانة فى مجريات الحياة التى يشاركها هو مع زميله ، أو أنه لم يرض بما رضى به صاحبه من اعتماد على النفاق و اتخاذ الأساليب السلبية وراء تحقيق المنافع العاجلة و خدمة المصالح الشخصية .

هذا الواقع الذى تعيشه الشعوب المادية ويقلدها المسلمون بمؤامرة من أعدائهم المقنعين لا ينتهى بهدم كيان خلق لشخص واحد ، بل ان له نتائج بعيدة المدى لها تأثيرها العميق فى أخلاق الأجيـال القـادمة ، و هى تكفى للقضاء على معنوية الأمة بكاملها فى المستقبل ـــ لا قدر الله ذلك ـــ و تغنى عن كل غزو عسكرى أو فكرى يعتمد عليه المتآمرون على سلامة عقائد الأمة ووحدة كلمتها و ديارها ، إذ أن إثارة الخلاف بين صديقين أو زميلين ، و جمـاعتين و بلدين ، من أسهل وسائل الهدم و التدمير ، و أسرعها بعواقبها التى تقشعر منهـا الجلود ، دون أن يكلف ذلك شيئاً كثيراً من الجهد و المال و السلاح .

بدأ الناس فى مجتمعاتنا ـ نحن المسلمين ـ يتلقون ما وصل إليهم من رواسب قصص «التهديد بالفضائح والقضاء على الشخصية» التى هى حصاد الحضارات المادية و المدنيات الزائفة، ويرحبون بها كعطاء حضارى يأتى إليهم على طول الانتظار وبعد المزار، ولم يعد الأمر مقصوراً على الطبقات من الجمهور التى لا تكاد تميز بين الأصيل و الدخيل، ولا تعرف عن سوءات المدنيات المستوردة و آلامها ومتاعبها المكنونة إلا قليلا، بل إن هذا الداء الخطير تعدى إلى طبقات الأمة العالية التى تتزعم العلم و الدين و الدعوة، و ترفع لواء الاصلاح والتربية و التوجيه، حتى إن جو الثقة و التعاون المتبادل بينهم قد ذهب ضحية هذا المرض العضال، و آل الأمر إلى أن الزعيم يتهم الزعيم بأشنع التهم، و إن الداعية يسيئ الظن بأخيه إلى حد التنافر و النقمة، و إن المسئول عن الشئون الدينية فى بلد أو وزارة يتبع أساليب غير مرضية فى الحط من قيمة مسئول آخر.

إلى هذا الواقع المرير يتقدم مجتمعاتنا من غير شعور بما فيه من سموم ناقعة، وبما له من نتائج قاسية تفرز جراثيم السرطان الخانق على جميع أجزاء الجسم الاجتماعى، وقد بدأت تظهر هذه النتائج المدمرة فى كثير من قطاعات هذه الأمة، وجعلتها تعانى من أخطارها ما تعانى فى صور و أشكال مختلفة كثيرة لا يأتى عليها الحصر.

إن قضية السلوك لفى ألح حاجة إلى الاهتمام بها كقضية لها مساس بجميع القضايا الحيوية، فيجب أن لا يفوتنا الانتباه إلى هذه المشكلة التى تفتك بنا اليوم على جميع المستويات، و أن لا نغفل التدقيق فيما إذا واجهتنا مشكلات متماثلة، و خاصة لدى الخلافات التى تحدث على حين غفلة من أصحابها و تؤدى فى آخر المطاف إلى مأساة تنتهى بتوجيه الفضائح المزعومة و الجرائم الخلقية، وإلصاق التهم المزورة مع شخص لم يكن له بها عهد و لا صلة (و من تزكى فإنما يتزكى لنفسه، وإلى الله المصير) (و الله يعلم خائنة الأعين و ما تخفى الصدور) ؟

سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي

المسلمون فى الاتحاد السوفياتى

سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

تعريب : محمد أكرم الندوى

[صدر أخيراً كتاب بالانجليزية للكاتب الهندى البروفيسر توارى (Tiwari) عن المسلمين فى « عهد زار » والثورة الاشتراكية فى الاتحاد السوفياتى ، ويحتوى الكتاب على وثائق و معلومات عن الحكام الروس السابقين و الاشتراكيين إزاء المسلمين مستمدة من مصادر رسمية ، و يقــدم صورة لصمود المسلمين فى وجه التحديات والمخططات للقضاء على خصيتهم الاسلامية و القومية ، وقدم لهذا الكتاب سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى ، نقدم فيما يلى ترجمة لمقدمته] « التحرير »

يتألف اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية (U. S. S. R.) المكون من قوميات عديدة حول السلالة السلافية كأنها جمهورية فدراليــة ، و لكن الواقع أن المركز هو الذى يملك السلطة ويملك الشعب الروسى زمام الجيش والشرطة ، ويجرى منذ سنين عديدة تحقيق حلم « إنسان سوفيتى جديد » تحت خطة مدبرة ، وقد صيغت هذه الخطة بطريق يبدو أنها تهدف إلى تقريب المواطنين بعضهم إلى بعض و دمج خصياتهم القومية بعضها مع بعض فى هذا النظام المعقد ، ولكن الهدف الأصيل الكامن فى هذه الخطة هو القضاء على ثقافة الأقلية حتى تنمو الثقافة الروسية و تزدهر على

حسابها ، يدعى هـذا المنهج أساسياً إلى إحداث عراقيل و عوائق فى سبيل نشوء الشعور القومى و الوعى الاسلامى فى أقليات آسيا الوسطى ، لأن جميع قادة الاتحاد السوفياتى من «لينين» إلى «تنكو» كانوا ينظرون إلى هذا الوعى كخطر مهدد لاستيلاء العنصر الروسى على الحياة القومية للملكة الروسية ، وقد استخدموا لامانة هذا الشعور وسد منافذه أسلحة الحرب كلها من الابادة الشاملة و إرغام الشعوب الآسوية على الهجرة إلى المناطق الأخرى و استيطان رجال السلالة السلافية فى آسيا الوسطى و التقسيم السياسى لآسيا الوسطى عـلى أساس القبائل و فرض الخط الروسى و تشويه تاريخ القوميات السلالية المختلفة وبث الشعور بنفعية السلطة الروسية لها وفرض القيود على العادات الدينية و الجامعات و المجامع القومية و وسائل المتعة و مراكز التسليـة ، و لاستئصال شأفة الأخوة الاسلاميـة اخترعت قوميات صناعية من « أزبيك » و تاجك » « تركمان » و « قزاق » و « خركيز » و صودرت الأوقاف ، وهدمت ثمانية آلاف كتاب و ألوف من المساجد سنة ١٩١٧م ، وقدتمت تصفية جيل المفكرين الاسلاميين بأسره و إقصاء كل عنصر من مواضـع النفوذ إلا العنصر الروسى الذى أسندت إليه المناصب الرئيسية حتى فى الجمهوريات الاسلامية من أمانة الحزب ورئاسة السلطة التنفيذية والشئون الادارية ، وإذا لم يكن بد من تعيين شخص على لاعتبار من الاعتبارات لمنصب رئيسى عين معه رجل روسى نائباً له أو مساعـداً له ليراقبـه ، و اتخذت هذه الاجراءات من وراء ستار توحيد المجموعات السلالية والدينية و القومية المختلفة ، ولكن الهدف الأصيل من وراء ذلك كله كان إرغام الأقليات على الانصهار فى بوتقة اللغة الروسية و الثقافة الروسية .

لكن إلى أى مدى أحرزت هذه المجهودات و المساعى النجاح و الفوز ؟ إنه سؤال مهم للغاية نظرا إلى النسبة المتزايدة للمسلمين الروس وأوضاعهم الاقتصادية

والسياسية فى العقود الأخيرة من هذا القرن وهو موضوع يشغل بال المفكرين الروس و غيرهم لأنهم على عكس ما خططوا له يشعرون الآن بخطر ازدياد عدد المسلمين بقدر يتمكنون به فى عهد قريب من أن يستحوذوا على السكان الآخرين و يتحول العنصر الروسى إلى أقلية.

و أبرز نظرية فى هذا الصدد هى نظرية ذات الوجهات الثلاث لالكسندر بنكسن (ALEXANDER BENNIGSEN) التى تصر على أن مسلمى الاتحاد السوفياتى يحملون الشعور بالاخلاص لقبائلهم وشعوبهم و بالوفاء الدولى و الاسلامى ، و قد نال هذا الأخير أهمية كبيرة و ترى نظرية بنكسن أن المسلمين لا يحملون أى ولاء للحكومة الروسية و يرى المفكر الفرنسى (Helencarrerd Encaysse) أن لا وجود للولاء فى السكان الآسيويين ، إنه يرى أن المسلمين السوفيت لا يقرون بتصور الانسان السوفيتى الجديد « لموسكو » و إنما تطفح قلوبهم بالوفاء للاسلام.

و على العكس من ذلك نظرية مايكل (Michael-Zend) فان هذا المفكر المهاجر من الاتحاد السوفيتى يرى أن المسلمين الروس أصبحوا تدريجيا يعتنقون « الحضارة الروسية البدائية لما قبل الثورة » ويعدون أنفسهم للاندماج فى الحضارة الروسية ، ترى نظريته أن استراتيجية تقريب الطبقة الخاصة من المسلمين إلى الحضارة الروسية أصبحت تتكلل بالنجاح ، ويرى مفكر آخر وهو مايكل ريكن (Michael Rywkin) أن انتشار اللغة الروسية فى سكان آسيا الوسطى وتضلعهم منها قدكان سببا لانشاء وترسيخ الشعور بشخصيتهم القومية فيهم بدلا من أن تضعف هذه العاطفة فيهم و تنطفىء ، وقد بدأ الشعور القومى الجديد المركب من عواطف ومشاعر الدين والقومية ينمو فيهم ويحثهم على أن ينالوا مكانتهم المشروعة فى روسيا ، وعلاوة على ذلك فان الكتب و المجلات التى تنشرها الحكومة الروسية تؤكد النظرية الآتية .

تقول « الموسوعة الروسية العظيمة » إن أسس الدين قد تهدمت فى روسيا

ولم يبق للاسلام إلا بقايا ورواسب، وعلى العكس من ذلك يصرح تقرير آخر نشرته مجلة ايطالية (Lastampa) بأن الاتحاد السوفيتى نشر ٤٩/ كتاباً فى معارضة الاسلام سنة ١٩٨٣م بينما نشر ٢١/ كتابا سنة ١٩٨١م و ٣٨/ كتابا سنة ١٩٨٢م، وبهذا التقرير يمكن تقدير الوضع الحقيق، وعلى كل حال فلا يمكن إنكار أن المجهودات فى نشر القومية الروسية باءت بالفشل فى القضاء على الوعى الاسلامى و وعى الأخوة الاسلامية فى المسلمين، و الحق أن منهج الروس الاستعمارى ظل حائلا دون اندماج المسلمين فى القومية الروسية، فالمحاولات التى قامت بها الحكومة الروسية إلى الآن فى سبيل الوحدة القومية لم تتجاوز أصحاب المناصب فى الحزب والحكم، وعلى العكس من ذلك فان عملية التمييز نحو المسلمين فى الحزب و الحكم و عدم توفير الفرص لهم على طريق سواء قد اضطرتهم إلى النظر فى أن شعار « العقاب ذى رأسين » على علم روسيا فى عهد زار قد تحول إلى المنجل و المطرقة.

إن عملية التمييز نحو المسلمين فى الشئون المادية و إهانة دينهم و أمتهم و تشويه تاريخهم وثقافتهم لم تزل تشعل العواطف وتنشئ الوعى القومى والاسلامى، إن دينهم وقوميتهم قد تحولا إلى وعى مشترك أو عاطفة مشتركة، و نقطتها الأساسية أنهم يختلفون عن الروس، و بعبارة أخرى فان عاطفتهم القومية و الاسلامية قد اصطبغت بالصبغة المعارضة لروسيا، فان الذين لا يطبقون ركنا من أركان الدين فى آسيا الوسطى يعتنقون الشعار الاسلامى فى ثلاثة أمور، النكاح و الاختتان والجنازة، إنهم بذلك يجددون وعيهم الاسلامى.

و قد فرضت فى روسيا قيود مختلفة على الشريعة الاسلامية كى لا تتدخل فى شئون الحكومة ولكن كانت نتيجة ذلك نشوء إسلام مماثل فى جنب الاسلام الرسمى، فقد انتشرت شبكة المساجد فى البلاد وأنشئت مدارس خاصة بتعليم القرآن الكريم،

و أقيمت دوائر التركية التى لا تزال فعاليتها فى ازدياد مستمر على الأيام، و هناك دلائل تشير إلى أن الجهاز الحكومى يغض البصر عن النشاطات الاسلامية اللاشرعية أو الجرائم التى تقترف على أساس الدين بتعبير الدستور الروسى، ويقدر أن ألف مسجد موجود ومعمور فى آسيا الوسطى وقزاقستان، إذ القانون لا يسمح الا باقامة مأتى مسجد. كذلك ألغيت الزكاة شرعا، ولكن المسلمين لا يزالون يخرجون صدقة الفطر وغيرها من الصدقات وفى بعض المناطق القروية يقوم الفلاحون باخراج العشر طوعاً واحتمال تكاليف المؤسسات الاسلامية و تعترف المصادر الروسية بأنه يوجد أكثر من نصف مليون شخص يتبعون أحد طرق الصوفية فى مناطق جيحون وداغستان و ليس هؤلاء فلاحين و لا عمالا فقراء بل يشتمل عدد كبير منهم على العمال الصناعيين و أصبح هذا الطريق ينال القبول و الرواج لدى الطبقة المثقفة من المسلمين منذ عدة سنوات ماضية.

إن الوضع الاقتصادى و الاجتماعى الراهن للكيانات الروسية المختلفة ليشير إلى التأثيرات المعقدة الملتوية للتجدد، لا شك أن التجدد ينشىء الحركة و الانسجام فى جزء كبير من المجتمع، ولكنه ينشىء الشعور بعدم مشاركة جميع الناس فى التمتع بمنافع العلم و التقنية بطريق سواء ما دامت الفوارق الاقتصادية فى الطبقات المختلفة موجودة وهذه هى النتيجة التى تمخضت عنها المساعى التقدمية للاتحاد السوفياتى، فقد زادت نسبة عدم المساواة الاقتصادية لمواطنيه المسلمين و أدى ذلك إلى نشوء العداء الشديد ضد الاتحاد السوفياتى و الاشتراكية، و قد بدؤا يقومون بمجهودات عاتية لازالة هذه اللامساواة فى السنوات الأخيرة، و أخذوا يحاولون استرداد مكانتهم المشروعة فى جمهورياتهم و فى المركز كذلك، و إن الفريق الأذربيجانى (Gaydarliev) قد جعل مثالا مقلقا و مزعجا للروس عن طريق سيطرته على المخابرة الروسية الشهيرة

(.K. B. G) والشرطة الروسية القوية كوزير الداخلية للاتحاد السوفياتى، ون إن المواطنين التار الكريميا و إن لم يقدروا على تحقيق مطالبتهم بأن يسمح لهم بالعودة إلى وطنهم و لكنهم — كما يقول (Petr_Potichnyj) — قد حصلوا على مواضع النفوذ إلى المجالات التعليمية و الثقافية المهمة بمظاهرة غريبة لعزيمتهم وتنسيقهم، وقد أخذت تباشير مثل هذه الصحوة تظهر فى الشعوب الأخرى من آسيا الوسطى، وإنها بدأت تشعر بأن المؤسسة السياسية التى تمخض عنها المجتمع السوفياتى هى فى حد ذاتها وسيلة فعالة لمقاومة الاستبداد وقد بدأت هذه الشعوب فعلا تستخدم هذه المؤسسات للاحتفاظ بشخصيتها القومية الاسلامية .

لاشك فى أن مسلمى الاتحاد السوفياتى قد يحرزون تقدما بالانتفاع من الاجراءات الاقتصادية لكنهم لا يزالون يحتفظون بعائق فكرى (Mental Resevation) فى الاندماج إلى القومية الروسية ، إنهم حقا قبلوا من الثقافة الروسية الجانب السياسى للاشتراكية و الزى الأوربى و يتكلمون اللغة الروسية ، و لكن لا يعنى ذلك أنهم اندمجوا فى الثقافة الروسية كلياً ، إنهم لا يزالون غير مستعدين للتزاوج مع الروس ، وعلى الأخص يمتنعون عن تزويج بناتهم بالأبناء الروس كما أنهم يتمسكون بلغتهم القومية، و كذلك لا يرغبون فى الانتقال إلى المناطق الروسية رغم احتياجها الشديد إلى العمال و لا يزال يغلبهم الشعور بشخصيتهم القومية و الدينية بحيث إنه أصبح من المستحيل أن يتخلوا عن فكرتهم الوطنية و الاسلامية و كذلك رغم الاعتراف بتفوق الأخ الروسى الكبير يشعر الجانبان بالهوة الواسعة،و على العكس يسود الظن و فقدان الثقة و يعرف الجانبان النسبة المتزايدة للمسلمين و نتائجها التى تنبأ بها مناصر بلشفى شهير مير سعيد سلطان غالب بأن سيطرة الروس على الأمم الأخرى ستتحول إلى حكومة مستبدة يصبح الشعب المحكوم حاكما للروس، وهذا هو السبب فى أن الاتحاد

السوفياتى — رغم القيام بدعاية ديموقراطية وسعة نظره — لم يتخلص من نظامه وتنسيقه الاستبدادى و معسكرات العمل الاجبارى ، إنه لا يزال إلى اليوم يعارض كل نوع من الانتقاد، و ينكر أن يمنح الناس حقوقهم الديموقراطية و يرى أن الجو الإرهابى هو الذى يضمن بقاءه، إنه يطبق اليوم كذلك سياسة الاستبداد والدكتاتورية تجاه حرية الشعب و منح الناس حقوقهم. و لكن ذلك ينم عما وصل إليه من الضعف وانحلال النظام ، لأن النظام الاجتماعى و نظرية الحياة لا يقوم على أساس الإجبار .

و قد كشف تدخل روسيا فى أفغانستان القناع عما قد شاع أنه قوة لا تقهر، و حطم أسطورة حصانتها ومناعتها كما كشف عن حقيقة سياستها السلبية، فان روسيا متورطة فى الوحل منذ أربع سنوات ، و لا يزال عاجزاً عن تحطيم قوة العدو الذى ليس من التنظيم و التسلح و الوحدة فى شيء بالنسبة لها ، ولا تزال قواته تخسر فى الأرواح و الأسلحة ، وباستثناء بعض المدن الكبيرة و الممرات الرئيسية لا تجد لها سيطرة تامة على ذراع من الأرض، و تشير المؤشرات إلى أن هذا الوضع سيستمر إلى عدة سنوات ، و أن احتراز روسيا عن حل هــذه القضية عن طريق الحوار يشير إلى أن روسيا إذا لم يحقق السيطرة الكاملة على أفغانستان فانها تخشى أنها ستواجه مقاومة الروح الاسلامية الناشئة فى داخل حدودها، وإن هذا كذلك يشير إلى أن استراتيجية روسيا القومية قد باءت بالفشل، وقد أصبح هدف الاتحاد السوفياتى، الذى كان يدعى هيمنة العالم كله ، يفقد أهميته و ضرورته فى مواطنيــه أنفسهم ، و قد تبـدد الآن حلم روسيـا حول قيـادة العــالم الثـالث ، أى دول عــدم الانحياز، واقتصرت مساعيها الآن على إحداث الثورات الاجبارية فى الدول الأخرى وحشد الأسلحة، ودعم نظم تقوم بكبت الشعوب الحرة، و لكن إخفاقها المستمر فى مثل هذه المحاولات قد كشف الستار عن سياستها المزدوجة فى الشئون الدولية .

من بواعث السرور و البهجة أن عدداً كبيراً من الكتاب و المفكرين أصبحوا يقارنون الآن بين إنجازات الثورة الاشتراكية الروسية و خسائرها، ومن بين هؤلاء الكتاب البروفيسر « توارى » مؤلف هذا الكتاب فقد اعتنى فيه باستعراض موقف

شهادة الواقع كافية إلى اليوم فيما بلغته دعوة الاسلام على أيدى الجيل الأول الذى أنشأه الرسول ﷺ و أيدى الأجيال المتعاقبة التى كان كل منها خلفاً لسابقه فى حمل المسؤلية ، من خلفاء حكام « رعاة » ، و من رعايا مجندين لأداء واجب الدعوة وملء ساحتها .

و من يقرأ تاريخ الصحابة الأول ، وما كان منهم فى جمع القرآن وصيانته فى عهد الخليفة أبى بكر أولا ، ثم فى عهد عثمان ثانياً ، و ما بذل فى سبيل ذلك من عظيم الجهود ، ثم ما كان من حفظ حديث الرسول ﷺ الذى هو الأصل الثانى لشريعته . ونقل هذا الحديث ثم تدوينه وتثبيته وتحقيقه ، وما يرى فى ذلك من عجائب الأخبار و الأعمال من يقرأ ذلك تأخذه الدهشة و يكاد يظن أن ما يقرأ أشبه بالخيال ، و ما هو إلا حقائق و وقائع عجيبة مذهلة ، نتيجة للهمم التى تفل الحديد ، و المنبعثة من فرط الشعور بمسئولية الحفاظ على الدين ونشره لدى أولئك الجبال من الرجال الذين رباهم و خرجهم أولئك الأصحاب من التابعين ثم من تابعهم جيلا بعد جيل ، مما لم يعرف له مثيل فى تاريخ المذاهب الفكرية و الفلسفية ، أو الدعوات الاصلاحية ، أو النبوات .

و الشواهد و الأمثلة على ذلك معروفة مستفيضة فيما حفل به سجل التاريخ الاسلامى ، و لا سيما فى عصور المد و الازدهار فى مشارق الأرض إلى الصين ، و فى مغاربها حتى المحيط الأطلسى ، مع امتداداتها شمالا فى أوربة ، وجنوباً فى أفريقية .

ولينظر فى ذلك من يشاء الأمثلة الباهرة من أعمال الأجيال فى نقل الحضارة و الثقافة الاسلامية المتميزة بطابعها ، ثم فى فتح آفاق العلوم الكونية ، وذلك كله نتيجة للعقيدة الاسلامية القائمة على العقل ، و الشريعة القائمة على العدل .

هذا ويظهر من تتبع السيرة و السنة النبوية أن الرسول ﷺ كان يحرص كثيراً

و التقاليد المستحكمة فى جميع نواحى الحياة العقلية و العملية رأساً على عقب فى صميم الجاهلية الجهلاء ، وبين الزعامات الفاسدة ، حتى أنشأ فى نفوس من كانوا يئدون البنات و يعبدون ما يصنعون ، طهراً كطهر الملائكة ، وهمة فى إحياء الحق و وأد الباطل كانت كالغيث رحمة ونتاجاً .

- الدعامة الرابعة -

و أما الدعامة الرابعة و الأخيرة من دعائم عظمة العلماء ، وهى مدى نجاح المصلح العظيم فى تكوين جيل قيادى صالح للحفاظ على خط الدعوة و متابعة تنفيذ مبادئها ، فانها قضية الخلافة التى يتوقف عليها استمرار حياة الدعوة وطول عمرها ، وهى من الأهمية والشأن بمكان .

ذلك أنه لايكفى أن يكون العظيم قد حقق دعوته ، وقدر على تنفيذها وتطبيق مبادئها فعلا فى حياته ، لأنها عندئذ يموت بموته أو بانقراض الفئة التى تلقتها منه وتأثرت به ، ويكون عمرها قصيراً لا يعد شيئاً يذكر فى مدى التاريخ ، فلا بد لتوطيد دعائم العظمة و رسوخها من أن يكون العظيم قد هيأ بحكمتــه و اهتمامـه وحسن تربيته لأتباعه جيلا متفهما لأسس الدعوة متشبعاً بها ، بصيراً بأهدافها البعيدة ، و بأبعادها و امتداداتها ، مؤمناً بمسؤليته عن صيانتها من التغيير والتشويه ، صالحاً لنشرها ونقلها إلى الأجيال اللاحقة لتستمر حياتها ويطول عمرها وتنتفع بها البشرية أطول ما يمكن .

إن إنشاء هذا الجيل القيادى الصالح لهذه الخلافة هو بيت القصيد فى كل مذهب صلاحى و فى كل دعوة ، و بالتالى فى عظمة كل عظيم .

وقد كان لرسولنا محمد ﷺ فى هذا الشأن موقع كبير لم يكن مثله أو ما يدانيه لأى عظيم من عظماء التاريخ البشرى ، فقد ربى جيلا قيادياً منقطع النظير فى مقومات خلافة الدعوة و التضحيــة فى سبيلها ، و إيصالها إلى أجيال قيادية متعـاقبة تشعر بمسؤليتها عنها .

(هـ) أشاد الرسول ﷺ بشأن العلم أيما إشادة ، وزاد علم الشريعة تخصيصاً بالتنويه به و التوجيه إليه ، لأنه النبراس الذي يضيء طريق الحياة الصحيحة ، . . و النظام و السلوك الانساني .

ثم رفع الرسول ﷺ مكانة العلماء ، وحض على نشر العلم بالتعليم و التعلم بدءاً من القراءة و الكتابة حتى التفقه و الرسوخ ، وأعلن تحريم كتمان العلم ، وهدد بالعقوبة على الامتناع عن التعلم و التعليم .

وقد كان لهذه الموجة الاصلاحية ومدها أثر خالد فى التاريخ اللاحق أثار وجه الأرض بالعلوم و المعارف الاسلامية .

هذه لمحة إجمالية عن جوانب مهمة من القدرة التنفيذية فى تحقيق المنهاج الاصلاحى الذى أتى به ودعا اليه وقام على تنفيذه محمد ﷺ لم نعمد فيه إلى الاستقصاء، و إنما أردنا إعطاء صورة ذات ملامح تكفى للتقدير والحكم فى مدى العظمة من هذه الناحية .

وكم من دعوة حق خيرة نيرة دفنت فى مهدها لأن داعيتها لم يكن مؤهلا بالقدرة و الكفاية لتحقيق ما يدعو إليه فعلا ، وتنفيذ منهاجه الاصلاحى .

هذا ، و من يريد أن يقدر عظمة النبى عليه السلام من هذه الناحية ... التنفيذية حق قدرها فلينظر فيما يلاقيه المصلحون فى كل عصر ومصر من بنى قومهم الذين يجمعهم و إياهم دين واحد و أسس متفق عليها ، فلا يكاد يقوم مصلح ، ولو كان حاكماً ، بتنفيذ خطة إصلاح حتى تصطدم بالمطامع و المنافع الفردية التى تتعارض مع منهاج الاصلاح فتقضى عليه فى مهده .

هذا ما يلاقيه المصلحون فى نواح فرعية بسيطة من عوائق التنفيذ القاهرة ، فما بالك بتنفيذ شرع جديد يقلب الأوضاع والعقائد الوثنية ، والعادات ... والأخلاق

أتقاكم » وقول الرسول ﷺ « لافضل لعربی علی عجمی ، و لا لأبیض علی أسود إلا بالتقوی » ثم لاعلان الرسول ﷺ أنه من استعمل رجلا من عصابة (أی ولاه عملا علی قوم) وفیهم من هو أرضی لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنین .

و واضح أن المقصود ما إذا كان الذی ولاه یعلم بوجود من هو أصلح منه .

و قال علیه السلام أیضاً : « ما من عبد یسترعیه الله رعیة یموت یوم یموت وهو غاش لرعیته إلا حرم الله علیه الجنة » (ریاض الصالحین للنووی ـ الحدیث/ ٦٥٢) . و أی غش للرعیة أعظم من تولیة أحد عملا من المصالح العامة مع العلم بأن هناك من هو خیر منه و أصلح لهذا العمل ؟

(ج) و من التغییرات العظیمة التی حول بها الرسول ﷺ المجتمع الجاهلی عن تقالیده السیئة الراسخة تغییره وضع المرأة و مركزها الاجتماعی فیه ، فقد كانت المرأة قبل الاسلام ، إلا ما ندر ، أشبه بالمتاع : ینتفع به ولیس له حقوق ، ولا یعرف قبل الاسلام مجتمع أو نظام صان المرأة وضمن لها حقوقها الانسانیة وحریتها الحقوقیة، وركز وضعها الصحیح فی المجتمع تركیزاً تشریعیاً وعملیاً ،.. و حفظ كرامتها أما و زوجة وبنتاً ، مع مراعاة حقیقة ما تقتضیه الفروق الطبیعیة بینها وبین الرجل فی توزیع الوظائف ، كما فعل محمد ﷺ فی نظام الاسلام . وكان تحقیق هذا المركز القانونی والاجتماعی للمرأة فی تلك الظروف وملابساتها و تقالیدها العمیاء ، و فی فترة قصیرة أشبه بمعجزة ! !

(د) كان المجتمع الجاهلی فوضی بین القبائل فكون رسول الله ﷺ منهم دولة إسلامیة علی أسس جدیدة كل الجدة ، لها خزینتها و أجهزتها المتنوعة من إداریة و اقتصادیة ومالیة و سیاسیة و عسكریة و سواها ، یضبطها جمیعاً نظام شرعی متكامل مرن یتمشی مع اختلاف الظروف الزمانیـــة و المكانیة ، و لا ینبو و لا یضیق عن حاجة .

فهذا زيد بن حارثة - وهو مولى كان مملوكاً فأعتق - يوليه الرسول ﷺ قيادة الجيش فى غزوة مؤتة إلى الروم فى بلاد الشام و كانت من أعظم الغزوات خطراً ، وبعد شقة ، وعظم مشقة، وكان فيها تحت امرة زيد جعفر بن أبي طالب ابن عم رسول الله من ذؤابة قريش و ذروتها نسباً وشرفاً و مركزاً اجتماعياً ، و فيها أيضاً خالد بن الوليد المخزومى ، و ناهيك بخالد من هو !! فتولية عبد معتق إمارة جيش خطير فيه أمثال هؤلاء من سادات العرب يعتبر تغييراً فى التقاليد الجاهلية يتجاوز حدود الخيال .

ثم هذا أسامة بن زيد بن حارثة بعد ذلك يوليه الرسول ﷺ قيادة جيش الغزوة الثانية إلى مؤتة، و فى الجيش تحت إمرته من كبار الصحابة أبو بكر وعمر ، وهو شاب حدث السن .

ثم لما حال دون خروج الجيش وفاة الرسول ﷺ كان من أول أعمال خليفته الأول أبى بكر بعث جيش أسامة ، وخرج أبو بكر الخليفة فى وداع الجيش وقائده الشاب إلى ضواحى المدينة ، و كان أبو بكر يمشى راجلا فى ركاب القائد الشاب يودعه ويوصيه و يأبى عليه أن يترجل ويماشيه .

و هذه زينب بنت عمة الرسول ﷺ من أعالى قريش نسباً وشرفاً يزوجها من زيد بن حارثة مولاه المعتق، وكان كل ذلك وأمثاله أبعد من مستحيل فى العهد الجاهلى .

و هذا سلمان الفارسى ، و قد دخل تحت الاسترقاق فى البيئة العربية و امتلكه أحد يهود المدينة حتى حرر نفسه بالمكاتبة على مبلغ من المال أداه لسيده اليهودى بمعاونة الرسول ﷺ فيوليه عمر رضى الله عنه فى خلافته الامارة على مدائن كسرى .

و كل هذا السلوك الذى قلب مفاهيم العرب وتقاليدهم فى العنصرية ... والعصبية القبلية و الطبقية إنما كان تطبيقاً عملياً لقول القرآن العظيم : « إن أكرمكم عند الله

الصحيح السوى الذى يسود فيه الأمن ، ويتحقق العدل ، وينمو العقل و تنتعش مكارم الأخلاق :

(أ) كان المجتمع العربى جاهلياً تعبد فيه الأصنام الصماء عبادة عمياء ، وتعشش فى عقول أهله الخرافات، فهدم بدعوة الاسلام الذى جاء به تلك الأصنام جميعاً ، وطهر البيئة العربية منها كما طهر عقول العرب ونفوسهم من عبادتها و من سائر الخرافيات ، و أقام مكانها عقيدة التوحيد على أساسين :

(الأول) الايمان بالله خالق الكون، الأحد الصمد المتصف بالكمالات المطلقة والعلم المحيط بعوالم الغيب و الشهادة ، لم يلد ولم يولد ولا شريك له ، ولا معبود سواه، وليس كمثله شئ، وهو على كل شئ قدير ، والاستدلال على كل ذلك بالدليل العقلى الذى يدور عليه الحوار القرآنى .

(الثانى) الايمان باليوم الآخر، يوم الحساب والثواب والعقاب على الأعمال فى الحياة الدنيا من خير وشر، والايمان بسائر كتب الله المنزلة قبلا ، وبرسله السابقين .

و كان هذا الانقلاب الجذرى الذى نسف الشرك و الوثنية والخرافات نسفاً ، وحرر العقل العربى، وانتقل ذلك فى أقصر وقت من المجتمع العربى إلى سائر الأقطار و الأمم أساساً للحضارة الاسلامية التى غطت وجه المعمورة كلها بآثارها الخالدة أو بظلالها .

(ب) تكوين مجتمع إسلامى جديد بمفاهيم ومقاييس اجتماعية جديدة، العبرة والقيمة فيه و فى قياداته للاهلية و الكفاية و الأمانة و التقوى ، لا للعصبية القبلية و الأنساب (كما كان فى المجتمع الجاهلى السابق) يترابط أبناؤه و يتعاطفون بالاخاء الاسلامى ثم الانسانى ، وهم فيه جميعاً سواسية كأسنان المشط أمام الحق و النظام .

أربع دعائم لسيرة النبي ﷺ
(٢)

الأستاذ : مصطفى أحمد الزرقاء
(الأردن)

الدعامة الثالثة :

و أما الدعامة الثالثة من دعائم العظمة ، و هي القدرة التنفيذية ، أي مدى كفاية العظيم في تحقيق منهاجه الاصلاحي ، فالمقصود بها القوة على نشر الدعوة الاصلاحية وتطبيقها في المحيط المحارب لها ، وإدخالها إلى القلوب المتحجرة والأدمغة الصماء حتى تلين وتتقلبها ، مع تحمل ما في سبيل ذلك من أعباء ومصاعب وأهوال ومتاعب .

فالواقع أن قدرة التنفيذ وقوته لدى النبي ﷺ منقطعة النظير ، و لا يعرف الانسان مداها إلا بقدر ما يعرف من حال المحيط الذي قام فيه رسول الله ﷺ بدعوته .

فقد لقي عليه السلام من أذى قومه و افترائهم عليه و تحريتهم به مالا يصبر عليه أحد ، وتآمروا بقتله مرات فأنجاه الله ، و استمر حتى يئس منهم . ولكن هذا اليأس لم يصرفه عن دعوته كما ينصرف اليائسون و يقعدون ، بل هاجر إلى قوم سواهم وأسس لدعوته قوة ، ثم كر عليهم بالحق قوياً بعد أن صدوه عن الحق ضعيفاً ، وقلب جزيرة العرب من بؤرة ضلال وجحيم فساد ، إلى مركز إشراق نفذت أشعة أنواره إلى الخافقين ، وعمت العالم .

وسنشير فيما يلي إلى أهم ما تم على يد الرسول ﷺ من تنفيذ و إنجاز ، قلبا وهدما ، و تأسيساً وبناء ، و تغييراً في سبيل إقامة الحياة الانسانية على الطريق

الحکومة السوفیاتیة إزاء مواطنیها المسلمین بعد أن عکف علی دراسة التجربة الاشتراکیة منذ خمسین سنة کاشتراکی متحمس أولا ثم کرئیس لجنة معارضة البلشفیة فی الهند، إنه بدأ استعراضه هذا من الوقت الذی لم تدخل فیه مناطق آسیا الوسطی هذه فی ید « زار » وبعده فی ید الاتحاد السوفیاتی. إنه اعتمد علی البحوث العلمیة والمصادر الرسمیة للاتحاد السوفیاتی إلی حد کبیر فی استعراض الحیاة القومیة للمسلمین، و لم یعتمد علی کتابات المهاجرین الروس إلا فی مواضع محدودة، إنه ذکر فی کتابه أنه کیف سیطر الملوك الروس علی هذه المناطق الاسلامیة و کیف کان المسلمون یعیشون فی عهدهم سیاسیاً و ثقافیاً و اقتصادیاً، و کیف حاول المسلمون بعد الثورة الاشتراکیة خلع نیر الملکیة الروسیة عن رقبتهم، و کیف نجح الاشتراکیون فی إقرار سیطرتهم علیهم، و ذکر البروفیسور تواری أنه کیف اغتر المسلمون المناصرون للتجدید بالتقدم و الاصلاح و تعرضوا للاعتداء الروسی، إنه قدم استعراضاً شاملا للمؤسسات الروسیة السیاسیة و الاجتماعیة و الاقتصادیة و نظام الحزب الشیوعی، و یظهر من ذلك ماهی الوسائل و الطاقات التی استخدمها الاتحاد السوفیاتی للسیطرة علی هذه القومیات لآسیا الوسطی و فرض الثقافة الروسیة علیها، و کذلك یتبین من استعراض نظام الحکومة و الحزب الشیوعی أن روسیا تعمدت أن یتخلف المسلمون تعلیمیاً و یبتعدوا عن المراکز السیاسیة و الاقتصادیة و یرتبطوا بالنواحی الاجتماعیة، إن دراسة البروفیسور تواری هذه تلقی الضوء علی الطبیعة العدوانیة للشیوعیین الروس، و یتضح کیف سلبوا الأمم المضطهدة حیاتهم الاجتماعیة والثقافیة والروحیة، إنه استعرض النضال الاسلامی للمسلمین الروس إلی ثمانینات هذا القرن، وبذلك قدم خریطة تامة لأهم صراع مصیری لهذا العصر یجری بین موسکو ومکة المکرمة، والذی زاد کتاب البروفیسور تواری أهمیة، أنه قدم محاولات نشر الثقافة الروسیة فی مسلمی آسیا الوسطی و النضال الذی جری ضدها و علاقات الأقلیة و الأغلبیة فیما بینها فی أسلوب علی رصین ومحیطة بالغة.

على أن ينمى فى أصحابه خصلتين من أهم ما يتوقف عليه نجاح الدعوة و استمرارها ، أولاهما من الأهداف ، و الأخرى من الوسائل ، وهما :

١ــ الحرص على هداية الغير .

٢ــ ومحبة الجهاد فى سبيل الدعوة .

فأما الأولى ، هداية الغير ، فقد وجه اليها الرسول ﷺ صحابته فى مناسبات و أحاديث كثيرة ، من أصرحها و أشهرها قوله لعلى رضى الله عنه : « لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم » .

وحمر النعم تعبير عن أنفس الأموال التى كانوا يقتنوها . وهى نوع من الابل نفيس أصيل جميل ثمين ، و هذا التعبير بمثابة قولنا : خير من الدنيا وما فيها .

وليتأمل فى كلمة (رجلا واحداً) وما فيها من دلالة على أهمية العناية بالفرد فى التربية و التوجيه ، و أن هداية الغير إلى الصواب والخير فى ذاتها لا يعدلها ثمن مهما قل عدد المستفيدين المستنيرين بها .

ويتصل بهذا الموضوع قول الرسول ﷺ فى حديثه المشهور :

« كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته . . . . . . »

و ما عدد فيه من أصناف الرعاة و مسؤولياتهم ، و فى رأس القائمة الامام ، حتى لم يبق أحد من أفراد المجتمع الاسلامى يستطيع أن يقول لنفسه إننى من الرعية غير مسؤول عن سواى ، و الامام هو المسؤول عنى و عن سواى ، بل إن كل فرد فى الاسلام هو رعية وراع فى وقت واحد ، فكما أن غيره مسؤول عنـــه فى أمور هو أيضاً مسؤول عن غيره فى أمور ، و من أهم ما تتعلق به المسؤولية عن الغير ، هدايته إلى الحق و الخير و الصواب ، لأن هذه الهداية أساس لاستقامة طريق حياته كلهـا .

و من هنا تفرعت مسئولية الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر التى حملها الاسلام على كل فرد مكلف فى المجتمع ، وأكد عليها القرآن والرسول تأكيداً شديداً .

و أما الخصلة الثانية التى حرص الرسول ﷺ على تنميتها فى أصحابه الذين سيخلفونه فى متابعة دعوته ، و هى محبة الجهاد و الاستعداد الدائم له فهى الوسيلة الوحيدة لحماية الدعوة وبقاء طريقها مفتوحاً ، ذلك لأن دعوة الاسلام فى عقيدة المسلم رحمة للناس أجمعين ، وهى آخر رسالات السماء إلى الأرض ، فيجب أن يبقى طريقها مفتوحاً ، وأن يكون « لا إكراه فى الدين » .

فان فقدت الدعوة درعها الواقية قتلها الأشرار الذين لا يخلو منهم زمان و لا مكان ، و عندئذ ينقطع حبل الهداية الذى هو حجة الله على الناس ، لاختتام الرسالات الالهية .

فلذا ركز القرآن العظيم والتوجيه النبوى على الجهاد فى سبيل الله و الدعوة أعظم تركيز فى واجبات المسلمين و مسؤولياتهم بأجيالهم المتعاقبة ، وحببه اليهم بما وعدوا عليه فى الآخرة من أعظم الثواب ، حتى كان الصحابة يتمنى أحدهم الشهادة فى الجهاد ، ويغتم ويعد نفسه سئ الحظ إن لم ينلها .

وقال الرسول ﷺ : « الجهاد ماض إلى يوم القيامة » .

ونصوص القرآن و الحديث النبوى حول الجهاد تكاد بكثرتها وقوة تأكيدها توحى بأنه أعظم الواجبات الاسلامية شأناً بعد الايمان ، و أن مصير المجاهدين ، و لا سيما من يستشهد منهم أفضل مصير عند الله فى الجنة ، و كان الرسول ﷺ نفسه يتمنى ويدعو الله أن يرزقه : « عيش السعداء ، ونزل الشهداء » .

فبتكوين هذا الجيل القيادى من الصحابة الذين رباهم الرسول ﷺ ، جيل الخلافة و المتابعة الذين غرس فى نفوسهم الحرص على هذين الأمرين الأساسيين :

هداية البشر ، و الاستعداد للجهاد فى سبيل الله بأوسع معانيه ، بذلك تمت لمحمد ﷺ الدعامة الرابعة و الأخيرة من دعائم العظمة و مقوماتها على أكمل وجه ، و أصبح أتباعه اليوم يعدون بمئات الملايين .

أمور أساسية فى طريق تكوين الجيل القيادى :

إن تكوين الجيل القيادى الصالح لخلافة الرجل العظيم فى الحفاظ على ما بنى ، وتنفيذ ما خطط ، و متابعة دعوته و استمرار حياتها من بعده ليس بالأمر الهين ، بل هو أشق وأهم أعمال العظماء ، وبه تتميز درجات العظمة ، فهو يحتاج إلى بصيرة و حكمة ومعرفة عميقة بطبائع الناس و أخلاقهم ، وحسن تحليل للمواقف و الظروف و المناسبات التربوية ، و إلى فراسة قوية فى تحليل الأفراد و معرفة قابلية كل منهم ، ثم إلى قوة حجة و قدرة على الاقناع ، لأن القناعة العميقة هى الأساس لصدق الالتزام بالمبادىء و الأفكار ، و للدفاع عنها باخلاص وتفان ، والتضحية فى سبيلها .

وقد أوتى الرسول ﷺ من كل هذه الخصائص مجتمعة ما لم يتوافر فى غيره ، ويبرز فى طريق تربية الأجيال القيادية ثلاثة أمور هى من الأهمية بمكان :

١ـ العناية بتكوين الفرد ، وعدم الاكتفاء بالتوجيه الجماعى الجماهيرى ، فان من المقرر أن التربية البناءة ذات الحصيلة الثابتة فى تكوين الجيل الصالح هى التى تبنى الأفراد فرداً فرداً ، لأن الفرد إذا نشأ نشأة سوية واعية مضمونة الاتجاه السليم السديد كان هو نواة ذات نتاج صالح موجه و تأثير كثير فى أسرته وفى غيرها من الرفاق و المحتكين و ذوى العلاقة و التكتلات . . . العادية ، و فى شتى المناسبات ، وصلاح الجماعات الكبرى إنما هو بصلاح الأفراد الذين تتكون منهم ، و العكس بالعكس ، كالبنيان فان قوته بقوة أساسه ولبناته ، لا بشكله الجميل الظاهرى وحسن هندسته الخارجية .

٢- حسن اغتنام الفرص التربوية ، و الظروف المناسبة التي يكون فيها التوجيه و الموعظة و التوعية أبلغ ، و الاستعداد النفسي للتلقي أكبر ، فكم من فرق بين أن يراق ماء السقاية على حجر لا يتسرب إلى داخله الماء و لا يتشربه ، وبين إلقاء هذا الماء على تربة متعطشة فتشربه بنهم و تسترطب به .

هذا مثل ما يلقى من التربية و التوجيه في المناسبات و الظروف الملائمة للتلقي و التقبل ، أو غير الملائمة .

وكلا هذين الأمرين ، أعني الاهتمام بالفرد، واغتنام أحسن المناسبات للتوعية ، كانا من أبرز ما يلحظه الدارس لطريقة الرسول ﷺ في التوجيه والتربية ، وشواهده في السيرة و السنة النبوية مستفيضة ، من ذلك مثلا : قصة الرجل الذي رآه يسأل الناس الصدقـــة في المسجد و هو قادر على العمل ، فسأله الرسول ﷺ عما لديه في بيته ، فلم يكن لديه سوى حلس (بساط) يفترشونه ويتلحفونه ، و قدح من خشب يشربون به . . . فأمره باحضارهما وباعهما بالمزاد بدرهمين، وأمره أن يشتري بأحد الدرهمين طعاماً لأهله ، و بالآخر قدوما فيحتطب به من البرية ، و يعود اليه بعد خمسة عشر يوماً ، فلما عاد كان قد وفر مما باع من الحطب بعد نفقته ونفقـــة عياله خمسة عشر درهما ، فعندئذ (لا قبل ذلك) لقنه الدرس . . . النـافع البليغ بقوله له : « هذا خير لك من أن تأتي يوم القيامة و المسألة (أي طلب الصدقة) نكتة سوداء في وجهك » (: سنن ابن ماجة في باب بيع من يزيد) .

٣- التوجيه إلى التزام المداومة على العمل الواجب و كل عمل مطلوب بناء .

و المقصود بالمداومة ليس هو الدأب الشاق ، بل عدم الانقطاع ، لأن العمل الدائم و إن قل ما يؤدى منه في المرة الواحدة ، هو الذي يعول على حصائله المستمرة ، بعكس العمل الدافق الذي يحصل من فورة قوية لا يمكن دوامها ، إذ تكون نتيجته الحتمية هي الانقطاع و الزوال ، و هذا ما نبه اليه الرسول ﷺ بقوله « أحب الأعمال إلى الله ما داوم عليه صاحبه و إن قل » ، ذلك أن المداومة تجعل من القليل كثيراً ، فالجبال إنما تتكون من حبات الرمال ، والبحار من قطرات الماء .

هذا و أخيراً طلع على العالم قبل عام تقريباً كتاب العالم الأمريكى (ما يكل هارث) الذى اختار فيه أعظم مائة شخص ممن ظهروا و أثروا فى التاريخ ، ورتب ذكرهم فى كتابه هذا بحسب مرتبة كل منهم فى مقياس العظمة الذى بنى عليه المؤلف تقديره ، وكتب خلاصة عن كل منهم تبين وجه عظمته ، والسبب الذى جعله يضعه فى المرتبة التى وضعه فيها .

وقد جعل المؤلف اسم محمد ﷺ فى رأس قائمة المائة واعتبره ...... أعظم العظماء فى تاريخ البشرية ، و قد دل الكتاب على سعة اطلاع المؤلف ودقة تحليله إلى درجة تثير التعجب و الاعجاب .

ولكن ما صنعه المؤلف المذكور هو غير هدفنا فى هذا البحث ، ذلك لأنه كما صرح نفسه به – لم يتخذ قيمة الأعمال التى أتى بها هؤلاء المائة ، وكمالاتهم الشخصية ، مقياساً لعظمتهم ، فلم يشأ أن يدخل فى باب هذا التقويم لصعوبته و وعورته و مشكلاته ، فيما يبدو ، وإنما نظر إلى درجة التأثير الذى أحدثه الشخص فى العالم ، ومدى دخله هو فى هذا التأثير وسعته ، سواء أكان ما أتى به خيراً للبشرية ، أو شراً فى الحقيقة و الواقع .

فمحمد ﷺ انطبق عليه مقياس هذه الناحية من العظمة و كان له فيها القسط الأكبر ، فكان فيها أعظم العظماء .

لكننا أردنا بهذا البحث أن نعرض العظمة فى مقوماتها الذاتية لا فى درجة تأثير العظيم فقط ، و أن نقوم ما تتكون منه عناصرها فى المقياس الصحيح للحياة الانسانية المثالية التى لا انحراف فيها و لا مساوىء ، لتكون نموذجاً يحتذى للكمال البشرى و الحياة الصالحة الخيرة . و هذا ما وجدنا أن نبينا محمداً ﷺ قد استجمع فيه دعائم العظمة كلها مما تفرق وتوزع بين عظماء البشر فكانت عظمته ﷺ جماع العظمات من الوجهة الواقعية التاريخية ، و إن لم ينظر إلى صفة النبوة التى ألقاها الله عليه و أيده بها فى عقيدة المسلمين .

فالعظيم من رجال التاريخ إنما يشتهر غالباً فى ميدان واحد أو اثنين من ميادين العظمة : فقد يشتهر أحد الفاتحين بفتحه ، أو أحد الشجعان بشجاعته ، أو أحد المخترعين بفرط ذكائه الاختراعى ، أو أحد العلماء الحفاظ بوفور علمه و حفظه أو أحد الأسخياء الأجواد بفرط أريحيته و جوده ، أو أحد الخطباء ببراعة بديهته وبلاغته ، إلى غير ذلك . . . . . على أن كثيراً من هؤلاء العظماء فى إحدى النواحى يكونون مثلا سيئاً منحطاً فى أخلاقهم أو حياتهم الخاصة ، أو فى بقية النواحى التى ليس لهم فيها تبريز وشهرة ، فيكون الخطيب البليغ جباناً شحيحاً ، و يكون القائد الشجاع ظلاماً منتهكا للحرمات والأموال و الأعراض ولكنه لمعت فيه مزية واحدة أورثته شهرة غطت معايبه الأخرى وصرفت الأنظار عنها ، وفقاً للقانون النفسى في توجيه أنظار الرائين و انتباههم .

أما أن يكون المرء عظيماً فى الشجاعة ، عظيماً فى الحرب ، عظيماً فى السلم عظيماً فى العدل ، عظيماً فى الصدق ، عظيماً فى العقل و فى الحزم و الحكمة . . والتدبير ، عظيماً فى الأخلاق الشخصية ظاهراً وباطناً فى السر والعلن ، . . . عظيماً في الجود وفى الزهد وفى التجرد والاخلاص والايثار وحب الخير للغير ، عظيماً فى معرفة داء الحياة ودوائها ، ، عظيماً فى البلاغة وجوامع الكلم ، عظيماً فى التشريع والقضاء إلى غير ذلك من ميادين العظمة ، بحيث يكون هو الشاب المثالى الأمين المثالى التاجر المثالى ، الصديق المثالى ، الزوج المثالى ، الأب المثالى ، ثم القائد المثالى المحارب المثالى ، رئيس الدولة المثالى ، المشرع المثالى ، العابد المثالى ، المعلم المثالى ، المربى المثالى . . . . فان مثل هذه العظمة الشاملة هى فوق مراتب العظماء ، إنها عظمة محمد ﷺ ، » و « الله أعلم حيث يجعل رسالته » .

فن الذكر و الدعاء

لفضيلة الشيخ محمد الغزالى

عرض و تعليق : الأستاذ على القاضى

يبدأ كاتبنا الاسلامى الكبير هذا البحث بقوله كيف عرفنا محمد بالله ؟ ثم يقول : إنه أحد الألوف المؤلفة التى عرفت هذا الاله الكبير عن طريق النبى العربى ...كان فى الناس من لايعرف الله أصلا ، وكان منهم من يعرفه معرفة فاسدة فأنار الطريق لكل هؤلاء ، و المسلم المتأسى برسوله يحس بأن لهذه المعرفة سمات خاصة تبدو فى حديثه عليه السلام ، و عند ما يذكر محمد ربه راغباً أو راهباً يشتد النبض فى الكلمات المنسابة وتمتد العاطفة فى المشاعر الحارة فلا يملك قارىء أوسامع إلا أن يخشع و يستكين لله رب العالمين .

إن المسلم الأول ـ و هذا ترتيب محمد فى النبيين ـ له فن فى الذكر و الشكر لم يحفظ قبله لبشر ، لقد ذكر القرآن أسماء الله الحسنى مئات المرات و رفض أن يكون الثناء على الله نظرياً لا يتحرك به فؤاد و لا يرق به سلوك ، ثم ترجم النبى العابد محمد عليه السلام هذا المنهج فى نواحى حياته كلها فصار إنساناً ربانياً .

إن الغنى بالله لا تدانيه مشاعر الرغبة و الرهبة ، و القوى بالله لا تقلقه أعداد القلة و الكثرة .

هل يمكن أن يكون الانسان على مستوى الملائكة؟ سؤال طرحه الكاتب الفاضل ثم أجاب عنه بقوله : إن النبى الكريم ضرب من نفسه المثل فى إمكان أن يعيش

البشر على مستوى الملائكة ذكراً لله وشكراً . بل أنه كذلك أنشأ جيلا من الناس يباهى الله بهم ملائكته ، لأنهم قاطعوا كل إغراءات الحياة (قل إن صلاتى ونسكى و محياى و مماتى لله رب العالمين لا شريك له) .

كان النبي عليه السلام يقول دبر كل صلاة : اللهم ربنـا و رب كل شيء إنا شهيد أن محمداً عبدك و رسولك » و ذلك ضرب من الاصرار على تحمل الأمانة و إبلاغ الرسالة للناس كافة مهما كذبوا بها و تنكروا لصاحبها .

حين يستيقظ النبي عليه السلام فى الصباح ، كان يستقبل الحيـاة بترحاب و تفاؤل يقول (الحمد لله الذى رد إلى روحى و عافانى فى جسدى) إن عظمة الحياة فى العافية ليؤدى واجباته باقتدار و رغبة .

و الصلاة تحولت فى سيرته من تكليف تصحبه المعاناة إلى سعادة تستريح إليها النفس و هو القائل : وقرة عينى فى الصلاة » و قد ارتبط قلبه بالمسجد وجعل تعلق القلوب به أملا حلواً وأحيا بسيرته دعاء إبراهيم عليه السلام إذ قال : (رب اجعلنى مقيم الصلاة و من ذريتى) .

فى الطعـــام :

كان عليه السلام ذا قدرة هائلة على العيش الغليظ ، و كان حفيا بنعمة الله يعظمها و يشكرها و يقول (إذا أكل أحدكم فليذكر الله تعالى فاذا نسى أن يذكر اسم الله تعالى فى أوله فليقل : بسم الله فى أوله و آخره) و كان إذا فرغ من طعامه يقول (الحمد لله الذى أطعمنا و سقانا و جعلنا مسلمين وكان إذا خرج من الخلاء يقول : غفرانك ، (الحمد لله الذى أذهب عنى الأذى و عافانى) .

مجالس النبوة :

كان لفرط شهوده وقوة علاقته بربه يحول الأرض سماء و البشر ملائكة

و كان يمقت مجالس الغافلين ، و الاختلاط بالناس ربما أثار حب الظهور ، وربما شغل الأذهان بقضايا تافهة ، عن ابن عمر قال : « فما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه : اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا و بين معاصيك و من طاعتك ما تبلغنا جنتك و من اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا) .

و عند النوم كان يقول ،كما روى أبو هريرة عن رسول الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ (إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليقل : باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسى فارحمها و إن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين) وبذلك يترك المسلم إرادته جانباً ويستعد لغيبوبة تطول أو تقصر .

و كان الرسول عليه السلام يرغب أمته فى استقبال الليل بكيان نقى نظيف فيقول (طهروا هذه الأجساد طهركم الله تعالى فانه لا يبيت أحد طاهراً إلا بات فى سفارة ملك يقول (اللهم اغفر له فانه بات طاهراً) .

و طهارة البدن لا تغنى عن زكاة الروح فعن على أن رسول الله ﷺ قال له و لفاطمة (إذا أخذتما مضجعكما فكبرا ثلاثاً و ثلاثين و سبحا ثلاثاً و ثلاثين و حمدا ثلاثاً و ثلاثين) و يستيقظ الرسول عليه السلام لصلاة الفجر بهذا الدعاء (أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله لا شريك له لا إله إلا هو وإليه النشور) .

فى خضم الحياة :

وجدنا حياته عليه السلام تتناول شئون الحياة المختلفة ،كانت العاطفة المشبوبة تجعله يتعرض للمطر أول ما ينزل فيقول (هذا مطر حديث عهد بربه) .

و كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاءوا به إليه فاذا أخذه الرسول عليه السلام قال (اللهم بارك لنا فى ثمرنا و بارك لنا فى مدينتنا و بارك لنا فى صاعنا و بارك لنا فى مدنا ، ثم يعطيه أصغر الحاضرين من الولدان .

و كان إذا عصفت الريح قال (اللهم إنى أسألك خيرها و خير ما فيها و خير ما أرسلت به ، و أعوذبك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به.

بناء البيت المسلم :

يقول الشيخ الغزالى: الغريزة الجنسية باب شر كبير عند ما تستبد بها النزوات العارضة ، لكن الله تعالى أهاب بالصالحين من عباده أن يقدسوا هذه الناحية وأن يوجهوا همهم بعد الزواج إلى تربية الأبناء (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا و ذرياتنا قرة أعين) و أول لقاء بين المسلم و بين عروسه يستحب أن يسمى الله تعالى ثم يدعو (اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا) .

ومن ميزات الاسلام أن يجعل المطالب الحقيقية الطبيعية للانسان محفوفة بذكر الله تعالى فنى الطعام دعاء و فى الشراب دعاء و خطبة الزواج فيها دعاء و هكذا .

معركة الخبز :

إن الانسان يريد الكثير لنفسه و أهله ، و تستهلك هذه الساحة الجهد البشرى ، و كان النبى عليه السلام يستحضر هذه المشاعر فيقول و هو خارج من بيته (باسم الله توكلت على الله ، اللهم إنى أعوذبك من أن أزل أو أزل أو أضل أو أضل أو أجهل أو يجهل على)

و الاعتماد على الله تعالى أمد النبى و الأنبياء قبله بمدد لا ينضب من معونة الله و لكن الأموال و الأولاد ينبغى ألا تلهى عن ذكر الله ، و الكسب لا بد و أن يكون من حلال و باسم الله تعالى ، و الصدقة لا تقبل إلا إذا كانت من كسب طيب، ونشأ عن تطبيق هذه التعاليم مجتمع يحنو أغنياؤه على ضعفائه ويبرؤن من عبادة المال .

و فى السفر دعاء يتوجه فيه المسافر إلى الله تعالى يطلب الأنس والحماية وكان

النبى عليه السلام إذا وصل إلى بلد قال (اللهم إنى أسألك من خيرها و خير ما جمعت فيها و أعوذ بك من شرها وشر ما جمعت فيها .

وفى أوقات القحط دعاء، وقد شرعت صلاة الاستسقاء والحاجة والاستخارة، و كل ذلك دعاء .

متاعب الدنيا :

البشر محكومون بقوانين اللذة و الألم ، والألم يكشف الضعف الانسانى ويدفع العاقل إلى الوقوف بباب الله تعالى يطلب العافية ، و كان النبى إذا راعه شيء قال : هو الله ربى لا شريك له .

و محمد عليه السلام ليس كاهنا يقول للمؤمنين : تعالوا إلى معترفين أغفر لكم و لكنه يقول : أدعوا معى الله ، أدعوا الله لأنفسكم و كان من دعائه (اللهم إنى أعوذ بك من الهم و الحزن و أعوذ بك من العجز و الكسل و أعوذ بك من الجبن و البخل و أعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال) .

كان النبى عليه السلام يكره المرض و يعوذ بالله منه ، كما أنه كان يكره الفقر و الدين ، و لكن هناك فرقاً بين الكفاية الواجبة الزيادة المغرية بالطغيان و العبث ، وكان يستعيذ بالله من الفتن و البغى والغدر و الجهل و كل ما يحط من كرامة الانسان الكريم ، ولذلك أمرنا الله تعالى أن نصلى على نبيه الكريم وأخبرنا بأنه يصلى عليه هو وملائكته، والصلاة عليه هى الرباط الجامع بين القائد وجنده.

لقد اختاره الله تعالى للرسالة وغفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر ، و معنى ذلك أنه قد بلغ مستوى من الرفعة لن ينحدر عنه ، و لذلك فقد سهر الليالى فى التهجد و التلاوة و جعل النهار للعبادة و الكدح و الجهاد المتصل ، و ما تناول منها و لا مقوياً بل و لا أكل كغيره ، ذلك لأن الأمداد الروحية الهابطة من السماء هى من وراء هذه الأعصاب الحديدية .

الأركان الماضية :

الصلاة هي الركن الأول في الاسلام وكان النبي عليه السلام إذا دخل الصلاة دعا ، كما أنه كان يدعو في كل ركن من أركان الصلاة .

يقول بعض أعداء محمد : إن رب محمد جبار متكبر ، فلم ينكر ذلك الشيخ الغزالي و لم يقل بل إنه رؤوف رحيم بل قال تعليقا على هذا الكلام : فليكن فهل يكسر جبابرة الأرض الأجبار السماء ، إن إنقاذ الدنيا من أولئك المدمرين رحمة مهداة ، ومع ذلك فانه تعالى يقول للتكبرين أنا معكم جابر ، وللمستهدين : أنا الكم مرشد ، و لطلاب الخير : أسالوا الله من فضله .

و في مناسك الحج اعترض بعضهم على أن بعض المناسك غير معقولة وقال : هناك أشياء لاتوصف بأنها ضد العقل أو مع العقل ، فتحية الجيوش لها نظام وبعض الناس يكتب من اليمين و بعضهم يكتب من اليسار ، و لقد ثبت أن مكة مركز العمران في هذا العالم والحجاج يقيمون سوقا للصالحات لها هدير هائل بالتلبيه والتكبير .

أتباع الأديان الأخرى أحسوا بالخطر من الدعوة الجديدة ورأوا أن ترك صاحبها يتحدث معناه : انصراف الناس عنهم فان الاسلام له بالنفس البشرية قرابة ، أليس هو صدى الفطرة . لذلك اتخذ الأعداء طرقاً عديدة للصد عنه و ذلك عن طريق العنف و التحدي لا عن طريق الدليل وإلا لكان ذلك في مصلحة الاسلام (وقال الذين كفروا لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا . .) .

إن الذين يؤيدون سياسة تكسير المصابيح هم أشد الناس بغضاً لمحمد و رسالته لأن الضوء يكشف باطلهم ، ولذلك كان لا بد من جهادهم ، و كان رسول الله عليه السلام حريصاً على أن يكون القتال لله و يأبى على رجاله أن يستفزوا الخصوم ، و كان يستحضر قدرة الله وفضله وغناه ويدعو بألوان من الدعاء منها (اللهم عذب

الكفار الذين يصدون عن سبيلك و يكذبون رسلك ويقاتلون أوليائك ، اللهم اغفر للمؤمنين و المؤمنات و المسلمين والمسلمات و أصلح ذات بينهم و ألف بين قلوبهم) .

هذا البحث القيم تقدم به الداعية الاسلامى الكبير إلى مؤتمر السيرة و السنة النبوية المنعقد فى الدوحة فى شهر المحرم عام ١٤٠٠ھ .

وقد سألت نفسى ما الهدف من هذا البحث ؟ هل من الممكن أن يحفظ كل مسلم هذه الأحاديث ليدعو بها ؟ لقد حاول بعض علمائنا الأفاضل أن يعطوا للمسلمين نماذج يدعون بها مقتبسة من دعوات النبى عليه السلام و من هؤلاء ابن تيمية فى الكلم الطيب ، و حسن البنا فى المأثورات .

إن المسلم يستطيع أن يحفظ قدر استطاعته ، و لكنه حين يدعو فانه يدعو بما يتلاءم مع هذا المفهوم .

والشيخ الغزالى كما ـ يخيل إلى ـ يهدف أولا إلى أن يبين للناس الدوافع لهذه الأدعية و ثانياً بيان الآثار التى تترتب عليها و ثالثاً إلى دعوة الناس إلى أن يسيروا على نهج نبيهم فى الدعاء وفى الروح التى تسرى فى نفس المسلم بصلته الدائمة بالله تعالى و فى إحساسه بالحاجة إليه و إلى معونته .

من هنا كان اتجاه الداعية الاسلامى الكبير إلى كتابة هذا البحث القيم .

و الشيخ الغزالى يمتاز بالتعليقات التى تكسب النص جوا إسلامياً واضحاً وتبين الحكمة منه و تجعل القارىء أقدر على السلوك المنهج بالأسلوب الذى يحقق الغرض ، ثم إن الشيخ الغزالى يمتاز بالتواضع فى كتاباته ، و لقد كان موفقاً فى عنوانه :

فن الذكر و الدعاء :

فالفن هو مزيج من العلم و العاطفة و الوجـدان ، و المسلم حين يصل إلى ذلك يمكنه أن يسير فى الخط الذى رسمه له الاسلام و هو سعيد مطمئن ، و بذلك يستطيع أن يحقق رسالته فى هذه الحياة وهى خلافة الله فى الأرض ـ عمارة الأرض

و اقامة العدل بين ربوعها و نشر الأمن بين الناس و أشد حاجات الانسان فى هذه الحياة .

و من تعليقات الكاتب الفاضل حول معنى أن يقول محمد لربه : أشهد أن محمداً عبدك و رسولك : هذا ضرب من ضروب الاصرار على تحمل الأمانة و إبلاغ الرسالة للناس كافة ، لقد كان حفيا بنعمة الله يعظمها ويشكرها و يغالى فيها ـ ومشكلة العصر الحديث أن قلب الانسان معلق بالمزيد فيحدث القلق لذلك .

و فى تعليق آخر تحت عنوان ليل أبيض يقول : إن النبى العابد يبدأ بالليل مرحلة جديدة من مراحل الاقبال على الله ، و قد ينام بعد ذلك و لكن القلب المفعم بالتقوى يقظان ، و طهارة البدن لا تغنى عن زكاة الروح .

إن للفطرة الانسانية معالم ثابتة لا يسوغ محوها و لا جهلها ، و هناك تدين مخبول يؤخر العقل و يجور على الطباع السليمة و يتجاوز منطقها ، و هذا التدين يرفضه الاسلام ، و لعل من احترام الفطرة و تلبية أشواقها ما كان يفعله النبى ﷺ حين كان يتعوذ من الجبن و الكسل و السآمة و البخل و سوء الكبر و سوء المنظر فى الأهل و المال و عذاب القبر و من الشيطان و شركه

و تحت عنوان :

فى خضم الحياة يقول :

ليست العلاقة بالله ساعة مناجاة فى الصباح أو المساء ، ينطلق المرء بعدها فى أرجاء الدنيا يفعل ما يريد ، كلا ! هذا تدين مغشوش ، التدين الحق أن يراقب المرء ربه حيثما كان وأن يقيد مسالكه بأوامره ونواهيه وأن يشعر بضعفه البشرى فيستعين بربه فى كل ما يعتريه .

و الغريزة الجنسية تجد متنفسها فى الزواج على الأساس الاسلامى ثم تربية

الأبناء وقد أهاب بالصالحين من عباد الله أن يقدروا هذه السعادة ولا يمدوا أعينهم إلى ما وراءها و أن يوجهوا همتهم بعد الزواج إلى تربية الاولاد و كفالة حاضرهم و مستقبلهم و تكوين جيل صالح مهذب منهم .

و الاسلام أباح الزواج و يسره و جعله من القربات إلى الله تعالى .

و النصرانية ترى من حقيقة التقوى حسم هذه العلاقة و تطلب من الصالحين و الصالحات أن يصموا آذانهم عن نداء الغريزة الجنسية ، و قد قام نظام الرهبانية على هذا الأساس ، وبعض الناس ضعيف الغريزة لا يبالى ، وبعض الناس يشتبك فى صراع مع نفسه ، و الغرب أثار الغبار حول مسلك الاسلام ، مع أنه بنى علاقاته الجنسية على فوضى رهيبة .

فى السفر و العودة :

و أدب النبوة فى الأسفار يوجه إلى الاهتمام بالله تعالى و ارتقاب لطفه ، والفقر إلى الله صفة لازمة لكل مؤمن و هو بهذا الوصف يستغنى عن الناس ويتحصن من متاعبهم ، البشر محكومون بقوانين اللذة و الألم قد يضعفون مع المتاعب إلى حد الهوان و قد يشتدون مع المنافع إلى حد الطغيان ، و المطلوب من المؤمن الكيس ألا يزيغ و ألا يطغى و أن يظل متماسكا على حاليه كليهما .

و بعد أدعية الصحة و المرض و الفقر و الغنى يقول : والمرء يدهش لأناس يجعلون النحافة و الشحوب أمارات التقوى ، و قد ظهر هذا الخلل بين الهنود أولا، ثم نقله النصارى إلى عناصر الرهبانية ثم نقله جهلة الصوفية إلى الاسلام، و المعروف من سيرته أنه كان متين البنيان يهزم المصارعين و يسير المسافات الشاسعة دون إعياء و يحمل أعباء الجهاد دون نكوص .

و قد أعلن النبي عليه السلام كرهه للفقر و الدين و شتى الأزمات التي تعكر الصفو و تذل الناس .

هناك أناس يكرهون من فوقهم و يحقرون من دونهم ، و هذا الضعف السئ يملأ جنبات الأرض . و قد أعلن عليه السلام حرباً صريحة على ذلك فقال : ليس منا من لم يرحم صغيرنا و يعرف لعالمنا حقه .

و من هنا فقد كانت الصلاة على النبى واجبة لأن فى ذلك عرفانا للجميل لهذ النبى الصالح و تقديراً لجهاده الذى محا به ظلمات الجاهليه و كشف أشباحها و أسس دولة للحق أعزت من يستحق العزة و أهانت من يستحق الهوان ، و لم ينسب إليه ، و لو عن طريق الكذب ، ما نسبه أهل الكتاب إلى أبناء الله من سكر وزنا و قتل و غير ذلك .

حقائق طبية :

إن الجراثيم التى تحمل العلل قد تهاجم بعض الأجسام بضراوة ، على حين تفقد شراستها حين تتصل بأجسام أخرى فما تمسها بأذى يذكر ، وأحياناً تشتد وطأة الجراثيم الهاجمة ، ومع ذلك تستقبلها من الجسم مناعة غريبة ، و ربما حمل الانسان أسباب المرض دون أن يتألم منه فما سر ذلك ؟ من الذى أفقد الجراثيم قدرتها على الاصابة إبتداء أو انتهاء ؟ نحن نقول : الله .

و التداوى حق ، وقد وصفت السنة عقاقير و أغذية و أشربة شتى للنجاة من الأمراض و لكن يبقى ، وقبل ذلك كله وبعد كل ذلك ، هذا السبب الحقيق الذى يجعل الجراثيم تستأنس حيناً و تفترس حيناً آخر ، الذى يجعل العدوى تنتقل من الهباء ولا تنتقل مع طول المخالطة و الالتصاق .

و فى تعليقه على دعاء الصلاة يقول :

الصلاة هى العبادة الأولى فى كل دين ، ولا صلاة مع فساد المعرفة أو رفض الانقياد لله فتصوير الألوهية شركة كفر ، و التمرد على شرائع الله كفر ، و منهاج الاسلام فى التربية يجمع بين صفات الجلال وصفات الجمال ، وما يستغنى البشر عن

هذا الجمع، فهناك فراعنة تغريهم السلطة بالبغى وهناك فقراء يعوزهم الدعم أو مخطئون يلتمسون الهدى ..

الكعبة :

شئ يشدنا نحن المسلمين إلى هذه الكعبة المشرفة ، أن أمتنا الكبيرة كانت أملا عند ما بدأ هذا البناء وأن رسالتنا الخاتمة كانت دعوة حارة عند ما برزت هذه القواعد ، كان ابراهيم و اسماعيل يقولان (ربنا واجعلنا مسلمين لك و من ذريتنا أمة مسلمة لك و أرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك و يعلمهم الكتاب و الحكمة و يزكيهم) البقره ١٢٨ / ١٢٩ ....

إننا نحن الذرية المسلمة المتبقية فى هذا الدعاء و إن رسولنا الخاتم محمداً عليه الصلاة و السلام هو و الدنا الروحى و الثقافى وصاحب أطهر أنفاس حث على العلم، أفلا نرتبط بعدئذ بهذا البيت و نزوره ما وجدنا إلى ذلك سبيلا ؟

و مما يلفت النظر أن القرآن الكريم حين أراد أن يذكر رمى الجمرات بمنى لم يستعمل هذا العنوان المألوف ، بل عبر عنه بذكر الله فى أيام معدودات قال تعالى (واذكروا الله فى أيام معدودات) البقرة ٢٠٣ - كأن المقصود من الموضوع هذا الذكر العالى لرب العالمين وما رمى الجمرات إلا رمز .

الجهاد :

إذا كنت تمشى فى الظلام ومعك مصباح يضئ لك الطريق فانك قد ترفع مصباحك ليهتدى معك غيرك ، و إن كره أحد الانتفاع بسناك فليعتسف السير وحده و ليتعرض للحفر و المهالك ما شاء له هواه (قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه و من عمى فعليها) لكن .

ما العمل إذا حاول سفيه يهوى الظلمة أن يكسر مصباحك ويطفئ شعاعك ؟ أليس من حقك أن تقاتله لتستبق الهدى لك .

. وإن ذلك ما فعله محمد (و من أظلم ممن افترى على الله الكذب و هو يدعى إلى الاسلام و الله لا يهدى القوم الظالمين، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم و الله متم نوره ولو كره الكافرون) .

ثم لننظر فى القتال الذى خاض ميدانه هل رأيناه معتداً بقوته أم مستنداً إلى قوة الله وحوله وطوله؟ هل رأيناه يبغى شيئاً غير إعلاء كلمة الله ؟ هل رأيناه يقول الويل للمغلوب أو يهمل الظروف تقول ذلك ؟

إن أطماع الدنيا لم تكن أمل هؤلاء الرجال الكبار إن الموت من أجل المبدأ الجليل هو ما غرسه النبى عليه السلام فيهم وهو أسعد نهاية يختم بها مؤمن حياته .

و الثابت فى خلق الرسول عليه السلام أنه كان شديد التوكل على الله و الثقة فيه، كان إذا قاتل قال : اللهم أنت عضدى ونصيرى بك أصول وبك أجول وبك أقاتل، وكان إذا خاف قال : اللهم إنا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم .

ثم يختم بحثه القيم بهذه الكلمة التى تدل على تواضع العلماء فيقول : هناك أئمة لهم دراسة السيرة الشريفة بعمر أطول وخبرة أعمق، وقد يستطيعون خيراً منى يتحدثوا فى فن الذكر و الدعاء عند خاتم الأنبياء .

لقد انتهيت من الكتابة وقد استولى على الشعور بالنقص ثم قلة جهدى ولعل غيرى يتم ما بدأت .

إن كاتبنا العالم الفاضل قد أضاف ببحثه هذا إلى المكتبة الاسلامية إضافة طيبة وسد ثغرة كنا فى حاجة إليها .

و قد يكون من اليسير أن يكتب الانسان فى ميدان مطروق ، أما أن يرتاد طريقاً جديداً فان هذا يحتاج إلى مجهود وصبر و دأب ، و شيخنا خير من يرتاد أمثال هذا الطريق .

على القاضى

الدعوة الاسلامية :

المدلول الصحيح لكلمة « لا إله إلا الله »

الأستاذ عمر أحمد مليارى

اختلف الناس فى معنى الكلمة ، و افترقوا فيه ثلاث فرق .

فطائفة: تقول إن معنى الكلمة ـ لا معبود بحق إلا الله ، وبعبارة أوضح : لا أحد يستحق العبادة إلا الله .

فما العبادة إذن ؟

جاء فى الحديث « الدعاء هو العبادة » . رواه الترمذى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه ، وقال حديث حسن صحيح ، ورواه أصحاب السنن .

كلمة يسيرة فى شأن الدعاء :

إن الانسان بفضل ما آتاه الله من العقل و هداه النجدين فكر فى شأنه فرأى أن نشأته تمت بطريقة غريبة لا يملكها أبواه فضلا عن غيرهما من سائر الخلق ، ثم رأى أن قوامه يتوقف على ضروريات مثل نزول المطر و هبوب الريح وطلوع الشمس و غروبها ، و كل ذلك يجرى بتدبير من الغيب ، فأيقن أن لا نجاة له إلا بعطف و رحمة من صاحب هذه القدرة الغيبية . و هذا الشعور فطرى لا يخلو عنه أحد من الناس ما دام عاقلا إلا إذا دنسته التربية و البيئة .

و هكذا أيقن الانسان أنه عاجز عن القيام بأمره فى هذه الحياة الدنيا ، ومع ذلك جاء النبيون فقالوا إن هناك أمراً أعظم من هذا ، و ذلك أن للانسان حياة بعد الموت لا تفنى أبداً ، إما فى الجنة أو فى النار ، و أن سبيل السلامة والفلاح فى الحياتين واضح وضوح الشمس ، و ذلك أن للدنيا و الآخرة مالكا يدبر شئونهما

كيف شاء ، فالانقطاع و الاتجاه إليه بتقديم الرغبات و الشكاوى مع التقرب إليه بما يحبه ويرضاه ، هو السبيل الوحيد، فلا سلامة للانسان إلا بدعاء من يستجيب له و عبادة من يستحقها ، فاذا توجه العبد بالدعاء والعبادة إلى من يستحقها فقد استقام وسلك سبيل الرشاد ، و إذا توجه بالدعاء و العبادة إلى من لا يستحقها فقد ظلم نفسه وصار إلى الهلاك و العذاب الأليم الدائم .

ثبت أن الرسول ﷺ قال « الدعاء هو العبادة » ، فمن قال اللهم أغثنى فقد عبد الله ، و من قال يا محى الدين أغثنى فقد عبد محى الدين، لان الداعي يعتقد أن المدعو يسمع ويقدر على الاجابة بطريقة غيبية. وأما إذا قال للشرطى عند وقوعه فى قبضته يا سيدى أغثنى فليس بدعاء و لا عبادة ، لأن الشرطى يسمع مباشرة بطريقة عادية ويخلى سبيل المستغيث إن شاء بطريقة عادية ظاهرة ، فالفرق بين الطلب الذى هو الدعاء والطلب الذى ليس بدعاء واضح ، فالأول منشأه الاعتقاد الغيبي ، و الثانى ليس كذلك .

فان قيل إن جملة « الدعاء هو العبادة » تفيد الحصر ، لأنها معرفة الطرفين مع الفصل بالضمير ، فيفهم من الجملة أن غير الدعاء ليس بعبادة ، وليس الأمر كذلك ، فان هناك عبادات عملية وقولية وقلبية و كذلك العبادات السلبية ، مثل ترك الزنا والخمر و الربا و غيرها من المنهيات ، فالجواب ـ أن جميع العبادات روحها والباعث عليها هو الدعاء ، ولو لا ذلك لا تكون عبادة ، مثلا إن الصلاة أفضل العبادات ولكنها لا تكون عبادة إلا إذا كانت على ابتغاء رضوان الله ورجاء ثوابه وخوف عقابه ، فان روح الصلاة و الباعث عليها هو هذا الدعاء ، و قد وجدنا ناساً يصلون اثنتى عشرة ركعة قبل الشروع فى القطيعة (عبادة شركية أحدثها المبتدعون أهم أركانها نداء الشيخ محى الدين ألف مرة) فهذه الصلاة باعثها دعاء الشيخ محى الدين ، فهى

عبادة له ، فأما صلاة المرائى فليست بعبادة أصلا ، لأنها لا تحتوى على الدعاء ، وهى جوفاء خالية عن المخ الذى هو الدعاء ، فالذى يحسن الصلاة ليراه الناس و إن يكن مستحقاً لعذاب الله بدليل قوله تعالى « فويل للمصلين ، الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون » ، لا يكون بذلك مشركاً كافراً خالداً فى النار .

و كذلك لا شك أن الصدقة على الفقراء و إطعام المساكين عبادة ، لكن بشرط أن يبتغى به وجه الله ؛ و هذا الابتغاء هو الدعاء ، و أما الصدقة و الاطعام على ابتغاء رضا الناس فليس بعبادة لأنها خالية عن الدعاء الذى هو مخ العبادة ، و أما توزيع الصدقات و إطعام المساكين على ابتغاء رضا أولياء الله الميتين ، فذلك عبادة لهم بلا شك .

إذا أذن المؤذن للصلاة نهض الناس من البيوت و الأسواق و المكاتب مثلا إلى المساجد ، فكل هذه الحركات بعد سماع الأذان يحتوى على دعاء الله ، فكلها عبادات لله رب العالمين ، و الذين يريدون زيارة قبور أولياء الله للتبرك بها والتقرب إلى أصحابها فكل هذه الحركات بعد نية السفر عبادات لأولئك المقبورين ، لأنها تحتوى على دعائهم ، فانما العبرة بما تخفى الصدور ، والله ينظر إلى القلوب ، صدق رسول الله عليه الصلاة و السلام « الدعاء هو العبادة » ، و كذلك المؤمن يخاف أن يقرب الزنا ابتغاء رضوان الله وخوفاً من عقابه فلا شك أنه عبادة عظيمة لأن الباعث عليه الدعاء ، وهلم جراً .

فتبين أن الدعاء أعظم العبادات و أهمها ، كما تبين أن جميع العبادات لا بد أن تكون مشتملة على الدعاء .

فهم هذا الحديث حق الفهم يعين على فهم مدلول كلمة « لا إله إلا الله » .

و طائفة تقول إن معنى الكلمة لا مطاع بحق إلا الله و بعبارة أوضح لا أحد يستحق الاطاعة إلا الله ، فمن أطاع غير الله فقد كفر بزعمهم ، و لهذه الطائفة

قصة يحسن ذكرها ، و ذلك أنه لما كان جميع أهالى الهند متفقين على مطالبة الحرية والاستقلال و طرد الانجليز من الهند ، و لم يختلف فى ذلك حزب من الأحزاب و لا ملة من الملل ، مستعدين للتضحية بكل ما يملكون فى هذا السبيل ، قام طائفة من المسلمين بمشاركة النـاس فى هذا الجهاد محتجين بحجة هى عندهم أقوى من جميع الحجج ، وذلك زعمهم أن الناس بسبب خضوعهم لقوانين الحكومة البريطانية أصبحوا مشركين ، لأن إطاعة القوانين عندهم عبادة بلا شك ، و زعموا أن مفهوم لا إله إلا الله ، لا مطاع إلا الله ، ولهم فى هذا مؤلفات كثيرة .

و على هذا الأساس حكموا بالكفر على المسلمين الذين أكرمهم الله بالايمان و أعلن فى محكم كتابه أنه تقبل منهم ذلك حيث يقول الله تعـالى « و ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظـالمين » ، و لا شك أن امرأة فرعون عاشت مطيعة لأوامر زوجها وقوانين حكومته ومع ذلك جعلها الله مثلا للمؤمنين فلله الحمد .

و معروف للجميع ما ذكر الله لنا عن يوسف عليه السلام من قبوله الوظيفة تحت الملك الكافر ، و كما يعرف الجميع أن الرسول عليه السلام بعث جمـاعة من الصحابة إلى الحبشة يطلبون الأمن و لم يعملوا هناك انقلاباً ثورياً ضد النجاشى ، بل عاشوا مطمئنين هادئين .

و على هذا الأساس حرفوا معانى الآيات التى جاء فيهـا الأمر بعبادة الله والنهى عن عبادة غيره ، كما فسروا عبادة الطاغوت باطاعة قوانين الحكومة الغير المسلمة ، رغم ما اتفق عليه المفسرون من أن المراد من عبادة الطاغوت عبادة كل معبود سوى الله .

و هذه المزاعم كلها غلو منهم ودين الله براء منها ، و هذه الطائفة صنو جماعة التكفير و الهجرة التى ظهرت فى مصر قبل سنوات .

و طائفة ثالثة تقول إن معنى الكلمة لا رب إلا الله فاذا اعتقد الانسان أن الله وحده هو الخالق مدبر الأمور القادر على كل شئ العليم بكل شئ أصبح مؤمناً، فاذا دعا غير الله فقال مثلا « يا محي الدين أغثنى » ، أو نذر له أو توجه إلى قبره وطاف به لا يضر بزعمهم ما دام يعتقد أن الله وحده هو الرب .

و هذا خطأ بين ، لأن المشركين فى مكة كانوا على هذه العقيدة ومع ذلك أنكروا لا إله إلا الله ، فلو كان هذا معنى الكلمة لكانوا أسرع الناس إلى قبوله ، و بيان هذا فى القرآن فى آيات كثيرة نكتفى بذكر واحدة منها وهى قوله تعالى فى سورة الأنبياء « قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير و لا يجار عليه إن كنتم تعلمون ، سيقولون لله قل فأنى تسحرون » .

فان قيل إذا كانوا يعتقدون وحدانية الرب فكيف عبدوا غير الله ؟ فالجواب عبدوا غير الله ابتغاء رضوان الله بزعمهم ، و ذلك واضح فيما حكى الله من قولهم «هؤلاء شفعاؤنا عند الله » و من قولهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، فزعموا أنهم لا يعبدون غير الله إعراضاً عن الله ، بل يعبدونهم للاقبال على الله ، فان هؤلاء المعبودين شفعاء عند الله بزعمهم .

و إن أصحاب هذا الرأى من أمتنا لا يرون بأساً فى دعاء أولياء الله الميتين ، فقد وجدناهم يقولون لا ندعو الأولياء على اعتقاد أنهم قادرون على استجابة دعائنا و على قضاء حاجاتنا وكشف كرباتنا ، و إنما ندعوهم على اعتقاد أنهم يشفعون لنا عند الله ، وقد ترتب على هذا كثير من أبواب الشرك فزعموا أنها لا تناقض التوحيد .

فالآراء فى معنى الكلمة ثلاثة ، نوجزها - الأول : لا معبود بحق إلا الله ، و الثانى : لا مطاع بحق إلا الله ، و الثالث : لا رب إلا الله .

يجب على المسلمين أن يفهموا كل هذه الآراء ليتبينوا أيها الصواب ، فيتمسكوا به ، و الله الموفق ، ولا حول و لا قوة إلا بالله .

الهجرة و مغزاها

الدكتور السيد فهمى الشناوى

يبدو أن موضوع الهجرة لم يستوعب جيداً رغم أنه قتل بحثاً من الناحية التاريخية ، فهل الهجرة مجرد حادثه تاريخية من حوادث التاريخ تروى فى إطار تاريخ القدماء فقط ؟ أم هى درس وتربية وفلسفة ، وهى التى تصنع التاريخ لا مجرد نتاج ثانوى من التاريخ ؟

إن بعض التأمل يؤكد لنا أن كل الحضارات نتجت نتيجه هجرة ، فمجموع الحضارات حتى الآن سبع و عشرون من أول السومرية حتى الحضارة الأمريكية المعاصرة ، و نسمى الأخيرة مدنية بدلا من حضارة جميعها قامت على هجرة أو إثر هجرة ، و أوضحها فى الأذهان المعاصرة طبعاً هى هجرة مجرى أوربا و قطاع طرقها و ضحايا الفقر و الجوع من أقطارها إلى أمريكا حيث أوجدوا هذه المدنية المتلألئة .

و يمكن أن نضيف — من باب التعداد — أن الهجرة أيضاً هى التى بنت إسرائيل ، و لا زالت صورة الهجرة و المهاجرين تطغى على كل الأدبيات الأمريكية حتى أفلا مها السينمائية و تطغى على السياسة و الجيش و الكيسنيت فى إسرائيل ، إذن فى أمريكا وفى إسرائيل يلحظ بوضوح تام تأثير الهجرة فى تحول مجتمع أمريكا الشمالية ومجتمع فلسطين ، لذلك فان الهجرة فى حد ذاتها هى من أكبر مفاتيح التغير

الاجتماعى ، و أظن أنه واضح أن نفس المجتمع المصرى الآن قد تحول نتيجة هجرة مليون مصرى إلى خارج أرض النيل بما لم يتغير منذ وقت الفراعنة . سألت أحد علماء المصريات الانجليزى الجنسية الذى زار مصر بعد الحرب العالمية الثانية ثم زارها الآن : هل لاحظت ماطرأ على الفلاح المصرى ؟ فقال لى إن الفلاح إلى الستينات كان بنفس الصورة المرسومة على المعابد ، فى لباسه و ملامحه و طنبور الرى و تقديسه لحافر البقرة المصرية ، أما اليوم فقد مزق هذا الاطار الذى ظل حبيساً فيه آلاف السنين ، (هل يا ترى تغير الفلاح عند ما تغير النيل نفسه من نهر حر إلى نهر ماجم أقرب إلى البحيرة ؟) .

هل الهجرة إذن من عوامل التغيير الهامة والأكيدة لأى مجتمع ؟ توجل الاجابة إلى أن نستعرض كافة العوامل التى يمكن أن تحدث تغييراً فى المجتمع و هى معروفة فى طب المجتمع بأنها الشخصية و الصدفة و السنة أو السنن أو الاقتداء و الناس أو الجمهور و الأكثرية ؟ توجل بحث هذه العوامل كلها إلى أن نتأمل باقى مظاهر الهجرة هذه . . ما دمنا نريد أن نضع الهجرة كعامل مؤثر فى كل حضارة

تأمل الهجرة و دورها : كل نبى هاجر ، موسى هاجر منذ أن ألقى به فى اليم إلى أن خرج من مصر إلى فلسطين ، و عيسى هاجر من فلسطين إلى مصر ، ومحمد ﷺ هاجر ، وابو الأنبياء إبراهيم هاجر ، وكل الأنبياء المعروفين هاجروا ، وربما كان هناك أنبياء غير معروفين هم الذين لم يهاجروا .

بل إن محمداً ﷺ هاجر أو هجر المسلمين مرتين ، مرة إلى الحبشة ثم مرة إلى المدينة ، و كانت دولة خارج « مجتمع مكة القديم » .

بل إن آل محمد كلهم هاجروا ، وكانت قمة المأساة فى مهاجرة الحسن والحسين ، و بعض آل البيت هاجر إلى مصر .

و فى العصر الحاضر و فى داخل المجتمع العربى حدثت هجرات نلمس جميعاً آثارها فتهجير مدن القناة أوجد وعياً جديداً نحو تملك الدولار و السكن الخاص و عملية التفاوض مع إسرائيل ، و كلها مفاهيم جديدة تماما على الوعى المصرى ، و تهجير أهل النوبة تقضى تماما على هذا الجنس بأخلاقياته وتقاليده المميزة المعروفة، وتهجير كثير من أبناء البلاد المحيطة بالسودان اليه سبب له إقلاقا بعد طول استقرار، بينما تهجير الأكراد من شمال العراق إلى داخله قوى الحكومة المركزية ، وكان أشبه بالقوة التى اكتسبها عبد العزيز آل سعود من تهجير البدو من الصحراء إلى مدن جديدة أنشأها ، وكان تهجير بعض أهالى بنجلاديش إلى الهند سبباً فى نشوب الحرب بين الهند و باكستان انفصلت على أثرها بنجلاديش ، و مثل هذه الظواهر يمكن تتبعها فى أرمينيا و قبرص و تركستان الشرقية مما يضيق نطاق حصرها .

و لكن من استقراء ذلك كله لا يستطيع أحـد أن يتجاهل أن الهجرة ذات أثر فعال و حاسم فى تغيير المجتمع و فى خط سير التاريخ ، و نكتفى كمثال بارز دكاريكاتورى ـ المجتمع الأمريكى .

و إذا كان هذا ما يحدث فى نطاق هجرة الجماعات بأن الهجرة على مستوى الفرد المهاجر لها أيضاً تأثير حاسم ، فمحمد فريد غير مصطفى كامل رغم وحـدة المذهب السياسى ، و سعد زغلول الذى يختـاره الانجليز بأنفسهم للوزارة هو غير سعد زغلول بعد النفى و الذى يطلب الانجليز رأسه ، و لعل أبرز مثل لتأثير الهجرة على تاريخ الشخص الفرد هو الامام الخمينى نفسه ، فرغم أن مصدق كان زعيم الشعب الوطنى قبله و أثناء حياته و سار فى نفس خطاه إلا أن هجرة الخمينى إلى العراق ثم فرنسا غيرت لديه مفاهيم و أساليب و أهداف النضال السياسى .

و ما من قرية فى مصر إلا و تشهد الآن تغيير عقلية و نفسية و مادية فريق

من أبنائها هاجروا عنها إلى الشرق العربى ، و ليس هذا التغيير هو نتيجة التحويلات المالية فقط و لكنه راجع فى المقام الأول إلى تغير نظرة الفلاح إلى موضوع الغربة أو التغرب و إلى تغير جوعه نحو الأرض و إلى تغير علاقته بأمه وزوجته وإخوته و ماشيته و إلى تقويمه السابق للقرش و للعاطفة و للدين .

وأصبح الآن واضحاً فى المجتمع المصرى نتيجة هذه التغييرات انصراف الناس عن السياسة و شئون المجتمع و الاهتمام بالذات و تنمية الذات و تغيرت صورة البطولة لدى معظم المصريين ، و أصبح البطل لدى الكثيرين هو صاحب الملايين أو لاعب الكرة أو المنطوى على ذاته عنفياً ثرواته ، وكل هذا التغيير إنما مردوده إلى الهجرة التى قام بها الفلاح المصرى فى العقدين الأخيرين ، بل إن مفاهيم سياسة كثيرة قد تغيرت و لم تعد الوحدة السياسية الدينية من واجبات السياسى ولم تعد شعار من الخليج إلى المحيط ذا طعم و لم يعد صوت العرب ذا دوى ، و لكن الفلاح و العامل و المهنى هو الذى يحقق هذه الوحدة بنفسه و على مسئوليته و بطريقته الخاصة و فى مناطق دون مناطق من هذا الوطن العربى الواسع ، و يلاحظ أن مناطق استعصت على السياسى و العسكرى المصرى قد انفتحت أمام الفلاح و المهنى و العامل مثل اليمن و الأردن و الخليج و غيرها .

هذا عن الهجرة المادية بالجسد بين الجماعات والأفراد ، أما هجرة الأفكار فانها أكثر و أوسع وأعمق و أخلد ، و مع سهولة الاتصال و انتشار التعليم بين طبقات الشعب ومع تضخم أجهزة الاعلام أصبحت هجرة الأفكار حتمه ولا تقاوم و لكنها أيضاً يلقى منافسة من المحيط الفكرى الدولى أوالعالمى أو فكر الانسانية العام والمشترك و نحن الآن بصدد مجرد تقييم نسبة أثر الهجرة إلى العوامل الأخرى المؤثرة فى أى مجتمع .

عوامل التغيير فى أى مجتمع : تكلم المتكلمون عن أن المجتمع يتأثر و يتكون من خلال العناصر الآتية ، و هى العوامل التى أحب أن أضيف إليها عامل الهجرة.

١ — الشخصية : أو البطل أو الزعيم ، فالتاريخ عبارة عن مغامرات أشخاص معين مغامرة هتلر ، مغامرة نابليون ، مغامرة ابن جوريون الخ ، يقول أمرسون صاحب هذه النظرية : صفوا لى «نابليون» أصف لكم مجتمع أوربا الحديث ، صفوا لى نبى الاسلام أصف لكم الاسلام و مجتمعه ، و كارليل أيضاً من أنصار هذه النظرية و يعتبر أن شخصية محمد مع التقائها بشخصية على وهو ابن ٩ سنوات عندما آمن به وصدقه هى التى صنعت الدولة الاسلامية الأولى ، بينما ه . ج . ولز فى مختصر تاريخ العالم يقول : إن التقاء شخصية محمد بأبى بكر و تصديق أبى بكر الدائم هو الذى صنع دولة الاســلام . . هل نسى خديجــة و هو الأوربى الذى ينصف المرأة ، وضد هذه النظرية تقوم النظرية المادية (والشيوعية) و التى تقول بجبرية التاريخ كما أن البذرة جبرياً تفلق التربة وتنمو ثم الشجرة جبرياً تنمو و تطرح ثماراً ، فالمجتمع أيضاً ينمو كجزء من الطبيعة المادية ، أما الأفراد فلا يؤثرون ، ويرد عليهم كارليل وأمرسون ، بأن القوانين الطبيعية هذه هى مجرد أداة فى يد الشخص المعطل يستخدمها إما إلى إبداع وإما إلى تدمير.

٢ — السنة أو السنن أو القدوة : وهى أن مجموع الناس تسير على قدوة من شخص أو فكرة دون أن يضع هذا الشخص أو البطل شيئاً إلا فى نفسه دو لا فى المجتمع ، هذه النظرية تجعل المجتمع كائناً حياً يختار و يحاسب و يحاسب ، لا مجرد رمال يدوس عليها البطل ، و معنى القدوة أيضاً أن المجتمع يلتزم بسبيل معين هو سبيل القدوة ، ومن ثم يبدو كأنه خاضع لقوانين جبرية لأنه يختار سبيلا واحدة لا سبلا مختلفة ، و هذه أساساً نظرية إسلاميــة و هى تجعل

المجتمع كائناً حياً كالجسم الحى تماماً ، و من ثم اعتقد أنه يمكن تطبيق كل ما اكتسبناه فى علوم البيولوجيا (علوم الحياة) فى الجسم و النفس البشرية على المجتمع و السياسة بين الناس .

و هنا فى هذه النظرية لا نفرق بين سنة و شيعة ، لأن السنة يحبون النبى و يقلدونه كقدوة . فهم إذن شيعة النبى ﷺ ، والشيعة يتشيعون للنبى فهم إذن سنة ، وأما الاختلاف السياسى بينهما فهو أن الشيعة نظروا إلى الاسلام كثورة وأن مجلس قيادة الثورة هذه هو الذى يختار القائد كلما توفى قائد سابق و يتكرر هذا الاختيار الفوقى إلى أن يصبح جمهور الشعب قادراً على الاختيار المباشر و الديموقراطية ، وإذا طالب الجمهور بالديموقراطية من أول يوم بعد وفاة النبى فان هذه هى الديموقراطية التى تقهر الديموقراطية » ، بينما قال الآخرون (أهل السنة) بأن الديموقراطية ممكنة من أول يوم وإنها أبداً لا تكون « ثوباً فضفاضاً » (كما قال يوما عبد العزيز فهمى عن دستور ١٩٢٣) .

لو أن أهل السنة تذكروا دائما أن كلمة السنة معناها القدوة لتغيرت مفاهيم سياسية كثيرة و لو تذكروا أن مدارس أبى حنيفة و مالك و الشافعى إنما ظهرت فقط بعد فترة تتراوح بين ٨٠ إلى ٢٠٠ سنة من وفاة النبى ، وأن خلال ما قبل هذا كان الكل شيعة النبى ماعدا من يطمع فى الملك فقط وأن مدارس جعفر الصادق وغيرها ما هى إلا مدارس أمثال مدارس أهل السنة ، إذن لانتهى هذا الخلاف تماماً و توحد المجتمع الاسلامى فى كلمة واحدة هى القدوة اجتماعياً و سياسياً .

٣ ــ الصدفة : أو الوجودية أو الحظ . هذه نظرية تذكر لكى تشجب و تنتقد .

لأنها نظرة السطحيين و الذين لم يتملوا العلم الحديث بقوانينه . فالبذره عندما تفلق التربة ثم الشجره عند ما تنمو لا تفعل ذلك الاخاضعة لقوانين ولسيت

حرة تنبت رماناً أوحنظلا ، و المهندس الزراعي الذي يشرف على هذه الشجرة عند ما يحسن استقراء قوانين ربها و تسميدها و تأبيرها يحصل على أحسن نتائج لأنه خضع للقوانين لا لأنه خرج عليها ، فالعلم ذاته عبارة عن خضوع للقوانين بعد التوصل إليها ، بل يصل الخضوع إلى حد التمسك و التمجيد و الدفاع عنها ، كوبرنيكوس و غيره دفعوا حياتهم ثمناً لهذا .

و المجتمع مثل البستان يسير وفقاً لقوانين ثابتة ، و على المهندس الزراعى أن يعرف هذه القوانين و يتمسك بها ويطبقها وهو مسئول إن لم ينفذ هذا ، و القرآن و الكتب السماوية فى الوقت الذى اعترفت فيه بأن المجتمع يسير وفق قوانين ثابتة لم تنف مسئولية الانسان حيال المجتمع ، إذن الانسان مسئول عن معرفة تلك القوانين عن طريق كافة العلوم ثم مسئول عن تسخير تلك القوانين من أجل المجتمع .

و حتى الأنبياء لم يأتوا بقوانين جديدة للمجتمع ، و لكنهم كشفوا و أماطوا اللثام عن قوانين وضعها الله ـ و لم يترك شيئا للصدفة ـ و كان تواضع الأنبياء إنما هو راجع إلى هذه الحقيقة و هى أنهم يميطون اللثام عن قوانين الله وينبهرون بها ويسجدون لها ، أما أصحاب نظرية الشخصية فكانوا و لازالوا يقدسون صورتهم هم كابطال و يفرضونها على الناس حتى الأطفال الأبرياء ، و أما أصحاب نظرية الصدفة فقد جردوا الناس من أى ارتباط و جعلوهم ينتظرون المعجزات و الحظ .

و اكتشاف قوانين الله بالتأمل وبالعلم مما ينفى كل صدفة إنما هى مهمة ضخمة جداً لدرجة أن الانبياء لم يطلب منهم أن يغيروا شيئاً فى المجتمع بأنفسهم وأن يكتفوا فقط بعرض هذه القوانين ، « إن عليك إلا البلاغ » « لست عليهم بمسيطر » إن أنت إلا نذير » .

٤ــ الناس : إذا كانت السنن هي إماطة اللثام عن قوانين الله في الطبيعة و المجتمع و إخضاع النفس لها بواسطة الأنبياء ثم اقتداء الناس بالأنبياء في هذا ، فان الناس هم جماهير الشعب ، و هم دائماً حسنو النية و الطوية ، دائماً يضللهم قادتهم ، و هم دائماً موضع رحمة الخالق ، فالله لا يجعل وسيطاً بينه وبين الناس ، وعند ما يقول : « أقرضوا الله قرضاً حسناً » لا يعني إلا إقراض الناس طبعاً ، و أما الايصاء بالمستضعفين و إيصال الحقوق ورفع الظلم فيكاد يكون الجزء الأكبر من أي دين و تكاد تكون القضايا الأخرى جميعاً فرعية لهذا الأمر و مترتبة عليه أو تفصيلا له كالتوصية على اليتيم و ابن السبيل و المجاهد و المرأة إلخ إلخ .

و يكاد يكون هناك محور مقابل ، محور مضاد ، محور الله مع الناس مقابل محور الملوك معهم النهب و القوة السياسية .

و الكلام في موضوع « الناس » يتولد منه الكلام عن الحرية و عن العدالة و عن التعليم و عن الحقوق و الواجبات و عن الديموقراطية ، و بكلمة واحدة : كل قضايا المجتمع .

الناس ككلمة هي كلمة مفردة و ليس لها جمع ، و بذلك هي متميزة ، و في اللغات الأوروبية جميعاً تقابلها كلمة قريبة جداً حيث تحل الميم مكان النون .

و من السهل ملاحظة أن المدارس و وسائل الأعلام هي نشريات « الناس » و من ثم فهي من أهم أماكن الخدمة « للناس » .

تذكر الأمثلة الآتية التي قام فيها « الناس » بأثر واضح في تغيير التاريخ والمجتمع

١ــ عند ما رحب المصريون بجيش عمرو بن العاص الذين لم يزد عن ٤٠٠٠ سواء كان هذا الترحيب لأنهم من أصل عربي و هاجر إلى مصر ، أو لأنهم تمردوا على مظالم الرومان .

٢- عند ما استجاب أهل السودان لمحمد أحمد المهدى فكانوا يحاربون مدافع الامبراطورية البريطانية بالقاء أنفسهم عليها أو بالتبابيت، وذلك غداة انتصار بريطانيا على مصر التى كان له قدم فى السودان .

٣- عندما استجاب أهل الهند لقادة الثورة و حاربوا الأمبراطورية البريطانية بالعصيان المدنى فقط .

٤- عندما استجاب الأفغان فى روسيا القيصرية الذين كان يذيبهم الاقطاعيون مع الأرض إلى النظرية الشيوعية رغم غيبة الزعيم عن الجماهير .

٥- عندما استجابت جماهير الشارع فى إيران ضد الشاه .

إلى العوامل السابقة وهى شخصية البطل والسنة أو القدوة التى يعطيها البطل والناس أنفسهم الذين يتبعون بطلا دون بطل آخر، نحب أن نضيف الهجرة كعامل فعال يغير القوم من حال إلى حال ، كما رأينا فى أمريكا و فى إسرائيل و فى استراليا ، التى تكونت جميعا من مهاجرين ، كما أنه معروف أن التوسع الامبراطورى البريطانى جاء نتيجة هجرة الانجليز عبر البحار و أن الأمبراطورية العثمانية جاءت نتيجة هجرة من الصين .

فالهجرة هنا تغيير يصيب عنصر « الناس » الذى ذكرناه فيخرج منه طاقات كامنة . و هى عملية أقرب ما تكون إلى نقل نبات من أصص صغير محدودة القدرة إلى أرض جديدة واسعة يترعرع فيها النبات الذى كان على وشك الذبول لوظل محصورا فى تربته المحدودة ، و هى عملية أشبه بعملية شتل الأرز و غيره ، ودائما فى المهجر تنمو الطاقات و تتكون الثروات و تنطلق القدرات .

وما من نبى ولادين جديد إلا وهاجر النبى وهاجر رواد الدين وانتشر الدين فى المهجر لا فى البلد الأصلى .

الهجرة فى الاسلام :

يكرر الكتاب استعمال لفظ الهجرة النبوية حتى ظن الجمهور أن النبى ﷺ هاجر وحده فى عملية تسللية وفى خفية من الأعداء ، وأساء بعض الخراصين تعليل ذلك على أنها فرار من مجتمع مكة أو أنها مهاجرة من مجتمع فقير وظالم إلى مجتمع آخر تتوفر فيه حياة مادية أحسن ، و هذا يستدعى أن نلاحظ الآتى :

إن الهجرة تمت مرتين لا مرة واحدة ، أولاهما كانت إلى الحبشة و الثانية إلى يثرب ، وإن الهجرة كانت هجرة مسلمين وجموع الشعب وإن شعباً إسلاميا كان قد تكون بالفعل خارج مكة وخاصة بين الأوس والخزرج فى يثرب ، وإن المسلمين الجدد بايعوا الرسول فى العقبة على نية الجهر بالدعوة ضد النظام القائم فى مكة ، كل هذا تم قبل حادثة الهجرة ذاتها .

صحيح أن الرسول ترك فراشه ليلا وقد نام فيه مكانه علي ، وصحيح أنه عبر الصحراء مع أبي بكر وحدهما فى عملية لا يقدر عليها إلا الكوماندوز ، عملية عبور حوالى ألف كيلومتر عبر أقسى صحارى معروفة فى العالم ، و لكن علينا ألا نتناسى دور الجماهير (الناس) و دور هجرة هؤلاء الناس قبل ذلك ، و دور اكتمال الشعور بالقدرة على الثورة وإعلان حكومة ثورة فى يثرب وتغيير اسمها إلى المدينة .

يقول ابن إسحاق : لما رأت قريش أن رسول ﷺ قد صارله شيعة وأصحاب من غيرهم وغير بلدهم و رأوا خروج هؤلاء الأصحاب و عرفوا أنهم أصابوا دارا و أصبحوا فى منعة منهم حذروا خروج رسول ﷺ إليهم و عرفوا أنه قد أجمع على حربهم » و هذا هو المؤرخ المدقق :

« و عندما اجتمعوا فى دار الندوة لغرض منع محمد ﷺ من الخروج قال بعضهم : « إن هذا الرجل لا نأمنه على الوثوب علينا فيمن اتبعه من غيرنا

واجمعوا عليه رأيهم » إذن هناك خارج مكة تأييد واسع تخشى قريش من أن يقيموا حكومة لو خرج إليهم النبي ﷺ .

وعندما يقول قائل منهم: احبسوه فى الحديد وأغلقوا عليه باباً ، يقول « الشيخ النجدى » ما هذا برأى . لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتموه إلى أصحابه ، فلأوشكوا أن يثبوا إليكم لينزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به ثم يغلبونكم على أمركم ، ما هذا برأى ، أنظروا غيره .

وهنا قال أبو جهل بن هشام (هاشمى !) رأيه وهو أن يجتمع من كل قبيلة شاب ليقتلوه جميعاً بضربة رجل واحد فيذهب دمه فى القبائل جميعاً ، وهنا وافق الشيخ النجدى ، وهنا يقرر النبى ألا يبيت من ليلته تلك ! .

وينجح فى الانفلات من أيديهم و ينجح فى الوصول إلى قومه الذين آمنوا به هاجروا من قبله ، ويكون النبى حكومته ثم يتعرض لقريش وقوافلها فى سرايا و حروب عديدة إلى أن يغزو مكة بعد ذلك (بدون دماء لأنها أرض السلام منذ القدم إلى ما لانهاية) .

و لكن ليس معنى ذلك أن الهجرة هى مجرد عملية التسلل من مؤامرة القتل هذه ، أبداً أبداً ، لقد كان الاسلام انتشر فعلا خارج مكة وأصبح قوة تهدد مكة تهديداً أكيداً ، و كان عمر قد خرج من مكة و كان حمزة قد خرج من مكة .

و حتى داخل مكة كان أبو بكر ـ وهو رجل إذا صلى بكى ـ يصر على أن يصلى أمام أهل مكة خارج باب بيته ، لا داخل الدار ، وليس هذا شأن الضعفاء المتهورين ، و لكنه تصلب المؤمنين الصادقين فلم تكن الهجرة عملية لواذ من قوة غاشمة و لكن كانت انتقالا إلى أرض جديدة للدعوة تمهيداً لقيام الدولة الاسلامية ، و هكذا نرى هجرة الجماهير المسلمة تغير المجتمع وتغير السياسية و تفرض بنفسها إعلان دولة لها طابعها المستقل .

و جتى فى الهجرة الأولى ، هجرة الجماهر المسلمة إلى الحبشة ، و هذه هجرة تمت قبل موت خديجة رضى الله عنها و قبل موت أبى طالب و قبل أن يعرض الرسول دعوته على أهل الطائف وقبل ظهور معجزات شق القمر والاسراء والمعراج و قبل إسلام الأنصار فى يثرب وقبل بيعة العقبة .

مما يدل على أن الهجرة عنصر أساسى فى تغيير سير التأريخ وتغيير المجتمع ، و يؤيد أصالة الهجرة أن القرآن يقول فى هذا الوقت المبكر «ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيراً و سعة » .

تشريع وضع الهجرة فى إطارها الصحيح من الدعوة ، و كان ذلك فى السنة الخامسة من الدعوة .

فكانت هجرة إلى أرض ليس فيها كفر قريش ، « أرض ملكها — كما وصفه النبى — لا يظلم عنده أحد و هى أرض صدق » .

فكانت هجرة تعرف المسيحية بالاسلام و تعرفها بما قاله الاسلام فى عيسى عليه السلام ، و قد هاجروا زمراً ، أول زمرة كانت فيها بنت النبى رقية وزوجها عثمان ابن عفان ، و كان مجموع من هاجر ٨٢ شخصاً و هم غالبية من أسلم حتى تلك السنة ، حتى إن أبا بكر نفسه خرج مع إحدى المجموعة المهاجرة حتى إذا بعد عن مكة مسيرة يوم أو يومين لقيه أخو بنى الحارث بن أبى بكر الذى تألم لخروج أبى بكر ، و قال له : « والله إنك لتزين العشيرة و تعين على النوائب و تفعل المعروف . وتكسب المعدوم ، ارجع فانك فى جوارى » ، و عاد به إلى مكة وجعله فى جواره و ضمانته ، و لما اشتكى أهل مكة إلى ضامنه هذا من أنه يصلى خارج باب داره و يخشون من تأثر البعض به وهو يبكى فى صلاته ، خاصة العبيد والنساء و الأطفال ، طلب إليه مجيره أن يصلى داخل داره و إلا رد إليه جواره ، فقال له أبو بكر : بل أرد إليك جوارك و أرضى بجوار الله ، و ظل يصلى أبو بكر

خارج الدار متحملا الايذاء و الاهانة ، و لكنه نوع من التحدى و نشر الدعوة فهذا بجتمع و إن كان قليل العدد إلا أنه مجتمع صلب و ثائر ، ليس مثل هؤلاء يوصفون بالهروب و توصف هجرتهم بأنها هروب .

و عندما يصل المهاجرون إلى الحبشة يقدمون إلى النجاشي خطاباً من الرسول يقول فيه ما نصه : « إنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له و الموالاة على طاعته و أن تتبعنى لتؤمن بى و بالذى جاءنى » ، فهذه اذن لا يمكن أن تكون هجرة فرار و لا استضعاف ولا لواذ بأجنبى ، ويرد النجاشي بقوله : « بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد رسول الله (ﷺ) من النجاشي الأصحم بن أبجر سلام عليك يا نبى الله من الله ، و رحمة الله و بركاته ، لا إله إلا هو الذى هدانى إلى الاسلام الخ . ثم يقول أيضاً : « أشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً ، و قد بايعتك و بايعت ابن عمك (جعفر) ، و أسلمت على يديه لله رب العالمين » ، و أرسل الرد مع ابنه فى وفد من الحبشة ، قابل النبى الوفد ، فأكرمهم و قام على خدمتهم بنفسه .

أ ترى إذن الهجرة ؟ و ماذا فعلت ؟ إترى أنها بالصورة التى صورت لنا كلجوء و طلب حماية

الهجرة الثانية إلى يثرب :

كان النبى يعرض دعوته على كل القبائل التى تأتى مكة للحج لأن الحج كان قائماً قبل الاسلام ، و كان هو ينتقل أيضاً إلى خارج مكة لعرض دعوته ، و بدأ الاسلام يدخل بالآحاد فى يثرب و غيرها ثم يدخلون فيه زرافات و جماعات ، وما كانت « منى » إلا أن تشهد بأنه نزل كل منازل العرب الوافدين ، فمن عنده حكمة أو كتاب طلب أن يتعرف عليه ثم يعرض عليه ما هو أحسن ... ما عند محمد من

القرآن ، و تجاوبت أصداء دعوته فى ربوع الصحراء من شمالها إلى جنوبها يتناقلون الآيات ويبهرون بشخصية محمد .

و جاء ١٢ نقيباً من رؤساء الأوس و الخزرج فى موسم حج ، فبايعوا محمداً بيعة العقبة ، ثم عادوا و معهم داعية إسـلامى هو مصعب بن عمير ليفقههم فى الدين و ليدعو غيرهم للدين ، فكان مصعب يؤم المسلمين فى الصلاة فى يثرب كرسول رسول الله ، و رحب الأوس أن يؤمهم من ليس خزرجياً و رحب الخزرج أن يؤمهم من ليس أوسياً ، و قد أقيمت صلاة الجمعة فعلا قبل هجرة النبى مما يقطع باستقرار الأمن السياسى للاسلام الجديد هناك (كان إمام الصلاة اسمه أبى امامة و عدد المصـلين ٤٠ رجلا (انظر سيرة ابن هشام) و ثابت أيضاً أن عبد الأشهل و بنى ظفر و هم من أقوى قبائل يثرب دخلت فى الاسلام فى هذه الفترة و قبل وصول النبى ، و كان عبد الأشهل بعد أن يؤمن يعلن « كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله » أى إن الدعوة كانت تخطو حثيثاً .

و تكررت البيعة فى العقبة مرتين ، الثانية بعد الأولى بسنة . أى أن المسلمين يؤكدون له و يستعجلون و يلحون فى الاعلان عن الدولة ، و من الناحية المضادة قريش سمعت طبعا عن هاتين البيعتين وهى تتوقع من عموم العرب الاستجابة. وهكذا تخرج إلى العرب الدعوة من بين ظهرانيهم وسوف يتخذ محمد منهم قوة على قريش و ينتهى حكم قريش .

و كان محمد يتحسب و يتكتم ، فلقد قال لمتكلم الأوس فى العقبة ليتكلم متكلمكم و لا يطل ، فان عليكم من المشركين عيناً و إن يعلموا بكم يفضحوكم ، وكان نفس الوفد القادم من الأوس و الخزرج يضم مشركـين ، و أما من آمن بمحمد فانهم قاموا لمقابلته بعد ثلث الليل الأول متسللين تاركين باقى المشركين نياما ، تسلل

القطا مستخفين، كانت عدة الوفد ٧٢ رجلا وامرأتين، حجيج مدينة واحدة صغيرة وقتئذ كيثرب يبلغ هذا العـــدد و يخطط للدعوة يدل على مدى انتشار الدعوة على نطاق لا بأس به فى مكان غير مكانها الذى بدأت منه .

و يبلغ من تحسب محمد أن يخرج لقائهم فى حماية عمه العباس و هو لا يزال على دين قومه بل و يقول العباس فى شهامة هاشمية نادرة و أصيـــلة : « يا معشر الخزرج ! إن محمداً منا حيث قد علمتم ، و قد منعناه من قومنا و من هم على مثل رأينا فيه ، فهو فى عز من قومه و منعة فى بلده ، و إنه قد أبى إلا الانحياز إليكم و اللحوق بكم ، فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه و مانعوه ممن خالفه ، فأنتم و ما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه و خاذلوه بعد الخروج إليكم ، فمن الآن فدعوه ، فانه فى عزة و منعة من قومه وبلده » .

و عاد وفد المسلمين و قد أخفوا البيعة عن زملائهم المشركين ، فلما قدمت قريش تسأل عما تواتر إليها من أمر البيعة أقسم لها المشركون من الخزرج بأنه لم يكن هناك اجتماع مع محمد ، و لكن ما انتهى الحج و عاد النـاس من منى حتى تأكدت لدى مخابرات قريش أن هناك بيعة روعوا و خرجوا فى أثر القدم المبايعين فلم يلحقوا بهم ، إلا أن سعد بن عبادة وقع فى يدهم و لكن سعداً كان نقيباً فى أهله و تمر عليه تجارة قريش فوجد من يجيره ويحميه .

و أسرع النبى بالهجرة ، و هاجر بعد أن حرض كل مؤمن على الخروج قبله حتى يحميه ، و لم يبق إلا على و كان ذا قوة جبارة .

خرج كل مسلم من مكة متسللا فى هدوء وتخفٍ إلا عمر فانه تقـــلد سيفه و سهامه و كان بالكعبة و الملأ فى فنائها ، طاف سبعاً ، ثم صلى فى مقام إبراهيم ثم وقف على الحلق واحدة واحدة يقول : شاهت الوجوه ، من أراد أن تثكل أمه

ر ييتم ولده أو ترمل امرأته فليلقنى وراء هذا الوادى ، و طبعاً كانت قريش كل
وم تكتشف خروج مسلم من مكة و تحس أن لهم بقعة خارج مكة .

كان هذا يقلق قريشاً ، و لكن كان يطمئنهم أن النبى لا زال فى بلدهم ،
و تداولوا فى ندوتهم أيحبسونه أم يقتلونه ، حتى انتهوا إلى أن يقتلوه بضربة رجل
يجتمع عليها شباب لها القبائل حتى يضيع دمه ، و لكن يمكرون و يمكر الله ،
ر يدعو النبى ربه « و قل رب أدخلنى مدخل صدق (المدينة) و أخرجنى مخرج
صدق (من مكة) واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً » .

و تتم الهجرة بالطريقة المعروفة .

و أنت ترى إذن من مبايعة اتباعه له مرتين ، و وقوف عمه العباس يستوثق
من بايعوه و من خروج عمر بن الخطاب بسيفه و سهامه عند الكعبة يتحدى من
يريد التحدى . و من بقاء على فى فراشه ، أن عملية الهجرة هذه لم تكن هروباً
و لا لواذاً من مغلوب على أمره كما يزعم مبغضو محمد من المستشرقين .

و نفس عملية الهجرة لمسافة ١٠٠٠ كيلو عبر أقسى صحارى الأرض عملية
بطولية قد لا يقدر عليها رجال الكوماندوز اليوم ، ولاحظ أنه سلك أقسى دروب
الصحراء هرباً من الدروب المعتادة التى لا بد سيمر بها مقتفو أثره ، هذا ينفى تماما
زعمهم الباطل بالهروب أو أن يكون الخروج مجرد عملية مادية سعياً وراء حياة
أكثر استقراراً .

و لا يمكن النظر إليها بانصاف إلا باعتبارها هجرة مبدأ و فكرة و عقيدة ،
هجرة من قبضة الكفر إلى انطلاقة تكوين دولة دين أنها نوار برسالة الله إلى حيث
يمكن تبليغ الوسالة إلى الناس كافة .

الخلاصة إذن :

١ – إن خروج المسلمين إلى الحبشة مرتين ثم خروجهم إلى المدينة بعد ذلك قرينة مقنعة ، بأن الهجرة من أدوات الاسلام السياسية والاجتماعية لاحداث تغيير سياسى أو اجتماعى .

٢ – إن تحريض النبى كل مسلم على الهجرة ثم اشرافه بنفسه إلى أن يتم تهجير كل مسلم قبله ثم مهاجرته هو شخصياً يكاد يجعل الهجرة كأنها سنة ، و هى على الأقل تأكيد على أن الهجرة من أدوات الاسلام السياسية والاجتماعية ، و قد حث القرآن على الهجرة ووعد المهاجر بأنه « يجد فى الأرض مراغما كثيراً و سعة .

٣ – إن الهجرة يمكن أن يكون هجرة بالأفكار رغم بقاء المكان ، وربما يكون معنى « لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » « الهجرة الفكرية » رغم ثبات المكان .

٤ – يعتبر القرآن الهجرة إلى يثرب نصراً ، ووصفها بذلك قائلا : « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين » نعم الهجرة نصر .

كل هذا يوحى بأن الهجرة و كل هجرة من أول العوامل فى نشأة الحضارات و يحسن أخذ هذا فى الاعتبار عند التعامل اجتماعياً وسياسياً .

ابن القيم عالماً و إماماً

حروف العربية بين التوزيع و التوظيف

(٦)

دكتور توفيق محمد شاهين

هذه نظرات أخرى فى أصول اللغة عند إمامنا الجليل ابن قيم الجوزية، رحمه الله رحمة واسعة .

و هى تؤكـــد ما سقناه من سعة مدارك الامام ، و علمه الوفير ، و إلمامه و هضمه لمعارف و فنون العربية و الاسلام .

يحدثنا عن نعمة الصوت ، و ماهيته ، و كيفية حدوثه و تكونه ، و وظيفته فى الأداء و البيان ، وإتيان اللفظ و المعنى فى اتساق و حسن تعبير عن المطلوب بدقة فى اللغة العربية .

ثم يحدثنا عن سر الحروف المقطعة ، التى ابتدأت بهـا بعض سور القرآن الكريم ، مع دراسة تطبيقية لبعضها .

و هى دراسة جيدة ، حبذا لو اقتـــفى أثرها ، لبيان روعة القرآن الكريم فى معانيه و مبانيه .

يقول العلامة ابن القيم :

الصوت نعمة حين يتم التعـارف به ، و يؤدى المطلوب ، و تلاشى الصوت نعمة حتى لا يمتلئ العالم به ، ومنشؤ الصوت : أثر الاصطكاك لا الاصطكاك نفسه

يحدثنا عن هذا العلامة ابن القيم فيقول :

(الصوت أثر يحدث عند اصطكاك الأجرام ، و نفس الاصطكاك ، كما قال ذلك من قاله ، و لكنه موجب الاصطكاك و قرع الجسم للجسم ، أو قلعه عنه ، فسببه : قرع أو قلع، فيحدث الصوت ، فيحمله الهواء ، ويؤديه إلى مسامع الناس، فينتفعون به فى حوائجهم و معاملاتهم بالليل و النهار ، و تحدث الأصوات العظيمة من حركاتهم ...) (١) .

فيلاحظ أنه – رحمه الله – تنبه إلى أن الصوت من موجبات الاصطكاك و أثره ، و كثيرون من علماء أصول اللغة لم ينتبهوا لذلك من قبل .

و يقول عن الشق الثانى – تلاشى الكلام – و إن كان العلم الحديث يقول اليوم بأن الهواء يحتفظ بالأصوات ، و لو أمكن جمع الذبذبات الصوتية ومواصفات الصوت كلها لأمكن التقاط أصوات بعينها ما زالت تدور فى فلك الأثير .

يقول ابن القيم رحمه الله :

(فلو كان أثر هذه الحركات و الأصوات يبقى فى الهواء ، كما يبقى الكتاب فى القرطاس لامتلأ العالم منه ، و لعظم الضرر به ، و اشتدت مؤنته ، و احتاج الناس إلى محوه من الكلام فى الهواء و الاستبدال به أعظم من حاجتهم إلى استبدال الكتاب المملوء كتابة، فان ما يلقى من الكلام فى الهواء قرطاساً خفياً، يحمل الكلام بقدر ما يبلغ الحاجة ، ثم يمحى باذن ربه ، فيعود جديداً نقياً لا شىء فيه، فيحمل ما حمل كل وقت) (٢) .

و فى دقة العالم ، و يقين المسلم ، و تفكير المؤمن ، يحدثنا علامتنا ابن القيم

(١) مفتاح دار السعادة ، لابن القيم ص ٢٨٩ .

(٢) المصدر السابق .

عن كيفية حدوث الصوت اللغوى ، و تكون الحرف ، و مقاطع الكلام ، يقول :

(... تأمل فی هذا الصوت الخارج من الحلق ، و تهيئة آلاته ، و الكلام و انتظامه ، و الحروف و مخارجها ، و أدواتها و مقاطعها و أجرامها ، تجد الحكمة الباهرة فی : هواء ساذج يخرج من الجوع فيستهلك فی أنبوبة الحنجرة ، حتى ينتهی إلى الحلق و اللسان و الشفتين و الأسنان ، فيحدث له هناك مقاطع ، و نهايات وأجراس ، يسمع له عند كل مقطع ونهاية منفصل عن الآخر ، يحدث بسببه الحرف .

فهو صوت واحد ساذج يجری فی قصبة واحدة ، حتى ينتهی إلى مقاطع و حدود ، تسمع له منها تسعة و عشرين حرفاً ، يدور الكلام عليها كله :

أمره و نهيه ، و خبره و استخباره ، و نظمه و نثره ، و خطبه ومواعظه و فضوله ، فسبحان من أنشأ ذلك كله من هواء ساذج يخرج من الصدر لا يدری ما يراد به ، ولا أين ينتهی ، ولا أين مستقره .

هذا إلى ما فی ذلك من اختلاف الألسنة واللغات ، التی لا يحصيها إلا الله .

و اللسان الذی هو الجارحة واحد فی الشكل و المنظر ، و كذلك الحلق و الأضراس و الشفتان ، و الكلام مختلف متفاوت أعظم تفاوت) (١) .

إلى أنه يقول :

(ثم تأمل اختلاف هذه النغمات ، و تباين هذه الأصوات ، مع تشابه الحناجر والحلوق ، والألسنة ، والشفاه ، والأسنان ! !

فمن الذی ميز بينها أتم تميز مع تشابه محالها سوى الخلاق العليم .

و من الحروف تتألف الكلمات ، و من الكلمات تعبير و بيان لمن رق طبعه و لطف حسه ، ومن البيان سر و روعة) (٢) .

(١) مفتاح دار السعادة ص ٤٩٠ .　　(٢) المصدر السابق ص ٣٠٠ .

و المعنى و اللفظ عنده متآخيان ، و يأتى المعنى على سمت اللفظ ، و يخدم اللفظ المعنى فى اتساق و تناسب ، و يضرب لذلك مثلا بأن الاسم من (هذا) هو الذال وحدها ، على أصح القولين ، بدليل سقوط الألف فى التثنية و المؤنث ، و خصت الذال بذلك لأنها من طرف اللسان ، و المشار إليه مبهم ، يشار إليه بلفظة أو بيد ، و يشير مع ذلك بلسانه ، فان الجوارح خدم القلب ، فاذا ذهب القلب إلى شىء ذهاباً معقولا ذهبت الجوارح نحوه ذهاباً محسوساً .

و العمدة فى الاشارة فى مواطن التخاطب على اللسان ، و لا يمكن إشارته إلا بحرف يكون مخرجه من عذبة اللسان، التى هى آلة الاشارة دون سائر أجزائه ، (وهى) إما الذال أو التاء :

« فالتاء » : مهموسة رخوة ، فالمجهور أو الشديد من الحروف أولى منها للبيان ، و « الذال » مجهورة ، فخصت بالاشارة إلى المذكر .

و خصت « التاء » بالاشارة إلى المؤنث ، لأصل الفرق .

و كانت « التاء » به أولى لهمسها ، و ضعف المؤنث ، و لأنها قد ثبتت علامة للتأنيث فى غير هذا الباب) (١) .

فقد بين أن « الذال » من هذا ، عليها مدار الكلام وحدها ، و علل لذلك للاقتناع .

و خص الذال بالاشارة ، لكونها من طرف اللسان ، و بالتالى وظف اللسان فى الاشارة كاليد و غيرها ، فهو مشير ، و الذال من طرفه لتكون أوضح فى الاشارة و أبين .

و لنقواه ، يحاول جعل الجوارح خدماً للقلب ، و جعل إرادته معقولة ، بينما

(١) بدائع الفوائد ج ١/١٨٠ .

إرادة الحواس و فعلها محسوساً ، ليكون منطقياً فى حكمه وتعبيراته .

و المشار إليه مبهم ، و لا بد من الاشاره إليه ، بما من شأنه أن تتأتى منه الاشارة .

و يفاضل بين « الذال » فى هذا ، و « التاء » فى هذه . لتوضيح المقام بقوة فى حين الاشارة ، وفضلت « الذال » الشديدة بالجهر ، على « التاء » الرخوة بالهمس .

و اختصت الذال المجهورة باشارة المذكر ، القوى فى جنسه ، وخصت التاء الرخوة بالمؤنث تفرقة للجنس الضعيف فى عموميته .

و من هذا الباب ما ينقله عن ابن فورك ، عن مخارج لفظ الجلالة (الله) حين قال :

الحكمة فى وجود (الألف) فى أوله ، أنها من أقصى مخارج الصوت ، قريباً من القلب ، الذى هو محل المعرفة .

ثم الهاء فى آخره ، مخرجها من هناك أيضاً ، لأنه المبدأ منه و المعاد إليه ، و الاعادة أهون من الابتداء .

وكذلك لفظ « الهاء » أهون من لفظ الهمزة) (١) .

و هذا توظيف الحروف فى مخارجها جميل ، من إمام جليل .

و يقول رحمه الله تعالى :

(تأمل سر (ألم) ، كيف اشتملت على هذه الحروف الثلاثة :

« فالألف » إذا بدىء بها أولا كانت همزة ، و هى أول المخارج من أقصى الصدر .

« و اللام » ، من وسط مخارج الحروف ، و هى أشد الحروف اعتماداً على اللسان .

(١) بدائع الفوائد ج ١/١٨٠ .

« والميم » ، آخر الحروف ، ومخرجها من الفم .

وهذه الثلاثة هي أصول مخارج الحروف ، أعني : الحلق ، واللسان ، والشفتين

و ترتيب في التنزيل : من البداية ، إلى الوسط ، إلى النهاية .

فهذه الحروف معتمد المخارج الثــلاثة ، التي تتفرع منها ستة عشر مخرجاً

فيصير منها تسعة و عشرون حرفاً ، عليهــا مدار كلام الأمم الأولين و الآخرين

مع تضمنها سراً عجيباً :

و هو أن « للألف » البداية ، و « اللام » التوسط . و « الميم » النهاية

فاشتملت الأحرف الثلاثة على البداية و النهاية و الواسطة بينهما .

و كل سورة استفتحت بهذه الأحرف الثلاثة ، فهي مشتملة على بدء الخلق

و نهايته ، و توسطه ، فمشتملة على تخليق العالم و غايته ، و على التوسط بين البدا

و النهاية من التشريع والأوامر ...

فتأمل ذلك في البقرة ، و آل عمران ، و تنزيل السجدة ، وسورة الروم .

و تأمل اقتران الطاء بالسين والهاء في القرآن :

فإن « الطاء » جمعت من صفات الحروف خمس صفات لم يجمعها غيرها .

و هي : الجهر ، والشدة . والاستعلاء ، والاطباق .

و « السين » مهموس ، رخو ، مستفل ، صفيري ، منفتح .

فلا يمكن أن يجمع إلى « الطاء » حرف يقابلهـــا « كالسين » و « الهاء »

فذكر الحرفين اللذين جمعا صفات الحروف .

و تأمل السور التي اشتملت على الحروف المفردة ، تجد السورة مبنية على كا

ذلك الحرف .

فمن ذلك « ق » و السورة مبنية على الكلمات « القافية » من ذكر القرآن

و ذكر الخلق ، و تكرير القول ، و مراجعته مراراً ، و القرب من ابن آدم ، و تلقى الملكين قول العبد ، و ذكر الرقيب ، و ذكر السائق و القرين ، و الالقاء فى جهنم ، و التقديم بالوعيد ، و ذكر المتقين ، و ذكر القلب ، و القرون و التنقيب فى البلاد .

وذكر القيل مرتين ، وتشقق الأرض ، وإلقاء الرواسى فيها ، و بسوق النخل والرزق ، وذكر القوم وحقوق الوعيد ، ولو لم يكن إلا تكرير القول والمحاورة.

وسر آخر ، وهو : أن كل معانى هذه السورة مناسبة لما فى حرف « القاف » من : الشدة ، والجهر ، والعلو ، والانفتاح .

و إذا أردت زيادة إيضاح هذا ، فتأمل ما اشتملت عليه سورة « ص » ، من الخصومات المتعددة .

فأولها : خصومة الكفار مع النبى ـ ﷺ ـ و قولهم : « أجعل الآلهة إلهاً واحداً » (١) إلى آخر كلامهم .

ثم اختصام الخصمين عند داود عليه السلام.

ثم تخاصم أهل النار .

ثم اختصم الملأ الأعلى فى العلم ، وهو الدرجات والكفارات .

ثم مخاصمة إبليس واعتراضه على ربه فى أمره بالسجود لآدم .

ثم خصامه (إبليس لعنه الله) فى شأن بنيه (آدم) و حلفه ليغوينهم أجمعين إلا أهل الاخلاص منهم .

فليتأمل اللبيب الفطن ، هل يليق بهذه السورة غير (ص) ، و بسورة (ق) غير حروفها ؟ !

و هذه قطرة من بحر من بعض أسرار هذه الحروف ، والله أعلم (٢) .

---

(١) سورة ص الآية : ٥ . (٢) بدائع الفوائد ج ٣/١٧٣ـ٧٤ـ .

فقد ينها إلى أن الألف إذا بدئ بها أولا كانت همزة .

وأشار إلى أن أول مخارج الحروف ما يخرج من أقصى الصدر، أو ما يسمى بالحروف الحلقية ، وهى :

همـزة فهاء ثم عـين حاء مهملتـان ثم غـين خاء

و ينتقل من أقصى الحلق أو الصدر إلى الشفتين أو الفم كما أشار و مثل بالميم قسيمة الباء فى هذا المخرج .

ثم أشار إلى الوسط بين الطرفين و هو اللسان ، الذى تعتمد عليه أشد الحروف ، وهى اللام .

فذكر الحلق، ومر باللسان، وانتهى بالشفتين أو العكس، فى الأماكن الثلاثة .

و من هذه المخارج الثـلاثة تتحرك الحروف على مدرجها . لترينا ستة عشر مخرجاً ، تنتج تسعة و عشرين حرفاً ، عليها مدار الكلام كلها .

و جعل الحروف الثلاثة فى (أ . ل . م) المتضمنة للبداية و التوسط والنهاية ممثلة لبداية الحلق و نهايته و توسطه ، أو على تخليق العام فى بدايته ، و نهايته فى غايته ، و التوسط فى التشريع و التكليف والأوامر والعمل .

و نبه على أننا لو راجعنا سورة البقرة ، و آل عمران ، و تنزيل السجدة ، و سورة الروم ، و كلها ابتدأت بقوله تعالى : (ألم) ، لوجدنا معانى هذه السور تتحدث عن البداية ، والنهاية والغاية ، ثم توسط التشريع فى الأوامر والنواهى ،

و ذكر أن لاقتران الحروف المقطعة فى أول السور سراً فى الجمع يجمع بين صفات الحروف فى تناسق لطيف يتطابق فيه ما تتصف به الحروف من ضعف أو قوة فى توازن هندسى ، يقول :

تأمل اقتران الطاء بالسين والهاء فى القرآن الكريم .

فان الطاء جمعت من صفات الحروف خمس صفات ، لم يجمعها غيرها و هى : الجهر ، و الشدة ، و الاستعلاء ، والاطباق .

بينما السين حرف مهموس رخو مستفل صفيری منفتح .

فلا يمكن أن يجمع إلى الطاء حرف يقابلها كالسين والهاء .

فذكر الحرفين اللذين جمعا صفات الحروف ، من قوة وضعف .

و عنى بالتطبيق فذكر دراسة مقتضبة عما تضمنته (ق) و سر البدء بهذا الحرف .

و كل المعانی التی ذكرها تدور حول ما يتناسب مع صفات حرف (القاف) و كلها أوجلها معانی تتطلب القوة والشدة .

من إلقاء الرواسی فی الأرض ، وشموخ النخل ، وبسوقه وسوق الرزق للعباد ، و تنقص الأرض منهم ، و فوقية السماء ، و دأب الأقوام فی تكذيب الرسل ، وحق الوعيد ، و تنقص الأرض منهم ، و القدرة على البعث ، كما كانت فی خلق الانسان من لا شیء ، والحديث عن سكرة الموت ، وتمكن القرين ، و قهر كل جبار عنيد ، و إلقائه فی العذاب الشديد ، و حوار جهنم ، و إحكام القول ، و تنقيب الأشداء فی البلاد ، و الاستعداد لاطلاق الصيحة ، و تشقق الأرض ، و زوال العمران ، و التذكير بالقرآن فی المبدأ و نهاية السورة .. الخ .

فلا عجب أن يتكرر حرف « القاف » الذی بدأت به السورة الشريفة قرابة الستين مرة .

و ذكر نماذج لمثل هذه الدراسة عن سورة (ص) . و المعانی التی تتضمنها السورة ، و التی طابقت صفات حرف الصاد ...

و حبذا لو احتذى محتذ لمثل هذه الدراسات فی القرآن الكريم ، فی السور التی افتتحت بالحروف ، لتضيف إلى علمنا ببلاغة القرآن معانی جديدة ، و آفاقاً واسعة ، تثری الدراسات القرآنية ، و تجلی عبقرية اللغة العربية و حكمتها و فصاحتها فی دنياها الثرة و العجيبة .

والله يقول الحق وهو يهدی السبيل .

من وحى الطب النبوى

دكتور : غريب جمعة
القاهرة

تفضلت هذه المجلة الغراء و نشرت ما فتح الله به على الفقير حول قضية السنة النبوية مع خصومها، وكان ذلك فى عدد ربيع الأول ١٤٠٤هـ و قد جاء فى ختام ذلك المقال .

و بعد . . .

فانا نضع ذلك كله أمام الباحثين عن الحق و المحبين له من عباد الله « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب » .

أما الذين يشغبون على السنة و الذين فى صدرهم كبر ماهم ببالغيه و الذين يلوون ألسنتهم بالحديث عنها ، هؤلاء جميعا نقول لهم :

آمنوا به أولا تؤمنوا فان الحق أبلج و الباطل لجلج، ألا هل بلغت . . اللهم فاشهد ، و فى هذه المرة نقدم قطوفا من السنة النبوية طعمها طيب و ريحها طيب تتناول الجانب الصحى فى حياة الانسان المسلم من حيث الاهتمام بالصحة و العافية و بأسباب الحفاظ عليها و الوقاية من الأمراض و الأوبئة و الاهتمام بالنظافة ، و هذه القطوف تدل على عظمة قائلها التى لا تدانيها عظمة على رغم أنف أبى جهل و تلاميذه ، و كيف لا يكون كذلك و قد زكى الله منطقه فقال : « و ما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى . علمه شديد القوى » (١) .

(١) سورة النجم / ٢ ، ٣ ، ٤ .

و تدل أيضاً على عظمة الاسلام الذى أتى به و دعا إليه وسبقه الذى لا يدانيه سبق ، حتى لا يظن أناس أن تراكم الأوساخ على البدن عبادة وأن الضعف والتهاون زهادة ، وأن قبح المظهر مرضاة لله ، و تعذيب البدن باب إلى محبته ، إلى آخر هذه المفاهيم السقيمة و البعيدة عن روح الاسلام .

القطف الأول : مدح الصحة و العافية :

يقول رسول الله ﷺ : المؤمن القوى خير و أحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، و فى كل خير استعن بالله و لا تعجز) (١) .

و يقول أيضاً : (يا أيها الناس : إن الناس لم يعطوا فى هـذه الدنيا خيرا من اليقين و المعافاة فسلوهما الله عزوجل) (٢) .

على أن العافية التى يمتدحها رسول الله ﷺ ويوصى بسؤالها الله عزوجل ليست هى العافية التى تحيل أربابها إلى قطيع من الثيران البشرية يصارع بعضه بعضا ليصرعه أوليسدد اللكمات إلى وجهه فى عنف وقوة بين إعجاب المعجبين وتهليل المتفرجين !!

نعم . لتكن رياضة ولكن فى ظل تعاليم الاسلام و التحلى بالخلق الاسلامى الرفيع و لتكن عافية و لكن مع تسخيرها فى طاعة الله و نفع عباده .

القطف الثانى : فى مجال الصحة البدنية و النظافة الشخصية :

١ــ يقول الحق تبارك و تعالى (كلوا واشربوا و لا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) (٣) .

وتوجهنا هذه الآية الكريمة إلى الاعتدال فى المأكل و المشرب حتى لانصاب

---

(١) رواه أحمد و مسلم و ابن ماجة عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) أخرجه الامام أحمد فى مسنده باسناد حسن .

(٣) سورة الأعراف / ٣١ .

بمضاعفات كثيرة ليس هنا مجال تفصيلها ، وقديما قال « الحارث بن كلدة » الطبيب العربي المشهور : (المعدة بيت الداء و الحمية رأس الدواء) و ليس هذا القول حديثا نبويا كما يجرى على ألسنة الكثير و يؤكد هذا المعنى قول الرسول الكريم ﷺ .

(كلوا واشربوا و تصدقوا و البسوا فى غير مخيلة (كبر وإعجاب بالنفس) و لا سرف فان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده) (١) .

و الاسراف فى المأكل و المشرب إذا تجاوز الحدود الشرعية فهو حرام ، وإذا تجاوز الطاقة المالية فهو خطر ، وإذا تجاوز الطاقة البدنية فهو ضرر ، وقد نفر الرسول ﷺ من الجشاء (التكرع) بقوله :

(كف عنا جشاءك فان أكثركم شبعا فى الدنيا أطولكم جوعا يوم القيامة) (٢) .

و لا يعتبر الجشاء ظاهرة صحية كما يتوهم البعض لأنه ينتج عن دخول هواء إلى المعدة أو عن تراكم غازات بها نتيجة لعسر الهضم .

و من العجب أن تبدأ رأس العبادات فى الاسلام و هى الصلاة بالوضوء حيث يقول الحق جل وعلا : يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم و أيديكم إلى المرافق و امسحوا برؤسكم و أرجلكم إلى الكعبين) (٣) .

و إذا كان الوضوء يعتبر فترة انتقال بين شواغل الدنيا و الاشتغال بالله عزوجل وحده حينما يقف المسلم بين يديه للصلاة حتى يتحقق الخشوع المطلوب الذى هو روح الصلاة ، فان له فوائد طبية كثيرة مثل ، نظافة الفم بالمضمضة المتكررة

(١) رواه النسائى و ابن ماجة .

(٢) رواه الترمذى .

(٣) سورة المائدة / ٦ .

ى تؤدى إلى الوقاية من أمراض اللثة و الأسنان، أما الاستنشاق فانه يعتبر من أهم
سباب الوقاية من الاصابة بالزكام خصوصا إذا كان بماء بارد، و أما غسل الوجه
ـ اليدين ومسح الأذنين فهو من أهم أسباب وقايتها من الأمراض الجلدية حيث
إن كثيراً من الميكروبات و طفيليات بعض الديدان يصيب الانسان عن طريق
التسلخات الموجودة بالجلد و الناتجة عن الحكة بالأظافر بسبب عدم النظافة.

و إذا كانت الصلاة لا تصح إلا بوضوء فانها أيضا لا تصح إلا فى ثوب و مكان طاهرين، لذلك كان الرسول ﷺ لا يحب أن يرى مسلما لا ينظف ثوبه و يقول لأصحابه.

(أما يجد هذا ما يغسل به ثوبه) (١).

فعلى الذين يذهبون لحضور الجمع و الجماعات أن يأخذوا أنفسهم بهذا التوجيه النبوى الكريم غير ناسين توجيه القرآن أيضاً.

(يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) (٢).

و لم يكتف الاسلام بالوضوء ونظافة الثوب و المكان فقط بل اختص رسول الله بعض أجزاء الجسم بتوجيهات خاصة كما يلى.

٢- خمس من الفطرة:

يوصى رسول الله ﷺ المسلمين بخمسة أمور يميل اليها الذوق السليم و هى تقليم الأظافر التى تعتبر مخابئ الميكروبات مهما بالغ الانسان فى نظافتها لأنه لا يرى شيئا بعينه المجردة و لو كان فى إطالتها خير لنصح الرسول بذلك، فهل يفهم ذلك السيدات المسلمات اللاتى تسبق أظافرهن أيديهن إلى الطعام بصورة تثير التقزز، وتفقد الانسان رغبته فى الطعام، ويوصى أيضا بالختان الذى يؤدى إهماله إلى الأضرار التالية.

(١) رواه أبو داود.
(٢) سورة الأعراف / ٣١.

١- التهاب الأعضاء التناسلية .

٢- التصاق القلفة (الجلد الذي يغطى رأس الذكر) وتقطع البول أو احتباسه .

٣- سرطان الأعضاء التناسلية الذى ينتقل إلى الزوجة فى المستقبل .

كما يوصى كذلك بحلق العانة ونتف الابط لأن إهمالهما يؤدي إلى الاصابة بنوع معين من « القمل » يسمى قمل العانة . وقد ينتقل باللمس المباشر أو من المراحيض الملوثة به و يترتب على لدغـه حدوث حكة بالجلد تزداد بالهرش المتكرر ، وحلق الشعر يؤدى إلى إزالته فوراً دون علاج ، و معروف أن القمل ينقل ميكروبات بعض الأمراض الوبائية و على رأسها مرض « التيفوس » و يجمع الرسول ﷺ ذلك كله فى حديثه الشريف وهو (خمس من الفطرة : الاستحداد (حلق العانة) و الختان وقص الشارب ونتف الابط وتقليم الأظافر) (١) .

٣- غسل اليدين قبل وبعد تناول الطعام :

يقول رسول الله ﷺ :

(بركة الطعام الوضوء قبله و بعده) (٢) .

و لا شك أن غسل اليدين قبل تناول الطعام يمنع كثيراً من الميكروبات من الوصول إلى القناة الهضمية مثل ميكروبات التيفود كما أن غسلها بعده من ضروريات النظافة .

كما يأمر الرسول ﷺ أن يكون تناول الطعام باليد اليمنى إذ أن اليسرى قد تكون ملوثة بميكروبات أو بويضات بعض الطفيليات نتيجة ملامستها الشرج وقت الاستنجاء .

---

(١) أخرجه أحمد و البخارى ومسلم و الترمذى .

(٢) رواه أحمد و الترمذى .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

(ياغلام سم الله وكل بيمينك) (١) .

٤– غسل اليدين بعد اليقظة من النوم :

لا شك أن النائم لا يدرى ما حوله ولا يتحكم فى حركة يديه وقد يضعهما على مرض فى بشرته أو يمس بها عورته لذلك كان من السنة أن يغسلهما حينما يستيقظ من نومه يقول الرسول ﷺ :

(إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده فى الاناء حتى يغسلها ثلاثاً فانه لا يدرى أين باتت يده) . (٢)

ويقف الانسان وقفة إجلال أمام توجيه الرسول ﷺ بقص الأظافر وغسل اليدين وقد أثبت الطب أن من أسباب الوقاية من الاصابة بديدان « الاكسيورس » التى تسبب حكة فى فتحة الشرج عند الكبار و الأطفال على السواء ، قص الأظافر وغسل اليدين ، لأن الطفل إذا حك شرجه بأظافره فانه يحمل بويضات الدودة فى أظافره ثم يضعها فى فمه بكل براءة وهنا يقوم بعدوى نفسه بنفسه بهذا المرض .

٥– غسل اليدين بعد قضاء الحاجة :

يقول الرسول ﷺ :

(من مس ذكره فليتوضأ) (٣) .

٦– نظافة الفم و الأسنان :

من المعروف أن إهمال نظافة الفم والأسنان يؤدى إلى تخمر فضلات الطعام وتكاثر الميكروبات فتنبعث منه رائحة كريهة تؤذى المخالطين للانسان خصوصاً إذا كان

(١) رواه البخارى ومسلم . (٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) أخرجه الترمذى عن بسرة بن صفوان رضى الله عنهما .

بين المصلين في مسجد كما أنها تؤدي إلى التهاب اللثة و لذلك يوصي الرسول ﷺ باستعمال السواك بصفة عامة و قد ثبت أن السواك فوائد طبية متعددة (لعل الله يوفقنا لافراد السواك بمقال خاص) يقول ﷺ :

(السواك مطهرة الفم مرضاة الرب) (١) .

ثم يحدد مناسبات خاصة لاستعماله مثل القيام للصلاة و الاستيقاظ من النوم حيث يقول :

(لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة) (٢) .

و عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال :

كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك (٣) .

و في رواية عنه :

(كنا نؤمر بالسواك : إذا قمنا من الليل نشوص أفواهنا بالسواك) (٤) .

٧— نظافة الشعر :

انتشرت في هذه الأيام ظاهرة إطالة الشعر بصورة منفرة بين الشباب المسلم كما يفعل من يطلق عليهم الخنافس ظناً منهم أن ذلك من مظاهر المدنية، وما علموا أنه من مظاهر البدائية والتأخر، لأن الانسان الذي يعيش في كهف أو غابة يكون أطول شعراً و أكثر تحللا من القيم وتفلتا من قيود الفضيلة ومع ذلك فهو بدائي متأخر.

وقد يغيب عن أذهان كثير من الشباب المسلم أن الخنفسة فكرة يهودية نشأت

(١) أخرجه النسائي و ابن حبان في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) رواه أحمد في مسنده و الدارمي في مسنده أيضاً .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم .

(٤) أخرجه النسائي .

حينما عرض فيلم « اليهودى التائه » على شاشات السينما فى أمريكا وظهر فيه الممثلون اليهود و من شابههم فى أهدافهم بشعورهم الطويلة ، و غير ذلك من مظاهر الخنفسة الشاذة التى قلدها الشباب دون وعى ثم سرت العدوى فى عالمنا الاسلامى ، فهل يقبل شبابنا المسلم أن يتشبه باليهود الملعونين فى القرآن ؟ والمعروف أن إطالة الشعر أكثر من اللازم تؤدى إلى عدم الاهتمام بنظافته كما ينبغى ، فتتجمع القاذورات نتيجة إفراز الغدد العرقية والمواد الدهنية التى تعوق وظائف الجلد فتضعف بصيلات الشعر ويتساقط و تلتهب فروة الرأس نتيجة الحك المتكرر .

أما نظافة الشعر فانها تؤدى إلى تفتح مسام الجلد (فروة الرأس) و تنشيط الدورة الدموية فيها فيتغذى الشعر و بذلك يقوى ولا يتساقط ، و انظر إلى توجيه الرسول ﷺ : (من كان له شعر فليكرمه) (١) .

أى يتعهد بنظافته وتمشيطه و دهانه ، وعن عطاء بن يسار رحمه الله قال : كان رسول الله ﷺ فى المسجد فدخل رجل ثائرالرأس فأشار إليه رسول الله أن اخرج كأنه يعنى إصلاح شعره ولحيته ففعل ثم رجع فقال ﷺ :

(أليس هذا خير من أن يأتى أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان) (٢) .

فهل يقبل أبناء المسلمين أن يكونوا أشباه شياطين ؟

٨- نظافة السبيلين :

لا شك أن المواد المخرجة من السبيلين (البول والبراز و الافرازات) من أقذر المواد وأخطرها ، و لذلك كانت نظافتهما أمراً حتمياً على أن لا يكون ذلك

(١) رواه أبو داود .

(٢) رواه مالك .

بتكرار استعمال الورق لأنه قد يؤدى إلى التهابات موضعية ولا باستعمال الروث أو العظام و إنما يكون بالاستجمار و الاستنجاء .

و الاستجمار يكون بثلاثة أحجار يقول ﷺ :

(إذا ذهب أحدكم إلى الغائط فليذهب ومعه ثلاثة أحجار يستطيب بها فانها تجزىء عنه) (١) .

أما الاستنجاء وهو الغسل بالماء فهو ولا شك أكمل النظافة، ولا بد من غسل اليد التى استعملت فى الاستنجاء كما أشرنا سابقاً .

عن معاذة بنت عبد الله العدوية : أن عائشة رضى الله عنها قالت :

(مرن أزواجكن أن يستطيبوا بالماء فانى أستحييهم منه فان رسول الله ﷺ كان يفعله) (٢) .

(البحث صلة باذن الله)



(١) أخرجه أبو داود و النسائى .

(٢) أخرجه الترمذى و النسائى .

حسان بن ثابت الأنصارى

و شعره الجاهلى

(٤)

سعيد الأعظمى الندوى

ومن قصائده الرائية التى قالها فى الجاهلية، بمناسبة تطليق امرأته عمرة أو عميرة الأوسية بنت صامت بن خالد بن عطية بن حوط بن حبيب بن عمرو بن عوف ، ومن خبره أن حسان كان قد تزوج امرأة من الأنصار من الأوس يقال لها عمرة أو عميرة بنت صامت ، و كان كل واحد منهما محبا لصاحبه . قال : و إن الأوس أسروا (و فى رواية أجاروا) مخلد بن صامت الساعدى . فتكلم حسان فى أمره بكلام أغضب عمرة ، فعيرته بأخواله ، و فخرت عليه بالأوس ، و كان حسان يحب أخواله و يغضب لهم فطلقها، فأصابها من ذلك شدة ، وندم حسان بعد ذلك ، فقال قصيدته التالية ، و هى تحتوى على واحد وعشرين بيتا ، يبدأها بذكر عمرة وما أزمعت عليه من صرم حبال المحبة معه ، ثم يلومها على حبها الظاهر الذى كانت تتظاهر به دون أن يكون ذلك حبا خالصا ، و بعد ذلك يشير إلى ما سألته عن أخواله ، و لا يلبث إلا و ينطلق لسانه فى مدح أولئك الأخوال بما كانو يتميزون به عن غيرهم من فعال حسن ، و كرم و سخاء ، ثم يتحدث عن ملوك غسان ويفيض فى الثناء عليهم وذكر محامدهم ومفاخرهم ، يقول :

أجمعت عمرة صرما فابتكر ... إنما يدهن للقلب الحصر (١)

لا يكن حبك حباً ظاهراً ... ليس هذا منك يا عمر بسر (٢)

سألت حسان : من أخواله ... إنما يسأل بالشيء الغمر (٣)

قلت أخوالي : بنو كعب إذا ... أسلم الأبطال عورات الدبر (٤)

رب خال لي لو أبصرته ... سبط الكفين في اليوم الخصر (٥)

عند هذا الباب إذا ساكنه ... كل وجه حسن النقبة حر (٦)

يوقد النار إذا ما أطفئت ... يعمل القدر بأثباج الجزر (٧)

---

(١) وفي رواية للأغاني [أزمعت] فابتكر ، بصيغة الأمر : من ابتكر الأمر إذا عجل فيه ، يدهن : يعني يظهر خلاف ما يضمر ، للقلب الحصر ، و هو في الأصل القلب الحصر ، يريد أن القلب الضيق يظهر خلاف ما يضمر ، يشير إلى أن عمرة إنما كان حبها غير خالص له .

(٢) عمر ترخيم عمرة ، والسر الخالص .

(٣) الغمر بفتح الغين و الميم : من لم يجرب الأمور ، الجاهل ، و بالضمتين بمعنى المغمور : المستور الخفي ، و بضم الغين وفتح الميم بمعنى القدح الصغير يعلقه الراكب خلف رحله نظراً إلى قلة أهميته .

(٤) إذا أسلم الأبطال عورات الدبر : كناية عن الانهزام ، يعني ينتصر أخواله إذا انهزم الناس .

(٥) سبط الكفين كناية عن السماحة والبر ، اليوم الخصر : اليوم الشديد البرد ، و أيام الشتاء و البرد أيام جدب عندهم .

(٦) النقبة بضم النون : اللون .

(٧) أثباج جمع ثبج : و هو ما بين الكاهل إلى الظهر ، الثبج من كل شيء ★

و من هنا يلتفت إلى الحديث عن ملوك آل غسان ممن كان يزورهم و يمدحهم نظراً إلى المكانة التى كان يتبوؤها لديهم ، و يقول : إنه لا ينبغى أن يغتر أحد بالدهر أو يأمن الزمان بعد ما حصل ماحصل لعمرو بن الحارث بن عمرو بن عدى ابن حجر بن الحارث الغسانى ، و حجر بن النعمان بن الحارث بن أبى شمر الغسانى ، فقد اخترمتهما المنية بعد ما ملكا من جبل الثلج بدمشق إلى جانب أيلة مما بين الحجاز والشام ، أنظروا ما يقول :

من يغر الدهر أو يأمنه ... من قتيل بعد عمر و حجر (١)
ملكا من جبل الثلج إلى ... جانبى أيلة من عبد و حر
ثم كانا خير من نال الندى ... سبقا الناس باقساط و بر (٢)
فارسى خيل إذا ما أمسكت ... ربة الخدر بأطراف الستر (٣)

★ أعلاه ، معظمه ، وسطه ، و المراد من أثباج الجزر أطايب الجزور من لحومها التى كانوا يقرون بها الناس .

(١) و فى رواية من قتيل ، و حجر بضم الحاء و الجيم و هو حجر بن النعمان ابن الحارث الغسانى، وكان أول من ملك غسان الحارث بن عمرو بن عدى ابن حجر بن الحارث ، ثم عمرو بن الحارث ، ثم الحارث بن عمرو ، و هو أبو شمر الأكبر ، ثم الحارث بن الحارث بن أبى شمر ، ثم الحارث الأصغر بن الحارث الأوسط ، و هو الأعرج ، ثم النعمان بن الحارث ، ثم جبلة بن الأيهم ، و هو الذى وصل إليه الاسلام .

(٢) إقساط بصلة ، بين و إلى ، وبدون صلة ، كما فى التنزيل « و أقسطوا إن الله يحب المقسطين » بمعنى العدل فى القسمة والحكم ، والقسط بمعنى الجور .

(٣) فارسى : تثنية فارس ، والمراد أنهما شجاعان عند ما يعم الخوف ، ستر بضمتين ، جمع ستار .

أتيــا فارس فى دارم فتناهوا بعد إعصام بقر (١)
ثم صاحا يا آل غسان اصبروا إنه يوم مصاليت صبر (٢)
اجعلوا معقلها أيمانكم بالصفيح المصطفى غير الفطر (٣)
بضراب تأذن الجن له و طعان مثل أفواه الفقر (٤)

و هنا يلوى عنان الكلام إلى الاعتزاز بمعانى الشجاعة و يذكر قومه الذين يمارسون الحروب و يصدقون السيوف ، و يخوضون المعارك من غير أن يبالوا بالموت ، أو يخافوا بالقوة و السلاح ، و يفتخر بالعز العزيز و الكرم الأصيل و النسب العريق الذى يتمتع به هو و قومه الذين يسودون الناس و يسوسون أحلامهم ، أنظروا كيف يقول :

و لقد يعلم من حاربنا أننا تنفع قدما و نضر
صبر للموت إن حل بنا صادقو البأس غطاريف فخر (٥)
و أقام العز فينا و الغنى فلنا منه على الناس الكبر (٦)

(١) إعصام : بمعنى اعتصام، والمراد به الامتناع والاباء، قر : بالضم والتشديد، موضع القرار ، يعنى أنهم بعد امتناعهم يتناهون إلى موضع قرارهم .
(٢) مصاليت جمع مصلت : بمعنى الذى يمضى فى الأمور ، وصبر بالضم جمع صابر .
(٣) معقلها بمعنى حرزها ، الصفيح : السيف العريض ، و المصطفى : المختار ، غير الفطر ، يريد به السيف البتار الذى لا يكون فيه صدوع ولا شقوق .
(٤) تأذن الجن له : بمعنى تستمع الجن إليه ، الفقر بالضم : جمع فقير و هو مخرج الماء من فم القناة ، و الفقير بمعنى البئر أيضاً .
(٥) غطاريف جمع غطريف : السيد الشريف الجواد ، فخر بالضم : جمع فاخر .
(٦) الكبر بالضم أو الكسر فالسكون : بمعنى الشرف والعظمة ، و تحريك الباء هنا للضرورة .

منهم أصلى فمن يفخر به　　يعرف الناس بفخر المفتخر

نحن أهل العز و المجد معاً　　غير أنكاس و لا ميل عسر (١)

فسلوا عنا و عن أفعالنا　　كل قوم عندهم علم الخبر (٢)

وقد روى هشام بن محمد الكلبى، أنه كان بين بنى النجار وبنى خطمة اختلاف فى حليف لبنى بياضة من بنى عبس يدعى عروة بن الورد، فالتقوا بالدرك فاقتتلوا قتالا شديداً حتى كثرت القتلى بينهم، ورئيس الخزرج يومئذ عمرو بن النعمان البياضى، وكان ظفر ذلك اليوم لهم، فقال عروة بن الورد فى ذلك أبياتاً منها:

فدىً نفسى للعوف كلها　　و بنى النجار فى يوم الدرك (٣)

فأجابه عبيد بن نافذ من بنى عمرو بن عوف بقوله:

بلغا عوفاً بأنا معقل　　نمنع الضيم و فرع مشتبك

و فى ذلك قال حسان بن ثابت الأبيات الآتية، وهى خمسة أبيات فى ديوان حسان الذى حققه الدكتور سيد حنفى حسنين: برواية هشام بن محمد الكلبى:

فدىً لبنى النجار أمى و خالتى　　غداة أتوكم بالمثقفة السمر

و صرم من الأحبار عمرو بن مالك　　إذا ما غدوا كانت لهم عزة النصر

فوافقه لا أنسى حياتى بلاءهم　　غداة رموا عمراً بقاصمة الظهر

و أفلت يوم الروع أوس بن خالد　　يمج دما كالرعث مختضب النحر (٤)

---

(١) أنكاس جمع نكس: المقصر عن الوصول إلى غاية النجدة و الكرم، وبمعنى الضعيف، ميل جمع أميل: الجبان، والذى لا يستقر على صهوات الخيول و لا يحسن الفروسية، عسر جمع أعسر: وهو الذى يعمل بشماله.

(٢) شرح ديوان حسان للبرقوقى، ص ٢٥٦ — ٢٦٠.

(٣) و هذه الأبيات تنسب إلى حسان بن ثابت أيضاً.

(٤) قال ابن الكلبى: الرعث هنا الجلود الرقاق الحمر.

فأن تنج منها يا جرى فإنها رحاب كجوف الغار مظلمة القعر (١)

و من أبياته التى قالها فى الجاهلية يمدح بها عبد مناف من قريش :

كانت قريش بيضة فتفلقت فالمح خالصه لعبد الدار (٢)

و مناة ربى خصهم بكرامة حجاب بيت الله ذى الأستار (٣)

قال أحمد بن محمد بن حميد بن سليمان العدوى ، أحد رواة هذا الديوان :

و حدثنى أصحابنا من أهل الحجاز أن رسول الله ﷺ أنشد هذا الشعر ، فقال لبعض قريش : أ هكذا قال شاعركم ؟ قال : لا يارسول الله ، ولكن قال :

كانت قريش بيضة فتفلقت فالمح خالصه لعبد منـاف

أما البيتان الثالث والرابع من هذه الأبيات فكما يلى :

أهل المكارم و العلاء و نـدوة النادى و أهل لطيمة الجـار

و لوى قريش فى المشاهد كلها و بنجدة عند القنا الخطار

كانت السدانه و هى حجابة البيت و لواء قصى عليها ، و كان أسود ، والندوة هى دار قصى لبنى عبد الدار خاصة دون ولد قصى ، فأخذ النبى ﷺ اللواء يوم فتح مكة ، فجعله أبيض (٤) .

قصيدته الطائية : و هنا قصيدة طائية ، من أيامه الجاهلية ، تنطوى على معانى

---

(١) جرى : هو جرية بن عائذ ، رجل من مزينة ، حليف لبنى خطمة ، طعن يومئذ.

(٢) المح و المخة : صفرة البيض ، و قيل : مح البيض ، ما فى جوفه من أصفر و أبيض كله مح .

(٣) مناة من الأصنام التى كانت تعظمها العرب فى الجاهليـة ، و كانت الأوس و الخزرج يهلون له ويذبحون .

(٤) شرح ديوان حسان ، تحقيق دكتور سيد حنفى حسنين ، ص ٣٢٨-٣٢٩ .

اللهو و الغزل و الخمر و الفخر و الجود و السخاء ، بدأها بقوله :

لمن الدار أقفرت ببواط غير سفع رواكد كالغطاط (١)
تلك دار الألوف أضحت خلاء بعد ما قد تحلها فى نشاط (٢)

و هذه القصيدة أبياتها أربعة و عشرون ، و البيت الأخير فيها كالآتى :

ثم رحنا و ما يخاف خليلى من لسانى خيانة الانبساط

يوم الفضاء: قال ابن الكلبى : و من أيامهم يوم الفضاء ، يوم التقوا بالفضاء فاقتتلوا قتالا شديداً ، حتى حجز بينهم الليل ، فأفضلت الأوس يومئذ على الخزرج ، فقال قيس بن الخطيم قصيدته التى يقول فيها :

فما أبقت سيوف الأوس منكم و حــد ظباتها إلا شريدا

فأجابه عبد الله بن رواحة بقصيدة ذات ٢٤ بيتاً بدأها بقوله :

تذكر بعد ما شحطت نجوداً و كانت تيمت قلبى وليدا

ثم كانت الرسل تجرى بينهم و الــكلام فى أن يصلحوا أمرهم ، و كان بينهم عهد و ميثاق ألا يغدروا بأحد فى معقله ، و المعقل : النخل و الدار ، فلا يقتل رجل كان فى نخله أو داره ، فاذا خرج منها لم يكن له عهد ، فلما جرت الرسل بينهم قالوا أعرضوا علينا ، قالت الرسل : انظروا فى القتلى ، فمن كان له الفضل فردوا إليه الدية ، فوجدوا الأوس قد فضلت بثلاثة رهط على الخزرج ، فأعطوا الخزرج غلماناً رهناً بالديات ، فغدرت بهم الخزرج فقتلوهم ، فبلغ ذلك الأوس فاستعدوا للقتال ، و استعدت الخزرج أيضاً للقتال ، فالتقوا يوم الربيع فاقتتلوا قتالا شديداً حتى كادت الأوس و الخزرج يومئذ يفنى بعضها بعضاً . وكانت النجار يومئذ أشد الخزرج على الأوس و أغلظهم جانباً ، و حصنوا النساء و الذرارى فى الآطام

(١) بواط : اسم موضع على أبراد من المدينــة المنورة ، و هى جبال جهينة ، و منه غزوة بواط ، التى اعترض فيها رسول الله ﷺ لعير قريش ، سفع جمع أسفع: اللون الأسود المشرب حمرة ، غطاط جمع غطاطة : نوع من القطا .

(٢) الألوف : بفتح الهمزة المراد به المحبوب .

و ظنوا أن سيخلص إلى النساء و الذرارى ، و لا يلق رجل خارج من معقله إلا قتل ، و دعت الأوس إلى الصلح فأبت عليهم النجار ، و حالوا بين الفريقين كليهما و بين الصلح ، فى ذلك يقول حسان :

لقد هاج نفسك أشجانها ... و عاودها اليوم أديانها
تذكرت هنداً و ما ذكرها ... و قد قطعت منك أقرانها
و دوية سبسب سملق ... من البيد تعزف جنانها
قطعت إذا خب حادى السرا ... ب بهوجاء يلعب شيطانها
و ساءلت منزلة بالحمى ... و قد ظعن الحى ما شأنها
و يثرب تعلم أنا بها ... إذا ألبس الحق ميزانها
و يثرب تعلم أنا بها ... إذا قحط القطر نوآنها (١)
و يثرب تعلم أنا بها ... إذا خافت الأوس جيرانها
و يثرب تعلم أن النبيت عند المزاهز ذلانها (٢)
نبت بالنبيت و أشياعها ... من أن أوعدت قط أرطانها
فكيف إذا نازلتها ليوث غريف و شبلانها (٣)
متى ترنا الأوس فى بيضنا ... نهز القنا تخب نيرانها
و تعط المقاد على رغمها ... و ينزل م الهام عصيانها
و يثرب تعلم أن النبيت ... ليست بشئ و أعوانها
فلا تفخرن و التمس ملجأ ... فقد عاد للأوس أديانها
و نحن إذا حاربت عامر ... أمام الكتيبة أعيانها
و نحن إذا نزلت معضلا ... نحس القبائل إخوانها

(١) نوآن جمع نوء : بمعنى طلوع النجم الذى يسبب المطر .
(٢) النبيت : هو عمرو بن مالك بن الأوس ، ذلان : بمعنى الذليل ، جمع ، المزاهز ، الحروب والشدائد . (٣) الغريف : الأجمة ، شبلان جمع شبل .

فقال قيس بن الخطيم :

أجـد بعمرة غنيانـها ... أتهجر أم شأننا شأنها

أيات أخرى فى حرب الأوس و الخزرج :

قال حسان الحارث بن هيشة بن عبد الله بن معونة (١) بن عمرو بن عوف ، و ذلك فى حرب الأوس والخزرج :

يا ابنى رفاعة ما بالى و بالكما ... هل تقصران ولم تمسكا نارى (٢)

ما كان منتهيـاً حتى يقاذفنى ... كلب وجأت على فيه بأحجار (٣)

يكسو الثلاثة ، نصف الثوب بينهم ... بمئزر و رداء غير أطهار

قد خاب قوم نيار من سراتهم ... رجلا مجوعة شبت بمسمار (٤)

لو لا ابن هيشة إن المرء ذو رحم ... إذاً لأنشبت بالبزواء أظفارى (٥)

و لما سمع قيس بن رفاعة هذه الأبيات ، قال :

نام الخلى و بت الليل مرتفقاً ... كأن فى العين منى ضرب عوار (٦)

و قال فى الجاهلية من قافية السين :

لسنا بجمت و لا زيم ولا صورى ... لكن بمزج من الجولان مفروس (٧)

(١) و فى رواية (معاوية) و بعض النسابين يذكرون : هيشة بن الحارث بن أمية بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس.

(٢) يريد من ابنى رفاعة ، قيس بن رفاعة وأخاه من بنى واقف بن الأوس .

(٣) يقاذفنى : يعنى يضاربنى بالأحجار ، وجأت بمعنى ضربت و لكزت .

(٤) نيار : رجل من الأنصار ، المسمار : ما توقد و تحرك به النار .

(٥) البزواء : منزل بنى رفاعة من بنى سليم .

(٧) مرتفقاً : يعنى متكئاً على مرفقه ، عوار : القذى ، الذى يقع فى العين .

(٧) كلها أسماء القرى ، وزيمة : قرية بوادى نخلة من أرض مكة ، و « ريم » أو بطن ريم على ثلاثين ميلا من المدينة أو على أربعة أبرد منها ، و دارة جولان : كذلك موضع ، و صورى : اسم ماء قرب المدينة .

يغدا علينا بإبريق و مسمعة   إن المجاز رضيع الجوع و البؤس
بتنا بدارة جوانا يفزعنا   صوت الدجاج و أصوات النواقيس

و من أبياته الجاهلية :

أرقت لتوماض البروق اللوامع   و نحن نشاوى بين سلع وفارع (١)
أرقت له حتى علمت مكانه   وبأكناف سلع والتلاع الدوافع (٢)
طوى أبرق العزاف يرعد متنه   حنين المتالى نحو صوت المشايع (٣)

و قال و هو يصف حبيبته بالجمال و الشباب :

لمن الديار و الرسوم العوافى   بين سلع و أبرق العزاف (٤)
دار خود تشفى الضجيع بعذب الطعم مز و بارد كالسلاف (٥)
ما تراه على التعطل و البذلة إلا كدرة الأصداف (٦)

---

(١) توماض : على وزن تفعال بفتح التاء ، مصدر من ومض البرق ، بمعنى الوميض ، و هو اللمعان الخفيف ، نشاوى جمع نشوان ، كسكارى جمع سكران ، لفظاً و معنى ، سلع : جبل بالمدينة ، و فارع : حصن حسان ،

(٢) التلاع جمع تلعة : و هى أرض مرتفعة غليظة ..

(٣) أبرق العزاف : جبل بين الربذة و المدينة ، المتالى جمع متلو : النوق إذا تلاها أولادها ، شبه صوت الرعد بحنين المتالى ، المشايع : الراعى الذى يردد صوته فى الشباع ، والشباع ، هو القصبة التى ينفخ فيها الراعى ليهيب بالابل .

(٤) العوافى جمع عافية : بمعنى الدارسات . (٥) الخود : الفتاة الحسنة الخلق ، الضجيع المضاجع مع غيره فى شعار واحد ، مز : الطعم اللذيذ بين العذب و الحامض ، السلاف : أول ما يعصر من كل شئ . (٦) يريد التعطل من الزينة و الحلى ، البذلة : بمعنى التبذل ، و هو ترك التزين ، و البذلة من الثياب ما يلبس عند النوم أو وقت العمل .

دراسة فى كتاب :

« أضواء على تاريخ الحركة العلمية فى غجرات »

عرض وتلخيص : محمد أرشد الأعظمى الندوى
أستاذ فى جامعة فلاح الدارين - تركيسر - غجرات الهند

إن منطقة « غجرات » لها أهمية بالغة بالنسبة للاسلام و المسلمين ونظراً إلى عظمة هذه الولاية و إلى ضخامة مآثر الملوك المسلمين فيها ، كان من الواجب فى هذا الزمن (الذى ساد فيه الخمول والذبول فى المجتمع الاسلامى من حيث البناء والعطاء) إحياء ذلك المجد الغابر ، وتذكير الأخلاف بصنائع الأسلاف ومآثرهم ، وذلك بكتابة تاريخها الاسلامى المجيد .

واستجابة لهذه الضرورة و وفاءاً بالواجب قام فضيلة الشيخ عبد الله بن إسماعيل السورتى مدير دار العلوم فلاح الدارين بتصنيف كتاب قيم « أضواء على تاريخ الحركة العلمية فى غجرات » الذى هو عرض شامل واستعراض كامل لما يحوى التاريخ الاسلامى فى هذه البقعة من الجوانب الاسلامية المضيئة معتمداً على المراجع الموثوق بها فى هذه الناحية من تاريخ الهند ، فجاء الكتاب نظرة عابرة و لكن عميقة و نزيهة على تاريخ غجرات من حيث إسلاميتها ، و تأثرها بالمسلمين الفاتحين ، وقيمهم الدينية ، و من حيث رواج العلوم الاسلامية المتنوعة فى هذه المنطقة .

فالمؤلف يتناول كل جانب من الثقافة الاسلامية و العلم الدينى ويلقى ضوءاً يجعل القارىء يشعر بأنه يعيش فى ذلك العهد الاسلامى رغم اختصار الكتاب وإحالة العبارات على المراجع فحسب .

و من الجوانب التى ألقى عليها المؤلف الضوء هى تحقيق كلمة غجرات و تحديد

مكانتها فى الخريطة ثم بداية علاقة غجرات مع البلدان العربية و امتداد هذه الصلة إلى أن التى الاسلام بجرانه ، وأثر هذه العلاقة الفكرى والروحى حيث إن الغزوات الاسلامية قد تركت آثار الثقافة الاسلامية والفكر الاسلامى فى قلب كل مواطن ، ثم يأتى ليلقى ضوءاً على توطد العلاقات مع البلدان العربية فى زمن الملوك ، وبعض مكارمهم الأخلاقية ، و مآثرهم العلمية و الدينية ، ثم يتطرق المؤلف البارع إلى ذكر ورود العلماء الكبار فى غجرات من مختلف أنحاء الهند، وخارج الهند من اليمن وحضرموت وما وراء النهر من شيراز واشتغالهم الشديد بترويج العلم وتعميمه تدريساً ، وكتابة ، وتربية ، و خاصة عنايتهم الزائدة بالحديث الشريف و تقدم زمانهم فى هذا العلم على علماء المناطق الآخرى، فان غجرات هى الولاية الأولى التى أشرقت و تشرفت بهذا العلم حينما كانت الولايات الأخرى فى جهالة تامة عنه، وكان هذا بفيض من إمام الحديث الحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوى رحمه الله حيث تلمذ عليه بعض علماء غجرات فى الحرمين الشريفين وجاء إلى غجرات مدرساً وناشراً هذا العلم .

إن تجمع العلماء فى هذه المنطقة فى هذا العدد الكبير ، يدل واضحاً على عموم العلم وشيوعه فى هذه المنطقة فى الزمن المبكر، ثم يأتى ذكر المراكز الاسلامية والعربية القديمة فى غجرات التى قد أدت دورها فى تنشيط الحركة العلمية، وترويج العلوم، ويبلغ عدد هذه المعاهد العلمية إلى ٣٢ مدرسة ومعهداً وكانت هذه المعاهد معمورة فى عهدها بالعلماء العاملين الكبار ، و المدرسين الماهرين ، الذين خرجوا جيلا إسلامياً ، إن هذه المدارس كانت محاضن العلماء الكبار ، الذين أناروا العقول و اشعلوا الجمرة الايمانية فيما بعد ، و من الأسف الشديد أن آثار أكثرها لم تعد باقية بل ذهبت على مر العصور والدهور ، و لكن وجود المعاهد الاسلامية الجديدة المنتشرة فى غجرات اليوم يخفف بعض الأسف على ذهاب تلك المعاهد القديمة و اندثارها .

و يتناول المؤلف ذكر هذه المعاهد و المدارس الاسلامية الحاضرة بشيئ من البسط و التفصيل ، و تبلغ هذه المدارس إلى ١٤ مدرسة إسلامية كبيرة عدا المدارس الثانوية الاسلامية الأخرى التي تلقن مبادىء الدين وتعد الطلاب لتلقي العلوم الاسلامية في المراحل المتقدمة ، وهذه المدارس لها دور كبير في نشر العلوم الاسلامية واللغة العربية بين أبناء غجرات اليوم ، فان كثيراً من متخرجي هذه المدارس يدرسون في الكتاتيب و الدور العلمية الاسلامية ، في مختلف المدارس في الهند و خارجها ، ثم يتحدث المؤلف عن خدمات علماء غجرات في سبيل نشر الدعوة الاسلامية ودورهم في إصلاح العقائد وإزالة البدع باقامة الكتاتيب وتنظيم التدريس في المدارس ، والتأليف و الترجمة ، وتعمير المساجد و إقامة هيئات تعليمية .

ثم يقدم فهرساً لمؤلفات علماء غجرات الذين أنجبتهم أرض غجرات و هذا الفهرس الطويل لمؤلفات علماء غجرات دليل واضح على خصب عقلهم المنتج ، و على طول باعهم في العلوم الاسلامية ، و خاصة في التفسير والحديث والفقه الاسلامي ، ثم يأتي مقال المؤلف الذي القاه في النـــدوة العالمية للادب الاسلامي المنعقدة في ندوة العلماء في ١١ جمادى الثانيـــة ١٤٠١هـ على موضوع (أثر اللغة العربية على اللغة الغجراتية) (التي تنطق في ولاية غجرات وهي الآن أصبحت لغة الثقافة و الصحافة و العلم في هذه الولاية .

إن هذا المقال يؤكد على تأثر اللغة الغجراتية بالعربية إلى حد كبير لخضوع غجرات للمسلمين الفاتحين إلى القرون السبعة التي دام فيها سلطانهم ،ويبين أن المسلمين قد تركوا آثاراً جليلة في معتقدات الهند وفنونها ، فنجد الناس يتكلمون بكلمات كثيرة مشتقة من لغة المسلمين ، و إن أثر المسلمين الأدبي عظيم ، و يبدو هذا الأثر جلياً في المباني ، و المصنوعات الفنية ، و الدين واللغة ، و أن أكثر من سبع مأة لفظ

عربى خالص يستعمل فى الغجراتية كجزئها الأصيل ، و لا غرو فان التاريخ الأدبى و اللغوى مرتبط بالتاريخ السياسى ارتباطاً وثيقاً .

ثم يختم المؤلف بحثه بالقاء ضوء خاطف على الصحافة الغجراتية الاسلامية ، تعريفاً الجرائد والمجلات الاسلامية التى تعبر عن مفاهيمها الاسلامية باللغة الغجراتية ، بعضها دينية بحتة وبعضها تتناول الموضوعات السياسية والتعليمية والثقافية، كما أن بعضها تتبع الجماعات المختلفة والأخرى ذاتية وشخصية، ولا شك فان هذه الجرائد تتابع الأحداث الواقعة على الساحة الاسلامية و العربية بجدية و تخاطب الضمائر الاسلامية ، و تزود الناس بالزاد العلمى والدينى ، ودور الجرائد والمجلات فى تنوير الأذهان و تجليتها ليس خافياً فى هذا الزمن الراقى .

وبعد مطالعة هذه الأنواع المتنوعة من أثر الاسلام الثقافى والحضارى على هذه المنطقة و دور هذه المنطقة الريادى فى خدمة العلوم ، و تربية العلماء ، و إقامة الدور العلمية لا يسعنا إلا أن نعبر عن سرورنا البالغ على هذا الجهد الكريم الذى بذل فى تقديم هذه الجوانب المضيئة من تاريخ غجرات إلى العالم الاسلامى المعاصر ، و أن نعترف بطول باع المؤلف فى تاريخ غجرات ، و على سعة أفقه ، وبعد نظره الهادف فى هذا السبيل .

وأخيراً ندعو الله أن يجزى المؤلف جزيلا على غيرته الاسلامية، و على عمله التاريخى والعلمى الكبير ، ويوفق المسلمين فى كل مكان لمطالعة هذا الكتاب النير ، و الاعتبار بماضيهم و بتاريخ أسلافهم المشرق ، عسى أن يحفز الهمم ، ويرفع العزائم ، ويجعله الجيل المعاصر أضواء على الطريق و مناراً للعلم و الهدى .

و الله من وراء القصد وهو يهدى السبيل .

المسلمون و إيجاد روح العمل الجماعى

واضح رشيد الندوى

تعرض الصحف و المنشورات و الكتب و البحوث التى تصدر هذه الأيام من مختلف البلدان، و من مختلف الأوساط، والدوائر، ظاهرة دارسة الحريات بدون مسئولية، التى لم تعد ظاهرة التنوع وإنما هى ظاهرة التمزق والتشتت، والبلبلة الفكرية التى تدع القارىء حائراً بين إثبات شئ، و إنكاره، و تقديس شئ و جحوده، سواء كان ذلك موضوع التاريخ، أو تصور واقع الحياة المعاصرة، علاوة على الاختلاف بين بلد و بلد و قطر و قطر، فان الحياة فى بلد واحد لا تسير إلى جهة، و لا تتبع منهجاً واحداً.

وجعل تيسير النشر و التوزيع البلبلة الفكرية أكثر تفاقماً و أكبر حجماً، بدلا من تهيئة فرصة للتبلور الفكرى.

إن حرية الفكر وحرية التعبير مرعية فى البلدان الأوربية أكثر مما تراعى فى البلدان الشرقية، ولكن توجد فى البلدان الأوربية وحدة أساسية أو مبدئية، أما بلاد الشرق فانها لا تراعى الوحدة بل تطلق العنان لكل من هب ودب، وكلما حدثت مشكلة أو أزمة ظهر هذا التناقض فى العالم و دراسات مضادة للمشكلة و الأزمة، وتجد الشعوب نفسها أمام نظريات متصارعة، ويصبح كل فرد مفكراً حسب طبيعته وتربيته وذهنه، ويحسب أن فكره ومنهج عمله أفضل من غيره، ولا يستعد للتسامح فيه، أو دراسة أفكار غيره، و تعديل فكره فى ضوء تلك الدراسة المقارنة، فاذا كان هناك فرد فى جماعة، أو حزب، أصر على فكره ومنهجه، و إذا رفض فكره ومنهجه، انشق عن الجماعة أو الحزب، وشكل مجموعة أخرى أو كتلة أخرى، بينما هو مكبل بالقيود فى المجالات، كالسياسة، و النظام الادارى.

وقد تسرب هذا المرض إلى الحركات و الدعوات والمنظمات الاجتماعية كذلك حيث يرى كل شخص أن من حقه أن يبدى رأيه الشخصى و يظهر معارضته، فيعبر عن رأيه ، ويصر على قبول فكره ، و يعتبر نفسه ، و هو جزء من المجتمع ، أنه هو الكل أو أنه هو العماد ، فاذا رفض رأيه ثار وخرج على الأمير وترك الجماعة ، وكون عصابة جديدة ، و مارس حرية فى العمل و الحركة و التعبير عن آرائه وبنى بناية جديدة بجانب البناية القائمة ثم يصرف همه إلى هدم أو إضعاف الكيان الأم الذى خرج منه أو أخرج منه ويكشف الأسرار ، ويفضح قادته السابقين أمام الناس ، ويثير الشكوك فى نواياهم .

تواجه هذا المصير كل أسرة ، و كل مجتمع وكل مدرسة ونظام فكون النتيجة أن الجهود تتفرق ، والطاقات تتبعثر ، بل تتصارع فيما بينها ، بدلا من الاستقطاب ، و التوجه إلى هدف معين و العمل كروافد ، و قنوات .

يرجع هذا الافتتات عادة إلى وجود المنجهية ، أو الثقة الزائدة بالفكر الذاتى ، أو الانانية و الكبت النفسى ، ويسبب ذلك ، فى تداعى الكيان ، وتمزق الوحدة .

كانت طريقة الاسلام احترام الرأى الفردى و إتاحة الفرص للتعبير عنه فى كل مجال من مجالات العمل فى ضوء العقيدة الاسلامية و التصور الاسلامى للحياة لكنه يؤكد الاعتصام بحبل الله ، والعمل بالانخراط فى الجماعة « و اعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرقوا » و « أن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » « و من خرج من الجماعة مات ميتة جاهلية » « ويد الله على الجماعة » « و من شذ شذ فى النار » ومثل ذلك آيات و أحاديث كثيرة وردت فى فضل العمل الاجتماعى ورعاية النظام ، ولذلك حث الاسلام على طاعة الأمير ، وطاعة الولى ما دام يصلى ويصوم ، ولا يعصى الله أو يرتكب الكفر البواح ، وبهذه الطاعة قام المجتمع الاسلامى الذى فتح العالم بوحدته ، و اعتصامه ونظامه ، وطاعة الأمير ، و خضوعه لأوامر الله .

وهو المجتمع الذى ذابت فيه الشخصيات و الأنانيات و الذاتيات .

إن الاسلام لا ينهى عن حرية التفكير ما دام فى إطار المصلحة الملية و فى ضوء التعاليم الاسلامية و لكنه لا يطلق حرية التصرف حسب التفكير الذاتى ، لأنه يؤدى إلى افتئات وفتنة ، و الفتنة أكبر من القتل .

لقد اختلف السلف فى التفكير فى مناسبات كثيرة ، و قد اختلف الصحابة الكرام فى التفكير فى أمور كثيرة لكنهم أطاعوا الأمير بعد صدور حكمه فكانوا مطيعين فى العمل و التصرف ، وهكذا كان موقف المسلمين دائما فى عهد مجدهم أنهم كانوا يختلفون فى التفكير و هو أمر طبعى لكنهم كانوا يتحدون فى العمل خوفاً من الفتنة ، وترجيحا لمصلحة الجماعة والتفكير الاجتماعى ، وكان مجتمعهم مترابطاً ، مندفعاً ، و كانوا كأسنان المشط .

و لكن الأنانيات الفكرية و العملية و الفردية سيطرت على العقول اليوم ، باستغلال مفهوم الحرية فأصيب المسلمون بالتوزع الفكرى و العملى و تصدع الكيان الاجتماعى كما أصيبت الأمم الأخرى فاصبحوا أفراداً وآحاداً بينما كانوا جماعة وأمة ، وتشتت شملهم وانقسموا إلى فئات وأحزاب ، لقد كثرت الأحزاب والفئات والمذاهب لسوء استخدام حق حرية التفكير و الاصرار على التفكير الذاتى ونقله إلى العمل خروجاً على الجماعة ، وانقسم كل حزب إلى أحزاب وينشأ كل يوم مذهب جديد ، و كل مذهب جديد ، وحزب جديد يسعى إلى بقائه و نموه و استقلاله ، و إن كان على حساب الجماعة الأخرى ، وبذلك خسر المسلمون صلاحية التعبير الاجتماعى والعمل كجماعة و أمة .

كان المسلمون أمة الجماعة يعمل فيها الأفراد كأجزاء لكنهم الآن أمة أفراد و آحاد ، و مع كل فرد شرذمة من الناس ، و كل شرذمة تعتقد أنها هى الكل و أنها هى الممثلة الوحيدة للامة .

إن حاجة المسلمين القصوى اليوم الأصالة و الرزانه فى العمل و إيجاد روح العمل الجماعى و ترجيح مصلحة الجماعة على مصلحة الأفراد ، وتضحية المصالح الذاتية رغم أبداء الرأى وحرية التفكير .

إن الذين يكتبون أو ينشؤن أحزاباً ، أو يخطبون ، يتحملون مسئولية كبرى ، لأن كلمتهم المقروءة أو المسموعة تساهم فى نشر فكر أو دعم فكر ، فاذا شعروا بنوع من المسئولية و احترسوا فى التعبير و العمل بأن رأيهم أو عملهم لا يزيد التمزق ، أو التفتيت ، وقارنوا بين الاتجاهات و الأفكار ، و حاولوا التوفيق بدلا من عرض جديد أو إيجاد حركة جديدة ، كان ذلك مساهمة كبرى فى بناء أمة ذات أهداف معينة و اتجاه معين ، مندفعة إلى غايتها ، بوحدة فكرية و عملية .

(الدراسات الاسلامية) أهلا بالزميلة العزيزة

قامت إكاديمية شيخ الهند فى جامعة دار العلوم ديوبند (الهند) باصدار مجلة فكرية باللغة العربية تحمل اسم « الدراسات الاسلامية » و تصدر كل ثلاثة أشهر ، و قد وصلنا العدد الأول للسنة الأولى ، و هو يحتوى على أبحاث و مقالات علمية وفقهية تشير إلى قيمة المجلة و هدفها المبارك .

والمجلة خطوة أولى نحو تحقيق أهداف إكاديمية شيخ الهند التى أسست منذ فترة قريبة فى جامعـــة دار العلوم ديوبند ، لمعالجـــة شئون الدين ، و التحقيق العلمى ، والدراسات الاسلامية ، فى إطارها المرسوم .

يرأس تحرير المجلة فضيلة الأستاذ سعيد أحمد الأكبر آبادى الذى يعرف فى الأوساط العلمية والثقافية فى الهند وخارجها بد اساته الموضوعية وسعة نظره فى العلوم الاسلامية ، و اتجاهه الفكرى الواسع .

ونحن إذ نرحب بالزميلة العزيزة ونقدر هذه الخطوة الهادفة ، نرجو لها الاتساع و الازدهار ، وندعو لها بالتوفيق و القبول . [التحرير]

Albaas-el-islam

NADWAT-UL-ULAMA, LUCKNOW. (INDIA)

صدر حديثاً :

رسائل الأعلام

مجموع رسائل لكبار العلماء ، وقادة الفكر و الدعاة ،
و المؤلفين و الأدباء ، و الكتاب الاسلاميين والأصدقاء .
و بعض الملوك و الأمراء و الوزراء فى العالم العربى .
سبعون رسالة لخمسين كاتباً مرموقاً
كتبت و وجهت إلى سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى
أمين ندوة العلماء العام ، و رئيس المجمع الاسلامى العلمى فى لكهنؤ (الهند)
فى فترة بين
١٣٦٧هـ ——— ١٤٠٤هـ
إخراج و تقديم
فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الرابع الحسنى الندوى
عميد كلية اللغة العربية و آدابها ، جامعة ندوة العلماء
لكهنؤ ، الهنـد

يطلب الكتاب : من مكتبة دار العلوم لندوة العلماء ص . ب ٩٢
لكهنؤ (الهند)

بالطبع و النشر جميل أحمد الندوى فى مطبعة ندوة العلماء ـ رئيس التحرير : سعيد الأعظمى